MICROFILMED BY **BYU**

AT:

COPTIC CATHOLIC CHURCH, CAIRO

OPERATOR	REDUCTION X
STEVE BALDRIDGE	**42**

DATE FILMED	LIGHT METER SETTING
14 SEPT 1987	**21**

FILM EMULSION NUMBER	FILM UNIT SER. NO.
A91360419	**HRP 51568**

PROJECT NUMBER	ROLL NUMBER
EGPT 00004	**4**

LOCALITY OF RECORD

EGYPT

TITLE OF RECORD

THEOLOGIE ET PREDICATION

ITEM **6**

Whole Volume

Bleed Through

كتاب

مواعظ الاب بولص سنيري اليسوعي المعلم الفاضل واللاهوتي الكامل والواعظ الفصيح فريد عصره ويشتمل على ٣٨ عظة قد استخرجه من اللغة التليانية الى اللغة العربية الاب استفانوس القبرصي نسبًا والماروني ملةً تلميذ مدرسة طايفة المارونية في مدينة رومية والخوري على طايفة في مدينة عكا فنسال الله في المقاربة لطالبيه ولسامعيه امين ∴

فهرس الكتاب ∴

العظة ٢٤ [illegible] انه لا يجوز لنا ان نحكم على الخاطي من ظاهره البهادي لان [illegible] لا يطابق ظاهره اصلاً ؛

العظة ٢٥ تتضمن بيان وفور التزام الوالدين في تحسين تربية اولادهم وعلى عظم شقايهما اذا اتهاوناً بها ؛

العظة ٢٦ تتضمن تشجيع اهل الصلاح ليقبلوا من استقبالي الموت بفرح في اي وقت وافاهم وليستفيدون من ذكره ونصايحه متخذينه بمنزلة المشير في ساير افعالهم ؛

العظة ٢٧ تتضمن اقناع الجريحين وتعزيتهم في الشدايد المرسلة من الله تعالى ليست هي شيئاً اخر سوى حب خالص ؛

العظة ٢٨ مضمونها انه يجب ان يبكى وينياح على قباحة جنون من يفرح ضاحكاً وهو في حال الخطا المميت ؛

العظة ٢٩ تشتمل على انقاذ الصالحين من المضادات الواردة عليهم كل يوم من الاشرار بايضاحنا للاشرار انهم اغبيا وغير معذورين في كونهم اشراراً لا يطيقون غيرهم ان يكونوا صالحين ؛

العظة الثلثون تتضمن اقناع العالميون في ان العالم خاين بل اشر الخاينين اجمع

العظة ٣١ مضمونها انه يجب على المسيحيين في حال الاضطراب الذي يضرمه في القلوب السر المرهوب اعني سر الانتخاب الى المجد ان يلقوا مراسيهم في هذا الميناء اي انه لا يهلك احد الا الذي يريد هلاك نفسه باختياره ؛

العظة ٣٢ تتضمن اثبات هذه الحقيقة الجزيلة الاعتبار لمن يرغب ان ينهض مع المجدلية من الخطية وهي ان كل انسان ولو مهما كان خاطياً عظيماً فيستطيع للوقت ان يصير قديساً عظيماً ان شاء ذلك ؛

العظة ٣٣ تتضمن برهاناً راهناً لتجهيل حكما العالم الذين يفسدون في ايامنا هذه عقولاً كثيرة وفي ان الشي الذي ليس صالحاً لا فايدة منه اصلاً الخ

العظة ٣٤ تشتمل على مطابقة تسمية السيد المسيح احسن المطابقة التسمية التي تتخذها اليوم في نصرته اي تسمية الملك المتواضع ثم تنتج في اخر العظة

نتيجة غير مامولة من السامعين وهي ان الخطية شرجب [illegible] العظة الخامسة والثلثون مضمونها انه لا يوجد احد عاني في الارض اوجلعاً تشابهه اوجاع السيد المسيح لكي تتحرك السامعون الى اعتبار لايق ومناسب لما احتمله تعالى لاجلنا وحباً بنا العظة السادسة والثلثون تشتمل على بيان انه لواجب جداً ان يتمتع الجسد مع النفس في الملكوت بالقيامة السعيدة العظة السابعة والثلثون تشتمل على تفهيم السامعين انه يجب عليهم ان يخافوا كثيراً من السقوط بعد قيامهم من الخطية

العظة الثامنة والثلثون تتضمن براهين سديدة تقنع المسيحيين في ان السيرة الروحية ليست ثقيلة ومكروهة حسبما تبان في خارجها لكنها عذبة ولذيذة والقصد بذلك لكي تتشجع السامعون على مباشرتها تمت

م

العظة الاولى

تقال في ذر الرماد المبارك في اول يوم من الصوم الكبير عند اللاتينيين تتضمن عظم جسارة من يعلم انه في كل دقيقة قابل الموت ومع ذلك يستمر ولو دقيقة واحدة في حال الخطية المميتة وهي قسمان

القسم الاول

اذكر يا انسان انك تراب والى التراب تعود هكذا قال الله تعالى لادم في الاصحاح ٣ من سفر الخليقة

العدد الاول — اني قد اقبلت نحوكم الان ايها السامعون المكرمون لكي انذركم بقضية هي مزعجة محزنة جدًا، واقرّ لديكم معترفًا اني بصعوبة عظيمة تقدمت الى الانذار بها، لانه قد ثقل عليَّ جدًا ان اورد على سماعكم من ابتداء النهار ما يكدر خواطركم كدرًا ليس باليسير، و لعمري ان افتكاري فيما انا عتيد ان اقوله لكم حسبما اشعر بنفسي هو وحده قد جمّد الدم في عروقي لفرط الخوف والارتياع، ولكن ماذا يفيدني الصمت، واية منفعة تنتج من المحاباة فها هو ذا انا اخاطبكم قايلاً: انا نحن جميعًا المجتمعون ههنا سواء كنا شبابًا او شيوخًا سادات او خدامًا اشرافًا او فقرا فكلنا لعتيدون اخيرًا ان نموت على انه حتم على الناس ان يموتوا مرة واحدة كقول القديس بولس الى العبرانيين غير انني لمتعجب جدًا مما اراه واعاينه لكوني لم اجد احدًا منكم قد اضطرب لخبر مثل هذا مرهب مرعب ولا تغيرت الوان الكثيرين ولم اصادف احدًا منكم قد تغيرت سحنة وجهه، اه وا اسفاه على انني ارى شيئًا قد جرى خلافًا لما كنت ارجو لانه عوضًا عن الخوف الذي ظننت انه يشملكم عند استماعكم هذا الخبر المرعب هوذا انا استشعر جيدًا بانكم شرعتم في داخلكم تهزاون بي كما يهزا بمن رام ان يذيع خبرًا يظنه بديعًا حديثًا وقد كان ذلك الخبر مشتهرًا تترنم به افواه الجميع. وتقولون لي بلسان الحال من من الناس يا ابانا حتى الان لا يعرف اننا جميعًا لعتيدون ان نموت من هو الانسان الذي يحيى ولا يعاين الموت انه هذا لقد نسمعه على الدوام في منابر كثيرة وليس ذلك فقط بل اننا نتلوه على مقابر لا تحصى حتى انه ينادي به علينا منادات متصلة من جثث الموتى مع كونها خرسًا نعم اننا نحن نعرفه فان كنتم تعرفونه حقًا قولوا لي كيف اصدق

ذلك

ذلك واجيبوني جوابًا شافيًا لانه اليس انتم الذين كنتم بالامس تمرحون في افراح فرحين مسرورين وكان البعض منكم متظاهرًا بشكل العشاق ومنكم من كان يتجين في حال البهايميين ومنكم من كان يوجد في حال الشرهين والسكيرين اليس انتم الذين كنتم ترقصون بهذا المقدار في الفخفخة والتعرض في محافل التعاليل اما انتم كنتم مستغرقين بهيام عظيمة في الولايم والموايد اما انتم الذين كنتم مطوحين نفوسكم بهذا المقدار من الانصباب في خصايل الحنفا الجهلة واليس انتم الذين كنتم جالسين في اماكن اللهو مسرورين بتهجيف اما انتم الذين كنتم ملتهيين بحكاياكم وخرافاتكم وتسمعون من الاماكن المهياة و المصنوعة في الشوارع والازقة لمثل هذه الاباطيل اجيبوني اليس انتم الذين كملتم بجود وفرح الليلة البارحة المتقدمة على رش الرماد المبارك في المهازي والملاعب والحديث الفارغ والاغاني والتنزهات الباطلة وعواطف العشق الدنس اللهم الا تكونوا اصرفتموها في الملاهي والملذات الغير اللايقة ليت شعري هل يسوغ لي ان اصدق انكم انتم الذين انهمكتم في مثل هذه الاشيا تصدقون يقينًا انكم سوف تموتون يا الظلام هذا العمى ما اكثفه يا الجنون لا اشفا له يا الجهل وغباوة يرثى لهما لقد كنت افتكر انني بانذاري لكم بالموت اوردكم سببًا قويًا مقنعًا يجتذبكم جميعًا الى التوبة والبكا ولاجل ذلك اتيت الى هنا بمنزلة مبشر مرسل من الله اتيًا فيما بين ضباب وامطار ورياح عاصفة وبحيرات وثلج وانهر وجليد مسرورًا بالمشقات التي استخففتها ظانًا بنفسي انه غير ممكن الا اربح نفسًا ما بايرادي للخطاة ذكر ميتوتهم ولكن قد خاب املي انا المسكين ورجاي خدعني جدًا حيث انكم مع السبب القوي الذي ابتديته بازايكم لكي تنتبهوا وتتوبوا انهمكتم في الخطا والجهل او فرانهما كانا غير مستحيين بل فاعلين نظير المعزا الشرهة الغير المهذبة التي من شانها ان لا تجد ساعية في ان ترعى وتقفز وتمرح في السهل جارية لها حينما تتقدم وتشعر في انه مقبل عاصف شديد او نو جزيل فاذا ما الذي ينبغي لي الان ان افعله فهل يليق بي ان اصمت واسلم كجبان ام الاولى بي ان

[illegible] هل يجوز لى اذ اتركم متوغلين فى وهدة الخطية لا لعمرى
لكن اسال الستفا ان يايد افكارى ويعضدها بمقدار ما انا اومل ان اربحكم له
تعا وها انا اسالكم فاجيبونى اما تسلمون لى انكم مجبولون من تراب سريع الفساد
والبلا اليست هذه الحقيقة صادقة اما عرفتموها وقراتموها اما تقرون بها معترفين
خلوا من ان يكرر عليكم احد الاية التى ابتدا بها الخطاب قايلاً اذكر يا انسان
انك تراب اى نعم هذا هو الذى ارجو منكم ان تقروا به وعلىّ الان ان اثبت لكم
ما هو عظيم جهل اوليك الذين مع انهم فاهمين الحقيقة المذكورة يعيشون ولو
دقيقة واحدة فقط وهم فى حال الخطية المميتة ولكن ما لى اقول جهل فالجدير بى
ان اسميه مجاسرة بل وقاحة ذات جنون وها انا ابرهن لكم ذلك غير انى اولاً التمس
المعونة قايلاً يا ايها الملايكة الجالسون حذا هولا السامعين المكرمين لاجل حراستهم
يا ايها القديسون الراقدون والمدفونون تحت هياكل هذه الكنيسة المشرفة لديكم
انى استغيث بكم منذ الان عن كل مرة اصعد الى هذا المنبر متضرعاً ومتوسلاً اليكم ان
تمنحوا الى كلامى الرزانة والقوة اللتين لا يبلغ اليهما لسانى وانتِ خاصةً ايتها
العذرا المعظمة التى يحق لكِ ان تسمى والدة الكلمة الالهية حقاً وقد حبلت به
فى مستودعكِ البتولى بشوق عظيم لحسن حظنا وولدتيه بغصب عظيم للعالم
لاجل خير الجميع وبعد ان كانت مختفية وغير مدركة صيرتيها مشتهرة ومصححة
وملموسة بالحواس ايضاً انعمى على لكى اتصرف بها كل يوم باحترام عظيم كيلا اشينها
بعبارات باطلة ولا ادنسها بشقشقة ذات رعانة ولا ابلبلها بترجمات وتفاسير
معوجة او كاذبة بل اهلينى لكى اسكبها فى قلوب السامعين صافية نقية حسبما خرجت
من اعماق احشاكِ الطاهرة لقد اتيت يا سيدتى مفتقراً وخالياً من كل سند سوى الامل
الوافر فى تاييدكِ ولاجل ذلك ارجو منكِ ان تضى عقلى وتطلقى لسانى وتدبرى
حركاتى وان تجعلى كلامى منتظماً على نسق جيد لينتهى لمدح الله تعالى ومجده
الاعظم ولعمار القريب وفايدة نفسه وليكن لى انا ايضاً نيل الاستحقاق ولا يتحول
الى مادة الهلاك امين ؛

العدد ٢ ان الانسان من ذات طبعه مايل غالباً الى الخوف فى حال المخاطر الباهظة اكثر مما هو

مستعد الى الطمانينة بها ولاجل ذلك نرى انه ليس فى سفينة [illegible]
على سلامتها سوى ذلك النبى العديم الطاعة وحده لانه كان راقداً [illegible]
وهدو فى حال ضجيج الرعود وفورة الزوابع اما الاخرون فالبعض منهم كانوا [illegible]
او ينوحون والبعض يستشيرون وغيرهم يتعبون مجدين ليسلموا من الغرق
المشرفين عليه وهذا هو نفس ما تقدم فقاله ايضاً القديس توما فى المسالة ٢٣
من تفسيره الاصحاح ١٨ من بشارة متى هكذا ان الانسان مايل الى الارتياع الذى به
يجتنب الشرور اكثر مما هو منصب الى المجاسرة التى بها يقتحم على الشرور غير انا نرى
ان هذه الحقيقة تصح وذلك حينما تكون المخاطر زمنية فقط التى هى اقل رهاباً
وشدة لا حينما يكون الخطر ابدياً الذى هو اكثر ترهيباً وخالٍ من الارتداد من ذا
الذى يصدق ان الناس فى مثل هذا الخطر فقط يميلون غالباً الى السكون والطمانينة
وليس انهم لا يخشونه فقط بل يحتقرونه وليس انهم لا يتجنبونه بل يتلقونه فيا ايها
الخطاة ما هو رايكم فى حالكم اجيبونى انسلن المحقق انكم تعلمون ان فى تلك الدقيقة
عينها التى بها كملتم خطيتكم بالفكر او بالقول او بالفعل حتم عليكم حالاً بالقضا الر[هيب]
فى هلاككم الابدى ولا يحتاج اتمامه بالعمل الى تعب جزيل على ان النيران العتيدة
ان تكون سريركم فى الابدية كلها هى منذ اجيال عديدة متقدمة من غير ان تطفى
اشتعلت النار فى رجزى (هكذا يقول الله) وتلتهب عليكم والعذابات معدة
والمعذبون واقفون منتظرون فيا ليت شعرى اى شى يبقى ليتم القضا بالعمل
لعمرى انه لا يبقى الا الى ان ينقطع الخيط الذى انتم به معلقون فوق هوتة الجحيم
العميقة وكما قال الكتاب المقدس فوق بير العمق ومع ذلك جميعه الا ترهبون
خايفين وكيف تستطيعون ان تتناولوا طعاماً وغذا لمسا ملتذين ومترفهين
وهل تستطيعون ان تحدثوا وتعاشروا غيركم متنزهين ومطمانين وهل يمكنكم
ان تذهبوا وتستمدوا فى فرشكم النوم والراحة فرحين غير خايفين فان كنا اذاً
لا ندعوا هذه الطمانينة جسارة ووقاحة عظيمة فظيعة شنيعة فليت شعرى
باى اسم نسميها انه لا ريب فى ان خيط الحيوة الذى انتم به الان معلقون قد
يمكن ان يكون متيناً وثابتاً وقد يمكن ايضاً ان لا يكون كذلك بل يكون قد قرب

هيب

ايوب ٢٠ : ١٥

من التلاشي والقطع وان كان ذلك كذلك فهل يسوغ لكم تحت هذا الارتياب
الكلي أن تتمسكوا برأي ينتهي بكم الى الأمل الكاذب الكلي الخطر فيما يخص نفوسكم
لا برأي سليم أمين ينبهكم على الخوف الخلاصي المفيد نفوسكم ؛

[العدد ٣] غير انني أقول الحق ولا اكذب اني غلطت بقولي تحت الارتياب الكلي لانه أي شي
في العالم يستطيع أن يعدكم وعداً أكيداً محققاً بدقيقة واحدة من الحيوة الهل
البادزهر الشرقي أو اللولو المسحوق أو الذهب المحلول أو المعاجين الفاخرة
المركبة من دقيق الجواهر والحجارة الثمينة لا لعمري كون هذه الاشيا هي ادوية اخترعتها
الكبريا ليصيروا بها موت الحكام وذوي المناصب العالية بجاه وعز أيضاً وان
نظرنا من جهة أخرى فنرى انه يوجد اشيا كثيرة تستطيع أن تستاصل حياتنا في كل
دقيقة لقد كان الوثنيون القدما مخدوعين في نفوسهم بهذا الرأي وهو أن
العلل التي تفني حيوة البشر هي ثلثة فقط اما سينكا الفيلسوف فلم يكن متمسكاً
بهذا الضلال بل كان يقول انها كثيرة جداً غير معدودة وذلك بقوله لا يوجد
شي في العالم لا يستطيع أن يفني حيوة الانسان وان شيتم تحقيق ذلك فلاحظوا
كم يوجد من المخلوقات في العالم فجميعها علل الموت وكانها جميعها حاملة بايديها
أسلحة وسيوفاً أعني بذلك ان جميعها ناهضة علينا وهي قادرة بل مستعدة
الى قتلنا وما عدا ما اوردناه فاقول من ذا لا يعلم ان الانسان لكي يموت فلا يحتاج
الى أن ينتظر الموت ليأتيه من خارج لانه يوجد داخلنا مقدار ما يكفي لقتلنا على انه
كما ان الحديد يدبر في نفسه الصدا والخشب السوس والجوخ العث هكذا بهذا
المقدار حتى انه ذكر عن احد قواد الجيوش المدعو كادورس فهذا كان متهوراً في
البسالة والقوة في الحرب جداً وكان حياً في الجيل الماضي انه قد عاش بحظ سعيد
لم ينله غيره ممن يمارسون الحروب والمعركات الخطرة وقد تم له من العمر ٧٥ سنه
وفيما كان يوماً يتخطر فرحاً مسروراً في ميدان الحرب تجاه جيشه مفتخراً ومبتهجاً على
انه لم يزل الى ذلك الحين متعدلاً في تركيبه ونشيطاً في قواه وغضاً في لحمه نظير
من له من العمر خمسة وثلاثين سنة ففي تلك الدقيقة عينها انتهى نخره وزالت حياته
بغتة وذلك بانحدار نقطة على قلبه افنت حياته وقد ابان لنا موته هذا الجاري

كم يكون الانسان عديم الخبرة والمعرفة فيما يجري داخل عمق حشاه [illegible]
كيف تصبرون أيها السامعون وانتم في هذا الارتياب المريع أن تعيشوا ولو
دقيقة واحدة في الخطر المميت أهذا هو الاحرص المحترسون به على نفوسكم أهذا
هو الاعتبار المعتبرون به غاياتكم أهذا هو الاهتمام المهتمون به في ربح سعادتكم الابدية
فيا للعجب كونكم تعلمون أنكم حاصلون في وسط مخاطر كثيرة وباهظة ومع ذلك
لا تنزعجون أن البعض يتعجبون جداً في ايليا النبي كيف انه وهو مضطهد من
ملكة ذات مقدرة استطاع أن يرقد مرتاحاً في الصحرا كقول الكتاب المقدس [اصحاح ١٩ ملوك ٣]
ونام تحت ظلال الرعر
أما أنا فلست أتعجب من ذلك اليسير هو من الحق انه كان
باراً قديساً نعم ثم جاز له أن يرقد مستريحاً ولكن أتعجب من مشاهدتي شاول
واليفانا وسيسرا نياماً مع كونهم ناموا داخل الخيم ولم يتفكروا اذ انكون اخرتهم
اذ ضربوا من كان يكمن لحياتهم اللهم نسالك بان لا تسمح أن نعاين كل يوم
تجديد امثال هولا في الشعب المسيحي لعمري انه يوجد كثيرون جداً الذين الى مفارشهم
يذهبون في حال الخطية المميتة وهم غير ملتفتين الى المخاطر المرعبة الكثيرة التي يمكن
أن تفاجيهم من نزف دم بغتة او من اشتباك بلغم على صدرهم او من انحدار نقطة
على القلب او من لدغ حشرة ما مسمة فهل يسوغ لمثل هولا أن يغمضوا اعينهم
فقط ولو برهة يسيرة من الزمن يا لهما من غباوة مذمومة ما اقبحها يا لجنون
كتيف ما اشنعه قد يوجد في بلاد افريقية نوع من الوحوش الضارية تسمى ثياتل
تشبه بهيبتها الثيران البرية فهذه تركن مطمانة في نفسها بهذا المقدار حتى
انها ترقد في وسط اشراك الصيادين غير خايفة مع انه لا يسمع من كل جهة
سوى صهيل الخيل ونبح الكلاب فمع ذلك لا تفر هاربة لتنجو من الاشراك بل لا
تنزح من مكانها البتة اليست هذه مجاسرة عظيمة مذهلة فعلى هذا النحو اري
انا ايضاً مجاسرة الخطاة ولكن ما بالي اقول اري والحال ان ذلك محقق تحقيقاً لا
يشوبه ريب اصلاً فاسمعوا حقيقته من فم النبي القايل رقدوا في راس جميع [٥١ : ٢٠]
الشوارع مثل الثيتل المشتبك مملوين من غضب الرب فهل يمكن أن يقال
او يوضع هذه الاية النبوية عن اوليك الخطاة اثماً ونفاقاً والمملوين من غضب

الرب الذين لا يفارقون العشرات الردية واوليك الذين لا يردون المال ذو الحرام الى اصحابه واوليك الذين يابون عن ارتداد الضبط الصالح لقريبهم الذى استلبوه منه بنميمتهم واوليك الذين يحفظون فى قلوبهم البغضة والحقد نحو القريب فجميع هولا يعلمون جيدًا انهم ساقطون فى اشراك الشيطان المرعبة الجهنمية ولكن ماهو الذى يفعلونه فهل ينتزحون عن حالهم عسا هم يحزنون او يسعون لكى يخرجوا منها بسرعة فى اوان مناسب كلا لكنهم يرقدون فيها زمانًا طويلا مرتاحين نظير النيا تل رقدوا مثل النيتل المشتبك بالدمقس رقاد مرعب رقدوا مثل النيتل المشتبك باللجم كيف يمكن لمثل هولا ان يبلغوا الى ركون وطمانينه هذا مقدارها من الذى يحقق لكم ايها المساكين ان الله تعالى لم يحتم على جميع المخلوقات ان تنهض الى اقتناصكم وانتم راقدون فى هذه الاشباك المهلكة او انه يسمح للخيل والكلاب الجهنمية لينهشوكم فى رقادكم ومع ذلك ترقدون وانتم مطمانين ومستريحين وترقدون فى اى مكان كان من غير خوف حتى فى راس جميع الشوارع بل ترقدون مثل شمشون بنفاق لا يوجد اعظم منه اى فى حضن الزوانى كما قال النبى ترقدون فى اسرة من عاج وتتنعمون فى مضاجعكم ~

ولقد ينبغى لكم ايها السامعون ان تعتبروا هنا هذه القضية الحقه وهى ان كان لا احد منا يستطيع ان يضمن لنفسه دقيقة واحدة من الحيوة فقط لكون غيرة الله فى بقا الزمن نفسه لعظيمة جدًا ولاجل ذلك فمن جملة جميع السلطان خصص لذاته تعالى السلطة على الازمنة والاوقات فبالحرى لا يستطيع الخاطى الحاصل على الخطية ان يضمنها لنفسه ليت شعرى من لا يعلم ان الخطية هى التى ادخلت الموت الى العالم كقول الرسول الالهى ودخل الموت بالخطية ولذلكم السبب قد اتخذت الخطية لذاتها هذه القوة المرعبة على الدوام وهى انها تعجل الموت وتجعله ان ياتى قبل اوانه بزمان كثير وهذه الحقيقة تبرهن لنا من مواضع كثيرة لا تحصى من الكتاب المقدس لا تكن منافقا كثيرا ولا تكونن جاهلا هكذا قيل فى سفر الجامعة فمعنى قوله هذا اى لا تعطى نفسك فريسة الى النفاق لا تستتر سيرة رخية غير مضبوطة كما انك سائر لا بجحفان كما يقال فى مثل العامة من كل حشيشة حزمة

لا تكن منافقا كثيرا ولا تكونن جاهلا ولاى سبب ليلا تموت فى غير وقتك حسب قول الحكيم فى الجامعة يعنى ليلا تموت قبل الوقت المحتوم لك من الله تعالى وقال ايضا ايوب الصديق يباد المنافق قبل ايامه واعاد كلامه هذا فى موضع اخر بقوله انقطع المنافقون قبل حينهم ومثله قال ايضا ابن سيراخ فى بغض التوبيخ تقل حياته وكذلك سليمان الحكيم اقر علانية فى امثاله ان عمر المنافقين العاملين الشرور يقصر بقوله هكذا سنوا المنافقين تتناقص وذلك لانهم يسقطون مثل الخرنوب الذى يسقط من شجرة اخضرا وقبل ان ينضج او نظير حشيشة الزوان التى تقلع من بين الحنطة قبل ان تيبس ولتحقيق ذلك جميعه اسمعوا ما اصاب بيد الملك انسطاسيوس المنافق حسبما خبرنا عنه بارونيوس فى المجلد السادس من التواريخ البيعية قايلًا ان هذا الملك اذ كان نايمًا فى احدى الليالى مضطربًا من سوء اخلاقه التى كانت تسحبه فى الليل اكثر من النهار تارة باشباح مخيفة مرعبة وتارة بافكار الغضب والقساوة واذا رجل مخيف المنظر تراى له حاملًا بيده اليمنى قلمًا وبيده اليسرى كتابًا وقال له بصوت رهيب انظر انى لاجل اثامك امحو من حياتك اربعة عشر سنة فانتبه لصوته هذا الملك الشقى مرتعبًا وحايرًا فى اموره ولم يكن يعلم ان ذلك كان رويا تخافهها او حلمًا ليزدرى به غير انه بعد ايام قليلة ابتدا الجو يظلم بغتة من انه كان صباحا وينجح كسحاب كثيف متلبد ثم شرعت البروق تلمع مع اصوات الرعود وانقضاض الصواعق فامتلا انسطاسيوس هيبة ورعبة ولاجل انه فهم فى نفسه انه هو الذى من اجله حدث ذلك الاضطراب فى الجو طفق يجرى مرتعشًا فى بلاطه مثل قايين ويهرب مختفيًا من خبا الى خبا وذلك عبثًا وباطلًا لانه انقضت بغتة من العلا صاعقة محرقة وسارت باستقامة الى مخدع سره حيث كان مختفيًا منكبًا على الارض نظير الارنب فى وكره وهناك احرقته وجعلته رمادًا رميمًا وما حل به قد عرفنا معرفة واضحة انه لا الصولجان الملوكى ولا التاج يحميان راس المنافق من صواعق الموت المهلكة ماهو راى كم الان اما هو حق وصدق ان سنوا المنافق تتناقص فلا تطانوا اذًا ايها السامعون ولا تضلوا فى نفوسكم لانه وان راوتم الموت ذ كبا حوفر اصفر ضعيفًا نحيفًا نظير ما راه يوحنا الانجيلى

لي جليانه في بريتة بطوس ولكن مع ذلك ان وُجدت معه الشوكة فانها بتحمله
يجري كجري السلاهب وهل لا تعلمون ماهي الشوكة انما هي الخطية هكذا هتف القديس
بولص الرسول اما شوكة الموت فهي الخطية اما البعض من الاثمة الضالين يخدعون
نفوسهم بهذا الوهم معتقدين ان شوكة الموت هي التقشف والاماتات ولاجل ذلك
اذا ابصروا احداً من رفقايهم انتبه لنفسه وشرع يختلي وينفرد مبتعداً عن ملاهي
العالم واباطيله ومارس قليلاً السيرة الروحية فللوقت يظهرون على نفوسهم انهم
يشفقون عليه ويرحمونه بقولهم له يا ايها الساذج الا ترعى ما بالك سايراً في هذا
الطريق الضيق الا ترى انك تقصد ان تقتل نفسك وتموت حصراً ومشقة يا لهذا الجهل
الفظيع فاعذروني الان ايها السامعون اذا انتهرتكم وعنفتكم تعنيفاً مراً لانه هل يجوز لكم
ان تدعوا الشخص هنا ساذجاً الا ترعى والحال انكم انتم السذج بل المجانين لانكم ما عرفتم الى
الان جيداً ماهي شوكة الموت لانه ليس الصوم هو الذي ياتي بالموت سريعاً وقبل اوانه
ولا التقشفات بل بعكس ذلك قد يوجد في الكتاب المقدس ان الله وعد الصايمين
بطولة العمر بقوله التقوى يزداد حيوة ولا الجلد ايضاً ولا الصمت ولا السهر في الصلوات
ولا المفارش اليابسة تقصر عمر الانسان وان تبصروا ايكم فيتضح الامر ببرهان رومالدوس
العظيم الذي عاش عيشة صارمة متقشفة في الغاية مدة مايه سنة ويكذبنا ايضاً
ومثله يكذبنا ايرونيموس وانطونيوس وارسانيوس وغيرهم كثيرون من الرهبان والسواح
لا يحصى عددهم الذين مع كونهم عاشوا بحال التقشف والصرامة على اجسادهم فمع
ذلك عاشوا عمراً اطول من عمر كل مترفه وذي سيرة رخيصة شهوانية فيجب اذاً علينا ان
لا نفهم بشوكة الموت سوى الخطية لا غيرها اي التجاديف التي نسمعها تخرج كل يوم من
افواه البعض بوقاحة عظيمة والسرقة والغش وظلم المساكين والاعترافات الكاذبة
وتناول تقية الاسرار بالنفاق وانكار الاحسان من اعطانا الحيوة فهذه الخطايا وامثالها
هي التي تنصف ايام الانسان وتقصر اجله لانه حكم عادل ومتسلط في كل الشرايع ان
ينتزع التصرف في المال من الخاين والاستعباد ذلك الذي لا يؤدي الاكرام الواجب لربه
الشرعي ❊ وحقاً لولا ضيقة الوقت لكنت اسهبت الكلام وبرهنت لكم جيداً
من اخبار كل الازمنة ان الخطاة غالباً ليس انهم يموتون قبل اجلهم فقط كما تقدمنا

ا كو ١٥ / ٥٦

ام ١٠ / ٢٧

العبد

فقلنا

فقلنا بل انهم يموتون ايضاً مراراً كثيرة بارهب الميتات الفجائية ولكن فلنقتصر كلامنا
كله فيما نتلوه في الكتاب الالهي لانكم اذا قراتموه وفحصتموه كله فلا تجدون على
ظني صديقاً من اوليك الصديقين الذين لا يرتاب بخلاصهم انه مات موتاً فجائياً
سوى اولاد ايوب البار فقط الذين قتلوا بغتة تحت ردم البيت الساقط عليهم
ولكن في اي وقت فاجاتهم هذه الضربة انه من المعلوم انها انما فاجاتهم حينما كانوا
جالسين على وليمة ياكلون ويشربون بلذة وانشراح في الزمن الذي كان ابوهم
الحكيم يخشاه دايماً اي يخاف من ان يلتحق فيه باولاده نقص ما على ان هذا البار
كان يفهم جيداً انه لا شي اسهل لسقوط الشباب بخطية الدنس من وجودهم في
العزايم والولايم واما ان نظرتم الى الانفار الاعظم براً وقداسة مثل ابرهيم وهارون
واسحق ويعقوب ويوسف ويشوع بن نون وصاميئيل وموسى وماتانيا
وطوبيا وغيرهم ممن يماثلهم فتعاينونهم قد توفوا بهدو وراحة على اسرتهم مخلفين
وصايا صالحة لاولادهم او لشعوبهم وبعكس ذلك اذا اردتم ان تلاحظوا
موت الخطاة الاثمة المدونة اخبارهم في الكتاب المقدس فانكم ترونهم قد
ماتوا في اشنع الميتات فالبعض قد خطفوا ولم يوجد لهم اثر ومنهم من
مات غريقاً بالماء ومنهم حريقاً بالنار ومنهم من افترسته الوحوش والبعض
فارقوا الحيوة بانواع اخر من الميتات المختلفة المريعة الغير المنتظرة ولما تامل
احوالهم هذه الشقية داود الملك والنبي تجزع منها وهتف قايلاً كيف صاروا
الى الخراب بغتة هلكوا وبادوا من اجل اثمهم مات بغتة فرعون المتكبر مع جيشه
مبتلعاً من ماء القلزم ومات فجاة اوليك اليهود الشرهون الذين تاقوا
متشوقين الى لحوم مصر ومات بغتة اوليك المتوافقون الذين دعوا الارض
الميعاد ومثلهم مات فجاة غيرهم كثيرون لا يحصى عددهم الذين مدونة
اخبارهم في الكتاب الالهي فجميع هولا قد تمموا اغراضهم على حد سوى
وهلكوا بغتة وجميعهم قد اجرموا جرايم يشبه بعضها بعضاً ولاجل ذلك
هلكوا وبادوا من اجل اثمهم ولكن ما هي النتيجة التي اروم ان استنتجها
ما تقدمت واوضحتكم ايها السامعون هل قصدي ان انتج ان الخطاة

ان حيلياته في برية بطوس ولكن مع ذلك ان وجدت معه الشوكة فانه لا يحمله
يجري كجري السلاهب وهل لا تعلمون ما هي الشوكة انما هي الخطية هكذا هتف القديس
بولص الرسول اما شوكة الموت فهي الخطية اما البعض من الائمة الضالين يخدعون
نفوسهم بهذا الوهم معتقدين ان شوكة الموت هي التقشف والاماتات ولاجل ذلك
اذا ابصروا احداً من رفقايهم انتبه لنفسه وشرع يختلي وينفرد متبعداً عن ملاهي
العالم واباطيله ومارس قليلاً السيرة الروحية فللوقت يظهرون على نفوسهم انهم
يشفقون عليه ويرحمونه بقولهم له يا ايها الساذج الا عن ما بالك سايراً في هذا
الطريق الضيق الا ترى انك تقصد ان تقتل نفسك وتموت حصراً وشقة يا لهذا الجهل
الفظيع فاعذروني الان ايها السامعون اذا انتهرتكم وعنفتكم تعنيفاً مراً لانه هل يجوز لكم
ان تدعوا الشخص هنا ساذجاً الا عن والحال انكم انتم السذج بل المجانين لانكما عرفتم الى
الان جيداً ما هي شوكة الموت لانه ليس الصوم هو الذي ياتي بالموت سريعاً وقبل اوانه
ولا التقشفات بل بعكس ذلك قد يوجد في الكتاب المقدس ان انسحقا وعد الصايمين
بطولة العمر بقوله التقوى تزداد حيوة ولا الجلد ايضاً ولا الصمت ولا السهر في الصلوات
ولا الفاقة اليابسة تقصر عمر الانسان وان تبصاروا ايكم فينهض حالاً من قبره روما الدوس
العظيم الذي عاش عيشة صارمة متقشفة في الغاية مدة مائة سنة ويكذبنا مغضباً
ومثله يكذبنا ايرونيموس وانطونيوس وابيفانيوس وغيرهم كثيرون من الرهبان والسواح
لا يحصى عددهم الذين مع كونهم عاشوا بحال التقشف والصرامة على اجسادهم فمع
ذلك عاشوا عمراً اطول من عمر كل مترفه وذي سيرة رخيمة شهوانية فيجب اذاً علينا ان
لا نتهم بشوكة الموت سوى الخطية لا غير اي التجاذيف التي نسمعها تخرج كل يوم من
افواه البعض والوقاحة العظيمة والسرقة والغش وظلم المساكين والاعترافات الكاذبة
وتناول القربان المقدس بالنفاق وانكار الاحسان من اعطانا الحيوة فهذه الخطايا واضاها
هي التي تنصف ايام الانسان وتقصر اجله لانه حكم عادل ومقسط في كل الشرايع ان
ينتزع المتصرف في املاكه والاستيعاد ذلك الذي لا يبالي باكرام الواهب كرباً الشرعي ÷

العدد

وحقاً لولا ضيقة الوقت لكنت اطلت الكلام وبرهنت لكم جيداً
من اخبار كل الازمنة ان الخطاة غالباً اكثر انهم يموتون قبل اجلهم نقصاً كما تقدم

فقلنا بل انهم يموتون ايضاً مراراً كثيرة بارهب الميتات الفجائية ولكن فلنختصر كلامنا
كله فيما تتلونه في الكتاب الالهي لانكم اذا قرأتموه وفحصتموه كله فلا تجدون على
ظني صديقاً من اولايك الصديقين الذين لا يرتاب بخلاصهم انه مات موتاً فجائياً
سوى اولاد ايوب البار فقط الذين قتلوا بغتة تحت ردم البيت الساقط عليهم
ولكن في اي وقت فاجتهم هذه الضربة انه من المعلوم انها انما فاجتهم حينما كانوا
جالسين على وليمة ياكلون ويشربون بلذة وانشراح في الزمن الذي كان ابوهم
الحكيم يخشاه دايماً اي يخاف من ان يلتحق فيه باولاده نقص ما على ان هذا البار
كان يفهم جيداً انه لا شي اسهل لسقوط الشباب بخطية الدنس من وجودهم في
العزايم والولايم واما ان نظرتم الى الانفار الاعظم براً وقداسة مثل ابرهيم وهارون
واسحق ويعقوب ويوسف ويشوع بن نون وصاموئيل وموسى وماتانيا
وطوبيا وغيرهم ممن يماثلهم فتعاينوهم قد توفوا بهناً وراحة على اسرتهم مخلفين
وصايا صالحة لاولادهم او لشعوبهم وبعكس ذلك اذا اردتم ان تلاحظوا
موت الخطاة الائمة المدونة اخبارهم في الكتاب المقدس فانكم ترونهم قد
ماتوا في اشنع الميتات فالبعض قد خطفوا ولم يوجد لهم اثر ومنهم من
مات غريقاً بالماء ومنهم حريقاً بالنار ومنهم من افترسته الوحوش والبعض
فارقوا الحيوة بانواع اخر من الميتات المختلفة المريعة الغير المنتظرة ولما تامل
احوالهم هذه الشقية داود الملك والنبي فجزع منها وهتف قايلاً كيف صاروا
الى الخراب بغتة هلكوا وبادوا من اجل اثمهم مات بغتة فرعون المتكبر مع جيشه
مبتلعاً من ماء القلزم ومات فجاة اولايك اليهود الشرهون الذين تاقوا
متشوقين الى لحوم مصر ومات بغتة اولايك المتوقحون الذين ذموا ارض
الميعاد ومثلهم مات فجاة غيرهم كثيرون لا يحصى عددهم الذين مدونة
اخبارهم في الكتاب الالهي فجميع هولاء قد تمموا اغراضهم على حد سوى
وهلكوا بغتة وجميعهم قد اجرموا جرايم يشبه بعضها بعضاً ولاجل ذلك
هلكوا وبادوا من اجل اثمهم ولكن ما هي النتيجة التي اروم ان استنتجها
مما تقدمت واوردته لكم ايها السامعون هل قصدي ان انتج ان الخطاة

فقطعهم الذين يخطفون بموت كذا رهيب اي بالموت الفجائي لا لعمري بل هذا
غلط صريح لكون الله جلت احكامه الغامضة الغير المدركة يريد ايضاً ان يصاب
القديسون احياناً في هذه الارض بمصايب الخطاة لاسباب اي اما لاجل تطهيرهم
واما لاجل امتحانهم او لكيلا يوجد سبب لبغض احد ان في هذه الحيوة تنتهي مجازاة
كل انسان حسب اعماله بل انما مرامي وقصدي هو هذا فهو انه اذا اطلعنا على
الاخبار الواضحة المذكورة في الكتاب المقدس نشاهد عياناً ان صنف هذا الحال
المريع اي الموت السريع او الفجائي يحل في الخطاة اكثر مما يحل في الابرار اسمعوا في
هذا المعنى الفاظاً مرعبة مرهبة من فم سليمن الحكيم لانه يقول في امثاله هكذا
(امثال ٢٩) الانسان الذي بعنق غليظ يهين من يوبخه فياتي عليه الهلاك بغتةً وقد توجد
ايضاً ما عدا شهادات الكتاب المقدس اسباب طبيعية تثبت ما نحن في صدده
فمنها ان الخطاة يسببون لذواتهم الموت السريع مرات كثيرة من جري شرههم
في المآكل والمشارب اللاتي يمتلي فيها الجوف وتضغط المعدة واحياناً بانهماكهم
في الشهوة الدنسة التي بها تتبدد الارواح وتنهض الحرارة الغريزية المفروضة
لحفظ قوى الجسم وعافيته واحياناً اخر بالسب والشتم والنميمة التي بها يجعلون
لهم اناساً اعداء يكمنون لازالة حياتهم واوقات اخر بخصاماتهم في اللعب او بغيرتهم
من بعضهم في صنيع العشق والفسق الذي به يجلبون لنفوسهم بغض رفقايهم العشاق
مثلهم او بحملهم الاغراض في الدعاوى الصعبة او بالحزن الذي يستحوذ عليهم امام الحساد
وامام مشاهدتهم الغير قد تقدموا عليهم بالوظايف والكرامات او بغيرها ايضاً من
الاسباب التي توجب الضعف بل الموت نفسه تلك التي لا يعيش خالياً منها ونايياً
عنها ولا يبالي بها سوى كل صالح واتقى رجل ذلك الذي نستطيع ان نقول فيه حسناً
ان كل شي يأول وينتهي الى خيره وفايدته كقول الرسول الالهي القايل ان الذين
(رو ٨) يحبون الرب يصيب لهم كل شي الى الخير على انما تتشتت عينها ولاجل ما تلت نفسها
تفيد انهم مرات كثيرة لابتعاد الموت عنهم والنتيجة اصغوا لما اورده على مسامعكم
قايلاً ان الله تعالى يفعل بالناس نظراً الى هذا المعنى الذي نحن في صدده كما يفعل
الفلاحون عندما يقصدون قطع الخشب من الغاب على ان هولا اذا ذهبوا

الى

الى الغاب ليقطعوا خشباً لاجل عمل ما اي لاجل عمل مايدة او خزانة او لاجل تمثال اما
وما يضاهي ذلك من الامتعة فلا يشرعون بالقطع من اي خشبة كانت لكنهم يسلكون
بحذر وحرص ويبحثون عن الخشبة التي لا تقبل الفساد ويرصدون الاوقات
الملايمة للقطع اعني بها نقص القمر خوفاً من ان تفسد اذا قطعوه في غير الوقت
واما اذا راموا ان يقطعوا الخشب لاجل ايقاد النار فقط فلا يستعملون هذا
الحرص بل يذهبون ويقطعونه في اي وقت كان ومن اي خشب صادفوا من غير
اكتراث ولا ريب في ان الخطاة المتصلبين في الشر هم من نوع الخشب الذي يكون
مادة للنار ومن لا يعلم ذلك بعد ان اخبرنا عنهم الانجيل الطاهر نفسه فقال انهم يقطعون
ويلقون في النار ومن ثم يقطعون من هذه الحيوة من غير اكتراث وفي اي وقت كان
وقبل اوان قطعهم اي موتهم ؛

(العدد ٦) فان كان اذاً ممكناً ان يدهمكم ايضاً ايها الخطاة مثل هذا الموت الشرير الذي يمكن ان
يفاجيكم في وقت لا تنتظرونه فيه مثلاً اعني في حين احلى رقادكم او في حين انشراحكم
باللعب او في وقت التذاذكم بالمعاشرة والمآكل فاسالكم حباً بالرب ان تنطقوا
بالحق اليست الاقامة في حالة الخطية المميتة ولو دقيقة واحدة فقط هي جسارة
ووقاحة ذات جنون لا مثيل له ليت شعري اية حجة لكم ام اي برهان ام اي تمسك
في انه لا يصيبكم مثلما اصاب غيركم كثيرون الذين يفنون بالتنعم ايامهم ثقيلين
جرم خطاياهم بقلة خوفهم منها ويسرعون الى الهاوية يهبطون لان وقر خطاياهم
الثقيل يجتذبهم الى اسفل سريعاً لعل الله تعالى اوصى لكم بنعمة خصوصية عند ساعة موتكم
ام لعله عز وجل وعدكم انه سيرسل اليكم لا كمثل اللص الذي يجي بغتة ويسرق ليلاً
تنبهوا من الرقاد لكن كمثل الساعي الذي يصرخ بالبوق من بعد لتفتحوا المنزل وتعدوا
له فما هي اذاً الاسباب ما هي الحجج التي تجعلكم تركنون مطمانين غير خايفين لماذا تفتخر
بالامان (هكذا قول مرتاعاً مع القديس غريغوريوس) لماذا تفتخر بالامان يا من كانت
حياته معلقة على عدم الامان ان سكان نينوى لما سمعوا ان مدينتهم سوف تخسف
بعد اربعين يوماً فمن ساعتهم لبسوا المسوح وذروا عليهم الرماد وشرعوا بعمل التوبة
خلوا من ان ينتظروا بذلك امهالهم ذاك الذي كما جرى غالباً قد كان اخر من سمع

بهذا الخبر الرهيب وذلك اما لاجل انه لم يكن معتادا ان يسمع الشعب بالدخول الى
مواجهته لما نادى اما لاجل ان كل احد من اهل المدينة اعتراه الخوف والذهول حتى
انه ما عاد افتكر الا بخلاصه فقط ليت شعري لماذا اسرعوا هذه السرعة كلها في
عمل التوبة والحال كانوا سمعوا وتحققوا من نبي صادق ان مدة المهلة كانت اربعين
يوما الذي كان ينذر قايلا من الان الى اربعين يوما لماذا اذًا لم يقولوا فلنعمل ايضا
قليلا لمرضات الله لانها لا تقتضي ساعات كثيرة بل تكفي دقيقة واحدة من الزمن
على ان فعلا واحدا من الندامة الكاملة عند بزوغ صباح النهار الاربعيني سيخلصنا
هكذا كان يمكنهم ان يقولوا الحالة ويعملوا غدا لهم اذ كانوا جالسين على المايدة او
يتوانهارهم في التنزه والفرح اذ كانوا مشتغلين بهما ولكن اذا افترضنا انهم تكلموا
وقالوا هكذا ترى اي حكم كنتم انتم تحكمون به عليهم اما كان يبان لكم انهم اثمة جسورون
واغبيا وقحون وفي خطاياهم متصلبون وبالنتيجة غير مستحقين ذلك الغفران
الذي نالوه بسرعة توبتهم. اي وا اسفاه على خطاة دهرنا هذا ما اقبح شرهم ما
افظع قباحتهم على ان اهل نينوى كانوا يستطيعون اقلما يكون على وجه العمر ان
يعدوا لنفوسهم اربعين يوما من الحيوة التي وعدهم الله بها لعمل التوبة ومن ثم لاجل
انه كان لهم علم في هذا الامهال لكانت جسارتهم اخف اثما لو انهم استمروا على خطاياهم
مصرين قليلا من الزمان ايضا اما انتم ايها الخطاة فلستم متاكدين مقدار الزمن الباقي لكم
ولا علم لكم به اصلا لان الرب قال لا تعلمون متى يكون الزمن لقد يمكن ان يكون
انهدام جسدكم ليس قريبا فقط بل قد وافى وربما يكون في الساعة التي دخلناها
او في هذا النهار الحاضر او في هذه الساعة لان الموت يجول متسلحا بالسيف و
القوس دايما حسبما تكلم عنه الملك والنبي داود قايلا انه صقل سيفه اوتر قوسه
يضرب بالسيف الشيوخ الذين لم يعد لهم قوة لان يتقوا من ضربته ويضرب
المتنعمين المترفهين ويضرب الضعفا العاجزين اما بالقوس فيضرب الشباب
الذين يوملون بالعمر مدة مفتخرين في قوتهم وعافيتهم فكيف اذًا تستطيعون
ان تبرروا غباوتكم اذا تاخرتم عن عمل التوبة زمانا ما ولو كان يسيرا ماذا تقولون
ماذا تجيبون وبماذا تعتذرون عن مجاسرتكم في خطر هذا عظمه مقدار ما ان الصياد

لا

لا يستطيع ان يملك الستر ويعمله بسهولة ومن غير اسية على يديه ان لم يعصب
عينيه قبلا باستيثاق فعلى هذا النسق فعل الشيطان معكم فهذا اخزاه الله
يعصب عيني انفسكم ايها السامعون ويوثقها جيدا ليلا تبصروا الحق وعند
ذلك يفعل بكم ما يهواه :.

العدد ٢

غير انني اظن انه يوجد لكم سبيل واحد فقط يمكنكم ان تجعلوه موضوعا للاعتذار عن
غباوتكم وهو قولكم نعم اننا لا نستطيع ان نعرف بتحقيق ما النامي العمر ولكن لنا ايضا
ان نرجو اننا نعيش عيشة مستطيلة وانما تارجايكم هذا توردون القياس مما تشاهدونه
في غير كثير من الخطاة قايلين انه مع جميع المخاطر التي تاتينا الى ثمان بذكرها يوجد كثيرون
من الخطاة ولم تزل يعيشون عمرا مستطيلا ويتنعمون ويسمنون وينجحون حتى انهم
يبلغون الى شيخوخة هرمة واخيرا يموتون على اسرتهم براحة وسلامة بجميع حواسهم
ومن هنا تتخذون انتم سببا ان ترجوا حظا سعيدا كنظيرهم لا ان تايسوا وتخافوا من
ان يصير قولكم خلافا لما تنتظرون وتاملون فاجيبكم على ذلك قايلا لا تتعجبوا
بايراد القياسات لتواقطعكم في الزمن المعطى لكم من ربكم للتوبة لانكم ان تكلمتم و
قايستم هكذا كما ذكرتم تلزموني بان اظن بكم انكم نسيتم كليا الموضوع الذي خاطبناكم
فيه انتم عارفون ان كلامنا هو في خلاص النفس اما ان هذا هو حق ان كلامنا ليس في
النفس التي لغيركم بل التي لكم في النفس التي كل شي لكم فيها من الخير والراحة والسعادة
والتمتني في النفس التي اذا خسرناها فليس لخسارتها عوض ومع هذا جميعه اهكذا
تتكلمون انتم عن هذه النفس بقلة اهتمام وبعدم الحرص افكر ايها المسيحي هكذا
اقول لكل واحد منكم مع القديس يوحنا الذهبي الفم ليت شعري هل ان النفس
عندكم قليلة القيمة والاعتبار بهذا المقدار حتى انه يباح لكم ان تطرحوها في اي
صدفة اتفقت ولكن هات نسلم لكم انه ربما يجري على حسب املكم ولكن ان
جرى خلافا لما انتم توملون وترجون كيف تكون اخرتكم انني لست الومكم اذا
تهاونتم احيانا عن ان تضعوا في امان وسلامة البعض من خيراتكم عدا النفس
واني اعتذر عنكم اذا خاطرتم في بضاعتكم او في مالكم او في صيتكم او في عافيتكم لان
هذه الاشيا وما ماثلها هي كالبضايع التي اذا غرقت بقلة حرص في اليم يمكن ان

تنتشل منه بعد الغرق اما النفس اه واسفاه فليست هي من قيمة الاشيا التي لا
تستحق احتراساً واهتماماً جزيلاً لانه حيث الخسارة غير مرتدة فمن لا يرى ان عدم
السلوك فيها بحرص كلي هو مجاسرة وغباوة لا تقدير لهما ٭

العدد ٨ ومع ذلك جميعه فيا للجهل يوجد لبشر الفظيع ترى اي خوف من الخيرات الزمنية لا تعترس
عليه الناس اكثر جداً من احتراسهم على الخير الابدي ان الملك ادريانوس لاجل انه سمع صنماً
يتفوه قايلاً ان ملوك رومية ياتيهم النحس والشقا اذا جازوا نهر الفرات فاعاد باختياره
للفرس كل بلاد ارمن وسوريا وبلاد النهرين التي كان ترايانوس اكتسبها بجيشه وسلاحه
خوفاً من ان يصدق الفال ويجري له شي من النحس باجتيازه امواه الفرات ولاجل ذلك
جعل حدود مملكة رومية على شاطي ذلك النهر قاصداً الطمانينة والامان لحياته
وحيوة خلفايه ولكن ما بالي [illegible]ايلاً ومطلياً اخباراً معظمة من الوثنيين والحال انكم
انتم تعلمون من نفوسكم بكم من الحكمة والحرص تتدبرون في ادنى اشغال منازلكم
الخصوصية على انه اذا مرض احدكم وانطرح على فراشه فلا يتماهل الارسال في طلب
الطبيب ولا يقول ربما ان الحمى تنصرف عني خلواً من دوا وايضاً اذا التزمتم بالذهاب
الى الحرب فلا تقولون فلنبقي كتاب الوصية لانه ربما انني سارجع سالماً وغانماً
وكذلك اذا اقرضتم كمية ما من الفضة لصديقكم فلا تامنوا مطمانين ولكن ما ذا
تصنعون فانكم تقتدون بطوبيا البار ذاك الذي مع علمه في غابيلوم بانه رجل
صادق تقي وامين فمع ذلك لم يقرضه الفضة الا بوثيقة منه شرعية تقول الكتاب
طوبيا المقدس اقرضه العشرة وزنات وكتب عليه الوثيقه واعطاها له وكذلك اذا اردتم
ان تزرعوا زرعاً فتميزون الايام الانسب وهكذا في دعاويكم الشرعية تختارون الوكلا
الابلغ علماً وخبرة وفي متاجركم تستحبون الشركا الاوفر امانة وصدقاً وعلى الاطلاق
اقول انه لا يوجد غرض من اغراضكم الجسدية ترتضون ان تضعوه كما يقال عند
العامة تحت امر الصدفة والاتفاق وحينما يمكنكم ان تسلكوا فيه بامانة وتحقيق
وبعد ذلك جميعه كيف تتجاسرون تلقوا لاي حادث يحدث الغرض الاعظم و
الافضل من كل مهمات العالم وهو تدبير نفوسكم نظراً الى الابدية ومع كونكم الان قادرين
على التوبة فتمهلونها قايلين ليس الان او انه ربما يتوفق لنا فيما بعد وقت لان نتوب

اهاً

اهاً يا ايها المسيحيون حقاً انني لست استطيع ان افهم كيف امكن ان يعتريكم
هذا الضلال المهلك وقد صرت مضطراً ان اهتف مع الذهبي فمه مرتاعاً و
مندهشاً لافراط الهول والذهول قايلاً لكل من الخطاة بما قاله القديس المذكور
في عظته ٢٣ هكذا فاذاً تسلم نفسك للحوادث الغير المحققة فاذاً تسلم نفسك
للعوارض المرتاب بها فانت ايها المسيحي الانسان لا تشا ان تستودع لعدم التحقيق
دعوة ما من دعاويك او وديعة ما او ربحاً اخر ولو مهما كان طفيفاً وبعد ذلك
تطوح بنفسك الغير المايتة تحت امل معلق بخيط الشك والارتياب تحيري ايتها
السموات ولتندهش سكانك عند استماعهم هذه الوقاحة المتوغل بها الخطاة
لانه محقق عندي انه لا يمكن في العالم ايجاد وقاحة اعظم منها وقد يسوغ لي ان
كتاب اتعجب مع ارميا النبي قايلاً من سمع مثل هذه الخزفة التي عملها شديداً بتول
العدد اسرايل ومع ذلك جميعه من لا يرى ان وقاحة هولا الخطاة ربما كانت
تقبل عذراً لو تصدق منهم طمعاً في ربح ما جزيل باحظ لعمري انه قد قيل نظراً الى جميع
المعاملات البشرية على راي ابيانوس الفيلسوف القايل ان التطوح في خطر جسيم
رغبة في نيل اشيا زهيدة وقليلة الاعتبار هو صنف من جنون عظيم ومن ثم لا
يسوغ لاحد ان ينتخب لنفسه خطراً عظيماً من اجل ربح دني حقير لان ذلك يكون
نظير من يصطاد بصنارة ذهبية تلك التي ان فقدت لا تتعوض خسارتها
بالغنيمة المرجوة بها ومن هنا اذا راينا فلاحاً يخاطر فيرمي في الارض امداداً كثيرة
من البذار او اذا شاهدنا تاجراً يخاطر في مبلغ جزيل من الفضة في عهود المتاجر
او صاحب دعوة شرعية ينفق نفقة جزيلة من ماله في الارتشا فلا نوجب عليهم
وف اللوم والمذمة لان الفايدة التي يرجوها هي اعظم كثيراً من راس المال الذي يخاطر
به وكذلك اذا فتشنا كل التواريخ القديمة فلا نرى في اخبار احد الوثنية انه
اضحى غبياً او خسيف العقل بهذا المقدار حتى انه سافر الى بلاد الهند الشاسعة
متكبداً هيجان الابحار وعواصف ارياح اليمن والشمال لياتي من هناك في
سفينة برمل وقذر عوضاً عن الفضة والذهب اما انتم ايها المسيحيون
ماذا تفعلون ولاجل اي ربح تعيشون تحت خطر هكذا عظيم حيث انكم بين

تعدمون نفوسكم وتخسرونها الى الابد لعلكم تتوهمون ان الخير الذي ترجونه بعيشتكم في الخطا فان كنتم لا تموتون في حال الخطا المميت فيصح معكم ان تقنعوا بتلك اللذة الشهوانية او ان تجمعوا بالحرام ذلك المال او ان ترتقوا بالمكر الى تلك الوظيفة او ان تبلغوا بالانتقام من خصمكم ولكن اذا متم بالخطية ترى ماذا يصير منكم لا شك في انكم ستهبطون حالا الى دركات جهنم لكي تتقاصصوا عن لذة وقتية او شهوة يسيرة ببكا ونحيب مر لا ينتهي في مرور الدهور كلها ليت شعري هل عاد يمكنكم بعد هذا ان تستحبوا الخير الذي تفوزون به بعيشتكم البدخة مع انه يساوي الشر الذي تسقطون فيه عند وفاتكم فيا لكم من اناس غير عادلين يا لكم من بشر عديمي الصواب لقد تمت فيكم نبوة الملك والنبي القايل كذبة ابنا البشر في الموازين كيف يمكن ان يرجح عندكم على الدوام خير زمني زايل فارغ باطل على شر ابدي لعمري انه لا يمكن ان يوجد في بيت احد الغاشين موازين تكذب كذبات كذا باهضات ثم تكذبها دايمًا عنها الموازنون ولاجل ذلك لم يقل النبي كاذبة الموازين في بني البشر بل قال كذبة ابنا البشر في الموازين لانكم انتم الذين تصيرون عقولكم تضل وتتغافل بحسب هواكم ومشيتكم وذلك بعصيانكم الاختياري على نور الصواب ولومهما كان واضحًا وذلك على موجب شهادة الكتاب الالهي القايل هم كانوا ماردين على النور

العدد لا تغتروا اذًا بنفوسكم ايها السامعون الكرام مرضى وذلك افعلوه حبًا في يسوع المسيح اسمعوا وصية ربكم على لسان ارميا النبي القايل لا تضلوا انفسكم استيقظوا وانتبهوا لخلاصكم وابتديوا من الان تختلوا داخل قلوبكم متامليين قليلا ما هي الفايدة التي تستفيدونها من هذه الحالة الرديه الحاصلين عليها واذا رايتم انها تفوق اعتبارًا على الخسارة فلا تصدقوا كلما قلته لكم الى الان اما اذا رايتموها اقل جدا بلا قياس من الخسارة فاسلكم ان ترحموا نفوسكم اترضون بان تقضوا ايامكم باللهو واتباع هوى الجسد ثم يوافيكم بعد ذلك يوم تلتزمون فيه ان تبكوا متمرمرين وقايلين مع ارميا النبي صيدًا اصادوني مثل طاير اعداي مجانًا اما اعظم ما تكون مرارتكم ما اوفر عذابكم وحزنكم ان ارميا النبي ينبهنا ههنا بالالهام الالهي عن تخمين الخاطي وتخيل

بتامله

بتامله ذاته انه صيد كالطاير الذي يدع الصيادين ان يصيدوه لا صيدًا شنعًا باختياره ومن اجل اي طمع مجانًا بلا شي بل طمعًا في حبة واحدة من الدخن التي هي كلا شي صيدًا صادوني مثل طاير اعداي مجانًا فهكذا انتم ايها المسيحيون تهوون ان تكونوا من عدد هولا الاغبيا ولكن ترى ما هي قيمة خيرات الارض نظرًا الى اصغر الشرور الابدية التي تطوحون بها نفوسكم بخطاياكم فهي بقيمة حبة دخن بل ليس هي من قيمتها ايضًا ومن اجل هذا القليل اليسير بهذا المقدار تعبون تخطيون متنعمين تجاه اعدا ارواحكم المرعبين الكثيري العدد تحت عظم الخطر في ان يصيدوكم ويزجوكم معهم في هاوية العذاب الى ابد الدهور فيا ايتها الجسارة الخبيثة ترى من اين خلقتي هكذا يجب علي ان اصرخ مع الحكيم ابن سيراخ ولعمري انه ليس لي حواس تكفيني لامقت مثل هذه الجسارة المتغربة بهذا المقدار ولاجل ذلك فالاولى بي ان البث هنا في التعجب منذهلا محتارًا

القسم الثاني

العدد ١١

انه بعد ان تقرر ان الانسان هو كالتراب الذي يمكن ان يتبدد مع كل نسمة ريح ومع ذلك برهننا ان الاستمرار في الخطا المميت دقيقة واحدة فقط هي مجاسرة عظيمة جدًا فاية جسارة تستطيعون ان تردوها الى اليوم تبرزًا لنفوسكم ايها الخطاة الذين تحيون في مثل هذا الخطا المميت لا لكم دقيقة بل اياما بل شهورًا وسنين فهل ان سلوككم هذا هو بحكمة واي دليل لكم في انكم لا تتهلكون قال سينكا الفيلسوف لا يستطيع احد ان يلقي نفسه في مخاطر متواترة ويسلم دايمًا فلاي سبب فالسبب اورده ايضًا قايلا لان الذي يجوز فيها بتواتر ترميه الصدفة احيانًا ومن ثم اذا جاز احد مرة واحدة على فم هوتة ولم يسقط او اذا داس مرة ثانية وسط الشرك ولم يتعرقل او امتص دفعة واحدة سمًا ولم يمت فليس ذلك بعجب عظيم لانه يمكن ان يكون سلم صدفة واتفاقًا او بتايد من السما ولكن من سمع قط انه لم يمت من اراد ان يمتلي من شرب سم قاتل كشربه الماء او انه لم يتعرقل من قصد ان يلعب في وسط الاشراك كانها ازهار او انه لم يتهور من رام ان يرقص فوق هوتة كانه فوق ارض ثابتة فان كان اذًا تطويح النفس مرة واحدة ودقيقة واحدة فقط في خطر الهلاك هو مجاسرة ذات جنون فظيع فليت شعري ماذا تقول في الاستمرار فيه زمانًا مديدًا حتى انه ان اعتبرنا ايام السنة التي انتم فيها حاصلون حصولا واضحًا

في مثل هذا الخطر فتراها اكثر جدًا من الايام التي ربما تكونون بها خالصين منه
لقد يوجد نوع حسن ما بين العلما المسيحيين في انه هل الخالصون من ابنا الكنيسة اكثر
عددًا من الهالكين منها ام ان الامر بالعكس فانا ليس لي جسارة ان ادخل في مثل هذه المحاورة
العظيمة واورد فيها رايًا غير انه لو يختص بي اظهار رايي كنت اميل الى القول ان الخالصين
المنتخبين الى مجد السما من الكاثوليكيين عمومًا اكثر من الهالكين الكاثوليكيين ايضًا لكن
مع ان علما كثيرين تابعوا هذا الراي ايضًا فلست اعلم ان كان يمكنكم ان تجدوا من
جميع العلما اللاهوتيين المتاخرين او المتقدمين واحدًا فقط يرتاي ان غالب الخطاة
المتملكة فيهم عادة الخطية يخلصون اما القديس غريغوريوس والقديس اغوستينوس
والقديس ابروسيوس وايرونيموس الذين هم اعظم علما بيعة الله تعالى قد راوا باتفاق
واحد رايًا مخالفًا اعني به ان عدد الخطاة المتعتقين في الخطية الهالكين ينيف جدًا
على عدد مثل هولاي الخطاة الذين يخلصون اما كلام القديس ايرونيموس المحرر في رسالته
الى داماسوس فقد رايته اوضح معنى واقوى عبارة وهو هذا بالكاد يستحق المغفرة من
الله واحد من مية الف خاطي من الناس الاشرار الذين استتسروا بسيرة ردية دايمًا فلا
يتعجبن احد من ذلك لان الانسان غالبًا يموت مثلما عاش على ان الشجرة اذا نشرت
فلا تسقط الا نحو الجهة المايلة اليها فان كانت مايلة الى جهة الشمال هناك تسقط
وان كانت الى جهة اليمين فهناك تسقط ايضًا اما الخطاة الذين يسيرون سيرة قبيحة
ومايلون على الدوام الى جهة الشمال فلا يتجو حينما ينشرون بالموت ان يسقطوا نظير
الصالحين من جهة اليمين لعمري انهم يحتاجون حاري في عنا موتهم ان تهب عليهم نعمة
قوية خصوصية من الله تعالى بهذا المقدار حتى انها تدفعهم بعزم شديد كريح عاصفة
الى الجهة المخالفة ولكن من منهم قد استحق هذه النعمة القوية والحال انه بالكاد من كل مية
الف يستحقها واحد كقول القديس ايرونيموس المتقدم ذكره وبعد ذلك كيف تجسرون
ايها الخطاة ان تلبثوا مصرين على خطاياكم مدة ما من الزمن مع معرفتكم انكم في حالة
شقية ينتج منها ما هو اقرب للتصديق وهو انكم لعتيدون ان تحصوا في عدد الهالكين
باوفر بهم كثيرًا من ان تكونوا من عدد الخالصين حتى وان افترضنا ان الخالصين من الخطاة
المشبهين بكم اكثر من الهالكين فمع ذلك ينبغي لكم ان تخافوا دايمًا من ان تحصوا عليكم

العدد ١٢

قرعة

قرعة هولاء الهالكين الاشقيا ولو افترضنا انهم قليلون ولكن بعد ان تقرروا ان الهالكين
اكثر من الخالصين جدًا فماذا ترى يحق بكم خبرونا عن امير فيما ندر انه كان في
ذات يوم معذبًا من عسر البول عذابًا اليمًا جدًا فتشاورت الاطبا والجراحون فيما بينهم
في امره واخيرًا اتفقوا جميعًا على هذا الراي وهو ان يعالجوه بالشق اما هو فاراد ان
يرى التجربة في غيره قبلًا ولذلك فتشوا على من كان مبتليًا بدايه في ولايته فوجدوا
منهم عشرون نفرًا فعالجهم اوليك الجراحون جميعًا بالشق وداووهم اوليك الاطبا
بحرص واجتهاد بليغ ولحسن حظهم لم يمت من العشرين نفرًا سوى واحد فقط
وشفيت التسعة عشر ثم عادة الاطبا فرحين مسرورين الى الامير وشاروا عليه بالشق
ليبرى غير انه لما عرف منهم ان من العشرين نفرًا لم يمت سوى واحد فقط فعوضًا عن
انه يفرح ويتشجع لقبول الشق ويرجو الشفا خاف واصفر لونه خايفًا آيسًا واجابهم
قايلًا من منكم يحقق لي ان حظي لا يكون نظير حظ هذا المسكين الذي مات من الشق
فازداد خوفًا من موتة ذلك الشخص اكثر مما يرجو البرء من شفا التسعة عشر ولم يرتض
ان يلقي نفسه في الخطر ثم لنفترض الان قايلين لو كان من العشرين نفرًا مات تسعة عشر
وسلم واحد فقط ترى ما الذي كان قاله وفعله هذا الامير الحكيم انه بلا شك
كان من عنا طرد من امامه اوليك الاطبا الجراحين مغضبًا عليهم ولم يكن يرتضي بالشق
رجاني انه لعتيد ان يكون حظ ذلك الواحد الذي شفي سالمًا ايها المسيحيون الاحبا
اعلموا ان تلك الجاسرة التي تستبيعن في تدبير الجسد قبيحة شنعة هي نفس تلك
التي ترتكبونها انتم في تدبير النفس قد سمعتم ما حرره القديس ايرونيموس قايلًا
ان من كل مية الف من الخطاة المتملكة فيهم عادة الخطية هيهات ان يخلص واحد فقط
ولم يقل من كل عشرين او من كل ثلثين واحد ومن ثم كيف يسوغ لكم ان تثقوا مطمانين بخلاص
خاطي واحد فقط اكثر مما تخافوا من هلاك تسعة وتسعين الف وتسعماية وتسعين
خاطيًا ان اوليك الاخوة الذين مضوا الى يوسف الى مصر ليبتاعوا لهم حنطة كانوا
عشرة انفار ومع ذلك لما بلغهم ان واحدًا منهم يجب ان يبقى في مصر محبوسًا خافوا
وحزنوا كلهم وهكذا نقول عن التلاميذ المجتمعين مع السيد المسيح في العشا السري
قبل الام موته قد كانوا اثني عشر ومع ذلك لما سمعوا ان واحدًا منهم كان عتيدًا ان

ص

يخونا معلمه ويسلمه للموت بجميعهم اغتنوا وهاهوذا انتم قد سمعتم وتحققتم ان الخطاة
السايرين مثلكم غالبهم يهلكون والخالصين قليلون جداً جداً فلم لا تخافون لماذا لا تجزعون
فلا ريب اذاً في انه يصح في الخاطي الكلام الذي حرره ايوب قايلاً اعطاه الله امتداداً
ليتوب وهو يتوكل بكبريايه يا لهما من كبرياء عظيمة ما افظعها اكون منها ينشو الامل في
الخطاة بانهم سوف يكونون من حظ ذاك الواحد الذي يخلص من خلق كثير لا يحصى
عدده من الهالكين ذاك الواحد المنعم عليه بنعمة خصوصية لا يستحقها من الله ذاك
الواحد الذي سوف ياتي وقت (وهو يوم القيامة العامة) ويشار اليه بالاصابع
من جميع سكان السما الخالصين من جم غفير من الهالكين باية واعجوبة مستغربة الهية
وكالمنفلت من الحرب حسب قول الحكيم بن سيراخ اي نعم ان هذا الامل في الخطاة هو اثم
الكبريا والجاسر ولا يوجد اثم اشنع منه ولكن دعوني لكي انطرح جاثياً امام هذا المصلوب
واظهر لما في قلبي من التوجع على حال الخطاة لا سيما على المتصلبين في اثامهم قايلاً
الا يا سيدي يسوع المسيح من اين هذه الوقاحة العظيمة الحاصلة في قلوب البشر ذا الذي
صيرهم ساهين هايمين عديمي الحس بهذا المقدار من اضاع فيهم الحكمة والشور ارى
هكذا عظيمة هي لذتهم في اهانتك حتى انهم لا يبالون في هلاكهم بشرط ان يغيظوك
ويحزنوك علمني اذاً يا الهي اية طريقة اسلكها اقلما يكون في هذا الصوم لاردهم واضمهم
واصيرهم بشراً واجعلهم لك جميعاً اتريد ان توسل اليهم متضرعاً بكل صبر واناة فساتوسل
اليهم اهل تشا ان انصحهم فعلي ان انصحهم اتريد ان ارهبهم فعلي ان ارهبهم اتروم
ان انتهرهم بصرامة واوبخهم بقساوة فلي ان انتهرهم واوبخهم فانا لك ههنا بجملتي
فامرني واوصيني بكلما تشا فانني مستعد لان اتمم كل شي تريده بعونك اللهم لست اطلب
يا الهي مجداً وثناءً لي لست اشتهي مجدك وكرامة لنفسي بل غاية طلبي ان ارضيك فقط
من يعلم ان كان هذا الصوم انما هو الزمن الاخير من حياتي ومن ثم هوذا انا حامل الرماد
على راسي اريد ان اذهب واهتف علانية من اجلك واقول توبوا ايها الشعوب وارجعوا
الى ربكم لا تتباطوا ايضاً عن ان تتطهروا من دنس اثامكم لا تتاخروا ايضاً عن استيصال
الاعتقاد من قلوبكم لا تتماهلوا ايضاً عن البكا المر على الخصال الردية ليت شعري هل
انكم حقاً الان قاصدين ان تضلوا ايضاً نفوسكم وتابوا عن التوبة فها انا ادعوكم جثياً

العدد ١٣

الى

الى هذا الرماد المنضوح على روسنا فها هو ههنا فلنكشفه من عن روسنا ونظهره
افليس اننا نعاينه في هذا الصباح مرتشاً بعد سوى على الشعور المتشقرة من الشيبوبية
فهذا الذي انا اشكو اليه في هذا اليوم فهو تبكيكم ويحكم في انه لا يمكن ان توجد في
العالم مجاسرة افظع من هذه الكاينة في البشر وهي استمرارهم بامان ولو دقيقة واحدة
في الخطية المميتة مع اقرارهم بانهم في كل دقيقة ما يتوفى فليا هلنا اذاً الله تعالى لكي نتنبه
على ذواتنا ونتوب توبة صادقة مرضية لعزته الالهية بنعمة الاب والابن والروح
القدس امين

العظة الثانية

في الخميس الذي بعد الرماد في بيان ان الله تعالى قاصد بقوانين اكثر جداً مما هو عليه البشر مما
لا يحد قطعاً لما سمع يسوع تعجب وقال للذين يتبعونه الحق اقول لكم اني لم اجد
مثل هذه الامانة في اسرايل هكذا كتب مار متى الانجيلي في الاصحاح الثامن من
بشارته   ان الذي لا يتعجب اليوم اعظم التعجب من تعجب المسيح ربنا يظهر من نفسه انه   العدد ١
ساهي القلب وليس فيه حس ولا اشعار لانه يشير عياناً الى انه لا يفهم ما هو التعجب في حكمة
غير متناهية اسمعوا ما هي الفضيلة العظيمة الغريبة التي مارسها قايد المائة حتى استحق
لاجلها ان يسمع من فم المسيح الا مدحاً وثناءً غريباً جداً ليت شعري هل استاق جنوده
خاضعين امامه تقفا باعلام ملتفة وارماح منكسة ليسجدوا له السجود اللايق لرب
الجنود الاعظم وينتدبوه بطبول مطربة وبابواق شجية على انه هو الملك القادر ذو
السلطات العظمى ام هل انشا له هياكل او نصب له انصبة او قدم له ذبايح ومحرقات
هل نزع من راسه تيجان النصر وطرحها امام قدميه المقدستين ساجداً ام هل اتى بالقا
والعبيد الذين اكتسبهم في الحروب وقدمهم له نذراً لمعرفته اياه انه هو اله الظفر الحقيقي
لم يفعل شيئاً من هذا اصلاً فما هو اذاً الذي فعله نحو يسوع من الاكرام والاعتبار العظيم
انما هو هذا وهو انه اتكل على يسوع راكناً اليه وامن انه لقادر على ان يشفي له عبده
حتى من بعد ايضاً خلواً من انه يتكلف شيئاً اخر سوى كلمة واحدة فقط قايلاً قل كلمة
فقط فيبرا فتاي ولكن هل ان سيدنا يسوع الاله من اجل هذا فقط اظهر امارات
التعجب العظيم التي لم يكن قد اعتادها الا لاجل هذا فقط اثنى عن قايد المائة باثنية

كذا غريبة وشرفه شرفاً لم يحزه احد غيره ام من اجل هذا فقط بلغ الرب يسوع الى مقدار
من البلاغة لا يمكن اعظم منها وهو انه اقسم وحقق عند الجميع انه لم يجد امانة مثل
امانته في كل امة اسرايل قايلاً الحق اقول لكم اني لم اجد مثل هذه الامانة في اسرايل اي
نعم هكذا هو الان قلت امانة البشر ايضاً جعلت ان يكتسب اية واعجوبة عظيمة
وجود رجل يامن بالله ربنا الاله ايماناً كلياً حتى ولو كان في اشيا نظراً الى قدرته الالهية
هي زهيدة وسهلة جداً انه لمن الواضح ان الانسان لا يامن لله ولا يثق به كثيراً وليس
ذلك فقط بل يوجد ايمان من يامن لصديق ارضي ويتكل عليه اوفر من اتكاله على ربه وذلك
اما لاجل انه يعتبر فيه قدرته الالهية اعتباراً قليلاً واما لاجل انه يرتاب كثيراً بمحبته سامحني
يا الهي واغفر لي لاني اليوم اضطررت ان افعل شياً يتصل الى ربوبيتك منه اهانة ليست
بقليلة وهو لاني التزمت ان اناشد هذا الشعب الذي يسمع لي الان ان يرضى في ان يركن
لعظمتك الالهية مصدقاً انك امين صادق اه واسفاه كيف يسوغ لك يا ايها المسيحي
ان تجعل ثقتك في اصدقا ارضيين وتلقي اتكالك كله عليهم حتى انك تنجذب وراهم
منعطفاً واليهم توجه جميع طلباتك وعنهم تشير دايماً انهم هم المتاسس عليهم املاك
وراس مالك اما الصديق الالهي الكلي الامانة فلا تامن له اه واسفاه ليتني كنت
استطيع ان انزع اليوم من انفس المسيحيين هذا الضلال الواهي ما احسن ما كنا
نشاهدهم فيما بعد يواظبون الكنايس اكثر مما تواظب قصور الاكابر ويترددون في الهياكل
اكثر من ترددهم في ابواب الحكام ولكن مهما حدث لي من تعليمي فاني لا اريد ان اخالف ما
انا ملتزم به بل اريد (عن اذن كل من يدعي في العالم انه امين وصادق) ان اثبت برهاناً
انه لا يوجد صديق اخر نستطيع ان نامن له ونثق به كلياً غير الله تعالى بمفرده فليذهب
اهل العالم وليبحثوا لهم عن اصدقا امينين من اي مكان ارادوا اما انا فاقول ان الله وحده
هو الصديق الوافي على الارض الصديق الصدوق والصديق الوحيد وهذا هو المعنى
الذي قد قصدت ان ابرهنه لكم اليوم وسوف تنتجون من البراهين العتيد ان اوردها
لكم كم يجب ان يبان امراً عجيباً وجود من لا يامن بالله مسلماً له تعالى تسليماً كلياً ولا من يامن
له ويه نظير امانة قايد المائة الممدوح منه لحسن امانته فاصغوا الي حسناً الى كلامي
ولنبتدي بايراد البراهين في بيان موضوع عظتنا هذه قايلين ::

الله

انه لا ريب ان الاصدقا العالميين سخيون وكريمون جداً نظراً الى شفقتهم اللسانية حيث
الكلام فاذا سمعتموهم يتكلمون في عمل الواجب والادب معكم يقدمون لكم خدمتهم بتفخيم
الالفاظ وحسن العبارات ويعرضون عليكم مقتناهم ويلتمسون منكم مراسيمكم والابلغ من
ذلك هو هذا وهو انهم يظهرون لكم غيظاً وحرداً لعدم تكليفكم اياهم بغرض ما او لقلة
استخدامكم اياهم لكن اذا كنتم انتم سريعي التصديق وصدقتم تقدماتهم هذه المبهجة
فللوقت ترون نفوسكم مخدوعين منهم وتشاهدون لابان صديقكم ذلك الذي كان
اوعدكم براحيل الحسنة مقدماً لكم ليا وشاول صديقكم ذلك الذي كان اوعدكم بميراب
ابنته البكر يقدم لكم عوضها ميخال لا شي سالك في ايامنا هذه عند البشر مثل المواعيد
الكثيرة والوفا القليل هل تعطون لمن يماثل هولا لا ريب انهم يماثلون بعض السحاب
الصيفي الذي يظهر في الجو بعد يبس كثير في الارض ويستبين كثيفاً متلبداً كانه ممتلي ماً
يكفي لان يروي الارض وتجري منه السواقي والانهر وحينئذ الفلاحون التايقون
الى الما يسرعون باخراج اوعيتهم ليقتبلوا بها الما غير انهم يجدون ذواتهم قد انخدعوا
فيما بعد لان ذلك السحاب المتكاثف ينحل اخيراً في غير ان يبل وجه الارض اما الله تعالى فليس
هو هكذا بل انه جل شناوه ولا يستطيع ان يقول بحق وصدق اني لست ابطل ما يخرج
من شفتي وهذا يستبين لكم عياناً على انه ان كان غيره لا يعد اكثر جداً مما يفعل فيما بعد
اما هو جلت قدرته بعكس ذلك يفعل اكثر جداً مما يعد فقد كان تقدس اسمه وعد حزقيا
الملك انه لا يدع جيش سنحاريب ذلك الملك المتكبر والمرهب ان يضع رجلاً في اورشليم
بل ولا ان يرمي فيها سهماً ولا يهجم عليها ولا يحاصرها لانه تعالى هكذا يخاطبه لا يدخل
(اي سنحاريب) هذه القرية ولا يرمي فيها سهماً ولا يحيط بها ترس ولا يكون
بها كمين فهذا هو ما وعد الله به لحزقيا ملك يهوذا ولكي يتم وعده هناك فقد
كان يكفي لان يضع في قلوب الاثوريين الخوف والرعبة بمصيبة ما تصادفهم في الطريق
ويرجعوا الى الورى هلعين خايفين او كان يكفي بان يسمح بقلق واضطراب ما ياتي على
القايد او كان يكفي ان يسمح بان تتحرك فتنة ما بين روسا العسكر او ان يحدث قتال
او خصام في الجنود غير انه سبحانه وتعالى ما اراد ان يكتفي باحد هذه المذكورات فماذا
اذاً فعل ارسل في تلك الليلة ملاكاً دخل في العسكر بسيف مجرد وجعل من الجيش مجزرة

عظيمة تحتوي على مائة وخمسة وثمانين الف جثة طرحهما على الحضيض لتصير ماكلاً
للطيور ولنضف الى ذلك ما تم في سليمن الحكيم افليس كان الله تعالى يكفيه لحفظ وعد
لداود ان يمنحه الحكمة فقط التي كان طلبها منه ليعرف ان يدبر شعبه حسناً ومع ذلك
فقد زاده جلت مكارمه ايضاً ومثله اما كان يكفيه الى حصن مجازاته يوشافاط ملك
يهوذا ان يعطيه الماء فقط الذي التمسه من كرمه الالهي ليشرب العسكر ويروي من
ظمايه ومع ذلك فقد منحه ايضاً النصر على اعدايه وهكذا ان اعتبرتم التوراة كلها
وساير كتب التواريخ فترون ان الله تعالى ليس انه كمل ما وعد به فقط لكنه تعالى فضلاً
عن ذلك جميعه يتممه بسخا وجود فايض جداً حسبما حقق ذلك ايضاً القديس
يوحنا الذهبي فمه في ميمره ٦١ الذي قاله في تفسير سفر الخليقة

العدد نعم ايها السامعون ان هذه الامانة المنتسبة لله تعالى تختلف جداً عن امانة اصدقايكم
العالميين ولكن من اين يصدر هذا الاختلاف العظيم اتعرفون من اين صادر نحن هذا
فقط وهو ان اوليك الذين يدعون انهم لكم اصدقا فليس يحبونكم ليعطوكم مما هو لهم
لكن يحبونكم لينتزعوا منكم ما هو لكم ربما ان كلامي هذا يبان لديكم بهماً فها هو ذا انا
اوضحه لكم قايلاً ليت شعري من تظنون انهم يحبون ان يحسبوا اصدقاكم الخصوصيين
هل الذين هم يتوهم ام الذين يجولون حولكم بمقدار عظيم من الاحترام وزخرفة
الكلام والحنا الراس فمثل هولا هل تراهم يحبون شخصكم بل بعضهم يحبون ذلك المهر
الوافر الذي كتبه كل واحد منكم لابنته لتتجهز به وتحظى بجواز لايق بشان قيمتكم و
البعض يحبون تلك الوظيفة التي تقدرون ان ترقوهم اليها وغيرهم يحبون تلك
النعمة التي يرجونها منكم او يحبون السعد الذي انتم فايزين به وعلى الاطلاق
اقول انهم يحبونكم كحب النحل للزهر الذي يجتني منه اعذب الحلاوة او كحب الحشيشة
المدعوة العاشقة الى شجرة الجوز الشامخ اما الله عز وجل فهو قايم بمفرده لا يحتاج
الى احد لانه قايم بذاته ويتوق الى ان يصير صديقنا ليعطينا مما هو له فكل شي يقتنيه
او كل شي يتمتع به يرغب تايقاً الى ان يصرفه علينا وهو هو الذي اراد ان يكون ما
بيننا وبينه شركة التساوي فيما لنا وفيما له وذلك بموجب نص الشريعة المشهور
القايل ان كل شي للاصدقا هو مشاع لهم ولكن في اي شي قايمة هذه الشركة اسمعوا

وافهموا

وافهموا هل سمع قط شركة مثلها وهي انه تعالى لم يعطينا مما هو له الاغناء والمجد ولم
يتخذ مما هو لنا سوى فقرنا وهواننا اعطانا مما يختص بالوهيته من العز والعظمة واتخذ
لنفسه مما لنا من الدناة والحقارة منحنا استحقاقاته واتخذ لذاته القدوسة الهنا ف
قصاصاتنا التي استحققناها عن خطايانا منحنا عدم الموت واتخذ ميوتيتنا اعطانا سعادة
ملكه واتخذ منفانا ونتيجة الكلام اقول مع القديس بطرس الذهبي اللسان في عظته ٥٠
انه اتى ليأخذ ضعفنا ويعطينا قوته اتى ليطلب منا البشريات ويقدم لنا الالهيات ليقبل
منا الاشيا المهانة ويهبنا السرور والمجد انتهى فهل يمكنكم ايها السامعون الاخوة الاحبا
ان تجدوا صديقاً اخر يشترط عليكم مثل هذه الشروط المضادة حقه اذ انه لا يطلب منكم
شيئاً اخر سوى مذلتكم وفاقتكم حينما يشرككم بافراحه وانعامه

العدد ٤ موت
ولنتقدم الى ما قدام ايضاً ولنتامل منهم اوليك الذين يظهر الله تعالى بانه وفي تبيان انه
صديقهم الودود والخالص الحب الا تعرفون منهم فهم المساكين وذوو العاهات والمظلو
والمعيرون قال الله على لسان اشعيا لمن انظر الا الى المسكين ولنا في ذلك برهان الاسرايليون
على ان الله جلت مراحمه لم يظهر لهم صداقته ومودته باعظم البيان الحين ابصر ملك
مصر يظلمهم ويجعلهم يخبون في الطين كانهم ضفادع منتنة ولعل ال اسرايل وحدهم
اختبروا مودته تعالى وصداقته كلا بل ان ايليا النبي ايضاً لم يجترح الله تعالى معه اغرب
العجايب الا لما راه ساقطاً تحت غضب الحكام وبغضهم فحينئذ امطر بسببه النار من السما و
هكذا اليشع النبي فان الله عز اسمه لم يهتم في حمايته وصونه في وقت اخر بمقدار ما هو به
لما راه اضحى سخرية وهزءاً للشعب حتى للصبيان ايضاً ففي ذلك الحين اطلق لاجله من
الغاب الوحوش الضارية وان لحظنا العازر اخا مرتا ومريم المجدلية فنرى انه لم يستبان
انه كان محبوب تام من المسيح وعزيزاً لديه سوى بعد ان اضحى مكروهاً لدى الناظرين
اليه حتى اخفيه ايضاً [illegible] منهم تحت الثرى فح اظهر يسوع نخوة اما رات محبة
عظيمة بهذا المقدار حتى انها اذهلت اليهود ايضاً وقالوا انظروا كيف يحبه اما
الاصدقا الارضيون فلا يفعلون لعمري كذا بل انهم حالما يبصرونكم قد سقطتم في
شقا وذل فللوقت يرتدون الى الوراء ويا ليتهم يرتدون فقط بل انهم يولون
هاربين منكم ايضاً ابعاداً عظيماً وبعد ان كانوا في ايام اقبالكم يلفون اليكم يسجدوا

لكم نتراهم في ايام احمالكم يظهرون على ذواتهم انهم لا يعرفونكم حاشاي ان ارغب ايها
السامعون المكرمون ان تحتبروا صدق كلامي هذا بالعمل بل بعكس ذلك اطلب لكم من الله
كل خير ابدي وكل سعادة دايمة غير انني انصحكم قايلاً لا تتخذعوا من اصدقا العالم لانه اذا
ابتدا سقف بيتكم ان يتقوض ويدنو الى الدثار فترون عيانا ان السنونو ايضاً المعششة
فيه والطايرة من اهل البيت تفر هاربة فهكذا هم الاصدقا المخصوصيون من اهل الدنيا
والحسرتاه على ايوب تريه الذي لم يفعله من الخير والحسنات كي يستحق في وقت
الضيقة اسعاف رجل ابدي كم من ارامل قد كان صانهن وكم من يتاما قام باودهم وكم
من عراة اكساهم وجياع اطعمهم ومع ذلك جميعه لما سقط في البلايا العظيمة المعلومة
عند الجميع تُرِك من الناس تركاً هذا لحد حتى انه لعدم [illegible] جاره من ياويه برهة من
الزمن في زاوية احد البيوت او يعيره فرشة ولو مهما كانت رثة او رداً عتيقاً
يستتر به اخوجته الفاقة الكلية ان ينطرح راقداً على مزبلة ككلب ميت قايلاً
اخوتي جازوا عني كمثل السيل الجاري سريعاً في الاودية وان قلتم انه استبان له في
تلك الشدة ثلثة اصدقا ومضوا اليه ليعزوه وفي حال مشاهدتهم اياه صفقوا يتحسرون
عليه ويندبونه حتى انهم لتفاقم الاسف عليه نثروا التراب على شعورهم حتى تغيرت
الوانهم اجبتكم حسناً قلتم ولكن مع هذا جميعه فان اصدقاه هولاء الثلثة يوضحون
المعنى المقصود مني اوفر توضيحاً فقولوا لي اليس انهم مع ترثيهم هذا العظيم تركوه
مع مسكنته في ذلك العري الذي راوه فيه هل تصدقوا عليه بفلس واحد هل وهبوه
قطعة من ثوب بالي يستتر بها عرايته لا العري بل جرحوا مرهم معه بالخلاف اسمعوا
ما خاطبهم به ايوب قايلاً الان جيتم والان اذ رايتم بليتي فزعتم ترى من اي شي خاف
هولا الشرفا الثلثة عند مشاهدتهم صديقهم في هذه البلية العظيمة فزعوا من ان
تصيبهم بلية نظير بليته ام هل خافوا من ان يدهمهم داعضال مثله الان المعلم
ليرانوس الحليل يجيب هنا بعقل حاذق قايلاً انه ليس هذا هو سبب فزعهم بل انما
سببه كان التوهم الذي اعتراهم في اول مشاهدتهم اياه انه يطلب منهم صدقة
وافرة من مالهم ليسد فاقته تلك العظيمة ولكن ربما انتم تستهجنون ايها السامعون
هذا التفسير الا انه لا يباح لاحد منكم ان يهزو به كانه اختراع ؟ مني لا متوطد

وصادق

وصادق لكن ايوب نفسه يحققه لنا بكلام فيه لانه بعد ان قال للاصدقا ايه المذكورين
الان جيتم والان اذ رايتم بليتي فزعتم اردف كلامه وقال العل قلت لكم هبوني من
اموالكم ارشوا بدني فمن قوله هذا يستبين واضحاً انه لم يكن سبب خوفهم سوى
انه يطلب منهم ان يفتحوا هميانهم ويعطوه شياً من الفضة ومن هنا استنتج فاقول
هكذا انه اذ كان الاصدقا الاعظم رقة والاوفر شفقة نظير اصدقا ايوب المذكورين
الذين بكوا وتاسفوا لمصابه بهذا المقدار ليس لنا ان نرجوا منهم بوجه عام عوناً
ما الا كلاماً فارغاً فقط فما الذي سبيلنا ان نرجوه من الاصدقا الاقل رقة فهل يكونون
ابتدعوا امراً جديداً ان بايونا تتقلب في شدايدنا ولم يلتفتوا الى ان يرحمونا اقلما
يكون بكلمة واحدة من التعزية او بسلام واحد او بلحظة واحدة وداوية لعمري
ان مثل هولا ليس انهم سينكرون علينا التايد فقط بقساوة واهية لكن ربما
يتفقون ايضاً على الشماتة بنا ويزيدونا حصراً والماً باقوالهم او بافعالهم متشبهين
باوليك الذين يقضون ايام الصيف متنزهين بالاكل والشرب والرقص واللعب
والعشرة بطرب جزيل تحت ظل شجرة ظليلة وعند دخول الشتا اذ راوها ذنت
من الانتثار واليبس فيكونون اول من يضع يده على الفاس ويبتدرون في كسحها
ثم في قطعها من غير مدالاة ولكن هات نسلم لكم انكم صادقتم اصدقا العدد
سخيين طبعاً ورقيقين قلباً ومستعدين حسناً الى اغاثتكم في حين الشدة غير
انني اسالكم ان تنطقوا بالحق من منهم اذا اصطنع نحوكم جميلاً ما باهظاً لا يعظمه
لكم بمعرفة ويكلمكم فيه متشامخاً وبالنتيجة لا يبيعكم اياه غالباً الا باغلى قيمة ومالي
قلت جميلاً باهظاً والحال انه على التحقيق لا يمكن ان يوجد احد في هذا الزمن ينال
واجباً ما من احد ولو مهما كان طفيفاً او خدمة ما ولو مهما كانت جزئية ما لم يسق قبلاً
وجهه برد الحيا لانه يلزمه ان يقر له بالمعروف ويعترف بانه مديون له ابذل سرهذا
وبالاجمال اقول لا يوجد الان احد يكرم علينا ويجب ان يكون كرمه نظير الانهر الجارية
تحت الارض بقنايات خفية غير منظورة وقد حصر ابن سيراخ كلامنا هذا جملة بكلام
وجيز فقال في الصديق العالمي هو يعطيك يسيراً ويعير كثيراً هذه هي شيم الاصدقا
من اولي العالم واما المرجانات محامده كيف ينفعل فيرد الجواب القديسين لوكايدوس قايلاً

انه تعالى يعطي كثيراً من غير ان يشعر احد وليست جودته في العطايا باقل مما هي في
العطايا الظاهرة لانه تعالى ان الانعام التي يسبغها علينا سراً وعلى الدوام مخلوقة بان نشعر
بوصولها الينا تسمو على كل عدد واذا ما جاد علينا ببعض منها وجعلنا نفطن بها
فيصنعها معنا باحتشام وهدوء عظيم كانه يجتنب سعادة لذاته القدوسة
ان يمنحنا ما هو له لقد تلوت مرات عديدة الانجيل المقدس وهذذت فيه مدققاً
ومع ذلك لم اجد نعمة ما صنعها يسوع مع احد الا وينسبها في لياقة ولطافة
الى فضيلة من كان يستمدها لقد منح الكنعانية شفا ابنتها ثم قال لها اذهبي بسلام
ايمانك استحق شفا ابنتك اوقف جري الدم عمن كانت تنزف دماً وقال لها امضي
ايمانك خلصك فتح عيني الاعما وجعله ان يبصر ثم قال له اذهب ايمانك ابرأك
طهر ابرص من برصه وقال له امضي ايمانك طهرك منح المجدلية غفران خطاياها وقال
لها اذهبي ايمانك نال لك الغفران فهذا الانجيل الوضيع كان ينجلي دائماً الانعام التي
كان يصنعها اعني بما ايمانك خلصك وكان يشير بذلك اتضاعاً منه الى ان الانعام
التي كان يجود بها على المحتاجين كانت تصدر في استحقاقات الطالبين لا من جودة
ورحمته اما الذي انا انتهي لان اخاطبكم به في هذا الصدد ايضاً فهو اعجب مما يذكر وهو
هذا قد طلب يسوع في ذلك يوم ليتنازل ويمضي الى بيت احد روسا الجماعة ويرد
الحيوة الى ابنته التي كانت قد ماتت فاستجاب جل ذكره الطلبة ومضى سريعاً ولكن ما اكثر
المجازفات المقدسة التي احتال بها ليخفي عن الناس قدرته الالهية فلنضع جانباً طرده
حالاً من البيت تلك الزمرة المجتمعة فيه واللاتي كن يولولن على المتوفية وغلقه الابواب
وطلبه الخفا وامره بالصمت والسكوت عن اشاعة الخبر ولنحسن التدقيق فيما فعله عند
دنوه الى الجثة المتوفية على انه لكي ينقص امام والديها قيمة نعمته المبادر الى
افتعالها طفق يخاطبهما بالتباس ابهم في الكلام ويبشرهما بعدم موتها قايلاً لم
تمت الجارية لكنها نايمة لعمري انه لو كان رجل واحد اخر غير يسوع الاله وكان ذا
استطاعة على ان يفعل نظير قدرته الالهية لكان نظر قبلاً واثبت بشهود الحال
وبصك شرعي ان البنت قد ماتت حقاً ولكان بلا شك يقول للحاضرين تعالوا
الى ههنا وانظروا ودققوا انكان يوجد فيها نسمة الحيوة جسوا المفصل هل فيه

نسمة الحيوة وجسوا المفصل هل فيه حركة ضعوا ايديكم على القلب هل بقي فيه خفقان
امعنوا النظر في حوادث عينيها هل بقي فيهما اثر في الحركة ها قد غارتا بالكلية قربوا
شفتيها العل يهب منهما ولو قليل من النفس المسوا جسمها هل بقي فيه ادنى حرارة
اكشفوا عنها الاغطية والحظوا هل لا تنتفخ كلها في الاصفرار وغيار الموت فبحسب
ظني هكذا كان يفعل من يروم ان يعظم آية اتبعها او فعل تعظيماً ويوضح قدرته ووفور
احتياج والديها اليها بلغ ايضاحاً اما سيدنا له المجد فلم يفعل شيئاً من ذلك بل اراد
ان يظهر للحاضرين عن نفسه انه ليس هو بفاعل فعلاً اعظم ممن ينبه ابنة نايمة
قاصداً بذلك حسبما ارى ان يخزي اوليك المتعجرفين الذين يعظمون خيرهم لقريبهم
ولوكان زهيداً جزياً حيث انه تبارك اسمه قصد ان يقلل قيمة خيراته وانعامه
العظيمة بخرافات وفنون هكذا لعذبة ولنضف الى ما قلناه ما نورده الان على سماعكم
قايلين على انكم قد سمعتم انتم تلاوة الانجيل الشريف مرات متعددة فهل وجدتم
انه تعالى قد اذن الى واحد ممن صنع معهم الايات والعجايب المعجزة ان يتبعه ويصير
له تلميذاً ورسولاً او صديقاً نديماً كلا بل حينما ابرى مستسقياً في بيت الفريسي اوصاه
للوقت ان ينصرف ذاهباً اشفى ابرص في نواحي الناصرة ومن ساعته ارسله الى بيته
واقام من الموت شاباً مايتاً عند باب مدينة نايين وحالاً دفعه لامه ولم يصنع ايضاً
خلاف ذلك مع المجنون ذاك الذي حله من القيود في تخوم الجرجسيين لانه
هذا مع كونه طلب اليه متضرعاً وملحاً بالسوال بان ياذن له ان يتبعه ويرافقه
الى حيثما يمضي براً كان او بحراً ومع ذلك لم يرتضِ ان يتنازل وينعطف الى طلبته
لكن اوصاه ان يذهب الى بيته واهله حسب نص الانجيل القايل لم يدعه لكن
قال له امضي الى بيتك الى اهلك ومن هذه الآية الشريفة يستبين ان الرب يسوع
كان يفعل نظير الشمس التي تفيض من نورها على النجوم ومع ذلك لا تريد ان
تسير معها وترافقها مكافات لها بل انها تختفي حيث تشرق فما هو قولكم الان ايها
السامعون فهل تجدون صديقاً يفعل في العالم نظير هذه الافعال لا لعمري بل بالعكس
لانه ان كان يصنع معكم خيراً ما معتبراً فللوقت يطلب ان تراعوه كل يوم في مسيرة
وتسندوه عند الركب وتخدموه في مخدعه يطلب ان تعدوا نفوسكم حرتيكم ف

لماساره يطلب ان تنصبوا في منازلكم رايته واحده او تمثاله او صورته ليعرف الجميع انكم
صرتم ممن نال الانعام من سكان الوجود والجيوش ايضا خرجوا هامته من جوده وسخايه
العميم. هات لنتقدم يسيرا ونسلم بوجود اصدقا في العالم
مفضلين ومحتشمين لا يتباهون في حسناتهم وعطاياهم ولا يطلبون منكم ثنا ومدحا
ما بجميلهم ومع ذلك اقول لكم انكم بهذا ايضا لم تحصلوا اصدقا امينين وان اردتم ان
تعلموا السبب فاسمعوا ما اخاطبكم به وافهموه حسنا لانه من الممكن ولقد تيقنوا ان
مثل هولا ينبذون محبتهم لكم حتى خلوا من ذنب يصدر منكم لقد كان فرعون الملك طرح
في السجن برهة مديدة من الزمن اثنين من اولي دولته الاحبا الخصيصين لانهما اخطيا
اليه وكان احدهما ريس السقاه والاخر ريس الخبازين حسبما يخبرنا الكتاب الالهي بقوله
لما كان بعد هذا اجرم ملك مصر الساقي والخباز الى سيدهما ولكن من كان منكم عارفا
السبب ليقل لي ما هو الجرم العظيم الثقيل الذي اجترماه هذان الاثنان المذكوران
الى ملكهما العله لما انتهرا على ان يسقياه سما ليميتاه ام لعلهما دبرا عليه مكايدا او
خاناه في امر باهظ او اتيا السحر والعصيان في عبيده كي شعبه حاشا وكلا لكن اذا
صدقنا تسليم اليهود القدما فنرى جرمهما قد كان عرضا واتفاقا لكون الساقي قد كان
جرمه هذا وهو انه حينما تناول منه الملك في ذات يوم الكاس ليشرب شاهد برغشة
ساقطة فيه واما جرم الخباز فكان ايضا هذا وهو ان الملك لما كان يمضغ الخبز
شعر بحصوة صغيره تحت اضراسه ترى هاتان الهفوتان كانتا حقا سببا لان
يعدما محبة سيدهما ويلقيا في السجن نعم هاتان الهفوتان الطفيفتان اللتان لا
طايل تحتهما ولا فيهما كفاية لان تقطعا محبة البشر ولكن ما بالي اقول هفوات جزئية
والحال انه يوجد ايضا ما هو ابلغ من ذلك اي ان محبتهم تزول غالبا خلوا من هفوة ولا
ثبات ذلك ها انا اسالكم فاجيبوني اما يمكن ان شكا خفيفا يعتري صديقكم فيكم ولو
كان خاليا من السبب فيصيره ان يبتعد عنكم ومثل ذلك تهمة باطلة تتهم بها لديه
تبطل محبته كما ابطلت محبة فوطيفار ليوسف تهمة امراته الزانية الكاذبة ومثل
ذلك اذا اعتراه الحسد من قبلكم حسبما جرى لداود الذي عدم نعمة شاول الملك
ومحبته عندما سمع اوليك النسا الاسرائيليات يعظمن داود على شاول بالقوة والجبروت

وقد

٢٥

وقد تبطل محبة صديقكم لكم ايضا تقلب الطبع والمزاج لانه من خواص طبيعة البشر
ان تتقلب احيانا كثيرة في عواطف القلب ويبطلها خصام يسير في اللعب ثم
تبطلها كلمة خفيفة فرطت منكم مزحا ولعبا ويبطلها ايضا طمع يسير في الربح
او جدال ما حدث ما بينكم في احد الزيارات او دعوة شرعية وهل سمع قط بمحبة وجد
ما بين الاصدقا فانظروا المحبة التي كانت ما بين لوط وابراهيم وابيمالك واسحق ومع هذا
جميعها ما صدرت الخصومة فيما بين رعاتهم من قبل المرعى والما التزم كل منهم ان يفترق
من صديقه ويبتعد احدهم عن الاخر وان اردتم ان تتحققوا بهذا اليوم باعظم التحقيق
كم هو امر سهل على الطمع ان يبعد عنا الاصدقا اسمعوا في بيان ذلك حادثا مشهورا جدا
يخبرنا سفر القضاة المقدس عن رجل شريف نبيل اسمه ميخا فهذا الرجل شيد له في منزله هيكلا
صغيرا جميلا مفخما للايقا وانتخب له كاهنا عبرانيا من سبط اللاويين يخدم فيه واحبه
كثيرا كواحد من اولاده واعطاه دارا حسنة يسكن فيها وكساه اثوابا فاخرة مضاعفة
وجعل له علاقة وارزاقا وقوتا يوميا فايضا عما يهوى ولكي يكون معه على الدوام دراهم
ينفقها حسبما يجب قال الكتاب المقدس عدا الذي ذكرناه ان ميخا ملا يده ومن قبل
هذا الاحسان احب الكاهن ميخا ايضا حبا بالغا ولاجل ذلك لما ابصر في احد الايام
جنودا من سبط دان دخلوا الهيكل ليسلبوا ما فيه نهض مسرعا من غير ان يخشى سيوفهم
وارماحهم واقبل بازايهم وانتهرهم وعنفهم وتهيا وجدم للمحامات عن اواني الهيكل
وتحفه قايلا لهم بصوت عال بتجبيع ما هذا الذي تصنعون ومكررا ثانية فمن
تراه لا يتعجب من مثل هذه الشجاعة الغريبة العظيمة ويحكم انها صادرة عن قوة
قلب فريدة ولكن اسمعوا ما قد صنع فيما بعد فلما ابصرت الجنود مقاومته هذه
القوية قالوا له سبيلك ان تصمت الا ترى انك هنا بمقام كاهن فقير خادم قرية
صغيرة ويجب ان يضحك منك ومن قريتك افعل ما يحسن براينا وارتضي ان تصمت
وتلحقنا ونحن نعطيك رعية تخدمها احسن من هذه جدا فكف عما تفعله
وضع يدك على فيك والحقنا فتكون لنا ابا وحبرا فاي الامرين خير لك هل تكون
في بيت رجل واحد حبرا ام في وسط قبيلة واحدة في اسرايل فمن منكم يصدق
بان هذا الرجل الصالح لما سمع اسم مقام اعلى شرفا ووظيفة اوفر ثروة ليس انه صمت

نقط وفعل ما كانت الجنود طلبته منه لا غير لكن هلفوقهو ابتدا ينهب بيده المذبح ويعري
الحيطان ويفرغ الخزانات ويخطف المباخر ويختلس الاصنام ثم ولى هاربًا جاريًا
بقدم سريع مع الشرط فبلغ ميخا ما قد جرى ولحقهم سريعًا واذ ابصر كاهنه من بعد
هاربًا مع الجند اخذ يهتف به قايلاً يا صاح يا صاح اهكذا تخذلني اهكذا تتركني
اهكذا تطوي كشحك عني ولكن فليهتف ميخا وليصرخ بقدر ما يشا على ان كاهنه
والامينة قد ناء عنه بعيدًا فلا يسمعه ما هو رايكم الان ايها السامعون ما الذي كان
يجب على ميخا ان يفعل من الحسنات نحو ذلك الكاهن اكثر مما فعل ولم يفعل ليلزمه
بالمحبة والامانة له اما عامله بواجب عظيم وشرف جزيل اما احبه واعزه كاحد ابنايه
اما اعطاه وما لايدم من المال والفضة اي نعم الان هذه كانت قديمًا من شيم اصدقا العالم
وهي ان يميلوا منعطفين نحو من يقدم لهم حالة اجل واحسن مقتدين بالذباب التي
تجري الى منكوت وليمنه اوفردسمًا وبالحمام التي تطير حيث يبذر لها حب انتهى ولكن
ياليت شعري هل ان هذه الصفة ليست من شيم اهل عصرنا هذا فنظرًا الى هذا المعنى
يجب ايها السامعون ان اصمت لئلا اصير سببًا لخزيهم وخجلهم

العدد ٧ فلنعد الان الى موضوعنا قايلين فاي اوان نستطيع ان نأسف على الاصدقا المرضيين
بعد ان عرفنا انه لقد يمكن ان نخسر محبتهم من غير ذنب وخلو من سبب البتة وما بالي اقول
وخلو من ذنب فسبيلنا ان نقول ابلغ من ذلك وهو ان الحسنات عينها التي نصنعها مع
صديقنا او المودة التي نظهرها نحوه تصير احيانا سببًا لان نفقد محبته قال سينكا الفيلسوف
ان غباوة البشر اتصلت الى هذا الحد حتى انه صار خطرًا لنا ان نحسن الى غيرنا انتهى
والسبب في ذلك لانه اذا كان الذي نال منا احسانًا ليس له استطاعة على مكافاتنا
فيبتدي رويدًا رويدًا ان ينظر الينا بعين الغدر كما تنظر اصحاب الديون الى بعضهم
بعض ثم يبتدي ان يهرب من مواجهتنا وخجلاً منا يبتدي ان يكره مخاطبتنا والتردد
معنا حتى يبلغ به نكران الجميل احيانًا الى ان يصير خصمًا لنا وذلك لانه يرى انه عار عليه
ان يكون لنا صديقًا عاجزًا عن المكافاة فهذه هي المحبة البشرية ايها السامعون التي
لا تستحق ان تسمى محبة ثابتة امينة محبة مكينة

العدد ٨ ولناتي الان الى ان نتكلم في استحقاقها على سبيل المقابلة ما بينه وبين الاصدقا العالميون

ولذي

ولذي ان كان يوجد لكم سبب لان تخافوا انه تقع في شيء مما قلناه آنفًا فقولوا لي
ما هو الشيء الذي لكم ان تخافوا منه في محبة الله وصداقته معكم اترى تخافون من
انه تقدس اسمه يمسك عنكم محبته من غير اثم يصدر منكم ام لئلا يشمئز منكم ولو كنتم
صالحين ام لئلا يستنكف منكم حينما تطلبون مودته حاشا وكلا بل العجب فيه تعالى
يا ايها السامعون هو هذا وهو اننا مطلقون الارادة ومستطيعون ان نتركه من
غير ذنب يصدر منه اما هو جلت مراحمه بالخلاف اعني غير قادر على ان يتركنا خلوًا
من ذنب نرتكبه ضده فاذًا لا يتركنا ما لم نتركه نحن ومن ثم ليس لنا ان نخاف من ان نبطل
محبته لنا من قبل تقلب فينا او من حقد وبغض او من تهمة تتهمنا بها الدنيا او من خصومة
او من وهم يعتريه فينا او من سبب اخر عدا الذي يصدر منا تعمدًا واختيارًا لاجل ذلك
لا سبيل لنا ان نخاف الا من نفوسنا ان الرسول الالهي رفع صوته في ذات يوم وهتف
قايلاً انه لا شيء في العالم البتة يستطيع ان يزيحه عن محبة المسيح لا الملايكة ولا
السلاطين ولا القوات ولا شيء اخر سوى كان من العلا او من الاسفل قويًا او ضعيفًا
حاضرًا او مستقبلاً وهذا هو نص كلامه فاني انا واثق انه لا قوة ولا حيوة ولا الملايكه
ولا الروسا ولا السلاطين ولا هذه الاشيا القايمة ولا العتيدة ولا قوة ولا علو ولا
عمق ولا خليقة اخرى تقدر ان تفرقنا من حب الله فههنا يتكلم القديس برنردوس بحذاقة
بليغة وذلك في عظته على العماد الثاني قايلاً لاحظ يا من يتلو كلام هذا الرسول
على انه عدد اشيا كثيرة غير قادرة ان تفرقنا عن محبة الله ولم يعدد فيها ذواتنا قايلاً
ولا نحن نقدر ان نفرق انفسنا عن محبة الله ولاي سبب لاننا نحن فقط نستطيع ان نفرق
انفسنا عن محبة الله بارادتنا فغير هذه اي ارادتنا لا يوجد شي البتة يجب ان نخشاه
انتهى ومن هنا نقول اننا نحن وحدنا نستطيع ان ناتي الى انفسنا البلية لا يستطيع الله
ذاته مع قدرته الرهيبة ان ياتي الينا بها وان كان ذلك كذلك اما تكون هذه سعادة
عظمى وهي انه لا ينبغي ان نشكو من احد سوى من انفسنا اذا ما خسرنا لسو حظنا وارادتنا
المطلقة هذا الصديق الالهي يا لتعزية عظمى يا لطمانينة لا مثيل لها نظرًا الى مودة الله
كما [illegible] على اننا اذا احببنا انسانًا ما ينبغي لنا ان نتوقى الف نفر خوفًا من ان يفرقونا
منه واذا احببنا [illegible] فليس لنا ان نتوقى احد سوى ذواتنا ومن ثم ولو قدم لنا اخرون

هدايا جليلة وأموالاً وافرة وأنوابًا وزينات بهية ملوكية فلا يوجد بذلك خطر من أن يفضل
علينا أحدٌ ولو كنا نحن أنفر من غيرنا وأذل ولكن بهذا الشرط وهو أن تكون محبتنا أعظم
وليس هو تعالى كمثل كاهن فيما الذي تقدم ذكره أنفًا يميل منعطفًا مع من يطعمه أو يرضعها
ولكن ينعطف ميلاً مع من يحبه أعظم محبة وهكذا نعاينه بجلت قدرته صنع في أرسل
تلاميذه إلى الأشهاد لأنه لما رام أن ينتخب واحدًا منهم للحبرية والنيابة عنه في الأرض لم
ينتخب من بينهم لأجل غناه أو فروه أو لوجه هذه الوظيفة لمتى الرسول لكنه انتخب الذي هو
أحبه أكثر حبًا أعني به بطرس كذلك أيضًا لما التزم أن يفضل بالمدح والثنا واحدة من
المضيفتين اللتين أضافتاه عندهما في البيت لم يفضل تلك التي مارست باوفر الاهتمام ما
ينبغي أن تعد له وليمة فاخرة أعني بها مرتا لكنه فضل تلك التي كانت ذاتية نحوه بمحبة
أزيد وأسمى ومثل ذلك أولئك الأغنياء الموسيرين الذين أرموا ذهبًا كثيرًا في خزانة الهيكل فلم
يستحقوا أسخيايهم هذه الواهي أن يمدحهم تعالى أو قلما يكون بما نالهم في تلك الأرملة المسكينة
التي بجهد عظيم ألقت فلسين لا غير وذلك لأن الله جلت صدوقيته لا يمثلوه الهدايا كما
قلنا آنفًا ولا يعتبر الإحسان نظرًا إلى ما يعطونه بل نظرًا إلى ما هم عليه في أنفسهم إذ أنه تعالى
لمن شأنه أن يلاحظ القلب لا اليد وحسن النية لا الفعل
ولا يظن ظان أن الخاصة المذكورة كاينة في الله تعالى من هذه الحيثية أي أنه تعالى هو نظير
البشر أيضًا لا يحب أن يرى ذاته مديونًا للبشر بل أن الأمر بخلاف ذلك لأنه تبارك
اسمه يفرح بمشاهدته أولئك الذين يلتزم أن يجبهم أكثر مما نفرح نحن بأولئك الذين
لمن شأننا أن نقتبل منهم وهذا هو رأي يوحنا فم الذهب في ميمر ٧ الذي قاله في تفسيره
رسالة الروميين حيث يقول أن صاحب الدين لا يسر بغرمايه بمقدار ما يسر الله تعالى
بالذين هو مديون لهم ولكي تفهموا هذا المعنى العذب الذي مكنون في مقال هذا
القديس الجليل لاحظوا جيدًا هذا الاختلاف الكاين فيما بين الله تعالى والبشر على أن
من كان من البشر حاصلاً على حال الذل والاحتياج ونال صدقة سرًا من أنفار أدنى
منه حسبًا ونسبًا ثم اتفق أن ارتقى إلى حال سعيدة وعاش في المال والرزق
بأرغد العيش فيعتريه الحيا والخجل من مشاهدة أولئك الأنفار الذين [illegible] ذهب
إلى منازلهم قديمًا ليتسول معاشه ولا يعود أيضًا شي يضاد قلبه ويمرمر فؤاده

كمثل ما يالمداراة تماعه واحدًا منهم يتكلم متنصلاً من زلته أو التعجرف عليه وذلك
بقوله انظروا الى هذا الذي يعيش اليوم عيشًا متسعًا لقد عاينته فيما سلف أتى
مرارًا متعددة إلى منزلنا ليتسول صدقة حبًا بالله ولكن ما أعظم اختلاف
الحال نظرًا إلى هذا المعنى في ربنا وإلهنا على أنه عز وجل سوف يصيح بصوت
البوق في اليوم الأخير للعالم كله وما هو السبب فهو لكي يدع الجميع يعرفوا كل
فلس اقتبله منا سرًا وخفية ولا يخجل مستحيًا في حال مجده ذلك العظيم الشان
من أن يتواجد مع أولئك الذين أغاثوه قديمًا فردًا فردًا ويظهر على نفسه مقرًا
أنه وهو فقير في الأرض نال من ذلك ثوبًا استتر به ومن هذا رغيف خبز ومن ذاك
نوعًا من الفاكهة ومن هذا كاس ماء حسب نص الإنجيل القايل إذا جاء ابن الإنسان
بمجده يقول ماذا يقول أيها الواعظ هكذا يقول جعت فأطعمتموني وعطشت
فسقيتموني وما يتلوه فيا لله إذًا من صديق تولعه أنه هو بعزته

أين في العالم يا ترى بساطة ودعة غريبة يا لنعاوة قلب إلهي لا مثيل له ولا نظير أما
اتضح لديكم أيها السامعون أني محق وصدوق قد قدمت صداقته كل واحد ما عدا
صداقة ذلك الإله الذي ليس له قايل المائدة الحكيم مسلمًا فركنًا كما مر ذكره في افتتاح
عظتنا هذه وها أنا أخاطبكم يا معشر السامعين فأجيبوني بالصدق من غير محاباة
ما الذي تتفق لكم أحيانًا أن حصلتم في شدة بالغة حتى أنها أحوجتكم أن تستعفوا
قايلين مع الحكيم الرجل الأمين من يجده والنتيجة أنه لا يوجد في العالم صديق
نستطيع أن نؤسس عليه ثقتنا ورجانا العلكم ما جربتم بالعمل أن غالبهم يخدعونا
ويخونونا وكأنهم بواشق مجدين للخطف والنهب يفرون من أيدينا هاربين حينما
نظن أننا قد امتلكناهم مطمانين احفظوا إذًا في ذكركم كلما قلناه آنفًا إلى أن نستريح
قليلاً واستعدوا في هذه المهلة أن تجيبوني على سؤالي الذي أعرضه على سماعكم
لفايدتكم

القسم الثاني

أن السؤال العظيم الذي عزمت أن أعرضه على سماعكم أيها الإخوة الأحباء ليس هو سوى
ما [illegible] وهو إن كان الله تعالى بعزته يستحق أن يدعى الصديق الحقيقي وذلك من
باب العدل والصواب [illegible] وما غيره فهو قليل الأمانة أو كثير الخيانة فكيف إذًا يمكن أن يوجد

العدد ١٠

العدد ١١

من يغيظ الله سبحانه ليرضي صديقاً عليه الآن تجيبون شيئاً عن سوالي يا ايها السامعون تكلموا
ولا تخشوا ما بالكم صامتون ولكن من يعلم اوردا السوال بعبارة توضحه بالكفاية فها انا
اكرره عليكم قايلاً قلت كيف يمكن ان واحداً منا لكي يرضي ذلك الصديق او ليقبل تلك
العزيمة او يرتضي بتلك المشورة او يطابق هوى ذلك الانسان الردي يغيظ ربه
ويهينه ويحتقره ويضحي بذلك اميناً مع من يخونه وخايناً مع من هو في الحقيقة امين
اي ربه وخالقه ليت شعري لما هذا سوال لايق بعقولكم الزكية ماذا اذاً تقولون
حلوا اعتراضي وفندوه او قلما يكون ارضوني بجواب يكون له ولو شبه الحق ها منكم
يا قلوب المسيحيين القاسية الناكرة الجميل والمعروف فعلى ما يتبين لي انه ما من احد يجسر
على ان يفتح فاه لان الجميع جباههم ملطخون بهذا الاثم الفظيع اي تفضيل الاصدقا الذين
هم ارضيين ومحبتهم على رضى الله تعالى ومودته ولا ريب ان انصبابنا الى الاباطيل ونقص
دنيانا ونظام سيرتنا الغير المرتبة حسب نور الايمان تستاقنا الى الاثم المذكور الذي يحق
لنا ان يبرقع وجوهنا بالحيا والخجل العظيم قد مدح كثيرون باريكلس الوثني لانه لما طلب
اليه واحد من اصدقايه ان يحلف بسببه حلفاً كاذباً اجابه قايلاً حاشاي ان افعل هذا
النفاق نعم انك انت صديقي والجميع عارفون بذلك غير انك صديقي في كل مكان ما عدا
المذبح اي نعم ان كثيرين مدحوه لحسن جوابه هذا الا ان بلوترخوس الفيلسوف الوثني
قد ذمه في كتابه الذي الفه في الحيا المذموم وعنفه قايلاً لقد بالغت متورطاً كثيراً ايها
تقدماً زايداً انتهى ولا ريب في ان بلوترخوس هذا قد اصاب بذمه له لانه من حيث
انه كان تعمق مع صديقه في العشرة بهذا المقدار في ثم صارت له دالة الى ان يطلب منه
حلفاً كاذباً فانتجوا انتم من ذلك كم تكون كمية الاثام التي كان تنازل اليها باريكلس لو قبل ذلك
حباً بصديقه ذلك ولكن اسمعوا ايضاً ما اقوله لكم ايها السامعون المكرمون انه يجب
ان المودة البشرية تتصل لا الى المذبح فقط لان هذا كثير بافراط لكن يجب ان لا تتصل الى
اعتاب الهيكل ايضاً حتى لا يبقى سبيل لرفقايكم ولاصدقايكم ان يجربوكم بخطية ما [illegible]
حتى الآن لم يتصلوا الى ان يعرفوا انكم تفضلون رضى الله على رضاهم [illegible] تابوا
بهذا ايضاً ما اعظم الاهانة التي تهينون بها صديقكم الجليل [illegible] الجلالة والعظمة.

وهو

وهو ربكم ان كنتم حتى الآن ما اوضحتم لهم ان خاطر ربكم الشريف اعز لديكم من خاطرهم
المذموم وبعد هذا باي وجه تجسرون ان تظهروا امامه تعالى

العدد ١٢

في حين احتياجاتكم اليه لعمري انه يستطيع ح ان يطردكم من قدامه مغضباً وغايظاً
منكم ويقول لكم امضوا واستنجدوا باصدقايكم الذين كانوا لديكم افضل واعز مني
أليس انكم استملتم اليهم بجميع عواطفكم ووضعتم فيهم ثقتكم واملكم فلينجوكم الآن
من الموت ولينحوكم الشفا وليهبوكم الفردوس ولينتشلوكم من الغرق في اسفل اللجج
اين الهتكم الذين كنتم تتوكلون عليهم فليقوموا الآن ويعينوكم وفي الضيق فيستروكم
فبماذا تجيبونه انتم ايها المسيحيون لعلكم والمتيقنين بانه سوف يشفع فيكم لدى الله
اصدقاكم هولاء الذين هم الآن يسببون لكم ان تغيظوه تعالى وتتجاوزون وصاياه اما انهم يتقدمون
لديه مجيبين عنكم بقولهم انهم هم المذنبون والمخطيون وانتم ابرياء من الذنب ويقبلون
عنكم القصاص المحكوم به عليكم لا لعمري بل سوف يجري الامر خلافاً لذلك لان الذين الاقرب
الى الصداقة انهم سيكونون هم اول من يوبخكم ويخجلكم ويشكوكم لانه ابتلعكم هواهم الردي
خبرنا الكتاب الالهي عن ابيشالوم انه لما انكسر من جيش يواب وكان هارباً من وجهه
بعنان طليق في غاب مدغل اصابته تجربة عظيمة وهي ان شعر راسه من عصف الريح
وعن الجري التف على اغصان شجرة فازداد جواده خوفاً ومر هارباً من تحته واستقام
معلقاً بشعره في الجو لم يستطع ان يجره او يحله فابصره احد الجنود في هذه الحال
فاسرع واخبر يواب به فقال له يواب لماذا لم تطعنه برمح وتلقيه على الارض ميتاً حيث
رايته فكنت اهديتك قلما يكون عشرة مثاقيل فضة هبة لك فاجاب الجندي وقال
ليواب حاشاي ان اصنع ذلك ولو اعطيتني الف مثقال ما كنت امدد عليه يدي لان
الملك اوصى ان يحتفظ بابيشالوم حياً ولو انني تجاسرت وتورطت في قتله لاحتمى
الملك غضباً علي ولكنت انت ح تحابي معه كما لوف عادة حواشي ارباب الدولة خوفاً
او حياءً منه وتحكم علي بالذنب مقابل الجميع وكنت فعلت مسياً الى نفسي لانه صحيح
الرب لم يكن يخفى عن الملك شي وانت كنت تقوم من بعيد فبالحي ما احسن ما تكلم هذا
الجندي [illegible] وما اجمل ما احتج به فانت يا يواب الذي تشير علي بان ارتكب هذا الاثم
من المخالفة للملك [illegible] لا انت نفسك لم تكن تجاهد عني فيما بعد قدامه بل تعنفني

قايلاً انني واحد من العصاة الوقحين الغير العارفين قيمة مواليهم وتساعدني ان اتتوق
باوفر سرعة الى انك كنت تقوم من بعيد قبالي فهكذا ينبغي لكم ايها السامعون
العدد ١٣
ان تخاطبوا نفوسكم حينما يتملقكم احد من رفقايكم او يحثكم على ارتكاب شر من الشرور
المخالفة لوصايا ربكم واياكم ان تصدقوه او تسلموا اليه مذعنين بل تحققوا وتيقنوا
يقيناً كلياً انكم اذا حضرتم امام العرش الالهي الرهيب للدينونة فهو يكون اعظم شاك
عليكم والخصم الاقوى من جميع خصمايكم نعم انه الان يدعوكم بحجة المودة الى ان تدخلوا
ذاك المحفل الدنس لكنه سوف يقوم قبالكم ويلقي الذنب عليكم قايلاً انكم انتم الذين
حضضتموني على ذلك بفرط حبكم وهيامكم الذي اظهرتموه نحو الملاعب والملاهي لكنهم
الان بسبب المعاشرة التي تصحبوه الى ذلك البيت الحاوي خطراً نفسانياً لكن سيقوم
فيما بعد قبالكم ويشكوكم قايلاً انكم انتم قد صرتم له السبب مما شاهده فيكم من الانعطاف
المفرط نحو امارات العشق المخصوص بالشباب الجهلة يغريكم الان لعلة المحبة لان تعقدوا
ذاك العهد المحرم من المتاجرة لكن سيقوم قبالكم ويبرر نفسه ويخصمكم قايلاً انه انما اجتذبكم
الى هذا من تلقا نفوسكم لافراط ما اختبر فيكم من الطمع في المكاسب حتى الغير الشرعية هكذا
يصنع بكم في غير هذا من الخطايا لانه سيبذل كل جهده وجده في ان يحول عليكم ذنوبه و
يلطخكم بها واما انتم فهل يسوغ لكم ان تسمحوا لمثل هولا الاصدقا الخبثا الخاينين ان
يساقوكم الى الخطا والى ان تغيظوا الهكم ومولاكم الفريد بالدفعة كيف ما اعظم
يا الهي الان غريب ما اشنعه ترى اي استحقاق لهولا المنافقين ام اي حق ام اي حجة لهم
عندكم حتى انكم بسببهم تولون مدبرين عن سوف تلتزمون اخيراً ان تلتجوا الى رافته في
ضيقتكم القصوى اعني بربكم وسيدكم الاعظم
العدد ١٤
هل تعاينون يا ايها السامعون هذا المصلوب المعلق الممتلي جسمه جراحات سيروا اينما شيتم
وطوفوا اي مكان اردتم فاما اخيراً نلتزم ان نحضر ومحضوره نلتقي وانه سوف تاتي
الساعة التي نكون بها مضنوكين من المرض والمتروكين من الاطبا الايسهم من شفانا ولا يبقى معنا
شي اخر من هذه الحيوة سوى التاسف والحسرات العظيمة على اننا تصرفنا بها باطلاً
فيما مضى وعند الاصدقا يفتقد الواحد لكي يعزينا في ذلك الضيق الاخير [illegible] لكن
يرجوان نكتب اسمه في كتاب الوصية لاغير لكون رايحة البيت المفعمة نتناً من كثرة اختلاف
الادوية

الادوية وسهمك غرق قصصنا المنتهك من المرض ونتانة نفسنا المنبعث من فساد جوفنا
تبعد عنا الجميع وهيهات ان ندعو راهباً من ذوي الغيرة العظمى ان يدنو من فراشنا غير انه
لا يبقا عندنا سوى المصلوب الذي يكون في يدنا فقط وهو وحده جلت مراحمه لا يستكره
من ان نلمسه ونحتضنه ونقبله في احوالنا تلك الكريهة المستقبحة ولكن يا ليت شعري
ماذا يحل بنا ان كان ضمير ناح يلدغنا ويشكونا باننا قد استهونا حتى ذلك الحين بقية هذا
المصلوب الالهي المهم ما اعظم ما تكثر احزاننا وما اوفر ما تشتد حسراتنا ما احر العبرات التي
ندرفها وما اعظم التعجب الذي يستحوذ علينا لعمر ان مشاهدتنا ذواتنا مهملين متروكين
من الجميع ومعرفتنا اليقينية وقتيذ انه لم يعد لنا ايضاً رجا في احد سوى في الله تعالى وحده
وانه ليس تعزية الا فيه وانه لا يوجد خير في غيره فجميع هذه الاشيا تلزمنا ان نخاطبه بتذلل
عظيم معترفين اننا قد اغضبناه وذلك لنرضي البشر ونعمل حسب هواهم ومن ثم نلتزم
ايضاً ان نطلب منه ان يمد في حياتنا قلما يكون سنة واحدة فقط لنعرف الجميع اننا عدلنا
عن الاصدقا الارضيين ولم نعد نبالي بهم ايضاً وما اكثر المقاصد الصالحة التي نقصدها ح
وما اجل النذورات التي نندرها لنحظى من الله تعالى على مطلوبنا هذا ولكن هذا جميعه ماذا
يفيدنا والحال اننا لقد بلغنا الى النسمة الاخيرة من حياتنا والتزمنا بان نموت فاتفكروا الان
ايها السامعون بكم من المرارة والخجل وبكم من الحصر والتالم تتفرس وقتيذ في هذا المصلوب
المهان منا ثم لا يسمح الله تعالى بان تقوى علينا تجربة العدو في قطع الرجا ويلقينا بعد ذلك
في الهلاك الابدي فما الذي ينبغي لنا الان نفعله لننجو ونتحرز من هذه المخاطر المرعبة
فليس لنا الا ان نقصد منذ الان قصداً ثابتاً ان نجعل الله بمفرده صديقنا الاعظم ولا نطلب مودة
احد اخر سواه ولتكن اقرباونا واعززيننا لدينا ولكن اقل من الله ولنحب رفقانا واصدقانا لكن
بعد الله ولنكرم موالينا ونعمل مشيتهم لكن ليس بمساواة الله ولا نستحيي من ان نقول امام
الذين يطلبون منا تفضيلهم على الله الهي عليك توكلت فلا اخزى ولكن من تراه يغتاظ
منا لاننا اخترنا محبته واحببنا من خلقنا وافتدانا وهو وعيد ايضاً ان يشركنا في سعادته الى
الابد واذا اتفق من وحد من هو هكذا فلنلتزم او فلنلتزم اما بان نتركه ونستهين به لانه
غير اهل لان نوده ونعاشره لكونه يظهر على نفسه انه صديق اثيم منافق اجدارنا
الاستحقا من صديق كذا امره آمين

العظة الثالثة

تتضمن ايراد حجج واسباب بشرية والهية لاقناع من لا يريد في ان يغفر لعدوه ولما
فيا سي الى نفسه بعدم غفرانه له اكثر مما يا سي الى عدوه وانا اقول لكم احبوا اعداكم
هكذا كتب الرسول متى في انجيله في الاصحاح ه من بشارته

العدد

لقد تكلم حسناً القديس غريغوريوس الجزيل عظم وبدقة عقل زكي قال مفسراً ان يسوع المسيح
ربنا لقد دعا الصيادين الى وظيفة الرسالة حينما كانوا على شاطي البحر يطرحون شباكهم
للصيد لانهم كانوا يجتذبونهم بعد الصيد ليدل بذلك على ان ليس المطلوب من الواعظ
الانجيلي ان يربح الانفس ويفيدها بل ان يجاهد الجهد الضروري والمفيد لهذه الغاية
الجليلة فينبغي له اذاً ان يلقي من على المنبر شباك الكلمة الالهية غير مبال من التعب المديد
والعرق المتصبب من جبهته واذا ما ابصر الخطاة يبعدون عن الاشراك نظير اخبث الاسماك
ويكرهون بجرح الطعم فلا يباح له ان يحزن كثيراً آيساً بل فليذكر ان كل احد ينال في اليوم
الاخير الثواب المساوي لتعبه لا لفايدته حسب نص الرسول الالهي القايل كل انسان ياخذ
اجرته على قدر نصبه قال على قدر نصبه اي تعبه ولم يقل على قدر نفعه وثمرته وعلى
الحقيقة لولا ذلك لما كنت حسب ظني ايها السامعون ارتضي بوجه من الوجوه ان اظهر
نفسي بهذا اليوم على هذا المنبر بل كنت اهرب نظير يونان من وجه الرب آيساً خوفي
ان يضحي كلامي فارغاً عند السامعين بل يستمروا ايضاً على عنادهم وقساوتهم ثابتين ولعمري
ان لي سبباً قوياً نظراً الى خوفي هذا على انني قد امرت من الرب يسوع في فصل الانجيل الذي
تلي عليكم صباحاً بان اوصيكم باسمه ان تصالحوا اعداكم وتغفروا كل اسية اساكم بها وتتركوا
لكل اهانة اهانكم بها لانه قال احبوا اعداكم ويعساي ان اتوسل اليكم لتقيدوا ان تفعلوا ذلك
بسرعة وسهولة فلا ريب اني لو مزقت صراخاً وانحل جسمي عرقاً لست انال الفايدة المطلوبة
لانه يلزمني اليوم ان احاور واتحارب مع شهوة بشرية وعنيدة جداً بل لعينة بالغاية لا
تعتبر تياسات ولا تقبل مشورات ولا تسلم لطلبات بل هي بمنزلة افعوان هايش يابى ان يسمع
مفضياً لئلا يكف عن اللدغ راجعاً ومن ثم لست اشك بعدم تقوى غير جهدي من المعركة و
المحاربة لهذه الشهوة البشرية القوية نطاقاً وشرفاً ولكن مع ذلك جميعه لا اظن ان
انفادكم ذوي فطنة عظيمة وحكمة بليغة نظيركم يسمحون لشهوة بهذه ونايرة خلافاً

لميزان

لميزان العقل الرزين تجتذبهم الى انه يستهينوا بمن يخاطبهم لفايدتهم لا لفايدة غيرهم
لانه ماذا تظنون بي لعلكم تظنون اني ارتقيت الان الى المنبر لكي اجاهد واحامي عن
اعداكم حاشا وكلا فانا لا يعنيني امرهم ولا اعلم من هم ولم تتصل اليّ منكم ايضاً حقوقهم ان
اهانة ما تحوجني الى ان اقوم بمقام الشفيع او الوكيل عن اوليك الذين اساوا اليكم على
ان اوليك هم اناس اشرار مفترين لا يستحقون سوى ان تبادوا بهم اعياناً وتجاه الشعب
حيث انهم تجاسروا على ان يشتموا او يضربوا او يضروا باناس نبلا حسيبين ومشرفين بحسن
الاخلاق حسبما اظنكم كذلك ولذلك السبب لو نشا ان نلاحظ استحقاقكم لكنت انا اول
من يهيج غيظكم عليهم وادعي لهم بالاسوا لو كان ذلك مباحاً اكثر جداً مما انتم تستطيعون
ان تجلبوها عليهم غير ان الذي يعنيني جداً انما هو خيركم ايها السامعون المكرمون وهو
الذي يحوجني اليوم انا ان اتعب واصرخ واجاهد لانني اري واضحاً انكم تستجلبون لانفسكم
بلايا كثيرة غير مدركة اذا رمتم ان تستفرغوا في اعداكم او غرمايكم نورة شهوة غير مرتبة وها
انا استنجدكم سايلاً بان لا تصنعوا معي اليوم سوى هذا الاكرام فقط وهو ان تستمعوا
بصبر جميل ما اخاطبكم به ثم بعد ذلك سبيلكم ان تختاروا مهما تحكم به ضمايركم

العدد

انني لعالم جيداً ايها السامعون ان الشهوة تظلم العقل نظير ما يظلم الليل المقتم البصر
ولا تدعه احياناً ان يميز الخير من الشر وبحسب هذا المعنى كان داود يقول تكدرت
بالسخط عيني ومثله ايوب ظلمت بالغضب عيني واما الرسول فابلغ معنى من ذلك
قال لا تغيب الشمس على غضبكم يعني بهذا حسبما فسر ذلك القديس توما ان لا تدعوا شمس
العقل ان تغيب على سخطنا وهذا هو نص تفسيره قال الرسول لا تغيب الشمس على غضبكم
اي لا يظلم هوى العقل ونوره ولكن مع ذلك جميعه لو يلمع فيكم شعاع ما من اشعة هذه
الشمس الجليلة اي هذا العقل ونوره لكنتم تبصرون ان الشر الذي تجلبونه على انفسكم
حينما تنتقمون من غرمايكم هو اعظم كثيراً من الخير الذي تصنعونه معه بتركم زلته واعلموا
تحقيقاً انه وان نال عدوكم منكم الغفران فلا يمكن ان يستريح هو بسرعة وسهولة
من غش ضميره المزعج ومن اكدار نفسه التي من شانها ان تستحي وتعلو بالحيا كل
انسان اثيم وشرير ولينصل العدو مليّاً ويستحي فانه لا بد له من ان يفي في هذه الحياة
او في الاخرة المسبب لكم بقصاص اشر جداً مما تستطيعون انتم ان تاسوه به وبخلاف ذلك

العظة الثالثة

تتضمن ايراد حجج واسباب بشرية والهية لاقناع من لا يريد في ان يغفر لعدوه ولا
فياسي الى نفسه بعدم غفرانه له اكثر مما ياسي الى عدوه وانا اقول لكم احبوا اعداكم
هكذا كتب الرسول متى الانجيلي في الاصحاح ٥ من بشارته

العدد

لقد تكلم حسنًا القديس غريغوريوس الحبر الاعظم وبدقة عقل زكي قال مفسرًا ان يسوع المسيح
ربنا لقد دعا الصيادين الى وظيفة الرسالة حينما كانوا على شاطي البحر يطرحون شباكهم
للصيد لا حينما كانوا يجتذبونها بعد الصيد ليدل بذلك على ان ليس المطلوب من الواعظ
الانجيلي ان يربح الانفس ويفيدها بل ان يجاهد الجهد الضروري والمفيد لهذه الغاية
الجليلة فينبغي له اذًا ان يلقي من على المنبر شباك الكلمة الالهية غير مبال من التعب الشديد
والعرق المتصبب من جبهته واذا ما ابصر الخطاة يحيدون عن الاشراك نظير اخبث الاسماك
ويكرهون بحرص الطعم فلا يباح له ان يحزن كثيرًا آيسًا بل فليذكر ان كل احد ينال في اليوم
الاخير الثواب المساوي لتعبه لا لفايدته حسب نص الرسول الالهي القايل كل انسان ياخذ
اجرته على قدر نصبه قال على قدر نصبه اي تعبه ولم يقل على قدر نفعه وثمرته وعلى
الحقيقة لولا ذلك لما كنت حسب ظني ايها السامعون ارتضي بوجه من الوجوه ان اظهر
نفسي بهذا اليوم على هذا المنبر بل كنت ازهار بًا نظير يونان من وجه الرب آيسًا خوفي
ان يضحي كلامي فارغًا عند السامعين بل يستمروا ايضًا على عنادهم وقساوتهم ثابتين ولعمري
ان لي سببًا قويًا نظرًا الى خوفي هذا على انني قد امرت من الرب يسوع في فصل الانجيل الذي
تلي عليكم حسبما بان اوصيكم باسمه ان تصالحوا اعداكم وتغفروا كل سيئة اساكم بها وتتركوا
لهم كل اهانة اهانكم بها لانه قال احبوا اعداكم ويعسر اني اتوهم لقيدون ان تفعلوا ذلك
بسرعة وسهولة فلا ريب اني لو عرفت صراخًا واخذ حسبي عرقا لست انال الفايدة المطلوبة
لانه يلزمني اليوم ان احاور واتحارب مع شهوة شرسة وعنيدة جدًا بل لعينة بالغاية لا
تقتنع بياسات ولا تقبل مشورات ولا تسلم لطلبات بل هي بمنزلة افعوان هايش يابى ان يسمع
مغضبًا ليلا يكف عن اللدع راغمًا ومن ثم لست اشك بعدم تقوي [illegible] من المعركة و
المحاربة لهذه الشهوة الشرسة القوية [illegible] ولكن مع ذلك جميعه لا اظن ان
انفاركم ذوي فطنة عظيمة وحكمة بليغة نظيركم يبيحون لشهوة بعيدة وثايرة خلافًا

لميزان

لميزان العقل الرزين تجذبهم الى رذيلة يبغضوا من يخاطبهم لغايتهم لا لفايدة غيرهم
لانه ماذا تظنون بي العلم تظنون اني ارتقيت الان الى المنبر لكي اجاهد واحامي عن
اعداكم حاشا وكلا فانا لا يعنيني امرهم ولا اعلم من هم ولم تتصل اليّ منكم ايضًا حقوقهم ان
اهانة ما تعوجني الى ان اقوم بمقام الشفيع او الوكيل عن اوليك الذين اساوا اليكم على
ان اوليك هم اناس اشرار مفترين لا يستحقون سوى ان يبادوا عيانًا وتجاه الشعب
حيث انهم تجاسروا على ان يشتموا او يضربوا او يضروا بانفس نبلا حسيبين ومشرفين مثل
الاخلاق حسبما اظنكم كذلك ولذلك السبب لو نشاان نلاحظ استحقاقكم لكنت انا اول
من يهيج غيظكم عليهم وادعو لهم بالاسوا لو كان ذلك مباحًا اكثر جدًا مما انتم تستطيعون
ان تجلبوها عليهم غير ان الذي يعنيني جدًا انما هو خيركم ايها السامعون المكرمون وهو
الذي يحوجني اليوم ان اتعب واصرخ واجاهد لاني ارى واضحًا انكم تستجلبون لانفسكم
بلايا كثيرة غير مدركة اذا رمتم ان تستفرغوا في اعداكم او غرمايكم فورة شهوة غير مرتبة وها
انا استجديكم سايلًا بان لا تصنعوا معي اليوم سوى هذا الاكرام فقط وهو ان تستعملوا
بصبر جميل ما اخاطبكم به ثم بعد ذلك سبيلكم ان تختاروا مهما تحكم به ضمايركم

العدد

انني لعالم جيدًا ايها السامعون ان الشهوة تظلم العقل نظير ما يظلم الليل المقتم البصر
ولا تدعه احيانًا ان يميز الخير من الشر وبحسب هذا المعنى كان داود يقول تكدرت
بالسخط عيني ومثله ايوب ظلمت بالغضب عيني واما الرسول فابلغ معنى من ذلك
قال لا تغيب الشمس على غضبكم يعني بهذا حسبما فسر ذلك القديس توما ان لا تدع شمس
الصواب تغيب على سخطنا وهذا هو نص تفسيره قال الرسول لا تغيب الشمس على غضبكم
اي لا يظلم هوى العقل ونوره ولكن مع ذلك جميعه لو يلمع فيكم شعاع ما من اشعة هذه
الشمس الجليلة اي هذا العقل ونوره لكنتم تبصرون ان الشر الذي تجلبونه على انفسكم
حينما تنتقمون من غرمايكم هو اعظم كثيرًا من الخير الذي تصنعونه معه بترككم زلته والعفو
تحققين انه وان نال عدوكم منكم الغفران فلا يمكن ان يستريح هو بسرعة وسهولة
من نغص ضميره المزعج ومن الكدر نفسه التي من شانها ان تستحي وتملق لاجنة كل
انسان اثيم وشرير وليفصل العدو وما يشا وليستحي فانه لا بد له ان يعفي في هذه الغيوم
او في الاخرة [illegible] كم بقصاص اشر جدًا مما تستطيعون انتم ان تماسوه به وبخلاف ذلك

هذه الغباوة ما اغزرها يا لعظمة هذا الجنون والتهديد بان ما اوفرها حقًا ان ذلك هو
جنون رئيس الشعب ذلك المدعو دورسيوس الخبر عنه بلينيوس المؤرخ فهذا
الغبي كان له غريم شديد الباس جدًا اسمه كونتيوس قد عجز شيبيون عن الانتقام
منه والظفر به كليًا فلما ابصر دروسيوس انه قد انسدت عليه كل الابواب ليأس اليه او
يهدم شانه بنوع ما (فلاحظوا عظمة الجنون الذي سقط فيه) عند ذلك شرب
دمًا من عنز بنتنة دمًا مسمومًا ومكروهًا من الطبيعة وهكذا سم نفسه تعمدًا واماتها
وذلك رجاء انه سيتهم فيما بعد غريمه بقتله ويقاصص في المحكمة فهنا قال يوحنا
الذهبي الفم ليس مثل هذا الصنيع هو صنيع من هو اوفر جنونًا من كل ستهو بل من هو
قاطع رجاه بالكلية فاي جنون اعظم من هذا يا ايها الانسان الغبي وهو ان تقاصص
نفسك اذ تظن انك تنتقم من غيرك انتهى واما اولوا لقول الاخر اعني بهم القايلين انهم
اذا انتقموا من غريمهم او عدوهم فليس لهم شي يخسرونه بسببه لانهم عايشون وحدهم
ومنعتقون من كل شي ليس لهم اقارب يخشون من ان يوخذوا بذنبهم ولا لهم ارزاق ولا
املاك يبالون منها ولا عيلة يهتمون بها ومن ثم اذا مات غريمهم او دم فلا يبقى في العالم
احد اخر يخافون منه ويتوقونه فنقول لهولا اجيبهم ايضًا قايلًا انكم اذ تكلمتم هكذا اخوتي
الي اذا احكم بان شمس التهدي لم تغب عنكم فقط كما ظننتم انفًا بل انها اظلمت فيكم ايضًا
ودخلتم في ليل مقتم مدلهم ليس فيه لمع نور بالكلية افلا تخافون يقول الرب فاذا ان
كان لا يبقى في العالم احد تخافونه فتحذرون منه ولكن يبقا الله عز شانه الالهي افلا تخافونه
تعابير باتقامكم السري ايضًا من غريمكم ولو كان سريًا عليكم وظالمكم لكنكم حقًا تستصعبون
جدًا ان تطلقوا العنان لشهوة الغضب السيئة المهلكة

العدد ٤

ولنوردن هنا مثلًا لتستنتجون منه كم هي عظيمة تلك الاهانة التي تهينون بها الله عز اسمه
باتقامكم من عدوكم بسلطان نفوسكم كما تقدمنا فقلنا فلنفرض ان ملكًا قديرًا وجليلًا ايضًا
احب واحدًا من عبيده جدًا فخاطبه في ذات يوم لكي يظهر له حبه قايلًا انني اريد يا صاح
ان اقيم معك عهدًا ولاجل ذلك اسمع ما اقوله لك فها انا قد قصدت ان اجعل
انا دعى في كل ولايتي بهذا الامر وهو ان كل من يتجاسر ويتهاون بشخصك يكن ايضًا متهم هذا

محسوبًا

محسوبًا ضد شخص الملك وكان متهاونًا بي لا بك وبالتالي يكون قصاصه نظير من
يحتقر شخص الملك ويهينه غير اني اريد منك شرطًا واحدًا فقط لكي يتم هذا العهد
ما بيني وبينك وهو هذا اي ان تعدل لي عن الحق الذي لك في الانتقام من ذلك الغريم
لكوني احتسبه غريمي والاساية التي اتصلت لك منه فهي متصلة بي ولذلك انا
اريد ان اتقم منه عنك قولوا لي لو تكلم ملك ما هكذا مع عبد حقير ذليل اما كان قد شرفه
بهذا ورفعه الى كرامة عظمى وان افترضنا بهذا العبد انه رذل هذا الشرط كانه ثقيل
وعسر عليه ولم يرض ان يعدل لمولاه عن حقه لينتصر هوله بسيفه الملوكي اما كان
يحسب عبدًا جاهلًا مجنونًا عديم نور الرشد والتمدي بالكلية ومن جرى فعله هذا
اتظنون ان الملك ولو مهما كان حليمًا رأوفًا هل يعود فينظر اليه بوجه باش ويوده
ويعتني بشخصه وينعم عليه كما كان يعامله سابقًا كلا بل بعكس ذلك يطرده من خدمته
لانه غير اهل لها ويصير هو غريمه ومضطهده قبل الجميع ويعدل عن حمايته مغضبًا
فهذا عينه ما نحن في صدده على ان الله لقد اقر علانية ان كل زلة تحدث لنا من الغير
او اهانة فيحتسب ذلك لنا من الغير كانها واصلة بذاته القدوسة وهذا محقق تحقيقًا
كليًا وقد شهد فيه من جملة العلماء والاباء القديسين سلبيانوس الجليل في السفر الثامن
من الامثال قايلًا ان الله الكلي الحلم والرأفة اشترك مع عبيده في الكرامة والحقارة ولهذا
لا يظن من ياسي الى عبد الله انه ياسي الى الانسان فقط لكن الى الله ايضًا انتهى ومن هنا ما
من احد يهيننا ويسخطنا الا ويهين الله ويسخطه لانه لا يوجد خطية تضاد القريب
من دون ان تكون تضاده تعالى ايضًا على حد سوى وذلك حسب قول من هو اعظ
القايلين في انجيله المقدس هكذا من اهانكم فقد اهانني وان كان ذلك كذلك فاية محبة
اعظم من هذه عاد يمكن ان يظهرها لنا واما نظرًا الى الجهة الاخرى فنقول كما انه شهد
واقر علانية ان اهانتنا تكون اهانته فمن ثم اراد ان تحفظ له بمفرده النقمة والانتصار
بقوله لي النقمة وانا اجازي فاذًا اما يكون له سبب شرعي ان يسخط علينا حينما لا نرتضي
بهذه السنة او هل يكون عز اسمه قد حملنا بها نيرًا ثقيلًا او لعله انزل بنا ضررًا او ظلمنا
ولذ كنا اذًا لا نرتضي جميعًا بهذه السنة المقدسة الموافقة لخيرنا فهل يوجد احد
يظن في نفسه تعالى انه من هذين الامرين وهل اما انه تعالى عز اسمه عاجز عن حمايتنا والانتقام

عنا اما انه لا يعنيه عارنا واهانتنا ولا يشعر بهما ولكن من ذا الذي يقترب بهذا الجنون.
والتهور بان الفظيع ليلقيه في هذا الاثم الجسيم حتى يظن في الله تعالى هكذا اسالوا القديس
يوحنا فم الذهب فتسمعوه يجيبكم قايلاً ان الله سبحانه مستعد طبعاً الى ان يستشعر
بالاهانات التي تحدث لنا استعداداً اعظم مقداراً حتى انه يهتم باوفر سهولة الى ان
ينتقم عنها اي عن الاهانات الواصلة الينا اكثر من انه ينتقم عن التي تتصل اليه ولنوردن كلام
القديس المقدم ذكره المحرر في ميمر ٢٣ من تفسيره لسفر الخليقة حيث يقول ان الله تعالى من
عادته ذاتاً وغالباً ان يصفح غافراً عن الخطايا التي تصدر ضده اما الخطايا التي ترتكب
ضد القريب فيفحص عنها بصرامة عظمى واثباتاً لذلك اعتبروا ما يخبرنا به الكتاب المقدس
عن قايين بكر اولاد ادم فهذا الشقي ارتكب اثمين عظيمين جداً احدهما ضد الله عز شانه
خاصةً وكان احتقاره لعظمته الالهية بتقدمته اخس القرابين وثانيهما ضد القريب وكان
قتله لاخيه حسداً فانظروا الى تاديبه فمن لا يحكم انه كان من الواجب انه تعالى يغتاظ اشد
غيظاً من اثم قايين الاول لكونه صدر ضده عز اسمه على خط مستقيم فكان اول اثم
صدر في العالم ضد الديانة ومن ثم يبان انه كان مستوجباً قصاصاً غريباً فريداً يذكر
الى الاجيال الاتية تعليماً للبشر ليحفظوا الاحترام الواجب لعبادة الله جل شانه ومع
ذلك جميعه قال الذهبي فم لاحظوا الله تعالى كيف انه لم يظهر انه استشعر بالسخط
الاجلهم قليلاً ولم يفعل معه شيئاً اخر سوى انه قال له قولاً بسيطاً فقط اخطات ولم
يعاقبه عن ذنبه بمقام قاض لكنه نصحه عليه بمنزلة صديق واما اذ تمرد هذا الشقي
المنكود حظه على هابيل وقتله فمن ما استطاع انسان يمسك سخطه ويخفيه في
قلبه الالهي بل لعنه بفمه الاقدس وطرده من امام وجهه وقضى عليه بالهرب و
الجولان في البراري بمنزلة وحش واديب بارتعاش القاه في بدنه ولم يدعه
حياته كلها ان يستريح من قلق وبحس باطن لا ليلاً ولا نهاراً فكيف اذاً يسوغ لكم
ان تظنوا في الله تعالى انه لا يعنيه عاركم واهانتكم بعد ان عرفتم انه عز اسمه قد دقق
في قصاص الاثم الذي صدر ضد القريب لا في قصاص الاثم الذي صدر احتقاراً محضاً
ضد الوهيته الرهيبة وان كان ذلك كذلك فلماذا اذاً لا تسلمون بيده كل دعوى
تدعون بها فمع كونكم عبيداً اذليلين حقيرين افيليق بكم ان تختلسوا لانفسكم سلطان

المولى

المولى الاعظم اليس ذلك عجرفةً وعصياناً على محكمته الالهية وعدم قبول حمايته
القديرة ومن ثم فاقول لكم مع ترتوليانوس اي اكرام نسديه اذا نسبنا لذواتنا
سلطة الحماية وان كنتم تتصرفون من تلقا نفوسكم بوظيفة القضا في الاهانة التي ترد
عليكم وانتم تقيمون عنها الفحص وبذاتكم تحكمون برايكم فيها ثم انكم انتم ايضاً تتممون
حكم شرعكم بالعمل بايديكم فما هو الذي تبقونه لله تعالى من العمل غير انه يجلس بطالاً يرصد
خصامكم وشرعكم عوضاً عن كونه القاضي الاعظم الخالي من مشارك له في القضا وان كان
هذا صنيعكم فلا ينبغي لنا من الان فصاعداً ان نتعجب وننكر كل يوم تلاوة الزبور
قايلين مع المرتل اله الانتقام الرب اله النقمة لانكم انتم لستم تريدون تعرفونه بهذه
الصفة اي باله الانتقام حيث انكم لا تدعونه ان يدين ويقضي بحرية بل تستلبون
من يده السيف لتضربوا به من تريدون وكيفما تريدون اما كم يجب ان يجلب سطوته ان
يسخط ويحتمي غيظاً من قبل افترائكم هذا الممقوت على حقه الالهي الشرعي اذ تختلسون
منه تعالى سطوته ولكن من ذا الذي يجهل ان هذه صفة يغار محامياً عنها على الدوام كل حاكم
ومولى فهذا هو الذي تربحونه لماذا تريدون ان تنتصروا لانفسكم واما اذا امتنعتم
عن ذلك فان الله سبحانه يكون محامياً عنكم وهو ينتصر لكم منتقماً من المفترين والا فيكون
الامر بالخلاف اي انه تعالى يحامي عن غريمكم وينتقم له منكم فاختاروا واما تستجوبونه من هذين
الامرين الى ان ترضوا اما ان يكون الله معكم على اعدائكم واما ان يكون عليكم مع اعدائكم فافتكروا
جيداً لانه ليس لكم من هذا الطلب مهرب ولا مفاص يجب عليكم رغماً عنكم ان تختاروا
احد هذين الامرين المذكورين وهل انتم عديموا الحكمة والصواب بهذا المقدار حتى
انكم تخشون من ان يكون لكم انسان عدواً ولاجل ذلك تجدون مجتهدين على دماره
ودثاره ولا تخافون من ان يكون الله الكلي القدرة عدواً لكم ومن ثم لا تتوقون سخطه
عليكم اسمعوا ما قاله هو تعالى نفسه على فم اشعيا النبي من انت لتخاف من انسان مايت
ونسيت الرب صانعك ولكن ربما تحتجون قايلين انكم دون ان تاخذوا الثار بيدكم
فان شانكم يهدم وتخسرون كرامتكم ومن حيث انكم انتم المهانون والمتعدى عليهم من
غيرهم فلاجل ذلك يجب ان تهينوه وتضعفوه والا فتعدون اضعف منه من حيث انكم
ترفعون نصفكم الى الانتقام على يد قوية قادرة بهذا المقدار اعني بها يد الله الكلي

العظمة والقوة فاجيبكم سايلاً هذه هي الحجة التي تحتجون بها نعم ان هذه حجةٌ قوية
مقنعة لست انكر ذلك ومن ثم يجب علي قبلاً ان افرح معكم واهنيكم على ان هذا الفعل المر
من افعال العار والفضيحة الذي تابون منه عن ان يلتحق بكم وكانه نفور المواظبة على التردد
في المواخير النجسة والحديث السفيه وامساك اجرة الفاعل عدة اشهر او سنين عدة
والسلوك بالكذب والافك مع البشر والمحاماة مع اناس ولو كانوا ادنى منه نسباً لاجل
الطمع بل اتهام الابرياء حسداً وبغضاً ومنع صدقة الخير بالمكر والحيل افليست هذه الاشيا
جميعها عاراً ولا هدماً للشان والكرامة ولكن يا للعجب من كونكم ترتكبون بعضاً من الجراير
الفاضحة المذكورة من غير خوف على ضرر نفوسكم اي الصفح عن غريمكم ومع هذا تخافون
من ان ترتكبوا فعلاً واحداً فقط من العار لاجل خير انفسكم اي الصفح عن غريمكم ولكن ما بالي
اقول فعلاً واحداً من العار لانه من اين تستنتجون ان الصفح عن غريمكم هو عار يهدم شانكم
والحال ان الله تعالى دعاه بخلاف ذلك في الكتاب المقدس اي انه سماه شرفاً لكم ومجداً وافراً
وذلك بقوله شرف للرجل ان يرجع عن الخصومة ام لعلكم تستنتجون ذلك من سُنة
العالم التي تنادي قايلة هكذا ان مصالحة العدو والصفح عنه عار للانسان واتلاف لجاهه
ولكن انكلينا انفاراً حقيقيين غيرنا اشرف منا جداً قد مارسوا هذا الفعل الحميد اعني الصفح عن
غرماهم خلوا من ان يقل شانهم وتنهدم كرامتهم حتى ولا عند اولي العالم ايضاً فهل يسوغ لنا
نحن ان نمتنع عن ممارسته ماذا تقولون وباي جواب تجيبون على انه بحسب زعمكم ينبغي
ان يُحتسب قليل الشان ومهدوم الكرامة من هم اعظم القديسين اعني بهم باسيليوس
والنازينزي واثناسيوس وفم الذهب لكونهم تركوا لنا امثالاً جليلة في المغفرة للاعداء
لعمري ان جرادوس اسقف كنوديا قد كان حليماً بهذا المقدار حتى انه في ذات يوم اذ كان
بعض انفار من الشعب يرشقونه بالحجارة كان هو يردهم بالبركات ليت شعري هل بذلك
هدم شانه ومثله القديس امبروسيوس اسقف مديولان قد كان رؤوفاً بهذا المقدار حتى
انه استمر زماناً مديداً يقوم باود خاين مكان يدبر عليه فخاخاً لميتته بغضاً وعدواناً وهل
حُسب بفعله هذا خايناً وجباناً ومثلهما اكاكيوس اسقف اميدا قد كان متضعاً ووديعاً
بهذا المقدار حتى انه لكي يفيت بعضاً من المنهزمين من الترم لتفاقم فاقتهم انه يكسر اواني
التقديس ويبيعها فهل تلف صيته من ذلك واضحى عند الناس معيرة فاذا نعوتم هولا

قليلي الشان والقيمة فيكون ايضاً عندكم قليل الشان كرلوس الكبير ملك اسبانيا والنمسا
معاً على ان هذا الملك العظيم لما لُطم خده يوماً ما بغتة من احد الاشخاص فبدلاً من ان يغضب
على اللاطم وينتقم منه اجابه بجواب وديع وراس منحني على مثال سيده الذي اجاب العبد
الذي لطمه في بيت رييس الكهنة ومثله يكون بحسب زعمكم قليل الشان ايضاً الاوين وذكرتا
والسكندريين الجبابرة العظيمين الذين احدهم صان حيوة مضطهديه والاخر وهبهم
مالاً وفضة وفرتهم واخرقاهم الى مناصب عالية فماذا اذاً تقولون لعل هولا الانفار جميعهم
عكسوا شانهم وقللوا جاههم لانهم رذلوا سُنة العالم الباطل واطاعوا تعليم المسيح وناموس
المقدس ولكن ها انا اجعلكم انتم ان تحكموا وتدعنوا الى بالحق فلنفرض ان هولا الانفار
الجليلين المقدم ذكرهم ابوا عن ان يغفروا لاعدايهم ويحسنوا اليهم وعوضاً عن المغفرة
اسوا اليهم ودمروهم وظفروا بهم بل اماتوهم ايضاً بايديهم فهل كانوا حازوا ذلك شرفاً وافراً
ومجداً اعظم انطقوا بالحق لكونكم الترمتم ان تحكموا هنا بحسب الضمير الصالح و
احتسبوا من اي فعل تحتسبونهم قد تمجدوا مجداً اعظم أمن انتصارهم لكم ايديهم قد
تلطخت من دم اعدايهم كما يفعل البرابرة سكان الفيافي ام من اظهارهم لكم قلوبهم نقية
بريية من البغض والحقد ولكن لاجل انني خايف من ان ترفضوا عن الحق بزعمكم ان الانفار
المقدم ذكرهم كانوا جميعهم من اهل الاكليروس ومن ثم لم تغلبهم شهوة الكرامة وحفظ
الجاه العالي نظيركم ما عاربتم لانه لا ينبغي لهم ان يطلبوا ذلك نظير العوام فاقول لكم انه لا يمكن ابطال
زعمكم هذا واثبت لكم ان حجتكم هذه باطلة من هذا الوجه نفسه وهو ان اهل الاكليروس
هم اناس ايضاً مثلكم ويحبون شانهم ويعتبرونه بل يلتزمون ان يحفظوه سالماً بجميع الطرايق
الممدوحة ولكن فلندع هذا الوجه جانباً ولنورد على مسامعكم اخبار العوام الذين منهم
ويتشسلاوس النبيل امير بوهيميا فهذا كان علمانياً وكان اخوه بوليزلاوس الشرير
يبغضه ويضطهده حتى الموت ومع ان ويتشسلاوس كان قادراً على ان يظفر به
فينتقم منه لكونه حاكماً واميراً فمع ذلك لم يزل الجهد المكاري في طلب يرحمه ما البتة لشانه
والكرامة التي كان يستقيمهما السلاطين بجمعه ويرده عنه بالحسنى والعذاب عوان
جسده وهذا اضحى حقاً ويل الامر لانه لما كان في احد الليالي لاحقاً وحده من زيارة
الكنيسة دسه متسرباً لا غلقان خنجره بهيئة سايح تايب بانواب جليلة

تليق بالحكام وذوي المناصب وإذا ببولينزلاوس أخيه خرج من الكمين وهجم عليه بسيف
يحرد وضربه به فتحول حالاً وينشسلاوس بخفة ورشاقة عظمى فلم تصبه الضربة
تماماً بما أنه كان ذو شجاعة عظمى وقوة قلب ليست بقليلة ومع ذلك وقد كان خالياً من كل
سلاح انثنى إليه بغتةً وصرخ عليه وصرعه على الأرض وربض فوقه ثم اختطف
منه السيف بقوة شديدة جداً فانظروا ها هو ذا المنافق المفتري تحت أقدام البري
فما هو الذي يجب على وينشسلاوس أن يفعله بالسيف الذي بيده شوروا عليه أنتم
أيها السامعون وخاطبوه عما يلزمه أن يفعل ليصون صيته ولا يهدم شأنه فهل ينبغي
له أن يضرب به أم يغفر له ويبقيه في الحيوة ولكن اسمعوا ما قد صنعه معه فقال ح
لأخيه الخاين الماكر انهض يا أخي وقف مستوياً ولا تجزع مني على أنه وإن كنت أهنتني
وعزمت على قتلي مكراً ولكن أريد منك هذا فقط وهو أن تذكر أنه خير للإنسان أن يموت
موت هابيل ولا يعيش عيشة قاين ولذلك كنت مع ذلك تريد أن تعيش كمثل قاين
فها هو ذا رد لك السيف فارجع في غضبك وسخطك يا أيها المنكود الحظ واشبع و
اسكر من الدم المتعطش إلى إهراقه قال هذا وطرح أمامه السيف وانصرف عنه ماشياً
بخطوات هادية ذات هيبة من دون خوف وترك أخاه في مكانه صامتاً من الحيا وجامداً
من الخوف فما هو رأيكم الآن فيما فعله وينشسلاوس هذا البطل الصنديد نفساً وجسماً
ولكن هات نحتسب أنه فعل بخلاف ما فعل ونقول إنه حينما كان غريمه منصرعاً تحت
أقدامه لو أنه بل نصل السيف في قلبه أو قطع به عنقه أو قلما يكون أسره وقيده وأتى
به بين جنوده ليأخذوه مكتفاً ويسجن في حصن ما شامخ فهل كان حاز مجداً وثناءً أعظم
مما حازه برده له السيف نعم إني لعارف أنه لو اقتصت هذه العظة عن أخيه قصرت أجله
فيما بعد لأن أخاه ذلك الخاين واللئيم مع أنه بان في ذلك الحال أن قلبه لان وتأسف
على ما كان نوى عليه من الشر فعاد ليس بعد زمن كثير إلى نفاقه القديم وأكمل
بالفعل قساوته المرتبة في أخيه البري لكن مع هذا جميعه لعل وينشسلاوس
قلت قيمته عند البشر أو هدم شأنه من كونه غفر لأخيه عدوه وفي خطر هكذا
واضح على حياته مع أنه كان يستطيع أن ينتقم منه عدلاً وقسطاً ويعيش
بأمان وراحة فما هو رأيكم وما هو جوابكم أنني لا أظن أنكم تصفون بوخامة هذا

عظم

عظم مقدارها حتى تقولون إنه لقد كان حصل على مجد أعظم بانتقامه من عدوه
مما حصل عليه من الصفح عنه ولكن مع هذا جميعه إذا أردتم أن تعاندوا وتخبروا برأيكم قايلين
إنه قلما يكون بحسب ناموس العالم على أنه عار على مثل هؤلاء الأنفار النبلا المذكورين
أن يخضعوا مسامحين لغرمايهم فأجيبكم قايلاً فما هو إذاً الشرف العظيم الذي يمكن
أن يساوي العار الحسن المذكور الذي تقولون أنتم أنه يلتحق بالأنفار الأكابر النبلا
من غفرانهم لأعاديهم فهل يوجد من يستحي من أن يلطخ بعار هذا فإن كان يوجد
فليستحي من ذلك وإنني أدعه أن يشترك بمجد آدوردي باداق ولويماك وريجيعا
وغيرهم من الحكام والسلاطين الذين أضحوا في العالم آية غريبة في القساوة وأما أنا فإني
راضٍ بأن أشترك بعار الأنفار الذين ذكرتهم الذي هم مثال الحلم والرأفة لأني عارف
أن المتعظم في الناس هو رذل عند الله فهذه هي الآية العظمة من نطق بها يا أيها
السامعون نعم إنها قيلت من أحد العلما المتأخرين أو أنها قيلت من أحد العلما الأ
الأقدمين لا لعمري بل إنما هي قول المسيح رب البريات وإن كان يوجد من لا يصدقني
فليذهب ويقرأ من الإنجيل المقدس في الإصحاح ١٦ من بشارة لوقا فيجد ما قلت محرراً هكذا
المتعظم في الناس رذالة عند الله ومع ذلك جميعه أما تستغربون بالحق وما تتعجبون
ما هو الشرف الحقيقي حقاً إنني لمتأسف على ضلال البشر الذين يجعلون مجدهم في
الارتفاع على أعاديهم والفتك بهم وبعدها هم ويجازون على ذلك بالهلاك الذي
لا يزول والحال أن ما هو بحسب لغتهم الملتوية يدعونه مجداً وفخراً ليس هو قدام الله
سوى رذالة وحقارة هل التعظم في الناس هو رذالة قدام الله أي نعم إن التعظم
في الناس هو رذالة قدام الله وأما أنتم إذ قد اخترتم لنفوسكم هذا المجد الهالك فا
بقوا لذواتكم وأنا أهبكم إياه أما أنا فأريد أن أكون مهاناً ومعيباً مع تابعي سيدي الحليم
لأنه ما أحسن هذا الكلام الإلهي المقال في أمثال سليمان خير التواضع مع الودعاء من
قسمة الغنايم مع المتكبرين لكن مع هذا جميعه لست أستطيع أن أسلم
لكم كلياً بنيل هذا المجد الذي تحرزونه وها أنا أسألكم قايلاً أتظنون أنكم بالمغفرة لأعاديكم
تخسرون شأنكم عند كثيرين من الناس المعروفين منكم ولا تحرزونه أيضاً عند غيرهم
كثيرين من الانتقام لعمري إنكم ضالون إن ظننتم ذلك لأنكم إذا انتقمتم من أعاديكم فأصدق

ان اوليك الاشخاص ذوو حكمة يقولون عنكم انكم اناس ذوو جرأة وشجاعة غير انهم
لا يقفون عند ذلك بل يقولون ايضاً انكم مع شجاعتكم هذه فانتم اناس غضوبون و
حشيونة الطباع سفاكوا الدماء ثم يقولون في ذمهم لكم انكم في غيظكم تماثلون الطبع
التسابجي السريع الخلق لا شيم الرجال المهذبي الاخلاق والمتملكين هدو العقل و
رصانته وبالتالي يستهينون بكم على انكم مع كل التاديبات التي قد درست لكم من جميع الاسباب
التي عرضت عليكم المصالحة مع اعدائكم لم تقدروا ان تفتكروا بشهوة الغضب لتعزموا
على ممارسة الرافة الممدوحة التي مارسها داود مع شاول عدوه ولوتيبانوس مع كيرس
وفيلبس مع نيكانور وقيصر مع مرسللوس. بل يقولون انكم تعلمون ما قد عرفت ان تفعله
ايضاً الافعى والدبور ضد كل من يلمسها وان كنتم انتم انما تفتخرون بذلك فالفخر الاعظم
يجب ان يكون للحيوانات التي من طبعها ان تخيف او فرخوفاً لان هذه بمقدار ما تخيف
بمقدار ذلك تستشعر بالافترى عليها فلئن كان اذ ايتكلم فيكم على حد سوى الصالحون
والحكماء اذا انتقمتم والاغة والجهلة اذا غفرتم اما هو خير لكم ان تدعوا العامة تتم بكم
لا الحكماء ذووا الراي السديد. قلت العامة الجهلة لانه اذا لاحظنا بعين الاستقامة
لنرى منهم اوليك الذين تخشون غيظهم وتعنيفهم هل هم ممن يماثل قسطنطين ويو
ستينيانوس وثاودوسيوس وغيرهم من الملوك المعظمين الذين قد صاروا المسيحيين
العوام مثلاً صالحاً في تعليم ماهية الشرف والتقوى ايضاً كلا لان الذين هم من هذه
الرتبة لا يبيحون لانفسهم ان يتفوهوا بشي يذمون به الصفح والغفران للاعداء على
انهم من حيث كونهم انفاراً ذوي حكمة وتقوى وافرة يفهمون جيداً ان كل فعل صالح نظير
الغفران للاعداء الذي يفيد فاعله الافتخار ويجلاً. اما الذين انتم تخشون مذمتهم فليس هم
سوى اناس من رعاع الانام او قليلي الديانة وضعيفي الايمان ومن هما يماثلون الوثنيين
بالاوصاف وعاصيين على تعاليم الانجيل المقدس المتنزهين بحفظ وصاياه اسمعوا كيف
يصف مثل هؤلاء مار بولص الرسول في رسالته الاولى الى تيموثاوس ص ٦ ع ٣ قايلاً ان كان
احد لا يسمع لكلمات ربنا يسوع المسيح الصحيحة والتعليم الذي هو بحسب التقوى
فان هذا هو مستكبر غير عارف شيئاً فما احسن ما نعتهم بهذا الرسول المعظم بقوله ان
كل واحد منهم ينبغي ان يحسب مستكبراً متعجرفاً لا يعرف شيئاً وجاهلاً غبياً لا يصلح لشي

اليس

اليس ان هؤلاء او من يماثلهم هم الذين تحبون ان تتبعوا رايهم كانهم قادة عميان
وتحسبون فيهم مجدكم وحمدكم وتطلبون منهم الثواب والاجر

العدد ٣

لكن كان بعد هذا كله لا تقتنعون من الاسباب الموردة في وجوب الغفران الى الاعدا بل
تلبثون مصرين على العناد بقولكم انه بالغفران تخسرون من كرامتكم اكثر مما تخسرون بالا

نتقام

فليكن لكم حسب قولكم ولكن ما الذي تستنتجون من ذلك هل تستنتجون انكم تريدون
ان تطيعون وصية المسيح الصريحة الواضحة فهذا امر لا يجوز لكم لانه ينبغي لكم على كل
الوجوه ان تحنوا روسكم باتضاع وترتضوا ان تخضعوا لله تعالى عاطفتكم هذه المايلة بكم
بافراط نحو حب الجاه والكرامة وان قلتم ان شانكم بهذا ينهدم فلينهدم لان هذا هو الطريق
الذي ينبغي لكم ان تبلغوا به الى السما نعم انه طريق ضيق وعسر وكرب لكن كيف العمل فنحن
نعلم انه ما من احد بلغ الى الملكوت ماشياً على زهور وعشب رطب مخضل لكن مجرحاً و
مشهماً بالشوك لان الله تعالى قال بلسان باروخ النبي في ص ٤ والعدد ٢٦ ان متنعمي
سلكوا بطرق صعبة اعتبروا القديسين والقديسات الحاصلين الان على اوفر نعمة وافتكروا
باية طرق نالوا الملكوت لعمري ان النظر اليها يرعب القلب على ان القديسة ليدونيا لكي
تربح الملكوت احتاجت الى ان ترتضي بان تستمر طريحة على فراش نقريباً ثمانية مدى
٣٨ سنة منحلة من البرص ومضنوكة من اوجاع الامعاء ومأكولة من قروح الاكلة ومعذبة
في حصار الطبيعة حتى انها اضحت صورة الموت وهي حية وهكذا وعلى هذا الحال القد
سلكت بطريق صعبة والبار دريسيوس لكي يربح الملكوت اضطر الى ان يحتمل بحسن الصبر
العزلة عن الاسقفية بمنزلة مجرم مفضوحاً لعلة تهمة باطلة وهذا ايضاً اما سلك
بطريق صعبة والقديسة كاثوركيوا لكي تبلغ الملكوت التزمت ان تحتمل بعلها الظالم
الذي كان يضطهدها بقساوة مريعة ويعذبها عذابات مرة كانها امة يبيعة وهذه
ايضاً لقد سلكت بطريق صعبة ومثلهم القديس تيبورسيوس لكي ينال الملكوت اضطر
بان يمشي على الجمر المتقد حافياً والقديس وينشيسيوس الشهيد من اعدائه على صفايح حديدية
محمي والقديس ثاوضوروس التزم بان يشرب الرصاص المذاب بالنار والقديس كليمنضوس
اسقف انكرا اضطر بان يستقيم ٢٨ سنة محتملاً كل نوع من الشدايد والعذابات القادحة
واحداً فواحداً وذلك كعذاب الامشاط الحديدية والكلاليب والتخديش بالسنة الدوالب

والحريق بالكبريت والمشاعل وتقطيع الاعضا بالسكاكين وما يماثل ذلك من اصعب الموتات
فحقا ان هولا قد سلكوا بطريق صعبة واعلموا هذا متيقنين ان هولاء المذكورين
جميعهم وغيرهم ايضا ممن لا يحصى عددهم لم يحتملوا كل هذه العذابات والموتات عبثا
ولا اختيارا بل احتملوها التزاما واضطرارا ليربحوا الملكوت اذ انهم لو قالوا للمضطهدين من
اننا لا نشا ان نبتاع مجد السما بهذا الثمن الغالي لما كانوا الان يفرحون مع الملايكة
بهجة بحيث بل كانوا يتعذبون الان مع الهالكين مولولين فهل عاديا ان لكم اذا امر
عظيم ان اقتضى منكم ربح الملكوت السموي خسارة يسيرة من المجد العالمي وربما لا يوجد
من يظن بكم انكم امتنعتم عن الانتقام لا طمعا في الفضيلة وتقوى الله بل لقلة الجراة او
لسبب العجز ولكن ان حصل لكم من ذلك اذ كنتم محتاجون لان تصيروا وتدعوا العالم
ان يظن بكم هكذا افلا يستحق ان يشترى خير ابدي باحتمال شرور زمنية ولو مهما كان
ذلك الشر فالخلاص بصبركم تقتنون انفسكم ولكي اختم معكم الكلام
اسالكم ان تجيبوني ان استطعتم على هذا البرهان الاخير الوجيز الذي انا مستعد ان
اورده لكم بمنزلة حربة مسنونة لاجرح به قلبكم وهو انه لمن المحقق انكم ملتزمون باحد
هذين الامرين وهما اما انكم تخسرون من كرامتكم باعراضكم عن الانتقام واما ان الله تعالى يخسر من كرامته
اذا انتقمتم فاي امر من هذين الامرين يبان لكم الاوجب هل خسران كرامتكم ام خسران الله كرامته
اي نعم قد علمت ما قد احببتم ان تجيبوني وهذا هو قولكم فلتبد كرامة الله وتسلم كرامتنا
فلتبد كرامة الله وان كان هذا رايكم فلم يعد لي شي اخاطبكم به لقد ختمت كلامي ونجيته
فيا سيدي ومفتدي المسكين ما هي الفايدة من تعبك وعناك مع هولاء الانام الذين
تامرهم وتوصيهم وترغبهم في ان يغفروا احبابك لاعاديهم وما الذي ترجع من تكرارك
عليهم قولك هذا الالهي انا اقول لكم حبوا اعداكم كفى يا الهي واوجز خطابك اعني
قولك انه حقا يا سيدي انني اشتهي لو يكون خرج من فيك هذا الكلام اصلا ثم اسالك
يا مولاي ان تعذرني عن استماعك اياي مخاطبا عظمتك هكذا احلو مضحيا نعم انني لعالم
انك انت القايل حبوا اعداكم لكن ما هي النتيجة من ذلك هل يسمعون كلامك اصاحم
يمتثلون طايعين ومرتضين بوصيتك فانت حقا هو القايل لكن من تراه منهم يبطل الحقد
انت هو الامر لكن هل يوجد من يرد سيفه الى غمده انت هو الحاكم والجازم عليهم لكن ذهبت

ان يرجعوا عن طلب الانتقام والاهانات والتجريح وسفك الدم والقتل كما نووا فيما
مضى اما يا ايها الخير الاعظم المهان كفى من قولك انا ولا تدع وصيتك هذه ان تخرج
من فمك المقدس لان شعبك المسيحي يعتبر جزءا يسيرا من شانه وكرامته اكثر مما يعتبر
اقوالك او مشورتك او وصاياك اما تذكر يا الهي ما اورده ارميا نبيك قايلا ها ان
قول الرب صار لكم عارا فلا يقبلونه ومن ثم يدعوك انت تهان وتعير ولا يخشون من ان
يقاوموك جميعا قايلين انك تامرهم بامر صعب وعسر ممارسته لانه يسموا اقانيم نقطع
لكن يصدر لهم منه عار وفضيحة فما الذي تجيبه يا سيدي عن احتجاجاتهم اروم
يا الهي ان بكلمتك هذه فقط التي هي وانا اقول لكم ان تسد افواههم كما كانت تفعل
الفلاسفة الوثنيون القدماء حيثما كانوا يقدمون هذا المجد والفخر لبيتاغورس الفيلسوف
اذ انهم بقولهم هذا فقط (هو قال) مشيرين الى بيتاغورس المذكور كانت تنقضي
كل المشاجرات التي كانت تصير فيما بينهم في الجدال اما انت يا سيدي المحبوب يا من
يجب له كل كرامة ووقار فكانك خال من هذه القيمة والاعتبار ولهذا لا تستحق من
علمانينا المعظمين ان يذعنوا لكلمتك لانهم يدعون بانهم يدركون ماهية الشرف والمجد
اكثر منك فانت الذي ولدت في الاصطبل ما بين البهايم وتربيت في حانوت النجار ومات
بمنزلة مجرم مفضوح مصلوبا على خشبة ما الذي تعرفه من الجاه والكرامة فيا ايها
المسيحيون الصالحون هوذا قلبي قد تمزق ولست ادري هل من جرى الغيرة في اكرام الله وحده
ام من قبل استماعي شتمكم ولاجل ذلك لست استطيع ان اعود فاخاطبكم ايضا
فهل تريدون ان تكونوا من مصاف هولاء الاشقيا الذين يخجلون المسيح بهذا النوع
اعجبوا انتم ايضا هانتم تعافوا وتعيروا لاجل اقامة قليل من شانكم وصيتكم فان كنتم لا
ترتضون بذلك ولا تغيب الشمس ابدا على سخطكم فهوذا اكرر عليكم ايضا هذه الوصية
الرسولية قايلا لا تغيب الشمس على سخطكم لا تجعلوا شهوة الغضب ان ترجعكم في ظلام
نقمتم بهذا المقدار وانا هنا استريح قليلا لكيما تتفكرون في ان تفعلوا ما يجب فعله بحسب
الحكمة الراهنة الواجبة وربما ان بعضا من السامعين

القسم الثاني

يقولون من عظتنا هذه انها لا تخصهم لزعمهم انه ليس لهم عداوة ظاهرة مع احد
فاجيبكم نعم انكم تقولون الحق بان ليس فيكم عداوة ظاهرة مع احد ولكنكم مضمرونها في

قلوبكم ليت شعري ما اكثر الذين يخفون الحقد والعداوة ويحجبونها داخل فوادهم
شبه اللغوم المخفية في قلب الارض غير انهم يراعون الوقت وينتظرون الفرص والاحوال
الملايمة فاذا حصلوا عليها فحينيذ يستبين المكر الذي في جوفهم قال الحكيم في سفر الجامعة
وقوله في غاية الصواب الغضب في حضن الغبي يستريح على انكم احيانا تعاينون و
احدا من هولا المحسوب من العالم حكيما ومن الله غنيا يخفي كراهاتٍ قديمة بصناعةٍ و
لباقة هذا عظم مقدارها حتى انه يمكنكم ان تقسموا عنه ان الحقد قد مات فيه لكن لا
تنغشوا منه فان الحقد فيه لم يمت لكنه يستريح في حضنه حسوة قليلا فتشاهدوه حالا
واذا هو قد انتبه من الرقاد وانما رايتم اخرين لا يقصدون اساءة غيرهم ظاهرا فانما ذلك
يكون عجزا منهم الا انهم نظرا الى قلوبهم يرغبونها له ويشتهونها وبالنتيجة يقتاتون
من البغض ويرتعون من الحقد واذا اتاهم احد بذكر من اغاظهم او اساء اليهم في الا يستقرون
بغليان دمهم وفورانه فيهم وانتجوا فهمنا هل يرتضون بان يخاطبوه والحال انهم لا
يشتهون رويته ولا استماع ذكره بل يمسكون عنه كل فعل من الافعال التي يجب ان تكون
مشاعة للجميع واذا فعلوا معه شيا من الامارات الواجبة فيقصدون بها باطنا انيته ليتعيقوا
فيما بعد ان يفرغوا فيه سمهم سرا وخفية الحل هولا لا يغيظون الله تعالى غيظا عظيما
جدا ما اكثر ما يضل مغرورا من يظن ان الله تعالى لا يغتاظ ولا يسخط جدا الا من الانتقامات
الباهظة والقتل والخطف وما ضاهى ذلك من صنوف القساوة والبغي اسمعوا ما تكلم به
تعالى بفم هوشع النبي قايلا اغضبني افرام بمرارته ها هو ذا يقول تعالى بمرارته ولم يقل
بسخطاته او بفظايعه لان تلك المرارات المتمكنة في قلوبكم التي لا تقصدون ان تزيلوها
منها كليا هي هي التي تغضب الله سبحانه وتسخطه وبعد ذلك جميعه كيف لا تخشون
من مباشرة الاعتراف وتناول جسد الرب وغيرهما من الاسرار المقدسة كانكم حمام وديعة خالية
من المرارة مع انكم لعمري حمام مخدوعة غير اني اسالكم لتجيبوني كيفما كانت الحقايد المكنونة في
قلوبكم عظيمة او خفيفة وخفية ام ظاهرة اما تريدون اليوم ان تهدوها للسيد المسيح الذي
يطلبها منكم بولس الرسول ها هو ذا عرضت عليكم مقاصدي التي قبلتها
منتهيا وانذرتكم بلطف ان تحبوا اعداكم فاي جواب تجيبوني به لا ادري لعله اتطيعونه غير
وجلين تخضعون له اتغفرون لاعدايكم زلاتهم اجيبوني ما هو الذي تفعلونه العلم حقي

العدد

بأن

33

بأن مرتابون وحايرون اللهم ما هذا الحال اما تعلمون انكم ملتزمون للسيد المسيح و
مديونون له بشي ما فهو تقدير اسمه قد كلفكم انتم وطلب الغفران لاعدايكم منكم لا من
غيركم قايلا وانا اقول لكم فلو انه تعالى طلب ذلك من ملت غريبة لم يكن فعل معها خيرا ما
وانكرته عليه فلا يكون انكارها عجبا عظيما لكن طلبه منكم ايها المسيحيون انتم الذين
منحكم الجسد والنفس والمال والصحة والاولاد واصدقاء والعلم والفطنة وساير
الخيرات التي تقتنوها في العالم انتم الذين من اجلكم احتمل اهانات ومشقات لا تحصى
وسفك من اجل افتداكم فيضا وافرا من دمه الالهي ومع ذلك جميعه اما يستطيع ان يناله
حق ولده منكم ايضا لقد استطاعت ابيغال الحزينة ان تنال اكراما الهامة داود في حال
سخطه وغفرانا لنابال بعلها في افعاله السيئة وعن كلام القذف والثلب الذي كان
صدر منه ضد شخص داود نفسه وامبروسيوس ايضا استطاع ان ينال من غرصيانوس
الملك ان يعفو عن سخرة شخصه الملوكي سخرية ظاهرة وقبله استطاعت جنوفيفا
الشقية ان تستمد من كلدفريكوس السلطان الصفح عن كثير من المردة الذين كانوا اهانوا
جلالته الملوكية وبالاجيوس الشماس بانطراحه عند اعتاب كنيسة مار بطرس امام مقدمي
توتيلا البربري الوثني وبواسطة كتاب الانجيل الشريف الذي كان حامله بيديه حاز منه
الرافة على مدينة رومية اسيرته وعدوته التي كان قد سخط عليها وعزم على احراقها
وخرابها اما السيد المسيح ربكم وسيدكم المتفضل عليكم فكيف لا يستطيع ان ينال منكم
اكراما له وحبا به ان تغفروا لغريمكم وتتركوا له القذف الذي قذفكم به والافترا الذي
افترى به عليكم او الاذية التي اذاكم بها وما هو الذي تطلبونه منه تعالى اما تطلبون منه ان
يحنو متضرعا امام موطي اقدامكم ليلتمس منكم هذه النعمة اي نعمة الغفران لغريمكم فهو في قلت
ان يفعل ذلك لا انه كان ما اتى ولا استبح من ان يحنو امام قدمي خاين غاش نظير يهوذاس
ليغسلهما وينشفهما ويقبلهما فعلى ظني انه لا يستحي جل ذكره من ان يرى نفسه جاثيا امام
اقدامكم ايضا غير انني اقول هل يلزم كل هذا لتحرضكم على ان ترضوه فيما يستميحه منكم يا من تدعون
بانهم اشرف العالم لعمري انني لم اشا اليوم ان اجعل البعض منكم ان يخزوا ويخجلوا بما اورده على
مسامع الجميع نظرا الى ما اعرفه محققا عنهم فاقول عوضه هكذا يا ايها الجهلة من الغنيا انه
لو يطلب منكم ما يطلبه المسيح سيدكم واحدة من النسا الشقيات تلك التي من فرط عشقكم

لهما يستبين كانكم تعبدون طلعتها وانتم مغرومين بجمالها او تداولون فيما بينكم من اشواقها
ورغباتها وتتمون رضاها وسرتها ما كنتم لعمري تدعونها ان تلج عليكم هكذا بالطلب
لتعطوها اياه وبعد هذا جميعه اتحوجون الله الذي طلب من اجلكم الى ان يطلب منكم بهذا
التكرار فيا لوفور خجلكم ويا لعظمة خزيكم وعاركم حقاً انه ينبغي لي ان اقول ايضاً اكثر من ذلك
لانكم انتم لستم ملزومين لله تعالى التزاماً عظيماً نظراً الى ما قبلتموه منه تقدس اسمه من الخيرات
فيما سلف فقط لكنكم ملتزمون له التزاماً ليس باقل نظراً الى ما انتم عتيدون ان تنالوه
منه تعالى من الانعام السموية فيما سياتي وتاكيداً لذلك ها انا اسالكم قايلاً هل انتم ابرار
صالحون بهذا المقدار حتى انكم ما افتريتم قط على الله تعالى لا بالفكر ولا بالقول ولا بالفعل
فان كان الامر بالخلاف فكيف اذاً تستطيعون ان ترجوا منه تعالى الرحمة والغفران لكن اسمعوا
ما يخاطبكم به بفمه العزيز نظراً الى نيل المغفرة قايلاً ان غفرتم للناس خطاياهم غفر لكم ابوكم
السموي خطاياكم فمن ثم قد تحقق لديكم من قبل الايمان انه اذا غفرتم لغريمكم فان الله سبحانه
يغفر لكم ايضاً ثم اردف قوله العزيز بقوله وان لم تغفروا للناس سياتهم ولا ابوكم السموي
يغفر لكم خطاياكم وقد تحققوا ايضاً عندكم من قبل الايمان ان الله لا يغفر لكم ان لم تغفروا انتم
لغريمكم فاصدوا لكم لان لا تتوهمون ان الله تقدس اسمه يتراف عليكم ويعفو عن جناياتكم
عليه اذا تختارون لنفوسكم الهلاك الابدي فان اخترتم ذلك فقد بطل الحديث معكم
فلتنفجر اذاً الارض ولتفتح جهنم وزجوا نفوسكم في تلك النيران الموعبة لتحترقوا بها الى الابد
لكن ان اردتم الرحمة من الله فترى باي وجه وباية دالة ترجونها دعوني اهتف هكذا
مع اغوستينوس المغبوط قايلاً باية دالة يستطيع ان يستميح غفران خطاياه امام
منبر المسيح ذاك الذي يقاوم وصيته ولا يرتضي ان يصفح عن اعدايه باية جسارة
تستطيعون ان تطلبوا منه الرافة وكيف يمكنكم ان ترجوها منه مطمانين ومع هذا جميعه
انني لمتعجب جداً من غباوة البشر وقساوة قلوبهم الصخرية على انه لا يوجد غالباً من يمسك
المغفرة من الناس الا اوليك الذين يحتاجون بها من الله تعالى ابلغ احتياجاً من غيرهم لعمري ان فيما
عيد لانا اورده عجباً عظيماً وهو ان الناس الاتقيا الصالحين الذين هم خاليون من الدين
لله تعالى ولا يحتاجون الى ان يطلبوا منه كثيراً الصفح والغفران لانهم ابرار صديقون
فاذا اهينوا يشكرون الله واذا لعنوا يباركون واذا عيروا او نالوا من احد سوا يكافون

مكافاة

مكافاة صالحة لانهم يخشون من ان يعاملهم الله العادل بالقساوة التي يعاملون
بها قريبهم اما نحن الخطاة القساة الاشقيا الذين لو لم يرفعوا استحقاقنا ويمسكنا من
شعر روسنا فنتبينا لكنا لكثرة اثامنا نهبط كل دقيقة في الجحيم فلا نطيق ان نسمع احداً
يكلمنا بالصفح ولا يوجد حجة ما تستعطف خاطرنا ولا كلمة ودادية تسرنا ولا سلطان
يزحزحنا عن عزمنا وكان لسان حالنا يقول فليامرنا الله بقدر ما يشا وليطلب منا
متضرعاً وليتوعدنا بجهنم ان اردنا القصاص ومع ذلك فلا نطلب الا دماً وموتاً وخراب
ان نشاهد خصمنا مدمراً بل متلاشياً واذا لم نستطيع ان نتم ذلك بالفعل نشتهي في
قلوبنا ان نصنع معه اعظم الشرور والاضرار الممكنة لدينا ومن ثم ان لم نقو عليه بالحديد
نقصد نفتك به بالقلم وان عجزنا عن ضربه بالعصي فنضربه بالكلام وعلى الاطلاق
اقول اننا لا نعود نرتضي بان نغالطه بشي ما اصلاً ولا نشاهده ولا نسمع ذكره بل
نطوي عنه كشحاً محتقرينه وهاجرينه ورازلينه كلياً واسفاه علينا ايها المسيحيين
ايحسن بنا ان نجهل ونعدم الحس والاشعار بهذا المقدار في امر كهذا ثقيل وباهظ
ايسوغ لنا ان نطابق عاطفة شهوة وحشية نرغب بها ان نعدم كل خير ونفقد
اي ان نعادي الله سبحانه ونغلق دوننا السما ونفتح لذواتنا ابواب جهنم فهلم اذاً
لننتبه لانفسنا ونعزم امام قدمي هذا المصلوب الالهي عزماً متيناً راهناً على امتثال
ما امرنا به اي ان نصفح عن مبغضينا واعدايينا والمجنين علينا لمحبة يسوع اسمه وما
الذي تخشونه فهلا تتقون بريته تعالى معتقدين انه مستطيع انه يجازيكم بمجازاة حسنة
واوفر من هذا الفعل الصالح الذي تعزمون عليه اكراماً له واجلالاً لعظمته الالهية ثم
اي نعم هلموا تعالوا الانني قد عزمت في هذا الصباح على ان اتخذ بيدي القلم واغمس العدد
جاثياً امام هاتين القدميين المقدستين وابلهما من جرحيهما المكرمين واكتب بدمهما
صورة المغفرة للاعدا قايلاً هوذا انا يا سيدي ان معترفاً نيابة عن هذا الشعب من اجل
الوظيفة التي تقلدتها في بيعتك المقدسة متعلقاً من استحقاقاتنا نحن ندع تحت قدميك
المقدستين جميع الاهانات التي اتصلت الينا حتى الان والعتيدة ان تتصل الينا ايضاً فيما
بعد وههنا ننبذ سخطاتنا وههنا نضحي احقادنا بمنزلة تقدمة لعزتك وعظمتك
الالهية ومع كوننا بالطبيعة نتالم اذا لم نحصل على اللذة التي كانت تبتغيها من الانتقام

فمع ذلك لكونك انت اردت وامرت ان نفتقدها فها هو ذا نحن نطيع اوامرك خاضعين
ونمنح السلام لاعدايينا ولو لم يطلب منا ونستقبله منهم اذا اعطيناه فاغفر لنا اذاً انت
يا الهنا بتلك الرافة التي بها تغفر لمبغضينا وصيغا يأتي الوقت الذي به تشتكي
خطايانا علينا امام عرشك المهيب فكن انت ابانا وشفيعنا والمحامي عنا يا ايها الشعب
المسيحي ايوجد احد منكم يابى ان يمضي صورة هذه المغفرة باسمه وختمه فمن كان
منكم هكذا فليظهر نفسه لنعرف ما هو وها انا قد اضطررت بان اتقدم بكليتي كالنار
واكتب عليه بهذا الدم الالهي عينه الحكم بالهلاك الابدي فليبعد هذا الشقي المتكود
الحظ هالكاً لانه ينكر على السيد المسيح ربه هذه الطلبة الكلية الصواب وهذا الدم الكريم
الذي ابتاع الخلاصة ليفنيه ويهلكه لا يجد امام الله رحمة ولا يحظين منه براف فليسقط
هو ولتظفر به اعداه لتكن امراته ارملة واولاده يتامى ولتتزلزل بنوه ينيرد من امكنتهم و
يكونوا تايهين في الارض لا يبيت يأويهم ولا تنوب بيستهم ليستاصل بيته ويتبدد مقتناه
وليمحو اسمه ويمحو من الارض ذكره من اجل انه لم يذكر ان يصنع الرحمة لتذكر امام الله جميع
اثامه الماضية واذا ما ظهر امام العرش الالهي مغلولاً بالقيود ليحكم عليه بالهلاك لتكن
دينونته بلا رحمة لانه لم يستعمل الرحمة وها انا اكرر كلامي قايلاً لتكن دينونته بلا رحمة
لانه لم يستعمل الرحمة لتطلب له النقمة جميع الخلايق ولتصرخ المليكة النقمة له ولتهتف
القديسون النقمة له ولتقل القديسات النقمة له ولتناد الابالسة النقمة له بل فليهتف
الجميع النقمة له واذا حوكم فليخرج مخصوماً ولكن لا يسمح الله ان يكن ما بيننا انسان اثيم
منافق بهذا المقدار حتى انه ينكر على السيد المسيح ما يطلبه منا اعني الغفران للاعدا
وان وجد فليفرز نفسه من هذا الشعب المبارك وليخرج مبتعداً من هذا المكان المقدس
لاننا نحن المتبقون هنا فاننا نخر جاثين امام قدمي المصلوب ونطلب منه الصفح والغفران
لانفسنا ولاعداينا ولجميع الخطاة ايضاً فلنعط ذلك باستحقاقات الامه حقاً امين

العظة الرابعة

في الاحد الاول من الصوم المقدس ليس بالخبز وحده يحيى الانسان لكن بكل كلمة تخرج
من فم الله في ان المسيحيون الذين يجوعون الى كلام الله هم قليلون ومن ذلك نستدل
على انه لا عجب ان كان المسيحيون الذين يخلصون هم قليلون هكذا حرره مار متى الانجيلي

في الاصحاح ٤ من بشارته انه كما ان الخبز هو قوت الجسد هكذا كلام الله تعالى هو
قوت للنفس وهذا شي محقق واضح لا شك يشوبه ولا ارتياب وقد شهد بذلك
مار يوحنا الذهبي فمه في ميمر ٦ ضد انوميوس قايلاً ان قوت الجسد هو الخبز
واما قوت النفس فهو تعليم الكلمات الالهية وقال ايضاً القديس غريغوريوس
ان قوت العقل هو خطاب الله تعالى ومثله حرر القديس امبروسيوس قايلاً ان قوت
العقل هي كلمة الله وهكذا كان تعليم ساير الابا القديسين ايضاً ولا عجب في ذلك
لان كلام الله تعالى يحفظ في النفس حرارتها الحية لئلا تذبل واذا كانت جايعة
فيغذوها واذا كانت ضعيفة فيقويها او نحيفة ومهزولة فيسمنها بل انه يسمو ايضاً
على كل الاطعمة سمواً عجيباً نظراً الى الاطعمة لان كل طعام جسدي ولين كان فاخراً لذيذ
وشافياً وذا جوهر مقيت فلا يفيد الابدان ما لم تكن حية اما كلام الله تعالى فيحيي النفس
المايتة ايضاً ومن هذا لا عجب في قول السيد المسيح ربنا انه ليس بالخبز وحده يحيى
الانسان لكن بكل كلمة تخرج من فم الله لانه غير شانه استطاع ان يقول ذلك ليس بالمعنى
الرمزي فقط بل بالمعنى الحقيقي ايضاً وهو ان الانسان يقتات من كلام الله على انه
تقتات النفس التي هي الجزء الاشرف في الانسان غير انه مع حقيقة قول المسيح هذا يجب
ان يسمو كلام الله على القوت الجسدي بالتقدم والتفضيل عند العامة ومع ذلك لسنا
نشاهد الانام يجوعون اليه جوعاً عظيماً ويتلهفون ولكن ترى ما هو السبب في قلة
جوعهم هذا العله لان كلام الله ليس هو غذا جيداً نظير الغذا الجسدي كلا بل انه
اجود منه كما تقدمنا الان فقلنا او لعله ليس بلذيذ حاشا ولكنه الذ منه او عساه ليس هو
لطيفاً لا لعمري بل هو الطف منه فلماذا اذا لا نرى الا القليلون جايعين ومتلهفين اليه
فالجواب ان سبب ذلك انما هو هذا وهو انه لا يذوق لذة كل كلمة تخرج من فم الله
ذلك الذي يريد قبلاً ان يشبع من كل كلمة تخرج من فم ابليس الا تبصرون كم هم اوليك الذين
يقيتون انفسهم في عصرنا هذا من اغذية سمجة غليظة اعني بها المخاطبات الدنسة
والاشباح الزنوبية والقراة في الكتب المفعمة سفاهة وتوذقاً وهجواً وخلاعة وغيرها
من الخرافات الباطلة فلا عجب اذاً في كون ذوقهم مفسوداً متعطلاً لا يستشعرون
بلذة الاغذية الاطهر والاصلح لعمري انه لا يمكن الا ان يصرفوا اذانهم عن الحق اوليك

الذين يميلون الى الخرافات بهذا التواتر ولكن ان كان هذا هو السبب في ذلك او غيره
فانه لمن المحقق ان شوق المسيحيين الى استماع كلام الله قليل جدًا وينبغي ان نبكي
عليهم بدموع سخينة وهذا هو الموضوع الذي تهيات في هذا الصباح الى ان ارهنه
لا لتخجيل الجميع فقط بل لترهيبهم ايضًا لاني لست اعلم ان كان يوجد عند الله تعالى قصاص
يريد ان يادب به شعبًا عاتيًا عاصيًا اعظم من هذا التاديب وهو انه يرفع عنه الشوق
الى استماع كلامه الالهي فلنشرعن اذًا في ايضاح هذه الحقيقة المرة لها جرا الخزا لانه وان
كان الحمد لله بحرمة انه يوجد فيما بينكم بنعمة الله تعالى اناس يتشوقون الى
استماع كلام الله فمع ذلك سامحوني اذا بينت لكم في هذا الخطاب ان هولا المتشوقون من
بينكم هم الاقل   انه لمن المعلوم ان الجوع هو الحد ومهماز جدًا ومن شانه ان   العدد ٢
ينشط الحيوان ويجعله ان يهتم متلهفًا في تحصيل القوت المشوق اليه ومن ثم لا يدع الايلة
ان تستريح في مربضها مع انها من طبعها ان تخاف ولا تجد الا في مقرها ولو كانت ضعيفة
عاجزة حتى انه يجعل العصافير ايضًا ان تترك بخطر عظيم اعشاشها المحبوبة وتنزل الى
الارض وتعرض نفسها طمعًا في حبة دنية من الدخن الى اقتناص عدة صيادين يكمنون لها
منتظرينها ان تسقط تحت تخفيف نظير اللص في الغاب فانتم ما هو رايكم الان في حالكم نظرًا الى
هذا الامر فهل تظنون ان بكم جوعًا وشوقًا مضطرمًا الى كلام الله والحال انه لا ازاله كافيًا
لان يخرجكم من منازلكم الا نادرًا ونادرًا يأتي بكم الى مكان هكذا جليل وابعد الذي هو الكنيسة
حيث لا يوجد شي مما تخشونه في التماس هذا القوت الالهي الروحي لا قهر ولا مكيدة ولا
شماتة حتى انكم لا تحتاجون الى نفقة بالكلية ولو كانت زهيدة جزئية انه لما بلغ مسامع
يعقوب ابي الاسباط في زمن المجاعة انه في مصر يباع القمح ومع اشعاره انه يباع بثمن
غالي وعالي جدًا اضطرب وغضب على بنيه اولا ثم التفت اليهم وقال لماذا انتم
متهاونون متغافلون لماذا لا تسعون بالجلاب اودكم وقوتكم وقد بلغني ان القمح انه يباع
بمصر وانتم هاهنا تموتون جوعًا لتوانيكم فانحدروا الى هناك وابتاعوا قليلًا من الطعام
لكي نحيى ولا نهلك بالجوع لانه الان ليس هو اوان الراحة والرقاد في البيت بعد
ان اشتد الجوع علينا كثيرًا فهكذا قال وهكذا تكلم مع بنيه ولكن ترى ما الذي
كان قال لهم لو كان يسمع ان القمح لا يباع بمصر بثمن غالي بل يعطى مجانًا الطالبين كان

انشاط

انشاط عليهم غضبًا واضطرب منهم اعظم اضطرابًا فيا ايها المسيحيون الاحبا اعلموا
وافهموا ان كلام الله هنا لا يباع للسامعين اصلًا بل يمنح مجانًا وقد يسوغ لي ان اقول
لكم مع القديس ماري بولص اننا نبشركم بانجيل الله بغير ثمن ولا يطلب منكم شي من
النفقة ولا من الهبات البتة فانتم مع ذلك متهاونون وتتغاضون عن ان تاتوا كل
يوم بسرعة ونشاط لتستمدوا قوتًا من التعاليم والنصايح المفيدة والملايمة لحياتكم
الروحية حقًا انني متعجب من هذه الغباوة ولهذا اسالكم يا بني الروحيين مع يعقوب البار
ابي الاسباط المشار اليه انفًا لماذا ولاي سبب انتم متهاونون ومتغاضون فان كنتم غير جياع الى
كلام الله تعالى ولذلك لا يعنيكم التماسه بشوق ورغبة فليس ذلك دليلًا لصحة فيكم لان
القديس اغوستينوس المعظم يقول ان الذين لا يطلبون ما هو معد لهم فنسلمهم هذا
يهين لهم ويهلكهم   نعم ايها الشعب المسيحي ان المكث في البيت هو امر   العدد ٣
حميد جدًا ولكن لا في حين الوعظ وبهذا لا اخاطب الرجال فقط الذين انا عالم بهم جيدًا
انهم يخرجون في هذا المحل بنشاط عظيم ليذهبوا الى حوانيتهم واشغالهم بل اخاطب بعض
النسا ايضًا فاعلموا يا معشر النسوة ان السونامية المشهور ذكرها في التوراة قد كانت
امراة ايضًا بل امراة شريفة النسب ومواظبة جدًا منزلها ومع ذلك لما سبق ليشع النبي
وعرف بروح النبوة تلك المجاعة الشديدة التي كانت عتيدة ان تستحوذ بعد زمن
قليل على كل الارض في فلسطين ترى ما هو الذي قال لها العله قال لها امكثي هنا ثابتة
لا تبرحي ولا تخرجي من منزلك بل واظبي على اشغالك مقيمة في البيت كلا بل قال لها
قومي انت واهل بيتك واخرجي واسكني حيث اصبتي فيا ايها النبي لنتيل ما الذي
تقوله لهذه الامراة اما تعلم جيدًا كم يجب على النسوة ان يستمرن ملازمات بيوتهن
اما تعلم انهن جميعًا كالانية الزجاجية التي لا تسلم من العطب ان لم تحفظ باحتراس عظيم
في المنزل الا تعلم انهن كالبلسم الزكي الرايحة الذي ان لم يحفظ ويوثق عليه جيدًا فان
رايحته تتبدد فكيف اذًا تشور عليهن ان يخرجن خارجًا من المنزل وليس ذلك فقط
بل انك تحثهن ان يخرجن ويرحلن في اي بلد اصبتن وما بين اي شعب اتفقن قايلًا
لكل واحدة من النسوة بشخص السونامية قومي واخرجي واسكني حيث اصبتي اي نعم
ايها السامعون ان خروجهن من منازلهن ليس هو لايقًا ولا محمودًا وهذا معلوم عندنا

لكن ليس في زمن الجوع لان في ذلك الحين فليذهب كل من استحوذ عليه الجوع ويطلب
القوت بكل جهده حيثما شاء ولكن بهذا الشرط اي ان يكون خروجه وجوله انه على سبيل
الادب واللياقة لان الضرورة لا سنة لها وهكذا فعلت هذه المراة السونامية الصالحة
فانها قامت وصنعت كما قال لها رجل الله وانطلقت هي واهل بيتها وسكنت بارض
فلسطين اياما كثيرة والعلة السونامية وحدها من بين النسا خرجت من وطنها لتطلب لها
القوت في زمن الجوع لا لعمري بل غيرها ايضا خرجن من ذا راعوث المراة الارملة خرجت
نظيرها من بيت اهلها في ايام الجوع وانطلقت دفعات متعددة الى الحقول لتلتقط لاجل
نفرها السنبل الساقط من ورا الحصادين وكذلك رفقا عند حلول الجوع كانت ترافق
زوجها حتى الى جرار فان كان مثل هولا النسا تركن منازلهن من اجل القوت الجسمي ايحسن
اذا ببقية النسا ان يقمن في منازلهن في حين الوعظ الذي هو القوت الروحي مهتمات في
الاشغال العالمية ويتركن بعولهن ياتون اليهن وحدهم ويعدمن نفوسهن من هذا الطعام
والقوت الروحي لعمري ان ذلك ليس هو فيهن دليل ايثار الاختلا الحميد في البيت ولا علامة
قصد الاستتار لكننا اذا فحصنا عنه مدققين نراه في بعضهن دليل على قلة العبادة وفي
غيرهن كسلا وتوانيا وفي غيرهن استكراه استماع كلام الله تعالى ومن ثم اقول انه لا ينبغي
لهن ان ياتين الى الكنيسة ليقتتن انفسهن بكلام الله في ايام الاعياد فقط بل يلزمهن
ان يحتقرن الاشتغالات الزمنية المفرطة التي لاجلها يخسرون كثيرا من ذلك الكنز العظيم
الذي لا تقدر قيمته ثمن كالواجب بل انما تعتبر عذر عن الموت اعني به الزمن الاعظم ويأتين
جميعهن مسرعات في ايام العمل ايضا في حين ملايم اي في اول الوعظ متذكرات ان هذه خاصة
من يكون جايعا جوعا حقيقيا انه لا يتباطى متاخرا في طلب القوت في الوقت المقدم له فيه
واثباتا لذلك احتسبوا انه قد اعدت وليمة عظيمة فاخرة لجمع غفير من الناس كما كانت وليمة
العدد ٤
شمشون العدة لاصدقايه ووليمة سليمن لعبيده فمن تراه يكون مستعدا او نشيطا ان يتمتع
بهما او من هم الذين يسرعون اليهما قبل الجميع فلا شك هم الجياع لان الذين يتاخرون متقاعدين
عن الذهاب اليهما اما انهم يكرهونها واما انهم لاجل التخمة يتظاهرون بانهم غير مفتقرين
اليها فاذا ما الذي ينبغي لنا ان نقوله في ان فهل يسوغ لنا ان نقول عن اوليك الذين من عادتهم
ان لا يمضوا الى استماع الوعظ الا ان يكون ابتدا فيه انهم متشوقون وجايعون الى كلام الله

حاشا

37

حاشا وكلا بل ان الجياع والمتلهفون اليه هم اوليك الاتقيا النشيطون الذين لا يصطبرون
منتظرين حتى ياتي وقت الوعظ بل يتقدمونه ويكونون الاولين ممن يحضرون بالكنيسة
ليتخذوا المكان الاقرب الى منبر الوعظ وذلك ليمكنهم الاستماع باوفر سهولة ويفضلون
استماع كلام الله تعالى على ساير اشغالهم ومهماتهم ولين كانت ثقيلة ومدركة قال الروح
القدس عرق الصديق يعني علم الصديق وعظه وان قيل ماذا نفعل الجواب منه تعالى
فيكون سريع القبول اي يسرع في قبول وعظك وتعليمك اياه باوفر شوق مما يسرع الحمام
الى التقاط الحبوب او السمك الى الطعم عرق الصديق فيكون سريع القبول انصحه نصيحة
فيكون سريع القبول فسر له مسالة فيكون سريع القبول امنحه شورا جيدا فيكون سريع
القبول قدم له نوعا جديدا من العبادة والتقوى فيكون سريع القبول وبالاجمال اقول
علم الصديق وعرفه فيسرع الى القبول في كل وقت وزمان اي في ايام العمل وفي ايام البطالة
وفي اي مكان كان وفي اية فرصة كانت فانه يسرع الى القبول كالجايع المتلهف على انه
من كان هكذا اي جايعا جوعا مفرطا لا يجد لنفسه راحة بل تراه ينتهر العبيد ويضرب
الجواري ويقلق بصياحه كل اهل المنزل وذلك اذا راى الطعام لم يتهيا له في اوانه و
يضجر من تلك الاخبار التي تورد له في ذلك الوقت بالكرم وتسل عنه ويرتضي باتمام كل
فهل يجب ان يتقدم له والنتيجة نقول انه في ذلك الحين يماثل كلاب البيت التي وان
كانت امينة وتود اصحابها فلا تقبل في حين جوعها التمليق ولا الملاطفة فاذا لا يظن
ان به جوعا واشتياقا الى استماع كلام الله ذاك الذي يعلم بتحقيق الزمن المعين للوعظ
ولا يسرع اليه بل يستمر على حديثه وعمله فتراه يعاين الاخرين يذهبون الى الكنيسة
وهو متغافل عن ذلك يسمع غيره يدعوه اليهما وهو متغافل اخيرا يعلم ان الواعظ شرع
في الوعظ وهو لا يتقلقل ولا ينهض من عمله حتى لا اقول من اباطيله ايضا
وبهذا لا يشك في قلة جوع المسيحيين واشتياقهم الى كلام الله والحال انك ترى الوعاظ
العدد ٥
قد اضحوا في عصرنا هذا مضطرين الى ان يزخرفوا كرزهم ويلطفوه ويحلوه بعبارات
مبهجة ليقبله السامعون ويتجرعوه ولعمري ان الذي يضايقه الجوع لا يطلب فيها
ترمله اطعمة فاخرة ولا يلتفت الى عدم حسن نظام المايدة ولا الى نقص التوابل العطرية
المصيوم بالاطعمة لاذيذة بل يصعب عليه ايضا ان يمر ولقمة من لذة حتى تراه ايضا احيانا

يتجرع المرء عوضًا عن الحلو كقول سليمن الحكيم في امثاله ان النفس الجايعة تستبين لديها الاشيا المرة حلوة ولاذا كانت بلوطًا فاهيًا تقتهما من وادي الجلجال يستعذبه ما كان يهما عنب منتخب من كروم عين جدى ومن جرى ذلك من يستطيع ان يصف كم مقدار ما يجعل الجوع المآكل لذيذًا ولو كانت تفهًا من عين ذاتها ومكروهًا على الطبيعة قد خبر بلوترخوس عن ارتخشستا ملك الاثوريين انه لما نفدت الذخيرة من عسكره في احدى الحروب وضايقه الجوع حتى التزم ان ياكل في كوخ عند احد الفلاحين خبزًا شعيرًا وقد استلذ به بهذا المقدار حتى انه تشكى من الالهة لكونهم حتى ذلك الحين ما اباتوا له خبزًا ذا لذة غريبة بالغة كلذة ذلك الخبز الذي اقتات به وبتلماي ملك مصر قد كان في ذات يوم مسافرًا مع عسكره ونفد منهم الزاد فاحتاج ان ياكل خبزًا من النخالة معجونًا ثم اقر لعبيده انه الى ذلك الحين لم يكن ذاق قط طعامًا الذ منه وماذا اقول عن رومية الكبرى التي اضحت في دهرنا هذا مترفهة ومتنعمة بهذا المقدار اما هو واضح من تواريخ ديوكوبيوس انها لما اشتد الجوع في ايام الغلا بلغت الى ان تاكل ليس عشبًا بريًا فقط ذلك الذي هو ماكل البهايم لكن الحشايش المرة والسمجة التي تنفر منها وتابى جملها انفس الحيوانات وفي حصار اماريكوس اقتاتت هذه المدينة المذكورة من لحوم الخيل كانها لحوم العجول الرضيعين وفي حصار توتيلا تناولت ايضًا من لحم الكلاب كانه لحم ضان لذيذ وخبر بلوترخوس انه لما اشتدت المجاعة في مدينة اثينا اتفق انه سقط من سقف احد البيوت جرذون ميت فركض شاب بسيفه بجهد ودفع عنه ابا الذي كان جرى ليخطفه وياكله واما اهل مدينة سيبتون القايد شرعوا يقتاتون من حبال الكتان واهل مدينة رجيون في بلاد كالابريا لما حاصرهم ديونيسيوس الملك وضامهم الجوع جدًا ابتدوا ان يقتاتوا من الجلود التي لا تلايم لنعال الاحذية والذي هو ابلغ من ذلك ان السيرتانيين احالوا قوتهم نفس الحيات التي كانت قد ظهرت في ارضهم بفيض وافر جدًا وبددت زرعهم وقتلت بهايمهم ومن جرى ذلك حدث عندهم مجاعة عظيمة فلا ريب اذًا في ان الجايع يتنعم بكلما يقدم له من الماكل والاشيا التي كانت لديه في ايام الشبع مقتًا ورذالة تضحوا لديه في حين الاحتياج دسمًا ولذة كما شهد بذلك مجربًا في نفسه الملك ايوب الصديق بقوله ما قد ابت قديمًا نفسي مسه فهو الان طعامي لضيقتي فما هو الان رايكم في ذواتكم

فهل

فهل اتضح لكم ان فيكم جوعًا واشتياقًا الى كلام الله مع انه لا عظة تعجبكم ولا يلذ لديكم خطاب بل ان اكم كل يوم تزدادون تنقيبًا وتبكيتًا على الواعظين وزعم واحد انه تقدم على الواعظ بقوله عنه انه ناشف من العلم ومن الاخبار واخر يشكو منه قايلًا ان نصوصه وتاليفه ركيكًا واخر يذمه على انه خايب من البلاغة والفصاحة نظرًا الى اللغة واخر يقذفه بقوله انه بارد ليس فيه حرارة اهذه حال قوم جياع الى كلام الله لا لعمري ايها المسيحيون لا لعمري فعوضًا عن ان ترغبوا هذا المقدار في التحلي والتزخرف في الوعظ اكتسبوا لكم جوعًا وتوقًا فيعود حينئذ كل صنف منه يرضيكم جميعًا في وقت واحد ويلذ لديكم قال سينكا الفيلسوف فان من قصد ان يعد وليمة للجياع فليعدها بسرعة فو قتيئذ كل طباخ وان كان قليل الخبرة في هذه الصناعة فيكون ملايمًا وكل مطبخ ولو كان غير مرتب فيكون كافيًا هكذا ان حبقوق قد هيى بسرعة الغذا داخل سلته لحصادة الفقرا و الشبع ايضًا اعد سريعًا الطعام وهو يجرث للحراثين لكن اذا قصد ان يعدها لاناس متكييفين اللهم كم يجب عليه من التعب والنصب والنفقة لانه يضطر بان يجعل استعداده نظير المتقدمين الملوك الفارسية الذين كانوا يمنحون الجوايز لمن يخترع اطعمة ذات لذة غريبة في العالم لان اللذة القديمة في الاطعمة تكون لديهم ممقوتة ومستكرهة حسبما اوعز الى ذلك الحكيم بقوله النفس التي في الشبع تكره شهد العسل وسبيله ايضًا ان يهيى مع الملك ابيكوس للوليمة في السنة البلابل او يلتزم مع الملك البوغابكو ان يشكل الوليمة بلونين من السنة الدرات بل يلتزم ايضًا مع الملك ويتلوس ان يتمم الوليمة من احشا افخر السمك الذي اتي به على اسرع الاغربية من بحر جزيرة كرباس و بالنتيجة اقول لكم ايها السامعون ان كنتم جياعًا ومفتقرين الى كلام الله تقًا فانا واثق باني استطيع ان ارضيكم واسركم في هذا الصوم ولكن اذا كنتم شباعى ممتلين فلا استطاعة لي على ذلك بل انا متيقن انكم نادرًا تاتون الى الوعظ فتكونون بمنزلة المشمازين مما يقدم لهم في المايدة وخلوا من ان تذوقوا وتتمتعوا بلذة الوعظ ومن غير ان ترتعوا منه شيًا وربما ايضًا توزعون على غيركم القوت الذي يلزمكم انتم ان تخصوا به ذواتكم برغبة واشتياق ولكن ما هو مضمون كلامي هذا او ما هي نتيجته فمضمونه هو الذي ذكره

ان الجايع اذا كان جالسًا على المايدة فلا يفتكر بانه يهادي المتكيين العدد معه ولا ان يقدم لهم من الاغذية التي امامه بل انما يهتم فقط في ان يكفي نفسه ويشبعها حتى انه يحتسب ايضًا ان كل شي موضوع على المايدة من الماكل والمشرب فهو له ولقد ترا حسبما

اخبر عنه ابن سيراخ قايلاً يطرح نفسه على كل طعام ويود له المكنة ان يبتلع وحده كل الاوانى
فان كان اذاً فيكم جوع هكذا سامياً الى كلام الله حقاً فانتم ترغبون ان تحصوه لذواتكم فقط ولا
ولا تصنعون بحسب عادة البعض الذين وهم فى محل الوعظ لا يمارسون عملاً ما سوى انهم
يعادون غيرهم اى ينسبون لغيرهم كل ما يسمعونه ويطابقونه لهم قايلين ما احسن ما تناسب
هذه العبارة فلاناً الموسر الخبيث وهذا المعنى الاخر يفضح فلان ذاك الغنى المتكبر وهذا
المقال قيل لاجل التى فلانة تلك المتباهية فى جميع اباطيل العالم لو كانت فلانة هنا لكانت
تونب وتخزى فيا ايها السامعون المحتاجون الى القوت الروحى افتكروا ان تقدروا انتم
انفسكم لان هذا القوت الذى تقدمونه انتم للاخرين لا يقيتكم قال الروح القدس اى كلمة
حكمية سمعها العاقل يمدحها ويقبلها معنى ذلك هو ان الانسان الحكيم الراغب نجاحه
ينسب لذاته كل شى يسمعه من الوعظ والخطاب المفيد ولا ريب فى ان من هو هكذا يشبه
الشجرة الدارصينى المغروسة فى ارض رطبه فهذه لكيما تتغذى وتنمو تجتذب اليها الماء القريب
منها بهذا المقدار حتى انها تنشف كل البحيرة المغروسة بجانبها ثم انه يضاهى ايضاً الاسرو المغروس
فى ارض مدغلة الذى من شانه ان يمتص كل الرطوبة حتى انه ييبس الارض التى حوله فان كان
لكم اذاً رغبة فى ان تجتنوا من الوعظ فايدة هلموا واستمعوه بشوق وشغف لانكم هكذا تعدون
من جملة اوليك السعيدين الحظ الذين قال السيد فى شانهم انهم يسمعون الكلمة ويحفظونها
والذى تسمعونه فانسبوه لفايدتكم افتكروا فى نفوسكم فقط وهكذا تقبلون فى ذواتكم على مثال
جزة جدعون كل الندا الذى يهطل عليكم خالياً من ان تدعوا ان يسقط خارجاً عنكم حتى ولا
نقطة واحدة غير ان هذا الدا كما تعاينونه ياتى من قلة الجوع الروحى ومن ثم قليلون هم اوليك الذين
يفتكرون مهتمين فى نفوسهم اهتماماً كلياً فى وقت الوعظ وبالتالى يعطون فرصة للشيطان
ان يختلس بسهولة عظيمة من نفوسهم كل تعليم وكل كلمة يسمعونها من اجل انهم لا يغارون على
نجاح انفسهم ربما رصدتم فى الولايم العظيمة الحافلة كيف يقف حولكم احياناً بعض من الخدام
مستعدين لان يرفعوا بسرعة كمثل الباشق تلك الصحفة التى امامكم فعلى هذا النسق تفعل
الابالسة فى حين الوعظ فانهم يحدرون لان يختطفوا من بين ايديكم الطعام الخلاصى
المفيد لكم وليس من بين ايديكم فقط لكن من احشايكم وقلوبكم ايضاً حسبما قال عز قوله
ياتى ابليس فينزع من قلوبهم الكلمة ليلا يومنوا فيخلصوا ومن هنا اقول من ذا يستطيع ان

يصف

يصف كم من صنيع ردى وحيلة خبيثة احتالت الابالسة ليمنعوا فايدة الوعظ السموى
عن الشعب المسيحى اقروا التواريخ المقدسة تتعجبوا من ذلك على ان القديس انطونينوس
البدوانى جندى السيد المسيح البطل العظيم لقد كان اشتهر اسمه وشاع ذكره فى كل مكان
لغيرته الحارة فى الوعظ وكانت تتوارد اليه الانام من كل صقع ومرتبة ليستمعوا وعظه و
ذلك بحرارة وازدحام هذا مقدارها حتى انه التزم ان يترك الكنايس ويمضى الى الفيافى
المتسعة هناك ليسهل الاستماع لذلك الجمع الغفير الذى كان يرد اليه من كل صنف وكان ما الذى
كانت تصنعه الابالسة الحسودون ليمنعوا الخير الناتج من وعظه فحيثما كسروا تلك الخشبه
التى كان يستعلى عليها بمقام المنبر فى حين الوعظ قاصدين بذلك ان يطرحوا السجس والصراخ
فى الشعب ومرة اخرى ظهروا بهيئة سعاة يناولون الناس رسايل ليسببوا فى قلوب السامعين
الشتات والقلق ولم يكتفوا بذلك ايضاً لكنهم اجتهدوا ومرة اخرى ان يرعبوا السامعين و
يبددوهم بعواصف وصواعق وبروق وبرد ومطر اهطلوه اليهم من الجو وحينما كان القديس
مار عبد الاحد ومرة يعظ ظهرت الابالسة فى وسط الشعب شبه سلاحف مخيفات الصور
وكريهات المنظر جداً وعندما كان القديس وينشنسيوس يعظ تراءت الملاعين ما بين
السامعين بصورة خيول هايجة غير مروضة وايضاً اذ كان القديس كوتيرنوس يعظ بجرأة
مقدسة فى ساحة قرية مملوة شعباً كثيراً القوا ناراً عظيمة فى احد بيوتها حتى انهم حركوا ذلك
الشعب كله المجتمع لاستماع الوعظ كى يسرعوا ويطفوا النار فعرف القديس ان ذلك كان
حيلة من المحال وما عجز عن الصراخ ليرد الشعب اليه امانه لهم ان تلك النار كانت خيالية وذلك
برسمه اشارة الصليب المقدس عليها لانها حالاً طفيت واضمحل معها الدخان هذه هى الحيل
الرفيعة التى اصطنعتها الشياطين الخبثا ليخطفوا الطعام الروحى من المومنين اوليك
الذين هم جياع ومتعطشون الى الكلام السموى فينتزعوا من قلوبهم الكلمة ليلا يومنوا
فيخلصوا غير انى لا اعلم ان فى ايامنا هذه التى بها خمد جوع المسيحيين واشتياقهم الى كلام
الله ولهذا لا تخترع الابالسة خزاهم الله اختراعات كذا ظاهرة وباهظة ولكن مع ذلك جميعه
هل تظنون ان هولا الاشرار قد امتنعوا عن تسجس الشعب المسيحى ومنعهم عن الفايدة التى
ينالونها باستماع كلام الله حقاً بانواع اخر غير مرئية حاشا وكلا ليت شعرى كم اختبرتم ذلك
فى ذواتكم حينما تكونون فى الكنيسة تستمعون الوعظ لانه كم مرة اعتراكم الضجر بغتة

وجعلكم تضجرون وتشعرون بالخطاب الروحي تارةً انه ناشف يابس وتارةً مكرب وطويلاً ممل
ومشتبك المعاني واوقات ترونه مستطيلاً جداً واحياناً ياخذكم النعاس وتارةً اخرى تهجسكم
المخيلة واحياناً ايضاً يصعب عليكم ان تضبطوا اعينكم حتى انها تنطلق رغماً عنكم لترى من ذا الذي
يدخل او يخرج حتى لي اقول ايضاً عن البعض انه يرصد هل اتت الى الكنيسة تلك المرأة الروية
التي رغب ان تاتي كما اراد احورش ان تاتي وشتي الملكة امرأته الى الوليمة لا بقصد ان تاكل
من الوليمة بل ليرى جمالها ولكن ما هو سبب هذا الشتات وهذا الانخباط العقلي كل وقت يسير
وما هو معناه لعمري انه ليس له سبب سوى عدم مبالاة اعداء نفوسكم اعقلوا جيداً ما اقوله لكم
واقتنعوا بكلامي واعلموا انهم الابالسة الذين لسوء شرهم يبتغون ان يشتتوكم لينخطفوا
من بين ايديكم الطعام الروحي ويصيروا تلك الكلمة تفوتكم او تلك العبارة التي ربما تفيدكم
اعظم افادة فهم النسور الجهنمية التي طارت من جهنم واتت الى الكنيسة لتلتقط منكم قوتكم
وهم الغربان المستقبحة الهيئة التي وثبت على ذلك السل لتخطف منه الخبز الذي كان
حامله الخباز الى فرعون مولاه وهم النسور الوقحة الجسورة التي كانت تدنو من غير خوف الى
الضحايا التي كان يقدمها ابراهيم الى الله تعالى فاصغوا اذاً جيداً ايها السامعون واستيقظوا
حسناً الى استماع الوعظ لانكم ان سمحتم لمثل هذه البواشق الجهنمية بالدخول اليكم وبالجولان
حولكم فلا ريب تعودون من بعد هذا الوعظ الى منازلكم صايمين وربما لا تصبرون الى نهاية
بل تماثلون يوداس الدافع الذي قام عن مائدة العشا وذهب ولكن كيف تستطيعون ان
تحسنوا الصمت والاصغا الى الوعظ ان كنتم خايبين من هذا الجوع الروحي ولعمري ان اردنا
ان نقول الحق فنحكم بان هذا هو علة كل الضرر والفشل الحاصل في نفوسكم اعني به قلة الجوع
والشوق الى استماع التعليم السموي واذ كنتم خالين من ذلك فتحوجوني الى ان اندب سوء
الحال الحاصلين فيها انتم وانوح عليكم لانكم صرتم في شقاءٍ عظيم ودنوتم من الهلاك

العدد ٨

وربما تستصعبون قولي هذا ايها السامعون ويزعجكم ولكن هل تظنون انه ليس لي حق
ان انوح به ها هو ذا يشهد فيه ايضاً الفريد عصره كسيودورس بقوله ان عدم القابلية
الى السنة الالهية هو مرض عظيم وشقاوة وكما ان طلب المعدة الى الغذاء الجسدي هو من
اوضح الدلايل على الصحة والعافية فعلى هذا النحو نقول ان الارتياح الى القوت الروحي
هو دليل خالٍ من كل ريب نظراً الى صحة الروح وعافيتها هكذا علمنا باتفاق واحد جمهور القديسين

كافةً

كافةً سيما الذهبي فمه وبرنردوس واغوريوس واغسطين وغريغوريوس بل هكذا
علمنا السيد المسيح نفسه بفمه الالهي لما اعطانا تلك العلامة المشهورة في ان نميز المختارين
من المرذولين وحقق لنا ان المختارين يسمعون التكلم في الله تعالى بلذة وشوق والمرذولين
يسمعونه بكره وضجر وذلك بقوله ان الذي من الله يسمع كلام الله ثم قال لليهود لاجل هذا
ولاجل ذلك انتم لا تسمعون كلام الله لانكم لستم من الله ولا تتعجبوا من ذلك يا ايها السامعون
لكون هذه هي الطريقة التي سنها الله تعالى بوجه عام ليخلص بها المختارين اي استماع الانذار
بالحق اسمعوا ما كلمنا به عز اسمه بفم اشعيا النبي قايلاً اسمعوا فتحيا انفسكم انه لا شك
في انه جلت قدرته لم تستطع بطرق اخر ان يقتادهم بطرق الرويات السموية او بالالهامات
الباطنة او بتنويرات العقل او بتلاوات روحية لكنه لم يرد ان يخلصهم بها مع انها غالباً
وسايط عامة للخلاص ولقد يسوغ لي ان اقول انه لا يوجد سبب لذلك سوى ما اورده
القديس برنردوس وهو انه تعالى لقد اراد ان تدخل الحيوة من ذلك الباب الذي منه دخل
الموت اي من الاذان المنفتحة الى استماع كلام واعظ غاش خايني الذي هو الحية الخبيثة في
الفردوس الارضي هكذا فيجب ايضاً ان تدخل الحيوة من الاذان المنفتحة الى استماع الواعظين
الصادقين ان بختنصر ملك بابل ابصر بناظريه سقوط تلك الشجرة العظيمة التي كانت
عبارة عن مملكته وعاين كل ثمر من اثمارها يهتري وشاهد كل زهر من اثمارها تذبل وابصر
كل غصن يجف ونظر في وقت واحد كل الوحوش تهرب منها وجميع الطيور التي كانت قديماً
تستظل تحتها تتطاير ما بين اغصانها تنتزع مرفرفة ولكن ما الذي نتجه من ذلك العمل شاهد
هذه وحدها كفت لان ترتعد كلا بل قد احتاج لذلك عاجه ما عدا هذه المشاهدة ان يسمع
صوت دانيال النبي الحي وداود الملك مع انه كان متصفاً بقلب رقيق لين فلم يتحرك الى الندم
والتاسف على الخطية التي ارتكبها بقتل اوريا الحثي الشهم الفريد عصره حتى اتى اليه ناثان
النبي وسمع صوته الحي يوبخه وهكذا يوشافاط مع انه كان ذا ضمير ضيق ورع موسوس لم يتجه
الى مقت الالفة الذميمة التي بها ربط نفسه مع اخاب الملك الكافر الى ان سمع صوت
ياهو يردعه عنها ولا ريب في اننا لو اردنا ان نورد ايضاً من اخبار الكتب البيعية لكثرة
انه من ما ينحاط في الارض لقد ارتد الى الله بواسطة الوعظ تسعة وتسعين ولكن لئلا
نطيل الخطاب بايراد الاخبار فيكفينا لاثبات ذلك خبر ارتداد اغوسطينوس المغبوط ذلك

المرتد لهذا الغرض لعمري انه لامر مذهل كيف ان عقل هذا العالم العجيب لم يكفه لان يرتد انه فضلا له الى الله
لا انعكافه على تلاوة الكتب ولا اعماله التهذيب ولا شوقه المضطرم والمتلهف دايما الى ان يبحث
و يفحص ليجد الحق بلا احتياج الى ان يرا قوم راتب شي للقديس اوغوسطينوس مقام الطفل ولم
يعزم على ان يغير الدين والديانة الا بعد ان سمع عدة خطبا في الكنايس ونصايحه له السرية
وهذه هي التي رجعته فاذا قد ضل وانخدع في نفسه كل من يظن انه يستطيع ان يرتد الى ربه
بطريقة اخرى غير الطريقة الجارية المسلوك بها اي طريقة الوعظ والتعليم فتلك العظة التي
تسمعونها في ذلك النهار او في ذلك المكان او من ذلك الشماس العتيدة ان تجرح قلوبكم لانه بها
اي بواسطتها قد اراد الله تعالى ان ترجعوا اليه تايبين ان كنتم حاصلين في الخطا ونشاء ان تثبتوا
في النعمة ان كنتم فايزين بها انه لا شك ولا ريب ايها الشعب المسيحي في ان الروح القدس لا يزال
مكررا علينا وحاتما بهذا المقدار وبانواع متعددة ومنها لنا ان نصغي ونستمع قايلا اسمعي
يا بنت وانصتي باذنيك امل اذنك واستمع اقوال الحكما لا تزل يا بني ان تستمع التعاليم اصغ
اذنك واقبل كلام الفم وذلك لانه يعرف الطريق التي بها يلج قلوبنا ويسكن فيها بنعمة غير
اننا اوردنا قليلا من شهادات كثيرة ثم انني اظن انه معلوم عندكم يا ايها السامعون ان المنتخبين
يلقبون في الكتاب الالهي باسم الحكما والمرذولين الهالكين باسم الجهلة كما يتضح لنا ذلك من مثل
العذارى المفهوم اللاتي ادخل منهن العريس الالهي خمسة ورذل خمسة وطردهن فبعد ان
تقرر لديكم ذلك اعلموا وتحققوا ان الشي الذي عينه الروح القدس بمنزلة تصديق خاصة
بالحكما وكعلامة مخصوصة في الجهلة هو هذا التعريف وهو ان الحكما يسرعون ان يسمعوا
كلام من يكلمهم لخيرهم وفايدتهم والجهلة يستطيعون السمع وايضا ما نورده الان من
الكتاب المقدس قد قيل في الامثال ان الحكيم يسمع المشورات فهذا النص يثبت صفة الحكما
المشار اليها اتفاقا وقيل ايضا اذان الحكما تلتمس التعاليم وقوله ايضا قلب الحكيم يطلب العلم وقيل
ايضا الاذان الصالحة تسمع بكل هواها الحكمة وهذا النص هو ايضا نظير النصوص المذكورة
ولقد يغنينا وجه عن ايراد عدة نصوص لمعنى الجهلة فبخلاف ذلك يقال في الكتاب
المقدس فاسمعوا وافهموا ما يقال عنهم من الكلام المرهب للقلوب قال في الاصحاح ٢٣ من سفر
الامثال لا يقبل الجاهل كلمات الفطنة وقال ايضا في موضع اخر من يحدث الاحمق بالحكمة
كمن يخاطب نايما وفي موضع اخر قيل هكذا الجاهل يتهزا بالتاديب وقيل في موضع اخر

الجاهلون

الجاهلون يهينون الحكمة والتعليم وقيل فيه ايضا المستهزي لا يسمع التوبيخ وقد قيل
ايضا الفاسد لا يحب من يوبخه ولا يذهب الى الحكما وبحصر الكلام اقول ان اشعيا النبي
لما اراد فيما بعد ان يبين عمق الشرور التي نسبها اليها شعب اليهود المنافقين وكانت تحرك
من هذه الشواهد الكثيرة التي نطق بها سليمن الحكيم بتلقين الله تعالى فمن ثم سماهم ابناء
غير مهذبين ابنا عصاة وابنا غير راغبين ان يسمعوا السنة الالهية وذلك بقوله
انهم اولاد لا يحبون ان يسمعوا ناموس الله وكان مراده بذلك ان يشهرهم بانهم قد صاروا
من المعدودين الهالكين ولنات الان الى مطلوبنا ولنختم الكلام معكم ايها السامعون
قايلا ما هو رايكم فيما اوردته على سماعكم من شواهد الكتاب المقدس لعلكم لم تقتنعوا بان
عدم الرجوع الى كلام الله كما تقدمت فقلت لكم هو مرض عضال وداء مهلك والحال ان
الذي هو خايب منه فهو مقطوع الرجا حسب راي جميع الاطبا الروحيين الذين قدموا
للعالم اشارات وعلامات في الموت الابدي وتلك العلامات ليست بشرية ومرتاب بها
لانها علامات الهية واجبة التصديق الكلي ومن ثم نرى ما الذي ينبغي لكم وهو ان تعيوا
في نفوسكم بكل قوتكم هذا الرجوع الى التعليم المسيحي وتعيوه بالتجنب من تلك الملاعب
الباطلة التي رايتها تنتصب احيانا حتى في الايام المقدسة وتعيوه بابتعادكم عن العشرات
الذميمة ثم بالهرب من ترافق الخلان الجهلة وابتعاد شفاهكم عن الشرب من الكاس المذمومة
في الكتب السفيهة التي هي لديكم موموقة لذيذة وتعيوه خاصة بتواتر استماع كلام الله
تعالى لان الاختلاف العجيب ما بين الاطعمة الجسدانية والاطعمة الروحية هو هذا اي ان الذي
يطلب ان يجوع ويشتاق الى تلك يلزمه ان يصوم او قلما يكون يتناول منها قليلا فقليلا
باقتناع اما الذي يجب ان يجوع الى هذه الاطعمة الروحية ويتوق اليها فليس له سبيل اخر
اصلح من انه ياكل منها كثيرا وبتواتر عظيم

القسم الثاني

العدد ٩

اتظنون انني لست افتكر جيدا فيما الذي سوف تقولونه فيما بينكم عند رجوعكم الى منازلكم فربما
تقولون ان السبب الذي حرضني على ان اخاطبكم اليوم في المعنى المذكور ليس هو كلام غيرة
في مجد الله تعالى وخيركم بل اكثره من جرى الطمع وايثار محبة الذات اي انني ارغب واطلب
اجتماع شعب غفير الى استماع الوعظ مني لا من غيري ولاجل ذلك يمكن ان تتوهموا بانني بالغت

في بيان الجوع المقدس الذي يجعل أن تمتلي الكنيسة كل يوم من الخلق ولكن ماذا تريدون أن
اجيبكم على ذلك هل اجيبكم انني لست اسر منها جداً حقاً بمشاهدتي الكنيسة ممتلية من الشعب
والحال انني ان قلت ذلك فاكون فضلت ذاتي من باب الجهل بالقداسة على اغوسطينوس
المعظم الذي كان في عظاته التي قالها تفسيراً للزبور يمتدح مراراً كثيرة شعبه لاجل
حسن المواظبة والفرح اللذين كان بهما يتواردوا الى ان يستمع خطابه وجعلت نفسي ايضاً
اقدس من القديس برنردوس الذي كان يبالغ في مدح رهبانه الذين كانوا يسمعونه بنصتة
حسنة ولذة وافرة حينما كان يعظ في ايام الصوم المقدس واقدس ايضاً من يوحنا الذهبي
فم الذي نادراً كان يخطب خطبة ما خلواً من ان يشكو من قلة وجود السامعين ويفرح
بازديادهم وقد شبه ذاته في عظته التاسعة للشعب بالام الروفة التي تحس بغتة بان
قد صفح على قلبها الحزن والمرارة عند مشاهدتها احداً من اولادها المعزا غايباً عن المايدة
ولا يمكنها ان تصمت من ان تسال عنه غيرها بقلب جريح وقتا لما ماذا صار منه ومن ثم اقول انه يخفى
الذي تقال انا الخاطي الشقي من ان اقول ان الحالتين عندي متساويتين اعني حضور كثيرين
هنا او قليلين لكوني اشتهي واطلب ان اراكم كل يوم مجتمعين جميعكم هنا في حين الوعظ
لان ازدحامكم يسرني ولكن مع ان ذلك صحيح فتفترون على كثيراً اذا ظننتم بي انني ارغب
واشتهي ذلك من اجل فخري ومجدي نعم انه قد يمكن ان يكون كذلك ولست انكر على ان
الكبرياء اساسها عميق في الانسان وقد يوجد من يختضع بالخبث (كقول ابن سيراخ) وجوفه
مملو مكراً ولكن مع ذلك جميعه فلي رجا باني خالي من هذه النفخة العلو واوصيتكم قط
بان تاتوا الى لتسمعوا الوعظ مني لا من غيري فيما ان لكم واعظين كثيرين في هذا الصوم
افضل واعلم مني يقدرون ان يقدموا لكم فايدة فاخرة لتغتذوا منها ومن ثم لاحظوا خير انفسكم
وفايدتها فقط وحيثما وجدتم قوتاً اصلح وانسب فهناك اذهبوا غير انني اطلب اليكم سوالاً
بان لا تتركوها صايمة كلياً اها يا ايها المسيحيون ثم احيانا ما هو امر تحمله انكم لكي تقيتوا الجسد
بالياً منتناً تعانون اتعاباً وافرة وتنفقون اموالاً جزيلة بجذل اما النفس الشريفة الغير المايتة
تتغاضون عن الاهتمام بها اولاً فمن يعطيني عبرات الدموع السخينة لابكي بالكفاية على هذه
الغباوة الشنعة او من يعطيني كلاماً لارثيها ونوحاً وعجيجاً لاندبها انه اذا استقام
الجسد يوماً واحداً فقط من غير اكل فكل انسان يتالم ويشكو اما النفس فتستمر مرات متعددة

خايبة

خايبة من القوت لا يوماً واحداً بل اسابيع بل شهوراً وما من احد يشكو ويتالم لعمري
لو ادركتم حسناً كم من الفايدة يمكن احياناً ان تنتج لكم من عظة واحدة اذا سمعتموها
كالواجب لكنتم حقاً بلا شك تظفرون بكل صعوبة وتستهونون كل تعب لتحضروا وتسمعوها
اسمعوا خبراً في اثبات ذلك قد ذكر عن بولص المدعو
البسيط انه قد كان معتاداً ان يجلس مراراً عديدة مقابل باب الكنيسة الجامعة ليرقب
بعيني وجه النفسين اوليك الواردين اليها اخياراً واشراراً واذ في ذات يوم عاين
منظراً رهيباً جداً وهو انه ابصر خاطياً مهزولاً ذليلاً وشنعاً جداً اتياً الى الكنيسة مقبلاً
ما بين شياطين وكان ملاكه الحارس سايراً وراه من بعيد بوجه حزين ويتقدم متمهل
فشرع بولص البار يبكي من جرى هذه الرؤيا المريعة بكاءً عظيماً ولكنه بعد زمن يسير
تعزى وفرح جداً وسبب ذلك لانه عندما خرج ذلك الخاطي المسكين من الكنيسة
راه ليس معتوقاً من الشياطين كلياً فقط بل راه ايضاً جميلاً نقياً متلالياً ووجهه الى الجهة
الحد حتى انه بالجهد قد عرفه من ملاكه الحارس الذي كان سايراً معه ووجداه فرحاً
وبهجاً لا حزيناً ومكدراً كما كان من ذي قبل فركض حينئذ اليه مسرعاً واوقفه وساله
والتمس منه بقسم ان لا يخفي عنه سبب حياته فاجابه اخيراً بذلك قايلاً انه سمع من
على المنبر كلام اشعيا النبي اذا كانت خطاياكم كالقرمز تبيض مثل الثلج فتحرك من ذلك
مترجياً الغفران وشرع يتاسف على خطاياه اسفاً هذا اعظم مقداره حتى انه غلب كل
عايق وقطع كل قيد ورباط ورجع الى بيته بقصد صالح في تثقيف عيشته أهالو
كان يستطيع احد ان يري كم وكم من المسيحيين يخرجون من الكنيسة بعد الوعظ
متغيرين عما كانوا عليه قبلاً بعزم اصلاح سيرتهم بخلاف ما كانوا قبل ان يستمعوه
ولكنتم انتم ايضاً ترجون ان تحدث لكم اختلافات حسنة غريبة وقد لاحظ هذا
المعنى جيداً القديس يوحنا فم الذهب وذلك في ميمر الثالث عن التوبة فقال ان الحيوانات
التي خرجت من سفينة نوح خرجت مثلما كانت دخلت فالغراب خرج غراباً والذيب
ذيباً والثعلب ثعلباً والقنفذ قنفذاً وهلم جراً اما الكنيسة يقول القديس المذكور
فلا تخرج منها الحيوانات مثلما دخلت بل انها تبدلها ولكن لا تبدل فيها الطبع لكن الشر
والخطايا نعم لقد دخل البيعة وهو نظير الغراب ذاك الخاطي الذي لقساوة قلبه كان

يوخر التوبة من يوم الى يوم وها هو يخرج منها بغتة نادمًا نايحًا على خطاياه نظير الحمامة
دخل بمنزلته ذيب خاطف ذاك المرابي الذي كان يسمن جسمه من دم الفقرا وها هو يخرج
رحومًا وديعًا مثل النعجة ومستعدًا لان يعطي صوفه ايضًا للعريان ليكسوه به
دخل شبه ثعلب خبيث ذاك الخاين الذي كان يرفع نفسه منزلة وشرفًا لا بخطط
خصمايه وها هو يخرج بارًا نقيًا مثل الخروف وعازمًا عزمًا متينًا على ان يحتمل المشقات
والفقر ايضًا لكيما يعطي الشرف والرتبة لمن يستحقهما وذاك الاثيم القليل الصبر الذي
كان من جهته ينخس كل من يريد يمس شانه وكرامته دخل كمثل قنفذ وها هو يخرج
نظير ظبي وديع بليانة سلوكه مع الجميع فما هي هذه الحوادث الغريبة لعمري انها
التغييرات الحسنة المفعولة من كلام الله تعالى في ذلك الذي اذا ذاقه المسيحيون واستلذوا
به فلمن شانه ان يأثر فيهم هذه التاثيرات العجيبة قد قيل ان الاطعمة المسحورة من
سيرسي الصنم قديمًا كانت تحيل الناس الى حيوانات اما هذا القوت الالهي المحيي الذي
نحن في صدده فلا يفعل ذلك بل يحيل الحيوانات الى بشر وليس يحيلهم بشرًا فقط
لكن يجعلهم سيرافيم هذا هو الذي احال موسى الحبشي من لص قاسر الى راهب تقي بل
صيره قديسًا لانه استمع عظة واحدة فقط عن جهنم مع ان استماعه لها كان صدفة
واتفاقًا وهذا هو الذي احال بيلاجيا الزانية الى سايحة ومنفردة في الفيافي القفرة
وهذا هو الذي احال تايدا الفاجرة الى تايبة ونايحة على خطاياها ويا سعادتكم ايها
السامعون ان كان هذا التعليم يجعلكم كذلك ايضًا اي يحيلكم من غير كاملين في تقوى
الله تعالى الى كاملين في تراه اذ لا يجوع ولا يطلب بحرارة عظمى هذا القوت الروحي القوي
الفعال والعجيب بهذا المقدار فها انني اعيد الوصية واكررها عليكم من صميم قلبي قايلا
اسعوا مجتهدين مجدين لكي تحصلوا على هذا الجوع المقدس وان كنتم خايبين منه
اطلبوه من الله تعالى بتواتر وتكرار كثير حركوه فيكم وايقظوه وان كنتم متخمين به فقووه وازلوا
كل عايق لكي تنموه قال ارميا النبي في شان اوليك الجياع سكان اورشليم انهم اعطوا كل
شي لهم من الثمين اي من الفضة والجواهر ولم يبقوا لهم شيًا من ذلك لكي ياكلوا و
يقتاتوا وهذا نص كلامه اعطوا جميع ثمايتهم بدل القوت لتقوية النفس فنظير ذلك
ينبغي لكم ان تفعلوا انتم اي يجب عليكم ان تنبذوا كل شي وجميع ثماينكم لتقوية

انفسكم

انفسكم في كلام الله تعالى لانه اذا دنا وقت الوعظ فلا يوجد حينئذ اوان الاهتمام بالمكاسب
والارباح العالمية ولا المناظرة على الاملاك ولا السعي بالدعاوي والخصومات بالمحكمة ولا
البحث عن الاخبار ولا قبول الزيارات ولا الانهماك في الاشغال لكن ينبغي لكم ان تنبذوا
كل هذه الاشيا وتدعوها وتذهبوا اولًا الى استماع ذلك الوعظ انما اجماع عيسو هل
فكر حينيذ بالبكورية كلا بل على ما هو معلوم منحها بعار عظيم وذلك بقليل من العدس
والعزون من قبل الجوع رهنوا املاكهم واخرون رهنوا امتعتهم والمصريون تنزلوا طوعًا
واختيارًا عن اراضيهم وحقولهم كلها ليوسف ليدفع لهم القوت في سنين الجوع فهلم
هلم اذًا لنعطي النفس ايضًا اوزها وقوتها وليفن من دونها وليبيد كلما سواها ولو مهما
كان والحمد لله دايمًا

العظة الخامسة

في الاثنين الذي بعد احد الاول من الصوم المقدس تتضمن ايضاح كثرة الخجل
الشديد ان يستحوذ على الخاطي في الدينونة الرهيبة من افتضاحه تجاه العالم باسره

اذا جاء ابن الانسان بمجده تجتمع اليه كل الامم هكذا كتب مار متى في الاصحاح ٢٥ من
بشارته حتى متى تجسر الخطاة والى متى يتطعون برحمة الله العظيمة التي قد تجاوزت العدد
الى ان يستعملها معنا الى الان لقد صمت جل ذكره الى الان كانه لم يحس بالاهانات التي
كانت تحدث ضده من البشر ولكن العلي يستمر صامتًا وكانه عديم الحس دايمًا كلا
على اننا نعلم جيدًا ان الصبر اذا اهين وحقر زمانًا مديدًا يستحيل اخيرًا الى غضب فاحذروا
اذًا يا ايها الملايكة الموكلون على الانذار بيوم الدينونة الرهيب واهتفوا بابواقكم واظهروا
للاثمة العصاة حقيقة ما انا قايله اظلمي ايتها السموات واحجبي عنهم انوارك عدل
البروق اهطلي ايتها النار من العلا واحرقي جميع قناياهم انفتحي ايتها الارض وابتلعي جميع
اثيمهم انطلقي ايتها الوحوش واخرجي من اوكارك للقا الاشقيا الهاربين خوفًا ورعبًا من
المدن الى المغاير ليختفوا فيها ومزقيهم وافترسيهم وابيديهم ولا تبقي احدًا يفتخر بانه
حظي بالنجاة من سخطك ولكن ما لي وذكر هذه القصاصات العتيدة ان تسقط على
الخطاة على ان هذه لا محالة قد انذروا بها عدة مرار من غير فايدة فانا اعلم اني قد اتيت
بذكرها وشرحتها لهم من المنابر في مبادي سني رهبانيتي اذ كنت شابًا ادرس علمًا ما من

الفصاحة البليغة ومع ذلك لا اعلم ان كانت عظاتي احدثت تاثيراً ما في وجوه السامعين
او صيرت قلباً ما يخفق ارتياعاً ولكن وان كنت ملتزماً في هذا اليوم ايضاً ان اخاطبكم في
الدينونة العامة فمع ذلك قصدت ان اترك جانباً من ذكر القصاص المشار اليه انفاً وغيره
ايضاً واتي بشرح قصاص اخر ربما لا يفتكر فيه احد ولا يلتفت اليه ولكونه قصاصاً مختصاً
بالانسان وحده فلذلك ليس يجب ان ارهب واخوف من كان حافظاً بعد في نفسه صفات
الانسانية قلت مختصاً بالانسان لانه ولا قصاص من ساير القصاصات الجسمية يمكن ان
يتادب به وحده فهل يمكن ان يتادب وحده بالجوع ام بالضرب ام بحريق النار ام بالتجريح
ام بالموت فيقول القديس توما اسقف ولنسيا انه ولا قصاص واحد من هذه المذكورات
يختص به وحده لان هذه تجري على الحيوانات ايضاً وانما القصاص الذي يتادب به
ليس هو الا الخجل ثم يقول القديس المذكور نفسه في العظة الاولى التي قالها في الاحد الاول
من صوم الميلاد ان الحيوانات لها ان تُضرب وتُقتل وتُحرق اما الخجل فليس هو لها ولاجل
ذلك لا يوجد بالانسان تاديباً انسانياً الا ما يخجل من خطاياه جهاراً فلا تاملوا اذاً مني يا ايها
السامعون اني اخاطبكم اليوم في عظتي هذه عن تلك الاجرام النارية العتيدة ان ترى في
الجو بمناظر مخيفة مرعبة كما يفعل الاخرون ولا عن اصوات الرعود العظيمة ولا عن الغيوم
الدخانية المتلبدة ولا عن الامطار النارية المتكاثرة ولا عن الصواعق المتهاطلة كالبرد
ولا عن السواد المدلهم الذي تتسربل به الشمس ولا عن الدم الذي يقطر من القمر ولا عن
تساقط النجوم وكسوفهم المحزن فهذه المخوفات جميعها اتركها جانباً واخاطبكم عن
موضوع واحد فقط مرعب جداً لكي تتاملوه اليوم وترتعدوا وهو خجل الخاطي المفضوح
تجاه العالم اما تسلمون لكلامي هذا وتقرون ان هذا ارعب واوجع من جميع الموضوعات
المخيفة العتيدة ان ترى في ذلك اليوم العظيم يوم الدينونة العامة لعمري انه ينبغي
لكم ان تقروا به معترفين ان كنتم بشراً ذوي عقل رشيد لطيف ومتصفين باخلاق ظريفه
مهذبه كما يشهد فيكم حسن صيتكم الصالح ومن اجل ذلك احسنوا السمع والاصغا
الى ما اخاطبكم به الان ومن لا يشعر فيما بعد بانه يرتعد خوفاً وجزعاً في داخله من قبل
الخزي فليخش لئلا يكون اثم الخطية احاله من انسان الى حيوان خلو من ان يفطن بذلك
انه ان كان يتفق في العالم وجود هوان عظيم مخجل فلا شك في انه يكون ذلك الهوان الذي

العدد ٢

صنعه

صنعه حنون ملك بني عمون في قصاد داود الملك الذين ارسلهم اليه ليعزوه في وفاة
ابيه فهذا الملك الغبي المفتري على سنن العالم الادبية فعوضاً عن انه يقبل اولئك القصاد
باكرام وقيمة حلق شعرهم من اصله بمنزلة اسارى ثم حلق نصف لحاهم كانهم مساخر ثم
خرق ثيابهم حتى ادبارهم وذلك ليريهم منظراً ذا هوان وعار اعظم وبعد ذلك الزمهم
ان يظهروا بهذا الحال تجاه بلاد دولته واعيانه والاكابر ولم يكتف بذلك بل الزمهم ان
يسيروا في شوارع مدينته ما بين الشعب واخيراً بعد ان شبع هو واله من الاستهزاء عليهم
وسرحهم بما فعله بهم ارسلهم مفضوحين على هذا الحال الى ارضهم فان كان هولا السفرا
شعروا بخجل عظيم ام لا فعليكم ان تتاملوا ذلك في نفوسكم اما انا فيكفيني ان اصدق واقر
الخجل والاستحيا الذين استحوذا عليهم من شهادة الكتاب المقدس القايل انهم كانوا
مستحيين كثيراً جداً ومن هنا انتج انهم لم يكونوا يجسرون ان يرفعوا عيونهم لفرط
الحيا ولا ان يتفوهوا بكلمة واحدة بل لو خيروا لكانوا ارتضوا بحز الراس بالسيف ولا
باحتمال هذا الحيا والخجل امام الناس فان كان ذلك كذلك ليت شعري ماذا يتم باوليك
الاثمة المرذولين يوم الدينونة لكونهم عتيدين ان يحملوا هواناً وعاراً اعظم جداً مما
اوردناه وليس في مدينة ما ولا امام بلاد دولة لكن بازا جميع الجنس البشري وسيرون
الديان الازلي جالساً فوق السحاب على عرش ذي قوة مهيبة وحوله مراتب جالسين لا
يحصى عددهم اي الرسل والابا والانبيا والمعترفين والعذارى والسواح مستقرين في كراسي
بهية جليلة حسب اختلاف درجاتهم اجواقاً اجواقاً ومع هولا يشاهدون الملايكة
لا اجواقاً بل جيوشاً عظيمة متسلحين عددهم يفوق الحد يحجبون الجو بكثرتهم ويزيدون
ذلك المحفل عزاً وجلالاً وهيبة فلتتصور الخطاة المرذولين ان يحضروا عراة متخلين مخذولين
خجلين منكسي الروس امام هذا المحفل العظيم وهو محفل شعب ملتيم من ملوك وسلاطين
الذين يكون كل منهم ابهى نوراً من الشمس ليدانوا اذهم مع كونهم اناساً مثلهم ومن طبيعتهم
ايضاً ليت شعري من يستطيع ان يدرك وفور الخجل الذي يشملهم وقتيذ امام ذلك المحفل
العظيم بل لدى العالم كله ولا سيما اذ يرون ذواتهم يسحبون الى هناك من الابالسة بمنزلة
مجرمين مقضي عليهم ويساقون من جوق شياطين شنعي الصورة كانهم يريدون ان يفتخروا
بهم على انهم الغنايم التي اكتسبوها من العالم ومن ثم يدفعوهم ويحضروهم باللطم والرفس

والضرب والهزء والتعيير فلا يستبين لكم انهم يكونون ح[illegible] متحزنين كثيراً جداً حتى انهم لو
استطاعوا ان يعتقوا من هذا الخجل والعار بالفتك في انفسهم ايضاً لكانوا لا محالة فعلوا ذلك
طوعاً واختياراً قد ذكر عن بيسون احد اعيان رومية انه لما دخل محفل المشايخ الرومانيين
لابساً الثوب الرث الذي كانوا يلبسونه قديماً المجرمين المحكوم عليهم بالموت وعاين ذلك
المحفل الجالس على نسق ما يقتضي الشرع لمحاكمته وشاهد القضاة قد ظهروا في المحكمة والمشتكين
صعدوا الى كراسي عالية ليشهروا جرمه ويثبتوه والشعب التام هناك ليرى ويسمع دينونته
فلم يستطع ان يحتمل الخجل العظيم الذي اعتراه من قبل هذه المناظر بل تمهل قليلاً ثم اخرج
حالاً من تحت ثيابه سكيناً كانت موجودة معه خلواً من معرفة احد الحاضرين وطعن بها
ذاته وسقط ميتاً فمع ذلك انجو الآن ما الذي كان يفعله اولئك الاثمة الاشقيا لو كانوا
يحظون بحربة يستطيعون بها قتل نفوسهم ومن تراه كان يمكنه ان يضبط في ذلك
الوقت ايديهم كيلا يفتكوا بذواتهم او يبدي احد لاذهم وسخطهم على انفسهم ولكن مع
ذلك جميعهم يضطرون رغماً عنهم ان يحملوا عارهم كقول حزقيال النبي والذي هو ابلغ من
ذلك ايضاً ان يستخزوا في جميع ما فعلوا

قلت والذي هو ابلغ لانه ان كان الحضور فقط امام ذلك العرش المهول الرهيب يجتلب لهم
خجلاً وخزياً لا يطاق فليت شعري ماذا يكون حينما توضح خفيات الظلام وتظهر ضماير القلوب
اعني حينما تبتدي ان تتلا سجلات الخطايا بصوت جهير وتشهر العيوب الخفية وتكشف
الادناس المفعولة سراً وباطناً لعمري اني لا استطيع ان اوضح لكم عظم هذا الخجل الا بما قد
تهيات لان افترضه لكم قايلاً فلنفرض ان الله تعالى وهبني معرفة الاسرار وعرفت كلما فعلتموه
من الخطايا والقبايح خفياً واحداً فواحداً ثم شرعت ان اشهرها امام هولاء الشعب كله قايلاً
تنظرون تلك الامراة الجالسة هناك التي تستبين لكم ذات حسب واحتشام ليس باليسير
فاعلموا انها زانية ولها عشرة ردية مع ذلك الشاب الجاثي هناك يصلي بورع كاذب
وهل تعاينون ذلك الرجل فهو الذي اصطنع سابقاً ذلك المكر والخيانة وشاهدوا
ذلك الاخر فهو الذي ارتكب خطية تلك السرقة وذلك الرجل الذي تنظرونه واقفاً
هناك اما تعلمون من هو فاعلموا انه متشيطن لانه لكي يفتك بعدوه سراً فها هو
يدرس عليه فخاً في هذه الايام ليرميه به ويميته فليت شعري لو استمريت متكلماً هكذا

واظهرت

واظهرت كل شي اعرفه في الناس من الجرايم الاثام بنوع واضح مقنع حتى انه لا يستطيع
احد ان ينكر ما اقوله عنه فمن كان يستطيع ان يصف فرط الخجل الذي تعاينونه قد شمل
كل وجه وبرقعه لا ريب في انكم كنتم تنهضون على حالاً مستحيين ومغضبين ومنكم من
كان يقصد ان يسد فاي حتى ولو بالاشارة من بعيد ومنكم من كان يختفي بنظره الى شراسية
لا صمت ومنكم من كان يروم ان يختفي بصراخه وكنتم ترون ايضاً اناساً مولين بسرعة
معتقدين انه خير لهم ان يخرجوا من الكنيسة حالاً من ان افضحهم واخزيهم ومع ذلك
نحن اين موجودون انما موجودون في مدينة وفي كنيسة وان كان هذا الخجل الذي
يلتحق بكم من اغتصاض شانكم وخجلكم باذا الشعب قليل يكون عظيماً بهذا المقدار فليت شعري
كم يكون عظيماً ذلك الخجل الذي يشملكم من قبل محفل العالم باسره فالى متى تخدعون ايها
الخطاة كهنة المسيح في الاعتراف السري وحتى متى تسترون امامهم اقبح ادناسكم
واقطعها خففوها ولطفوها على حسب هواكم لئلا يظهر لهم سوء قبحها ولكن عساكم
تتوهمون انه يمكنكم ان تفعلوا هكذا ايضاً في ذلك اليوم الاخير او اسفاه عليكم فاعلموا
يا هولا متيقنين انه يلزمكم رغماً عنكم ان تعترفوا بها اعترافاً لا خفياً سرياً بل جهاراً
وتبينوا علانية من قبل ذواتكم كل شي لا تطيقون الان ان تسمعوه مني وتعلنوا الفسق
والحرام والخداع التي ارتكبتموها سراً وكنتم تخجلون الان من الاقرار بها فان كنتم لا تصدقوا
فاسمعوا كلام هوشع النبي الملتزمين بتصديقه فهكذا يقول مربوط اثم افرام اي ان
الخاطي يخفي الان خطيته بتلك السهولة التي بها يختفي الجنين ابتداء في مستودع امه
لا تعلم اربابه ووالدته فقط بل يخفيها ايضاً عمن هو قايم مقام السيد المسيح في الارض
فالان خطيته مكتومة كقول هوشع النبي المذكور لكن ماذا يصير فيما بعد تاتي عليه اوجاع
ماخض اما رايتم قط حال المراة المتمخضة التي قد دنت ولادتها فهذه في ابتدا حملها كانت
كاتمة امر حملها الجنين لكن لما اعتراها المخاض فلا تعود تستطيع ان تكتمه بل يلزمها
كرهاً عنها ان تظهره بالبكا والصراخ العظيم لشدة الاوجاع المتراكمة عليها هكذا قال
هوشع النبي في ص١٣ وعدد١٣ انه يحدث بكل من الخطاة انه تاتي عليه اوجاع
ماخض اعني تاتي عليه اوجاع ما خض والمفهوم من ذلك انه يضطر بان يوضح حال
نفسه وكلما فيها كرهاً عنه ولكن من تراه يستطيع ان يبرهن حسناً وفور الخجل والوجل

ولعيا الذي يتولد من ذلك لقد عرفت متحققاً حال بنت ما قد سقطت من مدة سنين قليلة
في اثم فظيع لعلة العشق الردي الذي كانت مرتبطة به مع شاب اثيم نظيرها فحملت من
تلك السقطة وارتاعت فيما بعد من تاملها الخجل العظيم الذي كان موافياً عليها من الولادة
القريبة ارتياعاً عظيماً جداً ومن ثم احتالت ودعت بسرعة ذلك الشاب السيي الذي اقتض
بكارتها ما عنها وتوسلت اليه مبتهلة ان يقتلها قبل ان ينفضح امرها واما ذاك العقوق
العاشق الغاش اسمعن ايتها البنات والنسا الفاجرات الشقيات اسمعن وافهمن
ما هو عاقبة عشقكم ومحبتكم الدنسة المحرمة فانه اضحى لها وقتيذ خليلاً اميناً ذا واجب
واستعد حالاً الذي يرضيها ولم يستصعب ان ياتيها بكاس سم مريع لتتجرعه بيدها
ويبعث بها الى دركات جهنم وله عليها بذلك جميل واحسان ايضاً فيا ايتها الابنة
الشقية المنكود حظها يا ابنة عديمة المشورة ايتها الغبية الفاقدة العقل ما اكثر
جنونك وما اوفر تعسك لعمري انها ما تندم على فعلها هذا ولا تقدر غوا ذلك ينبغي لكم ان
تلاحظوا ايضاً ماذا كان يحل بها من جهة اخرى بعد لما عدمت المشورة اي لو كتمت امرها
صابرة غير مفتكرة في عوارض المخاض ثم ذهبت الى كنيسة ما في يوم عيد احتفالي وبينما
هي منتصبة ما بين جمع غفير من الشعب الملتيم الى العيد اشتملها بغتة الاوجاع الشديدة
حتى انها لم تعد تقدر على ان تضبط الطلق والتزمت من ذلك ان ترخي العنان للبكا
والصراخ والتجدب والتململ وهكذا اخيراً ابرزت تجاه ذلك المحفل الجنين الذي هو
ثمرة اثمها في المكان الذي كانت قبل هنيئة يسيرة جالسة فيه بادب واحتشام ترمقها
اعين الناس فاذا تقولون ها كلما ذكرناه وذلك رغماً عنها فتصوروا في عقولكم كم يكون مقدار
الخجل الذي يشتملها وقتيذ وكم يكون كلام الشعب فيها وحديث السري عنها وكم يكون
سجس اهلها واقاربها من قبلها اما كانت تحب حالاً ان تدب على الارض في تلك الكنيسة
لتذهب وان استطاعت لكانت تفتح لها قبراً ما لتختفي فيه حياءً وخجلاً ومع هذا جميعه
فهذا الخجل العظيم انما هو يسير جداً بالنسبة الى الخجل الذي يستحوذ على الخاطي في يوم
الدينونة لكونه يلتزم حينيذ ان يبرز الى الوجود لا جنيناً واحداً ثمرة اثمه المستقبحة
الفضيحة فقط بل اجنة كثيرين جداً وليس تجاه اقارب قليلين ولا امام جمع شعب يسير
بل امام العالم كله والاكثر الحسرات والتنهدات والزفرات التي تصدر منه لاجل الخجل العظيم

ما اوفر عجيجه وضجيجه وتمزق قلبه من الوجل لعمري انني استطيع اقول فيه مع ارميا النبي
في ص ٤ عدد ٢٦ تسمع الامم عاره وولولتك تملا الارض فيدعو وقتيذ الى الغابات خلانه
ولكن عبثاً تذهب دعوته ويطلب الذين كان يحبهم ويودهم ليستروا عليه ولكن باطلاً يكون
طلبه لانه لا يعود حينيذ احد يشا ان يظهر ان له معرفة به او قرابة ما اصلاً بل كل واحد
يهتم بنفسه فسيكون اذاً سعيداً لو تنفتح قلما يكون القبور وتبتلعه او لو تتناشه الرحمة
او تسحقه الصخور ولكن ينبغي له رغماً عنه ان يظهر بازا العالم كله فضلاً عما كان يرى نفسه
قديماً ممقوتاً ومكروهاً ومرذولاً من الجميع ولا تعود تفيد الولولة والضجيج الذين يرجو انه بهما
يحرك الجبال لكي تنشق وتسقط عليه وتغطيه فما هو رايكم الان ايها السامعون اما استبان
لكم حقاً ان الخطاة جميعهم سوف يخجلون جداً في ذلك الوقت ايها الاحبا وانهم يلبسون
الخزي كقول ايوب ويحتملون خزيهم كقول حزقيال واذ شينا نستعمل عبارة داود المرتل
فنقول يتردون بخزيهم كالرداء من الراس حتى القدم واحسرتاه علينا نحن الاغبيا المساكين ترى
ما هي المنفعة من اختراع هذا المقدار من الحيل والتدليس لنغطي اثامنا وجرايرنا المستحى منها وما
الفايدة من تنفيذ بغضنا وحسدنا للقريب تحت شبه الغيرة المقدسة ومن ايثارنا اتمام اغراضنا
بحجة العدل والبر وماذا نربح اذ كان الان الليل يعيرنا نقابه الاسود لنستر به الادناس القبيحة
وما ننتفع اذ كنا نتبسم ونود ان نخفي عن غيرنا حقدنا عليه وماذا نستفيد اذ كنا نحت وجه
ذي حشمة وبشاشة نحجب قلباً دنساً لعمري انه سيصدر لنا من ذلك عار وخجل اعظم عندما
تظهر كل الخفايا والمكتومات
وان اعترضتم قايلين انكما قلته العدد ٤
يا ابانا وبرهنته في وفور هذا الخجل العتيد ان يشمل الخطاة في يوم الدينونة لانه نصد وانه اعظم
وازهم كذا حيث انه يكون من قبل خطايانا العامة التي ارتكبها كثيرون ايضاً اجبتكم ان قولكم هذا
لضلال مبين وذلك لانكم لا تعرفون لاي سبب لا يخجلون الخطاة من خطاياهم في هذا الزمن
الا قليلاً احيانا يشعرون بان لهم فيها مماثلين رفقاً كثيرين وها انا اوردكم السبب قايلاً لانهم يتخذون
الان قاعدة خجلهم من اعتبار الخطية كما هو عند الناس الذين من حيث ان غالبهم هم مغرورون
مخدوعون من خبث قلوبهم فيعتبرون الخطية مرات شتى كانها فخر ومجد لهم وكانها صادرة
من خفة العقل او من قبل ميل الطبيعة البهايمية ومن جرى ذلك يستخفون بجرمها غير مقيمين له
اما في ذلك اليوم فلا يكون الامر هكذا لانهم يتخذون قاعدة خجلهم من اعتبار الخطية كما هو

عند استحقاقنا ونظراً الى هذا الشان قد تكلم القديس المعظم مار توما اللاهوتي قايلاً ان الجنيين (اي في
يوم الدينونة) يكون الخجل ملاحظاً اعتبار استحقاقنا الخطية وهو اعتبار بحسب الحق ومن ثم كم
يحصل لهم اي الخطاة من العار والخجل تجاه هذا النور الالهي الساطع الخارق الذي به يرون
ذواتهم منضوحين من ابرازهم هذا المسخ العظيم القبيح اعني به الخطية التي يدركون ح
وفور قبحها وشناعتها المريعة مثلما هي قدام الله تعالى اني ارغب اليكم ان تتصوروا عظم الخجل
الذي لحق على احدى النسا الشريفات التي قد كانت عايشة في رومية وعلى ما اظن في ايام
البابا مرتينوس الرابع فهذه ولدت ولداً مكتسياً جسده شعراً يشبه شعر الدب وكثيفاً جداً
وله اظفار ملتوية كمخالب الطاير الخاطف وعيناه زايغتان كالوحوش لعمري ان الامهات اللاتي
يرغبن بشوق عظيم ان يلدن اولاداً جميلي المنظر واللواتي يتباهين بولودهن اذا كان جميلاً
يفهمن جيداً عظم خجل المراة المذكورة التي وضعت هذا الولد الممسوخ الذي مر ذكره فان كان
ميلاد مسخ مثل هذا يورث والدته خجلاً عظيماً فماذا يكون اذاً بالخطاة حينما يشاهدون ذواتهم
قد ابرزوا مسخاً اشنع من المسخ المذكور بلا قياس اعني به الخطية فهذه هي المسخ الشنيع الفايقة
شناعته على جميع المسوخ التي ظهرت في العالم بل هي ذات الشناعة في العالم التي منها تشنعت
صورة النفس البشرية بعد ان كانت ولها بديعة في الحسن والبها وهي التي من جراها حصل الجنس
البشري في شقاوات ومضرات عظيمة المقدار بعد ان خلقوا ليكونوا سعدا واشرافاً مع الملايكة
وهذه هي التي اذ لبس المسيح شبهها فقط فكانه ارعب اباه السموي وحصل مكروهاً منه
تعالى واستبان ابرص وبشع المنظر مع كونه هو عين الجمال والضيا حتى ان هذا الشبه القبيح
فقط الذي تردى به لاجلنا اسقطه تحت اللعنة نظير ما تقول الرسول الالهي انه صار
بسببنا لعنة وبعد هذا كله اما تقشعرون بوفور الخجل العظيم الغير الموصوف الذي يشتمل
الخطاة حينما يبصرون نفوسهم هذا المسخ الكلي القباحة خلوا فان يعطوا نوعاً ما من
ان يدفنوه تحت الارض او يخفوه في مكان آخر محجوباً لا يدري فيه كما يفعل اولئك الذين ياتيهم
بالولادة مسخ شنيع بدلاً من طفل جميل او انهم ينسبونه لغيرهم موهمين الناس انه ليس هو
منهم ومع ذلك جميعه فهذا الخجل المشروح مما حتى الان اذ كنا متصفين
بنور الايمان الحي فيكون اعتباره لدينا كلا شي بالنسبة الى خجل اخر اعظم يلحق بالخطاة وذلك
حينما يبصرون بالمسيح يوبخهم بوجهه بسبب عن انكارهم جميله معهم وخاصة جميل دمه

العدد ٥

الزكي

الزكي الذي هرقه من اجلهم فيا ايها المسيحيون احباي اننا نحن ممن لا ندرك ادراكاً جيداً
ماهية موت السيد المسيح ابن الله عنا وبسببنا الا اننا سنفهم ذلك عند ظهورنا بازايه وح
نفهم كم قد كنا في مدة حياتنا غير عارفين احسانه وكم قد قسونا وتصلبت قلوبنا نحوه حتى
ليس اننا لم نكن نرتضي ان نقبل باسمه فقيراً واحداً في منازلنا ولا ان نتصدق عليه ولا ان
نفي ما علينا لكنايسه ولديورته بل اصرفنا حياتنا في ان نغيظه تعالى ونهينه كم من الخجل يجب
ح وجوهنا خبر وبلغ الباروس ريس السفن الاكبر الذي قد ذاع اسمه وشاع صيته لاجل
اسفاره الكثيرة في البحر تحت مخاطر متعددة ولاجل كثرة غلباته التي نالها من الاعدا فهذا المذكور
امر في ذات يوم فيلبس الثاني ملك هيسبانيا بان يعد السفن ويهيها للحرب ضد انكلترا
ولاجل ان ذلك السفر كان محتاجاً الى سفن كثيرة جداً ومع ذلك كان ملتزماً ايضاً بان يعد
ذخيرة وافرة وجيشاً عظيماً وحصوناً كثيرة فلم يستطع ان يهيي كل ذلك بالسرعة التي كان
الملك يطلبها ولاجل ذلك تحنق عليه قايلاً ودعاه الى البلاط الملوكي ثم خاطبه بوجه عبوس
وبصوت مهيب معنفاً له هكذا بالحقيقة انك لم تسلك معي فيما امرتك به كحسبما كنت
ارجو منك ولا بموجب ما انت ملتزم به قال هذا فقط وصمت ولكن ماذا انتج من كلامه
هذا ولعمري ان تعنيفه هذا الاخير كفى لان يملا قلب الباروس خوفاً ورهبة وربما عظيماً
بهذا المقدار حتى انه خرج من البلاط الملوكي وكان وجهه يتقد كالنار ومضى الى داره و
انطرح على فراشه وبعد ايام قلايل قضى اجله ومات فما هو قولكم الان فانا لا اصدق بل لا
اظن انه يوجد فيكم احد لا يقر مسلماً بان وجه السيد المسيح الديان وصورته لهما قوة
وعزم اعظم جداً من صوت ملك مايت فان كان الامر هكذا حقاً فتصوروا اذاً في عقولكم ماذا يحل بكل
واحد منكم حينما يظهر امام حضرته الالهية ويشرع تعالى في ان يتكلم عليه بغضب كقول داود
النبي وليس انه تعالى يوبخكم على تهاون وكسل خفيف فرط منكم في خدمته كما كان ذنب الباروس
رييس الجيش المقدم ذكره لكنه تقدس اسمه يبكتكم على جرايم واثام لا تحتمل فيخاطب كلاً منكم
قايلاً لما اني انا قد اتصلت الى ان اموت عنك باشنع الميتات متعلقاً فوق خشبة الصليب
تلك التي تراها هناك ولاجل ذلك كنت ارجو منك ان انال احتراماً ما اما انت يا ناكر الجميل
فقل لي ما الذي فعلت مجازاة لحبي هذا الوافر نحوك بل ما هو الذي لم تفعله من الخطايا
والمعصيات لتشتمني وتحتقرني اما قد ازدريت باسمي وشتمت عبيدي واصفيايي

اما دنست هياكلي ومقادسي وهزوت بكلمتي بل بلغت ايضاً الى ان افتريت بسوء اقوالك و
افعالك على دمي المهراق لاجلك العلي طلبت منك اشيا عظيمة فايقة مكافاة لي كلا بل انما طلبت
منك من الاكرام والواجب مما يكفي لان تجعل اسمي ان لا يكون مهاناً ومعيراً ولا غير اهل الخدمة
والاكرام منك لقد طلبت منك في وقت فاقتي ثوباً واحداً ارتدي به وعند حلول الجوع سالتك
رغيفاً من الخبز لاقتات به اما انت فاحببت ان تبدد مقتناك في الملاعب المحرمة والعشرات
الردية الدنسة والافراط في الولايم الباطلة والتردد في المواخير الشيطانية اكثر مما احببت
ان تهبني ما سالتك افهذا هو الذي استطعت ان انال منك بعد ان مت على الصليب لاجل
استفادتك اي ان تفضل محبة الجميع لاجل تتميم اهوائك على محبتي وان تتهاون بي اكثر من
جميع اصدقائك وخلانك فهذا الخطاب وما يماثله يخاطب الديان اعظم الخطاة معنفاً
ولكن من تراه يكون ذا قلب شجيع غير متزعزع ويستطيع ان يرفع من الارض عيناً واحدة لشدة
الخجل والوجل والارتهاب افمن يقوم امام وجه غضبه يا ايها الشعب المسيحي اني اخاطبك
بكلام ارميا النبي قايلاً انه قد صار لك جبين امراة زانية لا تريد تستحي اعني تحولت من كثرة
التوغل بالخطايا صيرت لك جبيناً وقحاً واعدمتك روح الخجل والحيا ولاجل ذلك ربما
يستبين لكل منكم انه ليس بعيداً ان يجزع ويتغير وجهه عند استماعه التوبيخات المذكورة
من فم المسيح ديانه الرهيب ولكن حقاً يا اخوتي انه لا يكون الامر كذلك في يوم الدينونة لا يكون
كذلك على ان الجحيم الناري الذي سوف يتقد في وجهك لتفاقم الخجل يكون عظيماً بهذا
المقدار حتى ان اضطرام جهنم بالنسبة اليه يستبين لك اقل اتقاداً واحراقاً ثم اصغ بما
انا اخاطبك به بل بما يخاطبك به القديس المعظم ايرونيموس مضبوطاً نظراً الى مدة احتمالك
هذا العار والخجل الصادرين لك من التوبيخات المقدم ذكرها وانها ستظهر لك كل علة
كانها الف سنة الى ان يلفظ المسيح القضية الاخيرة في هلاكك ويدعك ان تهبط في
اللجج السفلية فيقول هذا القديس المعظم هكذا ان احتمال عذابات جهنم اخف للهالكين
من احتمال الحضور لدى الله ولكن لا يعجلن بهبوطك في جهنم على انه تكاد تريد لاجل عارك
الاعظم ان تجتمع معه على تخجيلك الوثنيون الذين مع كونهم عادمي نور الايمان وخالين
من نعمة الاسرار لم ياتوا نظير ما اتيتك

العدد ٦ فها هوذا قد حضر الى تخجيلك وهذا ينتك الشاب الشريف نسباً وحسباً سورينا فهذا

الشاب

الشاب قد كان متصفاً بجمال بديع لم يكن في عصره من يضاهيه حسناً وجمالاً ولما شعر بان
جماله هذا كان صاير سبب للعثرة لغيره كما اخبر عنه القديس امبروسيوس خدش وجهه
بجراحة غريبة حتى اضحى بجملته دماملاً وقروحات وهكذا ازال كل جماله واحب ان يعيش قبيح
الصورة شنيع الهيئة ولا ان تصاب عفته وعفة غيره بسببه فقل لي اذاً انت ما الذي تجيب السيد
المسيح ربك حينما يوبخك بصنيع هذا الشاب الوثني على انك مع كونك مسيحياً لا تخاف
من ان تغوي بعض غيرك بالتخفيف الباطلة المتباهي بها وليما تجتذب لوجهك معاداً لا
تستحي من انما تزينه ليزداد جمالاً ما خلقه لك ربك وها هوذا ايضاً انساغورس الفيلسوف
مع انه لم يكن له مقتنى اخر في العالم سوى حقل صغير استورثه من والديه وهذا ايضاً نبذه
عنه فيما بعد وتفرغ منه كلياً قايلاً ليلا يلهيه ولو قليلاً عن الدرس والبحث في العلوم واما
انت ايها المسيحي يا من جهل بكل عواطف قلبك الى جمع المال واكتنازه متغافلاً عن الاهتمام
بخلاصك ماذا يكون جوابك لديانك واما اركوانتوس مع انه لم يكن يحب في الارض احداً
اكثر من ابنه الذي كان واحداً من مشايخ المدينة ايضاً فمع ذلك قتله لانه افترى على
حقوق العامة فماذا يكون قولك انت الذي تجعلك المحبة الزايغة عن الحدود نحو اولادك
ان تصمت عنهم ولا تردهم عن مسيرهم الردي خوفاً من ان تغيظهم وتحزنهم وما نقول عن
قسيون الجليل في اليونانيين فهذا ايضاً يخزيك عندما تراه وقد حكم عليه بالموت حسداً
فمن فم ايه بعد ان كان فعل افعالاً جليلة كثيرة خيراً لاهل بلدته وقبل ان يسقوه السم
القاتول سيل من اصدقايه الحاضرين هل يريد ان يوصي ابنه شيئاً لانه كان غايباً ليبلغوه اياه بعد
وفاته فاجابهم قايلاً لست اهوى ان تبلغوه من قبلي وصية اخرى غير هذه الوصية وهي ان ينسى
كل الافترا الذي افترى به غرماي علي ولا يفتكر بهم اصلاً بان ياخذ ثاري منهم بل فليجازيهم بدل
الشر خيراً ابداً لاني صفحت عنهم وسامحتهم كلياً وتنازلت باختياري عن كل ما لي من الحق عليهم
فهذا كان جوابه اما انت ماذا تقول يا من يشتهي ان ينهش قلب غريمه ويمزقه باسنان ولا
يكتفي ان يبغضه هو وحده بمفرده بل يريد ان تجتمع معه في بغضته جميع اقربايه وكل اصدقايه
بل ويطلب ايضاً ان تنتقل عداوته له بمنزلة وراثة غير منقطعة الى خلفايه فقل لي اذاً الحق
يا ايها المسيحي ناشدتك الله اما بان لك انه لعتيد ان يكون خجلك عظيماً بالنظر الى جم
غفير من البرابرة الذين يظهرون في الدينونة افضل منك والحال انك انت قد ولدت في

حضن الديانة الحقيقية وربيت ما بين قديسين ورضعت حليب الكتب المقدسة مع الا
القديسين ورأيت مثالات صالحة تقتدي بها وتثقف سيرتك عليها حتى انه لم يكن باقياً فيك
سوى ايمانك ولكنك خالٍ من كل عمل صالح وهذا يكون لك لاعظم خزي واوفر عار لاجدادك و
فخرك وبالتالي لا تستطيع ان تفتخر في ذلك المحفل العظيم ببرّك مثل ابرستيدس ولا نسبتك
نظير سلاكس ولا بعفتك بعد اد بايمون ولا بصبرك شبه سقراط ولا بصداقتك على مثال
باريكلس ولا وديعاً نظير انتيغونوس ولا زاهداً في الارضيات تقدر ان تميد ان هولاء تمام
المولودين جميعهم في وسط ضلال العبادة الوثنية عادمين اكثرهم معرفة الحيوة الابدية
وخاليين من تعليم الانجيل والتقليدات والتعاليم المقدسة ومن النبوات والآيات والاسرار
وغير عارفين في وجود الله قد احبهم محبة هذا اعظم مقدارها حتى انها اعني محبته صيرتهم ان
يقاسوا اشد العذابات ويموتوا اشنع الميتات لاجل استقامتهم كما عرفت انت ورأيت
فماذا جوابك عن هذا كله يا ايها الشقي وما الذي تحتج به ومما لا تدعو مصدقاً بان ذلك
كله يزيدك خجلاً وربما ان ذلك الخجل منذ الان وقد شمل وجهك عند استماعك ما
اوردته لك من اخبار الوثنيين ولعمري لولا انه عتيد لان يزيدنا خجلاً وعاراً لما كان رب المجد
تقدم فنبهنا الى ذلك قائلاً ان رجال نينوى يقومون في الحكم مع هذا الجيل ويحاكمونه
وملكة التيمن تقوم في الدين مع هذا الجيل وتحكم عليه اما هو عار عظيم على المسيحي ان
يوبخ من بربري او كردي او وثني ويشتكي عليه من سامري ويحكم عليه من عابد الاوثان لعمري
انه لا يوجد عار ولا خجل اعظم من هذا خبروا عن بوليزلاوس الاول ملك الفلاخ انه لما رأى
واحداً من اعوانه لم يسلك في الحرب بشجاعة تليق به بل ان قلبه جزع رهبةً وخوفاً فلم يعامله
بنوع اخر من الاحتقار غير انه ارسل اليه هدية مغزلاً حسناً مذهباً ليغزل به فالتزم ذلك ان يقبل
الهدية من ملكه ولكنه قبلها ملتحفاً بالحيا الذي تستطيعون انتم ايضاً ان تتصوروه
ثم انه لما لم يمكنه ان يتجرع الخجل الذي اعتراه من تلك الهدية لكونه بها قد شبه بالامرأة
الضعيفة فاخذ حبلاً وربطه بعنقه وشنق ذاته ومات فاذا يظهر ان كم من المسيحي حينما
يشبهه المسيح نفسه بوثني وليس يشبهه بوثني فقط بل باحقر من ذلك ويحتقره نائياً
عنه والنتيجة انه لما يحتقر القوي اكثر مما يحتقر الضعيف والمسلح اكثر من عديم السلاح والشريف
المنتسب الى الملك اكثر من العبد والاسير اما هذا العار فيسمو على كل عار لا ريب في ان المسيحي يستر

ح وجهه بيديه لتفاقم الخجل ويجدد الزفرات ويزداد في النحيب والعويل هاتفاً وقائلاً
يا لعظم شقائي ويا لوفور غباوتي ثم يردد بنفسه كلام المزمور قائلاً الخزي وجهي قد غطاني
من صوت المعير والثالب ومن وجه العدو والمضطهد غير انه يلزم ههنا ان تلاحظوا
قضية واحدة لئلا تسقطوا في غلطة وهي انه مهما قلنا انفاً عن الوثنيين المقدم ذكرهم
لا تستنتجوا منه انهم لعتيدون ان يمارسوا فعلاً من افعال التسلط والحكم القضوي
على الهالكين بل سبيلنا ان نفهم فيهم جلياً ما قاله الرب عز قوله لانه لم يقل عنهم سيجلسون
ويحكمون عليهم لان هذه وظيفة تختص بالقاضي ان يجلس اساساً على المسند فلا يقومون
ويحكمون عليهم والمفهوم من ذلك انهم يكونون بمقام المشتكين اما التسلط والحكم
القضوي على الهالكين فيمارسه مع السيد المسيح قديسوه فقط كما يشهد الرسول
الالهي بقوله اما تعلمون ان الاطهار يدينون هذا العالم وسبيلكم هنا ان تلاحظوا
شيئاً اخر مما يخص تسلط القديسين على الهالكين وهو مما يلايم موضوع خطابنا هذا
جداً واذا لاحظتموه وفهمتموه حسناً فانه يفيدنا برهاناً اخر جديداً في بيان تفاقم
الخجل الذي نحن في شانه وها انا اسألكم فجيبوني مَن هم الهالكين الذين يحكم عليهم
القديسون بمقام القضاة فان قلتم انهم يمارسونه نحو جميع الهالكين فاجيبكم نعم ان
هذا حق ولكن مع ذلك جميعه فانه لمن الحق انهم يمارسونه بوجه اخص نحو اولئك
الهالكين الذين قد كانوا اهانوهم في حياتهم واساؤهم بنوع ما اي نعم ان هولاء القديسين
يقيمهم الله خاصةً لدينونتهم ومحاكمتهم حسبما جاء في سفر الحكمة بقوله حينئذٍ يقوم
ذوو العدل بدالة جزيلة قبالة وجه الذين احزنوهم فيدققون عليهم ابلغ تدقيقاً
ويجرون عليهم اخص حكماً واخيراً ينطقون عليهم اخص القضية في هلاكهم فهلم الان
ايها السامعون وتعتبروا معي ما انا عتيد ان افتحه مما هو من خطابي وهو انه كم مقدار
ما يكون عار هيرودس مرةً حينما يكون قاضياً عليه ذاك المعمدان الذي قطع راسه
اكراماً للزانية وكم يكون عار نيرون اذ يشاهد بطرس وبولس قايمين بمقام قاضيين
عليه ذانك اللذان احتقرهما وبغضهما في بعض حقير ثم اماتهما قتلاً وكم يكون خجل
ديوكلتيانوس حينما يكون قاضياً عليه سابستيانوس ذاك الذي امر ان يرشقوه بالسهام
مربوطاً في شجرة كم يخزى والريانوس من مشاهدته قايماً لدينونته لورنسيوس ذاك الذي

شواه على مشواه قد ذكر ان كلاوبترا الملكة المتكبرة انها كانت تظن بانها تدخل
المدينة بشرف عظيم وزفة حافلة جالسة على مركبة النصر عند رجوعها من الحرب لكن
من حيث ان املها هذا قد خاب واعتبرت ذلك عارًا عليها فحزنت وانكادت بهذا
المقدار حتى انها لتشفي غيظها اتت بافعى ردية وقدمتها الى صدرها فلدغتها وماتت
فتصوروا الان ما الذي لم يكن يفعله في ذلك اليوم الهالكون وما الذي لم يكونوا
يحتملونه لو سمح لهم الله تعالى بان يمارسوه ليتخلصوا من العار والخجل العظيمين الواصلين
اليهم في مشاهدتهم ذواتهم مطروحين تحت اقدام اوليك الاثام الذين كانوا حفاة عراة
واوليك الحقيرين واوليك المهملين الذين كانوا قديمًا يسخرون بافعالهم كانها افعال
اغبيا جهلا ما اوفر ما تكون فضيحتهم ما اعظم غيظهم وغضبهم ووجلهم ومن ثم يصح
ما قد تقدم اشعيا فتنبى به من ان شتامي البار ياتيهم زمان ويطرحون تحت رجليه
وذلك بقوله يسجد لاثار قدميك جميع اوليك الذين كانوا يسبونك فوقتيذ ترى
الامرا الكنة والامرا والحكما والحكام يلتمسون الرحمة عبثًا من اوليك الادنيا حسبًا الذين
لم يكونوا قبلا الى ان يصغوا الى طلباتهم حتى لا اقول الى ان يذعنوا الى حججهم وتشاهد
ايضًا الاغنيا يتضرعون مع الغني للابرص لعازر الى رفقا العازر اعني بهم المساكين
الذين كانوا يمسكون عنهم الفتات التي تلقى للكلاب وتعاين ح الملوك يستميحون
مع اخاب رضى مماثلي نابوت اوليك الذين كانوا يختلسون ظلمًا اقسامهم وتنظر ايضًا
قواد الجيش يكونون جاثين على ركبهم مع ليفانا تحت اقدام ارذل الحيور الذين
كانوا يهزاون متعجرفين على كلامهم فاي خجل اذًا تستطيعون ان تتصوروا اعظم من
هذا ولعمري ان الاثمة لا يكفيهم ان يعاينوا اعداهم فايزين بمجد عظيم يفوق الوصف
فقط بل انهم فضلًا عن ذلك يلتزمون ان يظهروا امامهم جاثين ومنكسي الراس ليتحقق
منهم نخصهم ودينونتهم وخزيهم ويزيدهم خجلًا عن ذلك ايضًا مرارة هذا الامر وهو
انهم يسمعونهم يقضون عليهم ايضًا بالموت الابدي لانه اذا حان الوقت الذي فيه
يجب ان ينطق الديان الاعظم بالقضا الاخير بعد ان يفضح كل اثم ويغلب كل خاطي فمن
تراه وقتيذ يستطيع ان يبرهن كيف ان جميع القديسين يوافقونه ايضًا بهذا القضا
فرحين مبتهجين قايلين معه ثم اذهبوا ايها الملاعين الى النار الموبدة اهبطوا الى العمق

اغدروا

اغدروا الى الهاوية لماذا تتاخرون امضوا سريعًا الى النار المخلدة النار التي لن تنطفي كيف
تجسرون ايضًا ان تنفروا تجاه النور الساطع الذي تلالاه حسنا اغربوا عنا ايها الاشقيا
المنكود حظهم اغربوا عنا ايها الملاعين ابدانوا في بحيرة النار الابدية لان وقت الرحمة
قد مضى ولم يعد لكم رجا الى الابد ها هوذا الموت المظلم الجهنمي قد صارت دار
مقركم الى ابد الدهور لان السما الذي تعاينونه فوقكم لاحظ لكم فيه على انكم نفيتم منه
نفيًا ابديًا لا رجوع له اذهبوا ايها الملاعين الى النار الموبدة فهكذا يخاطبونهم ولا يزالوا
يونبونهم ويطردونهم حتى تنفتح الارض وتبتلعهم ولعل هذا النحو يجعلونهم ان يختبروا
في نفوسهم الخجل العظيم الغير الموصوف الذي يدهمهم من هذا الطرد وانتفي العار الجهنمي وهذا
هو ذلك الخجل الذي جا ذكره في الزبور حيث قيل تخزا المنافقون ويهبطون الى الجحيم لانه
ان كان ادم وحوا شملهما خزي عظيم حيث انهما طردا من الفردوس الذي هو بحيرة الارض وان
كان هاجر واسماعيل افتضحا ايضًا لما طردا من بيت ابراهيم ليجولا في البرية وان كان ايضًا مريم
اخت هارون اعتراها الخجل الجسيم لما عاينت ذاتها طردت لعلة برصها من مضارب ال
اسرايل مع انها كانت عتيدة ان ترجع اليها بعد سبعة ايام نقية من البرص فالذي يحل
باوليك الاشقيا الذين بعد ان طردوا من شركة الملايكة ورفقة المصطفين وان تسكنا في
سرادق السما الاطلس البهجة الملوكية يشاهدون نفوسهم منفيين الى اسفل الجب الجهنمي
ليستوطنوا فيها برفقة الابالسة وليس ذلك الى مدة اسبوع او سنين وجيزة لكن الى
الابدية كلها ومن ثم يتم فيهم قول الله على لسان ارميا النبي المرعب القايل اعطيكم عارًا ابديًا
وخزيًا سرمديًا لن يحاقط

فاستيقظوا الان ايها السامعون الاجلا   العدد
وجاوبوني عما اسالكم وبه اختم الخطاب هل يوجد فيكم من لا ترتعد فرايصه عندما
تذكروا انه لا يمكن ان يسقطوا هو ايضًا تحت هذا العار الفظيع المشروع لكم الان الا واسفاه
علي لكم تغارون على سيطكم وشانكم بهذا المقدار حتى ان كل كلمة ولو كانت وجيزة قد فهم
بها تثلبكم وكل اهانة ولو مهما كانت خفيفة تجرحكم حتى انكم تنهضون من غير امراز ف
تفرعون صدوركم وتسرعون الى السيف وسفك الدم والى الضرب والخراب لتنتقموا
ممن يا سي اليكم ولو كانت اساته دنية فكيف انكم بعد هذا لا تبالون بالعار العظيم الذي
سوف يدهمكم في يوم الحشر الاخير العار الابدي العار الذي لا يوجد افظع منه العار الذي

يقتفيه غيظ وتمرد لا ينتهي الى ابد الدهور الذي قال عنه ارميا النبي كما ان هذين يمحا
نسيا قط ان العار والخزي اللذين يتصلان بشخص ما في هذه الحيوة انما يدومان قليلا
وينتهيان اما العار والخجل اللذين في ذلك اليوم العظيم يوم الحشر فيدومان الى الابد
ليت شعري هل لا تفهمون قوة هذه الكلمة اعني بها الى الابد فبهذا هو معنا هلا ان
الهالكين ينتصب مقابل كل منهم الى ابد الدهور كلها ذاك الخجل المريع الذي احتمله في اليوم
المضي تجاه العالم وهذا الخجل حسب رأي القديس باسيليوس في خطبته ٢٢ التي قالها
في الدينونة الاتية هو كاف بمفرده لان يجعلهم ان يقسوا فيما يتأجلوا على ذواتهم و
يغضبوا عليها الى الابد ومن ذلك يتوافر عذابهم وفوق الادكيف وهذا هو كلام القديس المذكور
ان الخجل الذي يتروع الهالكين دايما هو اصعب جدا من النار المعذبين بها فان
كان عار خفيف يالكم في هذه الحيوة كثيرا جدا اما هو جنون اما هو عما قلب من قبل به وهو
ان تطرحوا نفوسكم في خطر العار الاعظم العتيد ان يكون للخطاة في يوم الدينونه

القسم الثاني

العدد ٩

انني اسالكم الان ايها السامعون الاحباء فاجيبوني بالحق على سبيل البساطة تخلوا فيما هو
رايكم فيما سمعتم شرحه الان اما يبان لكم ذلك هذيانا وخطابا مضحكا وان قلتم
لي ما هو هذا السؤال يا ابانا هل كلامك معنا على سبيل الاهتزام من باب الجد فاجيبكم انه
على سبيل الجد وبعقل صاح ولاجل ذلك اكرر عليكم السؤال ايضا راغبا منكم ان تقولوا
لي الحق ولا تستحيوا اما يبان لكم هذيانا كل ما سمعتموه مني واوردته على مسامعكم في هذا
المحل وان قلتم لي ايضا ما بالك يا ابانا تهزي بكلامك الهالك تظن بنا اننا نحن عادمو
العقل وخالون من نور الايمان حتى اننا نعتقد بكلامك الذي وعظتنا به خرافة وهذيانا
فنحن نعتقد اعتقادا وكيدا اننا لعتيدون ان ننتصب امام الله في ليدينا على
اعمالنا في يوم الدينونة العامة وهذه هي لدينا حقيقة من حقايق الايمان الشريف الذي
لا يشوبه كذب ولا غلط فكيف اذا تسالنا يا ابانا ما هو راينا فيما سمعناه منك لانه لا
شك في ان كلامك ليس هو خرافة ولا هذيانا بل هو حقيقة من حقايق الايمان فان كنتم
تومنون يا ايها السامعون هكذا اي ان كلامي ليس فيه افك ولا بهتان فنعما تومنون ولكن
ليت الجميع يومنون هكذا فانا اقر لديكم بالحق ايضا انني كنت اظن انه كان لا يرجعكم

فقلما

فقلما يكون الاكثرون منكم لا يومنون بالدينونة العامة الاخيرة لكنهم يعتبرونها بمنزلة
خرافة او حكاية كما يعتبرها غالب الناس حتى من الكاثوليكيين ايضا تستغربون ايها
السامعون كلامي هذا لانكم لو كنتم انتم جميعكم وجميع الكاثوليكيين ايضا يومنون بالدينونة
العامة فلم تكن البيعة محتاجة الى ان تقيم محكمة لاستفحام اوليك الذين لا يومنون
وتحكم عليهم بحبس الدين لعمري انه لو بيسا والحبس جميع اوليك الذين يحسبون
الدينونة بمنزلة خرافة وحكاية ولا طايل تحتها لكان ضاق جدا حبس هذه المدينة المباركة
ويلزم ان تقفر البساتين وتهدم الكنايس وتنقض البيوت وتخرب القصور وتصير
المدينة كلها داخلا وخارجا حبوسا تسعهم الا ان هذا القول لا استطيع ان اقوله
واثبته ثباتا كليا عن سكان هذه المدينة لاننا نرى ما يوجد فيها اناس اتقيا مومنين ايمانا حيا
اكثر من سواها غير انه سبيلنا ان نعلم انه توجد في كل مكان محكمة سموية عدا المحكمة
الكنايسية فهذه تحكم فقط على الذين لا يومنون ظاهرا اما تلك فتحكم ايضا على الذين
لا يومنون باطنا وانا خايف لئلا يكون الكثيرون منكم في عدد هولا الذين لا يومنون باطنا
وان نكرتم علي ذلك فاجيبكم قايلا انني اخشى من ان يكون الكثيرون منكم من عدد الذين
لا يومنون باطنا هل تظنون اني بالغت بقولي هذا او افتريت عليكم فان قلتم لنعم انك
افتريت علينا فاجيبكم ها انا قد عدلت عما لي من الحق في ان اعظ هذه ولكني ادعو اسقفا
معظما جليلا في النسب وشهيرا في العلم وفاضلا في القداسة ليأتي وينجز عني هذه
العظة وهو سلبيانوس المغبوط اسقف مرسيليا فهل تقتاظون اذ ادعوته ليأتي ويصعد
الى هذا المنبر ويخاطبكم عني بفصاحته الالهية فليحضر اذا ويحكم بيني وبينكم بمقام المعلم
وانا اقوم الان بمقام التلميذ واساله قايلا فما هو رايك وما هو حكمك يا ايها الاسقف المعظم
الكاملي الحكمة في هولا السامعين عظتي هذه التي تلوتها عليهم في هذا الصباح هل يومنون
جميعا بالدينونة العامة انها شي حقيقي ام انها شي وهمي كاذب اتومنون بها انها عقيدة
من عقايد الايمان ام انها خرافة من خرافات العالم الباطلة فيجيب هذا الشيخ الكاملي
الفطنة في كتابه ٤ في الكتابين جوابا عاما مطلقا ولا يخصص احدا منكم بل فاز دليلا
يبرهنه فيقول ما من احد يصدق محققا انه لعتيد ان يدان من الله الديان المستقيم الا
ويجتهد في ان يفعل ما يستطيع لكي ينال بالاعمال الصالحة الخيرات الدايمة الابدية

وليلا يسقط بسو اعماله تحت العقوبات المخلدة انتهى انني لم اعد محتاجاً بعد هذا النص
الى شي اخر لانه يكفيني ما قاله هذا القديس المعظم ولست اخاف من ان اغيظ احداً
فاجيبوني الان يا ايها السامعون احبائي ان كنتم حقاً تومنون مصدقين التصديق
الكامل بالدينونة الاخيرة فما هي الافعال التي تمارسونها لتحتفظوا في ذلك اليوم بالقضية
الحسنة المبهجة التي تحكم بدوام سعادتكم في السما الى الابد او قلما يكون ما الذي تفعلونه
من السعي والجد لئلا تصعد عليكم القضية المرعبة الامرة في هلاككم بالعار والخجل المقدم
شرحهما امامنا فانا اعلم اذا شعرتم انكم لعتيدون ان تدانوا من محكمة ارضية في دعوى ثقيلة
تعنيكم جداً تبحثوا عن الوكلا وتستاجرون الشفعا وتستصحبون مع ذوي الوظايف في
المحكمة وتتضعون متذللين لخدامها بل انكم ايضاً لا تهدوا ولا تنهدوا نهاراً وليلاً فاليوم تمضون
الى هذا المخدع وفي الغد الى غيره اليوم تكلمون هذا المعلم وتبلغونه ما في ضميركم وفي الغد
تتخاصمون مع اخر سواه تقراون وتكتبون وتفحصون وتزعجون عقولكم من تلاوة الحجج والتمسكات
القديمة المتروكة في منازلكم ثم انكم تسمحون ببذل المال وذلك بارسالكم هدايا لهذا الشخص
وذلك تعدونه في العطايا والنتيجة تسعون باية كلفة كانت لكي تتخذوا انصاراً لكم مساعدين
لكم في المحكمة ولا تهملون كل اجتهاد يخطر على بالكم لتستطيعوا الانتصار في الدعوى او قلما يكون
الامل به فاجيبوني هل تفعلون هكذا لتنالوا الغلبة ايضاً في المحكمة الالهية حيث الفحص
في دعوى تختص بالابدية كلها اسرعوا بالجواب ولا تتباطوا عن ارتداده هل تفعلون هكذا
حقاً حقاً يا المسيحيين لتتكلم فيما انا عتيد ان اورده فقط يخزيني ويخجلني جداً على انه اذا
طلب منكم ان تتناولوا القربان المقدس كل شهر مرة واحدة فتقولوا ان هذا كثير وان فرض عليكم
قانون ما في سر الاعتراف فتجيبون انه ثقيل واذا فرض عليكم نوع ما من العبادة لكي تمارسوها
كل يوم فتعتذرون قايلين ان ذلك صعب عليكم ومكرب لكن فلنعدل عن هذه الاشيا
ونخاطبكم عما هو اضر منها قايلين فاذاً قلما يكون غادروا تلك العشرة الغير اللايقة فتجيبوا
لا نستطيع امتنعوا من ذلك اللعب المحرم فتابوا عن ذلك وان شار عليكم معلم الاعتراف
بان تصرفوا كل ليلة قبل الرقاد ربع ساعة في فحص ضميركم لكي ترتبوا عمل نفوسكم حسناً فتعتذرون
قايلين ان رأسكم لا يحتمل الحصر وان نصحكم احد بان تواظبوا كل يوم صباحاً على المضي
للبيعة لتحضروا القداس الالهي فتجيبوا ليس لنا وقت والاشغال قد ادركتنا وان وعظكم احد

لتمنحوا

لتمنحوا صدقة ولو كانت وجيزة لاوليك المساكين الذين يزحفون ببطونهم على الارض
لكي يحاججوا عنكم في يوم الدينونة كقول الرب اعملوا لكم اصدقا من مال الظلم فتعتذرون
ان ليس لكم ما تعطونه لان الديون تراكمت عليكم وعيالكم كثيرة وقد انفقتم كلما لكم في
الدعاوي فالذين هذا صنيعهم هل يكونون معتقدين بانهم عتيدون ان يدانوا من الله
الله والحال انكم لا تريدون ان تصرفوا في نجاتكم من صرامة دينونته عز وجل حتى ولا نصف
السعي الذي تصرفونه حينما تشعرون انكم قادمون الى محكمة انسان لتدانوا منه فانا اتجاسر
واقول بانكم لستم تومنون لستم تومنون ثم اردد اختطف الكلام من فم سلبيانوس المعظم القدم
ذكره واجعله كلامي واقول لستم تومنون ليت شعري هل المحكمة الالهية هي اقل صعوبة من
المحكمة البشرية هل الدعوى اقل ثقلاً هل الخصم اضعف هل الحسابات اقل اشتباكاً هل القا ضي
السرمدي اقل خبرة هل حكمه اقل انصافاً هل شريعته فيها مناص اقل من شريعة البشر حاشا وكلا
فاذاً لم يعد لي شياً اخر اقوله فيكم غير انكم حقاً لا تومنون بانكم لعتيدون ان تحضروا في هذه
المحكمة الرهيبة ثم اكرر كلامي فاقول لكم لستم تومنون ولو قصدتم ان تثبتوا ايمانكم بالكلام
فاجيبكم لستم تومنون لا ريب ولا شك في انني لقد كنت اسلم لكم انكم تومنون بذلك لو تظهر
منكم هذه العلامة وهي توقيكم واحتراسكم قلما يكون بالظاهر اغاظت هذا الديان العادل
الصارم الذي هو عتيد ان يدينكم الا ان هذه العلامة ايضاً ليست هي نظاهر منكم لانه
ايمكن ان تكونوا مومنين بانكم عتيدون ان تحضروا امام السيد المسيح ربنا المهيب للدينونة
ولا يكون لديكم مع هذا الايمان شي في العالم تحتقرونه وتطاونه وتستهينون به اكثر من المسيح
سيدنا فاعلموا يا ايها السامعون المكرمون انني في خطابي هذا استثني جميع الصالحين
لانني بكلامي اقصد الشبان الفاجرين والنسا المستعبدات للاباطيل وساير الخطاة
الظاهرين الذين لا يستحيون بخطاياهم فهولاهم الذين اقول لهم مع سلبيانوس الاسقف
النفيس المقدم ذكره كيف تقولون انكم تومنون بانه لعتيد ان يكون لكم دياناً يدينكم على افعالكم
والحال انه لا يوجد لديكم ادنى منه واحقر فان كنتم تومنون ان المسيح سوف يدينكم فحسناً
تقولون ولكن لماذا تشتمونه في محل اللعب وتجدفون عليه في حين سخطكم وتحلفون
باسمه زوراً في عهودكم وتغيظونه وتحزنونه في تنزهاتكم لماذا تفضلون على رضاه رضى
شخص ما مغرمين بحبه لماذا تتمهلون تركه ولا تتركون تلك العشرة الدنسة اللذيذة لديكم

لماذا تبذرقون اموالكم على الخلان والزواني وعلى غير اشيا من النفقات الباطلة ولا تريدون
ان تعطوا جزًا منها للسيد المسيح العلكم تتجاسرون على ان تفعلوا مثل هذه الاعمال السية
مع انسان تكون له وظيفة القضا عليكم هل تظنون به في كل حديث العلكم تحتقرونه
بمعرفته في اي وقت كان هل تجسرون على ان تهينوه مواجهة وتسيوا الادب بازايه
كما تفعلون مع السيد المسيح الرب في كنايسه اي نعم حتى في كنايسه حيث تعاينونه
حاضرًا في القربان المقدس ومع ذلك لا تهابونه متيقنين لتعرضوا عن الحديث والتكلم
والضحك بل تبلغون من ذلك اهانته مواجهة وتغادرون عبادته وتسجدون لصنم حجر
حي من اصنام الزهرة اعني الزانية الحاضرة امامكم في الكنيسة مهما اردتم فقولوا فانكم لا
تستطيعون ان تقنعوني بان اصدق انكم مومنون بان المسيح لعتيد ان يكون لكم ديانًا
لستم تومنون اتفهمون كلامي لستم تومنون حتى ولو قصدتم ان تثبتوا ايمانكم بكل ما يمكن
من فصاحة الكلام فلستم تومنون

العدد ٢

فلماذا لا تومنون يا ايها المسيحيون المصلحا لماذا لا تومنون عسانا لا نعلم جيدًا انه ما من احد
يتخلص من الوقوف امام محكمة الله الرهيبة اصلًا ها هوذا الرسول الالهي يهتف قايلًا اننا
نحن جميعًا ينبغي لنا ان نظهر امام منبر المسيح قال جميعًا ولم يقل بعضًا ومن ثم ما بالكم مغرورون
وضالون في نفوسكم اتراكم ترجون ان تعطوا وحدكم نعمة خصوصية تعفيكم من الظهور
قدام عرش المسيح الملك العظيم ام هل ترجون ان تفلتوا بحيلة ام بخدعة ام بخديعة
ما تراكم تتقون بالهرب منه اه واسفاه عليكم ان كان يخطر شي من ذلك على قلبكم ف
بيس ما ترجون لقد زغتم عن الصواب ولعتراكم هذيان وجنون فيحكي لنا خبر القديس
كليمنضوس الاسكندري ان واحدًا من ملوك شيثيا يدعى ايتنسوس ارسل في ذات يوم
الى داريوس الملك الذي كان عدوه الاكبر هدية غريبة وكانت من ثلث حيوانات مختلفة
النوع اي جلدًا وسمكة وطيرًا واضاف مع هذه الحيوانات سهمًا مسمومًا وقد اشار اليه
بذلك الى انه ان لم يختف تحت الارض كالخلد ويغرق ذاته في لجة البحر كالسمكة او
يطير في الجو كمثل طير السماوات فان ذراعه القوية تتصل اليه وتفتك به حيثما كان لعمري ان
بحرفته هذه كانت عظيمة واهية لا محالة لكن اجيبوني هل يكفي هذا كله ايضًا لنختفي عن
الله تقدس اسمه فيجيب داود النبي كلا لا يكفي وذلك بقوله ان صعدت الى السما فانت

هناك

هناك ها هوذا ذراع الله يجدنا ولو كنا كالطاير طايرين في الجو وان نزلت الى الجحيم فانت
حاضر هوذا يد الرب تلحقنا ايضًا ولو اختفينا كالخلد في احشا الارض وان سكنت في اقاصي
البحر فان هناك تمسكني يمينك وها هوذا النبي يوضح ايضًا انه ولو اختفينا غارقين في قعر
البحر وكالسمك فيد الرب تتصل الينا وتمسكنا من تحت الما فاذًا مخدوع هو وضال ضلالًا
عظيمًا من يصدق انه يهرب من يد الله تعالى بنوع ما فالى اي مكان ذهب الخاطي فانما يكون ذهابه
الى حيث يملك تعالى لان الله جلت مقدرته له السلطان والولاية في جميع الاماكن وله خدام في
كل مكان وله جنود تمتد في كل موضع وبالتالي في اي مكان كذا ينبغي ان رغمًا عنا نوجد
تحت يده وقد جاء في سفر الحكمة خطايا الله هكذا الهرب من يدك هو غير ممكن ومع هذا
كله فانتم لا تخافون ولا ترتجفون او قلما يكون لا تصدقون انه مخوف الوقوع في يد الله تعالى
اللهم اني سالك ان تنير هذه العقول وتلين هذه القلوب اذ انني انا لا استطيع ان افعل
ذلك ولو استمريت الى اخر نسمة من حياتي جاثيًا لدى اقدامهم قلت لا استطيع ان افعل ذلك
ولكن لا لكون قلوبهم قاسية ولا لانهم منافقون ولا لاجل انهم غليظوا العنق كلا يا الهي انه ليس
هذا هو السبب بل انما السبب المانع هو كوني خاطيًا ولذلك كيف تريد مني احرك ولو قلبًا وا
احدًا من سامعي عظتي هذه الى الخشوع والتوبة والحال انني انا بحال اردى من جميع السامعين
لي فهلم اذًا انت يا رب يا ايها الراوف وتمم عجزي واعطني اليوم النعمة التي اطلبها منك من
جوارح قلبي وهي هذه اي ان تعطيني قلما يكون نفسًا واحدة من انفس هولاء الجم الغفير
الحاضرين ههنا نعم يا الهي اعطني نفسًا واحدة ولتكن تلك التي تختارها انت فانني اطلبها
منك باستحقاق ذلك الدم الكريم الذي هرقته على خشبة هذا الصليب وباستحقاقات
تلك الجراحات وتلك العذابات وتلك المنازعة المرة التي تكبدتها من اجلنا فيا لحسن
حظي ويا لوفور سعادتي ان استحقيت هذا البر العظيم في صباح هذا اليوم السعيد
ترى يا الهي كم اكون ملتزمًا بان اشكرك واحمدك على هذه المنحة واباركك سبحانك الهي
واذ قد ساغ لي ان ارجو من رافة سيدي نفسًا واحدة تلك التي يرتضي بها فمن ثم
تفرحي يا ايتها المراة الفاجرة لانه قد يمكن ان تكون تلك النفس التي قد انغمست في
تعتقت منذ زمان كثير في الشهوة الرجسة وظننت انه لم يعد يمكنك ان تنتفي منها
وقد يمكن ان تكون انت ايها الرجل المتشيطن في سخطاتك وانت ايها المدمن

على اللعب او انت وانت يا ايها اللص او انت يا ايها المفتري على الغير او انت يا من تقاوم
لدغات ضميرك وكم سنين عديدة وانت تعترف اعترافات ناقصة فاني انا ارغب
نفس واحدة فقط ولكني اريد ان تكون من تلك الانفس المقطوعة الرجا اكثر من غيرها
فماذا تقول يا سيدي الهك لا ترتضي بان تهبنيها ولكن ما بالي تجاهلت وطلبت
منك نفساً واحدة لا جرم فانه ينبغي ان اقر بذنبي هذا فاقول اني اخطات ضد
جودك الالهي بطلبي منك نفساً واحدة لانه قد كان الاولى بي ان اطلب منك انفساً
كثيرة بل سبيلي كنت ارجو منك خلاص الجميع وليس ذلك بدعاً ولا غريباً على رحمتك
العظيمة وكرمك اليوم اليس اننا ملتزمون جميعنا ان نلتقي معاً في وادي يوشافاط
فلا تسمح اذاً يا رب ان يرى احدنا ذاته منفرقاً من خلانه واصدقايه في ذلك اليوم بل
امنحنا ان نكون جميعاً عن يمينك خالصين فرحين مطمانين ونسبحك دايماً ايانا الداخل
بعز وانتصار الى مجدك الابدي الدايمة الى ابد الابدين امين

العظة السادسة

تشتمل على عظم حماقة الخاطي في مقاومته ربه لما دخل يسوع الى اورشليم ارتجت
المدينة كلها قايلين من هو هذا ودخل يسوع الى هيكل الله واخرج جميع الذين
يبيعون ويشترون في الهيكل هكذا حرر مار متى الانجيلي في الاصحاح ٢١ من
بشارته [العدد]

انني لست ادري ايها السامعون لاي سبب احب العالم
قديماً في اجيال ضلاله وهديانه المريع ان يسجد عموماً لالهة زرية مهانة عاجزة
اكثر مما احب ان يعبد الهة شريفة وقوية ويسجد لها وتحقيقاً لذلك اعتبروا افكاركم
حال جميع امم الملة الوثنية الضالة المفرقة فترو كل شعب منها كان يسجد مقتدياً
بغيره من الشعوب الكثيرة العابدين الهة ميتة خالية من النطق والحس كقولنا حجارة
جامدة او اشجاراً خرساً ومعادن صماً بل الذي هو ابلغ من ذلك هو انه لم يكن في مصر
خاصة حارث ما الا وتتولد له الالهة في حقله وبستانه وقد كان يكفيه لتاليدها
ان يضع يده على المحراث فقط على ان كل زارع ثوم ينبت في حقله كان لديه
صنماً يسجد له وكل بصلة كانت تينع فيه هي عنده الها يعبده وقد كانت ايضاً في
مصر الحيوانات سعيدة واسعد منها كانت الحشرات الاوفر دنساً والاقل قيمة كالجرادين

والسلحفات

والسلحفات ودود الارض والخشب حيث ان هذه قد حظيت عند المصريين
بان تتشرف بالبخور والسجود لها الا النسور التي هي اشرف الطيور ولا الوحوش
الكواسر واي حيوان ايضاً احقر من الخنزير التي من طبعها الاغتذاء من الزبل والتمرغ فيه
ومع ذلك فكانت هذه قديماً صنم اهل سبانيا المحبوب والمكرم منهم واي حيوان اعجز
من السلحفة فبهذه كانت الداهل تروكلايس يسجدون لها معظمين واي بهيمة اهيم
واغلظ من الثور وهذا كان الداهل ابو بوليس يسجدون له متعبدين واي حيوان
انتن من المعزى وهذه كانت الاله الذي كان اهل منديس يعبدونه ويسجدون له
فيا ايها السامعون من اين صدر هذا الجنون كله في البشر اما نعلم نحن عظم تسامح
الطبيعة البشرية وعجرفتها فكيف اذاً لم يستحي مثل هولاء من ان يخضعوا وينحنوا الى [ت]
هكذا حقيرة ومستقبحة ومستهجنة حتى اتصلوا الى ان يسجدوا ويقدموا البخور ان
فوق مذابح الحشرات المنتنة المستكرهة بعينها تلك التي كانوا فيما بعد يطاونها
بارجلهم اذ يكونون ماشيين فاقول ان معرفة السبب في ذلك ليست هي امراً عسيراً وعلى
ما يستبين لي هو هذا وهو ان اوليك الوثنيين كانوا جميعاً اثمة ومنافقين وما كان
نور الارشاد الطبيعي يضطرهم رغماً عنهم بان يقروا بوجود اله ما في العالم يجب له الاكرام
والسجود ففضلوا الحب والخضوع لاله دني وضعيف على محبة اله شريف وقدير
وذلك لِيلا يستطيع ان ينتقم من ماثمهم ومن قبل ذلك يبيحون لانفسهم افعال كلما
يخطر في ضميرهم من غير ان يخافوا من اله قادر على قصاصهم وقد ابدى رايه هذا المعلم
النبيل ثاوضورطوس الذي قال مثبتاً ان شيعة من الفلسطانيين كانوا لهذا السبب
يعبدون الذبابة ويسجدون لها مع كونها هي من جملة الذباب الاوفر كراهية وعجزاً
والاقل ثباتاً واستقامة فقد كان هولاء الاغبيا يتوهمون انهم يستطيعون ان يخطوا على
حسب هواهم من غير عقاب وذلك لان الههم ضعيف وعاجز حتى انهم يستطيعون
ان يبعدوه عنهم بمروحة او بنفخة واحدة او بتحريك اليد فقط كل مرة كانوا يرونه
قد ازعجهم واتعبهم لعمري ان القدرة الالهية مرهوبة هي ومقوتة لدى الاثمة جداً
ومن ثم دعهم يعبدون اي اله شاوا من تلك الالهة العادمة الحس والعاجزة عن
الانتقام من اثامهم اما نحن يا ايها المسيحيون المستنيرون بضيا الايمان المستقيم فان

الهنا ليس هو مثلما كانت الجهلة الأثمة يتصورونه قديمًا ولا مثلما يتصوره الآن أيضًا
كثيرون من الخطاة المتوغلين بالآثام والأدناس بل هو رغمًا عنهم وعن الجميع قوي قهار
جبار ذو مقدرة أكثر مما تشاؤن وتبتغون أنتم ولأجل ذلك يجب له الاحترام والخوف
منه عز وجل وإثباتًا لذلك أما تشاهدونه اليوم حسبما يخبرنا عنه الإنجيلي كيف
أظهر قوته وجبروته عند دخوله أورشليم هاهوذا الشعب كله يطلب أن يعرف من هو
هذا القوي المقتدر بهذا المقدار إذ يسأل بعضهم بعضًا من هو هذا وأما هو جل شأنه
فلم يعتبر أحدًا بل اتجه أن يسلح ذراع يمينه القوية القادرة وهتف صارخًا وأظهر
غير متضاربًا وأفزع الجميع خوفًا وهكذا عرف أن يلزم بحماية بيت احترامه أولئك الذين
تجاسروا على أن يهينوا جدار هيكله لا اقتدروه الإلهي فإن كان فعله بأولئك هكذا فما
الذي تفعلونه أنتم يا أيها الخطاة لكي تنجوا من ذراعه القوية أين تختفون يا أيها الأغنيا
الذين تهربون لكيلا يتصل إليكم رجزه فإذًا خير لكم أن تقتدوا بالشور الذي أعطيكموه أنا
وهو بأن لا تبرحوا منه هنا قبل أن تتحققوا قدرته العظيمة وترتعدوا منها خايفين
متأملين معي كم يكون غبيًا وعديم الصواب كل خاطي لا يخاف من أن يتصل بالآثم حتى أنه
يقاوم الله تحديًا ويعانده تجبرًا على الجرم كقول أيوب الصديق ومتسلحًا عليه بغلاظة رقبته
العدد
من ذا الذي لا يتعجب من مشاهدته السيد المسيح اليوم يبدد الجميع ويقلب الموائد ويهزم الحيوانات
ويملأ الهيكل كله اضطرابًا وبلبلة ويلقي الخوف والرعدة في كل المدينة وذلك بمقرعة
من حبل فقط كان ضابطها بيده لا بسيف ولا بسياط أخر مؤلمة لعمري أن القدرة التي
تنال غايتها بسهولة بوسايط حقيرة عديمة الاعتبار تعتبر أعظم وأفضل من القدرة التي لا
تستطيع أن تحصل على مرامها إلا بوسايط عظيمة راهنة فلو أني قلت لكم أن شمشون
الجبار الشجيع كان يستطيع أن يبلبل ويهزم جيشًا عظيمًا من الفلسطانيين بحربة مستطيلة
تستعظمون قوته لا محالة لكن وإن قلت لكم أنه كان يقدر أن يفعل ذلك بمجرد سيفه
أما تعتبرون قوته أكبر وأليس أنكم كنتم أيضًا تعتبرونها بأكثر من ذلك جدًا إذا أخبرتكم
أنه كان يستطيع أن يفعل ما ذكر بعصا واحدة لا غير ولما أن ذكرت لكم أنه فعل ذلك
بفك حمار ميت فإنكم لا محالة تعتبرون وفور قوته اعتبارًا أعظم مقدارًا حتى أنكم تهزأون
بكل من يعتبر قوة الإسكندر والملوك التي نسمع بها نحن ولعمري أنه ضال في رأيه كل من يعتبر

هولاء

55

هولاء أقويا أعزا لمشاهدته إياهم يرسلون أمامهم عند خروجهم ألوفًا كثيرة من الفرسان
والجنود حاملين الرماح والسيوف والتفنكات ومسلحين بالتراس والدروع الحديدية
فالحلي بنا إذًا أن نقول أن ذلك جميعه هو دليل الضعف والعجز ولا ريب في أنهم قد كانوا
حقًا أقويا جبابرة مخوفين لو يستطيعون أن يخرجوا ملتقين جيوش أعدائهم بفك حمار فقط
كما شمشون الجبار وبه يجعلون مقتلة عظيمة أو يهزمونهم أو يبددونهم لأن القدرة التي
تفعل مفعولات أعظم بآلات أقل مناسبة يجب أن تسمى قدرة على الإطلاق ولها الفضل والأثر
على غيرها فهذه هي القدرة التي تلألأت بنوع عجيب في إلهنا ومن ثم قد ذهب القديس
يوحنا الذهبي الفم إلى أن الله عز شانه لما قصد أن يكبح تشامخ المصريين أظهر عظمته و
قدرته الإلهيتين أو فرعون باستخدامه الحشرات الضعيفة العاجزة عن الحسية لا باتخاذ
وحوش الغابات الكاسرة المخيفة وذلك بقوله أن الله أظهر للعالم كله منظرًا عظيمًا لانخفاض
استكبار المصريين لا بالأسد والذيب لكن بالضفادع والذبان انتهى فإذًا بعد أن تقرر
ذلك هلم وتقدموا إلى إلهنا أيها المسيحيون وقولوا لي من أية أسباب يتولد فيكم ذلك التكبر
الذي بسببه أنتم معتادون أحيانًا أن تغيظوا إلهكم ومن أية جهة تصدر فيكم الجراءة الذميمة
والجسارة الفظيعة والعجرفة القبيحة في مقاومتكم إرادة ربكم الإلهية وقدرته العظيمة حتى
أنكم عوضًا عن أنكم تنتبهوا لنفوسكم وتتذللوا وتعدلوا أخيرًا عن إهانته عز وجل تداركوها
أنه وإن أخفيتم عن مداخل العدد
بل تضاعفونها أيضًا غير خايفين فلست أبالي من ذلك لأنه إذا
عرفتكم هذه وأسبابها وأبيتم أن تقروا بها حياءً منكم وخجلًا
تأملنا تأملًا مستقيمًا فيسهل علينا الاطلاع عليها وهي الخيرات الزمنية سيما الأموال الفايضة
عليكم وهذه بلا شك هي الأسباب التي تجعلكم غالبًا مستكبرين وتتعجرفين في الخطا ولا عجب
في ذلك لكون الفضة هي الشي الذي تطيعه الأشيا كافة وتخضع له كما يشهد بذلك
الحكيم بقوله متمتمًا ذلك في نفسه فإن الكل الأشيا تطيع للفضة ومن قبل هذا أنتم يا أيها
الأغنيا المتغنيا العارفون قوة الفضة بالتجربة وأيضًا بالامتحان تقولون متشامخين في
نفوسكم من هو الذي نحتاج إليه إننا لمستطيعون أن ندبر ونفعل كلما يخطر في ضميرنا
علمًا أنه سينعطف معنا ذاك الكاتب الذي له وظيفة التسجيل في المحكمة أن أردنا
أن نطلب الدعوى في الشرع وتطاوعنا تلك الفتاة إن ابتغينا أن تتم شهوتنا معها

ويطابقنا ذلك الشرط اذا ارشيناه ليتقم لنا من غريمنا وعلى هذا المنوال تؤثرون ان تقاموا
الله تعالى ذاته وتعاندونه عاصيف متشانيق كانه لا خوف عليكم اصلاً بل تتكلون على
الفضة او فرم الفاين عنبهما التي تتخذ بها كل الخيرات وتطيعها لترى قال الحكيم في سفر
الامثال قنية الغني مدينة قوية وهذا القول حسن جداً ومطابق لموضوعنا ثم اردف
كلامه فقال وكالسور الحصين حوله ولكن لماذا لا تفطنون في انه ولو كان كل شي يطيع
للفضة الا انه غير ممكن ان يطيع فضتكم ذلك الذي خلقها وهو مولاها وانه اذا شاء جلت
قدرته ان يطرح الى الارض سوركم هذا الحصين اتظنون انه يحتاج الى ضرب مدافع و
منجنيقات وما ماثل ذلك على ان خيراتكم هي قايمة غالباً في املاك وغروس وزروع وبالنتيجة
هي ظاهرة مكشوفة فاذا اراد ان يعدمكم ايها فلا يلزمه ايضاً ان يجدد الايات الغريبة التي
حدثت قبل جيلنا هذا في بولونيا لما امطر عليهم حجارة من السما ولا التي حدثت في دهرنا هذا في
بودا لما امطر رصاصاً لا لعمري بل اسمعوا كيف بشيٍ وجيز جداً يستطيع ان يفقدكم اياها
وذلك اما بصنعه معكم ما اصطنعه مع اخاب الملك اعني بامساكه عنكم المطر الضروري
في اوانه واما بارساله الى دمار حقولكم برداً صغيراً او ضباباً خفيفاً او حيوانات حقيرة لا اعتبار
لها ليت شعري اذا ارسل كثرة ما باهظة من الدود والجنادب والجراد اليس ان ذلك يكفي
لان يفقركم كم من المعجزات العظام اشترع بمثل هذا الجيش الضعيف اليس انه هكذا بين
النهوا امهزم الكنعانيين وطردهم من ارضهم ليملكها لال اسرايل اما انه ايضاً كسر عسكر الفرس
لما حاصروا مع سابور الملك قايدهم مدينة نصيبين اليس انه ايضاً طرد عسكراً اخر من
الفرنساويين قد كانوا معسكرين مع كرلوس الملك حول مدينة جيروندا والعله جلت قدرته
لا يستطيع بهذا العسكر الحقير ان يفنيكم اربعة اشبار من الزرع سالوا تاودرس اي غلا
جلبت حبوب الغيهب الصغيرة في بلاد المادين واستخبروا ايضاً سابيليوس اي خراب سببت
ضفادع جزئية في بلاد الترك واسالوا كروماتوس اي دمار احدث جندب قليل في بلاد دماشق
واستخبروا بلينيوس كم مقدار من الضرر حل ببلاد فرنسا من قبل دباب دني لا اعتبار له واستفهموا
سيكونيوس عن ماهية المجاعة العامة التي سببها دود صغير من الارض في بلاد ايتاليا وبعد
ذلك اجيبوني هل يستطيع الله ان يعريكم ويفقركم ايضاً بما هو حقير دني ام لا ولكن ربما
تقولون ان خيراتكم واموالكم ليست هي قايمة بمثل هذه الاملاك المذكورة ولاجل ذلك لا تخافون

لا

56

لا من قحط ولا من طوفان ولا من دود المياه ولا من حيوانات تتلف ارضيكم فاذاً في اي شي هي
قايمة الطلها قايمة في الصرافة او في المضاربة ولكن اما تعلمون ان الربح الناتج من ذلك هو
تحت ارتياب ايضاً ام لعلها قايمة في عوارض واحكار ولكن اما تعلمون ان هذه ايضاً قد يمكن
ان تقل وتنقص ام عساها مودوعة عند الصيارف تجتنون منها الربح المحتوم كل عام مادمتم
احيا انتم وذريتكم ولكن اما تعلمون العلم تجهلون كم يتداخل في هولا الصيارف من الخداع
الغش حتى انه يمكن احياناً ان ينكسروا وانهم يتخابثون عليكم ويجحدونكم راس مالكم وارباحه
ام هل ان خيراتكم قايمة في متاجركم لكن الا تدرون كم هي خطرة هذه المهنة على ان السفينة
التي اودعتم بها اموالكم وبضايعكم اليست محتاجة الى ان الله يمن عليها بالانسام الطيبة و
الارياح الملايمة المناسبة اما يعوزها ان تساق وهمة نوتيها مستقيماً لكيلا تضرب في صخرٍ او تنشب في
يبس او تقع في يد اللصوص البحريين والقرصان اما يلزمها ان تصدّ عنها العواصف والزوابع
الشديدة لكيلا تقلبها او تغرقها فكيف اذاً تجسرون انتم يا ايها التجار على ان تخاطروا او تفيضوا
ربكم في ذلك الزمن الذي فيه نفسه تكون اموالكم وخيراتكم سايرة في البحر تحت هذه المخاطر
الكثيرة واقوالكم فضلاً عن ذلك انه وان رايتم بضاعتكم واصلة الى الميناء فكم يجب ان تخافوا
عليها من العطب ولا تخدعون انفسكم بطمانينة الامان وذلك لان الله جل شانه حسبما
يخبر ترتوليانوس ان له ايضاً في المياه دوارات مختفية وغليانات خاينة لمن شانها ان
تغرق بضاعتكم ثم لنتقدم ايضاً الى ما قدام ونقول انه اذا كانت قنايكم واموالكم مقيمة في
البر اليس انه عزت قدرته يستطيع ايضاً ان يعدمكم اياها ايضاً باسهل ما يكون مثلاً اذا
كانت قايمة في الديار والمنازل اما يستطيع ان يبعث شرارة نار فتطير وتحرقها وتزول الاجرة
التي كنتم ترجونها وتستفيدون منها وان كانت مواشي اما يقدر ان يرسل نسمة مفسدة
تطعن بها مواشيكم كلها او يزول نفعها ربحكم وان كانت حنطة او ساير البزور والفروية
لقوت البشر ولو كانت محفوظة في اهراها فهل عسر على قدرته الالهية ان يأتي بقليل من
الرطوبة في اهرائكم وتفسد منها خزاينكم المتوكلون عليها لتربحوا بها او فرما رياح في ايام الغلا
وان كانت دراهمكم مستوثقاً عليها ايضاً في الصناديق ومحفوظة تحت اقفال من حديد
وصفايح من بولاد الطلها هي سالمة من يد ذلك القوي العزيز الذي في مثل هذا اليوم قلب
موايد الصيارف ما اكثر سد حاجتكم مالا وفضلاً لكم لعمري ان دعوى واحدة فقط اذا سمح بان

تقوم عليكم في الشرع او عداوة واحدة او تهمة واحدة او خصومة واحدة لا غير تكفي لان تبدد
دراهمكم كلها بزمن يسير ومن ثم قد اصاب تقدس اسمه بقوله على فم حجي النبي ان لي الفضة
ولي الذهب وانتم عارفون بذلك جيداً ومع ذلك اهكذا تستسهلون مغاضبته تعالى بخطاياكم
قولوا لي لو كان احد الملوك ضابطاً تحت يده جميع اموالكم كما كان يوسف الحسن ضابطاً كنوز المصريين
وهكذا لو كان السلطان على ان يعدمكم اياها او يتركها لكم حسبما يشا ازاكم كنتم تتجاهلون بهذا
المقدار حتى انكم تجسرون على ان تعادوه عداوة ظاهرة ومع ذلك كيف تبلغون الى هذا الحد
من النفاق حتى انكم تتعادون مع الله تعالى نفسه يا لها من غباوة عظيمة يا لها من جنون جسيم على
انكم انتم من اجل كونكم مالكين مالاً كثيراً وثروة وافرة تطمعون ابلغ طمعاً في اغاضته تعالى وانا اقول
لكم انه كان ينبغي لكم من هذا الوجه ان تهابوه تقدس اسمه وتحترموه اجزل احتراماً اعني لاجل
انكم مالكون اوفر ثروة فلو كنتم فقراء لكنتم من جرى خطاياكم تستحقون قصاصاً اخف ولكن من
حيث انكم اغنيا فمن ثم تستاهلون عقاباً اعظم وهو ان يسلب منكم غناكم وتحصلون فقراء مقترين
ولكن هات نفترض ان الله سبحانه يسمح لكم بان تمتلكوا قنياكم وارزاقكم خلواً من ان يعتريها شي
من الضرورة غير انه ما هو سهل عليه ان يعدمكم بامر جرى قلما يكون فوايدها على انه بالحقيقة
ان الغنى ليس هو شياً موموقاً ومرغوباً في ذاته كما علم ارسطو الفيلسوف لكنه موموق ومشوق
اليه من جرى الخيرات الناتجة منه وهي المجد والصداقة والمراتب والقرابة والولايم والتنزهات
والملذات وهذه الخيرات كلها انما ليست هي في امتلاك يد انه تعالى على حد سوى ويوزعها
لمن يشا ويريد لكن لكيلا يطول علينا الشرح اذا اردنا ان نتكلم فيها واحدة فواحدة فلنتكلم في
خير واحد يعم جميع الخيرات فنقول من منكم لا يعلم ان الصحة هي اساس كل خير وذلك
بموجب قول الله سبحانه ايضاً في سفر ابن سيراخ في فصل ٣٠ عدد ١٦ حيث قال لا غنا يشبه
صحة الجسم واثباتاً لذلك اقول ما المنفعة في امتلاك قرى وافرة عامرة وبساتين حسنة
ظليلة وقصور شامخة مزخرفة اذا كنتم مطروحين على سرير نظير اساكم يهود او غير
قادرين على ان تخرجوا خارجاً لتتنزهوا بها ولم يعد لكم سوى تعزية واحدة لا غير وهي ان
تزوركم الاطباء واحداً بعد واحد حقاً ان فايدة الخيرات البشرية ليست هي قايمة في امتلاكها
(بل) في استعمالها ولاجل ذلك قد حكم ايضاً ابن سيراخ قايلاً في فصل ٣٠ عدد ١٤ المسكين الصحيح
والشديد القوى اخير من الغني العليل السقيم بالجسد لان الفقير الصحيح الجسم فانه قلما يكون

العدد ٤

يستلذ

يستلذ بالقليل الذي يعطاه اما الغني السقيم فبالخلاف لا يتنعم بالكثير الحاصل عليه فاذاً
ما الفايدة اذا ترك لكم الله تعالى اشجاركم حاملة اثماراً لذيذة وكرومكم مفعمة عنباً حلواً وبساتينكم
وحقولكم حاوية كثرة من الطيور لتتنزهوا بها بالصيد والقنص اذا كنتم مفسودين من الضعف
والسقم واضحت قبل ذلك هذه المواكيل كريهة لديكم لا لذيذة وان مع استعفا الصيادين
يلم بالرجل احدكم وجع مولم قادح فماذا تفيده حينئذ علومه الكثيرة اما كان ابقراطس بوليانوس
جليلاً في العلم ومع ذلك لما كان يشتد الوجع في صدغيه فلم يكن يستمد من علمه ولا لذة
قليلة لانه كان شديد التألم بهذا المقدار حتى انه لافراط الوجع كان يضرب براسه الحيطان
وان سمح بان تعتريكم اكلة مستفحلة في صدوركم فماذا تنفعكم حينئذ قوتكم التي تتباهون بها او
ليس كان هيرودس الملك قوياً قادراً ومع ذلك اتاه زمان لم يكن يفرح فيه بقوته ولا فرحاً
قليلاً لانه كان يتالم بهذا المقدار حتى انه عزم احياناً ان يشق صدره بالسكين ويموت لتفاقم
ذلك الوجع الذي كان يشعر به من الدود الذي كان يرعى في احشاه او ربما انكم تتمتعون
بالرقاد على الفرش الناعمة والملاحف الرفيعة الفاخرة والاغطية الحريرية الثمينة فلو
يصيبكم ما اصاب ماشيناس الشقي ذلك الذي استمر مدة ثلاثة سنين متصلة يتوقع
النعاس ليدنوا من اجفانه اقلما يكون ليلة واحدة فقط ومع ذلك لم ينله اصلاً بل ولا
مندهارياً وماذا نقول اكثر من ذلك والحال انه من المعلوم ان حمى خفيفة فقط تكفي
لان تعرينكم سعد الارض ومن ثم لقد اصاب القديس اغوستينوس المعظم اذ تكلم
قايلاً انه وان كانت افراح البشر ليست هي افراحاً حقيقية فمع ذلك كيفما كانت فهي قليلة
تعدمهم اياها فاجيبوني الان يا ايها السامعون المكرمون اليس ان جسمكم هو قابل هذه
الاسقام كلها فان قلتم انكم شبان فلا انكر عليكم ذلك وان كنتم الان اصحاء اقوياء وحاصلون
على مزاج معتدل رطب فانا اسلم لكم ذلك ايضاً لكن ماذا تنتجون من ذلك والحال
ان ربكم ان شاء يعدمكم صحتكم ولو كانت صحة شمشون فلا يقتضي هذا لديه تعب جزيل
لانه يكفي لذلك اما نزل بارد على البدن اما حصار بول لا غير فكيف اذاً لا تستهابونه
تعالى المهابة وحين كانكم جاهلين ما نطق به ملاخيا النبي قايلاً ان الشفا في اجنحته
ومن ثم اذا حرك اخف التحريك فياخذه اي ياخذ الشفا من هذا ويعطيه لذاك وينقله
من ذاك ويرده لهذا على ما يشا ويجب فيا ايها الاولاد العيز المايت انني ارى انه كلاً من الحكام

العالمين يحفظ سلطته مرهوبة ومخوفة في كل وقت على المجرمين وذلك باظهاره لهم
العصي والحبال والقيود والسيوف والمقاطر والخوازيق وغيرها من آلات العذاب التي
يستطيع بها أن يعذبهم وأنت يا الهي لا تنال ما قصدك أعني به الخوف والارتهاب
من سلطتك الكلية الا اقتدارك الغير الموصوف بواسطة الاسقام التي نريناها كل يوم
متراكمة في الاجسام المعتلة وأحياناً نريناها في أجسام أقاربنا وتارة في أصدقائنا ضروب كثيرة
من أوجاع وأمراض ثقيلة فادحة لأننا نرى بينهم من هو مضنوك من أوجاع الأضراس ومنهم
من هو متعوب من أوجاع المعدة وآخر مألوماً من أوجاع الأمعاء وآخر معتري من أوجاع الكبد
وآخر مصاباً بأوجاع الحصا وآخر يشكو من أوجاع الصرع مع أنه ولا واحد من الحكام الارضيين
ينزل بأحد المجرمين قصاصاً يوازي هذه القصاصات وما عدا ذلك فان العذابات التي
يجازي الحكام بها المذنبين لهم لها حد وأجل من السنين العالمية لا تتجاوز ساعات كثيرة
أما العذابات التي يمكنك أن تقاصصنا بها أنت يا رب فتتجاوز أحياناً لعدد سنين
عديدة حتى أنه لعلة استطالتها تصير مراراً كثيرة شاقة غير محتملة بهذا المقدار حتى أن
كثيرين أحبوا أن يموتوا موتاً اغتصابياً ما بسيف ولا أن يحيوا حيوة معذبة مؤلمة كما فعل
تيتوس امرسيتوس وسيليوس الايتيلياني وقبلهما بسوسيوس الفيلسوف الذي قتل نفسه لأنه
لم يحتمل علة المرض المستطيلة وقبله أيضاً بروسيوس الفصيح فتك بنفسه لكونه ضجر من
حمى الربع ومثلهم تيمنتوس الكلاوني أمات ذاته لأنه قد تشوش عليه خوارق القوى وهكذا
أيضاً فعل الملك ساسوستيريس لأنه عدم تعزية النظر وأبلغ من هؤلاء جميعهم ما فعله في
عصرنا هذا انطونيوس الكولرني الشهير في علم الشعر فهذا لتفاقم وجع الامعاء الذي كان
يشتد عليه حيناً فحيناً بشدة لا تطاق أمات ذاته وذلك بثقب جوفه بالمقص تعمداً بيده
لينهي أوجاعه القادحة بالموت الذي حل به فليت شعري ان كانت هذه هي حال الأوجاع
والامراض الصعبة المختلفة التي بها يستطيع الله تعالى أن ينتقم عن الخطايا الصادرة ضد جلالته
الالهية أما نكون غير أغبياء جهلاء حينما نسلك معه بقلة الاحترام والخوف بل نتسامح ونتكبر
لا يحتمل لأنني أظن أن بعضاً من الجهلة يتوهمون أنهم مركبون من مزاج معتدل متعافين بهذا
المقدار حتى أنه يلزم لتدميرهم طعن سلاح قوي لهم من أجل ذلك يثقون بأنفسهم أنهم يسلمون
من كل خطر لعمري أن الله تعالى لو شاء لكان يبعث الى العالم مرة ثانية ذلك الطاعون المريع

الذي

الذي حدث في المانية في عهد فيليبس ملك فرنسا وذلك حينما امتد الطاعون في ذلك
الاقليم كله بهذا المقدار حتى أنه فضلاً عن البشر اتصل أيضاً في الحيوانات ومن ثم شرعت
الطيور تغادر اعشاشها وتهرب لتفاقم فساد المناخ والوحوش تركت أوكارها وانهزمت من
الجهات التي تفوح بها وانتقلت الى بلدان بعيدة هاربة والبشر كانت تفنى بعدة أربعة
وعشرين الفاً بعرق منتن كريه يتقطر من تفتح مسامات الجسد ولكن مع ذلك جميعه
حينما يريد الله جلت قدرته أن يفني حياتكم ويذيبها كالشمع لا يفتقر لهما السامعون
الى مثل هذا كله العلكم أقوى من ذلك الصنم المشتهر الذي رآه بختنصر الملك في بابل ومع
ذلك ما الذي احتاج بكسره وسحقه لا ريب أن حجراً صغيراً ضربه لا غير فطحنه ولقد كنت
أرغب من الله تعالى في هذا الوقت أمراً واحداً لا غير وهو أن يجعل في هذه الدقيقة كل جسد
من أجسادنا مشفاً كالبلور لنستطيع أن نعاين ونميز فيه بلحظة واحدة مدققين عدة
العظام والعضلات والاعصاب والعروق والشريانات والشراسيف الكثيرة المركب منها
لكي أعاين من منكم لم يكن حرياً بعد خائفاً من مشاهدته سهولة خراب هذا التركيب الدقيق بهذا
المقدار انني لعارف بأنكم تضحكون عند استماعكم أو قراءتكم قصة ذلك الرجل الذي لعلة
داء الماليخوليا كان يتوهم أن جسمه كله قد أضحى جسماً زجاجياً ولذلك انطرح على فراش
محشو من أنعم ريش النعام ولبث راقداً عليه غير متزعزع أعواماً وكان كلما يبصر أحداً
مقبلاً اليه يناديه من بعد أن يرحمه ولا يدنو منه خوفاً من أن يكسر جسمه الاناء قلت انكم
تضحكون عند استماعكم خبر هذا المجنون أما أنا بخلاف ذلك فأود أن أبكي وأنوح عند تأملي
ما نحن عليه من الضلال وذلك من حيث أننا نعتبر أجسامنا انها صلبة وأصلد من النحاس
وهي في التحقيق أسرع عطباً من الزجاج قد لحظ اغوستينوس المغبوط ملاحظة حسنة
وذلك حينما قال في بعض خطبه هكذا انه وان كان الزجاج من طبعه سريع العطب
جداً فاذا حفظ بتحرز يدوم سالماً كثيراً أما الانسان مهما احتفظ عليه وصين فلا بد له
من أن يموت ليت شعري من ذا الذي لا يندهل اذا سمع سبب وفاة بلدوس المعلم الماهر في
الشريعة وانه لما كان في ذات يوم يحتضن ويتملق ويلمس كلباً صغيراً قد كان من عادته
قبلاً أن يحمله دفعات شتى في حضنه ويطعمه ويسقيه بيديه أحنى رأسه ليقبله فجرح
عضه الكلب عضة كفاها الآن تجعله أن يموت سريعاً مع أنها كانت عضة صادرة من

انسان حقير اولا من عظم غباوتك ايها الانسان بل من وفور جسارتك الفظيعة اذ انك
بمعصياتك تقيم حربًا مع ذلك الاله الذي يستطيع في كل دقيقة ان يهدمك بل يضمحلك
ويلاشيك مع احقر الاشيا وافقرها ومن ثم اخاطبك مع ايوب البار قايلًا هكذا لماذا ترفع على الله روحك
اما تعلم انه عز وجل استطاع ان يزيل بسهولة عظيمة حيوة تركوينيوس ملك الرومانيين
بحسكة سمك وقفت في حلقه واستطاع ان يزيل حيوة فبيوس بشعرة ابتلعها مع
الحليب واستطاع ان يعدم انكراوندس حياته بحبة صغيرة من العنب وامكنه ان يعدم
حيوة ادريانوس الحبر الاعظم بذبابة ابتلعها مع الما واستطاع ايضًا ان يفتك بامير
من اعيان رومية وهي لوكيا ابنة مرقص اوليوس بشوكة ابرة دنية وبعد هذا جميعه
الا ينبغي لك انت ايها الانسان العديم الصواب ان تخشى خايفًا من هذه القدرة قدرته
التي تخاف منه اما تعترف وتلاطفه وهو الاله الذي حسب قول داينال النبي بيده
نسمتك وجميع طرقك لم تمجده لقد قرات خبرًا عن رجل هندي يقال له مونا تاما اند وشي
بيرنورنالي واسكوس تونيس احد مقتبسي الهند بانه اجترم جرمًا عظيمًا ضد شخص
الجليل فاحضر امامه وسال عن جرمه فشرع ذلك البري يتكلم ويدفع عن نفسه التهمة
الباطلة بتقدرها استطاع الا انه لم يستفد شيًا من تبرير نفسه ولما راى كلامه لا يقنع
الملك جثا اخيرًا امام قدميه ووضع بلياقة ولطافة يده المرتجفة على غمد سيفه
اي سيف الملك المذكور وحصر كلامه ومحاماته عن نفسه بهذه الالفاظ اتصدق
يا مولاي انه يعوزني ان يخطر في فكري هذا الاثم الشنيع الذي قد تهمت
باني [illegible] ارتكبته ضد جلالتك المهيب مع كونك متقلدًا على فخذك سيفًا
ماضيًا مسنونًا تستطيع بضربة واحدة منه ان تقطع المرء شطرين فهكذا اعتذر
عن نفسه حسنًا هذا الهندي البربري المتعلم في مدرسة الطبيعة لاعتقاده بانه ضرب
من المستحيل ان رجلًا عايشًا عريانًا حسب عادة اهل تلك البلاد ليس له سلاح سوى
طبر من خشب يجسر على ان يرفع عنقه على بطل صنديد متسلح بسيف ماض من فولاذ
عارف بان يضرب به ببسالة عظيمة فهلم اذًا يا معشر المسيحيين احباي تعالوا اجيبونا
واجيبوني عن سوالي وهو كيف يسوغ لكم بل كيف يمكن ان يخطر في افكاركم ان ترفعوا
اعناقكم على الله جلت قدرته وتعاندوه بعتو وجبروت وتعصوا عليه كانكم غير

عارفين الاختلاف العظيم الكاين ما بينكم وبينه على انكم انتم دود الارض الكلي الدناة
وهو تقدس اسمه المولى المطلق الكلي القدرة رب العالم كله الطبيعة متقلدًا سيفًا و
احدًا فقط على فخذه والحال ان جميع الصواعق التي في السحابات وكل الوحوش الضارية
التي في البراري وجميع السموم التي في الحشايش وجميع الرواميز التي في المياه وكل جميع
ولهيب في النار وكل هوتية وهاوية في الارض فهذه جميعها بمنزلة اسلحة فبها يقدر
باسهل ما يكون على ان يخفض تشامخنا ومع هذه القدرة العظيمة لستم تخافونه انتم
فهل يوجد لديكم ترس تدافعون به هذه الاسلحة العظيمة لستم تخافونه انتم والحال
انه حقًا اذا اراد فانه بلا شك يخطف او يحي صفيقة او باكلة او بنقطة دم لا غير يخمد عليكم
ويصيركم امواتًا فليت شعري ماذا يجري بكم لو ياذن للرعود والصواعق والزلازل
بالانتقام منكم فهلا يستطيع ذلك الاله العظيم ان يذلل بهذه الاسلحة الرهبية بحيث انسانا
نتن حقير والحال انه عز اقتداره اذا سطع الجبال فتصير رمادًا واذا انتهر البحر فيجف واذا
سخط على الشمس فتظلم واذا تعالا عن الارض فتتلاشى ولكن ما احسن ما هو مكتوب
في سفر ايوب حيث يقال قد رايت الذين يحرثون في الخطايا من نسمة الله يبيدون
ولا من صواعقه بل قال من نسمته لان الله اذا شاء فانه يستطيع ان يفنينا ويلاشينا بنفخة
واحدة فقط وذلك بحسب ما نطق به اشعيا في ص ١١ عدد ٤ قايلًا انه تعالى بروح شفتيه
يقتل وعم ذلك جميعه فلنا ان نقول ايضًا اكثر مما ذكر العدد
لان الله تبارك اسمه القدوس له السلطان المطلق ليس على ان يبيد حياتنا بنفخة
واحدة من فمه فقط ولا كما قال اشعيا المقدم ذكره بروح شفتيه اعني بهذا يستطيع
ان يميتنا ويلاشينا باعظم السهولة بل له تعالى السلطان ايضًا على ان يبيدنا ويميتنا في
الظروف التي لم نكن نتوقعها وفي الاحوال التي لم نكن نفكر بهما ولسنا نريدها قال ارميا
في ص ٥٢ من كتابه في النفس ان الله يارسله الينا الموت دايمًا يظهر سلطته علينا الرهيبة حقًا
غير انه يبينها لنا اوضح بيانًا بارهابه ايانا اعظم رهبة لما يبعث به الينا في الزمن الذي
نرغب فيه امتداد العمر اي حينما نكون متمتعين براحة وكرامة وخير ولذة لا نرغب
ان نفارقها فان كان هذا حقًا ولا ريب فيه ايضًا فكيف اذًا تتجاسرون على اهانته تعالى انتم يا ايها
الشبان القاصدون اماتة تلك العفة بارتكابكم الدنس وانتم يا ايها التجار الشرهون بالارباح

الطالبون جمع الاموال من اي وجه كان وانتم يا ايها الاعيان الطامعون في تلك الوظيفة وانتم
يا ايها الوالدون القليلو البصيرة الساعيون في عقد تلك الزيجة المحرمة مع معرفتكم ان
الله سبحانه قادر على ان يفني نسيج مساعيكم هذه الكثيرة بخيط واحد يقطعه وذلك
حينما تكونون ايضاً في انتصاف عملكم وسعيكم مطمانين في نفوسكم غير متفكرين سوى
بامتداد الحيوة واتمام شهواتكم الذميمة ليت شعري من يستطيع ان يصف مقدار العنا
والتعب الذي قاساه بيبلوس واحد اركنتر رومية العظمى ليحظى بالدخول الى هذه المدينة
بانتصار ويم واحتفال عظيم يليق بالملوك المظفرين ما اكثر الانفس التي فتك بها من العساكر
الاجنبية ما اجزل المخاطر التي طوح بها نفسه ما اوفر التعب الذي احتمله في عمل الحرب وتحصين
رومية غير ان الله تعالى قد عرف ان يجد نوعاً لاذياً يعرسه ويشقيه في عنفوان عزمه وفرحه
بعد فتكه باعدائه ولكن هل اقتضى له تعالى لذلك تعب جزيل او انه احتاج الى كلفة وافرة حاشا
وكلا بل كفاه ان يامر الموت بان ينتظره عند دخوله الى مكان المحفل حيث كان عتيداً ان
يجلس على كرسي العز ويتكلل من اعيان المدينة باكليل الظفر بحضور جميع الشعب الفارح
لفرحه وقدام الموت ان ينتظره ويفتك به لا بالضربات والسيوف والرماح والسهام
والمدافع والبوارد لكن بقرميدة واحدة احدرها عليه من السطح فهل تصدقون ذلك
نعم ان قرميدة واحدة فقط سقطت على هامته عند دخوله الكميدوليون وهو جالس على
مركبته الملوكية وابدلت ذلك الفخار الذي كان عتيداً ان يتكلل به بالسرور والحالة الفرحة
الى ولولة وصيرت ذلك الاحتفال الفاخر المبهج عزاءً لذو نوحاً فما هو اذاً يا ايها الخطاة
سبب قلة خوفكم من الله ومن اين يصدر عدم اعتباركم كلما يخيفكم به تعالى مع علمكم بقدرته
هذه العظيمة الرهيبة حتى انكم ليس لا تخشون من اغاظته فقط لكنكم تبلغون احياناً الى ان
تتجبلوا عليه كمثل الطاووس نظير اوليك الذين قيل عنهم في سفر ايوب يفضبون اسد جهسر
ط٦ ع انني اقر لديكم بالحق انني قد قصدت بان افتكر وافحص عن علة طغيانكم هذه وقلة
خوفكم منه تعالى ولكن حقاً اقول انه بمقدار ما تعبت في الفحص عن هذه العلة بقدر ذلك احتجب
عني ايجادها غير اني مستمع بان عقلي وواحداً من الخطاة يخاطبني هكذا لا تتعب يا ابانا في الفحص
لا تتعب فيما نحن نظهره لك سبب عدم خوفنا قايلين اعلم اننا نحن كنا في الابتدا نهاب كثيراً
قدرة الله تعالى تلك التي اجتهدت انت في هذا الصباح ان تقتصنا بالارتعاد منها وقبل

العدد ٦

هنيهة

هنيهة كنا نتوقى الخطا جداً ولم نكن نجسر قط على ان ندنس انفسنا بشايبة ما تهين
الله وتسخطه غير ان التجربة فيما بعد ازاحت عنا الخوف وذلك لاننا جربنا اخيراً في ان
نرتكب اثماً ما وارتكبناه ومع ذلك لم يصبنا شي من النقمة والمضرة فمن ثم تشجعنا و
اضفنا على الخطا القديم خطايا حديثة وانتقلنا من شهوة القلب الى تتميمها بالفعل ومن
السخط على قريبنا الى الانتقام منه ومن الشتم الى التجديف ومن الحلف الصادق الى
الكاذب وها هو ذا نحن احيا ولنا املاك نستغل منها ولنا اولاد ويكبرون ولنا اصدقا و
يعتبروننا ونحن كان ما لنا اعداء فيها ابونيه ومضى زمان وها نحن متمتعون به فكيف
اذاً تطلب منا يا ابانا ان نهاب تلك القدرة التي وان كانت مرهبة نظراً الى غيرنا الا انها
ليست مرهبة نظراً الينا اواه من هذا الجواب اما هي مرهبة نظراً اليكم ايها الاغنيا فيا ايها
الدري المسخوط والمهان كيف تستمع باذنيك الاثيمتين هذا الخطاب المملو عتواً وعجرفة
ومع ذلك تحتمل صابراً هذه هي فايدة صبرك الطويل سامحت لهم يا رب سامحت
لكن ما الذي استفدته من سماحك لهم لعلك تعظمت بهذا والحال ان الامر تم بالعكس
هكذا يلزمني ان اخاطبك شاكياً مع اشعيا نبيك انه بعكس ذلك قد ابعدت جميع
اقاصي الارض فاين هي اذاً تلك الصواعق التي تحدرها عبثاً تارةً على الابراج الغير
الحساسة وتارةً على الكنايس المقدسة لقد كان الاجدر بك يا الهي ان تبقيها و
تحفظها من اجل الخطاة والا فلماذا تامرنا نحن خدامك الكهنة ان ننذر بقدرة ذراعك
الرفيعة والحال انك انت لا تستعملها وتجعلنا نضحو هكذا مخاليق وكذابين فلماذا
قد عذرت انبياك القدما الذين منهم يونان وارميا من جرى امتناعهم عن مباشرة هذه
الوظيفة ليلا يصيروا سخريةً وهزواً للشعوب لقد ظننت انني سالقي اليوم في قلوب
الخطاة خوفاً ما عظيماً من عزتك الالهية وها هو ذا قد خاب ظني لاني على ما ارى انهم
سيرجعون الى منازلهم مصرين على خطاياهم ومتشامخين في طغيانهم اوفر مما كانوا من
ذي قبل وانا الذي اتكلم كل يوم واصرخ للخراب فيلزمني ان امكث معايناً تعييرهم و
سخريتهم بي ولكن ما بالي انا اتغير الجاهل اهذي في كلامي ضده تعالى الذي هو حكيم
ومدبر احسن التدبير في كل احكامه الغامضة فلنعدل الان عن هذا الهذيان ولنعد الى
موضع خطابنا الاول ونسلم لكم ايها الخطاة كلما قلتموه وهو انه تعالى لم ينتقم منكم حتى الان

بل بالحري اسعدكم وارحكم اما هذا هو مقالكم فحسناً قلتم ولكن ما الذي تستنتجونه
من ذلك العليكم تستنتجون انه عادلكم ان تحابوه فيما سياتي أقل مما سلف الا اني اجيبكم
قايلاً بيسما تحتم بل كان ينبغي لكم ان تستنتجوا انه يلزمكم ان تخافوه تعالى اعظم خوفاً
وها انا قد استعددت لان ابرهن لكم حقيقة هذه النتيجة ببرهان ليس هو قريباً
للتصديق فقط بل انه لواضح واكيد جداً وهكذا ارفع عنكم هذا الضلال المستغرقين
فيه فاصغوا اذاً جيداً لما اخاطبكم به قايلاً انه ان كان الله ابى عن قصاصكم الى الان ولم
يعاملكم كما استحققتم بخطاياكم ففعله هذا انما هو صادر من احد هذين الامرين وهما اما
لاجل انه صفح لكم عن القصاص واما انه اذخره لكم الى وقت اخر وغير هذين الامرين لا يباح
لنا ان نذكر شيئاً اخر لان ايماننا المسيحي يلزمنا ان نعتقد هكذا فلنفرض اذاً ان الله
جلت مراحمه صفح لكم عن القصاص غير انه يلزمكم ان تخافوه من جرى ذلك اعظم خوفاً
لانه بمقدار ما صفح لكم وسامحكم فيما مضى بمقدار ذلك صارت غير معلومة مسامحتكم ايضاً
فيما هو عتيد ان ياتي من الزمن الا تعلمون حسناً ان الصبر المديد المطوع به يستحيل
سخطاً وزجراً فالله تعالى رحوم وحليم لا محالة الا انه عادل ايضاً ويحب القسط ولذلك
قال المرتل صالح ومستقيم هو الرب فاذاً ينبغي للعدل ان يفعل الان ما يخصه بعد ان
فعلت الرافة ما يخصها واي حاكم يسامح دايماً ولا يقاصص ابداً ولعمري ان القصاص
هو الحافظ جميع النواميس والماسك البشر في الخوف والاحترام لمواليهم والصاين البر
وهو الاساس للولاية والحكم انه وان كان الصفح عن القصاص مرات شتى هو من شيم
القلب الحليم الا ان الصفح على الدوام هو من خاصة قلب ضعيف نسايي فاذاً بمقدار ما
سامحكم الله تعالى فيما سلف بمقدار ذلك يلزمكم الا ترجوا ان يسامحكم فيما بعد واما ان
قلنا ان الله سبحانه لم يصفح لكم عن القصاص الذي استحققتموه بخطاياكم وذلك هو الاقرب
للتصديق بل ابقاه لكم الى وقت اخر ليقاصصكم به فيما بعد اما في هذه الحيوة واما في الاخرة
فمن ثم يجب ان يكون عدم اتخاذه منكم الثار الى الان مسبباً فيكم خوفاً اعظم لا سبباً للطمانينة
وقوام المعرفة عليه تعالى لانه هذا دليل على انه يريد ان ينتقم من خطاياكم كلها معاً في وقت
واحد وكيف تكون حالكم اذا اجتمع عليكم سخطه الرهيب كله بعد معرفتكم ان قطرات هذا
السخط بمفردها تفعل مفعولات مرعبة لا توصف انه لمن المعلوم ان سواقي كثيرة من الماء اذا

اجتمعت

اجتمعت معاً تحدث خراباً عظيماً لم تكن قادرة عليه اذ كانت متفرقة وكذلك اذا التحمت
معاً شرارات قليلة من النار فتصير شعلة عظيمة تحدث حريقاً كبيراً لم تكن تقوى عليه وهي
منقسمة ومثله كم من العواصف الشديدة تنشو عن تلك الارياح الخفيفة اذا التامت معاً
فاستنتجوا من هذه المذكورات على سبيل المماثلة كم يكون مرهوباً ومخوفاً الرجز الالهي اذا
اجتمع كله على روسكم بعد علمكم اليقيني ان كل جزء منه فقط يرعب اقطار المسكونة كلها رعبة
لا تكيف ومن هنا يسوغ لكم ان تطمعوا وتستقيموا مصرين على عتوكم في الخطايا لعدم امتحانكم
الان في انفسكم قوة ذراع الله تعالى الرفيعة هذا الامر الذي قد كان شانه ان يزيدكم
على الدوام اتضاعاً وخوفاً وارتجافاً والا فاعلموا انكم باستمراركم على ارتكاب الخطايا
لا تفعلون شيئاً اخر سوى انكم تضيفون يوماً فيوماً امواجاً جديدة على بحر رجز الله العظيم
ذاك الذي تكلم عنه يشوع بن سيراخ قايلاً كمثل ما غمر الطوفان الارض كذلك يهلك غضبه
على الامم الذين لم يطيعوه ولكن متى ياتي الزمن الذي يسكب الله فيه باندفاق رهيب
بحر رجزه على الخطاة فان احببتم ان اورد على مسامعكم متى يكون ذلك فتمهلوا علي
قليلاً لان الاجدر بنا ان نستريح مدة وجيزة من الزمن لئلا تضجروا من اسهاب الكلام
لانه يتبقى على الدوام ان اختصر عظتي حذراً من ان اسبب الى السامعين مللاً او كرهاً
ثم اوضح لكم متى يكون الزمن الذي فيه يفيض الله تعالى بحر رجزه على الخطاة غير اني
ارجو من محبتكم ان تمكثوا جميعاً لتستمعوا هذا القسم ٢ من الوعظ الذي سابا
يحسن لديكم استماعه

القسم الثاني

انه ولا واحد يستطيع ان يعرف بالتدقيق متى يكون الزمن المحتوم من الله لينزل بالخاطي (المهدد)
الانتقام ذلك الذي بمقدار ما يتاخر باضعاف ذلك بل اكثر يصير مخوفاً ومرعباً لكون
هذا متعلقاً في تدبير احكامه تعالى الغامضة التي ابقاها الاب لذاته فقط حسبما قال
في قوله ليست هذه لكم ان تعرفوا الاوقات والازمان التي تركها الاب تحت سلطانه
الا انه مع هذا جميعه من حيث ان الماضي يفيدنا معرفة المستقبل حسب قول
القديس ايرونيموس المشهور القايل ان من السوالف تعرف العواقب فمن ثم على نوع
ما يمكننا ان نعرف تلك الساعة الماجلة التي وان كنا لا ندركها بمعرفة محققة فقلما

يكون نشعر بهما بمعرفة قريبة للتصديق ولكي تفهموا ماهي اعتنا فاحسنوا اصغاكم
لما اقوله انه على مايلوح لي ان كلاًّ من الحاضرين يعرف باي نوع عجيب افتتحت جنود
يشوع بن نون مدينة اريحا وهدموها على ان قايدهم هذا الجليل القدر قد كان
امرهم ان يحملوا تابوت العهد ويجولوا حول اسوارها سبعة ايام ويتقدمهم
جنود متسلحة ويكون مسير الشعب المستعد الى القتال عقيب الجميع وفي غضون
ذلك تهتف الكهنة بالابواق وينفخوا الجو من الضجيج وهكذا فعلوا وعندما انتهى
اليوم السابع سقطت الاسوار مع صوت الابواق وملكوا المدينة فاسهلوا لي كي
افحص واتفكر مليًّا بحسب مرادي في هذا الحادث مع انه عند الجميع معروف انه
لا شك في ان سكان اريحا لما ابصروا من على الاسوار جيش يشوع بن نون مصطفًا
ومقبلاً اليهم وسمعوا هتاف الابواق اخذتهم رعبة ليست بقليلة واحتسبوا ان الجيش
عتيد ان ينقسم اجواقًا اجواقًا ويشرع في القتال والسعي في هدم الاسوار والاقتحام
على مدينتهم وخشوا من ذلك جدًّا واسرعوا فتقلدوا بالاسلحة ليدفعوا عن
نفوسهم الخطر الوافي عليهم غير انهم لما ابصروا بعد قليل ان تلك الضجة العظيمة لم
يعقبها مفعول ما فهدى لا محالة روعهم قليلاً ثم لما شاهدوا في الغد قد جرى لهم
كمثل اليوم الماضي فعلى ظني ان خوفهم انتقل الى تعجب وتفكر في انه ما هو القصد
في هذه الجلبة الخالية من فايدة ما واما في اليوم الثالث فربما ان تعجبهم احدث فيهم
استهزاءً قليلاً في الجيش الاسرايلي وذلك لمشاهدتهم اياه المرة الثالثة يبدي عمله
هجومه الى صراخ وضجيج باطل ولكن في اليوم الرابع و٥ و٦ لما كانت سكان تلك
المدينة مطمانين بنفوسهم وكان قد سكن هلعهم لمشاهدتهم جيش العدو لم يفعل
في ستة ايام شيئًا اخر غير التطواف حول المدينة بجلبة وهتاف باطل فانكروا معنى
بل انهم كانوا يضحكون منهم ويصفرون عليهم من على الاسوار قايلين (وذلك على
ما نحكم بصواب العقل هكذا) بخ بخ ما احسن وما الذ صوت ابواقكم هذه يا ايها
العبرانيون الناقصون الراي نعم ان هذه الصناعة حديثة ابدعت منكم لافتتاح
المدن والحصون اعني ضجة الصراخ والهتاف بالابواق لا بالضرب ولا بالطعن
وفتح اللقوم بوقوا اذاً زحيف تهاليل بابواقكم الشجية وهو ذا نحن نرقص على

اصواتها

اصواتها اعساكم قاصدين ان تظفروا بنا بالصياح حينما رايتم انفسكم عاجزين عن ان
تفتكوا بنا بالقوة فما اغنى كتلك العصافير الجهلة التي تلقي نفسها من العلا ساقطة
على الارض مرقاةً في نغمة الصوت ولذته فان كنتم ذوي قلوب شجيعة فاطرحوا من
ايديكم الابواق واتخذوا بدلاً منها السيوف ونحن نصدق انكم ابطال اقويا نعلم ماذا
انهم هكذا كانوا على الاسوار يهزاون ويسخرون بالجيش الاسرايلي في جميع تلك الايام
حتى الى اليوم السابع ولا ريب انهم في ذلك اليوم ازدادوا طمانينة واشتد هزوهم وكثر
ضحكهم من العسكر وذلك نظرًا الى مقدار تلك الدلايل التي تقدمت عليه تلك التي
حققت لديهم الامان والطمانينة تحقيقًا حتى نزع من قلوبهم الخوف والجزع كليًّا غير
انهم حينما كانوا وقوفًا يتفرجون بتاني وسكون على احتفال الجيش لما وقد عاينوا الاسوار
مدينتهم هابطة بهم بغتةً في تلك الغاية اليوم ٧ التي بها كانوا حاصلين بنفوسهم على
اوفر الامان واعظمه كقول الكتاب المقدس في ص ٦ عدد ٢٠ وفي اليوم ٧ جلب الشعب
جميعه وضربوا بالابواق فسقطت الاسوار لوقتها فتصوروا الان في عقولكم ما اعظم
ما كانت تلك الشدة مرعبة ومخيفة لسكان اريحا من حيث انها نزلت بهم بغتةً في وقت
لم يكونوا يحسبونه لان اوليك الاشقيا المنكودي الحظ كانوا مطمانين في ذواتهم وبسمة
شفاههم بالضحك واذ شاهدوا لوقتهم الاسوار تسقط والحصون تتهدم والقلاع
تسلم وهم يندفنون تحت الردم وبالتالي قد كان منهم من يشعر بالحجارة تخدشه وتهشمه
واخر تخلع اعضاه واخر ترضضها واخر تكسر عظامه واخر تطحنه وتسحقه فليت شعري
من يستطيع ان يصف تفاقم بكاهم وعويلهم الذي اصم الهوى وارعب النجوم وفي غضون
ذلك تهيا الاسرايليون ووثب كل منهم بنشاط عظيم من حيث كان واقفًا وشرعوا يمشون
فوق جثث القتلى المدفونين تحت الردم واهتزوا الرماح واستلوا السيوف وافترقوا
في جميع الازقة والشوارع ودخلوا البيوت وهرقوا في كل مكان دما اوليك الذين كانوا
استقاموا احيا وتمموا الخراب والدمار فيهم وفي مدينتهم فلنثني الان راجعين الى

العدد ٨

مقصودنا فنقول انكم قد التمستم مني يا ايها السامعون معرفة الوقت الذي فيه ياتي الدمار
على الخطاة فاقول لكم انه هكذا ياتي عليهم اعني في الغتة التي اتى فيها على مدينة اريحا
المراد بها الوقت الذي لا يفتكرون فيه وقد اشار اليه اشعيا النبي قايلاً يهدمون سريعًا

بغتةً لانه لمن عين الصواب وقواعد العدل ان يدرك الاثمة حكم القصاص في الحين
الذي فيه هم ناسون الله كلها وغير ملتفتين اليه كليًا الزمن الذي فيه يكونون راقدين في
آثامهم مستريحين غير مصدقين تهديداته الرهيبة بل مزدرين بقدرته الالهية وها
هوذا نرى الكهنة حاملين بشجاعة مقدسة بوق كلمة الله يجدون على حصار قلعة القلب
البشري المتمردة يهتفون به ويتهددون ويخبرون على لسان الله تعالى حول كل مكان بالخراب
المقبل وذلك امتثالاً للامر الذي يامر به جل ذكره كل واعظ بقوله ناد ولا تبرح ارفع
صوتك مثل البوق واخبر شعبي باثامهم وبيت يعقوب بخطاياهم ونرى ايضاً الخطاة
يبتدون بحال استماعهم هذه العظات بان يشعروا بخوف عظيم ولوقتهم يسرعون
لضبطهم السلاح بالصلوات ويتهيأون الى المحاماة عن نفوسهم بالاسرار المقدسة متوهمين
ان المرة الاولى من الوعظ ثم يسمعون مرة ثانية الواعظين يطلبون ويصرخون كما مضى حينئذٍ
يبدلون الخوف بالتعجب والتحير ويشرعون قايلين فيما بينهم ما هو قصد هولاء الواعظين
بجلبتهم هذه الباطلة ثم يسمعون ايضاً الواعظ المرة الثالثة ويح يبدلون التحير بالضحك
ثم يبدلون الضحك بالازدرا وبعد ذلك الازدرا بالعجرفة ثم التجرف بالاستهزا واخيراً
يتقسون في قلوبهم بهذا المقدار حتى انهم يبلغون الى ان يصيروا كلام الله تعالى الذي [illegible]
في الكنايس هزاة وسخرية يعيدونه في بيوتهم ومسامراتهم وذلك حسبما انبا عنهم حزقيال النبي
قايلاً يسمعون كلام الرب ولا يعملون به لانهم يقبلونه نشيدة افواههم ويقول احدهم
الى الاخر استهزاءً بالواعظين الغيورين اسمعتم ما عرف هذا القس ان يزمر ببوقه ترى ما
هو قصد هولاء الكهنة العلماء يرومون ان يخيفونا بضجتهم وصياحهم ثم يقول لهم ان شيتم
انتم فصدقوهم اما انا فاني اوضح لكم رايي فان لي زماناً اسمعهم يتهددونا بهذه التهديدات
عينها ويضربون بالبوق بنغم واحد غير مختلف واخيراً شاهدت ان كل شي يتهددون به ينتهي
الى صياح خالٍ وضجيج فارغ اين هي الشدايد الكثيرة التي خبرونا بها انها مقبلة علينا اين
كلمة الرب فلتأتِ اين هي الامراض التي انذرونا بها اين المحل والغلاء اللذان اخبرونا باتيانهما
ولقد بان لي اننا نحن اوفر سعداً واكثر عافية من اوليك الذين يصدقون كلامهم خايفين اهذا
كلامكم يا ايها الاشقيا تحدثوا واهزوا بحسب هوى نفوسكم ها هوذا قد بلغ وتكمل وقت
الانتقام والخراب ذلك الوقت الذي فيه اتصل عدم تصديقكم الى اقصى حدوده وفيه ترون

ما هو الذي كان يعنيه ذاك الصراخ وما هو الذي كانت تنذر به تلك الابواق بافواه
كهنة الله وهو انه يدرككم السخط الالهي والضحك في شفاهكم وعندما تستشعرون
بالخراب الغير المردود يوافيكم كله في وقت واحد ويح تضطرون ان تهتفوا نايحين
وقايلين الويل لنا الويل لنا لقد هلكنا هوذا الدم هوذا القتل هوذا الحريق هوذا الخراب
هوذا الغلا هوذا الدواهي التي سمعنا الانذار بها وفي هذه الاصوات تختمون حياتكم
متحيرين بهوتين وتموتون هالكين بحسب استحقاقكم حينما تكونون مستبشرين بحيوة
اوفر امتداداً فان كنتم لا تصدقوني فهلم بنا سريعاً وعاجلاً وخذوا في ايديكم الكتاب المقدس
وانظروا في اي زمن عاين بلتشاصر ملك الكلدانيين اليد المرعب منظرها على الحايط تلك
اليد التي انذرته بالموت فترون انها ظهرت له لما كان مطمئناً على نفسه وجالساً على مايدة
فاخرة مع السراري ياكل ويشرب متنعماً فرحاً بتلك الانية التي سلبها من هيكل اورشليم و
قبله اذا اعتبرتم الوقت الذي فيه سمع بختنصر ملك بابل الكبيرة من العلا ذاك الصوت
المرعد يقضي عليه بالسكنى في البراري مع الوحوش فتعاينوا انه سمع ذلك حينما كان
مترنحاً عند الخوف ومتنزهاً في وسط جم غفير من الملاقين يمجدونه بفخفخة وبلاغة
تفوق الحد على العزم العظيمة الفايز بها في الايام والخطايا وهكذا اذا لاحظتم امر انطيوخس
ملك سوريا وفي اي زمن ضرب من السما بذاك المرض القبيح الغير المحتمل الذي بلغ به
الى قطع الرجا فتشاهدوا انه قد حل به ذلك في الزمن الذي فيه كان مزمعاً في نفسه
وصعد بعجرفة واهية ليجلس على مركبته متهدداً اورشليم ايضاً بذاك الخراب الذي صنعه
في غيرها من المدن خلواً من مانع وهكذا نرى سنحاريب ملك الاثوريين قد وافته من الملاك
تلك المقتلة الغريبة التي افنت عسكره ولاشته حينما كان يعد نفسه بالامان وهزأة
متكبراً بالقدرة الالهية كانها عاجزة عن انقاذ اسرائيل من يديه المعتادتين حتى ذلك الوقت
على القتل والظفر ونظيرهم ازابل ملكة اسرائيل لم تشعر بانه قد تم بها ذاك الوعيد
النبوي الرهيب في انها تموت بفترسة من الكلاب الا حينما كانت ازالت ايضاً الخوف من
قلبها او قلما يكون سكنت وكانت مشرفة بعظمة بهجة من شباك قصرها متوجهة بانها
تستمر في ملك الظلم بالزيجة مع الملك الجديد وهكذا طوفوا بعقولكم ايضاً واعتبروا
حال الجميع منهم اوليك الاثمة الذين انذروا عليهم رجز الله تعالى بجملتهم معاً فتعاينوا متحققين

انه قد انسكب عليهم في الحين الذي لم يكونوا فيه يحتسبون له او في الحين الذي كانوا
يهزاون بربعتو وبعجرتة ومن يعلم ان كانت لا تدركنا نحن ايضًا العقوبة مثلهم اذا
شاركناهم بخطاياهم فعن ذلك يخبرنا الرسول الالهي محققًا عندنا انه يمكن ان ياتي علينا
ذلك ايضًا وذلك بقوله انهم بينما يقولون هدوء وسكون فهنالك يهيج البوار
بغتة فليكن اذًا مقررًا عندنا تقريرًا محققًا ان الهنا ليس هو الهًا مايتًا عديم الحس
كما كانت الهة الامم الجحودية منهم ولهذا السبب ينبغي لنا ان نخشى قدرته العظيمة لكونه
يستطيع بمقرعة من جبل فقط اي بسلاح حقير لا اعتبار له ان ينتقم من خطايانا انتقامًا
عظيمًا مرعبًا كيفما شاء واحب وان كان لا ينتقم منا حتى الان فلا ينبغي لنا ان نتخذ من ذلك
حجة في تقليل الخوف منه بل بخلاف ذلك سبيلنا ان نزداد خوفًا وارتهابًا مفتكرين ان عدم
انتقامه منا الى الان اما انه صادر من سماحه لنا بالقصاص او انه حفظه لنا الى وقت اخر
وياتي فيما بعد وعلى كلا الحالتين يسوغ لنا ان نخاف جدًا لانه ان كان سامحنا
بالقصاص فهو من المعلوم ان السماح الكثير يستحيل اخيرًا صرامة شديدة وان كان حفظه
لنا الى وقت اخر فهو ايضًا من المعلوم ان الامهال المديد يعقبه انتقام اعظم وارهب
وكذا اقول ايضًا قولًا محققًا انه ان كان يلزمنا ان نوجد في وقت ما خايفين اعظم
خوفًا فليس هو الا هذا الوقت اعني به ذاك الذي فيه نكون متمتعين باعظم راحة
واوفر سعادة ونكون من جرى ذلك غير متوقعين قصاص الله تعالى ولا مزدرين به
والسبح دايمًا لله

العدد ٩

العظة السابعة

في الاربعا الذي بعد الاحد الاول من الصوم
في انه يناح ويبكى على تهاون الكثيرين نظرًا الى عدم سعيهم في امر خلاصهم الابدي

ان الروح النجس اذا خرج من الانسان يطوف امكنة ليس فيها ما يطلب راحة فلا يجد هكذا كتب مار متى في الاصحاح ١٢ من بشارته

العدد

انه في القديم قد وجد زمان تعتبر فيه البشر
ذواتهم انهم فعلوا فعلًا ذا قوة وبسالة عظيمة حينما كانوا يبلغون الى ان يصدوا عنهم
اذية الحيوانات الضارية الكاينة في الغابات او المكمنة ما بين عشب الارض حينما تبرز
الى مضرتهم ومن ثم لم تكن حكمتهم وحذاقتهم تمتد الى اكثر من هذا الحد وهو ان يصونوا

نفوسهم

نفوسهم فقط من ان تخنقهم مثلًا الضباع او الخنازير البرية لئلا تفترسهم او تلدغهم
الحيات او العقارب ونظيرها ولا ريب في اننا نحن اليوم نتضاحك على نقص حكمتهم
هذه ودناءة شجاعتهم من اجل ان حذاقة عقولنا وشجاعة قلوبنا بلغتا الى اكثر من ذلك
جدًا اذ اننا في هذه الازمنة لا نرغب فقط ان لا تؤذينا الحيوانات المقدم ذكرها بل
نقصد ان نحوز منها نفعًا وفايدة ايضًا ومن ثم تعلمنا من دون خوف ان نكتسي من
جلودها ونغتذي من لحومها وننتفع من عظامها بل نشفى ايضًا من سمومها التي نحيلها
باغرب الصناعة الى درياق شافٍ حتى انه اذا لاحظنا ملاحظة حقيقية فنرى ان
الناس الذين تصان حياتهم من الوحوش والحيوانات في هذا الزمن هم اكثر جدًا من
الذين يفترسون منها هكذا يجب ان نفعل مع الشيطان الذي هو اردى وحوش العالم
لا محالة اعني لا يجب بنا ان نكتفي منه وننتوقاه فقط بل نستفيد بمقاومتنا له و
نصد افتراسنا او نتهزم به ايضًا وينبغي لنا ان نحوز منه نفعًا ما ولكن ربما تقولون
لي واي نفع نستطيع ان نحوز من هذا المحال فاجيبكم انه يمكننا ان نستمد منه نفعًا
عظيمًا جدًا وهو هذا اي ان نعتبر قيمة نفسنا فهذا اللعين خزاه الله يحب ان يمتلك
نفسنا حبًا هذا مقداره حتى انه اذا ما راها بحث من يده فلن يهدى ولا يستريح لكنه
يجد الجد الكلي في ان يعود ويملكها وحقيقة كلامي هذا تتايد من شهادة السيد
المسيح القايل ان الروح النجس اذا خرج من الانسان يطوف امكنة ليس فيها ما يطلب راحة
فلا يجد اما نحن فلا نضطرب من امتلاكه نفوسنا مرة ثانية ولا نحزن من ذلك بل ندعه
يمتلكها غير خايفين ان نصدوه قليلًا فتروا كم يسعى وكم يتعب في ان يحصلنا له ومن
خاصته فانه خزاه الله يطوف ويجول حولنا بالمكر والخديعة نظير ما فعل مع حواء
يثب علينا بالشدايد كمثل ايوب ويسعى بنا بحجة الفضة شبه يوداس ويجربنا كتجربته
للسيد المسيح بتمليقات خادعة ويسير معنا على الدوام ويطاوع شهواتنا ويقدم لنا
هدايا فاخرة عظيمة اما نحن فبخلاف ذلك اي اننا لا نريد ان نهتم ونحرص على نفوسنا
لئلا يخطفها هذا المحال منا فيا معشر المسيحيين احبائي اعزائي كيف يمكن ان يعتدي بنا هذا
المقدار من الضلال والطغيان حتى لا نعتبر نفسنا بالكلية ولنتكلم الان واضحًا من
غير محاباة في اننا لماذا نتهاون بنفوسنا الى هذا الحد حتى اننا لا نهتم بشيء مما يخصها

حتى نحترس اقلّه ما يكون في صيانتها لئلا تهلك في جهنم لعمري ان هذا التهاون لغريب
جداً وهذا هو الموضوع الذي قصدت الآن التكلم فيه ان اندب به اليوم وانوح عليه
اعني به تهاون المسيحيين بنفوسهم الممقوت جداً غير انني اسالكم ان تعذروني ان كنتم
تسمعوني في هذا اليوم معنفاً باحتداد مقدس تعنيفات شاقة لجماعة المسيحيين
المتهاونين والمتكاسلين في السعي بخلاص نفوسهم لانه ان احسنتم الاصغا الى كلامي
فانكم ستحكمون ايضاً معي بان تهاوناً مثل هذا عظيم مستغرب وينبغي لنا ان نبكي عليه
نايحين مترمرين

العدد ٢

انه على التحقيق لا يوجد فيه ارتياب بوجود
هذا التهاون ما بين المسيحيين اعني به التهاون بخلاص نفوسهم وقلة اهتمامهم به
ولا ريب ان تهاونهم هذا الذميم يتضح لنا جلياً انه من قلة تفتيشهم على الوسايط
التي تقتادهم الى الخلاص لاننا اذا نظرنا الى الامور العالمية فنرى ان العلامة التي تحقق لنا
ان الشي المطلوب من شخص ما يهمه ويعنيه جداً انما هو خطابه وسؤاله عن ذلك الشي
بتواتر وطلبه من كل احد ان يهديه للحصول عليه وهذا لقد نعاينه في يعقوب ابي الاسباط
على انه لما ذهبت الحماير غريبة قاصدة الابان ولانه كان يعنيه جداً ان يراها فمن ثم طفق
يسال عنه باجتهاد وتدقيق اوليك الرعاة الذين صادفهم في الطريق ظاناً انهم يعرفونه
ويستطيعون ان يهدوه اليه وهكذا يوسف الحسن فقد كان خرج الى القفر ليفتش
على اخوته مرسولاً من ابيه ومن حيث انه كان يهمه ايجادهم فلاجل هذا سال برغبة حارة
ذلك الرجل الذي راه وهو تايه في الحقل ليعلمه اين هم ومثله شاول الذي خرج من منزل
ابيه لم يكن طالباً وقتيذٍ سوى بعض من حمير ابيه التايهة عنه ومع ذلك فمن اجل ان
ايجادها كان يعنيه كثيراً ترى ما الذي لم يفعله وما الذي لم يتكبده ويحتمله في طلبها
على انه لم يكتف في ان يصعد على الجبال ويجوز الاودية وقرى كثيرة من غير هدو لكنه
اتصل الى ان يذهب بعد عجزه عن ايجادها ويسال عنها نبياً من الانبيا عساه يتنبا له ويعرفه
اين هي ولم يسال عن نيل غرضه احد الانبيا الصغار بل تجاسر وسال النبي الاعظم والافضل بسيطاً
عند بني اسرايل اعني به صاموييل فما قولكم انتم الان يا ايها السامعون المكرمون فباي شي تقنعوني
بانكم مجتهدون ومهتمون في خلاص نفوسكم والحال انكم لا تطلبون اصلاً شيئاً ما صالحاً في هذا
الامر الباهظ العظيم من احد من الاتقيا الروحيين ولا تستمدون تدبيراً ما من احد المعلمين ولا تتفاوضون

ابداً

ابداً مع من يستطيع ان يرشدكم ارشاداً حميداً يفيدكم خلاص النفس الابدي خبرنا القديس
لوقا البشير ان اوليك اليهود الذين اخذتهم الرهبة من وعظ ماري يوحنا المعمدان وحرضتهم
الغيرة والاهتمام قليلاً في خلاص نفوسهم ولاجل ذلك كانوا يذهبون اليه سايرين في القفر
الى حيث يسكن ليسالوه ماذا نصنع نحن فقد كان يتقدم اناس من العامة ويسالونه
ماذا نصنع ويزورونه عشارين ويسالونه ماذا نصنع حتى كان يمضي اليه جنود مما كانت
وظيفتهم حمل الاسلحة والطعن والضرب ويسالونه هم ايضاً ماذا نصنع نحن ايضاً يا معلم
اما انتم يا معشر السامعين الاحبا فانطقوا بالحق قايلين هل اتفق لكم انكم طلبتم الى الان من
كل قلوبكم من احد العلما الروحيين قايلين له ماذا نعمل يا ابانا من الصلاح لنرث الحيوة الابدية
انني لا انكر عليكم انكم احياناً تدخلون بعضاً من اديرة الرهبان ولكن انا اعلم انكم على الاغلب
انما تقصدون النزهة في بساتينهم المخضلة او لكي تتحدثوا مع احد منهم في حروب التتر
او في انتصار العجم او في غيرها من الاخبار والحكايات والخرافات والاغراض الجسدانية التي
لا يعبا بها اما الطريق الانسب لكم للخلاص الابدي فلست اعلم قط انكم كلفتم احد الرهبان
ليرشدكم بها الا انني لا اتعجب من قلة مذاكرتكم هذه مع العلما الروحيين فيما يخص
خلاصكم وذلك لانكم غير معتادين ان تهتموا فيه احياناً حتى ولا تتحدثون فيه فيما
بينكم ايضاً على ان الذي يهمه غرض ما جداً ولو اراد ان يموهه من الافتكار عنه فلا
يستطيع ذلك وبيان انه مثل الايل المضروب بنبل لانه اينما ذهب يحمل معه عذاب
السهم الغايص في لحمه فيهتم فيه نهاراً وفيه يحس به ليلاً بل وهو نايم ايضاً في احلام
النوم يحتلم فيه هكذا اخبرنا توليوس عن تاميستوكلس الفريد عصره في قواد جيش
اليونانيين انه وهو راقد كان يغار من ميلسيادوس في فتكه بالاعدا وقبل ذلك
خبرنا بلوتركوس عن مرسللوس قايد جيوش الرومانيين الاعظم انه وهو غارق في
سبات النوم كان يحرك انيبال عدو رومية الكبير الى المعركة ومثلهما غيرهم كثيرون
الذين تملكتهم عاطفة ما قوية نحو غرض يهمهم مثارتهم كثيراً فقد كانوا ايضاً يهجسون
فيه وهم متمتعون بلعذب الرقاد وهكذا يخبرنا الكتاب المقدس عن سليمن الحكيم
انه لما نال من الله حقاً وهو نايم انه لم يطلب شيئاً اخر سوى الحكمة لان هذه هي التي كان
يشتاق اليها ويطلبها دايماً حسبما اخبر عن نفسه هو ايضاً قايلاً فلهذا دعوت فجاني

روح حكمة فكيف اذاً يمكن لكل منكم ان يحب ويرغب ان يحقق خلاصه الابدي والحال
انه تنقضي ايام كاملة وليال كثيرة خلواً من ان يخطر على بالكم فكر واحد نظراً اليه بل
بعكس ذلك تم تحسبون دايماً حتى وانتم نيام ايضاً في اباطيل كقول اشعيا النبي القايل
تفكرون فيما ليس فيه منفعة في مضاجعكم اي في الغنا واللعب والرقص والولايم و
العشق الردي والاجتماعات الباطلة وما ضاهاها واذا انتبهتم من الرقاد فلا تشعرون
مرة واحدة بحركة عاطفية روحية تذكركم السما قلت ان عدم التفكر
بالنفس هو دليل على قلة اهتمامكم بها ولكن الاجدر بي ان اقول قولاً اخر احق من ذلك
وهو انه اذا افتكرتم احياناً في ما يخص نفسكم فمع ذلك لم تبالوا بها الا على غير ملاحظ
ان خدمة النفس لا تمارسونها الا بعد اتمام ساير اشغالكم الجسدية كلها وكانها لديكم
الامر الاخس قيمة والاحقر اعتباراً والاقل نفعاً نعم انني ارى فيكم هذا التهاون الذميم والتغافل
الفظيع عن نفسكم ومن ثم لقد كنت ارغب ان يكون لي مجاري دموع لابكي نايحاً على تهاونكم
هذا كما انه لي عيون تنظر واتم من قبله تري كم يعلم البعض منكم علماً حسناً ويفهم جيداً
ان ضميره موسق بالخطايا ولاجل ذلك اذا خطرت في فكره المخاطر العظيمة المهلكة المقبلة
اليه لعلة خطاياه فيشعر في باطنه بالهام محار يخاطبه قايلاً له امض ايها المسكين الى
ذاك الكاهن واعترف لديه اذهب وار نفسك للكاهن ولكن ماذا يجيب هذا
الالهام فانه يجاوبه قايلاً في ذاته لا ريب في انه يلزمني الاعتراف وانا عازم عليه ولكن لا
اتممه اليوم لكن في هذا اليوم انا مضاف في الموضع الفلاني ورفقاي ينتظروني نساعتي
غداً وقلما يحدث لغيره الالهام من السما ان يحضر اليوم القداس الالهي فيقول نعم انه
لواجب ان احضره وساحضره ولكن بعد عودتي من مواجهتي مع ذاك الوكيل في خصوص
الدعوى المشتبك بها واخر يلهمه الله سبحانه ان يذهب الى الكنيسة كي يستمع الوعظ
فيقول نعم ان استماع الوعظ فيه انتفاع عظيم للنفس لا محالة وانا راغب ان اسمعه اليوم ولكن
قصدي في ان انتهي قبلاً من قضى ذاك واستريح من همه لئلا تشغلني افكاري في حين استماعي
الوعظ وعلى هذا النسق ارى عمل النفس لا يتم الا في فضلة الزمن وعقيب الاشغال العالمية
كافةً فهل تظنون ان هذا هو كلما يجب للنفس من الاعتنا خبرنا الكتاب الالهي ان العاذر
كبير دولة ابراهيم خرج من ارض كنعان وتوجه سايراً الى بين النهرين بامر سيده ليأتي بعروسة

لاسحق

لاسحق وبعد سفر متعب وصل الى ناحور المدينة ونزل في بيت بتوال فعرفه اهل المنزل
وترحبوا به واجتمعوا حوله ليصنعوا معه اكراماً وحباً فتراكضت الخدام الى خدمته
فاحدهم اسرع ليخلع منه الاحذية والاخر قدم له الما ليغسل رجليه ومنهم من انزل الحمال
عن الجمال وهيا لها العلف والاخر اعد الفراش ودعاه ان يجلس عليها والاخر بهرم مهزولاً
عياناً من تعب الطريق فاسرع ووضع قدامه خبزاً ليتقوى به الى ان تحضر مايدة العشا
لكن ما الذي تظنون قد فعله بعد هذا الاحتفال العظيم الذي صنعوه له لعمري انه
هكذا قال لا تعجلوا يا اسيادي ولا تهتموا بي كثيراً فانني اقسم لكم انني لست اذوق من عندكم
نزراً واحداً من الخبز ان لم اعرض عليكم اولاً غاية اتياني اليكم لا اكل حتى اتكلم كلامي وهو
منتصب على قدميه قبل ان ينزع عنه ثياب السفر والاحذية من رجليه شرع يخاطبهم خطاباً
سهباً ومستطيلاً وبه اوضح الغاية المرسول اليهم من اجلها بالتدقيق والتفصيل الكلي
واظهر لهم اشواق ابرهيم مولاه وشيم سارا امراته المحمودة وحسن خصال اسحق واوصافه
وثروة بينهم الوافرة وذكر المفاوضة المديدة التي صارت صدفة واتفاقاً عند البير ما بينه
وبين رفقة المحتشمة والما الذي سقته وسقت الجمال التي معه والهدايا التي وهبها لها
وعلى الاجمال اقول لقد اراد في مواجهته تلك الاولى مع اهل المنزل ان يدبر الزيجة لاسحق
ويعقد املاكها قبل كل شي وما امكن ان يصمت من الخطاب حتى سمع يقال له هذه الخطوب
رفقا بين يديك فخذها واذهب ولتكن زوجة لابن سيدك فيا ايها العبد الجليل الامين
من اي شي تخاف العلك تخاف من ان يفوتك الوقت او تفقد الفرصة الموافقة لنيل اربك
ام هل حدث بفكرك ان والدي رفقا كانا مهتمين ان يخطباها لواحد اخر غير ابن سيدك
وتخشى من ان تفلت من يدك فانا عالم بانك لست خايفاً من هذا فتمهل اذاً واسترح واغتذ
قليلاً واقبل الكرامة ثم بعد ذلك تحدث عما في قلبك لانك اذا ارتحت من التعب واغتذيت
تستطيع ان تباشر عملك باعظم راحة ويسهل عليك ان تفوز بمرامك لكن مع ذلك جميعه
لم يرد العبد الامين ان يصطبر لان الرغبة الحارة المستكنة فيه ليتم المقصود المبعوث
بسببه من مولاه لم يدعه ان يهدا او يستريح لكون الامر الاعظم اعتباراً والاوفر هماً ينبغي ان
يتقدم على جميع المهمات والاشغال ومن ثم لم يستطع القاصد المذكور ان يستريح ويتناول
قوتاً قبل ان يكمل اربه قايلاً لا اكل حتى اتكلم كلامي وقد تكلم في هذا الشان المعلم ليرانوس

الجليل قايلاً ان العاذر قد انتن بعد موته كلا ان الغرض الاتي نريد به كثيراً وان كان ذلك
كذلك فاحكموا انتم ايها السامعون هل يسوغ لنا ان ندعو اهتماماً هذا الاهتمام الذي
لكم بنفسكم والحال انكم لستم تقدمون على انفسكم قوت جسدكم الضروري فقط بل
تفضلون عليها ايضاً التنزهات الباطلة واللهو الفارغ وجميع الاشغال العالمية الدنيه
التي لا طائل تحتها من منكم قط يقول في ذاته انا اليوم سقطت في الخطا ولذلك لا اكل حتى
انزع من قلبي هذا السم المهلك بواسطة الاعتراف الشافي انا غدرت ذلك المسكين ولهذا
لا اكل حتى امنحه اجرته بالتمام وافرج عن ضيقته انا خفضت شان غريمي ذلك ومن ثم لا
اكل ما لم ارد له ما تلفته من صيته بتكذيب كلامي الذي قذفته به انا تعديت على الحقوق
الكنايسية ولم افعل ما يجب علي من الاحترام لرئيسي بل قاومته متجبراً ولذلك لا اكل حتى امضي
اليه واتضع امامه واعترف له بذنبي واعده باصلاح سيرتي واستمد بركته لقد قلت يا ايها
الاحبا المكرمون ان من يسلك على هذا المنوال الحميد الخلاصي ولا يوخر بعكس ذلك اتمام
ما يخص نفسه الى المحل الاخير اي بعد ان يفرغ من قضا اشغال العالم وهو اجساده

العدد ٤

ولكن بكلما قلته حتى الان ربما اظهرت جهلي وقلة خبرتي في العالميات لانه اما هو حق ان كثيرين
من المسيحيين ياخرون الاهتمام بنفسهم الى زمن الشيخوخة ايضاً قايلين في ذواتهم انهم حـ
يباشرون التفكر والاعتنا بها اي حينما يكونون مضنوكين من العجز وقد اتصلت روح كل منهم
الى شفتيه واقتربوا الى النسمة الاخيرة من حياتهم فلا ريب اذاً في ان اهتمامهم بخلاص النفس
لقليل بل الاصح ان اقول انهم خاليون بالكلية من الاعتنا في خلاصها البتة والحال انهم لا يسلكون
هكذا في ساير تصرفاتهم بل اذا رام احدهم ان يعقد خطبة لابنته ما بينه وبين ابنه فيفعل
ذلك باسرع ما يكون واذا اراد ان يسعى لولاده بتلك الوظيفة السامية المغنية فلا يتقاعد
اصلاً عن المباشرة بها وهكذا اذا قصد ان يبيع املاكه فلا يتوانى عن تلك اصلاً او اذا قصد
ان يبث دعاويه في الشرع فللوقت يهتم بها او ان احب ان يقيم له ورثة فلا يتاخر عن
الكتابة فما لكم وهذه السرعة كلها اما تستطيعون ان تتقوا هذه الهموم الى ساعة الممات انه
لا محالة لتستطيعون ان تتقوها لكن لستم تريدون وذلك لانكم تقولون ان قضى مثل هذه
الاشيا يحتاج عقلاً صاحياً وزماناً طويلاً واجتهاداً جزيلاً وعملاً ثابتاً اما من جهة ما يخص
خلاص النفس فنعلم ان كثيرين يكفاهم لذلك دقيقة واحدة اهاً منكم يا ايها المسيحيون كيف

يمكن ان ترتضوا بان تخرج من افواهكم الفاظ هذا الضلال يا لها من اقوال ذميمة ممقوتة
يا لها من معان شنيعة قبيحة يا لها من اجوبة واهية لا يطاق استماعها من فم انسان مومن
لكن هات نتنازل معكم الى ما قلتموه لاني انا لست اريد ان احيد عن القصد الاخص الذي
انا في شانه غير انني اريد منكم ان تسلموا الي مذعنين فيما اورده الان وهو ان تاخير خلاص
النفوس الى اخر الحيوة هو قلما يكون تحت خطر عظيم وانه لا يتفق مع الجميع على حد سوى
وان اتفق مع واحد حسناً فيجب ايضاً بصعوبة وذلك لانه على ما قال سكوتوس المعلم
الفريد عصره ليس هو ضرباً من المستحيل ان يحصل الانسان على ندامة حقيقية في العاقبة
الا ان ذلك صعب جداً كثيراً من قبل الله تعالى ومن قبل الانسان انتهى فقال انه صعب جداً
من قبل الانسان لان قلب الانسان يكون قد تحجر وتصلب في الشر اعظم تصلباً وقال انه صعب
ايضاً من قبل الله تعالى لانه عز وجل حينيذ يكون مهتاجاً الى السخط ابلغ هيجاناً فاذاً لم يظهر
فيكم ولا علامة واحدة تحقق لنا ان خلاصكم الابدي يعنيكم جداً من حيث انكم تضعونه تحت
حوادث الصدف والاتفاقات بل تحت اخطار عظيمة اكثر مما تضعون تحتها زيجة
ابنتكم او ترتيب عيلتكم ونظام رزقكم ومباشرة ساير اشغالكم الجسدانية الباهظة كانه
ليس بنجوة خال من الريب ما قد قاله القديس اوكاريوس في الفصل ٤ و ٣٠ من ان خلاص
النفس هو اعظم كل الهموم العظيمة ويلزم ان يفضل عليها كافة لعمري ان صنيعكم هذا
ليس هو بحسب النموذج الذي اعطاناه يعقوب الصديق ابو الاباء على ان هذا البار اذ
كان راجعاً مع عيلته كلها الى وطنه اي الى ارض كنعان بعد ان كان عاش متنزحاً عنها في
ارض غريبة نحو ٢٠ سنة خوفاً من غضب عيسو اخيه الاكبر المصر على قتله فلما قرب
من وطنه ابصر اخاه ذاك الذي كان حاقداً عليه مقبلاً تجاهه مسلحاً ومستصحباً معه ٤٠٠
رجل محارب ولهذا السبب خاف من ان يتذكر ما قد اهانه به قديماً ويأخذ الثار لا منه
فقط بل من نسايه الموموقات منه واولاده الاحباب اليه ولكن ماذا فعل في هذا الخطر
الباهظ فهكذا فعل وهو انه قسم جملة عيلته الى عدة صفوف على مثال عسكر متقدم
للقتال فاقام في اول الصفوف جاريتيه بلهة وزلفا مع اولاده الاربعة الذين كانوا ولدوا
له منهما ثم وضع وراهم امراته ليا مع اولادها السبعة اما راحيل الجميلة فجعلها في اخر
الصفوف جميعها مع ابنها يوسف المحبوب لديه فلنسل هنا قايلين ترى ما الذي قصده يعقوب

في هذا النظام والترتيب العله قصد فهذا ان يستعد الى المعركة والحرب او قلما يكون
اراد ان يدفع اقتحام اخيه باعظم قوم ولكن ما الذي كان يقدر عليه جيش صغير من نسوة
ضعيفات وصبيان عاجزين مقابل عدة جنود ابطال معتادين على سفك الدم الذين
شاهدتهم بمفردها كانت تكفي لان تخيف وترهب الناظر فقد كان عارفًا اذًا يعقوب و
متحققًا انه لم يكن يمكنه ان يقاوم اخاه بجيشه هذا الضعيف العاجز ولاجل ذلك اذ كان
الخطر لابد عنه فاراد اقلما يكون ان يدبر امور عياله بحكمة وتوفير ولا يطوح في خطر
القتل على حد سوى جميع اوليك النفار الذين لم يكونوا لديه اعزا ومحبوبين بالسوية لكون
الجاريتين كانتا لديه اقل عزا ولذلك وضعهما في اول الصفوف ليلتقيا اول هجمة اخيه و سخطه
وقد كان يعتبر ليا اكثر اعتبارًا من الجاريتين ومن جرى ذلك اجتهد ان يجعلها في امان اكثر منهما اما
راحيل فقد كانت لديه اعز من الجميع ولاجل هذا وضعها في اخر الصفوف بقصد ان يصونها
سالمة عقيب الجميع وما احسن هذا التعليم الذي علمناه هذا الاب الحكيم بتدبيره هذا الصادر عن
حكمة وافر حميد على انه قد علمنا ان نسلم للخطر الاشيا الاقل اعتبارًا لكي نحفظ الاشيا الاوفر
اعتبارًا وقيمة سالمة مصانة من كل عطب ولئن كان ذلك كذلك فما الذي استطيع ان اقوله
عنكم يا معشر المسيحيين احبائي حينما اعاينكم انما تضعون في اول المخاطر نفسكم لتلتقي اول
صدمات العدو وتحتمل اول الضرب والطعن فهي عندكم بمقام الجارية وعليها تصعد
القرعة ان تموت وتبيد بشرط ان يسلم شانكم وتصان قنيايكم واولادكم واقربايكم واصدقايكم حتى
النسا الفاجرات المحبوبات منكم وساير اهويتكم جسدكم الذميمة الباطلة يالله من جهل عظيم ما اشنعه
يا للجنون غريب ما اقبحه يا لها من حماقة وحشية ما افظعها انني ممتلي من حزن رفلا تعذروني
ايها السامعون اذا رايتموني استفرغ غيظ قلبي هكذا حقًا انني ممتلي من رجز الرب ومن ثم
لا استطيع ان احتمل اكثر منذ ذلك تعبت محتملًا ولهذا صرت مضطرًا ايضًا مثل ارميا النبي لان
اطلق العنان للغيوم المضطرمة في خلاص نفوسكم لاننا بلغنا الى قمة التهاون والنفل الغايص
فيه المسيحيون الذي فقد قصدت في مبتدا عظتي هذه ان ابرهن لكم انه لعظيم جدًا ويجب ان
يرثى له بالبكا والنواح

العدد

ومع هذا جميعه فلنا ان نقول عن بعض المسيحيين
اكثر مما ذكرناه لان يعقوب نعم انه وضع في الخطر اولى الجميع الجواري لا محالة الا انه مع ذلك
لم يستهن بهن بهذا المقدار حتى انه القاهن في خطر اختياري بل في خطر غير منتظر ولا مناص منه

على انه ليس هو الذي خرج الى ملاقاة عيسو بل ذاك قد بادر ضده ولذلك لم يكن في مكنته
ان يتنحى منه اما انتم فانكم تعاملون نفسكم معاملة تسمو رداوتها على معاملة الجواري الاتيم
لستم تلقونها خلوًا من ارادة في تلك المخاطر المهلكة التي تسقطون بها فقط بل تدفعونها
الى المخاطر تعمدًا واختياريًا وكانكم تسرون في مضرتها لكونكم تخاطرون بها الى حيث يكون
الحديث اكثر سفاهة والنظر اسرع سقوطًا والى حيث تكون العشرة اوفر فجورًا ورعانة
وحتى لا اقول ايضًا الى حيث تكون الابالسة تحارب النفس لا بالخفا والكمين لكن جهرًا وبالسلحة
مستلة ليميتوها ويستاقوها الى الهلاك لعل هذا هو الاهتمام بالنفس لا لعمري حقًا انه لم يعد
يجوز لي ان اسميه عدم اهتمام فقط بل الخليق بي ان ادعوه عدم ملاحظة الى النفس بالكلية

العدد ٦

يا ايتها المسكينة الذليلة ام طوبيا ما اكثر حرصك على ابنك وما اغرب اعتنايك به على ان هذه الوالدة
الوالدة كانت مسلمة وحيدها بيد ملاك مع انه على التحقيق لم تكن تظنه سوى رجل ذي
صلاح عظيم وحكمة غريبة ومع ذلك لافراط ودها لابنها ندمت حالًا وتاسفت على تسليمها
اياه بيد هذا القايد الامين لانه اعتراها الوهم خايفة مما ان يصيبه في الطريق حادث ما من
الحوادث المضغطة ومن ثم كانت تبكي بدموع غزيرة وتتنهد وتنوح وتولول قايلة هكذا
الويل لي الويل لي يا ابني لاي سبب ارسلناك ضو عينينا وعصا شيخوختنا وعز معيشتنا ورجا
نسلنا لان هذا كله كان لنا فيك وحدك (ما احسن وما اجمل كلامها هذا) اعني قولها
لان هذا كله كان لنا فيك وحدك فما كان حقنا ان نبعثك عنا اي لم يكن واجبًا علينا ان
نجعلك في خطر بابعادك عنا حيث ان فيك كان خيرنا كله ولم يكن لايقًا بنا ان نلقيك
في خطر بتسليمنا اياك في يد غيرنا لقد اظهرنا ولدي على نفوسنا اننا لم نكن نعلم انه ليس
لنا في العالم خير سواك وان بك هو كل هنائنا ومقتنانا كل شي كان لنا فيك وحدك فما كان
حقنا ان نبعثك عنا هكذا كانت تندب نايحة وتولول في كل ساعة هذه الام المرتعدة على ابنها
ومع ان بعلها الشيخ كان يعزيها وذلك بتحقيقه لها ان الحارس الذي قلدناه ابننا الوحيد
كان امينًا ومن ثم كانا يستطيعان ان يحصلا على راحة نظرًا اليه ويطمانا فمع ذلك لم يكن
كلامه يفيدها ولا كانت تعدل عن البكا والزفرات اذ كان يخاطبها قايلًا لها اسكتي ولا
تحزني لان ابننا في عافية والرجل الذي نفذناه معه امينًا قلت ان كلامه هذا لم يكن
يفيدها شيئًا ولم يكن يقنعها في ان تستمد تعزية ما اصلًا ولاجل ذلك قال ايضًا الكتاب

المقدس وهي ما كانت تقدر ان تعتزل بل كانت كل يوم تخرج كالمصابة خارجًا عن بيتها و
تطوف جميع الطرق وترقب كل الابواب التي كان ابنها عتيدًا ومُمكنًا ان يدخل منها وحتى كانت
ايضًا بعض الاوقات تصعد الى رابية ما شامخة لترقب لعلها تحظى بمشاهدته من
بعد راجعًا كقول الكتاب المقدس ايضًا القايل لعل يمكنها ان تبصره على بعدٍ جاييًا ولما لم
تكن تراه كانت تعود وتجدد نوحها وتزداد صياحًا وترجع هكذا باكية عند المسا الى
منزلها وكانت تندب نفسها قايلة واأسفاه على شقاي لا شك ان ابني عرض عليه خطر
من يعلم ان كان الان يهتف بي قايلاً يا اماه وهو ساقط في كهفٍ ما او ربما انه يكون
الان يستغيث بابيه وهو مفترس من وحشٍ ما ضارٍ فيا معشر السامعين الكريمين احبائي اعلموا
ان الحرص الذي يجب على كل منا ان يحترس به على نفسه يلزم ان يكون عظيمًا بهذا المقدار حتى
انه لا يجوز لنا ايضًا ان نستودعها بيد هلاك ما لم نتحقق انه كذا تحقيقًا كليًا ونمتحنه اعظم
الامتحان وذلك ليلا يكون مستترًا تحت صورة الملاك مخاتلةً ما وهذا هو المشورة الذي اعطانا
يوحنا الحبيب في هذا الامر المهم العظيم قايلاً ايها الاحبا لا تومنوا بكل روح بل جربوا الارواح
هل هي من الله فاذًا ما الذي ينبغي لي ان اقوله حينما اتامل كثيرين من المسيحيين يستودعون
نفوسهم في يد الشيطان نفسه فتخدعهم هذا العدو الغاش قايلًا لهم في السفر الابدي ويدعو
يقتادهم كانهم عميان ما بين وهدات مهلكة مرعبة اعني بها محافل العشق الدنس وزيارات
وسهرات المحبة المفسدة ومنازل النجاسات الظاهرة وبالنتيجة اقول يقودهم الى جميع
الاسباب الاقرب الى الهلاك فمثل هولا هل يجوز لي ان اقول عنهم انهم يحبون نفوسهم وانهم
يعتبرونها ويحترسون عليها وانهم عارفون ان لهم خيرًا كله فيها وحدها لا لعمري لانه لو كان
ذلك صحيحًا لما كانوا يخاطرون بها بهذا المقدار من الجهل الشنيع ويسلمونها بيد الشيطان
الطاغوت الكبير كالعميان والقاطعي الرجا بل ولا كانوا يامنون ان يسلموها الى رجلٍ كان
من البشر من غير فحص وتدقيق مقتدين بشور القديس المقدم ذكره القايل ايها الاحبا لا
تومنوا بكل روح وبالتالي اقول اذا قصدوا الان يصطحبوا مع احد لكانوا يفحصون
عند اولاً هل هو ممن يبغض الرذايل ويجتنبها واذا راموا ان ينتسبوا الى احد الاكابر
ويتجندون لخدمته لكانوا يلاحظون قبلاً هل هو عاشق الفضيلة وينعم على من هو متصف
بها وكذلك لكانوا من بين ابا الاعتراف ينتخبون الاوفر علمًا ومن بين المعلمين اللاهوتيين

يفضلون

يفضلون الاكثر نقاءً ومن بين المشيرين يحبون الاصدق والاحوق وعلى هذا المنوال
لكانوا يعتمدون الجهد الكلي في ان يرتبوا انفسهم في اعظم الامان الممكن ولكن واأسفاه
على انني ارى ان كثيرين يفعلون بخلاف ذلك على خطٍ مستقيم حتى انه يتم فيهم ما قد
قاله ارميا النبي بروح النبوة هكذا انهم يسلمون نفوسهم المحبوبة بيد اعدايها لانهم
غالبًا انما يسرهم الرفقا الاكثر رعانةً والموالي الاخس عيشةً وليس ذلك فقط بل ان
كثيرين ايضًا اذا التزموا ان يدعوا ضميرهم بيد احد معلمي الاعتراف ينتخبون واحد
اقل خبرة ليلا يدقق في جرايرهم او اذا التزموا ان يسلموه لمعلمٍ ما من اللاهوتيين يبحثوا
على من يكون اوسع ذمةً لكي ينعطف معهم احيانًا على هواهم واذا اضطروا ان
يتخذوا لهم مشيرًا فيختارون واحدًا ممن يرغب الطمع ويتحبب لكيما يعايبهم ويميل
معهم متى ما شاوا وبالنتيجة في هذا كله انهم يسلمون نفسهم المحبوبة بجهلٍ مريع
لاميل لدبيد اعدايها اهذا هو اعتنا الواجب للخلاص اه واأسفاه حقًا ان هذا
ليس هو سوى رغبة ذات جنون في هلاك النفس تعمدًا واحالة التاييدات الخلاصية
الى المضرات والمخاطر المهلكة وتبديل الدرياق الشافي بسموم قاتلة لقد تشكا سليمن
الحكيم في امثاله من البعض الذين يتصلون الى هذا الحد من الهذيان والجنون حتى
انهم ينسجون اشباكًا ويلقون اشراكًا على انفسهم عينها وذلك بقوله ويمكرون
بانفسهم ليت شعري فمن هولا الاشقيا الناقصون الراي الذين يظلمون انفسهم
لا جرم في انهم هم الذين نتكلم الان عنهم اعني بهم اوليك الذين يتغافلون عن انفسهم
ويخدعون ذواتهم باعتقادهم في انهم يستطيعون ان يعيشوا بضميرٍ سليم امين
على تدبير اناس خايبين الذمة او اه من عظم انخداعكم وعدم مشورتكم ايها الاغبيا
على انه كيف يمكن لمثل هولا ان يعتبروا انفسكم ويرشدوها في سبل الخلاص والحال هم
يستهينون بانفسهم ويحتقرونها متغافلين عنها غير ان هذا هو الذي انتم تبتغونه
كما تقدمت فقلت اي ان تدعوا انفسكم الشريفة في يد من يتهاون في تدبيرها و
اصلاحها فتتركوها تسقط في الخطر البهمي وتتمادى تهلك فيه وذلك يصدر منكم
لكي تتم على الدوام يومًا فيومًا ما حرر في سفر الحكمة من ان الانسان غالبًا انما يكون قاتلاً
نفسه وظالمها وذلك بقوله الانسان يقتل بالسو نفسه اه واأسفاه ولحسرتاه من ذا

يقطر عيني مجاري ما فايض لابكي الان نايحًا على جور هولا الاغبيا المفتريين على نفوسهم
الجليلة اي نعم هذا هو الزمن الذي به يتشوه وجهي من البكا مع ايوب الصديق وتسيل
عيني دموعًا واجفان عيني تفيض مياهًا مع ارميا النبي في صح ١٤ فانتم يا معشر السامعين
ما هو رايكم الان في هذا التغاضي والتلاهي عن انفسكم اما يستحق ان يُبكى عليه ويحزن له لعلكم
ما تعمقتم قط بالتامل والتدقيق في معنى هذه الجملة وهي ان الانسان يكون سعيدًا الى الابد
او معذبًا الى الابد او في نحوى ابدية التعزيات وابدية الاحزان او في ما هو المدلول عليه
بلفظة السما حيث الفايز بالخلاص يفرح ويتمتع الى ابد الدهور او ما هو معنى لفظة جهنم
حيث الهالك يبكي ويعج مولولًا الى كل الدهور فما هو قولكم ايها المسيحيون ما هو جوابكم
لعلكم دققتم قط في تامل هذه الحقايق الدهرية وفهمتموها فان كان الى الان لم تتاملوا ولا
غصتم في التدقيق فاشير عليكم ان تذهبوا عاجلًا الى مخادعكم وان تقفلوا عليكم الابواب كما
اشار اشعيا النبي الى الشعب الاسرايلي عن لسان الله تعالى قايلًا انطلق يا شعبي وادخل
الى مخابيك واغلق ابوابك عليك واذا اختليتم هكذا وتفردتم وحدكم فتاملوا قليلًا في
ذواتكم ثم عودوا الي وكلموني فاني لواثق انكم سترجعون نظير اوليك الذين كانوا يخرجون
من مغارة تريفونيوس الساحر الشهير اي مذهلين مبهوتين متخشعين خلوًا من ان تعودوا
ايضًا فتبرزوا فيما سياتي من الزمن تبسمًا ولعبًا فقط ولما ان كنتم تاملتم الحقايق المذكورة
واعتبرتموها ولكن بعض الاحيان كما اظن بكم فاي تهاون يمكننا ان نتصور فيكم اردى
من هذا التهاون الذي به تخاطرون بامر كذا عظيم خلوًا من ان تحزنوا وتخافوا وتبالوا
بامر خلاص انفسكم اما تعلمون ان في هذا قايم خيركم او ضرركم الكلية وهو امر يخصكم
وحدكم كله على انه ان هبطتم في جهنم لا يسعن الله بذلك فليت شعري من تراه يشفق
عليكم ومن هو الذي يقدر ان ينشلكم منها لقد كان ابيشالوم منفي في منفى تشاو فصعب الا انه
حظي بيواب حبيب داود يختلس من ابيه بالحرام ان يرده الى بلدته وايضًا يوسف الحسن
قد حصل محبوسًا في سجن مظلم غير ان ساقي فرعون صار له وسيطًا ينال له اخيرًا الخلاص
وقد القي ارميا النبي من ناس اشرار في جب موحل ليموت فيه من البرد والجوع والنتانة
موتًا اليمًا ولكن حظي في ابيملك الذي حن عليه ودلا له حبلًا من الجب فتعلق به وخرج
الى فوق اما انتم فمن تحظون بعينكم لتخرجوا من الدركات السفلية ومن قعر جوف الجحيم

فاى

70

فاي حبل يصل من السما الى تلك الهاوية العميقة السفلية اية ذراع تلقاكم اية قوة
تنهضكم لعمري ان من يهبط الى الهاوية لا يصعد اسمعوا وافهموا جيدًا ما قاله ايوب
البار ولا يرجع ايضًا الى بيته اي نعم انه من ينحدر الى اسفل لا يرجع ايضًا الى فوق من
يهبط الى الهاوية لا يصعد من يهبط لا يصعد وها انتم لا تتفكرون بذلك ولا تنزعجون
اهًا يا ابني انه هكذا يلزمني ان اخاطب كلًا منكم مع الحكيم بن سيراخ قايلًا يا ابني احفظ
نفسك واكرمها بحسب واجبها واعلم انني لو كنت دايبًا في هذا اليوم بان ارى هذه الشواهد
المتعددة وهذه البراهين المختلفة ان اقنعكم بشي ما او ان الى خيري او شري في اعمالي ان
تاتوا الى استماع وعظي بازدحام عظيم وتحمدوني وتعظموا الفاظي وتستحسنوا خطابي
واما ان تمنحوني اجرة توازي تعبي وعرقي لكان يباح لكم لا محالة ان تشكوا بي ولا تصدقو نى
الا انني لم اقصد هذا قط وانما قصدي انما احرضكم واحثكم على ان تهتموا بنفوسكم اوقلما
يكون تحموها بحسبما اوصى ابن سيراخ لكل واحد منا قايلًا يا ابني ارحم نفسك وما هو اذًا
الذي يمكنني ان ارجوه منكم ان كنت لست انال منكم هذا الاهتمام بانفسكم والمحبة لها والحال
ان ذلك خير لكم وحدكم انني ارحمكم ان كنتم ما تحبون غرماكم واعداكم واعذركم بذلك
ولكن من يعذركم من يحتملكم اذا لم تحبوا انفسكم ومن ثم اهتف مع الحكيم قايلًا الخاطي ضد
نفسه من يبرره ومن يكرم الذي يفضح نفسه ناشدتكم الله تعالى الان تعتبروا انفسكم
وتحبوها وان كان ليس لكم برهان اخر تفهمون منه قيمتها ووفور التزامكم باعتبارها
ومحبتها فيكفيكم هذا البرهان وهو ان تتاملوا كم تقدمت فقلت لكم في افتتاح خطابي
كم يتعب ويجد الشيطان دايمًا ليسترقها منكم وكم هي الحيل والاختراعات التي يصطنعها
كل يوم ليخدعكم ويسقطكم في الخطايا وبعد سقوطكم بها يبذل جهده كله في انه يزيل
عنكم الخوف ويجعلكم ان تلبثوا فيها مطمانين مستريحين اما هذا هو برهان واضح في انه
يعتبر نفسكم اعتبارًا لا يوصف وانها اذا اتصل الى امتلاكها يحتسب ذاته فايزًا بامر
عظيم جدًا لا يوجد شي يتوق اليه اكثر منه وما احسن ما يوصيكم به سليانوس الاسقف
المعظم قايلًا ايها المجنون اعظم من هذا وهو ان تعدوا انفسكم حقيرة دنية حينما يعتبر ها
ابليس شريفة كريمة لعمري انه لو كان هذا الطاغوت اللعين مالكًا العالم لكان اعطاكم
اياه باسره طوعًا واختياريًا لاجل امتلاك نفسكم فقط حسب قوله المعلوم اعطيك

هذه الكلمات خرجت لي ساجدًا وها انتم ترتضون بان تبيعوه اياها بثمن هكذا حقير زهيد
اعني بلذة دقيقة واحدة او بتمتع جمال فارغ زايل او بغير جزء لعيلتكم او بما يماثل ذلك
من الامور الدنية وتسرعون بهذا القليل ان تلقوا انفسكم كالسمك الحقير في فم الحوت
لا تصغوا يا ايها المسيحيون الحيا بهذا الجهل الشنيع اي ان تهينوا انفسكم هذه الاهانة
العظيمة الفظيعة لا تجذبوا تقييرًا لانفسكم كما وصى الحكيم بل ارجعوا من الان واحسنوا
الانتباه على ذواتكم واسرعوا في ان تلاحظوا انفسكم كما يليق ويجب امتثالًا لما اوصانا به
اسمعا في تثنية الاشتراع على لسان موسى النبي قايلًا احتفظوا بانفسكم بحرص

القسم الثاني

العدد

انني لست اريد ان امتنع من توبيخ هذا التهاون العظيم الكاين في البشر عن خلاصهم كما قلنا الى
الان على اننا قد كنا ربما نقبل اعتذارهم قليلًا لو كان الخلاص عملًا سهلًا لا يقتضي تعبًا ونصبًا
جزيلًا ولكن هل تظنونه سهلًا يا ايها السامعون هل تظنونه سهلًا ما اعظم ضلالكم وما اوفر
شقاكم ان اعتبرتموه سهلًا اعلموا وتحققوا ان امر خلاصكم الابدي ليس هو غير سهل فقط
كما تظنون انتم بل انه متعسر وذو عثرات وتحت اخطار وارتياب بهذا المقدار حتى انه
صير اكبر القديسين بعد جهاد عظيم وتعب جزيل ان يستمروا في حال الخوف ويرتعدون
منه خوفًا من حكم ذلك الاله الذي هو مخوف ومرهوب حتى على اوليك السعدا ايضًا الذين
لم يزالوا ابدًا ملتصقين به وقايمين قدامه كالدايم كقول المزمور الالهي عظيم هو الرب و
مرهوب على جميع الذين حوله وبالحقيقة انني لست اعلم من اي وجه يتداخلهم هذا
الخوف منه تمامًا هكذا والذي يحقق كلامي هذا هو القديس ايرونيموس الذي لم يكن برح
نايحًا غير متعزي وما الذي لم يفعل من التعب والمشقة هذا المغبوط ليحوز في نفسه
قليلًا من الطمانينة في هذا الامر العظيم اي امر خلاصه حيث انه قد اختلى وحده في براري
مقفرة مجدبة سايحًا ودفن نفسه حيًا في مغر مظلمة ومارس اشد الحرب ضد حواسه حتى
الى نهاية الشيخوخة ومع هذا جميعه ترى ما الذي كان يقوله فهكذا كان يقول في
رسالته الاولى انا المتدنس بعيوب الخطايا استر مختفيًا النهارات والليالي من الخوف
لتذكري اني لعتيد ان اوفي اخر فلس علي ومثله القديس غريغوريوس الكبير الحبر الاعظم
لم يزل يذرف الدموع الغزيرة ما دام كان على سدة الحبرية التي كانت لديه كالشوك

تنغصه

71

تنغصه وهذا الذي يقدر يصف نواح برنردوس القديس السعيد وهتافه المتصل
في حراثه ووادي كيارا اما القديس المعظم اغوسطينوس فكان ابلغ من ذلك يبكي وينوح
مرتجفًا وقايلًا انني اخاف النار المويدة ثم يكرر كلامه قايلًا انني اخاف النار المويدة ومع ان
قلبه كان مضطرمًا على الدوام بنار محبة الله فمع ذلك لم يكن ذلك كفوًا لان يزيح منه
هذا الخوف والرعب من الهلاك في جهنم والعلي غير مستطيع ان اورد تثبيتًا لقولي سوى
هولا القديسين فقط فهلم بنا وتعالوا معي الى ذاك الكهف المرعب كهف السواح الذي
يسمى حبس التايبين لخشونة السيرة التي كانوا يستسيرونها فيه وهناك تنظرون مناظر
غريبة تذهل العقول وترعب القلوب فهناك كان يتم التعب والنصب بالحق لتمهيد حق
العدل الالهي واستعطاف رضاه فكان البعض يستقيمون في الصلوات منتصبين على
ارجلهم الليل كله تحت السما واخرون جاثين على ركبهم محنيين ظهورهم ومنكسين روسهم
نحو الارض واما اكثرهم فكانوا غالبًا يصلون وايديهم مكتفة وراء ظهورهم كالمجرمين ونواظرهم
محدقة في الارض محتسبين ذواتهم انهم غير مستحقين ان يتفرسوا في السما واخرون كانوا
جالسين على الثرى مهزولين مغتمين ناثرين الرماد على روسهم ومخفضين وجوههم
ما بين ركبهم وكانوا كما قال ارميا النبي يصنعون لانفسهم نوح الوحيد بكاءً مرًا نظير ما يبكى
على ميت محبوب وعزيز لدى اهله فهكذا كانوا يولولون نايحين باكين على نفوسهم واخرون
كانوا يقرعون صدورهم واخرون ينتفون بشعورهم واخرون كانت اعضاهم تجف و
تنتحل لشدة الصرامة والتقشف الذين كانوا بهما يضنون اجسادهم بقساوة وعسى
يظن احد منكم انهم كانوا هناك يعطون محلًا للفرح والضحك والسرور ولو لنزهة في حين
ما فقد كان هذا عندهم ضربًا من المحال فلم تكن تسمع في تلك المغاير اصوات غير هذه زآف
يا رب اشفق يا رب اغفر سامح يا الله وارحمنا ولا هذه الاصوات ايضًا كانت تسمع لان
الزفرات والحسرات كانت تخنق الاصوات ولا تدع ان يعلم ما هنالك سوى البكا هناك
كانت الاصوام المديدة هناك كان الرقاد القليل هناك الاستهتار الكلي بالجسد وقد كنتم
تروا ايضًا البعض متلهفين تلهفًا موتيًا اتقاء العطش المستطيل والسنتهم خارجة من
افواههم شبه الكلاب يابسة محترقة من الظما وكان اخرون يرتعون عراة على البرد و
الصقيع في عنفوان فصل الشتا ليلًا ونهارًا وغيرهم غاطسين في وسط الجليد وغيرهم

هم

يتقلبون ما بين الثلج وآخرون ممن كانت طاقتهم لم تبلغ لهذا الحد من التقشف كانوا يطلبون
من الرهبان أن يوثقوهم بالحديد ويقيدوهم بالقيد لكي يقضوا حياتهم بهذا العذاب حتى الممات
فهذه هي سيرة التقشف الشاقة التي كانت تستسيرها السواح القديسون في قفارهم هل
تظنون يا معشر السامعين أن من سيرتهم هذه المقدسة الغريبة كانوا ينتجون نتيجة ما
للطمأنينة والتعزية في أن خلاصهم غير محقق مرتاب به أو قلما يكون أما كان يجب أن تحركهم
الى الثقة والرجا أكثر من الارتياب والخوف إلا أنه مع ذلك جميعه اسمعوا من الشي الذي كل مرة
أتأمله فيوعبني خوف عظيم جدا وهو أن هولاء المذكورين ليس أن سيرتهم هذه المقدسة
لم تكن تحقق لديهم خلاصهم فقط بل لما كان أحدهم يمرض ويشرف الى الموت فكان جميع رفقايه
يجتمعون اليه وهو راقد على الرماد وهذا كان الفراش الذي يستحب كل واحد منهم أن يموت
عليه ويسالونه محزونين وباكيين وخايفين قايلين له ما قولك يا أخانا كيف تظن بنفسك
أترجو أو تثق بالخلاص الذي طلبته بهذا المقدار من الجهاد والدموع أم عساك تخاف بعد
ترى ما الذي ينتظرك هل الممالك أم العبودية هل الصولجان أم الأغلال السما أم جهنم
أما استبان لك أنك تسمع صوتا موهوقا داخل قلبك يقول لك مغفورة لك خطاياك
أم ترى يبان لك أنك تسمع صوتا آخر يقول لك اربطوا يديه ورجليه والقوه في الظلمة
البرانية ماذا تقول يا أخانا ما هو رأيك ناشدتك الله أن تقول لنا لنستدل منك
كيف هو عتيد أن يكون حالنا أيضا عندما نبلغ الى هذه الساعة فعلى هذا النسق كانوا
يخاطبون المنازعين منهم وهكذا كانوا يسالونهم ولكن ما هي الأجوبة التي يجاوبون بها
على سوالاتهم هذه المحرقة نعم أن البعض من أوليك المنازعين كانوا يرفعون أعينهم نحو
السما بابتهاج ويباركون الله قايلين مع المرتل مبارك الرب الذي لم يجعلنا صيدا لا
سنانهم ولكن وا أسفاه ما أكثر الذين كانوا يجيبون خلاف ذلك مشيرين الى أن خلاصهم
بعد تحت الارتياب قايلين مع داود المرتل أيضا ربما تجوز أنفسنا الماء الذي لا قوام
له ومعنى كلامهم هو هذا أي أننا نرجو أن نجوز ونتفق برحمة الله غير أن الوادي
كبير والماء عكر والخطر نظرا الى الغرق عظيم جدا حتى ولو بلغنا الى آخر الوادي أما الذي
يزيد نحو ذهولا وخوفا أكثر مما ذكر فهذا هو وهو أن كثيرين أيضا لم يكونوا يجيبوا على
سوالات أوليك السواح رفقايهم شيئا آخر سوى البكا والتنهد قايلين الويل الويل وما

العدد

كان

كان معنى هذا الويل يعرض على الحاضرين ويطلبوا منهم بتحسر بليغ أن يفسروا لهم مضمون
هذه اللفظة المرعبة كانوا يردفون اللفظ قايلين الويل لتلك النفس التي لم تحفظ
دعوتها سالمة غير متدنسة لأنها في هذه الساعة تعرف ما هو المعد لها فيا معشر
السامعين الأحبا أنا أعلم أن كثيرين يستغربون هذه الأخبار ويظنونها أنها حكايات
أو شقشقة لسان مني وأفهم أنهم يحبون أن تكون كذا لئلا تزعجهم وتنبههم من رقادهم في
آثامهم ولكن ماذا تفيدهم المواساة على نفوسهم لعمري أن الأخبار المقدم ذكرها صحيحة محققة
غاية التحقيق الكلي لأن الذي خبر بها وقد شاهدها بعينيه وسمعها باذنيه هو القديس
يوحنا السلمي رئيس جبل سينا الشهير في قداسة السيرة وصدق اللسان وقد كتبها في كتابه
العجيب في ذلك الحين عينه الذي كانت تحدث فيه أي أنه كتبها في الوقت الذي كان كل أحد
يستطيع أن يكذبه لو كان كتب شيئا ما خلافا لما جرى أو لو كان بالغ فيه أكثر مما كان بالحق
فاذ قد تقرر أن كل ما ذكرته الى الآن من أخبار رهبان السواح القديسين الكلية الصرامة وخوفهم
العظيم في أمر خلاصهم بعد هذا الجهاد الكلي هو حق وصدق لا ينكر فليت شعري ما هو
سبب طمأنينتنا نحن وقلة خوفنا حتى أننا نحتسب خلاصنا سهلا بل محققا كأننا ضابطينه
في راحة اليد خلوا من أن نهتم به إلا قليلا يا للعجب من أين تصدر فينا هذه المحاباة على
أنفسنا أيها الاخوة أي نعم هكذا يجب علي أن أهتف صارخا متوجعا مع القديس برنردوس
قايلا من أين ياتي علينا هذا الفتور المؤذي من أين من أين نستنتج هذا الأمان الملعون
في نفوسنا آه وا أسفاه علينا لعمري أن هذا الفشل المهلك انما يصدر فينا من هذا الباب
لا غير وهو عدم التامل بشرف نفوسنا وتناسينا لها وهذا هو الداء الذي يعمي أعين عقلنا
ولا يدعنا أن نرى تلك المعاثر الرهيبة التي هي ظاهرة بازا أعيننا كقول الحكيم القايل طريق
المنافقين مظلمة فما يعلمون أين يسقطون فان قلتم ماذا يجب علينا اذا أن نصنع يا أبانا
فاجيبكم لا تسالوني أنا اسالوا غيري لأني أنا لست التمس لكم شورا آخر غير الذي اتخذته
لنفسي فان أردتم أن تسلموا الى تدبير نفوسكم فامضوا وانبذوا الورى الى الوري
زاهدين العالم وان كان لكم زمان بعد لتهربوا مع لوط من سادوم فلا تبطوا لأنه ولا
الأبرار أيضا يستطيعون أن يعيشوا مدة مستطيلة بالأمان ما بين الخطاة ولكن ان كان
ليس لكم طاقة ولا ارادة لأن تفعلوا ذلك فلماذا لا تعزمون أقلما يكون على أن تواظبوا من

العدد

لمان نصاعد الى كل اسبوع على اقتبال تلك الاسرار المقدسة التي هي الوسايط الموفق للخلاص لماذا لا تطرحون عنكم هذا المقدار من الكبريا والتبجح في سلوككم وسيركم لماذا لا تزجرون الطمع المفرط في العاليات وتختصرون الرغبة الفاقدة النظام الى الكرامة والجاه لماذا لا تنتهون وتضعون اللجام على الشهوات اللحمية وان كنتم لستم تريدون ان تصنعوا ما اشرت به عليكم فالذي تحبون ان اقوله لكم اشهد بكم ان عندكم اهتماما في خلاصكم حاشا وكلا بل انكم متغاضون متغافلون عن نفوسكم بالكلية وهذا اعنفكم به من غير محاباة ومن غير خوف وانه لحقق عندي انكم ما تهمون كلامي حقا غير انني خايف جدا من انكم مع فهمكم هذا لستم تقبلون نصحي ولكن ماذا اقول ما الذي يمكنني ان افعله اذا ابيتم عن ان تسمعوا تعاليمي وتقبلوها غير انني التفت الى هذه الايقونات وهذه المجامر وهذه الاركان واستدعيها لان تشهد لي امام الله تعالى في اليوم الاخير في انني تممت ما انا ملتزم به من تخبيركم بالحق وبالامانة مع كوني لست محتاج الى هذه الشهادة لانه ههنا حاضر بشخصه الالهي ذلك الديان الحي والحق العتيد لان يدينني وهو يسمعني ولاجل ذلك انت يا الهي عارف عظم اشتهايي ورغبتي القلبية في خلاص هذا الشعب الذي هو شعبك الجليل فيا سعادتي ويا لحسن حظي لو استطيع ان ابذل نفسي عنهم واسفك دمي من اجلهم كما سفكت انت دمك الكريم من اجلي ولكن من حيث انني عاجز عن ذلك فاعدك قلما يكون انني لا اهدا ولا امل من هذا الامر بل اتممه بكل جهدي وهو ان اعظهم بالحق فاهلهم يا رب لان يقبلوه مني بتلك المحبة الصادقة فانت لمن خاصتك ان تكون الرووف المجتذب اليه باغتصاب ودود اوليك الذين يبتعدون منه انني لا استطيع ان افعل شيئا اخر سوى ان اضيء لهم نظير المصباح الذي بضوءه يري الطريق للمسافرين في البحر في حين الظلام اما انت فعليك ان تهب عليهم النسيم المقدس الذي يحملهم نجيين سالمين غانمين الى الميناء ذي الراحة الابدية

العظة الثامنة

في الخميس الذي بعد الاحد الاول من الصوم تتضمن تشجيع الاتقيا ليغلبوا الحيا والمهابة من الناس بجسارة مقدسة واذا امراة كنعانية خرجت من تلك التخوم تصيح وتقول ارحمني يا رب يا ابن داود هكذا اخبر متى البشير في ص ١٥ من

بشارته

بشارته قد ذكر عن ميلون كروتنياس الرجل الاعظم قوة وجبروتا من اليونانيين العدد الابطال القدما انه كان من جملة التجربات التي يفعلها لاظهار قوته العظيمة يفعل هكذا وهو انه كان ياخذ بيده تفاحة ويقبض عليها باناملة ثم يدعوا الشباب الابطال ليتقدموا ويفتحوا كفه ويستخلصوا منه التفاحة ومع ذلك لم يستطع احد قط على ان يفتح كفه سوى امراة ضعيفة كانت محبوبة على انه كان يغلب الجميع قوة ما خلا هذه المراة العاجزة فقد كان يسلم لها كانه عاجز وضعيف انني لعارف بان لا يليق كثيرا بان تذكر مثل هذه الاخبار الخفية في هذا المكان المقدس لانه لا تنتج منها فايدة جزيلة لكن مع ذلك جميعه قولوا الي ايها السامعون المكرمون اما يبان لكم انه لامر عجيب وهو ان تلك النعمة التي لم تستطع جميع الرسل معا ان ينالوها اليوم من يد السيد المسيح مع انهم التمسوها متضرعين بعزم وبلجاجة فاليف لم اطلقها الا انها تصيح في اثرنا قد نالتها منه تعالى المراة الكنعانية ولم تحصل عليها كيفما كان بل بقوة واغتصاب حسبما نستدل على ذلك من قوله تعالى يا امراة عظيم هو ايمانك فليكن لك كما اردت لعمري انه لينبغي لنا ان نقول ان استحقاق امراة كهذا قوية وقادرة لقد كان عظيما جدا ولكن ترى ما هذا الاستحقاق العلة كان ايمانها اي نعم ان هذا كان لا محالة لكن مع ذلك جميعه لا يسوغ لنا ان نقول ان ايمانها كان اعظم من ايمان الرسل الذين تشفعوا بها الى السيد المسيح ومع هذا لم يستحقوا ان ينالوا النعمة التي كانت هي تطلبها ونالتها منه فيما بعد وحدها فمن ثم يسوغ لي بان اقول ان الذي عظم استحقاقها انما كانت جسارتها المقدسة في طلبها الصا من ايمانها الحي على ان هذه المراة الصالحة قد كانت ولدت ما بين شعب غير مومن ولاجل ذلك اعتبروا كم تكون احتاجت من الجسارة والشجاعة لتغلب الصعوبات التي كانت تصدها عن التقدم الى الرب يسوع سيما الحيا من الناس ومداراة اهلها وبني جنسها الغير المومن بالمسيح لكونها لم تاتي اليه تعالى في مكان محجوب خفي بل في مكان ظاهر مشاع وعلى قارعة الطريق ومع ذلك انها كانت من اصل شريف وذات ثروة واقرة فلم تخجل من ان ترتمي على اقدامه لتسجد له في انتصاف النهار تجاه جمع غفير مزدحم خلوا من ان تبالي باقوال الناس فيها ولقد اهينت ومع ذلك استمرت ثابتة

طُرِحَتْ ولم تتقلقل بل ولا أيست ولا تفتهم تعرّت من الفاظ يسوع الجافية الشاقة التي قصد
بها ان يواضعها لاجل منجاتها وذلك حينما عاملها بمنزلة كلبة قايلًا لها ليس هو جيدًا
ان يوخذ خبز البنين ويعطى للكلاب فمن هنا اي من صنيعها هذا اما يستبين لكم انه
أَوْلى واجب ان تعطى كل شي هذه المراة الحاوية هذه الصنعة الجليلة الممدوحة فليتعلم
اذًا كل انسان منكم من قبل هذا النموذج الصالح الجليل ان يغلب تلك الجبانة الوهمية الباطلة
التي تصدكم احيانًا ان تعطوا نفوسكم كلها للسيد المسيح فلماذا يتداخلكم هذا المقدار
من التفكر فيما تقوله الناس عنكم لماذا تتقهقرون وتجبنون من تعييرها ومن هزؤ وجيز
وكلمة بادعو كل احد تقول بها انشاه لانه لا يجوز لكم من قبل ذلك ان تعدلوا عما قصدتموه
من المقاصد الصالحة فطوباكم والسعادة لكم ان اهملتم في اليوم لان اطبع في نفوسكم
هذه الحقيقة الجزيلة الفايدة لاني متيقن انها اذا طُبِعَتْ فيكم فكثيرون منكم ممن هم تحت
النقص يصيرون صالحين وكثيرون ممن هم صالحون يصيرون قديسين ولناتين من دون
عايق الى البرهان ولنجعله الاول في خطابنا هذا

ولكن قبل كل شي

العدد ٢

ارغب اليكم بان لا تظنوا بي بانني ذو احشا قاسية جافية بهذا المقدار حتى انني لا اعذركم
ابدًا عن الاشعار القوي الذي تشعرون به في مثل هذه الاحاديث العالمية لاني عالم انه اذا
عزمت مثلًا تلك السيدة المكرمة او ذلك الرجل الشريف او ذلك الغني ان يترديوا بثياب
اوفر حشمة او يعاشروا عشرة اطهر واكمل او يعيشوا عيشة اوفر اختلاءً فللوقت ينبش
لمذمتهم عدة الالسن شرورها ومن جرى ذلك فيشعرون طبعًا بحصر او غم ما لكن مع ذلك جميعه
فالتزمت عمدًا عني من هذا الابتدا ان احزنكم بايرادي على سماعكم خبرية حسنة وهي
هذه فاعلموا ان الاول الساقطين فيه اي لوم الناس لكم وان كنتم لا تعتبرونه فهو دا عضال لا
دوا له لانكم ان سالتم جميع معلمي السيرة الروحية واحدًا فواحدًا فلا تجدون احدًا
منهم يفيدكم رجاءً في انكم تستطيعون ان تبغضوا الرذيلة ومع ذلك توجدوا
محبوبين من الاردياء الاشرار ويكفيكم لتحقيق ذلك وتاكيده ما حرره سليمان الحكيم في هذا
الصدد قايلًا يرذل المنافقون للذين هم في طريق مستقيم وهذا القول لا ريب يشوبه
اصلًا وقد اورد القديس سبيانوس الاسقف السبب بذلك فقال لانه ضربٌ من
المستحيل ان تتفق العواطف حيث تكون الافعال يناقض بعضها بعضًا فكيف تطلبون

من

من المنافقين ان لا يبغضوكم مع كون افعالكم توبخ دايمًا سوء افعالهم لانكم بتقواكم
تخجلون قلة ديانتهم وبمحبتكم توبخون قساوة قلوبهم وبحشمتكم توبخون سوء ادبهم
وبقناعتكم تعلنون شراهتهم وبعفتكم تفضحون شهواتهم الدنسة فاذًا من اللازم التام
ان يبغضوكم اذا احبوا ذواتهم لكون اختلاف العواطف هو سبب عظيم في المنازعات
كما قال القديس المقدم ذكره لانه غير ممكن او قلما يكون عسر جدًا وهو ان يحب ذلك التقي
الذي هو نفسه يشمئز منه فاذًا ليس عبثًا يمقتونكم اوليك الاشرار الذين يبصرون كل
شي فيكم يناقضهم ويخزيهم (انتهى) فهولاء الاشرار الذين يعاينون فيكم كالمراة كل
شناعاتهم وادناسهم ومن ثم لا عجب اذا مقتوكم ورذلوكم ومزقوكم بالسنتهم فانهم يصنعون
بكم كما تصنع الجمال بالما الصافي لانه لكون هذه الحيوانات لا تستطيع ان تراه وتحتمله
وهو هكذا صافي ولذلك تدوسه بارجلها وتخبطه لكي تعكره وذلك لكيلا تبصر فيه بشاعة
هيئتها اما انتم ايها السامعون الاتقيا فلا تخافوهم لان معرفتكم هذه في ان هذا الدا لا دوا
له فبهذه المعرفة هي له دوا شافي

العدد ٣

فقد تحققوا اذًا انه لا يمكن لجميع الابرار ان
يرضوا المنافقين وينالوا منهم المحبة وها هوذا اريكم من غير برهان آخر انكم لستم الاولين
في احتمال قذفهم وبغضتهم لاجل سببٍ هكذا مقدس وجليل ولا تكونون ايضًا الاخرين
ومن ثم سبيلكم ان تتعزوا تعزيةً ليست بقليلة بمشاهدتكم جمًّا غفيرًا من ابطال السيد
المسيح قد احتملوا ما انتم محتملون برايٍ بغض عالم الاشرار وافادوكم شجاعةً على الاحتمال
ايضًا فامضوا باعينكم اولًا الى مصر فتبصروا يوسف البار مغلولًا في السجن من قبل بغض
المنافقين له وخبثهم ثم حولوا الى بيت المقدس في اورشليم فتعاينوا ارميا النبي مدفونًا
حيًّا في جب ثم وصلوا الى مدينة سوس فتشاهدون مردخاي البري قريبًا من الصلب
على الخشبة وطوفوا بهامة مدينة بابل فتصيبوا دانيال العفيف ملقى فريسةً للسباع
واحدقوا بها نحو اسفل بيت فالو فتعاينوا احيور الصادق مربوطًا في شجرة واعطفوها
الى بابل فترقبوا سوسنة العفيفة محكومًا عليها برجم الحجارة فما هو اذًا شر الاشرار الذين
صنعوا بكم بالسنتهم المرهفة ضررًا عظيمًا بالنسبة الى هولا المذكورين ومن ثم لو اردنا
كنا اطلنا الخطاب في تلك الاحاديث التي لا محالة تفيدنا التجلد والصبر فقط لكن
ليس الى حد سفك الدم الا انه يكفينا خبر الجدلية وحدها لتعزية النسا الشريفات

التقيات اللواتي يرهبن خايفات من قذف الالسن ويتمرمرن منها فانا عالم انكم سمعتم قصة
هذه القديسة مراراً متعددة لكن لست ادري اذ كنتم اطلعتم في خبرها على القضية الرقيقة
الموافقة لهذا الصدد الذي نحن فيه على انه قد كانت هذه التايبة النشيطة الحارة
سمعت ان يسوع مخلصنا كان متكياً في الوليمة في بيت سمعان واسرعت لوقتها اليه حاملة
قارورة طيب ذكي الرايحة وافاضته على راسه المقدس دلالة على وفور اكرامها له
غير انها في صنيعها هذا كانها هراقت سماً على السن جميع المدعوين فشرع كثيرون منهم
يتخاطبون خفيةً ويتهمون مغضبين عليها في انفسهم قايلين لماذا هذا التلف انظروا ما
اعظم هذا الاسراف وما اوفر هذه الخسارة اهكذا يهراق طيب كثير الثمن بهذا المقدار و
يتبدد وعبثاً كم من العيلات المفتقرة كانت تقتات بثمن هذا الطيب لو بيع وكانوا يغضبون
عليها بهذا المقدار حتى لو استطاعوا لكانوا مزقوها باسنانهم حية ولعمري ان في ذلك امراً
عجيباً لانه لمن المعلوم ان المجدلية كانت قد بددت باطلاً صوناً واموالاً كثيرة في رحض
جسدها وتضميخه فيما سلف اذ لعله كفاها طيب بثلثماية دينار كم من العنبر كم من المسك كم
من المياه العطرية المستقطرة ابتاعت على تضميخ جسدها وشعر راسها وكسوتها وليس
هذا فقط لكن كم من الدمالج ايضاً والبغم كم من الزهر والجواهر كانت تضيفها لنفسها
للافتخار والتباهي ليس انه من المحقق انها كانت تبدد كل قنيتها تارةً في الملابس الفاخرة
وتارةً في الهدايا الوافرة وطوراً في الولايم المفتنة واحياناً في المسامرات والنزهات
العالمية المطربة ومع ذلك جميعه هل تظنون ان احداً قط تهمم عليها مغضباً لاجل هذا
التلف الواهي ودعاها مواجهة مبذرة ومبددة كلا بل بعكس ذلك كم حظيت بالمديح
من الناس الذين كانوا يسيرون برفقتها ويسامرونها ويثنون عنها شاكرين لها حتى ان
بعضهم كانوا ينحنون الى الارض تايقين الى السجود لها كلما كانت تمر بالاسواق والشوارع
فبهذه نفسها حينما قدمت من اباطيلها هذه الجزيلة هبةً جزيئة للمسيح ربنا نهضت
ضدها الاشرار المرذولين وسنوا السنتهم حالاً الى مذمتها والتذمر عليها قايلين انها تنفق و
تبدد وتصرف عبثاً وتروم خراب البيت ودمار اهلها وانها امراة مطلوقة العنان ينبغي
ان يكون لها وكيل يضبطها ويجعلها داخل حدود الاوزان لماذا هذا التلف لماذا هذا التلف
فمن هنا استدلوا انه هكذا يكون حظ جميع اوليك الذين يزعمون منكم على خدمة السيد

المسيح بتجاه العالم وقد اشار الى ذلك الرسول قايلاً كل الذين يحبون ان يحيوا بالتقوى
بيسوع المسيح يضطهدون فقد قال كل الذين ولم يستثن احداً منهم نعم اننا اذا تاملنا
مدققين كلامه فنراه يقول الذين يحبون ان يحيوا ولم يقل الذين يحيون لانه قد يمكن ان
يتفق احياناً ان بعضاً من الصالحين يحوزون على عمر ازهر من راحة وسلامة وذلك بعدم
ظفرهم باقوال الناس الذين يقذفونهم بها وعدم التفاتهم اليها اما في المبادي اعني حينما
يعزمون ان يعطوا نفوسهم للعزم مكيناً المدلول عليه بقول الرسول يحبون ان يحيوا
بالتقوى فليس لهم مفاص من قذف السنة العالم بل ينبغي لهم جميعاً باسرهم ان يتبلبلوا
ويُقرَّفوا ويُضطهدوا لان كل الذين يحبون ان يحيوا بالتقوى بيسوع المسيح يضطهدون
الا اني اقول ايضاً ما اكثر الذين يحملون هذا الاضطهاد دايماً ابداً وذلك على مثال الاسرايليين
الذين ابصروا اشعوباً كثيرة قد نهضت الى مقاومتهم كالمصريين والعاموريين والعمالقة
وغيرهم كثيرين جداً وليس ذلك من ابتدا خروجهم من مصر بل وجدوا ايضاً فيما بين
اورشليم بعد خروجهم اناساً قد التزموا ان يحتملوا اضطهادهم وجورهم دايماً وهم اليا
بوسيفن اي اليسوزن حسبما يترجم معنى لفظهم هذا بلغة العربية واية طهارة تضاهي
طهارة القديسة مكتيلدا البتول التي كانت ايضاً من نسب شريف جليل ومع ذلك فقد
كان كثيرون يحتسبون مودتها العظيمة للاحبار الرومانيين عشقاً ردياً ومع ان الجميع
قد كانوا عارفين بانها كانت ترتدي بمسح الشعر على جسمها وفوقه رداء غليظاً كثيفاً
نظير الجنفاص ومع ذلك لم يكن هذا كافياً لان يجعل الاشرار يصدقون انه لم يكن ممكناً
ان يلج نبل العشق قلبها ويجرحه بالمحبة الردية كذلك كم قد اضطهدت من الحساد فضيلة
البابا غريغوريوس السابع مع انه كان قديساً يصنع العجايب وكم قُذف ايضاً برسجيوس
الحبر الاعظم مع انه كان محبوباً من الله تعالى وقديساً جداً وليس اننا عارفون بان القديس
اثناسيوس الكبير بطريرك الاسكندرية قد اتهم جهراً بالزنا والقتل وما قد قلته عن هولاء القديسين
فقد يمكنني ان اقوله ايضاً عن القديس غريغوريوس العجايبي الذي لطخه المبغضون بريبة
الفسق وعن بلاديوس السايح الذي اتهم من المنافقين بانه نصور وستانيزلاوس الاسقف الذي
وُشي به عند الملك انه سارق وعن غيرهم ايضاً كثيرين لا يحصى عددهم الذين كانت
سيرتهم المقدسة دايماً كهدفٍ ترشقه السن الاثمة بنبال القذف والذم الا ان الاجدر بي

ان اعرض عن ذكرهم لانه كما لا يليق حسب قواعد الفلسفة ان تورد براهين قليلة لاثبات
موضوع مرتاب به جداً هكذا لا يليق ايضاً بموجب قواعدها ان تورد براهين كثيرة في اثبات
موضوع واضح ومحقق جداً اما النتيجة التي يجب ان نتنجها مما تقدم تقريره فانما هي هذه
وهي انه ينبغي لكم ان تعرفوا كما قلت لكم آنفاً عند تذكركم ان لكم في هذه الدعوى شركا كثيرين
من القديسين ومنهم لكم ان تقتنعوا بنفوسكم ان تلك الاحاديث العالمية التي تبجسكم لتصد
عن التورع لا تجرحكم بما انكم اناس عالميون لكن بما انكم اناس روحيون اناس حكما اناس تابعون
السيد المسيح ولاجل ذلك تجرح المسيح نفسه اكثر جداً مما تجرحكم انتم
غير انني اريد ان اتقدم ايضاً قدماً آخر واقول لكم انه ولين كنت افترضت انه في مكنتكم ان تنالوا من
الناس المحبة والامتداح لاجل ورعكم وفضيلتكم فمع ذلك يجب عليكم ان ترغبوا بغضهم ومضادتهم
اوفر رغبة وربما انكم تستغربون مني هذا الرأي لكن ان احسنتم الاصغا الى كلامي كما احسنتم
الى الآن تسمعوا كيف ابرهن لكم صدقه فاقول تصوروا في عقولكم ان الاشرار يقدموا لكم محبة واكراماً
بدلاً من البغضة والمذمة وتصوروا ايضاً انه ما من احد يتكلم فيكم سوءاً بل الجميع يعتبرونكم
ويمدحونكم لكن قولوا لي هل انتم بهذا تصيرون مديونين لله تعالى ام تعالى يصير مديوناً لكم من
منكما يصير مديوناً لغيره فالاصح انكم انتم تصيرون مديونين لله من حيث ان خدمتكم له
افادتكم اجرة ليست بقليلة وهي محامد الناس ومحبتهم لكن ان كنتم لاجل خدمتكم له تلتزمون بان
تكابدوا شتماً وقذفاً وتعييراً فلا شك في انه جل ذكره يصير لكم مديوناً وان قلتم هل الاله
الكلي العظمة يصير مديوناً لنا فاجيبكم نعم نعم انه تعالى يصير مديوناً ولا تظنوا ان هذا قولي
لكنه قول ماري يوحنا الذهبي فمه لانه هكذا يقول انه اذا احببنا من اجل الله فنصير مديونين
له تعالى بالمحبة الواصلة الينا اما اذا ابغضنا بسببه عز وجل فهو يصير لنا مديوناً وما هو الذي
للانسان ان يرجوه او يشتهيه اكثر من هذا الذي هو الخير كله وهو ان يكون الله مديوناً له
فان كنت اذاً تفتخر بهذا يا ايها القديس العظيم معلم بيعة الله الجليل اي ان رجي يكون لي
مديوناً دعني ان اهيج الالسن العالمية لان تلدغني وتقسو عليَّ كما قال القديس اغناتيوس الذي كان
ماضياً الى ان يهيج الوحوش الى تمزيقه وافتراسه فلتتهيج اذاً الاشرار ولتمزق ولتفترس كيفما
ارادوا فهل يستطيعون ان يفعلوا اكثر من هذا فهو انهم يجعلون الله مديوناً لي
هكذا يصيرون سبباً الى لان استجد به تعالى باوفر دالة وان اجوده كلما اريده باعظم سهولة

العدد ٤

وان لا اخاف فيما بعد من ان يطردني من امامه لانه مديون لي ومع استطيع ان
اتنعم فرحاً مسروراً وهاتفاً مع ايوب البار من كان ضحكاً لاصحابه مثلي اذ دعا الله
فاجابه وعساه يبان لكم هذا الامر يا ايها السامعون انه خير قليل والحال انه بعكس ذلك
اي انه خير عظيم بهذا المقدار حتى انه اهل لان يبتاع بثمن العالم كله وليس بثمن تلك
المحامد البشرية الخادعة التي يلزمكم ان ترذلوها لاجل خدمة الله تعالى ولا عجب في ان الله
تقدس اسمه يصير مديوناً لمن يتكبد ما ذكرناه من مثالب الناس وتعييراتهم لانه يجل ثناؤه
لمن ذلك شهادة شرعية صادقة في انه مخدوم ومحبوب منكم اكراماً لذاته القدوسة
لا طمعاً في المرضيات الخاوية الفارغة وهذا برهان واضح ثابت وطيد في ان فضيلتكم
راهنة ضميركم نقي وايمانكم حي لا غش فيه فتاملوا اذاً ما اكثر ما ترجونه امام استحقاقاً اذ
ازدريتم بها قاويل الناس فيكم وبمذماتهم وتاكيداً لذلك اقول هل عرفتم ايها السامعون
المكرمون ما هو سبب الاجر الوافر الذي ناله ابراهيم في تقدمته تلك المشهورة اي تقدمة
ابنه الوحيد ها ان بعض العلما قال ان اجره كان قايماً في الطاعة الكاملة التي ارتضى
بها من غير محاورة لامر هكذا صعب وقال الآخرون انه كان في السرعة التي بها امتثل خلواً
من عاقة من الاعتلال الطبيعة وقال غيرهم انه كان قايماً في الايمان الذي آمن به مصدقاً
من غير ارتياب بمواعيد يضاد بعضها بعضاً فهذه الآراء جميعها لعمري انها لحسنة و
مطابقة الصواب ولكن ان سالتم مدققين ابلغ تدقيقاً القديس والمعلم زينون فتعلموا
ما الذي يقوله في ذلك على انه يورد رأياً غريباً لم يخطر في بال احد لانه يقول ان اجره
كان قايماً في الشجاعة التي بها اطرح نفسه في احاديث الناس فيه لانه من ذا الذي لا يرى
ان ابراهيم بفعله ذاك المقدس كان عتيداً ان يربح التكنية بالظالم والردي عوضاً عن
التسمية بالصديق ولقد كانت ايضاً السن الناس كافة تحركت الى الثلب والنميمة فيه عندما
يُشْهر عنه حادثة غريبة وامر جاير بهذا المقدار اي ذبحه ابنه بيده ولقد كان الجميع يلقبونه
وحشاً ضارياً بصورة انسان وجلاداً قاسياً لا اباً والداً وعلى الاطلاق اقول ان شجاعته
تلك المقدسة التي استحق بها امتداح جميع افواه الملايكة لقد كانت بطلبت له اعظم المثالب
والتعييرات عند الناس ولا ريب في ان احدهم كان يخاطب صاحبه قايلاً انظر ما
اقسى قلب هذا الرجل يا للعجب كيف استطاع ان يضبط بيده السكين ثم بعد ان

استعمل مثل هذه القساوة في ابنه هل ذرف عليه دمعة واحدة ام هل تنهد ولو مرة واحدة
او قلما يكون هل التفت بوجهه الى ورائه لما رفع يده ليذبح ابنه والحال انه قد صنع بخلاف
ذلك لانه هو اوثق بيديه فتاه البري وهو حمله ووضعه فوق المذبح وهو عصب عينيه
وهو كشف عنقه وعزم على ان يجزم وقد كمل بمفرده وظيفة جلادين كثيرين ولا تظنوا
يا معشر السامعين ان ابرهيم كان يمكنه ان يزكي نفسه قدام الناس باستناده على امر
الله تعالى الذي امره بذبح ابنه امتحاناً له لانه كيف كان يستطيع ان يقنع شعوباً واُمماً و
ثنيين وغير مومنين بالله وخاليين من نور الايمان القديم ويأكد عندهم ان فعله ذلك
الجليل كان امراً رهيباً الهياً لا هذيانياً صادراً من القساوة لانهم بلا شك كانوا جميعهم
يعترضونه قايلين ان الهك لا ياكل لحماً بشرياً وبالنتيجة ان الصوت الذي سمعته يامرك
بذبح ابنك كان وهماً في تخيلتك المعتلة لا صوتاً سماوياً فاذاً من حيث ان ابرهيم الصادق
احتمل جراة قوية وظفر بكلمات الا انه لعتيد ان يلتحق به من قذف الناس وتعقبهم و
شرع بنشاط عظيم في تقدمته ابنه خالياً من ان يخالف بنوع ما امر الهه تعالى قال القديس
زينون المقدم ذكره ان في هذا كان اجره العظيم قايماً لانه لم يخف من احاديث الناس
الملتوية الذي كان عتيداً ان يستقطعت تعييرهم له بانه قاتول ظالم خالي من العقل
لكنه فضّل على هذا كله محبة الله تعالى ورضاته والطاعة لامر المقدس وهذا هو الاجر
الذي اعرضه عليكم ايضاً ايها الاحبا السامعون لتحظوا به مثل ابرهيم الصديق وهو ان
تحتملوا تعيير الغير اياكم وتمزيقهم شانكم بالسنتهم السفيهة نظراً الى الاشيا التي كان
يجب ان يحمدوكم بها فان واظبتم اذاً على تناول الاسرار المقدسة بالورع والديانة
اللايقة فيجب عليكم ان تحتملوا ما يقال فيكم من الغير انكم تمارسونها لاجل الريا وان اخترتم
ان تستتروا مختليين في منازلكم حياءً واحتشاماً فيجب عليكم ان تحتملوا ان يذيع غيركم
عنكم بانكم تنفردون مختليين لاجل الياس والحصر المستحوذين عليكم وان تجنبتم الولايم
والضيافات حباً في القناعة فيجب عليكم ان تحتملوا الذي يقال بكم بانكم انما تتجنبون
ذلك لسبب البخل وان كنتم تصالحون غرماكم واعداكم خوفاً على نفوسكم من الخطية
دعوهم يقولوا ويحكوا ايكم بانكم تصالحونهم من قبل العجز والخوف منهم وان فررتم من
الكرامات لاجل الاتضاع فيجب عليكم ان تحتملوا قولهم بكم انما تهربون منها من قبل

الشك

الفشل والتواني انني لعالم جيداً باني طالب منكم كثيراً لكن كيف العمل على انه ههنا تجرب
الفضيلة وقال الروح القدس على لسان ابن سيراخ ان الذهب في الفضة يجربان بالنار
والناس المقبولون يجربون في اتون البلا فيا لعظم فضيلة ايوب المسكين الحزين ترى
ما هو الالم الذي كان يشعر به ارتدا عظم استشعاراً في شدايده الكثيرة المعروفة عند
الجميع فربما انكم لم تلاحظوه ابداً ولعمري انه انما كان علمه في ان كل من ينظره معترياً بالبرص
هكذا شنيع ومكروه يظن انه انما اجتلبه على ذاته من جرى فرط تلذذه وانهماكه
في المجامعات الدنسة اللحمية التي كان مغرماً منها ويكرهها على الدوام فالى هذا الحد
اتصل فيه غيظ الشيطان كما ارتاى معلمون جليلون من مفسري الكتاب المقدس الذين
قالوا انه خزاه الله قصد ان يضرب جسد ايوب كله بداء يماثل الداء الكريه القبيح الذي
يبتلى به احياناً المتشهوانيون من قبل المباشرة اللحمية ويسمى الجذام ومن هنا التزم
ايوب العفيف ان يستمع تعييرات المارين به والناظرين اليه وهم يقولون مراراً عديدة
هكذا واهاً من هذا الانسان الحيواني الدنس الشهواني ان عظامه ممتلية خصايل الرذيله
التي منذ صبايه لقد جوزي على قدر استحقاقه اما ايوب البار فكان مع ذلك يدعهم
ان يصدقوا فيه ذلك محتملاً صابراً ولم يكن يفتر من ان يبارك الله تعالى بشفتيه اللتين
ابقاهما الشيطان له سالمتين من القروح تعمداً انجب كقول ايوب نفسه القايل ذاب
لحمي وبقيتا شفتي حول اسناني وذلك رجاءً منه خزاه الله بان ايوب لعتيد ان
يفقد الصبر لشدة اوجاعه ويبرز من شفتيه تجديفاً على الله عز اسمه وانتجوا من
هنا كم كان يتالم ايوب من قبل السنة الناس كما تكلمنا انفاً غير انه كان صابراً على ذلك
ايضاً ولكن ليس هذا البار وحده احتمل معيرة الناس بل موسى النبي ايضاً احتملها على
ان هذا النبي قد كان يتعب اتعاباً كثيرة لا توصف في تدبير اكثر من عدد ٦٠٠ الف نفراً
قد قلده الله تعالى تدبيرهم وكان يضطر بان يسمع شكاياتهم ويصلح منازعاتهم وينظم
اعوازهم كلها ومع ذلك جميعه حينما كان يرجو ان يستمع اثنية الناس ومحامدهم فالتزم
ان يستمع ممن كان يدعي غنماً وهوات في ذلك الوقت من رعايته ما يقول له انه لعادم العقل
وناقص الراي لا يتاره ان يدبر هذا المقدار من الخلق ووضعه تحت الملامة وماذا اقول
عن ضده الصالحة امراته هلفانا فهذه عوضاً عن ان تمتدح بمنزلة متورعة حارة لما

كانت تواظب في صلاتها على اعتاب الهيكل بحمية مضطرمة فحسبت شاربة خمر
وسكرانة وماذا اقول في وشتي امراة احشويرش الملك فهذه ايضاً بدلاً مما تعتبر
بانها عفيفة محتشمة لما ابت بجراة حميدة من ان تبتذلها بحسنها تجاه اناس مدعوين
الى الوليمة الملوكية رُذِلتْ كانها عديمة الطاعة وعاصية على بعلها وطوبيا الشيخ
القديس اما سمع دفعات كثيرة اصدقاه واقاربه يعيرونه على عمايه بقولهم انه
اهل لذلك لانه كان تورط بهذا المقدار في البحث عن الاموات طايفاً الطرق والساحات
في الليالي ليجدهم ويحملهم الى المقابر فهذا هو الاجر الجزيل الذي ينبغي لكم ايضاً
ان ترتاحوا اليه في مرتبتكم ومن شانكم اعني به ان تحتملوا صابرين للازدرا والعار
لاجل الفضيلة والاعمال الصالحة اي نعم ان هذه سعادتكم وهذا حسبكم اما قرايتم ما
كتب بطرس رسول المسيحيين في رسالته حيث يقول انه ان عُيرتم باسم المسيح هو
فخركم فطوباكم فاذاً هذه هي السعادة الحقيقية اذ كان المسيح ربنا ما اراد ان يغشنا
بفمه القدوس كما قال في بشارة متى الطوبى لكم اذا عيروكم وكرر كلامه قايلاً ايضاً في
بشارة لوقا طوباكم اذا ابغضوكم الناس وبالتالي اقول اذا كانت هذه السعادة ليست
هي حقيقية فلا ينبغي اذاً ان نصدق عقيدة ما اصلاً من عقايد ايماننا المستقيم لان
جميعها علمنا اياها معلم واحد ذو الصدق الغير المكذب وهو يسوع الاله
ولكن ما خلا هذا كله ناشدتكم الله تعالى ايها السامعون ان تقولوا لي الى كم من الزمان
تستقيمون في هذه الشدايد لماذا لا تتذكرون انه سوف ياتي يوم ينقلب هولاء
المعيرون لمن سد حاجتكم الى مادحي فضيلتكم وثباتكم فيها ها هو ذا القديس ايرونيموس
يعزيكم في رسالته الاولى الى اليودورس قايلاً انه سياتي ذلك اليوم الذي فيه يلبس
هذا الفاسد عدم الفساد والمايت عدم الميتوتة وفي ذلك اليوم ترون اعظم
ما يكون فرحكم حينما تظهرون تجاه العالم كله المجتمع الى الدينونة الاخيرة وتفتخرون
بذلة كبيرة بان اوجه الذين احزنوكم وتهزاوا من دون خوف بهولاء المتقيا الذين
عيروكم وهزاوا بهم ولعمري انني لما افتكر بفرحكم هذا فانما اماثلكم بنوح الصديق
الذي كان جالساً في السفينة فاسمعوا واحكموا عدلاً فاقول على انه لمن المعلوم ان
هذا البار لم يوجد في العالم انسان تعير لاجل صلاحه وفضيلته نظيره لانه قد كان

عايشاً في وسط شعب كافر دنس عاصٍ وراخي العنان لساير شهواته السمجة ومن حيث
انه قد كان يتلالى خلافاً للجميع في كل جنس فضيلة فافتكروا كم كان يُحتقر ويُرذل وهذا
هو راي القديس يوحنا الذهبي فمه ايضاً لانه قال في ميمره الـ ٢٣ على سفر التكوين
هكذا انه لقريب الى التصديق ان نوح كان يُعيَّر ويُهزا به من البشر من حيث انه كان
يخالفهم خصالهم السيئة بسيرته الفاضلة المقدسة الا ان اعظم السخرية به قد كانت
لما اراد الباري تعالى في الجنس البشري وعزم على هلاكهم وامره ان يعمل السفينة شبه بيت
منتقل لينجو من خراب العالم ففي ذلك الحين تقاطرت عليه معيرون لا محالة واتخذوا عليه
حجة اقوى ليهزاوا به فرحين مسرورين غير انه قد يمكن ان يكون ادخل في قلب البعض
منهم خوفاً ما الى زمن يسير حينما ابان لهم في المرة الاولى حكم الله الرهيب وانذرهم بالخراب
الكلي العتيد اقباله على البشر لكن لما ابصروا فيما بعد انه قد جازت سنة و٢ و٣ سنين
بل قريب ان تجوز مائة سنة ولم يات الطوفان العرمرم الذي كان يتوعدهم به ولم يكف
نوح ايضاً عن عمله المتعب في عمار السفينة فلا ريب انهم وقتئذٍ كانوا يتواردون احزاباً
احزاباً نحو تلك السفينة ليسخروا به هازين قايلين له نعماً نعماً يا شيخاً خرفاً ويا نبياً كاذباً
اين كلامك الذي كنت تتوعدنا به وتخيفنا ثم لما شاهدوه فيما بعد قد اكمل السفينة
دخلها ايضاً والسما مصحية مع قطيع جزيل من الحيوانات والوحوش التي قد اتت اليه اثنين
اثنين بزياح حافل بهي المنظر ليت شعري كم يكون ازداد ضحكهم وتوافرت سخريتهم
به وشرع كل منهم يقول للاخر انظروا ما اقل عقل الشيوخ الذين عراهم الهرم اما هذا مصاب
وخرفان لانه قد كان يستطيع ان يتمتع ببقية حياته في هذا الفلا المتسع ويستنشق
هذا الهوا الطلق وها هو ذا يريد ان يسجن ذاته في سجن ضيق ويقضي اجله في ليل مقتم
مدلهم ما هذا الجنون العلة ضجر من حياته واراد يبني له قبراً بيديه ولم ينتظر مناياه الحادثة
يُقبَر فيه ميتاً بل يريد ان يقبر ذاته فيه حياً فما هي اللذة التي يحصل عليها في هذا القبر من معاشرة
الذياب والنمور والخنازير ليغلق هذا المقدار من الوحوش الضارية لئلا تثب عليه
وتفترسه ما اخسف رايه لكونه يخاف المياه من ان تغرقه ولا يخشى الاسود من ان تمزقه
والضباع من ان تخنقه فعلى هذا المنوال كانوا يتفوهون ساخرين بنوح حينما ابصروه
او علموا انه دخل السفينة لان نفوسهم كانت بعد متشامخة وقلوبهم مظلمة ولكن

بعد أن انقضت سبعة أيام وانفجرت ميازيب السما وابتدأت أن تهطل الأمطار وتمتلي
الأودية وتتهدر الأنهار وتجري السواقي وتفيض البحار وتغرق الحقول من كل جهة و
تغطي المياه الأرض وتعاين التلال والجبال تجري من أعاليها أمواه لم ترها قط في ما عجب
ما ظهر من تغيير الحال لانه وقتيذ أضحت سفينة البار تسير طايفة على البحار منتصرة ظافرة
بمنزلة هودج العز والشرف وفيما كانت الغيوم تبرق والسما ترعد والأرياح تبوق للحرب
والقتال ويزداد هلع الهاربين ويعظم نواح الغارقين ويتواتر تولول المنازعين لقد
كانت هي وحدها مستعلية على المياه سالمة من الخوف العام وناجية من الخراب الكلي أنني
لعالم يا أيها السامعون أحبتي أن نوح مع أنه كان بارًا صديقًا لقدر نجي من لازم الضرورة وهو
داخل الفلك لخراب المنافقين وحزن على هلاكهم ولم يسر به ضاحكًا ومنتقمًا ولاجل هذا
لم يستبح لنفسه أن يشرف من كوة السفينة ليعاين الذين كانوا يهزأون به ويشمت بهم من
هناك واذ لم يفعل ذلك بالكلام فقلما يكون بالنظر غير أني أنا أريد أن استعلي قليلاً نيابةً
عنه وابسط ناظري كأنه من مكان شامخ واتفرس بذلك المقدار العظيم من الغرقى لنا عين
واصرخ عوضًا عنه شامتًا وقايلاً أين أنتم يا أيها الأبطال والصناديد المتجبرين الذين لذكم
الاستهزاء ببساطة قلب سليم عفيف انهضوا الآن وارفعوا روسكم قليلاً من المياه المستغرقين
فيها وتفرسوا لعلكم تعلمون ما هي تلك السفينة التي تتخطر طايفة منتصرة فوق روسكم غير
خايفة من الغرق ولا تبالي بالموت أين هي الآن أبنيتكم الفاخرة وقصوركم الشامخة وأبراجكم
المشيدة ذات العز والفخر انظروها مقابل هذه السفينة لتروا كيف أمكن أن ينجو نوح
سالمًا ما بين أربع حيطان من خشب سريع الفساد وأنتم تبيدون محصورين داخل أسوار
أبراجكم القوية الا تنطقون الآن بما بدا منكم من القذف في شأنه وقد كنتم سابقًا تسخرون به
لأنه كان يرذل بقلب وديع افتخاركم ويمقت خصالكم ويجتنب انهماكاتكم البذخة
السمجة وكنتم تتضاحكون عليه بمقام مجنون أحمق كأنه كان يرغب أن يدفن نفسه حيًا
داخل سجن ضيق من خشب يطفو على المياه فانهضوا الآن في هذا الوقت واضحكوا منه إن
استطعتم وإن شيتم فارذلوه وازدروا به إذ قد أدرككم الغرق وصار الموت بازايكم فيا لكم
من جهلة منافقين ترى ما أرشقكم يا أيها الساخرون بالأبرار ها هوذا أعضاكم طايفة على
المياه مهترية منتنة وقد أضحت غنيمة للأمواج المتصافقة أحدها بالأخرى التي تلطمكم

وتحدفكم

وتحدفكم تارةً إلى هنا وتارةً إلى هناك أيسين من الحظوظ بشاطي مقفر لترتموا اليه ويسكن
هلعكم قليلاً أما نوح فانه بمفرده سالم خالٍ من الاهتمام بأن يجد لنفسه بيتًا أمينًا في هذه
الاضطرابات والعواصف العامة لانه حاوٍ ميناه معه وإلى حيثما اتجه فانه ينقل معه اطميانه
وأمانه وحيثما أنتم مضطرون بأن تنحدروا إلى أسفل فهو ممنوح لما أن ينهض إلى العلا خالوًا
من خوف ولكن ما بالي تركت نفسي أن تسهو في اختطاف لذيذ لعمري أن كلما تفوهت به
وقلته إلى الآن هو توبيخ محق ويحسب بعين الصواب غير أنه باطل لا طايل تحته لأنه متجه
نحو أمم لم يعد لهما آذان لتسمع ولا أذهان لتستفيد منه فمن ثم الأولى بنا أن نتكلم بالأدلة فيما
بيننا ونقول هكذا أما يبان لكم هذا كله أنه آية عظيمة معجبة تجعل الإنسان أن يرغب حظ
نوح المزدرى به فعلى هذا النسق سيكون حظكم أيضًا أن ثبتتم صابرين على سخرية الناس
الجهلاء غير مكترثين بها نعم أنهم يسخرون بكم الآن لأنكم تأبون عن أن تشاركوهم في خرافاتهم
وأباطيلهم وآثامهم ولا يكفون من أن يزدروا بكم ويلدغوكم ويظنوا بكم كأنكم ناظرون الموت
باديًا بإزا أعينكم وخايفون منه بدلاً مما يلذ لكم استنشاق الهوا وأنكم ترغبون أن تذهبوا
من تلقا نفوسكم وتنضغطوا في دير ما ضيق وتقضوا آجالكم فيه أو تبتغون أن تلبثوا في
أيام الآحاد والأعياد مختلين في المعابد أفضل مما تحبون أن تطوفوا الشوارع أو المروج
مقتفين وراء شهواتكم الغير المروضة ولكن ليت شعري ما أقصر زمان هزوهم وازدراهم
بكم عندما يحل الطوفان المنكوث من نار الانتقام ويشاهدون ذواتهم يهلكون ويبيدون من
غير أن يعطوا مكانًا يلتجون اليه فيشتهون أن يحظوا ولو بمقدار قدم في سفينتكم التي
سميت حسنًا في سفر الحكمة آلة خشب حقيرة ولا يعطى لهم ذلك لكن افرحوا وتهللوا
لكون النصيب سوف يتغير والحال يتبدل ستروَنهم ينحدرون الى أسفل وأنتم تقومون
بدالة جزيلة قبالة وجه الذين أحزنوكم بل تستطيعون حتى من السما أن تزدروا بهم
ضاحكين لسخريتهم السابقة بكم وتستهزوا بهم فرحين لاستهزايهم ليت شعري أما هذه
التأملات الحسنة الخشوعية كافية لأن تجعلكم الآن أن ترذلوا نبح أوليك الكلاب الباطل
الذين لهم أن ينبحوا ويجلسوا الآن بأسوا ويقتلوا فهات إذًا لنتركهم أن ينبحوا بمقدار
ما يشاون دعوهم أن يهزوا بكم ويتهكموا عليكم لأنه لا بد أن نلتقي في ذلك اليوم الرهيب
الذي سوف يأخذون المجازاة على نبحهم الكلبي وجناياتهم الشيطانية

العدد

فبالدمن يوم مرغوبيا لدمن يوم محبوب وتظهر عيانا هذه الحقايق الجليلة التي نماانا قد صورتها
الان تصويرا فيا معشر المسيحيين احباى انهضوا روسكم وانتبهوا فالعمر قصير جدا فان لم نظن انا
بان نكون الى زمن يسير هدفا لبعض الالسن السفيهة القاذفة التي ترشقنا بنبلها المسمومة
فلا ينبغي ان نصاب بذلك ولا نحزن منه فان المجد يتوافر علينا بعد باضعاف اكثر على ان الملايكة
يفرحون لنا وربما الملايكة يسرون لحظنا مجدين فلماذا اذا نبالي حاتقوله ارذلة فينا وقذفا بنا
بعض اناس مرذولين حقيرين فمن هم هولا وما هي قيمتهم في عالم ذوي الحكمة والبصيرة الحقيقية
اسمعوا ما يقوله الله تعالى عنهم على لسان اشعيا النبي هاتفا لا تخافوا من تعيير الناس ولا تخشوا
تجاديفهم فانه مثل اللباس كذلك ياكلهم الدود ومثل الصوف هكذا ياكلهم السوس و
خلاصي يكون الى الابد فطوباكم اذا وللسعادة لكم اذا حفظتم في ذكركم دايما هذا الاستيعاب
الالهي العظيم لانه ما هم الناس حتى ولو كانوا من حكام الارض وارباباها اليس هم جميعا ما يتبين
مجبولين من تراب وعتيدين ان يصيروا رمادا ورمة ومع ذلك ايليق بكم في حين حدوث
التجربة ان تنقضوا خواطرهم على خاطر الله تعالى نفسه فيا لوفور خجلكم يا لتفاقم عاركم وعيبكم اذا
عراكم هذا الجنون افتكروا قليلا ايها السامعون كم يوجد فيكم من الذين هم بسهولة قد انعطفوا
نحو الصلاح مثلا الى مواظبة سر التوبة وتناول الاسرار المقدسة والصوم والتقشف و
قراة الكتب الروحية ومصالحة المفترين عليهم والسعي بقيام العبادات والمخوبات المقدسة
ومع ذلك ترونهم يعرضون عن ممارسة هذه المذكورات كلها وذلك لهذا السبب فقط
الخوفهم من بعض الالسن المرهفة العتيدة بعد زمن يسير ان تبلى وتهتري ثم افتكروا
فيما يخالف ذلك وهو كم يوجد من اوليك الذين لخوفهم من هذه الالسن الفاشة يتصلون
احيانا الى ارتكاب عدة خطايا التي لولا خوفهم هذا لكانوا تجنبوها مثلا ياتيهم واحد من اقرانهم
ويقول لواحد منهم ما هي هذه المواظبة المتكاثرة على استماع الوعظ هلم بنا لنلعب قليلا اين
هو الورق فامضي واتي نابيد وذاك المسكين الذي كان قاصدا استماع كلام الله تعالى فمن جرى
التفاته منه يطاوعه متمما ارادته وان دعاه الى السهر انه يجيبه لوقته امضي بنا وان كلفه الى
التنزهات الباطلة او الى حيث المسكرات او الى محافل الرقص حتى ان دعاه الى مخادع غير لايقه
كالخمارات والعوانث المشكوك بها والمواخير الزنوية فهو خوفا من حديث قريبه او خوفا
من ان يعرد عليه او من ان يضحك به يدعه ان يستاقه الى فم جهنم وذلك من حيث انه جبان

فمن ثم لا يجتري ان يجيبه قايلا اذهب عني نائيا لكونني لا اريد ان اشاركك في ذلك اهانا يا
المسيحيون ثم اها عليكم اما هذا جنون ردي اعني مداراة خاطر انسان مثلكم والخوف من
لسان العبيد ان يبلى ويفنى تحت الثرى قد خبرنا بلوترخوس في كتابه الذي الفه في الحيا
المذموم ان بعضا دعوا الى عشاء ما في احدى البيوت التي كانوا يخشون من وجود فخاخ مدفونة
عليهم فيها ومع ذلك فذهبوا اليها لهذا السبب فقط اي خوفا من ان يقال عنهم انهم لا يعرفون
الواجب وذكر ايضا المورخ المذكور انه بهذا النوع من الخيانة قتل ديونيس من كاليبوس
انتيروس من ديميتريوس وهو فيليبس الشاب البسيط من بولينيرسوس اما انتم اليس انتم تسيرون
في سداجة اردى من هذه جدا لكونكم تعلمون ان خليلكم ذاك الذي يدعوكم الى ذلك المكان
يريد ان يسلمكم هناك بيد ابليس عدوكم واما انتم فمع ذلك تسيرون معه لهذا السبب
لا غير اعني خوفا من ان يثلبكم بانكم اناس شرسون غير عارفين المحبة فيا للعجب من غباوتكم هذه
لماذا لا تقاومونه وتبيتونه لماذا لا تمانعونه لماذا لا تقتدون بجم غفير من اوليك الانام الاتقيا
الذين صاروا لكم نموذجا حسنا في السلوك بالحرية خبرنا بلوترخوس ايضا في كتابه المقدم ذكره
ان سينوفانوس الوثني لما سمع شابا شريف الجنس يطعن فيه ثالبا اياه ويلقبه بالجبان والخا يف
لانه كان يابى من اللعب بالورق فاجابه ذلك بجراة مرة قايلا نعم اني اقر لك معترفا باني نظرا
الى الاشيا المذمومة الغير اللايقة جبان وكلي الخوف فان كان هذا الوثني اجاب هكذا
فهل يسوغ لكم انتم المسيحيين بان لا تجتروا على ان تجاوبوا بمثل هذا الجواب الحميد في الاشيا
التي ربما تكون سمجة ودنسة ورذولة تشجعوا اذا واعترفوا جهارا انكم لا تخجلون قايلين مع
النبي اوفي نذوري للرب قدام كل شعبه لماذا هذا المقدار من المداجاه لماذا هذا المقدار من
المحاباة والجبانة ترنموا ايضا مع النبي قايلين في وسط الجماعة امجدك وفي وسط كثيرين
اسبحك يا رب واظهروا للجميع من دون مواربة وخداع انكم راغبون ان تتمسكوا ما بين العالم
بتلك السنة المقدسة التي تومنون بها فيا لتفاقم سعادتكم اذا جعلتم اليوم الى ضمانكم بهذه
الشجاعة والجسارة المقدسة لعمري انكم اذا ما تسربلتم بها جميعا فترى كثيرات من النساء ينبذن
عنهن مقدارا عظيما من الافتخار في الملابس والزينة التي يعلمن بها انهن مسيحيات مستميلات
حسنا بنور الايمان الحقيقي علما اكيدا لاعظم الخطر الذي يطرحن نفوسهن فيه باستعمالهن هذه
الملابس والزينات التي بها تنمو الكبريا وتكون علة ايضا لشكك القريب اللاتي مع علمهن

لهم تبعة إثمهم ووفور الخطر المهلك الحاصلين فيه حيث أنهم ينهضون تعمداً وتقصداً
إلى مقاومة صلاح غيرهم والاستهزاء به ومن ذا يصدق يا أيها السامعون المكرمون أن
أعظم الموانع التي تصد المسيحي عن السلوك في سبيل الصلاح والفضيلة إنما تأتي
له من المسيحيين أنفسهم لعمري إن كان لا يحسن بالإنسان أن يكون صالحاً عائشاً
جهاراً بجرأة وقوة من غير حياء في وسط الملة المسيحية فينبغي أن تنفى الفضائل
جميعها وتزول من العالم واحدة فواحدة لأنه لا يبقى فيه مسكن تسكنه وقد عرف ذلك
وفهمه جيداً ذاك القديس المعظم المورد منا ذكره أعني به سلبيانوس ولأجل ذلك
كان دفعات عديدة يرثي لشقاء هؤلاء الأشرار ويوبخهم لسوء إثمهم قائلاً أنه إذا رام
أحد أن يستنير بسيرة أو فرط طهارة وأعظم تقاة فللوقت يداس ويحتقر منكم أيها الأشرار
السفيهين الشائنين ومن ثم يضطر الجميع أن يكونوا أشراراً لئلا يعتدوا حقيرين مرذولين في العالم
وهذا هو الذي تبتغونه أنتم أيها الأردياء كما تقدمت فقلت في ابتداء عظتي أي أن يكون الجميع
أشراراً مثلكم وذلك كأنكم ترجون بهذا النوع أن تختفوا في يوم الحشر ما بين الخلق كما
كان يظن نفسه بذلك ذاك المنافق الخبيث المنوه عنه في سفر ابن سيراخ قائلاً في جماعة
كثيرة لا أعرف ولكن هات فلنفترض أنكم تنالون ما تبتغونه أما الخزي قبل ذلك أسألكم
قائلاً أنكم تضطهدون بهذا المقدار ذلك البار تارةً بالهجو وتارةً بالتهمات وطوراً
بالهزو والسخرية طالبين أن ينفر أخيراً عن صلاحه أما هذا كله حق فليكن حسب مطلوبكم
لترجع تلك الابنة عن انفرادها واحتشامها حياءً بكم وليبذ ذلك الشاب رياضاته الروحية
حياءً منكم وليذهبا معكم حيث اللهو واللعب وليتعلما العشق والمحبة الردية وليصحباكم
إلى المتنزهات في البساتين والمروج المخضلة ليلتقطا زهر الملذات وليلقيا زرع الإثم
بلا خوف ومن غير حياء فأجيبوني ما الذي ترجونه من ذلك فربما تزعمون أنكم ربحتم ربحاً
عظيماً وأنا أقول لكم أنكم لقد خسرتم خسارة جسيمة لا شبه لها ولا مثيل وتأكيداً لقولي هذا
احتسبوا معي أن ذينك الساذجين المذكورين حادا بسببكم عن نهج الخلاص وسلكا طريق
الهلاك وبلغا أخيراً في ذنبكم أن يهلكا في جهنم ولكن إن تم ذلك فوا أسفاه عليكم لأنكم لا
محالة قد صرتم أنتم أيضاً من الهالكين وهذه النتيجة لا مفر منها يا أيها المسيحيون أي
أنكم تصيرون من الهالكين أيضاً وتخسرون نفوسكم في العذابات الجهنمية إلى الأبد لأنني

هذا لم يستصوبن أن يختصرن بها لئلا يظهرن بحال أدنى مقاماً ممن يماثلنهن وترون
أيضاً شباناً كثيرين يستحون عبادةً وتقىً أو فرط ما سلف وشرفاء كثيرين يتحاشون أن يختلوا
أعظم اختلاء في نفوسهم هذه هي تلك الخسارة والجرأة المحمودة التي كان بولس الرسول يفتخر
بها صواباً وعدلاً لما قال لست أستحي من التبشير بالإنجيل وهذه أيضاً أرغب أن توجد فيكم
أعني لا تستحيوا من أن تصلوا أو تحضروا القداس الإلهي جاثين بورع وخشوع على الركب
معاً لأن الصلاة على هذا النوع جيدة جداً ومحمودة عند الله تعالى ومقبولة لديه في الغاية
ولولا ذلك لما كان ارتضى عز اسمه بأن يدونوا في الكتاب المقدس بألفاظ بينة واضحة
عن صلاة سليمان الحكيم في الهيكل أنها هكذا كانت وذلك بقوله وهو كان جاثياً
على ركبتيه ولا تستحوا من أن تحضروا الصلوات السامية المرضية في الأعياد بالاحتشام
الواجب وتلبثوا صامتين حينما يوجد آخرون متكلمين وتصلون خاشعين حينما غيركم
يتبسمون ضاحكين قولوا لله بجرأة إلهي عليك توكلت فلا أخزى من أي شيء أستحي
يا إلهي المحبوب فأنا عليك توكلت أيستهزئ بي آخرون أيحتقرونني أيعيرونني فحسبي
أن أرضيك أنت وأسرك فهم يلعنون وأنت تبارك ما أحسن التعزية التي علمناها
داود الملك بهذا الكلام الوجيز أعني بقوله هم يلعنون وأنت تبارك أولئك يقولون
إنني إنسان حقير صعلوك وأنت تبارك يقولون أنه عديم الحس ولا أذعان له وأنت
تبارك يقولون أني عديم الألفة والمعاشرة ولا أعلم واجباتها وأنت تبارك يقولون
إنني أهوى أن أصنع ما لست أنا في ذاتي وأنت تبارك والنتيجة هم يلعنون وأنت تبارك
فهكذا ينبغي لكم يا معشر المسيحيين أن تتشجعوا في نفوسكم على فعل الخير وتعتمدون
على أن تقولوا دائماً مقال القديس فرنسيس الصادق أنه لا يسرني أن كان الناس
يحمدونني والله يحتقرني وبعكس ذلك لا يغمني أن كانت الناس تحتقرني والله يحمدني

القسم الثاني

العدد

إننا بتعليمنا السابق لقد شجعنا الصالحين على أن يحتقروا قذف الأشرار وسخريتهم وذلك
بما أوردناه عن شجاعة المرأة الكنعانية التي بها احتقرت أحاديث شعبها عندما
أقبلت علانيةً إلى المخلص إذ كان جائزاً في الطريق أما الآن فإنني لست أستطيع أن
أمسك نفسي عن أن ألتفت إلى هؤلاء الأشرار أنفسهم متقلداً بنار الغيرة الواجبة وأوضح

اسالكم باحشاء ربنا يسوع المسيح ان تسمعوا لي اذا ابث كلما في ضميري في اخر عظتي هذه
امامكم عريانة ليست باقل من الاحترام الواجب على نحوكم بما انكم سادتي المكرمون واظهر لكم
لفايدتكم حسامًا رعبًا مغروسًا في قلبي كالشوكة فيا معشر المسيحيين المحترمين انني اقر لديكم
بانني لفرط الرعب استشعر برعدة في جسمي من الراس الى القدم وذلك عندما اتامل كيف
يستطيع ان يرقد مستريحًا بامان ذاك الذي يعتريه شك ويترجح عنده بانه صار بالاثمه
سببًا لهلاك نفس ما في جهنم لانه اذا كان اهلك نفسًا واحدة فقط ترى كم من الخجل وكم من
الخوف قد كان يجب ان يعتريه ليت شعري ما اكثر الصراخ التي تصرخها تلك النفس
الشقية من تلك الهاوية المرعبة ما اعظم الضجيج ما امر العويل والتولول الذي يبدو
منها من وسط ذاك العذاب الغير المحتمل وهل لها ان تفتر قط من ان تصرخ وتطلب النقمة
لذاك الذي صار لها في مدة حياتها اعظم لذة في هلاكها كلا بل بعكس ذلك تبكي نايحة
وتولول صارخة ليلاً ونهارًا امام العرش الالهي وتسال دمًا وموتًا وهلاكًا لذاك الذي
سبب لها كل الشر ولقد يشهد الروح القدس ان عظام اوليك الشهدا الابرار الذين قتلوا
بالجسد من الظلمة تصرخ من اجداثها المقدسة امام المنبر الالهي طالبة لقاتليها النقمة وكم
من مرة نسمع ذلك على لسان داود النبي قايلاً ليدخل قدامك تنهد المقيدين انتقم دما
عبيدك المهراقه والحال ان قتلهم وان كان انما قد تم بعذاب وتالم الا انه قد صار علة
لسعادتهم الابدية وبالنتيجة ان جردنا عن فعل اوليك الظلمة اغاظة الله تعالى فترى ان
الشهدا الملتزمون باداء الشكر لسيوفهم اكثر مما يلتزمون بذلك لاثدا امهاتهم الوالدات
اللواتي ارضعنهم فماذا نقول اذًا عن اوليك المساكين الذين قتلوا منا وافنتاهم لا موتًا زمنيًا
بالجسد بل موتًا ابديًا بالنفس وصرنا سببًا لعذاباتهم الجهنمية الدهرية فهل تظنون انه
تمر عليهم دقيقة واحدة من الزمن ومع ذلك لا يصرخون من جهنم الى الله تعالى قايلين انتقم
يارب انتقم لعمري ان ذاك الشاب الذي هلك بسببنا يصرخ قايلاً انتقم يارب لانني كنت
معتادًا على ان الازم بالخشوع والورع سر الاعتراف احيانًا كثيرة في مدار السنة وذاك صدني
عن ذلك بهزوه وسخريته علي ومن ثم صار لي سببًا لان اموت في الخطا المميت انتقم منه اللهم
انتقم ومثله تصرخ تلك الفتاة الهالكة الشقية انتقم يارب انتقم لانني كنت معتادة ان امارس
عباداتي وصلواتي منفردة عن المعاشرة العالمية وتلك اللعينة صيرتني بتحقيقها ان اقترف

تورعي

تورعي واضحت لي قتالاً لان تعطف نحوها اباطيل كساير النسوة انتقم منها يا الله انتقم
وكذلك يصرخ ذاك الرجل الشقي انتقم يا ايها الديان العادل انتقم لانني كنت راغبًا منذ
حداثتي الرهبانية حسبما كنت تدعوني باطنًا اما ذاك فصدني باعتراضاته لي ومن جرى
ذلك فقد صار لي سببًا لان احيد عن الطريق المودي الى الملكوت وان كان هولاء المساكين
يصرخون هكذا ضدنا ليلاً ونهارًا فليت شعري ما الذي يجب علينا ان نفعله لنسد
افواههم العلهم مثل الكلاب يصمتون بلقمة خبز ام هل يسكرون بصوت الة التسبيح
حاشا وكلا لعمري انكم لا تستطيعون ان ترضوهم وتسكتوهم بهدية ما البتة لان الروح
القدس قد قال هكذا ان غيرة وغضب الرجل لا يغفر في يوم الانتقام ولا يقبل الهدايا
الكثيرة عن الفدا وليس انهم لا يريدون فقط ان يقبلوا هدية ما او خيرًا ما بل لا يمكنهم
اقتباله اصلاً لانهم لا يعودون قابلين من العواطف سوى عاطفة البغض والحقد ولا
يرتضون بشي ما الا بالانتقام ممن اساهم فهل نصدق اذًا انهم يصمتون في زمن ما عن ب
طلب الانتقام قبل ان يشاهدوا ذاك الذي كان سببًا لهلاكهم قد صار مشاركًا لهم بالعذاب
ولعل الله تعالى اصم لا يسمع هذه الصراخات وهذه الولولات حاشا من ذلك ثم حاشا
فكيف اذًا يستطيع ان يهبنا الملكوت بعد ان اضحى ذاك المسكين يتعذب هكذا بسببنا
في جهنم الا يقتضي عدله الالهي ان يجازينا نارًا بدل نار وقصاصًا بدل قصاص وهلاكًا
عن هلاك قال الله تعالى من يشمت بهلاك غيره لا يتزكا وهذا هو قاعدة من قواعد
الدين فان كان اذًا من يفرح ويشمت فقط بهلاك نفس ما يستحق القصاص والعذاب
لانه قال جل ذكره لا يتزكا فليت شعري ماذا يحل بمن يسببه اه وا اسفاه حقًا انني اشعر
بكليتي بانني مفعم خوفًا وارتياعًا عندما اتذكر هذا الامر ومن ثم لا يمكنني ان اصدق ان من
يحسن التامل في ذلك ايضًا يقدر ان يصرف ايامه بالفرح ولياليه بالراحة من غير ان
يستبين لمكانه يرى تلك النفس التي هلكت بسببه بادية امام عينيه على الدوام حتى في
الحلم ايضًا كشبح مهيب مرعب متزعت نارًا وملتحفة دخانًا ومفعمة سمًا تضرب بجانبيه بسياط
من حيات فيا معشر السامعين الاحباء ان كنا نفهم هذا كله وندركه فكيف نرتضي مع ذلك في
ان نطوح نفوسنا في هذا الخطر ناشدتكم الله ايها الاعزاء ان تقبلوا ولو مرة واحدة شور
عبدكم هذا المتكلم معكم على انه وان كان عبدًا بطالاً الا انه يودكم وهو كمصدق تواضعي لا اطلب

منكم شيئاً آخر سوى خيركم الابدي فاسمعوا مشورتي وافعلوا هذه الامر بحواره وهوانه في هذه
الليلة حينما تفحصون ضميركم قبل الرقاد كما اظن بكم انكم تفعلون هكذا كل ليلة فانتكروا قليلاً
وافحصوا ذمتكم واسألوا نفوسكم برزانة وهدوء قايلين في ذواتكم اترى يعوزني صلاح احد
هل نقضت احداً لاجل انه تقي مستقيم العقل اضطهدت احداً لانه محتشم اديب هل
تمردت على احد لانه طاهر عفيف يبغض عشرة العالم واذا رأيتم انفسكم بريئة من هذا الاثم
احمدوا ربكم واشكروه ولكن ان كنتم لسوء حظكم تجدون نفسكم قد اذنبتم به فاجزعوا
خايفين وارتعبوا لئلا يكون لكم في جهنم عدو لا يصرخ ويطلب لكم انتقاماً ويوتلو هلاكاً كحمل
موته وهلاكه اجاركم الله تعالى من ذلك امين

العظة التاسعة

في الجمعة التي بعد الاحد الاول من الصوم المقدس تتضمن بيان شدة عذابات الانفس
المعتقلة في عذابات المطهر وذلك لكي يتحرك المسيحيون الاحياء الى الحنو والشفقة
عليها وانقادها منه يا رب ليس لي انسان هكذا اخبر ماري يوحنا في الفصل من بشارته
انه يعني انه ما من احد من الناس الذين تخبر عنهم التواريخ العتيقة والحديثة قد قاسى
نكبات وامراض كثيرة معضلة واضحى اقل حظاً من ذلك المخلع السقيم المورد ذكره في الفصل
الانجيلي الذي تلي عليكم صباحاً فاصغوا الى قولي لتتحققوا ذلك انه لقد كانت جازت
ثمان وثلاثون سنة منذ كان هذا المسكين مطروحاً عند بركة الضان ممتلياً من الاسقام
ومضنوكاً من الاوجاع ولاجل ذلك اي لاجل تعدد هذا المقدار من السنين التي جازت عليه
اضحى معروفاً من جميع الذين كانوا ياتون الى البركة اما لاجل الشفا او لاجل التنزه ومن استطالة
المرض قد كان لونه انتهزل وعيناه غارتا ولحمه جف حتى صار كانه جثة ماتت وثيابه تمزقت
وجسمه كله انتن وما عدا ما ذكرناه فلمن المحتمل انه كان بزوال الحزن وتنهدات الخشوع
يحرك الصخور الى الشفقة اليه ومع ذلك جميعه لم يحظ بانسان يرحمه ويسعى بشفايه
في هذه المدة المديدة من السنين والحال ان شفاه لم يكن يقتضي لا نفقة ولا قوة ولا تعباً
ما اصلاً سوى رحمة انسان يحمله فقط ويلقيه في البركة في زمن اول الفرصة اما تكون اذا
شدته اغرب التشديد كلها على انه لو كان يلزم لمداراته ومداواته من اسقامه ان ينفق
غيرهم عليه مبلغاً وافراً من ثروته لاجل اجرة الاطباء عن ثمن الادوية او لو كان يضطر ان يطوف

الجبال ويلتقط له اخضر الحشايش وانضرها ليستقطرها له امواهاً او لو كان يحتاج ان
يغوص البحار ليستخرج اغرب اللالي ليسحقها له دروراً لما كان احد يستغرب اقامته
في هذا الترك الكلي الحاوي كل هذه الاعوام ولكن اذ كان شفاه لا يفتقر الا الى شخص واحد
يسرع في اوان مناسب ويدفعه دفعة واحدة ترجه في الما ولا غير انما يكون ذلك امراً
غريباً عجيباً ان لا يحظى في مدة ٣٨ سنة بصديق ودود او بقريب عطوف او بانسان رحيم
شفوق يصنع معه هذه الرحمة سيما لان الملاك كان ينزل كل عام في وقت معين معروف
اي في يوم عيد الخمسين كما علمت بذلك علما ماهرون ومن ثم كان كل احد يستطيع ان
يعرف الوقت وينتظر الفرصة الملايمة ليدفعه في الما لعمري ان بلوة هذا السقيم المسكين
المتروك كل هذا الزمن تصور لنا في شخصه حال الشدة العظيمة الحاصلة بها الانفس المعتقلة
في المطهر ليت شعري ما امر هذه البركة النارية الحاوية على مرضى وسقومين وموجوعين
ومضنوكين من كل صنف ولا تظنوا انه يوجد هناك انفس تتعذب من ثمان وثلثين سنة
فقط بل منهم من له مايه سنة ومنهم من له ... سنة حتى انه يوجد من له الف سنة يوجد ايضاً من
قضي عليه ان يستمر معذباً في تلك البركة النارية حتى يوم الدينونة العامة ومع ان
استنقاذهم لا يقتضي شيئاً اخر سوى ان واحداً يمد لهم يده فقط وذلك لا ليلقيهم في الماء
لكن لينتشلهم من النار فرار كثيرة يعدمون هذه الرحمة الجزيلة ولذلك قد حرضتني المحبة
الغزيرة المنعطف بها نحو هذه الانفس المباركة القديسة وحركتني عظمة الالتزامات الواقع
الملتزم ايضاً بها نحوهن على ان اتوب اليوم عنهن معرضاً عليكم من قبلهن شكوى محزنة
كنها بعيف الصواب توضحها لكم كل نفس فيهن بهذه الكلمات الثلث قايلة ليس لي انسان
وان كنتم الان تسمعوني مخاطباً اياكم في هذا الموضوع اعني في شان هذه الانفس الصالحة فلا
خلافاً للموضوعات التي قد اعتاد اعني ساير الواعظين ان يكرزوا بها في مثل هذا اليوم فاعذروني
ولا تلوموني لانني من احدى الجهات لم اعد اطيق ان اسمع توسلات وزفرات تلك الانفس الباكية
من تفاقم عذابها ومن جهة اخرى تكون لي رجاً ان اعطف قلوب كثيرين منكم لمعونة هذه الانفس
وذلك لعلمي بكم انكم ذوو تقوى وتحنن رحمة جزيلة ولكن ولئن كنت عالماً بانني عاجز عن
ان انظم لكم في شانهن خطاباً فصيحاً لذيذاً فمع ذلك لا اعدل عن قصدي لانه يكفيني
ان اكون اميناً في رسالتي لانه اذا كان بحسب نص سليمان الحكيم الحسن القايل الرسول الامين

لمن ارسله يريح نفسه فلماذا لا اجود باني انا ايضاً عتيد اليوم ان اذرع للموتى المؤمنين راحة
ما بقيا من لديكم سولا ايناً غنيم انني اعلمكم مخبراً ايها السامعون ان انفس اهلكم
العدد ٢
واصدقائكم حتى الاعزاء ايضاً هي حاصلة في حال يرثى لها جداً حتى انه لا ديونيسيوس في سيرا
كوزا ولا نيرون في رومية ولا ارومتوس في فلاجيتون استطاعوا ان يخترعوا اصنافاً
للعذاب امرّ من عذاباتها فليترأف الله عليكم ولا يسمح البتة ان تنظروها حتى لا اقول ان
تختبروها بذواتكم ولكن يجب ان تصدقوا من يخاطبكم فيها لانه وان كان لا يعلم ذلك العذاب
بالحس الا انه قد عرفه بالعلم واذا كنتم قادرين على ان تنظروا من بعد فقط خلوا من ان
ترتعبوا فتصوروا اذاً في عقولكم سجناً مرعباً عميقاً جداً تحت ارجلكم ولكنه قريباً من جهنم فمن
ثم يضاهيها بالعذاب ليس بالالام ثم فلنفرض ايضاً انه قد استولى هنا على الارض ظلمة من غيوم
كثيفة مقتمة مدلهمة وامتلت السماء من بروق مخيفة واضحت الارض تتزلزل بزلازل مريعة
وسمع من القبور اصوات نحيب غير معزى وابتدأت الجن تصفر صفرات مستغربة ترهب القلوب
فان هذا كله وما ماثله انما هو شبه طفيف مما يوجد من العذاب المخيف في المطهر لانه بالنسبة
اليه كل عذاب من عذابات عالمنا هذا هو راحة وانفراج لانه من المحقق من كلام القديس
اغوسطينوس ان النار المطهرية بمفردها هي امرّ واشد من كل انواع العذابات التي يمكن ان يراها
احد او يختبرها او تخطر في عقله في هذا العالم ومن ثم اذا نقل الى هناك كل شي يستطيع الناس
ان يستنبطوه من العذاب والقساوة بدل تلك العذابات المطهرية لكانت تلك الانفس
المعتقلة بها تسرع راكضة اليه لتشتريه بدلها فليحضر فلاريس الى هناك ثيرانه النحاسية المشهورة
المخترعة منه لتعذيب المذنبين لكي تسرع تلك الانفس متسابقة لتدخلها وليتقل ميسانيوس
جثته المدودة لكي تزحم تلك الانفس فترتبط بها وليستحضر ديوكليتيانوس عجلاته
الحديدية المرهفة لكي تطلب تلك الانفس متضرعة ان تصعد فوقها عوضاً عن عذاباتها المطهرية
ويا لسعادتها لو يقبل اليها ايوب مع كل قروحه الجزيلة الدنس والنتانة لكانت تطير
اليها نظير النحل حول الازهار لتمتص منه سماحة قروحه كانها عسل لذيذ بالنسبة الى عذاباتها
فهي تعتبر ان تجرع كوب السم بمنزلة البادزهر المفرح وتعتبر هذا شيئاً ذلك الذي نحن نعتبره
شوكاً والذي نحن ندعوه كبريتاً فهو لديها بمنزلة الند الرطب وعلى الاجمال اقول ان العذابات
والنكبات التي نخشاها الان ونرتعد من ذكرها فهي عند تلك الارواح اشهى جداً من العذابات

المتقلبين فيها وتعلموا ايها الاولاد انه هناك توجد امهاتكم المحبوبات واعلموا ايها المزوجون
انه هناك توجد ايضاً نساؤكم وانتم ايها الشبان فاعلموا انه هناك توجد اعمامكم واعلموا
انتم ايها الخلان انه هناك تتعذب اترابكم فكيف اذاً تطيقون ان تطول مدة عذاباتهم اكثر
زماناً ولا شك في انكم ان اهملتموهم هكذا فانكم تظهرون على ذواتكم انكم غير فاهمين ماهية
عذاباتهم ولا كمية اوجاعهم وتعزياتهم ولكن اذا جهلتم ذلك فيكفي انكم عارفون ومتحققون
العدد ٣
حقاً انه لا توجد
ان جميعهم كائنون لا في نار عنصرية بل في نار مطهرية
نار احدّ واشد واحرّ من نار كور الصايغ اي النار التي بها تنقى الفضة والذهب فعلى هذا
النسق هي النار التي نحن في صددها ومن هنا قال القديس اغوسطينوس في [illegible] الكتاب [illegible]
في مدينة الله تعالى ان هذه هي النار التي تكلم عنها ملاخيا النبي اذ يقول ان الله يجلس صايغاً
ومنقياً للفضة وينقي بني لاوي ويسبكهم كالذهب والفضة قال يجلس لانه من المعلوم انه لا
يعذب هناك الانفس زمناً يسيراً او بالايجاز فقط لكن يعذبها متمهلاً الى زمن مديد
ثم قال انه يجلس صايغاً لنفهم من ذلك الاعتناء الذي يجلس به هناك مشتغلاً في احواز تلك
النار ليحفظ حدتها وفعليتها دائماً ومن اجل ذلك قد سمى القديس [illegible] هذه النار ناراً
تعبد لانها لا تطفى ولا تكف من اشتداد حريقها البتة فانتبهوا اذاً من هنا ان الباري تعالى
جعل قدرته ينقي بها تلك الانفس كانها في كور مرهب حتى ينزع عنها كل الدنس القديم
وتنقى منه كلياً كقول النبي المذكور ينقي بني لاوي ويسبكهم كالذهب والفضة فاذاً ما
اشد عذاب من يحترق في هذه النار ما امرها او ما اقوى تاثيرها ومع ذلك جميعه يتفقوا ويحققوا
انني لم اورد عن هذه النار الا ما هو اقل لانها وان كانت ناراً مطهرة منقية فلا تستنتجوا
من ذلك انها ليست هي في ذاتها احدّ واقوى وتعذيباً من نارنا بل هي نار ذات قوة وفاعلية
وحرارة اكثر جداً بلا قياس من نارنا لانها روح اجيج كل النيران ومكرر امتها وما هو
المراد بقولي هذا فاعلموا انها [illegible] عذاباتها كانها روح العذاب المستقطر
بالانبيق من جميع العذابات التي يمكن ان تقاسيها ابناء البشر في هذا العالم انه لمن المعلوم
عندكم ان الكيماويين يتصلون الان ان يستخرجوا ايضاً عنهم من كل الاشيا جوهراً ويكون
ذلك بمنزلة مجموع كل شي وهذا الجوهر هو ايضاً من طبعه فعال قوي وخارق بهذا المقدار
حتى انهم يلقبونه روحاً حاصراً فهذا انتم لديكم ذلك فاسمعوا لما قد تاملته في نفسي مراراً

عذة لاجل فايدتي وهوانه لو يمكن ان يجتمع من احد المليكة جميع الاوجاع التي تجري في
الناس كاوجاع الكلا ووجع البطن والرية والايلاوس والاضراس والصداع وورم الراس
وما ماثل ذلك ثم يوضع ما جمع منها كلها في انبيق ما عجيب ويستخرج منه روح كل وجع
اللهم كم يكون هذا الروح من الالم فعالا وحادًا وكذلك لو تجمع جميع الحميات الحارة التي تحرق
احشا هذا المقدار من المرضى ويستقطر منها روح حمى ترى ما احر ما يكون هذا الروح روح الحميات
المحرقة ومثله لو يمكن ان تجمع جميع القروح الاكلة التي تحرق وتاكل لحوم هذا المقدار من
الموجوعين ويستخرج منها روح الايقاد القرحي فليت شعري كم يكون هذا الروح اي روح
القروح محرقًا وفعالا فتصوروا الان بعقولكم انه هكذا هو روح العذابات والاوجاع الفادحة
التي تتعذب بها الانفس في المطهر فان كنتم لا تصدقوني بهذا فاسمعوا اذًا من فم اشعيا
النبي القايل يغسل الرب دنس بنات صهيون بروح العدل وبروح التوقد فهاهوذا
يقول بروح العدل اعني باصرم العدل الممكن ان يستعمل وقال بروح التوقد اي سعير
لا يمكن ان يتصور اشد منه واحر والمفهوم من ذلك ان السعير الذي في المطهر ليس
هو كالسعير المشاع الممكن حدوثه في العالم لكنه سعير مجرد ومستقطر من جميع اصناف
التوقدات وهو روح التوقد وبالتالي هو فعال وقوي وقادح وحراق بهذا المقدار
حتى ان قطرة واحدة منه فقط تحرق اشد حريقًا من جميع النيران التي تدفعها الامراض
وتصطنعها البشر ونحن مع هذا جميعه كيف لا نتحرك ولو قليلًا بالرحمة والشفقة نحو
تلك الانفس المباركة ولماذا لا نسرع في الاوقات الملايمة الى ان نطفي عنهن نارًا كذا
عظيمة او قلما يكون نخمدها ونخففها فيا لكن من انفس خاليات من التعزية ترى ماذا
يفيد كن الصراخ من ذلك الجحيم الناري هاتفات بشفاه جافة من السعير ارحمونا يا احبانا
ارحمونا والحال ان الفاهمين اوجاعكن لقليلون هم في يومنا هذا ومنهم انا قايلًا لاني اعرف
كيف ابرهن بالتمام لعلي اجد فيه رحمكن من جوارح قليلة فامهلني اذًا وتمهلن علي لكي اصنع
ما يستدعي اليه عقلي وينطق به لساني لكن ماذا اقول يا ترى ايمكن ان يقال في شدة
عذابات المطهر اكثر مما قلته نعم ايها المسيحيون لان تلك الانفس تكابد كليهما مزدوجًا
من العقاب وهي بان الاشيا لكونها تعاين ذلك الوطن السعيد الذي انتخبت اليه
فتتامل ذلك التمتع اللذيذ وتتصور ذلك المجد المشوق اليه الذي قد دعيت اليه

لكن اية تعزية تاتيها من ذلك وهي كاينة في سجن ومحاصرة لان الاكثر منها لا تعلم
كم بقا لها من الزمن لتخرج منه فتزداد عذابًا وتحسرًا وبكاءً
ولنبانا لذلك اقول هل تعلمون كيف صنع الله مع ادم لكي تكون التوبة لديه بعد الخطية العدد ٤
اكثر مرارة واشد صعوبة فقد جعله تعالى مقابل فردوس النعيم ومعنى ذلك هو ما لحظه
ايضًا الذهبي فم في الميمر على العازر اذ يقول ان الله تبارك وتعالى اراد ان ادم
يعمل توبته في مكان تجاه الفردوس الارضي الذي طرد منه وقد وضعه هناك ليتعب
ويعرق ويحرث الارض لاجل معاشه وذلك لكي يزداد حصرًا وعذابًا لاجل خطيته من
مشاهدته جنة النعيم المطرود منه ولكن ما اعظم الفرق الموجود ما بين فردوس ارضي
وفردوس نعيم سماوي ومع ذلك جميعه فان الانفس المطهرية تتعذب مقابل الفردوس
السموي وهناك اي تجاهه تحرق وتضرب باسنانها وتذوب وجعًا وهناك بحسب
كلام زخريا النبي الذي يصح عنها ايضًا تعتقل في جب ليس فيه ماء اي في المكان الذي
فيه لا تنعل شيئًا اخر سوى تشوق متعطشة الى الخير الاعظم ولا تدري كيف تصنع لتروي
ظماها ذلك المحرق نعم انه ليس فيه ما فيا التفاتم سعادة تلك النفس لو تستطيع ان تفر
طايرة في ذلك العزم مرة واحدة فقط لكانت تلك الهاوية المقيتة تستحيل لها الى
عدن من نعيم وتلك الزفرات والحسرات الى انغام بهجية وتلك الاغلال العبدية
الى تيجان الولاية وتلك العذابات المكرمة الى منابر العز والمجد ولكانت ايضًا تنظر
متشحة بالذهب وتتلالا مكللة بالاشعة وتغوص فايزة متمتعة بخير حاوٍ جميع
الخيرات التي لا تنتهي مع مدى الزمن ولا تتغير من تقلب الايام ولا تشاب بنوع ما من التكرار ت
والعوارض المضغطة وعلى الاطلاق اقول انهن كن يصعدن الى مشاهدة الله تعالى
وجهًا لوجه فتصوروا اذًا بعقولكم يا ايها السامعون باي اضطرام من الاشواق وباية
رغبة وانعطاف تتلهف هذه الانفس الصالحة الى هذا المجد المذكور الذي لا ينعت
فاذا افترضنا ان شخصًا ما اختير لان يصير ملك الرومانيين وحينما كان مسافرًا في البحر
متجهًا الى المدينة العظيمة ليتسربل بالارجوان ويتكلل بالتاج ويا خذ الملك صادفته مقابل
المدينة سفن العرب فاخذوه وغللوه بالقيود وحكموا عليه بان يتعب ويشقى في
اسر مر جاير اما تحسبون ان بليته هذه تضحو لديه نظرًا الى هذه الظروف اعظم نكدًا

ومرارةً وتألمًا فهكذا هو ترمّل النفس المطهرية وعذابها تجاه المجد السما الذي يعلو
على ملك روحية قيمةً وشرفًا من دون قياس بالكلية على انها ملقاة في سجن العذاب
مقابل الملكوت حيث هو معدّ لها تاج الملك السمي الذي لا ينعت حيث تنتظرها الافراح
والسعادات الابدية التي لا توصف ومع ذلك فهي ممسوكة عنها ليت شعري من تراه
يستطيع ان يدرك تلك الحسرات والتنهدات التي تصدرها متلهفة بها من جوارح
القلب نحو هذا المجد العظيم المعاقة عنه وتلك العبرات السخينة التي تذرفها باكية
ونايحة من تفاقم عذابها وتشوقها المضطرم الى امتلاك ربها مركز كل خيرها وراحتها
فمنها ما يلزمها ان تهتف مع منسا ملك يهوذا وهو في الحبس قد انحنيت لثقل
قيد الحديد الكثير حتى انني لست استطيع ان انهض راسي ومنها من يسوغ لها ان
تقول مع ايوب عبد الله فاضت عيني ومنها من ينبغي لها ان تهتف مع ارميا ضعفت
من الدموع عيني ومنها من يليق بها ان تصرخ مع داود عيناي ضعفت من المسكنة
وعلى هذا النحو من الواجب ان تتحسر كل نفس منهن وتنوح نادبة بالفاظ مختلفة وتولول
لوفور عذابها حسب شهادة اشعيا النبي القايل يصرخن لوجع قلبهن لانسحاق
ارواحهن يولولن لعل [?] ابيشالوم كان مسجونًا في سجن حرج صعب كلا بل كان بعكس
ذلك ساكنًا في مدينة اشرف المدن وابهجها اي اورشليم وكانت دولته عامرة وعبيده
تحترمه وتهابه خاضعين له ومع ذلك فلاجل انه لم يكن مسموحًا له بان يظهر امام
ابيه داود الملك حسبما كان امر قايلاً لا يعاين وجهي كان حاصلاً في نفسه على حزن
عظيم وكان ينوح ويصرخ لفرط تحسره حتى انه اتصل ان يقرّ ليوآب قايد جيش داود
ابيه ان الموت كان خيرًا له من تلك الحيوة وذلك بقوله احب ان ادخل الى الملك
فان ذكر ذنبي فليقتلني فانتجوا اذًا من ذلك كم يجب ان يكون عذاب تلك الانفس الممسوكة
عنها مشاهدة طلعة تسمو بهجةً على طلعة داود الملك بلا قياس وما عدا ذلك
هي محبوسة في سجن مظلم سجن من نار مع عذابات نظير سجن جهنم عينه حسبما هو مدون
في مراثي ارميا القايل في المظالم وضعني كالموتى الابديين وانتم ايها السامعون تستطيعون
ان تعتقوهن من هذا السجن وتجعلوا عليهن بالحظوة بهذا الخير الاعظم اي مشاهدة
وجه الله ايضًا ومع ذلك تتباطون عنهن ولا تعزمون حالاً على انقاذهن اه والشقاه

من

من ذلك فاعلموا اذًا انكم ان كنتم لا تقدمون لهن المساعدة في وقت ملايم فلا
تستطيع هي من قبل ذاتها ان تسعف حالها وتنجو من عذابها لكونها مغللة بايديهما
وبصدرها وبارجلها وعنقها غير ان قلبها فقط هو محرر وهو ثم يجوز لكم ان ترضوا بان
تستمر مغللة في هذه العذابات الفادحة اكثر مما ترغبون ان تنجوا من هذا الشقا
وتصعد الى مجد الله العظيم وهل تظنون انه يلزمكم تعب جزيل و العدد
نفقة وافرة لكي تمارسوا نحوها فعل هذه الرحمة انصتوا واسمعوا وتنجلي جميعًا مرارة
قلوبنا فاعلموا وتحققوا ان افتدا نفس من المطهر يحتاج اقل جدًا من افتدا اسير من بلد
البربر ليت شعري من منكم لا يستوعب فرحًا وسرورًا اذا سمع انه يستطيع بالف غرش ان
يفتدي من ايدي البراكسة ابنًا او اخًا او صديقًا له عزيزًا ساقطًا تحت رق عبودية مرة
حتى اذا لم يكن هذا المبلغ من الفضة حاصلاً معكم في وقته فحالاً تلتجون الى اقربايكم و
تستعطفوهم وتقصدون التجار لتعقدوا معهم عهودًا وتلجون على غرمايكم ليفوكم
عاجلاً وترهنون جواهركم وتبيعون من املاككم وان استطعتم ان ترسلوا له ما يفتديه اليوم
فلا تؤخرونه الى الغد وذلك لافراط اشتياقكم المضطرم ان تعتقوهم من الاسر والعذاب
ولو قبل يوم واحد فيا ايها الاخوان المقدسون اني ارى عقولنا هي خالية منك وليس يوجد
فيها سوى الظلام قولوا لي يا ايها السامعون الاحبا اليس انكم تستطيعون بالف غرش ان
تفتدوا كثيرين جدًا من المطهر حتى لا اقول نصف اهل المطهر ومع ذلك اللهم كم
تستطيعون ان تتصدقوا احيانًا نصف غرش عن الموتى او تعملوا احسانًا عنهم او تقدسوا قداسًا
واحدًا او تقدموا شمعةً لاجلهم او لاية لم يثقل عليكم ذلك والحال انه مرارًا عديدة اذا اعطيتم
هذا القليل لا تفرغ همياناتكم بل لا تثلم البتة وكم من مرة تستطيعون ان تقدموا اثمانًا كافية
لافتدا نفس معتقلة في المطهر بزيارة كنيسة او بتناول القربان المقدس او بربح غفرانات
ما عن الموتى وانتم خوفًا من ان يفوتكم قليل من النزهة او لئلا تأخروا ذلك الشغل تتركونها
تان تحت كبولها وتتحمل عذابًا في سجنها الرهيب والحال انه يمكنكم بمثل هذا الثمن الزهيد
ان تكسروا كبولها لترتقي صاعدة الى السما او قلما يكون تخففوا عذابها وتريحوها لحظة ليست
بيسيرة اما هذا الذي فيكم دليل على قلة رحمة بل قساوة واضحة جزيلة ذميمة اي نعم هذه
هي القساوة القلبية الوحشية التي ونبه بها كثيرًا في سفر اشعيا النبي ذلك الملك الظالم

اي ملك بابل لانه ابى ان يتكلف و يتعب قليلاً في فتح الابواب لشعب اسرائيل اذ كان محبوساً بقوله
لاسراها لم يفتح السجن ان العالم كله قد مقت دائماً ذكر اولئك الذين كانوا
قادرين على ان يصنعوا بتعب وجيز خيراً عظيماً لقريبهم ولم يفعلوه وان احببتم فاقروا
تواريخ الاقدمين لتعلموا كيف ان اهل اثينا مع كونهم وثنيين كانوا يلعنون اولئك التوانيين
في كل حول جهاراً في الساحة الكبرى باصوات الابواق ونغم المنادي وايضاً من اجل هذا
السبب نفسه اي من اجل التواني مُنعت النسا الرومانيات عن الحضور في الضحايا الهرقلية
المشهورة عند الحنفا لانهن نكرن قليلاً من الماء عن هرقل الصنم حينما طلبه منهن وهو عطشان
اذ كان بعد حياً كما خبر بذلك مكروبيوس وقال اوبيديوس الشاعر في حكاياته الخرافية
انه لهذا السبب المذكور ايضاً احيلوا احداث السيا ضفادع في الصهاريج اي قصاصاً لهم
لانهم لم يسقوا ماء لالاتونا المرأة المتعطشة وكذلك اذا تلونا اسفار التوراة التي هي اقدس
واشرف من التواريخ المذكورة بلا حد هل نستطيع ان لا نذم نابال البخيل الذي تغاضى عن
تقدمة قليل من القوت الى داود وهل نقدر ان لا نغضب على ذلك الغني اللابس البرفير
الذي كان يبخل على لعازر المسكين بفتات خبز مايدته ومثلهما اما نمقت جفاوة المرأة
السامرية التي خاصمت السيد المسيح المخلص بارادة اعتذارات باطلة على قليل من الما بعد
ان كانت قد انتهت من تعب استقا الما من البير وملات اوعيتها ولكن مع هذا جميعه فحقاً ان
قساوتنا هي اعظم من قساوة المذكورين نحو الموتى المتضرعين الينا لكون القليل الذي تطلبه
منا ليس هو بتعب الحاني يروي عطشاناً او يطعم جايعاً فقط بل الحاني يسعد ويطوب من هو
معذب بجميع اصناف العذابات معاً كالعطش والجوع والبرد والنار والحميات والامراض
وساير الاوجاع الشديدة المختلفة التي يمكننا ان نتصورها في بحث لا يوجد بينه وبين جهنم
جحيم تمييز سوى في عدم الخلود الى الابد فقط كما يشهد بذلك القديس غريغوريوس
ايضاً بقوله انه بنار واحدة يحترق الهالك ويتنقى المختار فان كنا اذاً نمسك عنهم الرحمة
افما يكون ذلك دليلاً بنوع ما على اننا نريد عذاب هولا المساكين انه لمن الحقوق ان من كان
له مقدرة على ان يدفع ما هو جري بمحنة غيره ولم يدفعها فكانه يريد هلاكه وهذا هو
من نص الشريعة المدنية التي قيل فيها ان الذي لا يمنع حينما يستطيع المنع فهو يامر نحن
اذاً نظن ان نار المطهر متقدة على الانفس حينما نبخل ان نقدم مياه لاطفائها نحن ندعهم

مغللين

العدد ٦

87

مغللين بالقيود حينما لا نبسط ايدينا لنخلصهم منها نحن نمنع عنهم النعمة التايقين اليها
بمقدار لا يكيف اي خلاصهم من اسرهم المرهب فمنا ان نحل عن اقدامهم نفضة واحدة ومع ذلك
الم يجب علينا ان نخاف ليلا يدركنا من اسحكم صار مع غفلة رحمتنا هذه لانه [illegible] يامرنا
يسوع ابن سيراخ قايلاً لا تمنع معروفك من الميت فهل عاد يسوغ لنا اذاً ان نكون قساة
القلوب حتى اننا نمنع معروفنا ورافتنا عن الموتى

العدد ٧

انه لقد وجد في العالم اناس كثيرون قد اظهر الله تعالى فيهم احكام صنايعه الرهيبة ومن
جملتهم واخصهم كان الملك موريسيوس الذي لا اظن ان احداً يجهل خبر نهاية حياته الا من
لتها الموردة من نيكيفوروس المورخ غير اننا نورده بالاختصار لانه يفيدنا للقصد الذي نحن
فيه فنقول ان هذا الملك المذكور اذ كان في اوج العز والسعادة واذ لبث شكله قد عصاه
بغتة من اجل انه لم يصغ لهم في امر جزئي كانوا التمسوه منه واختاروا منهم جندياً اسمه فوكا
ولم يكن سي الحال فقط بل كان حسوداً ووقحاً جداً وانتدبوه ملكاً عليهم فلما بلغ موريسيوس
هذا الخبر اضطرب وخاف جداً حتى انه خرج متنكراً من القسطنطينية مع البعض من اهله الاعزا
وركب لوقته سفينه قاصداً الهندية والنجاة في بلاد اخر شاسعة غير ان الرياح نهضت
على البحار ثنية وكانها كانت متوازرة مع العصاة ايضاً على دماره فاعادت السفينة من البحر
بعزم قوي وضربتها في شاطي قريب من القسطنطينية فاضطر ان يخرج الى البر ولما كان
يترقب من هنا الى هنا ليرى غابة كثيفة او مغارة مظلمة ليجري اليها ويختفي مما اعتراه
من الخوف واذا بغتة اخذته اوجاع المفاصل واشتدت عليه بهذا المقدار حتى انها طرحته
على الحضيض صارخاً باكياً لا يستطيع القيام البته واذ كان في تلك الحال دنت منه جنود
فوكاس لانهم كانوا جايلين في تلك القفار باحثين عنه فلما سمعوا صوت نحيب تقدموا
نحوه فاذ عاينوا الملك وعرفوه قبضوا عليه وشدوا وثاقه مع اهله واستاقوهم جميعاً
فرحين متهللين الى ميناء ترويوس وهناك التزم موريسيوس ان يعاين خمسة من اولاده
يقتلوا بازاء عينيه بقساوة وحشية ثم اماتوه ايضاً من بعدهم واما القساوة التي جرت عليه
فلم تنته هنا فقط بل وضعوا هامته على رمح [illegible] حتى حطي بعد عدة ايام من دفنه تحت
التراب ثم بعد قليل ذبح بالسيف ايضاً الباقون من عيلته اعني ولده ثاوضوسيوس
واخاه المدعو بطرس وقسطنطينيا حرمته الملكة وبناتها الثلث العذارى فعلى هذا

س

الحال قضى اجله موريسيوس الملك ولعلكم تسالوني ايها السامعون من اين اتفق لهذا الملك
ان تاتيه هذه الشدة العظيمة فيجيبكم نيكفوروس المذكور مخبرًا اياكم قايلًا انه لقد كان كيانوس
ملك التتر استاسر في احدى الحروب جمًا غفيرًا من جنود موريسيوس الملك لان عسكره قد كان
انكسر في الحرب ثم لما انتهى امر الملكين فيما بعد الى المصالحة كما هو عادة الملوك وتخاطبا فيما
يخص افتكاك الاسارى المسيحيين فطلب ملك التتر فدًا عن كل شخص فضة واحدة اما
موريسيوس فاستكثر هذه الطلبة مع انها كانت وجيزة فتنازل ذلك الى فضة ادنى فانكر
ايضًا موريسيوس ان يدفعها ثم ارتضى ذلك بفضة اخرى ادنى جدًا عن كل شخص فلم يشا
مع ذلك موريسيوس ان يقدمها فالدم غضب ملك التتر وبلغ غضبه الى هذا الحد حتى
انه امر حالًا بقطع روس جميع اوليك الاسرى الذين احتسب موريسيوس ثمن افتدايهم جزيلًا
وافرًا مع انه كان زهيدًا جدًا لا اعتبار له فبعد قساوته هذه وبخله على اسرايه المساكين بزمن
يسير راى في الحلم رويا مخيفة جدًا وقد كانت من قبل الله تعالى وهي انه قد دُعي الى المحكمة الالهية
وعاين هناك خلقًا كثيرًا من الاسرى يقرعون بسلاسل اعناقهم وقيود ارجلهم الحديدية قرعًا
مهيلًا بضجة عظيمة طالبين النقمة والجزا من موريسيوس الملك وفي غضون ذلك عاين
الديان ناظرًا اليه فاصفر لون وجهه وابتدا يرجف خوفًا وفزعًا ولاجل انه كان متصفًا بعدة
فضايل وبها كان ارضى الله سابقًا فنظر اليه الديان العادل ولم يشا ان ينتقم منه حالًا بحسب
استحقاق عن قساوته التي بدت منه نحو الاسرى المذكورين لكنه خيره سايلًا له اين يريد ان
يُعاقب هل في هذه الحيوة او في الابدية فاجابه الملك قد اخطات يا سيدي فاسال احشا
رحمتك الغير المتناهية ان تترأف علي وتجعل عقابي في هذه الحيوة لا في الاخرة فقبل الديان
الرووف طلبته وللوقت امر ان يدفع بيدي جندي حقير بل هو احقر جنوده باسرهم وكان ذلك
فوكاس ليخسر بواسطته في حال عار عظيم الملك والجاه ودولته وانساه واهله كما سمعتم
مني انفًا فهذه هي اذًا يا ايها الاحبا المكرمون عاقبة من يتغاضى ان يصنع خيرًا عظيمًا مع غيره بنفقة
وجيزة فاحتسبوا اذًا الان ان يُطلب منكم فضة قليلة زهيدة لافتكاك خلق من المسيحيين كثيرين
المسجونين في سجن المطهر ولاجل ارسالهم كلهم الى السما فهل ترى يوجد فيكم جراة قلب ان
تمسكوا عنهم وتمنعون المعروف والرافة منهم من غير ان تخشوا لئلا يلتفت هولاء المساكين
المعذبين ويصرخون ضدكم وضد اولادكم الى الله تعالى ولكن ربما تقولون انما نحن لا نلتزم

بافتدايهم

88 ب

بافتدايهم كالتزام موريسيوس بافتدا اسرايه فاجيبكم انه سبيلنا ان نميز هنا نوعين من
الالتزام احدهما التزامًا من قبل العدل والاخر التزامًا من قبل المحبة فاقول لكم اذًا انما ان تبرهنتم
من الالتزام بالموتى من باب العدل فلستم تتبرون من الالتزام الناتج من قبل المحبة نحوهم ولكن
ما بالي اقول انكم تبررتم من الالتزام بهم من باب العدل ايها التاعسون والحال انكم لو تاذنون لي ان
افحص قليلًا وابحث عما في ضمايركم لستوثقتم مدققًا عما تحويه لكنت بلا شك اجد احيانًا
كمية وافرة من الفضة المديونين بها للموتى قرابتكم هل وفيتم بالتمام جميع لوازم الوصايا التي
كتبها موتاكم في حال مرضهم الاخير هل عوضتم عما دخل ذمتكم من مال الاموات هل صنعتم الصدقات
والقداسات والجنازات التي التزمتم بها هل كافيتم عن الاوقاف وتممتم نذورات للموتى
فان كنتم توانيتم عن ذلك كله بشي ما فانما انتم اذًا ملتزمون باغاثة الموتى التزامًا عظيمًا من قبل
العدل لا من باب المحبة فقط قولوا لي ايضًا من هم الذي انتم من اموالهم عايشون اليس هم موتاكم
اعني اباكم والديكم واقرباكم وغيرهم من اهلكم ما تركوا لكم موارث اما ابتاعوا لكم برزقهم الذي
تجتنون منه نفقاتكم وبسببهم راحتكم كم من مرة صاموا وجاعوا ليجعلوكم انتم مستريحين
بعد وفاتهم وتعيشون باوفر قيمة وتنجون من المشقات والشدايد التي قد تكبدوها
بذواتهم والحالكم تظنون قد كانوا تعبوا هكذا لاجلكم لو تقدموا وعرفوا انكم لتقيدون
ان لا تقدموا من اموالكم لاجل اغاثتهم سوى ما تلتزمون به من قبل الذمة فقط اهذه هي
اذًا مواعيدكم السخية التي كنتم تعدونهم بها والديكم الشيوخ المساكين بانكم لن تنسوا
انفسهم الى الابد او تذكرون كم طلبوا اليكم كم لجوا عليكم كم بكوا امامكم مكررين عليكم الوصية
بان لا تتركوهم ولا تتناسوهم واما انتم فكانكم دفنتم ذكرهم مع عظامهم في قبر واحد وها
هوذا انتم تتمتعون بامتعتهم غير ملتفتين الى نفوسهم بل لا تدعونها تحترق في المطهر وانتم
ممتليون من خيراتهم ولكن مع ذلك جميعه هات لنفترض بانكم
لستم مديونين للموتى ولستم ملتزمين بهم من قبل العدل اصلًا ولا من باب المحبة ايضًا بل فلنفرض
انه مباح لكم ان تكونوا قساة نحوهم خلوًا فان تستحقوا لذلك عقابًا ولنفرض ان هولاء النسا
المتروكين منكم وعلى الخصوص اهلكم واقرباكم ليس هم عتيدين ان ينهضوا عليكم ويطلبوا لكم
الثواب من الله تعالى على جفاوتكم وصلابة قلوبكم غير انني اقول اما يكفي ان تترافوا عليهم من
كونكم بشرًا ولست اقول من كونكم مسيحيين ولا من كونكم كاثوليكيين والحال ان هذه اي الصفة

العدد ٨

كيني

البشرية هي التي قد صيرت قلوب الحنفا الوثنيين ان يظهروا مقدارًا يفوق الوصف من
امارات المحبة والاكرام والاحترام والجودة نظرًا الى ذكر موتاهم ومن ثم لكي يجعلوا ذكرهم
مخلدًا قد شيدوا القبور المرمرية الفاخرة والاهرام والاعمدة والمنارات الضخيمة التي
اضحت في الارض اعجوبة الصنايع حتى ان الملكة ارتيميسيا لم تكتف بجمع هذه الاشيا لتظهر
وفور حبها واحترامها الى بعلها الميت بل اجتهدت بعقلها الزكي لتخترع نمائيدًا تصير
هي له لحدًا حسيًا متنفسًا ومن ثم هكذا فعلت الى انها سحقت عظامه حتى جعلتها غبارًا
ووضعتها في كاس من ذهب ثم شربتها بلذة وسرور نقطة فنقطة ودفنتها في قلبها بمنزلة
لحد حي ولكن ترى ما الذي كانت تفعله هذه الملكة الوادة بعلها بهذا المقدار لو كانت
ترجو كربحانا الى ان تعتق نفس بعلها المحبوب منها وتورثه الملكوت العلوي كانت مسكت
عنه تعبًا او درهمًا ام صناعة ما امهل كانت تحتمل ان ترى نفسه تتعذب في النار حينما
كانت تستطيع ان تبلغها سعادتها وطوباويتها وبالسعادة اقيون صديق اسكندر
الملك لو كان ذهب الى مكان يرجو منه الخلاص بعد موته بدلًا من ذهابه الى مكان لا ينجح
منه الى الابد لعمري انه لم يكن يدع ان يستقيم فيه سوى دقيقة واحدة فقط لان ادعى
هذا الملك المذكور قد نفق في جنازته ما يساوي اثنى عشر الف دينارًا التي يبلغ
مقدارها من الغروش الاسدية ثلاثة عشر بوة وينيف وهذا المبلغ الوافي قد نفقه
في ثمن العاج والامتعة والاقمشة الموشاة بالذهب والبخورات العطرية والذهب و
الجواهر التي حرقتها مع عظامه لا ريب ان نفقته هذه التي نفقها على نفس افسيون
صديقه المذكور تسمو على جودة مكيلدا المراة الشريفة المسيحية تلك التي لم تكتفي
بان قدمت الف قداس عن نفس قرينها يوم دفنه لكنها اعطت مبلغًا يقتضي ان يقدم عن
نفسه ربوة من القداديس اعني عشر مرات مائة الف قداس وماذا اقول عن محبة النسا
الرومانيات نحو بعولتهن الموتى لانهن كن قديمًا يطوحن ذواتهن في النار ليحترقن
مع جثث بعولتهن فمثل هولا لو استطعن ان يطوحن ذواتهن في المطهر ليخلصن نفوسهم
من العذاب اتظنون انهن كن يخفن من ذلك لا لعمري بل كن لا محالة القين ذواتهن فرحات
مسرورات في العذاب المطهري ليفتدين نفوس ازواجهن بنفوسهن لانه في ذلك الزمن
لم تنتفع الدولة الرومانية بشي مما من اقامتها حراسًا حول شعلة النار لتمنع مثل هذه الحوادث

المفرطة

89

المفرطة من المحبة لاني اظن انه لا الرماح المسنونة ولا السيوف المجردة ولا العصي
المحددة كان يمكنها ان تنزع قلوب اوليك النسا الوادات ازواجهن وتدفعهن الى
الوراي حالتيًا اعلم ان الوثنيين القدما ومنهم الرومانيون ايضًا كانوا يجمعون جملة
كبيرة من الحطب في اعظم ساحات المدينة ثم يطرحوا فيها الميت ليحترق وبعد ان يصير
كله رمادًا كانوا يجمعون رماده ويدفنوه في القبر وكانت نسا كثيرات يلقين ذواتهن
في هذه الشعلة ليحترقن مع ازواجهن حبًا بهم ولهذا لما كثرت هذه العادة التزمت
الدولة الرومانية ان تضع حراسًا بسيوف وارماح ليصدوا النسا لئلا يحرقن ذواتهن
في النار وانجعوا من ذلك هل كان يمكن ان يجل بالفضة والامتعة عن موتاهم اوليك الذين
كانوا يقدمون عنهم حياتهم وقد خبرت التواريخ الرومانية انه لما كان يصير هذا الاحتفا
اعني به احتراق جثث الموتى فوق شعلة الحطب كانت تتم على هذا النظام الاتي ذكره
وهو هذا اي انه فيما تكون الالات الموسيقية تبدي نغمًا محزنًا كانت تطوف حول شعلة
الحطب رجال ونسا واقارب وخدام ومعارف وبقية العيلة برباح حافل ويلقي كل
احد منهم في كل دورة على النار الشي الاوفر قيمة من امتعته فمنهم من كان يلقي خواتم والبعض
حلقًا ومنهم من يطرح جواهر وبعضًا بخورًا ودمالج حتى انهم كانوا يطرحون ذهبًا و
فضة ايتها الاخت المسيحية الحبيبة العزيزة لدي ترى ماذا كنت تقولين عني لو اطلب
منك انتِ المومنة الحقيقية ان تنفقي عن موتاكِ الاحباء قليلًا من ذلك الكثير الذي
كانت الحنفا ينفقونه على جثث موتاهم وهكذا انتم ايها الارامل ترى ماذا كنتم تقولون
لو سالتكم اليوم بان تنزعوا عن اصابعكم الخواتم وتقدموها اغاثة عن انفس الموتى
وترى ماذا كنتم تقولون انتم يا ايها الاكليروس وانتم يا ايها الكهنة لكوني اريد ان اصمت
عن ذكر النسا الغنيات اللاتي مع انهن يظهرن نفوسهن بانهن ذوات تقوى
وورع جزيل فلا شك في انهن ينسبن الى قلة الذوق والافراز لو اقول لهن ان يرجعن
موتاهم ولا ينتفن شعورهن ويلبسن ثياب المسوح لكن ينزعن تلك البغم واللالي
الفاخرة من اعناقهن وتلك الحلقات الكريمة من اذانهن وتلك الاسورة والدمالج
الذهبية من ايديهن وسواعدهن وتلك الحجارة الكريمة المتلالية على صدورهن
وتلك القناطيف الموشاة بالذهب والفضة وتلك الحمايل الذهبية والفضية المنوطة

على ارقابهن وسائر التحف واصناف الزينات الباطلة التي يعجز لساني عن تسميتها لكثرتها
واختلافها اما الامر الذي فعله احد الشبان في ايامنا بحبه في ابيه الميت فيفوق عجباً عما
ذكر وقد كان يدعى يموئيل فهذا الشاب لكي يستفقد جسد ابيه المقتول من ايدي
اعدائه ويدفنه باع نفسه وقدمها ثمناً لاولئك الاعدا وصار خادماً بعد ان كان
سيداً وليساً بعد ان كان حراً وها هوذا انتم تابون من ان تعطوا شيئاً من مالكم لتعتقوا
به الانفس الى السما فيا لهما من قساوة عظمى ما اشنعها

العدد

ولنضف الى ما قلناه هذا الامر ايضاً وهو انه اذا ما احسنا التامل بتدقيق فنرى الوثنيين
لم يكونوا يرجون مكافاة عما كانوا ينفقونه او يفعلونه مع الموتى لان الكثيرين منهم كانوا يظنون
ان الانفس تموت مع الجسد ولاجل ذلك لم يكونوا يتوقعون من الموتى مكافاة الجميل عن
اتعابهم ونفقاتهم عنهم اما نحن المسيحيون فما اعظم المكافاة التي يمكننا ان نرجوها من الموتى
المومنين على اننا نعلم يقيناً ان انفسهم لا تزال حية بعد موت الجسد وتحيى الى الابد
غير مائتة وفهمنا ما اوفر حظنا وما اجمل سعادتنا اذا بلغنا الى ان نفتدي باية نفقة
كانت وباي تعب كان انفساً كثيرة من المطهر ونجعلها ان تفوز عاجلاً بالمجد السموي
ليت شعري باي شي يمكنكم ان تنفقوا ثرواتكم ايها المسيحيون الاحبا بافضل مما تنفقونها
في هذا العمل المقدس اي تخليص الانفس من المطهر على انكم بهذا النوع تصيرون عدد
القديسين كثيراً جداً في السما ومع يوجد لكم عدة وافرة جداً في الملكوت يبتهلون طالبين
خيركم وسعادتكم وعدة جزيلة جداً يحفظونكم من كل خطر نفساً وجسداً وايضاً حياتكم
تطول وذلك بابتهال ودموع تلك الانفس التي تستتر في المطهر لكونها ترجونكم كل يوم
مساعدة جزيلة حتى ان الملايكة الذين كانوا موكلين من الله على حراسة الانفس لتستفدوا
بواسطتكم لا يكفون ابداً ان يشكروكم عن الاكرام الذي ابديتموه نحوهم بارسال تلك الانفس
عاجلاً الى السما وايضاً تصيرون القديسين والطوباويين مديونين لكم وذلك من اجل ارتباط
كل واحد منهم مع الاخر بالمحبة الكاملة لانكم بهذه الواسطة تكتسبون كل خير واصل الى رفقايهم
كانه قد حصل لهم انفسهم وذلك لا لاجل انكم زدتم لهم ازواقاً في السما فقط بل على الخصوص
بانكم اكثرتم المسيحيين استشفاعهم وكم وكم تحبكم مريم سيدة العالم حيثما ترى انه بواسطتكم
نال الجنة سريعاً عاجلاً هذا المقدار من الانفس العزيزة لديها نظير غرم دمه ملتفينة لانها

ثمن

ثمن دم ابنها الحبيب وماذا اقول عن السيد المسيح الذي اعطى حياته حباً في تلك الانفس
وماذا اقول ايضاً عن الله تعالى ذاته الذي اعطى المسيح ابنه فداء عنها لعمري انكم تكتسبون
ايضاً فم العدل الالهي وتجعلونه ان يمحو ما لله عليكم من الدين سريعة وترجون رحمته الازلية
وتجعلونها تمارس معكم مفعولاتها ذات الرافة وتكتسبوا محبة الالهية وتجعلونها ان
تتمم بكم ارادتها التايقة على الدوام الى خلاصكم وعلى الاجمال اقول انكم ترجون لذواتكم
الملكوت كله الذي لا يطلب ولا يسر بشي اخر سوى خير البشر وسعادتهم الابدية فما بالكم
اذاً متكاسلون متباطئون وما الذي تنتظرونه انهضوا وقوموا الى اغاثة المعتقلين في
المطهر وهكذا اختم القسم الاول من عظتي هذه بنصيحة القديس برنردوس حيث يقول
مخاطباً انهضوا الى اغاثتهم بالنوح تضرعوا بالتنهد اطلبوا بالصلوات واوفوا عنهم تقدمة
القداس لماذا لا تفكرون منذ الان في انه باية طريقة تستطيعون ان تقدموا ذواتكم ان
كلها لخير المعتقلين في النار المطهرية فاجعلوا لكم اصدقا من مال الظلم نعم ايها الاحبا اكرمون
اجعلوا لكم اصدقا من مال الظلم لان ذلك لكم خير عظيم حتى اذا نفد يقبلونكم في مظالهم
الابدية ليت شعري من هم هولا الذين اعني عنهم بقوله هذا افهل هم المساكين الاحيا فقط
كلا وذلك بحسب راي علما ماهرين من مفسري الكتاب المقدس ومن جملتهم الكردينال بيلار مينوس
الشهير علماً لان هولا المساكين لا يستطيعون دايماً الان يقبلوكم في الملكوت على ان كثيرين
منهم لا يدخلونه ابتة لكن المساكين المحبوسين في المطهر فهولا لا شك في انهم يستطيعون
ان يصنعوا معكم خيراً كذا عظيماً اذا نفد مالكم اي عند ساعة وفاتكم حيثما تكونون دنوتم من
نكم
الخروج من هذه الحيوة فهم يحاطون بكم افواجاً افواجاً حول الفراش بمحبة واكرام ويودون
ويساعدونكم ويعتنون مجتهدين بالمسابقة ليساقوكم معهم بفرح وطرب عظيم الى السما
لتملكوا خيراتها الدهرية حيث هي مظالكم الابدية فاجعلوهم اذاً اصدقا وخلاناً لكم فما
الذي تخشونه هل من قلة امانتهم ام من عدم معروفهم الجميل ام من عجزهم او من عدم حبهم
ام من نسيانهم لكم اصنعوا معهم خيراً بسخاء وسوف تعاينون صدق ما نطق به يشوع الحكيم
اذ قال احسن الى البار فتجد جزاء كثيراً فيا معشر السامعين سادتي هوذا انا قد اكملت
وظيفة القاصد المرسل من قبل الموتى الكائنين في عذابات المطهر وعرضت عليكم اعوازهم
ورغوباتهم منكم فبقي عليكم ان تردوا الى الجواب غير انه يجب ان يكون جواباً بالايداف

بالفعل لا باللسان ولما فاعلموا انى اذا علمت ان جوابكم لا يكون على قدر املى بكم والرغبة منكم
فاخشى لئلا التمس من غيركم بان لا يصنع معكم فى زمن الاحتياج المقبل عليكم او فرحمة
واعظم سخا مما تصنعون بها انتم الان مع الاخرين ولا تكتفوا بالاحسان الذى تقدمونه الان
بل ينبغى لكم ان لا تنسوا افتقاد الموتى بالصلوة والصدقات والقداسات وساير الاعمال
الصالحة حياتكم كلها وهنا فليوكل الواعظ احدًا ليجمع احسانًا من السامعين لتعطى عن
قداديس تقدم عن الانفس المعتقلة فى المطهر ويستريح قليلًا الى ان ينجز الوكيل من
جمع الاحسان ثم يبتدى بالقسم الثانى من العظة

القسم الثانى

انه لمن المعلوم ان قوانين المودة المرتبة المنظومة تقتضى يا ايها السامعون ان نبتدى
من محبة نفوسنا اولًا ومن ثم ان كان الى الان قد تكلمنا وسعينا فى ان نستنقذ قريبنا من نار
المطهر فمن ثم وجب ان نفتكر الان بنفوسنا قليلًا ونبحث بمخاطرين فى بالنا ما هو الذى
يجب علينا عمله لئلا نحصل فيها او كيف نخرج منها اذا حصلنا ضمنها ولا نتكل على رحمة
اقربائنا واسعاف اصدقائنا الذين يضحون من ذاتهم قليلى المعروف وكثيرى الكسل
والنسيان نحونا اعلموا ان الطرايق التى يمكننا ان نتمسك بها للقصد المذكور هى كثيرة
غير انى ادع كل واحد منكم ان يتمسك بالطريقة التى يستحبها او يعتبرها اعظم اعتبارًا
واعرض عليكم تلك التى قد اعتدتها وهى اوفر امانًا واستقامةً وهى ان نعزم على ان
نفعل ما علمناه الحكيم ابن سيراخ قايلًا قبل وفاتك اعمل عدلًا ولاجل ذلك سبيلنا ان
نفى ههنا عن ذنوبنا بنوع ما من التقشفات الجسدية مثل الصوم النفر الملتزمين به
من باب الوصية او جلد ذواتنا بقليل من الالم او لبس قميص كثيف ليشك الجسم
قليلًا او بنوع اخر فى قهر الجسد واماتته نعمل به عدلًا لانفسنا قبل ان تدركنا الوفاة
ولكننى انا عارف ان بعضًا منكم رعايه يهزاون الان بى ساخرين عند استماعهم اياى مخاطبًا
الجميع بحقوق التقشف والاماتة لانه ان اردنا ان نقر بالحق فبيان انه فى دهرنا هذا قد
انتفى من بيننا ذكر تقشف الجسد ومضى الى مجالس السواح او انحصر فى نادرة اما فى
بيوت العالميين فلم يعد يسرهم ويرضيهم سوى الاقوال المتضمنة الراحة والتلذذ
والافتخار والترفه والذى يستغربه العوام فى هذا الزمن او فى استغرابا ليس سوى

الذى يروم اذا ان يخاطبهم بهذه الاشيا انما يوجد
بينكم معهم بمباشرة اعمال التوبة فالذى يروم اذا ان يخاطبهم
عندهم غبيًا احمق لانه يقصد ان ينال ما ليس له عليهم طاقة وقدرة فى ان يقنعهم به
ومع ذلك جميعه فان كنت انا خاليًا من روح الغلط والهذيان فاقول انه ما من احد
يحتاج الى ممارسة افعال التوبة اكثر من اهل العالم ارشدكم الله ايها السامعون المكرمون
بان لا تغضبوا على اذ كنت اغيظكم قليلًا لاجل خيركم بل لانه بهذا استعوا ان تحبونى
او فرحًا وهو لاننى ارضى بان اكون مبغوضًا عندكم وذلك لايثارى خيركم ونجاحكم الروحى
فاذًا يجب عليكم ان تعلموا من راى القديس

الابدى
توما اللاهوتى ان العادة الدارجة فى بيعة الله سابقًا فى قهر اجسادنا احيانًا بالاصوام و
المسوح والجلد وغير ذلك من اصناف التقشف والاماتة قد ادخلت لسببين احدهما
لننزع عنا الخطايا القديمة بحسب نص كلام القديس المقدم ذكره والاخر لنتحفظ من
الخطايا المقبلة ومضمون قوله هو هذا وهو ان السبب الاول هو لكى نفى لعدل الله
سبحانه عن العقاب الذى استحققناه بخطايانا السالفة وهذا هو السبب الذى لاجله
اوصيكم اليوم بمباشرة اعمال التوبة والسبب الثانى هو لكى نحفظ نفوسنا من ارتكاب الخطايا
الممكن ان نسقط فيها فيما بعد لانه ان كان ساير الحيوانات تستانس غالبًا بالتعليق لكن
جسدنا بالنظر ويعصا علينا بذلك كقول القديس لورنسيوس جيوستنيانوس ولا يتروض
ولا يستانس الا بالضرب فاقول الان مقايسًا هكذا انه ان لاحظنا السبب الاول المذكور
اعنى به لننزع عنا الخطايا القديمة فمن تظنونه اوفر احتياجًا الى هذه اعنى بها اعمال
التوبة الوفائية هل اوليك الذين دخلوا منذ حداثتهم الرهبنة وقد استمروا غالبًا حافظين
طهارة حداثتهم سالمة ام اوليك الذين يمكثون فى العالم مطلوقى العنان نظرًا الى هو تهم
المذمومة وقد انتنت وقاحة اجسادهم من النجاسات وانسم قلبهم من الحقود والظلم
عقلهم من اثام الكبرياء والعجرفة والعشق والافكار المتنوعة سماجتها فلا ريب ان هولاء
يحتاجون الى الافعال الوفائية اكثر من اوليك لانه ما هى الاعمال الصالحة التى يمارسها
هولا ليفوا عن هذا المقدار من الذنوب والخطايا واذا نظرتم الى الرهبنات المحافظة القانون
باوفر التدقيق فترون بعضها معتنية فى خدمة المرضى وبعضها فى افتداء الاسرى من عبودية
الاسلام وبعضها مشتغلة فى ترداد الالحان والتسابيح الى الحضور كنيسة الله نهارًا وبعضها

في اكتساب الكثرة الغير المؤمنين وبعضها في الوعظ والتعليم للشعوب المسيحيين وترو
من الرهبان ايضاً من يسهر في تاليف الكتب ومن يتعب في اقامة الصلوة الفرضية في الكنايس
ومنهم من يعلم الشبان في المدارس ومنهم من يوزع الاسرار في البيع ومنهم من يعزي المحبوسين
في السجون ومنهم من يشجع المرضى المتنازعين في البيوت ومنهم من يجول ايضاً البراري
ويطوف الجبال ليصيد الانفس المتوحشة الى الله تعالى ومن ثم يبان ان هولا يستحقون
ان يبدوا عذراً امام الله تعالى نظراً الى تعابهم المقدسة اذا استعملوا مع اجسادهم حلماً
ما اكثر من الصرامة التي بها يعذبون اجسادهم واما اولوا العالم الذين يتهاونون عن مباشرة
فعل ما من افعال هذه المحبة نحو الله عز اسمه والقريب اما يحتاجون اعظم احتياجاً الى
اعظم اعمال التوبة وتقشف الجسد ليفوا عن سياتهم الماضية اما اذا لاحظنا السبب الثاني
الذي لاجله تستعمل البيعة اعمال التوبة وتامر بها فهو لكي نتحفظ من الخطايا المقبلة
فاجيبوني اذاً يا معشر المسيحيين الاحباء من هو الذي يفتقر الى هذا التحفظ اوفر افتقاراً
هل اوليك الذين يعيشون مختلين في الادير ومنفردين في البراري المقفرة ام اوليك القاطنون
والعايشون في وسط العالم الشرير حيث لا يصير اجتماعات وملاعب بهجة وفرح خطرة
الا ويحضرونها ولا يوجد كتاب محرم الا ويتلونه ولا وجهاً نسايياً الا ويرقبونه وهم مع
ذلك جميعه متغافلون من العلم بممارسة الصلوات وغيرها من الوسايط القوية التي
يستطيعون بها ان ينجوا من مثل هذه المخاطر المهلكة من هجمات العدو المخادعة والغاشه
انني لست اروم ان انتج مما قلته ان الرهبان يعفون من الالتزام بقهر اجسادهم وتقشفاتها
بحسب تعاليمهم المقدم شرحها في خدمة الله والنفوس كلا لست اروم استنتاج ذلك
لانهم اذا اجترموا خطية واحدة ثقيلة يلتزمون من باب العدل ان يفوا عنها بتوبة صارمة
متداومة ايضاً بل انما اقول هذا فقط وهو ان الخطاة اليس هم ملتزمين باعمال التوبة
الشاقة اوفر التزاماً من العوام ومع ذلك جميعه من نراه من اهل العالم يرتضي بسهولة ان
يتمنطق على حقويه مثلاً بسلسلة صغيرة من حديد او يلبس مسحاً او ثوباً خشناً او يصوم
صوماً ما لا يلتزم به من قبل وصية الكنيسة ولكن ما بالي اقول صوماً لا يلتزم به من قبل وصية
الكنيسة فالاولى بي انا اقول من ذا الذي يصوم من اهل العالم كالواجب الصوم الاربعيني
المفروض من البيعة المقدسة على جميع النصرانية اليس اننا نرى عياناً ان الاكثرين والقوم الذين

يطلبون

يطلبون باعظم السهولة ان يعطوا الاذن بفسخ هذا الصوم المبارك المقدس الذي
حفظ منذ ابتدا نشو الكنيسة بتدقيق لا يوصف وهم يطلبون الحل منه لا بحجة مرض
ما حاضر اعتراهم لكن حذراً من مرض يمكن ان يصير لهم فيما بعد واحياناً ايضاً خوفاً من
داو وهمي لا حقيقة له فان كانت هكذا هي بنية العالميين وحالتهم فما هو اذاً العدل
وما هي الصرامة التي يصنعونها مع اجسادهم قبل ان يدركهم الموت كما اوصى الحكيم
ابن سيراخ المقدم ذكره قايلاً قبل وفاتك فاعمل عدلاً والاسفاه واحسرتاه لعمري ان هذا
ليس هو شيئاً اخر سوى عمل رحمة ورافة مع اجسادهم اكثر من الواجب

العدد ١٢

انني لعارف جيداً انه من حيث انكم قد ربيتم وعشتم مدة زمانية في الراحة والتنعم قد صار
مزاجكم لطيفاً وتركيبكم نحيف ومن ثم قد يستبين ان اعمال التقشف والاماتة لا تناسبكم
وتعتذرون ايضاً بعدم الطاقة على احتمالها لكن كيف العمل على ان هذا عينه ان
نطقنا متكلمين بالعموم غير محابين لاحد يثبت التزامكم الاعظم بان تفوا عن ذنوبكم في هذه
الحيوة لانه ان اردتم ان تبقوا الوفا الى الحيوة الاخرى فوااسفاه كم يكون عليكم احتمال
العذابات المطهرية اشد ولم خبرونا عن امير من اعظم امرا ايتاليا انه دعا في
احد الايام راهباً واعظاً غيوراً وادخله قصره ليتنزه هناك وكان من احسن
المتنزهات التي تشتمل عليها بلاد ايتاليا وبعد ان اطلعه على اوانيه الذهبية و
الفضية والموايد المنتظمة من الاحجار اللازوردية واليواقيت وصوراً غريبة في الجمال
وانقشة بديعة وتماثيل من رخام يدهش العقل المصنع فيها ثم استاقه الى المخادع الداخلة
ليظهره على الامتعة الفاخرة والفرش الناعمة ثم صعد به الى الطبقات العلى من القصر
ليريه زينتها ويشاهد الاثاثات الموشاة بالذهب الجزيل الثمن ثم انحدر به الى البستان
المرتوق بالمياه والاشجار والغياض والرياض والتنزه وبعد ان اطلعه على كل شي تحتويه
من التحف والزينات الفاخرة البديعة طفق يتمشى بمحبة ووداد متحدثاً معه تحت شجر
بستانه الظليل سايلاً اخيراً ما هو رايه فيما راه الان من هذه الروضة المطربة فاجابه ذلك
الراهب شاكراً محبته وحلمه نحوه ولاجل انه كان دايماً من باب وظيفته وفضيلته ان
ينتج مما كان يراه او يسمعه تعليماً مناسباً لفايدة القريب فاردف الكلام قايلاً للامير
باكرام واحترام هكذا ان العاطفة التي انتلذت بي من مشاهدتي هذه المجالس المستغربة

الكاينة في قصرك وروضتك يا ايها الامير الجليل هي عاطفة الشفقة على حضرتك السعيدة
اذ اني كنت افتكر في نفسي قايلاً ليت شعري ما اعظم ما تكون عذابات المطهر صارمة
شديدة نظراً الى سيد يتنعم بهذه الراحة لا ريب في انها تكون لديه اشد مما تكون لدى
رجل فقير معتاد على التعب والشقا فهذه هي الجراة المقدسة التي استعملها الراهب
التقي في تلك الروضة المذكورة ورءا انه تحرك الى استعمالها من قبل صلاح ذلك الامير
الذي كان يخاطبه وحلمه وبها ايضاً اي بهذه الجراة قد قصدت الان ان اختم كلامي
معكم يا ايها السادات الاحبا قايلاً ها هوذا قد حصل حظكم ان تولدوا في تنعم الثروة و
الراحة وقد قضيتم بهما الصبوة والشبوبية وبلغتم الى الرجولية والشيخوخة
ومن ثم يلزمنا ان نقول نحوكم ان كنتم قد صرتم الان عاجزين اكثر من غيركم على ان تمارسوا
التاديبات والمشقات العظيمة المعدة لخطايانا في الجحيم العتيدة فكيف اذاً تطيقون
ان تضجعوا مغللين مقيدين على تلك الصفايح النارية في العالم الاخر اذ انه لا يوجد
الان فراش ما ما عدا المحشو من ريش النعام الا ويكون عندكم يابساً فكيف اذاً تستطيعون
ان تحتملوا في عظامكم نخس تلك الحربات المسنونة المرهفة والحال انه لا توجد
ثياب من الطف الحرير وانعم الخمل الا وتشعرون بخشونتها فالعلكم تحتملون نتانة ذلك
الكبريت الكريهة وتقززون ذلك الدود السمج وحرارة ذلك النفط والقطران وانتم
معتادون الان منذ زمان مديد على استنشاق ازكى الروايح واستعمال اثمن العطور
والامياه المستقطرة عن ازكى الزهور والتخطر في المروج المخضلة والبساتين الظليلة و
الاستحمام في الذ الحمامات وان كان ذلك كذلك فما هو الذي اذاً يلزمكم الان ان تصنعوه
لتنجوا من العقوبات المورد ذكرها لا جرم في انه يلزمكم اولاً يا ايها الاحبا المكرمون ان تمارسوا
اعمال التوبة اي ان تلبسوا احياناً من تحت الثياب الناعمة ثوباً خشناً كما كانت تفعل سيليا
ومثلها ملانيا وباولا والبصابات اللاتي كن شريفات والطف واتحف مزاجاً منكم ويمكنكم
ايضاً ان تمسكوا بايديكم الرخصة بخصرة من حبل وتجلدون قليلاً اجسادكم كما كان يصنع
لودوكيوس واريكوس وكرلوس وكاسيميروس هولا الذين كانوا من اشرف الاماركنة والسلاطين
فهذا هو رايي ومشورتي عليكم ولعمري انه لا يسوغ لكم ان تنسبوني الى قلة الاوزان ونقص
الحكمة لكوني خاطبتكم ان تنقضوا هكذا ذواتكم لانه اذا لا اصطنا الحق فالذي يحبنا انفع من

هذا

هذا البغض الذي يحثنا على احتمال عذاب خفيف لنتخلص من عذاب عظيم ثم اصغوا
سامعين لما قاله القديس غريغوريوس الكبير في ص المحرم من كتابه الديالوغوس وهو ختام
كلامي معكم واحفظوه مطبوعاً في ذكركم على الدوام فانه يقول هكذا انه اجسر واقول
اننا لا نحتاج الى تقدمة القربان الخلاصي عنا بعد وفاتنا اذا صرنا قرباناً لله في مدة
حياتنا انتهى فما احسن كلامه هذا وما اقوى معناه واما مضمونه فهو هذا انه اذا
قهرنا اجسادنا وامتنا شهواتنا باعمال التقشف وما ضاهاها من ساير اعمال التوبة فنصير
ذواتنا بذلك قرباناً لله في حياتنا وبالنتيجة لا نعود نفتقر ان يقدم غيرنا عنا تقدمة
القداس بعد وفاتنا لنفي عن عقابنا الذي استوجبناه بخطايانا وذنوبنا لاننا نكون
قد وفينا عنه في حياتنا بافعال التوبة الخلاصية فليؤهلنا الله الخ

العظة العاشرة

تتضمن بيان كيفية ابتدا نيل النفس سعادة
في الاحد الثاني من الصوم المقدس

المجد السموي فقط وذلك بحسب ادراك ضعف عقولنا واما الغاية منها فهي
تشويق المومنين الى امتلاك السما ولان يوجهوا اليها عقولهم وقلوبهم يا رب
جيد ان نكون ههنا هكذا صرح مارمتى البشير في ص ١٧   العدد
هلم بنا نحو السما يا معشر المومنين الاتقيا العابدين هلم بنا نحو السما فهل يوجد فيكم من
يتوق لان يصعد الى هذا المجد العظيم فما بالنا متشبثون متوغلون في هذا الوادي
وادي البكا والحال انه ههنا كيفما التفتنا لا نرى شيا اخر سوى بكا وتنهد وصراخ ولا نسمع
الا اناناً ومشقات نعاين الغني يشكو من الفقير والفقير يشكو من الغني نشاهد المولى
شاكياً من العبد والعبد شاكياً من مولاه وبالنتيجة لا يوجد احد راضياً بحاله
على اننا نرى راحيل حسنة جميلة لا ريب غير انها تتالم لانها ليست بمخصبة مثل ليا
وليا هي مخصبة لكنها تحزن لانها خالية من جمال راحيل ونرى نعمان السرياني فايزاً
بثروة وغنى وافر لكن ما الذي يجديه من ذلك مع كون جسمه معترى من البرص السمج
ونعاين اغسطوس قيصر قوياً قادراً لكنه حزين اذ انه عادم الخليفة وطيباريوس
خوفاً ومرهوباً من الجميع الا انه يتذمر شاكياً لانه لا صديق له حتى الخبز القليل الذي
نحوزه في الارض لا نقدر ان نمتلكه ونتنعم به براحة وسلامة فالعصاة يرصدون

احتمالها ايضاً فارصدوا اذاً عقولكم وستروا ما قد وعدتكم به مقتنعين لا من قوة كلامي
بل من عظمة الموضوع الذي نحن فيه   فليتصورن اذاً كل منكم في عقله انه قد بلغت العدد
الشا السعيدة التي بها تقل مرضه ورفعت الاطبا منه ايديهم ودنا وقت ابتداله الارض
بالسما فليتودع من جميع اقربايه واحبابه قايلاً نحوهم هكذا امكثوا جميعاً بالسلام يا احباي
هوذا الملكوت ينتظرني وانا ماض اليه لكوني الى بيت الرب اذهب ولينهض كل منكم الان وحده
واصعدوا على العجلة النبوية المذكورة المعدة لكم وانا برفقتكم لست افارقكم فلنشد الهمة
ولننتهر الخيل ولنرتفع الى فوق ما احسن وما ابهى لسفر الذي يلزمكم ان تستعدوا له
باقل من ساعة ما اكثر الفرح الكاين فيه هذا هو الذي كان داود النبي يشوق اليه لما كان يعزي
نفسه عند حلول احزان هذه الارض عليه برجا الحيوة والافراح الآتية ويخاطبها بتواتر
قايلاً اعاين السموات من عمل اصابعك القمر والنجوم التي انت اسستها فتجوزون اولاً
في عنصر الهوا وتعاينون كراته واحدة فواحدة فالكرة السفلى هي حارة من قبل انصدامها
من الاشعة الشمسية التي هي من اسفلها وانعكاسها نحوها والكرة العليا حامية لحرارة لهيب
قربها من عنصر النار الذي هو فوقها والكرة المتوسطة باردة جداً لان النار التي فوق
الكرة العليا بعيدة عنها وانعكاس اشعة الشمس من الارض لا تبلغ اليها وتبصرون في هذه
الكرات الثلثة الفسيحة المتسعة المفتوحة للرياح حيث يلاطم بعضها بعضاً كانها في
معركة الحرب لا تفتر وتفهمون ما هي علل اختلاف حركتها ومضادة بعضها بعضاً ومن اين
لهذا العنصر الخفيف اللطيف هذه القوة العظيمة المقدار التي تقتلع اشجار الغابات
وتهدم الابنية وتزلزل الارض وترون هناك كيف تتلد مبادي مختلفة الاشيا المرئية
التي تعجز العلما عن تفسيرها اعني بها قوس قدح الذي يشكل الغيوم بالوان متنوعة
حسنة المنظر والندا الذي يرضع الزهر والمطر الذي يسقي الارض والثلج الذي يكسو
الجبال بياضاً والبرد الذي يدمر الزروع والنصوب ولا يوجد من يستطيع ان يقول
لكم على سبيل الهزو كما كان يقال لايوب هل انك دخلت خزاين الثلج ام رايت
مخازن البرد وتفهمون ما هي تلك الادخنة النارية التي كانت ترى في كبد السما
بشكل النجوم وتخيف عظما الارض وادنياها لعلة تاثيراتها المؤذية وتفهمون ما هي تلك
النيران الملقبة بالمتحيرة وتلك التنانين النارية الطايرة وتلك النجوم المنقضة وتلك

مكمنين على سلطة العظما بالاسلحة واهل الدولة المبغضون يدبرون في الخفا مكايد
بالاضطهادات على راحة المحبوبين المنعم عليهم من الحكام وترى الحساد يخاصمون
العلما ويشاجرونهم لاجل نجاحهم في حسن الصيت وسمو المراتب واللصوص يحبسون
امان الاغنيا بسرقاتهم والعشاق ينازعون لذة مماثليهم ويبتغون لانفسهم وحدهم
العشق واللذة والنتيجة ان كلما اوردناه ان كل شي في الارض لا يخلو من الغيرة والمخاصمة
والاخطار والتالم والحزن اما نحن فهل يسوغ لنا ان نرغب المكث مدة مستطيلة في مكان
حاوٍ مثل هذه الاتعاب والمشقات لقد كان سينكا الفيلسوف يقول ان الطبيعة جعلت
بخداع دقيق ان يولد الانسان خالياً من الادراك لانه لولا ذلك لما كان احد ارتضى ان يوجد
في العالم اي لو كان عرف ماهيته وعظم اخطاره قبل ان ينزل من مستودع امه فاسمعوا نص
كلام هذا الفيلسوف لانه دقيق وعذب فقال انه لا يوجد شي غاش ومغرر من حيوة
الانسان ولعمري انه لم يكن يرتضي بها احد لو لم تعط لغير الدارين اما نحن فقد عرفنا هذا
العالم واختبرناه وادركنا ماهيته فهل يليق بنا بعد ذلك ان نحب اطالة المكث فيه فهلم
اذاً نحو السما يا معشر المومنين الاتقيا العابدين هلم نحو السما واذ كنا الان لا نستطيع ان
نصعد اليها بالجسد فلنصعدن اقله بالروح وان كنا الان عاجزين عن المكث داخلها
بالحضور فلنمكث فلما يكون بالفكر ولكن ما الذي ينبغي لنا ان نعمله لكي ننهض ونصعد
الى علو شامخ بهذا المقدار فها انا استعير المركبة للصعود ان احوجتنا الضرورة الى
ذلك ولكن لا استعيرها من مارديا ولا من تريتوليموس لانه ما لنا وحكايات الحنفا وخرافاتهم
بل استعيرها من ايليا النبي واياكم ان تخشوها ولو كانت مركبة من نار كقول الكتاب المقدس
واذا بعجلة من نار وخيل من نار لان هذه النار تضي وتحمي لكنها لا تاسى اصلاً بل ينبغي
ايضاً ان تكون من نار لانه لا يكفينا ايما شوق كان لان نصعد الى السما بل يلزمنا الشوق
الحار المضطرم ايضاً ومن ثم اذا رفعتكم انا فوق السحاب فلست اريكم في هذا الصباح سوى
ابتدا توجيه النفس الى المجد ومن ذلك لست اجعلكم نقطاً ان تستوعبوا انتهاجاً وتركضوا
فرحين مع بطرس حينما عاين في جبل تابور لمعة يسيرة من هذا المجد لكنه بها ساوجد
فيكم اشتياقاً اليه بهذا المقدار حتى انكم تضطرون ان تهتفوا مع بولص الرسول قايلين
من ينقذنا من جسد الموت هذا من يكسر عنا القيود الجسدية فاننا لم نعد نستطيع

المظلمة

البخورات الهوائية التي قرأت كان ناس يسليحيون ليحاربوا في الجو واذا جزتم داخل تلك الاماكن المتسعة التي هي في جوف السحاب ورايتم من اين يصدر هذا المقدار من البروق والعواصف والرعود فلا تحتاجون ايضاً الى الدرس والفحص في كتب العلما الفلكيين لتعرفوا هل البروق هي نار تمتد باتساع في الجو وهل الصواعق هي نار تتخبس متلبدة ما بين السحاب وهل الرعود هي بخار متقد يطفى بسرعةٍ في الهوا البارد كما كان يهذي انا ساغوراس الفيلسوف الوثني ام هل هي بخار خارج بعزمٍ شديد من الغيوم المتلبدة كما كان يزعم ارسطو ولا تظنوا انكم ترتقدون من هذه المناظر العجيبة لانكم تكونون قد علوتم على العواصف والزوابع ولا تخافوا بعد ذلك ان تفقدوا كرومكم من البرد او بيوتكم من الصواعق او املاككم من فيضان الامطار فليخف من هذه العوارض من هو بعد مقيم في الارض اما انتم فبعد ان جزتم كرة الاهوية تصعدون ايضاً الى كرة النار التي هي هناك ساكنة هادية غير متحركة لانها في المركز المختص بها وترون انكم قد قطعتم من السفر من دون تعب مايةً وستة وعشرين الف وثمانية وثلاثين ميلاً وعند ذلك تبلغون الى الفلك الاول من الافلاك السبعة

العدد

وتشاهدون القمر وحينيذٍ يقول كلٌّ منكم اهذا هو الكوكب الذي كنت اعاينه صغيراً اذ كنت متردداً في الارض وها هو ذا الان اراه كبيراً عظيماً وهو لا محالة النيّر العجيب الذي كان في الارض يشغل هذا المقدار من العقول في تعريف ماهيته ومع ذلك لم يبلغ احد الى معرفتها مع انه نظراً الى الارض اقرب من ساير الكواكب الان قد شاهدت ما هي بقعات السواد التي كانت ترى فيه ويفحص عنها الفلكيون الان فهمت من اين يصدر فيه الكسوف والمحاق والملو والاستدارة والنقص وساير التغييرات والاختلافات التي كان يتبدل بها الاجل خير البشر الترابيين وهم عوضاً عن الاظهار المعروف يخصونه بشايبة التقلب ما احمق الفلاسفة الذين ارتأوا انه ههنا يوجد عالم اخر يشتمل ايضاً على بقاع وجبال وبحار وقفار ومساكن فهولا الساكين لم يحظوا قط بالصعود الى ههنا ليزيلوا الخداع من عقولهم بالمشاهدة العيانية اولا كم من المال يحتاج مثل هولا ان ينفقوا على غيرهم من الحكما لكيما يستطيعوا ان يفهموا ما انا الان فاهمه اعني مصدر التاثيرات الخفية العجيبة الواردة من هنا دايماً الى الارض ولكي يفهموا ايضاً هل القمر هو علة زجر البحر الدايم ومدّه وهل هو الذي يطبخ من المعادن الفضة وليس

95

الذهب الذي نسب بعض العلما طبخه للشمس ولا الحديد الذي نسبوا طبخه الى زحل ولا ٥ النحاس الذي نسبوا طبخه الى الزهرة ولا الزيبق الذي نسبوا طبخه الى عطارد وهكذا تتكلمون وانتم مندهلين من العجب لما ترونه من الاشيا البديعة وذلك في فلك القمر وتتوهمون انه هناك سماكم لكن اشتاقوا العجلة يا احباي لانه ينبغي لنا ان نصعد الى ما فوق كثيراً

٥ الذي نسبوا طبخه الى المريخ ولا القصدير الذي نسبوا طبخه الى المشتري ولا الرصاص

العدد

فمن بعد ان اطلعتم على فلك القمر وهو الفلك الاول من الافلاك السبعة تنتقلون الى فلك عطارد ثم الى فلك الزهرة وربما انكم لا تلبثون زمناً مديداً في الاطلاع عليهما بالتدقيق لتفاقم الاشتياق الذي يضطرم بكم الى ان تبلغوا لفلك الشمس بعد ان جزتم من الرحيل اربع ربوات من الاميال لان هذه هي المسافة الكاينة من وجه الارض الى كرة الشمس حسبما رقم علما الفلك وهنا تسترون مدهوشين او فرانذهاشاً لا محالة لكونكم تعاينون جرماً اكبر من كرة الارض ١٦٦ مرة وكله مملو من مجد الرب كما جاء في سفر ابن سيراخ وكله جمال وضيا وزينة تختطف الابصار ولاجل ذلك لقب في الكتاب المقدس تارةً جباراً لسبب عظمه وتارةً ختناً من اجل حسنه وتشاهدونه في الطبقة الرابعة كانه جالس بمقام السلطان في وسط ولايته يوزع على كل الاجرام الفلكية من ترونه على جلي سوى سيما الارض التي يفعل بها منفعولاته بنوع عجيب ولاجل ذلك مركزها الله جلت حكمته في نصف دايرة السما مبتعد عن الارض ابتعاداً متعادلاً لانه لو كانت قريبة من الارض لحرقتها وجعلتها رماداً ولو كانت بعيدة منها جداً لكانت توجد باردة دايماً كالجليد وتعاينون هذا الكوكب اعني الشمس كانها روح العالم ومنها تفيض على الدوام الحيوة الى الاعشاب والازهار والزروع والاشجار والجنس الحيواني ايضاً وهي التي تسد رى النجوم الضيا وترتب الايام وتقدر السنة وتقسم الفصول الاربع ومع كونها ملك الكواكب وسلطان الارض الكثير الفوايد فمع ذلك ليست ثابتة غير متحركة كما زعم بعض الفلكيين لكنها متحركة على الدوام في كل دقيقة لاجل خير العالم بل تجري ايضاً جرياً سريعاً خفيفاً بهذا المقدار حتى انها في ساعة واحدة تقطع مسافة من الاميال ربوة وماية وستين الف ميلاً وعندما تعاينون ذلك تهتفون قايلين اين هو اودوكسيوس الفيلسوف الوثني الذي اشتهى ان يعطى بان يدنو من الشمس لكي يعاينها من قرب عياناً ويعرف ماهيتها ويقدر كبرها ويرقب حركاتها ولو اضطر ان يحترق داخل اجيجها ها هو ذا

نحن فايزون بما كان هو يشتهيه من غير مضرة البتة ثم بعد ان تتفرسوا بها وتتاملوها
بالتدقيق تتحركون الى الغيظ على الفلاسفة القدما وهم ديموكريتوس ومترودوروس و
اوريبيدوس وانا ساغوراس لانهم الاثنين الاولين زعما ان الشمس هي من حديد محمي
والاثنين الاخرين زعما انها هي دايرة من مادة جامدة مذهبة وكانهم جميعهم قصدوا بذلك
ان ينقصوا من مجد خالقها فترفعون اصواتكم وتهتفون قايلين يا لعظمة الله الغير
المدركة كم انت يا رب حسن وبهي في ذاتك القدوسة حينما تستبين هكذا عجيباً في
صورتك المايتة انه لقد بان لي كل غدا نحو ماية سنة الى ان ابلغ واشاهد عظمتك تعالى
بالهيئة متى اجي وانظر الى وجه الله فلنسرع اذاً ولنعبر بقية الافلاك ولا نستمر في التامل
بهما بل فلنصعد عاجلاً الى الفلك الاطلس الذي قال عنه داود النبي حبيبنا ان فيه يظهر
مجد الرب العدد ١
انه لا ريب في انكم تبلغون الى الفلك الاطلس الا انه
قبلاً يجب ان ترتقوا بلحظة واحدة الكواكب الثلثة الباقية وهي المريخ ثم المشتري ثم
زحل لان الطريق المسافرين بها الى السما هي اعلا الافلاك وبعد ان اطلعتم على عظمها
وماهية تاثيراتها وحركاتها يلزمكم ايضاً ان تجوزوا صاعدين الى العلا بفلك الثوابت اي
النجوم ويسمى ايضاً لاجل ثباته وعجيب جمادة جلداً ثم اني لعالم بانكم حالما تبلغون الى
فلك مثل هذا بهي بهيج بمقدار ما يفوق الوصف تسالون هل هذا هو فردوس النعيم الا انه
ليس هو الفردوس يا احباي بل ان الفردوس هو بعيد عنه ايضاً جداً لان الفلك الاطلس
حيث هو وطن القديسين وهو بعيد عن سطح الجلد المذكور اكثر بعداً من وجه الارض
الى سطح الجلد والحال ان المسافة ما بين الارض والجلد وهو فلك النجوم كما تقدم فقلنا
تنيف برقم العلما الفلكيين على ماية وستين بربوة من الاميال وماذا تقولون انتم عن جوف
هذا الفلك المتسع الرحيب الجامع داخله كل النجوم الغير المحصاة التي قال عنها الحكيم ابن
سيراخ انها لا تتغير عن سيرها ما اعظم ما يكون سروركم لما تتاملون ضياها وبهاها اللذين
يسموان على بهما الذهب والبلور بلا حد واذا تاملتم الاختلاف العظيم الكاين ما بين
حسن هذه المخلوقات العلوية والمخلوقات السفلية ولا بد من انكم تحنون الراس الى اسفل
لتلحظوا الارض ولو لحظة واحدة وتصنعوا المقابلة ما بينها وبين السما فيصيح بكم ما
هتف به اشعيا النبي قايلاً ان اعينكم تبصر الارض من بعد وتقولون اين هي الارض التي

كانت سكناي اين هي داري اين املاكي اين بلدتي اين اقليمي انني ارى الجميع كنقطة واحدة
سودا مالت بظلام الليل الشامل الى الارض والساكنين فيها بالنسبة الى هذا النور الساطع البادي
ازاعيني ونظرا الى هذا الصحو الجلي البهيج الفاين انا سوع ذلك لقد كان يوجد من
يشور علي بان اضع بريح هذا السما تحت خطر الخسران لكيما ازيد ملكي شبراً واحداً من الارض
فيا ايها البشر الحمقا العادمين المعرفة ونور الهدى ما بالكم مجتهدين متعوبين لتوسعوا حدود
املاككم او ولاياتكم والحال ان تلك التي بها تمشون وبها تتحاربون وبها تدبرون شعوبكم انما
هي نقطة لا غير وعند عظمتكم انما هو دايرة صغيرة ضيقة من الارض التي جزء منها ايضاً
تحتلسها الانهار والبحار والجبال والقفار ففي هذا القليل من الحوزة تصرفون هممكم وتغايرون
احدكم الاخر وفيها تنصبون مجدكم وفيها تطلبون سعادتكم وفيها تحبسون عواطفكم
وافكاركم كانكم ما يسون من امتلاك هذه السموات المبهجة البهية المتسعة يا لكم من
الناس خالين من البصيرة فانهضوا روسكم وتفرسوا ما هو المعد لكم فوقاً ارفعوا الى
العلا اعينكم وابصروا كما يناشدكم اشعيا النبي اما تعرفون انتم ايضاً ان دايرة سطح
هذا الفلك اي فلك النجوم لتحتوي من الاميال الف وسبعة عشر ربوة و٢٣٥٧
الف و٥٠٠ ميلاً الستم تعلمون افلم تسمعون ان هذا هو كله لكم لان الذي يغلب
هو يرث هذا كله اي نعم ان هذا البقاع الحسنة هي لكم وكم هذه الكرة وكم هذه الكواكب
والنجوم التي اصغرها هي اكبر من ارضكم عشرين مرة العدد ٦
ولقد اظن انكم تصرخون وقتيذ نظير من اعتراه الم ما او عاطفة قوية وبينهم ها بصراحة
حتى في المكان الذي يعلم انه لا يسمعه احد الحان تجوز تلك الثوابت وتلجون الكرة ٩ و
العاشرة اللتين تلقبان من كثيرين من العلما باسم واحد اي بالفلك البلوري وهناك
ستعرفون ما هي مادة هذه الافلاك جميعها التي حق الان يتجادل عنها المعلمون وما منهم
من بلغ ان يعرف حقيقتها لانها تسمو على البصر والادراك واما انتم فانكم تتحققون عياناً
هل هي سيالة نظير الاثير او الهوا ام هل هي جامدة صلبة نظير النحاس كما كان راي ذلك
المعلم الصديق ايوب البار المدون كلامه في العدد ١٨ من ص ٣٧ في سفره وبعد وصولكم
الى هناك تبصرون المحرك الاول ولكن ما اعظم ما يكون فرحكم حينما تدركون عياناً ما قد
عجزت عقول البشر عن ادراكه وشرحه اعني بمرتبة حركته هذا المحرك الاول ومقدارها

وتوابعدها وتبصرونها هل هذه الحركة صادرة من مشيئة الله تعالى وقدرته المطلقة
فقط من غير واسطة كما ذهب القديس ايرونيموس ام هل هي ناتجة من فعل الملايكة الذين
يحركونها كما ارتاى القديس توما العلامة وتعرفون هل ان الحراك واجرام كثيرين
فتتحققون مسرورين هل حقاً الافلاك تبدي صوتاً شجياً لذيذاً بحركتها العجيبة
كما زعمت علما كثيرون
غير اني اعلم متيقناً انكم وان كنتم هناك

الذ الالحان واشجى الاصوات فليست هذه بكافية لان تفيقكم دقيقة واحدة عن
سيركم لان الالحان الالذ والتهاليل الاعذب والفياض الاوفر واصدة ونزهة هي
معدة لكم فوق هذا المكان هلموا وارحلوا ها هوذا بلغنا الفردوس فلنسرع ونجاهد
في ان ندخل تلك الراحة ها هوذا المكان الاعظم ذاك الذي بكيتم عليه زماناً ما
جالسين على انهار بابل هذا هو فلك الافلاك وطن الاحيا المحبوب وملجا المتضايقين
المبهج اللذيذ وميناء المسافرين المشوق اليه ها هوذا قبة اسمع الناس هل عاينتموه
هل يستبين لكم من بعد انه حسن جميل جداً ولكن هذا اعلموه ان كل شي رايتموه
من الحسن والعجب والبها والضيا في ساير الافلاك فيتوارى عنكم ويضمحل بالنسبة الى
هذا الفلك الاعظم كما يضمحل نور السراج الضعيف مقابل نور الشمس وما السبب الذي
حرضني اليوم على شرح حسن الافلاك ليس هو الا هذا وهو لكي تنتجوا من ذلك هذه
النتيجة وهي ترى ماذا تكون عظمة المدينة اذا كانت هذه وساحة فراغها اذن تكم
الله بان لا تضجروا من رصد العقل ولا يكون فيكم من يلومني كانني بددت الزمان
الى الان في شرح خاو باطل فانا لا اظن انني بددته سدى بل قد ربحته لانني اقول على
سبيل المقايسة هكذا انه اذا كان بهذا المقدار هي جميلة ومزينة ومزخرفة اجزا العالم
تلك التي ننظر الى الطوبانيين هي معدودة بمنزلة الاقبية السفلية المحتقرة والمداسة
منهم تحت ارجلهم فليت شعري ماذا تكون تلك الخدور والسرادقات العلية التي
يلزم ان يستوطنها وتلك المخادع التي ينبغي ان يتخاطبون ويتسامرون فيها وتلك الرحبات
التي يليق ان يتنزهوا فيها واذا كانت هذه صناعة العمل الذي نرى في الحضيض السفلي
فليت شعري ماذا يكون العمل الذي يجب ان يكون في العقد او السقف واذا كان هذا ضيا
البلاط المداس فماذا يكون ضيا الجدار وما هو بها الحيطان وزينتها اما بيان لكم انه في

الرابع

اللاهوتي في قدرة الله وسخايه ان يحفظ هناك اي علاء مسكناً احسن واكمل لنزهة
احبايه واصفيايه المكرمين لديه كمثل القديس بطرس نايبه الذي صلب لاجله وبولس
رسوله الذي ذبح حباً به وغيرهما من جمهور اصناف الاهوال وتكبدوا العذابات
حباً به والحال انه قد اسس هذه المنازل وبناها في هذه الحيوة لاجل البشر حتى لاجل
اعدايه المبغوضين منه ايضاً كمثل نيرون الملك وديوكليتيانوس وداكيوس وكراكالوس
وغيرهم اشر منهم فلنستنتج اذاً قايلين ترى ماذا تكون عظمة حسن وبها وكمال مساكن
فلا شك اذاً في انكم تعاينون وفيه
اصفياه تعالى واحبايه القديسين
تلك المدينة العظمة موسسة بنظام متساوي في اجزايها باغرب نوع يسمو على طاقة
العالم الانقى والابهى والاجل وانه لا تستطيع الميال ان تقيس دايرتها حسب خصل ميا
البني القايل انه كان ممكناً ان تدرع السموات من فوق ولا بلور يمكن ان يماثل ضيا اسوارها
ولا جواهر تقدر ان تضاهي حسن اعمدتها وقد اخبر يوحنا البشير في صح ٢١ من جليانه
انه رايها مربعة الاشكال واذا اعتبرتم العمل فيتبين لكم انه اجمل من المادة واذا لاحظتم
المادة فتستبين لكم انها ابلغ قيمة من العمل هذه هي المدينة الكلية الحسن او كما قال ارميا
النبي كاملة الحسن وتشاهدون فيها ذات ١٢ باباً متسعاً مركبة جميعها بالمساواة من ١٢
جوهرة ثمينة كما راها يوحنا في جليانه بقوله ١٢ باباً هي اثني عشر لولوة وما اظرف نقشها
وما اغرب بنيانها وما ابهى رويتها فتهتفون مع بلعام قايلين ما احسن مساكنك
يا يعقوب وخيامك يا اسرايل فاننا نعاين حسناً ان ههنا هو بيت الرب وحقاً ان
الرب في هذا المكان ما هذا الا بيت الله فلننزل الان فرحين مهللين من على المركبة
التي بلغت بنا الى ههنا ولنقرع الباب ولنهتف لكي يفتح لنا قايلين ارتفعي ايتها الابواب
الدهرية لكن لا احد ربنا ان لا تتعب في القرع والصراخ لكون ابواب السما تنفتح من ذاتها
وللوقت تخرج الى لقاكم طغمة من الملايكة حاملين الدفات الطرب يدعونكم باعذب
الاصوات واشهى الانغام وابهج الترتيل الى الدخول مخاطبين كلاً منا بما قاله عز قوله
في انجيله الطاهر ادخل الى فرح سيدك وكانهم يقصدون بهذه الكلمات القليلتان
يظهروا لكم حالاً عظمة سعادتكم المقبلة التي هي سعادة غير متناهية سعادة وافرة
لا ترام ولاجل ذلك ينبهونكم بالكلمات المذكورة اعني بقولهم ادخل الى فرح سيدك كما

لحظ ذلك القديس انسلموس على ان الفرح بما انه عظيم نظير البحر المتسع لا يمكن ان تدركوه انتم ولاجل هذا يلزمكم ان تدخلوا فيه مستغرقين

وها انذا اتركم ههنا يا معشر السامعين الاحبا لانني اراكم قد استودعتم في ايدي كذا شريفه وامينة اعني بها ايدي المليكة اما ذاك الذي انتم عتيدون ان تروه في الفردوس معهم والذي تفعلونه فيما بعد لست ادري بيرانه ليكفيني ما قد فعلت معكم من كوني اوصلتكم حتى الابواب لان الذي داخلها هو بعيد جداً عن حواسنا حسب شهادة الرسول القايل لم تره عين ولم تسمع به اذن ولم يخطر على قلب بشر ما اعده الله للذين يحبونه وما الذي تريدون ان اقول لكم انا الذليل المايس الذي ليس لي ولا جزء يسير من معرفة الاشيا السموية غير انه يمكني ان اقول لكم هذا فقط وهو انكم تدخلون وطناً جديداً خالٍ من كل ازل الحزن الى الابد لا يقبل عليكم هناك ليل يغم بظلامه ولا حر يضجركم بحرارته ولا صقيع يولمكم ببرده واما النظر فيجد هناك كلما يمكن ان يشتهيه من الحسن والسمع كلما يتوقعه من لذة الصوت والشم كلما يستطيع ان يبتغيه من ذكاوة الرايحة والمذاق كلما يمكن ان يطلبه من الحلاوة واللمس كلما يمكن ان يوثره من النعومة واما اجسادكم فانها تستحيل من قبل الضيا انور من الشمس ونظراً الى الخفة اسرع من الهوا ومن حيث اللطافة اخرق من النار ونظراً الى عدم التالم اصلد من الماس واما حيوة الانسان فتجتمع في تركيب عمر كامل حاوية من الصبوة نقاوتها ومن الشبوبية عنفوانها ومن الرجولية قوتها ومن الشيخوخة جلالها ومهابتها ولقد تشعرون هناك بنفوسكم انكم حالاً قد امتلكتم كل شي من المرغوبات فتملكون من الحديث لغات كل القبايل ونظراً الى الفهم ترجون معرفة تواريخ كل الاوقات ومن حيث التردد عذوبة كل الاخلاق ومن جهة التلحين رياقة كل الاصوات ونظراً الى الاصطناع اختراع كل مهن الصنايع ومن جهة الادراك تمتلكون دقة كل العقول فهذا جميعه يمكنني ان انذركم به وليس هذا فقط بل استطيع ايضاً ان انذركم باكثر من ذلك جداً الا انني وان انذرتكم بهذا وبكلما استطعت عليه ايضاً من الانذار فهو كلا شي بالنسبة الى الكثير الذي يبقى من الانذار ايضاً لان انه كان لا توجد في فردوس النعيم خيرات اعظم جداً من هذه التي ذكرتها فكيف كان يجوز للرسول الالهي ان يدعوها غير موصوفة بقوله كلمات سرار لا يحل لانسان ان ينطق بها والحال ان الخيرات التي ذكرتها ليست هي

98

سرار غامضة لكن الجميع يعرفونها ويدركونها ويتكلمون بها فاذاً يلتزم من باب الضرورة ان نستنتج من شهادة الرسول الالهي انه توجد غير هذه خيرات اخر عظيمة غريبة عن الادراك والوصف كلياً وانما انذرتكم فقط بما هو عتيد ان يجري لكم في ابتدا ذلك الترحيب الذي تستقبلكم به المليكة حسبما اتصوره في عقلي كانه بالحلم فيقتادونكم حالاً الى منبر الله تعالى الكلي الجلال بطريق مرصوفة من الذهب لكن قبل ان تصلوا اليه اي الى ذلك المنبر الرهيب يرونكم في الطريق واحداً فواحداً بتلك المنازل المختلفة التي عزى السيد بها بالرجا رسله المغتمين قايلاً لهم لا تضطرب قلوبكم ان المنازل في بيت ابي كثيرة الا انهم يوضحون لكم حالاً ان اختلاف المنازل هذا لا يشير الى انه يوجد خلف او منازعة بين سكانها او يمكن ان يوجد لان الجميع هناك مرتبطون بوداد مترددين من احدهم الى الاخر وفي جري ذلك فكل فرد منهم يحتسب خير الجميع خيره والجميع يعتبرون خير كل فرد خيرهم ولا تسبب الكثرة انضغاطاً وتبلبلاً وقلة نظام والسامعون لا يتعظمون على من هم دونهم بذلك ولا الدون يحسدون الاعظم منهم وعدم المساواة في المجد لا يفسخ المحبة لانه حينما يكن الاستحقاق سامياً على الطبع فما من احد من الاخوة يطلب او يستطيع ان يطلب من الميراث نصيباً اكثر او اقل مما يراه قد ترتب له من ابيه حسب العدل واستحقاقهم والنتيجة مما اوردناه ان كل شي هناك هو باتفاق والفة وسلامة وتردد المحبة ولهذا قال الله على لسان اشعيا يسكن شعبي في حسن السلام اي في سلام الانسان مع الله في سلام الدون مع العالي في سلام الجسد مع النفس وفي سلام الشهوة مع العقل فعلى هذا النسق يمكننا ان نمثل على حسب معرفتنا ان المليكة الجليلين الموكلين على اقبالكم يخاطبونكم في الطريق وحينما يبلغ جمهور القديسين والطوباويين خبر قدومكم غوجهم ينهضون ويأتون الى ملاقاتكم سرعين بجوق حافل اعظم واجل من جوق الشبان والصبيان الذين خرجوا الى ملاقات داود وهو راجع من انتصاره على جليات الجبار وما اغزر ما يكون سروركم اذا رايتم اتياً بصحبتهم واحداً من اصدقاكم الاعزا او من اقربايكم المحبوبين الذي قد كان توفي قبلكم وسبقكم الى السما فما الذ تلك القبلات الودادية التي تتقبلونه بها وما احلى السلام الذي تسلمون به عليه اذا انتم تشاهدون ذواتكم قد حظيتم بقدومكم رفقته من بكيتم على فراقه زماناً يسيراً وتخاطب وقتيذ تلك الارملة رجلها قايلةً ما هذه الغنا السعيدة التي حظينا

بهما ايها البعل الودود والابن يخاطب والدته قايلاً هل انت ههنا ايتها الام المكرمة ما هذه
النعمة التي بها تحققت ان احظى بمشاهدتك واعاينك لقد حظيت بعز وشرف
اوفر مما فارقتيني هل تذكرين ما بنا بعد الموت اترى نحظى بمشاهدة بعضنا بعضاً في
الملكوت ها هوذا الحمد لله قد اجتمعنا معاً ولا نخاف ايضاً من ان يفترق احدنا عن الاخر الى
الابد كذلك نكون مع الرب في كل حين ثم بعد ذلك اعلموا بتحقيق يا معشر السامعين
الاحبا ان فرحكم ليس يكون باقل من ذلك حينما تبصرون ايضاً ما بينهم اوليك القديسين
الذين تعبدتم لهم على الارض عبادة خصوصية وزرتم كنايسهم بخشوع وورع وصمتم
وتصدقتم على الفقرا اكراماً لهم وكتبتم او تعبتم في تقريظهم ومدايحهم لعمري ان الفرح
الذي يلم بكم من مشاهدتكم اياهم ياتون الى لقاكم سيكون عظيماً جداً ان البعض قد مضوا
من بلادهم الى اماكن بعيدة شاسعة ليعاينوا تيتوس ليبيوس الذي كان اسمه ذايعاً
في امصار الارض لوفور علمه وقد احتسبوا مشاهدته بمفردها جزاً موازياً للمشقات
والنقلات التي كابدوها في ذلك السفر الطويل فليت شعري كم يكون فرحكم عظيماً وسامياً
على فرح اوليك حينما تعاينون في الملكوت مثلاً بطرس رييس الكنيسة وبولس معلم الامم
وتوما علامة المدارس واوريغانوس واغوستينوس ويوحنا وباسيليوس الذين شرفوا الملة النصرانية
بعلمهم وكتبهم وتدابيرهم ولا ريب في ان كلاً منكم يستطيع ان يخاطب هولا وغيرهم
ايضاً من القديسين الذين احببتموهم في الارض بكلام ايوب البار قايلاً بسماع الاذان
سمعتكم لقد سمعت وخبرت عن فضايلكم وعظمتكم ومجدكم وكنت افرح واسر
بذلك فالان عيني قد ابصرتكم ولم اعد محتاجاً الان يخبرني احد لانني شاهدتكم بعيني
ولذلك ترغبون قاصدين ان تجثوا امامهم ساجدين لاكرامهم امامهم فلا يدعونكم ان
تفعلوا ذلك بل ياخذونكم حالاً بايديهم وينهضونكم قايلين لكم انكم لستم الان ممن تتعبدون
لهم لانكم قد صرتم جلساهم ورفقاهم وقرناهم فالان لستم غربا ولا دخلا كما كنتم سابقاً
بل انتم شركا اهل مدينة القديسين والذي هو ابلغ من ذلك هو انكم انتم شركا اهل بيت
الله [البعدد] اي نعم بهذه المرافقة الشريفة تسيرون وتقربون الى عرش اللاهوت
العظيم وتشاهدون من عن يمينه تعالى بفرح واندهاش لا يوصف منيراً بهياً بمجد وعزة
تفوق الادراك جالساً عليه يسوع منقذكم العزيز وتشاهدون من عن يسار ذلك

العرش السيدة عذرا الاطهر كلية الحسن والبها جالسة على البكر سيدتكم المحبوبة قدس الله
ذكرها وبعد تقدمتكم لهما الاكرام والسجود الواجب باعظم سرور القلب فالوقت يستنير
عقلكم بنور جديد بل وترون ما يقصر العقل عن ادراكه ويعجز اللسان عن وصفه وما احسن
بل وما ابهى وابهج ما تكون هذه الرويا وهي انكم ترون الله تقدست اسماوه جالساً على
عرش اللاهوت الاعظم المشار اليه انقابضياً وجلال مجد لا يكيف لانكم تشاهدونه تعالى
مثلما هو في ذاته القدوسة وكما قال يوحنا الحبيب سترونه على ما هو عليه وما هو معنى
هاتين الكلمتين يا ايها السامعون اعني بهما تشاهدون الله ليت شعري من يمنح عقلي قوة
ويهب لساني فصاحة لاستطيع افسر جزاً ما مما تشاهدونه على انكم تشاهدون ذاك
الذي كان كافياً لذاته منذ الازل خلواً من ان يفتقر الى عقل خارج عنه ليعرفه وفي ذلك [هدون]
لم تنقص سعادته لانه كان قايماً وحده ولم يخسر مجده لانه كان محتجباً وغير معروف تشا
ذلك الذي هو سعادة جميع البرايا ذاك الذي يعطي الجميع الوجود وهو لا يقبله من
احد ويمنح الجميع الحيوة وهو لا ياخذها من احد ويهب الجميع القوة وهو لا يحتاجها
من احد تشاهدون ذاك الذي في حين ما واحد هو الابعد منا والاقرب الينا ذاك
الذي لا يحصر في مكان ومع ذلك موجود في كل مكان ذاك الذي لم يكن زمن الا وهو موجود
فيه واذا شاهدتموه فلا تظنون انكم تبصرون موضوعاً من الموضوعات التي ترونها خارجاً
عنه لان هذه جميعها مخلوقة اما هو غير مخلوق فهذه هيولية وهو بسيط غير هيولي
هذه مقيدة وهو مطلق هذه محدودة وهو غير محدود هذه زايلة وهو عديم الزوال
هذه ناقصة وهو كامل ومع ذلك جميعه كلما ترونه خارجاً عنه فترونه فيه حال مشاهدتكم
اياه تشاهدونه تعالى كيف هو بمفرده يعمل في كل المخلوقات خلواً من تعب وكيف ان
كل شي من المخلوق هو فيه فتعاينون فيه كلما تستحسنونه في الشمس وكلما يسركم في النجوم
وكلما يختطف نظركم من الازهار وكلما ينزهكم في العيون وكلما يشرحكم في الهوا وكلما يقيتكم
من الماكل وكلما يلذكم في الالحان فهذه الاشيا جميعها ترونها فيه لكن ليس مثلما هي في ذاتها [هدون]
بل في حال الكمال والحسن الموجودين فيها ومن ثم لا تشاهدون فيه نقصاً البتة لكونكم تشا
فيه نقاوة خالية من كل عيب وحسناً لا يداخله انحلال ولا ذبول وقوة لا مضاد لها
وعلماً ليس له مصدر من معلم وصلاحاً لا يشوبه الم وجوهراً منزهاً عن اعراض وحيوة

غير خاضعة للموت وعلى الاطلاق اقول انكم سترونه على ما هو عليه ما اعظم سعادتكم وما اجمل
حسن حظكم ونصيبكم في مشاهدتكم هذه من تراه يستطيع ان يصف ما الذي يحدث
من قلبكم في اول هذه المشاهدة ما اعظم اضطرام المحبة التي تشعرون بها ما احلى الاختطافات
التي تعتريكم في تخضعون ساجدين باتضاع عظيم لهذه العزة العظيمة الكلية الاقتدار
وكانكم تقتبرون نفوسكم غير مستحقين هذا الخير الوسيم فترغبون تتنهدون وتبكون من شدة
الفرح الذي يشملكم لكن لا يؤذن لكم بذلك لانه هنالك على ما قال اشعيا النبي لا يسمع
بعد صوت البكا وصوت الصياح اذ ان الله تعالى نفسه يمسح بيديه الدموع من اعينهم
حتى اخر نقطة كما جا ايضاً في سفر اشعيا القايل يمحو الرب الاله الدمع عن جميع الوجوه
ولا يوجد فيكم بعد الم البكا والحزن والشكوى لانه وقتيذٍ اي عند تلك المشاهدة السعيدة
تنسى جميع الاهوال والاحزان القديمة حسب شهادة اشعيا ايضاً القايل قد صارت
للنسيان الضيقات القديمة ومن تراه يذكر حينيذٍ ما احتمله من الضيقات والعذابات
في الارض من اجل الله تعالى اتظنون ستذكرون وقتيذٍ الاصوام والمسوح والتقشفات الماضية
كلا بل اسمعوا ما يقوله الطوباويون باتفاق واحد في السما على انهم هكذا يهتفون مع داود
المرتل فرحنا عوض الايام التي اذللتنا والسنين التي راينا فيها الضر ولا يقولون عوض
السنين التي احتملنا فيها الضر بل التي راينا فيها لانهم حينيذٍ يحسبون تلك الضيقات
وتبضيع الاعضا واحراق الجسد وساير العذابات المرة التي قاسوها في الارض كانها اضغاث
احلام نظراً الى الفرح واللذة اللذين اعتقبا عذاباتهم

العدد ١١

ولقد اظن ايها السامعون انكم تشتهون الان ان تعرفوا مني ما هي العواطف وما هي الانفعال
الالفاظ التي تبرزونها عند تلك المشاهدة الشهية السنية لكن لا ترجوا هذا مني لانني غير
عارف بذلك انما اعرف فقط ما قد استعددت لان اقوله عن ذاتي اذا ما انعم علي ربي
ان احظى بتلك النعمة السعيدة وعاينت ذاتي قد حصلت على التمتع بذلك المجد العظيم
السموي اعني اذا ما حظيت بقبلة تينك القدمين الالهيين ومشاهدة ذلك الوجه المطرب
فانني لمستعد لان اناجي ربي واخاطبه هكذا ان رحمتك يا الهي قد عظمت لدي ومحبتك
توافرت علي جداً من كونك شيت ان تخلص خليقة حقيرة ذليلة نظير ما انا وانني لمستحق
ان اوقد بالف نار لا ان اتمتع بخير هكذا عظيم وانني لعالم يا رب ان انتخابك لي الى المجد منذ

الازل

الازل هو من نعمتك ورحمتك لا من قبل استحقاقي ثم اقول ايضاً مع النبي نحاني لانه ارادني
غير انني اريد ان اضيف على ذلك قولي هكذا ان هذا نفسه هو فرحي يا رب ونعيمي الاعظم
لانني لو كنت اعلم انني قد نلت هذه السعادة من قبل افعالي لما كانت حصلت لدي لذيذة
بمقدار ما هي الان لذيذة عندي لعلمي انها من كرمك ورحمتك لان ذلك يحثني على ان احبه
بقدر اعظم حباً وهذا فرحي وهذا حسبي واقول له ايضاً انني اذا تمتعت بتاملي ذاتك
القدوسة فتمتعي هذا ليس هو من قبل السعادة الواردة الي لكن من السعادة التي اراها
فيك واحب ان اخاطبه قايلاً ايضاً انني اشتهي ان ابدل عنك الف حيوة واحمل عذابات
الف جهنم وان كان عدم مشاهدتي اياك تزيدك يا الهي درجة صغيرة من المجد ولو
كان خارجاً وعرضياً فارضى ان افقد مشاهدتك السعيدة مني ولو كان بعد حصولي
عليها لا يزيد هذه الدرجة الصغيرة من المجد ايضاً فبهذه العبارات وغيرها كثيرة ايضاً
قد تهييات منذ الان ان اخاطبه عز وجل اذا ما حظيت بتلك السعادة المرغوبة التي اراه فيها
وجهاً بازا وجه وعلمت انني استحلت شياً واحداً معه بواسطة رباط المحبة وذلك حسب
تعليم ماري توما العلامة نظير النار التي تلتحف بالحديد وتلحمه هكذا يتوشح الله ويلحمني
حتى انني اتبين انني قد صرت الهاً والاله قد صار ما انا عليه كما يبان ان النار صارت
حديداً والحديد صار ناراً ولكن ما بالي احس هكذا وما بالي اهذي انا البايس الذليل بهذه
العبارات السامية وبهذه الاختطافات العلية العالي حقاً ساحظى فاين ابتهج انا الخير
العظيم واتمتع به ارى ستاتي هذه الساعة التي فيها ابتها القيود الثقيلة الضابطة روحي
متى تنكسر متى يكون لي ان اطير حراً معتوقاً لاشاهد الهي لعمري انني تايق الى مشاهدته
كما تتوق النار الى كرتها والسهام الى عرضه فيا لامتداد هذه الحيوة فيا لبعد الموت عني
ان الحيوة صارت لي موتاً والموت سيكون لي حيوة من ينقذني من جسد الموت هذا فيا ايتها
الجبال والاودية والفياض والغابات والروضات انني لست اهوى ان ارى بعد شياً مما
تختص بكم وما هو الذي لي في الارض من الحسن والبها بالنسبة الى ما هو معد لي في السما
فاحتفظوا يا ايها الولاة بولاياتكم ويا ايها الجنود بانتصاراتكم ويا ايها العلما بعلومكم ويا ايها
العشاق بلذاتكم ويا ايها الاغنيا بثرواتكم وكنوزكم على انني انا لا اغار منكم ولا احسدكم لكوني
راغباً الملكوت والسما بمفردها تكفيني لان يوماً واحداً في ديارك افضل من الالاف اذا ذوقيه

واحدة من تلك السعادة التي ارجوها في ديار الرب السموية تغنيني اكثر مما انتم فرحتم به
متمتعين جميعاً من ابتدا تاسيس العالم حتى انقضايه فيا لعظم سعادة النفس التي تتمتع
بذلك المجد يا لذة ذلك اليوم مملوا افراحاً ومسرات هذا هو يوم عيدي المعلوم الذي انشا اليه
داود النبي بقوله بوقوا في يوم عيدكم المعلوم فانا لقد اندهل عقلي يا ايها الاحبا السامعون
وغبت عن حسي ولست اعلم اين انا فلا ادري ابالجسد انا او بغير الجسد ولا اشعر
بما اصابني غير انني اعرف اني من احدى الجهات مخطوف عن حواسي ومن جهة اخرى
اعرف ايضاً انه مع انغطاسي في هذا لا استطيع بان اربح ثابتاً في عاطفة واحدة دقيقة
واحدة ومن ثم لم يعد لي ان اقول شيئاً اخر غير اني اختم مثلما ابتدات فلتكن الارض لمن يشاها
وان كان فيكم من يتوق الى ان يكون سعيداً فليقم وليجتهد لان يبلغ الى السما ولا يطلبن
سواها ممتثلاً وصية مار بولس الرسول القايل اطلبوا ما فوق لا ما في الارض

القسم الثاني

العدد

لقد سعيت حتى الان في ان ارسم لكم ابتدا توجه النفس نحو المجد السموي وذلك بالنوال الاقوى
والاوضح الذي استطعت ان اتصوره في عقلي في احدى تاملاتي الروحية التي قد مارستها
في خلواتي ولكن مع ذلك جميعه فانني ارى عياناً ان هذا الرسم يشبه قليلاً جداً تمثاله الاصلي
ان حزقيال النبي لقد رسم صورة اورشليم الارضية في لبنة صغيرة من الخزف لكن انا الخفيف
العقل قد تورطت لان ابلغ اكثر من ذلك في رسمي لكم اورشليم السموية فانتحول الان من ذلك
كم يكون قد اضحى رسمي هذا غليظاً كثيفاً ومن ثم لا حاجة لي ان يعنفني احد عن عظتي هذه
بقوله لي انني قد وعظت اليوم في بهجة الفردوس بانواع وعبارات ضعيفة لم توضح ايضاحاً
جيداً عظمة مجد السما قلت لا حاجة لي ان يعنفني احد بهذا لانني انا عالم به ومقر بذلك
لكن لا تستغربون هذا لانه من جملة الاشيا التي تفيد الواعظ لاثبات عظمة الموضوع هي
عجزه عن ان يستوفي كلما يحوله اي لذلك الموضوع واذا تكلم فيه قليلاً لقلة علمه به وخبرته
فبلا ريب ذلك لينتج نتايج عظيمة فانا عالم بانني لم اشرح حتى ولا القليل اليسير من الخير العظيم
الذي يفوز به القديسون في السما ولكن فلتحتسب انه ليس لهم في السما سوى الذي شرحته
لكم فهلا تبين لكم هذا الخير انه هو اهل لان يبتاع باية نفقة كانت وكم بالاحرى اذ هو
عظيم فايق على ما خاطبتكم به فوقاً هذا اعظم مقداره حتى انه كل شي شرحته لكم هو كلا شي

بالنسبة

بالنسبة اليه وان كان مع ذلك ترتابون في هل ان هذا الخير وحده الذي خاطبتكم به وشرحته
لكم يستحق ان يبتاع باية نفقة كانت ام لا فها انا مستعد لان ازيل ارتيابكم هذا واني
افنده بمثل واحد فقط قد استفدته من القديس يوحنا الذهبي الفم وهو قوله هذا انني
اذا وعدت جميع الشيوخ الذين طعنوا في ايامهم الموجودين هنا في هذه الكنيسة قايلاً لهم
هذا الا غير وهو انني انزع من وجوهكم الهرم ومن جباهكم الاسارير ومن روسكم الشيب ومن
بدنكم الانهزال والضعف واردكم بعد ذلك الى شبوبية زاهرة نضرة تستطيعون ان
تعيشوا بها ايضاً اصحا اقويا متعافين بتمام بعين الف سنة من عمر جديد فليت شعري
ما الذي لم تعطوني اياه لقد سمعت وانا شاب من اناس اخبروني عن رجل شيخ يقال له اسون
انه لكيما يجدد شبابه ارتضي ان ينضح عليه كله نار وكبريت متقد وهو داخل مرجل يغلي
ثم قدم عنقه فرحاً مسروراً الى عجوز ساحرة اسمها ماديا لتخرج منه دماً لانها كانت قد خدعته
ووعدته بانها تسكبه وتجعل في عروقه دماً جديداً بمقدار ما تخرجه من عنقه لكن لا
حاجة لنا الان نتنازل ونستمع الحكايات الباطلة الازرى بعيوننا كم يتعب البشر لكي يمدوا
في حياتهم ولو سنة واحدة فقط وكم ينفقون لذلك اما نشاهدهم يبلغون الى ان يعطوا ثمناً
وافراً اجرة لمن يجرحهم ويقطعهم بالحديد ويكويهم بالنار ويزعجهم بالمعاجين التفهة
الكريهة ويعذبهم بالشربات المرة زد كم من المال اعطى انتيغونوس لارسيستراتوس
طبيبه وكم منح ذهب فلاريدس لبولكادس طبيبه ولكن فلنعرض عن ذكر الاخبار القديمة
اما هو معلوم عندنا ان لويس الحادي عشر سلطان فرنسا لاجل رغبته المفرطة الى امتداد
الحيوة كان يمنح طبيبه في كل شهر عشرة الاف غروش وينيف مع انه لم يكن يقدم له غالب الايام
سوى اكره الادوية وامرها ذوقاً وطعماً فاذاً لو ترجون مني تجديد شبابكم واطالة عمركم كما قلنا
انفاً لما كنتم تمسكون عني شيئاً اصلاً ولعمري لم تكونوا تقبلونه مني فان قلت لكم ميزاً انه يلزمكم
لذلك ان تصالحوا عدوكم ذاك وتصفحون عنه كلياً وان تبطلوا الشتم والتجديف من
افواهكم وان تقطعوا العشرة الردية مع ذاك الشخص المغرمين به فلا ريب انكم كنتم تقبلون
كلامي وتطيعون نطاعة كلية بل كنتم تستسرون سيف القديسين ومن مقالة القديس الذهبي
فم ان انكي تحصلوا على الوعد المذكور لتفعلون كل شي وتهرون به وتحتملون كل عذاب يعرض لكم حبوا في
الدنيا اذا كنت لم ابين لكم شيئاً من الخيرات التي في الفردوس الا ما بينت لكم اقلها لكون هذا الشبوبية نضرة

غير متغيرة دايمة الى الابد اعني نعيم هذا الحق لا شي به شك لان الكتاب المقدس يشهد قايلاً لا يتجدد
فيجب اذاً ان يكون هذا فقط لان يضرم في قلوبكم شوقاً حاراً في الفردوس ويجعلكم تستهلون
لاجله كل تعب وتستعذبون كل عذاب ولكن لعلي انا اكتفيت بهذا فقط والحال انني
فضلاً عن ذلك اوعدتكم بمعاينة هذا المقدار من الافلاك البديعة الحسن وبامتلاك عالم
لا يعد ورفقة قديسين وابطال لا يحصى عددهم وباختلاف هذا المقدار من الملذات
وبحصول هذا المقدار من العلوم وبحسن وجمال الاجرام وفوق كل شي وعدتكم بمشاهدة
ربكم مواجهة التي وحدها فقط تكفي لان تملا قلوبكم وتشبعها من الاشواق والملذات
الراهنة لانها على ما قال مار بولس الرسول تفعل كل شي بكل واحد فهل عاد يمكن ان
تتهاونوا عن ان تفعلوا لاجل هذا الكثير ما تفعلونه لاجل ما هو اقل منه

العدد

وما بالي قلت هل يمكن والحال ان هذا لهو شانكم يا ايها السامعون وهو ان تعتبروا اخيراً ان هذه
الارض التي هي اقل وادنى من خيرات السما بلا قياس التي يحق لها ان تلقب بالرويا الكاذبة كما لقبها
بذلك ابن سيراخ الحكيم وتشتهونها وتبتاعونها باغلى ثمن اما خيرات السما فلا بل اذا الجات
الضرورة الى التفضيل ففي غالب الاوقات تفضلون تلك الزايلة الفارغة على هذه الراهنة
الدايمة والذي يطرح وينبذ اولاً هو الملكوت فاذا اضطر المسيحي مثلاً ان يخسر اما الملكوت
او فضة فيقبل خسارة الملكوت ولا خسارة الفضة او اذا التزم ان يفترق اما عن الملكوت اما
عن امراته فيحب ان يفترق عن الملكوت ولا عن امراته او اذا اضطر ان يتنزل اما عن الملكوت او عن
كرامته فيسر ان يفقد الملكوت ولا كرامته فيا للعجب في ذلك ايها السامعون على ان التاجر اذا
كان مسافراً في البحر وعرض في السفينة اضطراب عظيم فحصلت على خطر الغرق فانا اعلم
انه يفرغ جهده كله اولاً في ان يحفظ بضايعه كلها لان جميعها كريمة لديه وقد عانا تعباً
جزيلاً في وسقها لكن اذا تعاصفت الرياح واضطربت السفينة وتعالت الامواج وصرخت
النوتية ودنا خطر الموت واضطر من قبل هذا جميعه ان يلقي في البحر بضايعه ماذا يفعل العله
يضع اليد على البضاعة الاغلى ثمناً ويلقيها في البحر حاشا لكن يشرع اولاً في القا ادنى البضايع بوجه
عبوس وبيد مرتعشة فيحمل اولاً الصندوق القماش الدني او الجوخ الاردى ويطرحه في البحر ثم ان
كان النو لم يسكن فيحمل صندوقاً اخر من الحرير فيلقيه وان كانت الامواج تتهدد ايضاً فيحمل
صندوقاً اخر من العطور وينبذه في البحر واذا بقا العلبة من حجارة كريمة فهل تراه يرضى بان

يلقيها

يلقيها غنيمة للامواج ولو ان البحر يهدد ويزمجر وكانه يطلبها منه فانه لا يحب ان يعطيه اياها
بل يسترها ويخفيها باحتراس عظيم ولكن اذا اطلعت عليها النوتية العازمون على تخفيف السفينة
بالقا جميع الوسق خوفاً من الموت والزموه بالقاها فانه يحملها بيديه ويضمها الى صدره و
يبلها بدموعه ثم يتقدم الى حافة السفينة ويبسط يديه خارجاً عنها مرة واثنتين ليلقي
العلبة في البحر والوقت يندم فيردها مرة ويرتد الى السفينة واحياناً يود ان يغرق مع جواهره
ولا يعيش بدونها فيا معشر السامعين المكرمين انه لا يمكن صدور حادث ما اصلاً يباح لنا فيه
ان نلقي الملكوت ونفقده متشبهين بمن وصف التجاريب الضاغطة ولو مهما كانت لان
الملكوت غني كريم جداً وافضل من جميع المثمنات وكل شي لا يساويه فهو اثمن من المال واثمن
من الملذات واثمن من المراتب واثمن من الكرامات بل واثمن من الحيوة نفسها ومن ثم يقول القديس
اغوسطينوس انه يمكن ان يربح لكنه غير ممكن ان يثمن فان كان ذلك كذلك فليت شعري ما هو
السبب في ان البعض منكم يطرحونه قبل كل شي ويفضلون فقده على فقد ساير الاشيا قايلين
فلنحفظ الان كراماتنا ولنحفظ مالنا ولنحفظ الانتقام ولنحفظ المحبة والقرابة والعشرة ولو
ابتعدنا عنه واما الملكوت فسياتي فيه بعد وقت وح سنتفكر فيه سنعترف فيما بعد سنرجع
فيما ياتي من الزمن سنجتهد ان نعود ونرجعه بعد فقده لان رجعه ممكن في كل وقت يا لها
من غباوة كثيفة يا له من جنون مريع يا لملكوت غير معروف متهاون به يا له من ملكوت محتقر
من البشر يا للعجب كيف يمكن ان يوجد كل يوم هذا المقدار من البشر الوحشيين وهم الذين
يماثلون الحيوانات المحتقرة ولا يحبون ان يرفعوا اعينهم من الارض بل لم يزالوا منغمسين بها ومن
جرى ذلك يصرفون همتهم وافكارهم وحديثهم وعملهم كله في الارض ولاجل الارض فهل ترانا
نحن نرتضي بان نكون من عدد هولا الحيوانيين لا يكن ذلك بل فلنطلب الملكوت ولنعزم
جميعنا من هذا النهار عزماً ثابتاً على ان ننبذ كل شي تستطيع الارض ان تقدمه لنا ولنرفع
عيوننا وقلوبنا الى السما وليقل كل واحد منا في نفسه لقد قيلت فيك المسبحات يا مدينة
الله اي نعم قد قيلت فيك المسبحات ومن ذا يستطيع ان ينكر ذلك لكن وا اسفاه على
لقد تاخرت عن معرفة هذه المسبحات التي قيلت فيك يا ايتها المدينة الجليلة الشهية
واذ كنت فيما مضى قد فضلت [illegible] على محبة الارض فذلك قد صدر من قلة معرفتي
اياك فقط اما الان فتراني لا يستطيع ان نفترق عنك هل اضر كلا لانك انت ستجلبين لي

من لمان فصاعدًا فرحًا مستعذبًا ام هل ضيق كلا لانكِ انتِ تبدلينه لي براحة لذيذة
ام هل جوع كلا لانكِ انتِ تشبعيني بمن المن الحلو الشهد ام هل خطر كلا لانكِ تحلّيني
في امان غير متقلقل ام هل طرد كلا لانكِ انت تعوضيني عنه بالنصرة والمجد فمن ذا اذا
يصدني عنكِ هل سيف حاشا وكلا فالسيف ايضًا لا يصدني عنكِ يا ايتها المدينة السموية
الحسنة لانكِ انتِ تبدليها لي بولادة السيف ذهبًا وهذه اشعة وضربة اكليلًا فما اصدق
واحق ما قيل ان اوجاع هذه الدنيا لا توازي المجد العتيد ان يظهر فينا وانما قيل فينا لان مجدك
لا يكون خارجًا عنا كمثل المجد الذي يلم بنا في هذه الارض لكنه يكون داخلنا ويظهر فينا انني
اتوق متلهفًا اليكِ ايتها المدينة المقدسة السموية ليلًا ونهارًا لانني لست استطيع في هذا
الوقت ان اكشف النقاب لابلغ اليكِ واراكِ مواجهة غير انني اضع نبكِ افكاري وارفع اليكِ
قلبي واقدم لكِ روحي فيا لسعادتي لو تم تضيفي بان تقبليها الآن ولا ان تم ترضيني بان اصعد
اليكِ واتمتع بكِ في هذه الساعة فسامكث في هذا المنفى الذي هو بموضع غربتي ولكن ماذا تكون
غاية مكثي ثم انما تكون هذه وهو ان انادي واعرف الجميع بان اشعيا اصاب حينما قال على لسان
اشعيا نبيه مخبرًا عن مختاريه بانهم لا يتعبون من اجل العبث وذلك بقوله ومختاري لا يعملون
بطلانًا فليأهلنا الله تعالى الى التمتع بهذه السعادة السموية المؤبدة باستحقاقات دمه الكريم
الذي اهرقه على عود الصليب بشفاعة والدته وجميع القديسين امين

العظة الحادية عشر

للاثنين الذي بعد الاحد الثاني من الصوم المقدس تشتمل على ايراد براهين مقنعة للخطاة
الذين يؤخرون توبتهم الى ساعة موتهم لكيما يزيلوا هذا الضلال عن نفوسهم ولا يوجد احد
منهم عنده مانه معذورًا فان اولئك الخطاة الذين قد غرهم املهم الباطل

تطلبونني وما تجدونني وتموتون بخطاياكم هكذا كتب مار يوحنا في فصل ٨ من بشارته

العدد

انه لمن عادة الناس المتخاصمين اذا ما انتهى امرهم الى الصلح والمسالمة فيجتهد المهين ان يكون
هو السابق لطلب الاصطلاح من المهان لا المهان يسبق ذلك الذي اهانه هكذا صنع هذا هيذار
ملك دمشق كما ذكر الكتاب المقدس عنه لانه كان قد اغاظ اخاب ملك اسرايل وحمض على الحرب
مفتريًا عليه ولما قصد فيما بعد ان يكون الصلح ما بينهما فكان هو المبتدي بذلك لانه ارسل
من قبله عبيدًا لابسين مسوحًا في اوساطهم وحبالًا في رقابهم الى اخاب المهان وامرهم ان

يجثوا امام قدميه ويطلبوا منه الصلح ولكن هذه العادة لم اعاينها تجري بينكم وبين
الله تعالى في ايامنا هذه ايها السامعون بل يجري الامر بالخلاف فانطقوا بالحق قايلين من منكما
المهان من غيره انتم المهانون من الله تعالى ام الله هو المهان منكم لاريب في انكم انتم الذين
اهنتموه واغظتموه باهانات متعددة وباهضة وكيف لا والحال لقد اهنتموه بالفكر والقول
والفعل ومن هنا يقتضي الحق والصواب ان تكونوا انتم السابقين بطلب الغفران وترسلوا
اليه قصادًا يلتمسون منه نيابة عنكم باعظم الاحترام وابلغ الخشوع الصلح والمسالمة ومع
ذلك جميعه فهانني ارى ان الله جلت مراحمه قد سبقكم بطلب الصلح وقد ارسل اليكم قصادًا
في شخصنا نحن عبيده الذليلين ليخاطبوكم بخصوص هذه المسالمة كانه هو الذي اغاظكم و
اهانكم لا انتم الذين اسخطتموه واغظتموه لكن مع حلمه هذا وتنازله العظيم معكم لقد خشيت
ان اعرف قليلًا هل حقًا تم الصلح ما بينكم وبينه تعالى فنظرًا الى ما عاينته من الخشوع والحرارة
ومداومة زيارة الكنايس ومواظبة استماع الوعظ وبقية افعال التقوى التي استبانت في
غالبكم في هذه الايام فانني اصدق بسهولة ان الصلح قد تم وكمل ولكن لا في جميعكم لان البعض منكم
لم يبرحوا مستمرين على حالتهم الرديئة وهم الاوفر عددًا الذين يتهاونون بهذه الفرص المناسبة
للاصطلاح مع الله تعالى بزعمهم انه سوف يكون لهم وقت ملايم لهذا وذلك حينما يمرضون
ويدنون من الموت ولهذا قد انذرني السيد المسيح في هذا الصباح ان اقول لهم واضحًا انكم
يا هولاء المغرورون لانكم ان كنتم تعرضون عن المسالمة معه تعالى في هذا الوقت الذي فيه هو
يطلبه منكم فهو ايضًا سيأبى من ان يرتضي بمسالمتكم حينما ياتي وقت وتطلبونه فيه على انه
سبحانه قال تطلبونني وما تجدونني وتموتون بخطاياكم الا واسفاه العل صوت هذه المناداة
المرهبة المذهلة تغير كفايا لان يخيفكم ويحركم يا ايها الخطاة القساة القلوب اعني بقوله تعالى
تموتون بخطاياكم فان كنتم فهمتم معنى هذه الاية وهي تموتون بخطاياكم فكيف انكم تصرون
على ان تقولوا انه لا يلزمكم ان تسرعوا بالتوبة والرجوع الى الله تقدس اسمه لزعمكم الملتوي
وهو ان الخلاص لا يقتضي ان يستغرق الانسان سيرة القديسين بل يكفيه ان يموت موتًا صالحًا
بالانخداع عقلكم الغبي يا لها من مشورة عمياء مظلمة يا لها من مقاصد ذات جنون كيف تستطيعون
ان ترجوا هذه الموتة الصالحة ان كان ذلك الذي له ان يهبكم اياها ينكرها عليكم وينذركم
بالفاظ واضحة بينة غير مرتاب بها انكم سوف تموتون مع الخطايا وذلك بقوله تطلبونني

وما تجدوني فيه وتموتون بخطاياكم ولكن لئلا تظنوا اني في قصدي بهذه المرة ان اقنعكم
بالصراخ لا بالبراهين فانتقضوا عقولكم واسمعوني باصغا حسن لانني عرضت اليوم على ان
ابقيكم في هذه الكنيسة لا لاستماع الوعظ لكن لاستماع الفحص الذي اريد اماريه معكم فيما
يخص توبتكم ورجوعكم الى الله وهو مضمون خطابي معكم الان لكوني مستعد لان اعرض
تجاه الجميع هذا العمل العظيم اي عمل توبتكم وارتدادكم الى الاستقصا والفحص فحصا مدققا وان
تبين لكم بعد ذلك انكم سالكون بحكمة بتاخيركم التوبة الى اخر حياتكم كما انتم متفكرون فاتركم
على هواكم ولا الزمكم بان تسرعوا في ان تتوبوا لكن اذا شاهدتم باعينكم غروركم وخداعكم هذا
فاني لواثق انكم لا تستطيعون لانفسكم بان تتغافلوا في مدة خطابي معكم بهذا المعنى بل الاولى ان
اقول اني اطلب اليكم بان تصلحوا غروركم هذا الجزيل الضرر وذلك حذرا من ان تتظنوا وتحسبوا
انتم ايضا في عدد الخطاة الضالين المخدوعين بهذا الرجا الباطل

العدد ٢

ولكن قبل ان نتقدم الى ما قدام في الخطاب فها انا اسالكم قايلا أمنكم من استطاعته ان ينجي نفسه سريعا من خطر
ما جسدي يكون حاصلا فيه ومع ذلك يتهاون عن نجاته قصدا وتعمدا واي معتقل في سجن ضيق يمكنه ان
يحل القيود من رجليه ومع ذلك يتماطى عن اطلاقه واي عليل يستطيع ان يداوي مرضه الوبيل الذي
يعرف معاناه داخلا ومع ذلك يتوانى عن علاجه واي غريق له مقدرة على ان ينجو سالما الى الميناء وهو
يحب ان يستمر ضاحكا متقلبا ما بين الامواج ثم اخاطبكم قايلا ان كان منكم له استطاعة الان ان يرتب خلاص
نفسه بحالة في امان باوفر السهولة فهل يسوغ له الان ان يبقيه متوانيا به الى وقت اخر من منكم
يتامل صنيع فرعون الملك المتمرد في ضربات مصر المشهورة ولا يندهل من وفور جنونه على ان
موسى النبي قال له هكذا اسمع يا ايها الملك وافهم انه لابد لك قصاص عظيم ان لم تطلق
شعبي ليذهب ولست اجمع لتدميرك جيوشا متسلحين من اشجع الجنود ولا اتي بالصواعق من
السحابات الكثيفة ولا ادعو الاسد الضارية من مرابضها ولا الضباع من اوكارها فجميع هذه
المذكورات لا افتقر اليها في تدميرك وخرابك وانما لكي اورثك اعظم خجلا وخزيا ساجعل
ان يخرج من الصهاريج الموحلة من الضفادع وهذه الحيوانات الضعيفة الحقيرة تتجاهد
معي ضدك وتحاصر قصورك وتملك منازلك وتطردك من خدورك فضحك فرعون من هذا
الوعيد غير ان ضحكه لم يستمر زمنا كثيرا بل قد استحال الى بكا ونوح لانه لما امر موسى
خرجت من جميع الخنادق والانهار والعيون جيوش لا تحصى من ضفادع برعدة باز دحام

عظيم

عظيم وتفرقت في المدينة شبه الجنود اذا ركضوا بهجمة جزيلة الى النهب وملكت الشوارع
وسدت الطرق واقتحمت البيوت وكانها انتصرت على مدينة الاعدا تقدمت الى البلاط الملوكي
واقتحمت على فرعون وهو جالس على سدته الملوكية سدة العز والجلال ولما كان يجري
ليختفي فكانت تلزمه ان يلج مستقرا في اخفى المخادع الا ان ذلك قد كان يحدث منه عبثا
ولما كان يجلس ليأكل فكانت تلزمه ان ينهض من عن المايدة ولما كان يقصد ان يضجع
فكانت تضطره ان يقوم من فراشه مغضبا فافتكروا الان كيف استحال ضمير فرعون
لما شاهد حياته مضبوطة في حصار كذا متعب مضغط مولم فارسل وتبيذ ودعا موسى
وكانه ندم على قساوة قلبه وغيه الفظيع قال له هوذا انا مسلم لك وراضخ لسوالك اطلب
الى الهك ليرفع عني هذه الشدة وانا افعل مهما تريد صليا للرب ليرفع الضفادع عني
وعن شعبي وانا اطلق الشعب لكي يقدموا ذبيحة للرب اما موسى بما انه كان يريد اصطلا

ح

هذا الملك المنافق لاهلاكه فاجابه انني رضيت لان اصلي لاجلك لكن قل لي متى تريد انت
ان اصلي من اجل نجاتك فتستجاب حالا قرر معي متى اصلي من اجلك ومن اجل عبيدك
وشعبك لتطرد عنك الضفادع فوقف ح فرعون متحيرا متميزا قليلا ليفكر في الزمن
ليعتمد عليه ثم اجابه قايلا في الغد اريد ان تصلي من اجلي فقال له غدا وهكذا تم وجرى
فيا ايها السامعون المكرمون ايوجد فيكم احد يستمع هذه القضية ولا يتعجب من هذيان
فرعون وجنونه تبا له من انسان غبي عديم الرشد والحس وكيف لا والحال انه كان
حاصلا في ضيق مر ومحاطا من اعدا قساة لا مناص له منهم البتة وخاليا من مكان يمكنه
ان يختفي فيه دقيقة واحدة من كرب تلك الحيوانات الكريهة التي احالت مخادعه الى
محاقن وفرشه الى دامات وكانت تصرعه من فزع اصواتها وتوله بمشاهدتها وتعذبه
بنتانتها وقد كان ممنوعا من الماكل والمشارب وعادما راحة الرقاد حتى استنشاق الهوى
ومع ذلك جميعه لما قدم له الوقت لينجو سريعا متى شاء فهل يليق به انه يتهامل ويتاخر الى
الغد قايلا غدا ولماذا لم يقل اليوم كيف يمكن وجود هذا التهاون والفشل في مثل هذه الاخطار
العظيمة وهذه الضيقات المولمة فلو لم يكن في يمكنته ان ينجو حالا لكان بما يعذر الان
موسى لم ياجل له الوقت بل خيره ان يطلب الوقت متى شاء وكيفما شاء قايلا قرر معي متى
اصلي من اجلك وكانه يقول له ان الاختيار هو لك فلك الرضى وعلي الصلوة فان حدث

الآن انا اصلي من اجلك لتنجو فانا اصلي وللوقت تزول هذه الشدة وهذا مفهوم من
قوله له قرر لي متى اصلي واما الغبي فرعون فيقول غداً لعمري ان جميعكم تندهلون من توانيه
بل جنونه هذا الغريب وربما تحزنون عليه ايضاً اما الذي يجب لنا ان نستنتجه من ذلك
فهو هذا وهو انه ان كان يجب ان يعتد جاهلاً غبياً جداً من يتهاون هكذا بخلاص حيوة
جسده ترى ما الذي تقولون عنكم انتم الحاصلون في خطر فقد حيوة نفوسكم لا حيوة الجسد
والمكتنفون على الدوام لا من ضفادع حقيرة دنية بل من الابالسة الطالبين الغير المنظورين
الذين يتوقون في كل وقت لان يسلبوا نفسكم من جسمكم ويزجوها في العذابات انتم
العارفون بنفوسكم انكم عاصون على الله ومن الملكوت منفيون ولها وبجهنم مستوجبون
ومع ذلك جميعه تتغاضون وتتهاونون بالفرار من هذه الحالة المرعبة والمهلكة افلا
يوجد لكم انتم ايضاً مثل فرعون وقت ملايم للنجاة في اي زمن اردتم والحال انكم غير خالين من
انبيا والذين نظير موسى يقدمون لكم نفوسهم في كل وقت لينجوكم قايلين لكم ايضاً قرروا معي في
متى نصلي من اجلكم هاهوذا الكهنة يجلسون في كل وقت مستعدين لخلاصكم في كراسي الاعتراف
فهنا يوجد الهرب الاكيد والاعانة المحققة ولا يحتاج الى شي اخر سوى ارادة الخاطي في ان
يلتجي اليه فما الذي اذاً تنتظرون ايوجد فيكم من يجيب قايلاً غداً لكن وا اسفاه عليكم يا ايها
الخطاة القساة المتمردين انا اعلم ان هذه هي لغتكم الدارجة الاعتيادية غداً لا اليوم لاني
اذا كلمت واحداً منكم وقلت له يا مولاي انت متعرقل في هذه العشرة الردية مع تلك المراة
الشقية بانها اثيمة غير لايقة بشانك وقد انقصت الى الان شرفك ولعلها معافيتك ومالك
ولم يبق لك سوى النفس فانتبه اذاً لها اما تريد ان تضعها في طريق الخلاص قرر معي متى
تشا ان تباين هذه العشرة الدنسة وتنقي الضمير وتعود الى ربع النعمة الالهية فيقول غداً
لانني انا الان لا ازال صحيح البدن وقوي الجسم فمتى ما ضعفت ودنوت من الموت فحينئذ انتبه
الى نفسي ومثله اذا فحصت غيره وقلت له يا حبيبي انت حافظ في قلبك البغض والعداوة
نحو غريمك وقد ازعجك هذا الالم حتى الان ولم يدعك تستريح لا في شبوبيتك ولا في
رجوليتك وهاهوذا بلغت الشيخوخة اما تحب ان تقضيها بالراحة والسلام قرر معي
متى تريد تنزع من قلبك هذا الحقد لكي نسعى في اصطلاحكما ونوفق بينكما فيقول غداً
لكون قواي اليوم قوية فاذا ما وافاني الموت فاني اغفر له يا لعماوتكم ويا لغباوتكم ايها الحكما

ما هذا القول غداً والحال انه هيهات ان تحصلوا غداً على ما ترغبونه فافعلوا الان ما
يلوح في ضمايركم من التزعموا اشهواتكم ولا ملكم الشيطانية ولكن تمهلوا علي قليلاً واجيبوني
على السوالات التي انا مستعد لان اعرضها عليكم وقاصداً ان اغمركم بها ::
العدد
انني اسالكم فاجيبوني يا معشر الذين تحسبون انكم ستفعلون مثل هذه الاشيا العظيمة هل
حصلتم اولاً على الخبر الشافي من خصوص المرض الذي سوف تموتون به لا شك في انكم تتوهمون
باطلاً نظراً الى ما تتوقعونه من ان مرضكم الاخير عتيد ان يكون نظير مرض الطير المدعو شاهين
اي السقر اعني مرضاً هادياً ممرحاً غذياً لا يزعجكم ولا يتعبكم ولا يبلبل عقلكم اصلاً وانكم ح اي حين
تلك الساعة تفوزون بارواح حية وخواص اكثر صحة من ساير ايام حياتكم فيا للتغافل الغرور
الساقطين فيه ايها الجهلة الاغبيا ليت شعري اي طبيب من الماهرين الحاذقين حقق لكم ذلك
اما قال الله عز قوله في سفر الجامعة ما يعرف الانسان وفاته لعمري انه لقد يمكن ان اتيتم امركم
بعكس ما تحسبون اعني ان يكون مرضكم حمى قوية تغيبكم بغتة عن حسكم وتلقيكم في هذيان
ودوخة وسهو ويمكن ان يجلب عليكم سباتاً عميقاً يرقدكم رقاداً لا تنتبهون فيه بتة و
يمكن ان يكون تشنجاً او خنقة او تالم قلب شديد يعرقكم باطناً لا يدعكم تتلفظوا كلمة واحدة
او يمكن ان يكون فالجاً او يحدث لكم عارض اخر بغتة يعدمكم الحيوة من غير ان تفطنوا به
وان كنتم تسلمون من هذه الاعراض المتقدم ذكرها كافة اما يمكن باعظم السهولة ان يكون
مرضكم الاخير وجع راس عضال يصرعكم ويبلبل عقلكم ولا يدعكم تجمعوا فكراً واحداً فقط فلما
تموهون لعمري انكم ولو ادعيتم بانكم مركبون تركيباً شمشونياً فمع ذلك ليس لكم ولا دليل واحد
اكيد على انكم لعتيدون ان تسلموا من جميع هذه الاعراض المشار اليها او من غيرها التي تصادف
البشر يوميذاي في يوم وفاتكم بل اقول ايضاً انه ينبغي لكم ان تصدقوا ابقراط الطبيب القايل
ان الامراض الغريبة تدرك الابطال ذوي القوة الشديدة اكثر مما تدرك الضعفا والنحيفي
المزاج لانه يجري في حيوة الجسد نظير اوتار الات الطرب فالتي هي منها مشدودة اعظم شداً
وتعطي صوتاً اقوى من غيرها فعليها يكون خطر القطع اعظم فمن هنا اعيد سوالي عليكم واقول
باية حكمة تلقون رجاكم بالتوبة الى مرضكم الاخير والحال انكم لا تعلمون حتى ولا اي مرض هو عتيد
ان يلم بكم لكن هات نسلم لكم انه يعرض لكم مرض يستمر لكم فيه التسلط على ذواتكم غير انه سوف
اخرى
يدرككم خطر اخر اعظم ايضاً وهو هذا اي انكم لا تعلمون هل هذا المرض الاخير هو في حياتكم ام

لا ومن قبيل ذلك تتوالسون على نفوسكم وتخادعونها نظير المسافر المتواني الذي اذا وصل الى
نهر جاري وابصر امواجها كثيرة في اثر بعضه فيسير كم خطوة على شطه قايلاً في نفسه انني
ساقطعه من غير هذا المكان وبعد ان يمشي ايضاً كم خطوة فيقول انني اقطعه من غير هذا
المكان ولا يزال ينتقل من موضع الى غيره حتى لا يعود يجد طريقاً يسلك فيه ولا فلكاً يركبه
فيعبر النهر واذا افترضنا ايضاً انكم تحظون حظوة فريدة على ما في هواكم وتستطيعون
ان تفعلوا ما في ارادتكم عند مرضكم الاخير فما هي الواسطة التي ترجون انكم تستعملونها وقتيذ
لتخلصوا نفوسكم اليس هو الاعتراف الشافي المدقق ولكن من يقدر يصدق بانكم في ذلك
الوقت الاخير متحيا انكم الذي فيه لا يخلو العقل من العربسة والاضطراب والاختباط والانزعاج
يمكنكم ان تستعدوا الى هذا الاعتراف بفحص الضمير الدقيق ثم تباشرونه بالاقرار الواجب بخطاياكم
موضحين انواعها وظروفها وتوردون عددها مفصلاً ولكن ربما تقولون
اننا نستطيع ذلك حتى ولو لم نستطعه فلا حاجة لنا اليه لاننا نعلم انه في غشا الموت ولين
عجزنا عن التلفظ يكفينا لنيل الحلة من الكاهن الاشارة او احنا الراس او ضميد الكاهن او القرع
على الصدر اهاً منكم يا ايها المسيحيون لعمري انه لا يمكنني ان استمعكم تتفوهون بهذه الاقوال
الملتوية الا واستوعب حزناً وتحسراً بل اذرف ايضاً من عيني دموعاً سخينة على غروركم هذا
المهلك ما الذي تقولونه ايها الاشقيا ما هذه الالفاظ الخارجة من افواهكم المفعمة جنوناً من ذا
الذي اعدمكم العقل والصواب حتى اضحيتم تتكلمون عن نفسكم كانها نفس شخص غريب او نفس احد
اعدايكم لا انفسكم من ذا الذي اضلكم بقوله انه يكفي في غشا الموت الاعتراف بالاشارة او بالايما لنيل
الحلة من الخطايا لكن فلندع الكلام هنا ثم نسالكم هل انه يكفي ذلك لنيل الحل من اي اثم كان ولو كان
الاثم فظيعاً من اي كاهن كان فان كان ذلك كذلك حسب زعمكم فقد ضل اذاً الملك انتون الثالث
ذلك الذي لما قصد ان يقبل الحل من خطية الظلم التي ارتكبها سراً بقتله انساناً اما ارتضى ان
يحتمل من القديس رومالدوس هذا القانون الشاق وهو ان يذهب حافياً ويزور دير جبل غرغان
ويستمر فيه ٤٠ يوماً لابساً المسح على جسده وصايماً على الخبز والماء راقداً على الحضيض بل ما اغر
سذاجته وما اقل حكمته اما كان يستطيع ان يوخر توبته مثلكم الى اخر حياته ومن ثم ينال باشارة او
احدة او بقرع الصدر ما قد الزم نفسه للحصول عليه بالقانون الشاق المتقدم ذكره وينجو من
كل هذا التعب والعذاب وما الذي اقوله ايضاً عن يوتاميوس المتولي على كنيسة بزنطا ذلك الذي

العدد ٤

لما تاه وسقط في هذه الخطية الدنسة اعترف بها اجهاراً في مجمع توليد الملتيم فيه جمع غفير
من الكهنة والاساقفة والشعب ليرعى من ذلك خجلاً وخزياً اعظم اما كان خسيف العقل لكونه
لم يوخر الاقرار بخطيته منتظراً الساعة الاخيرة من حياته ثم ماذا اقول عن فبيولا المراة الرومانية
الشريفة التي بعد ان اجترمت ضد حق كنايسي ذهبت وسجدت على اعتاب كنيسة لاترانس
التي من شانها ان تحوي جمعاً غفيراً واعترفت هناك بخطيتها وذلك بل تحف بها الحيا والخجل
تجاه الشعب الجزيل عدده اما كانت تستطيع نظيركم ان تاخر الاعتراف بها للكاهن سراً
عند حلول غشا الموت ولا ان تحمل نفسها هذا القانون ولكن من حيث ان هولا الاتقيا
المتقدم ذكرهم قد رقدوا ولستم تستطيعون بعد ان تفيدوهم بتعليمكم هذا الردي في تاخير
الاعتراف والتوبة الى اخر الحيوة فهما لكم اناس غير اوليك احيا فلماذا لا تسرعون اليهم وتبلغوهم
هذا التعليم اعني بهم اوليك الزوار المساكين الذين يقبلون كل يوم من بلدان شاسعة من
وراء جبال الالبي قاصدين زيارة بيت العذرا في مدينة لوريتو وزيارة الاماكن المقدسة التي في
رومية ليستمدوا في محكمة الاعتراف العليا مسامحة الخطايا المحفوظة لها فهولا المساكين
يتكبدون اتعاباً كثيرة شاقة ويطرحون نفوسهم في مخاطر متعددة ويلتزمون بنفقات
وافرة لاجل الطريق فاذهبوا اليهم وصدوهم وقولوا لهم ان اتعابهم هذه باطلة وهي صادرة
من عدم علمهم في السر الخفي المتطلع عليه انتم وليقل لهم البعض منكم انا ايضاً موقر
ثقيل من الخطايا مثلكم ومع ذلك جميعه فاني لا ابالي من ذلك ولا اقلق ولا احزن لاني عارف
انه لا انا ولا انتم نموت من دون حلة الاعتراف اما تقدرون في وقت المنازعة ان تقبضوا يد
الكاهن وتشدوا عليها علامة على انكم نادمون او ان تحنوا روسكم ولو مرة واحدة او تقرعوا
صدوركم دفعة واحدة فهذا يكفي لخلاصكم عودوا راجعين الى اوطانكم واقضوا زمن عافيتكم
هذا بالهنا والراحة ولا تخضعوا انفسكم تحت نير القوانين الصعبة التي يفرضها عليكم هولا الكهنة
الذين يدعون بالغيرة في خلاص النفس وهم في التحقيق قليلو الاقراز والمراعاة نحو شعب المسيح
ولكن ترى ماذا يفعلون اذا بلغتموهم تعليمكم هذا الحسن اعساهم يطيعونكم ويرجعون الى
منازلهم اما انهم بعكس ذلك يذمونكم ويحتقرونكم في الوفور العماوة الكثيفة المستحوذة عليكم
يا لعظم الجنون الردي المتوغلين فيه كيف لم يمكنكم ان تتعلموا من تعاليم اللاهوتيين التي غايتها
تعني عنكم سوى تلك التي تهدم فهمكم اياها بالمعنى الصحيح تلقيكم في الهلاك الابدي انتبهوا

نية

وانهم واجيداً ان هذا الاعتراف الذي يتم بالاشارات عند نزاع الموت او انتين انتم برهو
الدوا الاخير للخلاص لكن من منكم لا يعلم ان جميع الادوية التي تعطى متأخرة فتكون فايدتها
تحت الارتياب جداً وبالتالي يجب على الانسان العليل ان يستعملها لاجل الضرورة فقط لا
ان يطلبها اختيارياً ويتكل عليها هل تظنون ان الحالات التي تعطى للمنازعين جميعها صحيحة
وتمحوا خطاياهم والحال انها لا تكون هكذا الا بشرطين احدهما ان يكون المعترف نادماً
متأسفاً من جوارح قلبه على خطاياه وثانيهما ان يكون قاصداً عدم الرجوع اليها قصداً مكيناً
ولا يكون ناقصاً فيه تعدد اخر من الاستعدادات الباطنة المطلوبة لعمل سر الاعتراف حسناً
ولكن من تراه يقدر ان يصدق بانكم تتمون هذه الشروط بعد ان اعتدتم ان تشربوا الاثم بتلك
اللذة التي بها شرب ايسيما كوبين الملك في حين عطشه كاس الما وباع بها مملكته بعد ان
اعتدتم ان تقلبوا خطاياكم باعمال الشرف او باعمال الانفة بزهر الشبوبية واستلذذتم بها مفتخرين
اما اقرانكم الجهلة كيف اذاً يمكنكم ان ترجوا انكم لعتيدون ان تبدلوا حالاً هذه العواطف السيئة
وهذه الارا الملتوية المعتقة فيكم وتبغضوا اكثر من كل شر ما انتم الان تحبونه وتعتبرونه
اكثر من كل خير من هو الذي ترومون ان تقتنعوا بامكان هذه التوبة الاخيرة يا ايها الخطاة
المساكين اظن انكم راغبون ان تقتنعوا بها الاطفال الغشما الذين لا يفهمون ما هو روح التخشع
والاسف القلبي لا ان الاحد بريكم لا ان تقتنعوا هولا بل ان تقتنعوا بها ولا ايرونيموس الذي كان
يهزو ضاحكاً على التوبة المتأخرة الى الموت قايلاً في رسالته الى دماسوس ما هي هذه التوبة
التي يتوب بها الانسان حينما يشاهد انه ما عاد له زمن لان يعيش اقتنعوا بها اغوسطينوس الذي
سماها توبة ضعيفة في خطابه ٢٧ في الزمن اقتنعوا بها ارز دوس الذي دعاها توبة وقاحة
في خطابه الـ ٣٨ اقتنعوا بها ايسيدوروس الذي دعاها توبة مشكوك بها وذلك في فصل ٣
من كتابه الاول في الخير الاعظم اقتنعوا بها كيساريوس وامبروسيوس وغريغوريوس ويوحنا
الذهبي الفم وتوما العلامة وغيرهم من الابا والعلما الذين باتفاق واحد يحتقرون هذه التوبة
ويهزاون بها وما الذي يمكنني ان اقول اكثر من ذلك اذ انني منذهل مما قاله وفعله القديس
كبريانوس كريتنا فهذا القديس المضبوط المتصل الى انه اشهر امر رعاما في رعيته وبين منع جميع
الكهنة من ايدة مرتبة كانوا ان يحلوا ويردوا الى شركة الاسرار اوليك الخطاة الذين احتقروها
في حياتهم وطلبوها عند حلول الموت واثبت ان توبتهم هذه باطلة وهذا هو نص كلامه

المدون

المدون في رسالته الثانية الى انطونيانوس لقد حكمنا ان يعدم هولا الخطاة كلياً
رجا الشركة والسلام الذين احتقروها اذا صفقوا يطلبونها في المرض والخطر لان الذي
احوجهم الى طلبها ما هو علمهم بالموت الموافي عليهم لا ندمهم على الخطية انتهى فانا عالم
بان هذا القديس قد بالغ جداً في حكمه هذا المذكور لانه لمن الممكن ان يندم واحد من
هولا الخطاة في نزاع موته ندامة صادرة من القلب لكن من حيث ان قديساً متصفاً بعلم
جزيل وحكمة وافرة وجد فقط علة عجيبة اتصل الى ان يعتبر مثل هذه الندامة مستغرب وكنه في
نزاع الموت فيجب ان نقول انها قلما يكون ليست بسهلة كما انكم تتوهمونها فلا تضلوا اذاً
يا معشر الخطاة ولا تخدعوا انفسكم لانه قد يمكن لا محالة انكم تندمون على جرايمكم في
منتهى حياتكم ولكن اتعلمون بمن تشبه توبتكم لعمري انها تشبه توبة انتيوخس الذي ندم
وبكى من جرى اضطهاده العبرانيين وذلك لانه ابصر انه من قبل ذلك قد فاجاه الموت
مآكلاً للدود وتماثل ايضاً توبة قايين الذي حزن على قتل اخيه وذلك لانه سمع انه من جرى
ذلك قد تم عليه الحكم بان يعيش تايهاً في القفار وتشبه توبة هاجر التي تاسفت حقاً على
اهانة مولاتها ولكن حينما رأت انها من اجل ذلك طردت من البيت وتماثل توبة شاول
الذي قد ندم على صفحه عن قتل العمالقة وذلك لانه علم انه من جرى ذلك اضطر بان
يعدم المملكة وتشبه توبة شمعي الذي انما اغتم على شتمه داود الملك لانه تحقق انه من
ذلك يلتزم ان يخاف من ان يقتل قصاصاً عن ذنبه هكذا انتم ليس هو الا عظيماً اذا حزنتم و
تاسفتم على ذنوبكم الكثيرة التي اغظتم بها ربكم الا ان ندامتكم انما تكون ناتجة من خوف عبودي
اعني من الموت المقبل عليكم ومن جهنم المفتوحة بازا اعينكم واقتراب هلاككم وبالنتيجة
لولا خوفكم هذا او لو تعلمون انه لا يدرككم شي من هذه المذكورات لما كانت تغنيكم تلك
الذنوب التي لا تطلبها استغنيتم الخوف من القصاص وما عدا ذلك كله هل تظنون ان
سلطاناً بل درتدو ويسكت عن نفوسكم حينما يبصر انها قريبة ان تخطف منه بهذا الزمن
الوجيز من بعد انه تعب تعباً جزيلاً الى الان لامتلكها امتلاكاً مديداً سليماً في مدة حياتكم لعمري
انه وقتيد يزيد فوق كل غيظه ويبذل كل مجهوده معكم وذلك بحسب ما علمنا في سفر الحكمة اذ قيل
ان ارواحاً خلقت للانتقام وعند الانقضا يسكبون القوة غير انه خفي عن معرفتكم
انه نظراً الى الحرب العايلة اذ ما كان اليوم الاخير من المعركة والحرب فتخرج خارجاً

جميع قوى العسكر ولا يعود يوذن لاحد ان يستمر رابضاً في محرسه وترسل الجنيد الى كل
البيارق وصفوف الجيوش وطغماتهم وما هو السبب في ذلك ان السبب ظاهر وهو لان
ذلك النهار هو اليوم الاخير من الاجتياح وفيه يتم كل شي والذي يخسر لا يبقا له رجا ان
يغلب فيما بعد وان غلب فلا يعود يخشى ان يخسر ولاجل ذلك يصير جرح كل الامتحان فعلى
هذا النسق لعتيد ان يجري امرنا عند نزعنا ووفاتنا لان قوات الجحيم بما انهم يفهمون
جيداً ان كل شي متعلق في تلك الدقيقة فمن ثم من تراه منكم يستطيع ان يصف مقدار ما تضطرب
وتهيج تلك الزبانية ولات الجحيم وان كنتم لا تصدقوا كلامي فصدقوا كلام الله القايل في
سفر الجليان هكذا ان ابليس نزل اليكم وله غضب عظيم افهموا قوة هذه الاية الالهية اعني
قوله تعالى وله غضب عظيم ولكن ما هو علة غضبه هذا العظيم الذي ياتي به الينا لا ريب
في انما هي علمه انه لم يعد له من مقاتلتنا الا قليلاً كما اردف الرسول ايضاً فقال لانه يعلم
ان زماناً قليلاً بقي له فان كان وقتيذ يخسركم فلا يبقا له رجا في ان يعود يربحكم وان ربحكم
فلا يعود يخاف فيما بعد من ان يخسركم ولاجل ذلك يدعو كل جيوشه ويجمعهم مضباً
حول سريركم عالماً انها المعركة الاخيرة ويهجم عليكم هايجاً نظير ما فعل مع راهب قديس اسمه
استفانوس قد كان كل حياته استمارها منفرداً في محبسه صايماً مصلياً متقشفاً ليلاً ونهاراً
ومع ذلك نصبت له الابالسة امام عينيه عند نزعه موتبين كل هفوة كان فعلها وعظموها لديه
وارعبوه فيها بهذا المقدار حتى انهم وصلوا به الى حد قطع الرجا من الخلاص وهكذا فعلوا
ايضاً مع عذرا تقية اسمها ايفونيدا وعلى هذا النسق فعلوا مع اسقف بارتقال لداونرتوس
ونظير ذلك فعلوا مع كثيرين غيرهم الذين يقول لنا الشرح في اداراتهم فاذاً ماذا يفعلون
ضدكم ايضاً انهم يستطيعون بالجوان يرهبوكم بالاعترافات الكاذبة الكثيرة التي صدرت
منكم وبتناولكم القربان المقدس المتواتر بعدم الاستحقاق وبالادناس القبيحة التي قد دنستم
بها وبعروض الناس الاخرا التي تلفقوها بغيبتكم وبقذف لسانكم وبغيرها من الجرايم الثقيلة الغير
المحصاة التي اجترمتموها ضد وصايا ربكم فهل يعسر عليهم اذاً بعد هذا ان يصوروا
لكم هلاككم ويقنعونكم بانكم صرتم من الهالكين بعد ان حصلتم على عدم الترجي باسرها
وتعوقتم عن الاهتمام بالخلاص ايضاً وزيدوا على ذلك هذا الامر وهو انه ربما كان
لكم عادة ان تتكلموا في قضايا الدين من قاحب وقلة احترام ومن جرى ذلك لقد يسهل على

روح

روح الكفر ان يثبت عليكم ويجعلكم ان تشكوا في عقيدة ما من العقايد الدينية المختصة
فيهما وضيفوا الى ذلك ايضاً هذه القضية وهي بما انكم معتادون ان تستعملوا الايمان
القدوس باطلاً وبعدم الاكرام الواجب فاذاً ليس بغريب على الشيطان ان يهيج فيكم روح
التجديف ويجعلكم ان تتلفظوا او تقبلوا في ضميركم على الله تجديفاً ما ولعمري اني
قولاً الى من ذلك ايضاً استطيع ان اورد لكن ما الحاجة اليه وانما ارغب اليكم ان
تحولوا الى صعوبة ما واحدة من الصعوبات المتقدم ذكرها فقط التي اوردتها لكم فيا ترى
هكذا عظيم اي امر خلاصكم وهذا يكفيني فقط ولا اذكر لكم واعتنوا وجاوبوا عن نفوسكم
ان كان يتبين لكم ان لكم محلاً للفزع والخلاص فما الذي اذاً تقولونه ايها العلماء تقولون انكم تقوون
بمساعدة الكهنة المايلين حينيذ فوق روسكم لكن باية وجوه يسفرهم تستطيعون ان
تلاحظوا اوليك الذين ازدريتم بهم ورفضا بجهم في حياتكم ام لعلكم تقولون انكم تترجون
بشفاعة القديسين ولكن باية دالة تجسرون على ان تستنجدوا باوليك الذين تهاونتم
باكرامهم ام هل تقولون انكم تتكلوا على قوة النعمة السماوية التي عضدتكم في اوقات اخر
لتنجوا من مخاطر نظير هذه الحايقة بكم عند ضيقتكم الاخيرة ولكن اما ترون انكم تتكلون على
شي غير معلوم لانه وان كانت نعمة الله قد عضدتكم احياناً الا انه لا ينبغي لكم ان تنتجوا من
ذلك انها تعضدكم في كل وقت وعلى الدوام فهذه النتيجة لا تنتج حسب قواعد
القياس من مقدمتها وان اردتم ان تتحققوا ذلك اسمعوا البرهان الاتي ذكره
هل يوجد فيكم قط من شقي على حال شمشون المرثي لهما فعلى ظني انه ولا واحد منكم شقي عليه العدد
وذلك لانه هو اجتلب شدته على نفسه من تلقا اختياره فاسمعوا ما حدث له لانه لذلك
لذيذ للسمع ويطابق ما نحن في صدده انه لقد كان هذا المذكور عشق دليلا الزانية
واحب ان تكون له زوجة وادخلها بيته وهذه اي دليلا قبلت الرشوة من الفلسطينيين
ورغبت ان تعرف في اي شي كانت قوته العظيمة قايمة لتسلمه لهم فقالت له قل لي
يا شمشون من اين لك هذه القوة العظيمة حتى لا يمكن لقوة ما ان تغلبك وما الذي
يجب ان يصنع من اراد الظفر بك فاجابها قايلاً ان ذلك سهل وهو انه اذا ما ربطت
بسبعة اوتار زندية فاني اضعف مثل ساير الناس فصدقت المنافقة كلامه وللوقت
احضرت تلك الاوتار ودعت اناساً من الفلسطينيين وجعلتهم يكمنون له ثم ربطته

باستيثاق وهو راقد ثم صاحت قايلة قد اتاك اهل فلسطين يا شمشون فنهض شمشون
وحرك ساعديه ونفض عنه قطع تلك الاوتار كانها متزولة من كتان ستة فجاءت دليلا
امام اهل بلدتها جميعا ابصرت شمشون قد هزا بها وقالت له بلطافة قد هزات بي وغررتني
فكيف اصدق بعد انك تحبني والحال انك تخفي عني سرك ولست توضح لي قلبك فصنعا
لها شمشون مرة ثانية وقال لها اذا اوثقت بحبال جدد لم تستعمل قط فانا اضعف فشدته
دليلا بها وقالت ايضا وهتفت لقد هجم عليك اهل فلسطين يا شمشون اما هو فبحركة
جزئية قطع عنه تلك الحبال كانها متزولة من نسج العنكبوت فغضبت دليلا وصنفت
توبيخا اولا ثم سالته ان يكشف لها سره فقال لها ان قوتي تضعف اذا ربطت شعري بوتد
في الارض فصنعت دليلا هكذا وصرخت ايضا قايلة قد وثب عليك اهل فلسطين يا شمشون
فقام من النوم وحالما رفع راسه اقتلع الوتد من الارض كانه مغروس في رمل ناعم فيا معشر
السامعين انني لست اعلم هل ان شمشون في صنيعه هذا اظهر اوفر بحثا مع هذه المراة ام
ابان ذاته التي حقنا لانه منكم لم يكن تحقق بعد هذه التجربات خيانة هذه الردية وغشها
لعمري انه بعد هذا كله لقد كان يجب عليه ان يقول لها ايتها المنافقة الخاينة اهذا صنيعك
معي انبهذا تتكلي في حبي اياك وهو ان تستعملي سلاحي لقتلي وهكذا كان ينبغي له ان يتدبر
معها وهو انه يتركها ويدبر عنها مغضبا ويولي منهزما من ذلك البيت الغير الامين ويسلم
من الفخ الذي كانت اللعينة تدبر له اما هو فما زال قايما معها كانه لم يشعر بذلك اصلا
مع كونه قد ابصر المخاطر التي القته فيها لانها دفعته بيد اعدايه ثلث مرات وثلث مرات
استاقته الى خطر الموت ومع ذلك جميعه لم يفارقها بل زاد جهلا وجنونا لانه اتصل الى
هذا الحد من غباوة العقل حتى انه اخبرها بحقيقة سره واعلن لها ان مصدر قوته هو من
شعر راسه ففرحت الشقية وارسلت ودعت المرة الرابعة الفلسطينيين واخفت الكمين
عليه وارقدته على ركبتيها ثم اتت بحلاق فحلق شعر راسه الطويل وبعد ذلك دحرجته
على الارض من على حضنها ثم رفعت صوتها فرحة مبتهجة قايلة اهل فلسطين عليك يا شمشون
فانتبه شمشون من سبات النوم وظن انه يخلص نفسه من التهلكة كما من ذي قبل وضحك
في قلبه قايلا اخرج كما الدفعة الاولى واخلص ذاتي ولكن ما علم انه لم يعد له وقت لان الرب
فارقه حسب قول الكتاب المقدس ومن ثم اوثقه اعداه وقلعوا عينيه وجروه الى السجن

خو

خوانا في حياته ايضا عندهم فافهموا اذا يا ايها السامعون الاحبا جميع اسفار الكتب المقدسة
واتلوها مدققين فانكم لا تجدون خبرا يوضح بحيية الخطاة كمثل هذا الخبر الذي نحن في
صدده واثباتا لذلك فلننشئ جميعنا ونتصوره جليا ولنتامله تاملا حسنا يطابق الموضوع
الذي نحن في ايضاحه ولنقل اي شي هو الذي دهى شمشون المسكين وبلغ به الى محل هذا الشقا
العظيم المقدم ذكره هل كان حبه للمراة المذكورة فقط لا لعمري بل انما كان الاهمال والطمع الذي
كان به يحتقر متهورا الاخطار الواردة عليه وذلك لعلمه انه نجا بالسلامة مرارا متكررة من
الاخطار السالفة لانه قال اخرج كما الدفعة الاولى واخلص ذاتي فهذا الامر هو عينه الذي
صحيح ان يجب من الظاهر لانتعاشه منه وهذا هو ايضا الذي يغش كل خطاة الارض لانهم
لا ينكرون لسو شرهم انه سياتي يوم فيه يتخلى الله تعالى عنهم ويفارقهم كما فارق شمشون على
انكم ترون ذلك الشاب مثلا مشتبكا في دعاوي شرعية معرقلة لكثرة الديون المتراكمة عليه
وغايصا في بحر من الاحزان والاكدار بسببها واذا ذهبتم اليه لكي تعزوه فيجيبكم قايلا اها يا اخو تي
ان انعم الله تعالى علي بالنجاة من هذه الشبكات ستبصرون ما احسن ما اسير عليه اني لا اعود
الى تلك الملاهي التي سببت لي هذه الاتعاب والاخطار ولست التمس الورق ولا اعود اطمع
في الزهر وبالنتيجة انني ساترك كل صنف من الملاعب واتجنب كل نوع من القمارات الردية
فاذا انعم الله عليه بذلك ونجي فيبتدي اولا في ان يسلك متحذرا الا انه فيما بعد يعود رويدا
رويدا ويدنو من الشركات القديمة قايلا في ذاته وما الذي يجري اذا عدت راجعا الى التردد
مع هولا الانفار واي شي اخوف علي من ذلك اما نجوت تلك المرة الاولى فاخرج كما الدفعة الاولى
واخلص ذاتي ويعود راجعا الى اللهو واللعب كما كان وتعاينون ايضا ذلك الاختيار وذمته
موسوقا من الحرام ومن مال الناس فاذا مرض وذهب الى الكاهن وحدثه فيما يخص خلاص نفسه
فاسمعوا كيف يجيبه قايلا اها ابانا هل عن الله علي بالعافية انه تعالى ان تفضل علي بذلك و
عوفيت فحينيذ ترى كيف انا عتيد ان اسلك على اني لا اعود الى ممارسة الربا الذي يحبس
الان ضميري بهذا المقدار واتوب عن الظلم والغش ولست اتكل فيما بعد اجرة تعادمها ولا اطمع
في مال احد فاذا ما تعافى من مرضه وخرج الى عمله فيستمر في اوايل سلوكه صالحا ومنتبها قليلا
لنفسه ثم بعد ذلك يشرع ايضا قليلا قليلا ويعود الى حالته القديمة قايلا في نفسه ان رجعت
الى عملي الاول فما الذي يحصل من ذلك نعم انه لقد يمكن ان يشتملني المرض ويميتني بضيق

الضعيف ايضاً ولكن اما بحوث سابقاً فاخرج كما الدفعة الاولى واخلص ذاتي فلنعد الى معاملات
الفايدة الربانية هو اسفاه ... كيف يسوغ لاحدكم ان يقول اخرج كما
الدفعة الاولى واخلص ذاتي والحال ان هذا الرجا باطل لان الرب يفارقكم فانتم تتجرون من
رحمة الله اياكم السالفة انه سوف يرحمكم ايضاً ويعينكم فيما سياتي ولكن بيس ما تتجرون لانكم
لا تدرون هل ان استحق يفارقكم اخيراً ويبتعد عنكم فمن هنا احذروا يا معشر المسيحيين ولا تضلوا
نفوسكم زاعمين انه شي مخالف رحمة الله ان يترككم جل ثناوه في ساعة مماتكم ويدعكم في ايدي
الشياطين كما ترك شمشون ما بين اظفار الفلسطينيين حاشا من ذلك لانه اما ترى ان الله
تقدست رحمته تارك للهلاك شعوباً واماً لا عدد لهم من الامم واليهود والحنفا والهراطقة والمنشقين
العل ذلك هو ضد رحمة الله كلا فباي سبيل اذاً تزعمون وتحكمون انه شي مضاد رحمة الله
تعالى ان يدع للهلاك مسيحياً واحداً ممن هو من مماثليكم يطمع في انعامه السموية دايماً ليزيده
غيظاً واحتقاراً بل بعكس ذلك لاحظوا المناسبة العجيبة التي انا مستعد لان اوضحها لكم
على انكم انتم تقولون ان الله تعالى سيايدكم عند حلول المنون لانه رحوم وانا اقول لكم انه لاجل
هذا السبب نفسه اعني لانه رحوم ليس هو عتيداً لان يايدكم ويعينكم في ساعة وفاتكم فلا
تتعجبوا من قولي هذا ولا تستغربونه اسمعوا البرهان على ذلك وبه اختم القسم الاول من
عظتي هذه

العدد ٢

انه وان كان الله سبحانه رحوماً وهذا حقيقي
من حقايق الايمان فهل هو ملتزم ان يلاحظ خلاصكم وحدكم الخصوصي ام بالحري يلاحظ خلاص
البشر العمومي فلا شك في انه يلزمه ان يلاحظ جنس البشر كافةً ومن ثم نقول كم من البشر
كانوا يتخذون لهم مثالاً ردياً اذا افتكروا في انكم بعد سيركم سيرة تناقض ناموس العدل والصواب
لابد ان تحظوا في ساعة وفاتكم بميتة سعيدة نظير الابرار كم كان يتشكك من ذلك الضعفاء و
الصغيروا النفس في قلوبهم وكم كان يتجرب الصالحون وكم كان يتجرا المنافقون والنتيجة كم من
الانفس كانت تعدم الملكوت بربح نفس واحدة فاذاً هكذا تقتضي رحمة الله بل بالحري عدله الالهي
وهو ان يتدبر على هذا النسق اي ان من عاش شريراً يموت غالباً شريراً واما فقد كان يمتلي العالم من
الشرور لعدم الابرار ويتبدد الاكليروس ويضحوا عند العامة الجهلة اهلاً للضحك والهزء
اولئك القديسون كمثل ايلاريون ومكاريوس وسابا وارسانيوس وغيرهم ممن اقتدوا بهم الذين
قد ابتاعوا بكلفة وافرة ما يحصل عليه مجاناً او بكلفة زهيدة جزئية اولئك الاكثر من المسيحيين

نعم

حتى لم اكثر نفاقاً ولم يوفر دنساً من عامة الناس قلت انفاً ان من عاش شريراً يموت شريراً غالباً فما فهو لي
معنى قولي غالباً الا انني اقر مسلماً ان البعض من الاثمة الذين عاشوا بالخطايا دايماً متمرغين حظاً سعيداً
قد نالوا لحقاً الخلاص ثم ان هولاء قليلون جداً وما الذي تنتجونه من ذلك على انكم لعالمون
جيداً ان يونان النبي في البحر لما كان يزبد مضطرباً ومتموجاً وقد حظي بحوت ابتلعه وبعد ثلثة
ايام قذفه الى اليبس حياً فمن اجل هذا الحادث هل يستصوب احدكم اذا كان في البحر وحدث
اضطراب عظيم ان يقول للنوتية القوني حالاً في البحر بامل ان يحظى بما حظي به يونان لا لعمري اما
يمكث متمسكاً ومتشبثاً ولو باحد الحبال ولا يسمح بان يزج في البحر ويوسف الحسن لقد صار له
السجن سبباً لانه يرتقي الى اعلى مناصب مصر فهل يوجد فيكم من يطلب ان يسجن ويتقيد بالحديد
مترجياً ان ينال مرتبة سامية ومردخاي قد صارت له التهمة واسطة لانه يصير من اكابر وزرا
ملك الفرس فمن منكم تراه يرغب في ان يحصل مبغوضاً ومحسوداً ومتهوماً لعله يكون [illegible] في العالم
ومن حيث انه يسوغ لي ان اورد ما بين هذه الاخبار المقدسة خبراً اخر عالمياً فاقول ان المحقق من
تواريخ بلينيوس ان رجلاً يقال له فلاروس قد انفق كل ثروته على الاطبا والادوية ليبرا من داء الاكلة
ولم يشف ولما ايس من الشفا ذهب الى الحرب مع الجيش رغبة في ان تاتيه طعنة مميتة فيقتل و
يستريح من حياته المكربة واذ كان في المعسكر مع الجنود اصابه سهم في الاكلة نفسها فانبجرت
وخرجت تلك المواد المسمومة ونال الشفا فليت شعري ما الذي تنتجونه من هذه الخبرية هل
تنتجون انه اذا اصابكم داء عضال مثل هذا يجب ان تستقصوا اين يحدث في المدينة خصام و
قتال لتذهبوا وتختلطوا ما بين المقاتلين لكي تاتيكم ضربة شافية نظير ما تقدم ذكره حاشا لكون
هذا جنوناً واضحاً ولاي سبب فالسبب واضح لكون الحوادث الاتفاقية القليل حدوثها لا ينبغي
ان يصيرها قاعدة لافعاله الرجل الحكيم فلا تستندوا اذاً على خبر احد الاثمة الذي عاش حياته
كلها بالخطايا وعند ساعة موته تاب وخلص لان توبة مثل هذه هي اعظم العجايب وبها يريد الله
تعالى ان يحملنا على الدوام رجاء ما للخلاص وذلك لكي [illegible] من الهالكين ما دمنا احيا في الارض
فاخبروني اذاً يا معشر الخطاة الذين يؤخرون التوبة الى ساعة وفاتهم على اي شي تؤسسون رجاكم
في انكم ستحظون في تلك الساعة بموتة سعيدة هل صار لكم بها وعد من الله خصوصي ام هل
اتاكم نبي من الانبيا وحققها لكم ام انكم تظنون انكم سنداً في هذا من عزمكم الحاضر العازمين
به على انكم ترجعون الى الله تعالى تايبين عند ساعة الموت كان عزمكم هذا صالح وناتج لمجد الله لا

لاحتقارك والازدرا بي تكلموا واضحا يا ايها الخطاة وفسروا لنا ما هو الذي تفهمونه بعزمكم وقول
احدكم في ذاته انني ساتوب قبل الممات ان هذا العزم لعمري هو اهانة بالله تبارك وتعالى اسمه واذا
فحصنا معناه بالتدقيق فيكون تاويله هكذا اللهم انني اعدك بانني ساتوب عن اغاظتك
حينما اعدم عقلي ولا يبقا لي وقت لاغاظتك وساقدم لك عواطف قلبي متى ما عجزت عن ان
اتصرف بها فيما يلذ لي وساتوجع على اهانتي اياك اذا ما ضعفت ولم يعد لي استطاعة
ايضا على ان ازيدهم عددا وسوف اعترف واقر انني اخطات وعصيتك حينما تربط يداي
ورجلي ولا يعود لي طاقة على السير لاصنع هوى قلبي ومسرته وما دمت طليقا متعافيا صحيحا
فلا اترك الخطايا وانما ساتركها متى ما هي تركتني فهذه هي حقيقة معنى عزمكم الملعون في انكم
تنتبهون لنفوسكم عند الموت العل ينبغي لكم ان الله تعالى يصير لكم مديونا نظرا الى هذا العزم
الذي تظنون انكم ترضونه به وتكرمونه والحال انكم في الحقيقة تهينونه وتفترون عليه فان
كان ذلك كذلك فارضوا اذا بتعليمي وقرروا انكم تدا تقبلتم اطرحوا عنكم التردد والقول المالحة
وتقالوا الان معي كفي تمادي انتصار امام قدمي هذا المصلوب الالهي وامامه انزعوا عنكم
خطاياكم قاصدين التوبة من هذه الساعة لانني ان اعدكم بالرحمة اما عند ساعة الموت فلا
اعدكم بها

القسم الثاني

انني لست اعلم لاي سبب اجتهدت نفسي في ان اتبين بهذا المقدار من البراهين المختلفة خيبة
امل الخطاة الذين ياخرون توبتهم الى ساعة الموت ورجوعهم الى الله تعالى والحال ان الرجوع
اليه عز وجل عند ساعة الموت ليس هو في التحقيق الا الرجوع السابق الى الله تقدس اسمه وما الذي
قاله الله عز قوله في سفر المزامير عن هولا الذين يعودون عند المسا فقال انهم يعوون مثل الكلاب
وذلك لتفاقم الجوع الذي يعتريهم لعمري ان هذا النص يفسر بمعاني كثيرة ولكن اذا احببت ان
اورد لكم معنى واحدا وهو الذي قد اعتبرته ووجدته هو الاصح فصغوا اليه بسماعكم راصدين
عقولكم جيدا فاقول ان الله تعالى بقوله هذا كانه يقول للخاطي انت عاملتني بمنزلة كلب وانا
ساعاملك بمنزلة كلب ولا شك في انكم عارفون كيف تتعاملون الكلاب على انكم اذا جلستم على
المايدة لتاكلوا وياتيكم كلب ويحول حولكم لتطرحوا له شيئا ياكله فما الذي تفعلونه هل تعطونه
من احسن الموضوعات على مايدتكم كلا بل انما تعطونه دايما ما هو الاردى وتعطونه لذوقاتكم
ما هو الاشرف تاكلونه اللحوم وتطرحون له العظام او الجلد او القشر واحيانا ان جدتم عليه

باعظم

العدد ٨

111

باعظم السخا يعطونه احقر الفضلات فعلى هذا النسق الباري تعالى يعامل بعض من الخطاة الذين هم
يعطونه على الدوام الاردى من حياتهم ويخصصون انفسهم بالعمر الاحسن اي العمر النضر
المخضل المزهر فاداموا شبانا يستعملون الزمن لعمل هوى نفوسهم واستلذاذاتهم واما الله
تعالى فيبقون له ما هو الاردى اي احقر من الفضلات لانهم يبقون له ايام الشيخوخة
اي ايام حياتهم الاخيرة وحينئذ يموتون فاذا يستغيثوا به ولكن بالنسمة الاخيرة من
حياتهم اعني بها النسمة الاردى النسمة المنتنة الزخمة الرايحة وهكذا وبهذا النوع
يساوون الله بالكلب لانهم يعطونه فضلات كل شي اما الله تقدست اسماوه فيقول للخاطي
انك لقد عاملتني معاملة الكلب ولكن بيس ما صنعت وانا ايضا اعاملك مثل الكلب لانك
ستعود عند المسا وتعوي مثل الكلاب اي سياتي مساء حياتك ستاتي ضيقتك الاخيرة
سياتي وقت نزاعك وسوف اراك عادم الحركة من المرض مسمرا على سريرك نظير الكلب
المغلل بالقيد واسمعك تعوي نابحا وتصرخ طالبا مني المعونة ولكن ما الذي تظن انني
اعطيك ايها الملك ترجوني تاييدات النعمة التي لا يتعاوى بها اقسى القلوب ام تامل ان امنحك
تلك التاييدات الاقوى التي تفعل اعظم الفاعلية كلا لا تنتظر ولا تامل مني انني ساعطيك هذه
لانك ان حظيت بهذه فتكون قد نلت الافضل من خبزات مايدتي وبما انك انت كلب فلا
تستحقها لانني سامنحك تلك التاييدات التي تسمى كافية فقط اعني تلك التي تستطيع لا
محالة ان تقوم بواسطتها من خطاياك نادما عليها غير انك لست تقوم منها لكونك تعففت فيها
في الشر وتملكت فيك العوايد الردية الى الخطا فهذه تعطى لك لانها فضلات انعامي وعوض
فاذ كما عاملتني في مدة حياتك بمنزلة كلب ساعاملك ايضا بمنزلة كلب حينما تعود عند
المسا وتعوي مثل الكلاب لشدة جوعك فيا ايها الخطاة انتبهوا الان على انفسكم ولا تبخلوا
على الله تعالى بالاكرام بهذا المقدار حتى تعاملوه بمقام كلب والا فتبصروا ماذا يصير منكم في
العاقبة على انكم تموتون بخطيتكم
اسمعوا خبرا مريعا مرعبا جرى في
عصرنا هذا وارتعدوا لقد كان شاب شريف النسب لكنه دنس الافعال فهذا اعشق بنتا ما عشقا
رديا بهذا المقدار حتى انه لكي يتم بها شهوته الدنسة في كل وقت يريده نقلها الى قصره
وولاها على كل ما يقتنيه واقامها لخدمته واستمر في هذا الحال معها اعواما عديدة ولم يعتبر
نصايح الكهنة القوية ولا نصايح اصدقايه الذين يودونه لانذارهما يبعد عنه كل من يخاطبه

فيها

العدد ٩

في طردها من ذاته كان يرد جواباً جافياً بوجد غضوب قايلاً لست استطيع ان افارقها وكانه
بهذا الجواب كان يقصد ان يقنع الجميع ان الذي كان عنده تحت اختبار الشهوة قد
صار لديه ضرورة في الطبيعة ومن هنا ما امكن ان يتزحزح عن عشيرته تلك المنافقة
حتى ادركه الموت لكي يفرقه منها شاء او ابى كما جرى ذلك في كثيرين من الخطاة فمرض
المنكود الحظ في عنفوان شبوبيته وضعفت قواه وانطرح عليلاً على السرير ولاجل
ان الاطبا حكمت على مرضه انه خطر زاره احد الرهبان الذي انا عارف به ليعده في تلك
الاخرة ويرتب امور نفسه فبعد ان دخل مخدعه ودنا من فراشه وسلم عليه شرع يفاتحه
بكلام حكمة قايلاً اذ انني ارى يا سيدي ان لك سبباً للرجا اكثر من الخوف على انك بعدك
شاب في عنفوان شبوبيتك ولم تزل متمتعاً بقوة الجسد وحسن تركيب المزاج و
كثيرون تعافوا من مرض يماثل مرضك الا ان كثيرين ايضاً ماتوا منه ولكن وان كنا نرجو
بانك ستكون من جملة الاولين فما هي الضرورة التي تحصل لك اذا استعددت كانك
لعتيد ان تكون من جملة الاخرين فاجابه العليل بشجاعة قل لي يا ابانا ما الذي يعوزني لافعله
فانني لك طايع لانني متطلع على كيفية مرضي وانا مستشعر بانه اعظم خطراً علي مما
قلته وقد استترت الى هذا النهار سيرة ردية واما الان فانا ارغب ان احصل على ميتة
صالحة كمثل ساير المسيحيين انه لا يمكننا ان نصف كم قد فرح ذلك الراهب وسر وتشدد قلبه
من هذا الجواب الحسن فاختار ان يخاطبه اولاً في معنى قطع عشرته السيئة مع تلك
المنافقة التي قد عاينها وهو حزين جالسة في مخدع المريض الذي كان الزمها بان تكون
حداه دايماً اعتذاراً منه بالخدمة والمناولة لما يحتاج اليه ولكن مع ذلك جميعه قد شاء
ذلك الراهب بحكمته وافراز ان يتقدم على الزام العليل بطرد تلك الشقية ببعض سؤالات
اخف ليتلين بها قلبه المتصلب ولاجل ذلك قال له اعلم يا ابني انني اراك بنعمة الله عازماً
هذا العزم الصالح ومستعداً الى خلاص نفسك استعداداً حسناً فمن ثم اريد ان اخاطبك
بالحرية التي يقتضيها هذا الاسكيم المبارك المتشح انا به والغيرة المتقدة في لخلاصك
ثم اخبرك ان الاطبا كافة قد حكموا بتلافك ومن هنا اني اردت ان ترتب اشغالك وتنقي
ضميرك فاعلم انه لم يبق لك سوى زمن قليل فاجابه العليل قايلاً فاسرع اذاً يا ابانا ما دام
الامر على ما تقول واعلمني بما يعوزني ان افعله فاخذ الراهب يسأله قايلاً هل عليك دين

لتوفيه

لم توفيه فاجابه ذلك كان على دين ووفيته فقال له الراهب هل عندك ودايع لاحد
فاجابه كان عندي ودايع ورددتها لاصحابها فقال له الراهب وان كنت في حياتك حقدت
على احد اما تصفح الان عنه من كل قلبك فاجابه قد صفحت فاجابه الراهب ايضاً اتغفر
لمن اساء اليك فاجابه العليل قد صفحت وغفرت له ثم سأله اتقصد ان تتقدم الى الاعتراف
فاجابه اني سوف اتقدم فقال له الراهب هل ترغب عند نهاية توبتك هذه ان تتناول الاسرار
المقدسة كما يجب على الانسان المسيحي لكي تتسلح ضد محاربة العدو وتدفع عنك
مخاطر الهلاك فاجابه انني اتناولها من كل قلبي اذا تفضلت علي وشئت ان تناولني
اياها فقال له الراهب حسناً ما قلت ولكن سبيلك ان تعلم يا حبيبي انه لا يجوز لك
ان تتناولها ان لم تطرد عنك هذه الامرأة فاجابه المريض لها يا ابانا لقد طلبت مني شرطاً
لا يمكنني امتثاله لانني لست استطيع ان اطردها فقال له الكاهن والاسف يا ابني لماذا لا
تستطيع ذلك واي مانع يمنعك انك لست تستطيع يا سيدي العزيز على طردها بل يلتزم ايضاً
بذلك ذمة ان شئت ان تخلص فاجابه ذلك قد قلت لك يا ابانا انني لا استطيع فقال
له الراهب فعسالك لا تعلم تحققاً انه على كلا الحالتين ينبغي لك ان تفارقها بعد زمن
قليل فاذاً ليس هو امراً عسراً ان تفارقها باختيارك بعد معرفتك انه ينبغي لك ان
تفارقها باضطرار لان الموت الموافي عليك يفرقك عنها شئت ام ابيت فاجابه ذلك
لست استطيع يا ابانا فاجابه الراهب ما هذا الكلام يا ابني الحبيب ها هوذا الاله الذي صلب
من اجلك يطلب منك ان تقدم له هذا الجهاد الوارد اليه من طردك اياها فهل يسوغ لك
ان تمسك عنه تفرس فيه كيف هو من اجلك مخدش ومجرح فهو تعالى قد سفك دمه
لاجلك وهو الذي مات متألماً باشد الالام حباً لك لاجل خلاصك تفرس فيه ها هوذا
بادٍ امام عينيك اما يلين قلبك عن مشاهدتك اياه امارق اما تتخشع فاجابه ذلك
لست استطيع فقال له الراهب ان كان هذا كلامك وهذا عزمك فلا يمكنك اذاً ان
تتناول الاسرار الالهية فاجابه ذلك لست استطيع فقال له الراهب انك لتفقد الملكوت
وتهلك في جهنم فاجابه ذلك لست استطيع فقال له الراهب اه والحسرتاه اما يمكنني ان
استمع منك كلمة اخرى سوى هذه لست استطيع فاستمع لي اذاً يا ايها المسكين اما هو
اجود لك ان تخسر هذه المرأة فقط ولا تخسر معها صيتك وجسدك ونفسك وحياتك

بل تحضر معها لاشمالها مريم والقديسين والعذرا والمسيح والملكوت وباستقرارك على
هذا الحال تقترب بعد وفاتك محروما وتلقى بمنزلة كلب ميت على مزبلة فتنهد ذلك
العليل المنكود الحظ تنهدا من اقصى عمق قلبه قايلا لقد قلت يا ابانا ولا ازال اقول لك
انني لست استطيع ثم جمع قواه الضعيفة الباقية فيه وقبض بغتة على ساعد تلك الشبيه
واحتوى وجهه ورفع صوته وتلفظ هذه الكلمات التالية التي اوردها عليكم من غير
زيادة ولا نقص بكلمة فكلمة وهي هذه لتعلم يا ابانا ان هذه البنت كانت عزى في حياتي
وهذه عزى في مماتي فهي لا بد منها كلها انتهى ثم اجتذبها بعنف اليه وضمها الى صدره
واحتضنها وقبلها وفي هذا الحال لاجل ان مرضه اشتد عليه وتوبت فيه الحركة واضطراب
من العواطف الحيوانية اسلم نفسه الهالكة في حضنها. اسمعتم يا ايها المسيحيون
كيف انتهت حيوة هذا الشاب فهذه هي الحال التي تبلغ اليها الخطاة الحال التي يرثى
لها الحال التي من جرى شرها يلتزمون الان ان يقولوا لا نستطيع ليت شعري لاي سبب
لا يستطيعون ازرى حقا لا يستطيعون اذا ارادوا ارادة حقيقية والحال انه هذا لا يجوز
لنا ان نقوله ان النعمة الكافية لا تنكر على احد قلما يكون اذا طلبها لكن الخاطي المتعمق
في الخطايا والمتملك فيسعوا بارادة شريرة يحتاج الى نعمة غير النعمة الكافية اي يحتاج
الى تلك النعمة التي سماها القديس اغوسطينوس نعمة ظافرة تلك التي تغلب كل نفاق
تلك التي تضمحل كل عصاوة وتستاصل كل عناد وتمرد وهي النعمة الفعالة الا ان هذه
النعمة لا يلتزم استحقا ان يهبها لكل احد من قبل سنة العناية ولا من قبل سنة ما قدا
وبالتالي يحق له ان يمسكها عمن يشا فان كان ذلك كذلك اما يستبين لكم انه بمقتضى
العدل والصواب ان يمسكها عن اوليك الخطاة الذين احتقروها ورذلوها حينما كانوا
يستطيعون ان يحصلوا عليها مرات عديدة في حياتهم وقالوا كما قيل في سفر ايوب ابعد
عنا فاننا نعرف طريقك وانا لا نشتهي وان شيتم تصدقوا كلامي هذا فاذهبوا الان
الى بعض المتعرقلين بمحبة دون الله وحدثوهم بتركها فيجيبوكم للوقت اننا لا نستطيع
لاننا اذا اخرجنا الان من بيوتنا هذه المراة فينكشف امرنا ونتقدم للناس سببا لان يشكوا
بنا ويجعلونا حديثا لهم انصحوا غيرهم ان يردوا مال الغير فيجيبوكم لا نستطيع لانه ان
رددناه الان نفتقر خاطبوا غيرهم لكي يردوا للقريب الصيت الذي اختلسوه منهم بطعن

السنتهم فيقولون لا نستطيع لان قيمتنا تنقص ان فعلنا ذلك انصحوا غيرهم وحرضوهم
ليصالحوا غريمهم حبا بالله فيجيبوكم لا نستطيع لانه كيف يمكننا ان نواد ديننا
من ساد بهذا المقدار الينا وعلى هذا النسق يرغبون ان يبرروا انفسهم معتذرين
بقولهم لا نستطيع اه وا اسفاه عليكم يا ايها الخادعون والمخدوعون معا لا ابيح الله
ان يأتيكم يوم تقولون فيه قولا حقيقيا ذلك الكلام الذي تقولونه الان اعتذارا عن
نفوسكم اسمعوا ما يقوله اغوسطينوس في هذا الصدد وارتعدوا خايفين فانه هكذا يقول
في ص ١ من السفر الثالث في الحرية هذه هي عقوبة الخطية الكلية العدل وهي ان
الخاطي لا يريد ان يصنع صلاحا حينما يكون قادرا عليه واذا اراد فيما بعد ان يصنعه
فتزول عنه القدرة عليه فلا تضلوا اذا يا معشر المسيحيين ولا تخدعوا انفسكم اجتهدوا
واقصدوا قصدا حقيقيا في ان تصنعوا التوبة والصلاح حسب النعمة التي يعطيكم اياها
الله ما دام لكم زمان لتنالوها من لدنه عز وجل قال داود الملك قد تملانا بالغداة
من رحمتك لا تتباطوا الى المسا اي لا تاخروها الى اخر حياتكم لانه يوجد بسبب اخر لانه
يعوي مثل الكلاب من شدة الجوع اوليك الذين يعودون عند المسا وهو هذا لانهم
يمضون متأخرين ويلفون الى المايدة حينما تكون فرغت الصحف وارتفعت الاواني
والماكل اجاركم الله الخ

العظة الثانية عشر

الثلثا بعد الاحد الثاني من الصوم المقدس — في انه يجب على الخاطي ان يستحي من
خطاياه جدا ولا يعلنها مفتخرا بها كل اعمالهم يصنعونها لكي يتراءوا للناس

العدد ١

هذا اخبر به مار متى في ص ٢٣ من بشارته انه بحسب ظني ما من احد من
الناس القدما كان محسوبا اكثر من ذلك الساحر المدعو جيجس وذلك لانه كان يلبس
خاتما في اصبعه وبقوته الحالية يحجب نفسه عن بصاير الناس بهذا المقدار حتى انه
كان يستطيع ان يفعل كل اثم وجرم يشاها خلوا من ان يراه احد وخلوا من حيا وخوف
وانما قلت انه كان محسوبا لانه من شان كل منافق ان يحب ويرغب ان يختفي عند
ارتكابه النفاق وكم من فاجر قد كان يعطي كل واحد منهم لو كان يعطى تلك الحيلة يستطيع
ان يفعل معه ما اراد من غير ان يراه احد لعمري انه ان كان جيجس المذكور باستعماله

ذلك الخاتم السحري دخل على ملكته ما وضاجعها وقتل ملكًا بغتةً واخيرًا صار ملكًا على
بلاد ليديا بعد ان كان راعيًا حقيرًا كما خبر بقصته افلاطون الالهي غير ان ممن هم اشر منه لم يدع
بكارة الا وينفضها ولا كنزًا الا وينهبه ولا عدوًا الا وينتقم منه بل كان الجميع من الاشرار
يكملون كل شهواتهم ويتممون كل اهوية نفوسهم ويفعمون العالم من الادناس والسرقات
وسفك الدماء الا انه مع هذا جميعه لقد يمكنني ان اقول لكم يا ايها السامعون انه لو يعرض
في هذا الزمن هذا الخاتم في سوق الحراج للبيع اللهم هل كان يسرع احد من المسيحيين
الى ابتياعه حتى ولو قدم لهم بثمن رخيص وزهيد كلا ولكن لاي سبب كانوا يابون
عن اخذه العلهم يكرهون ذلك من حيث انهم لا يستبيحون لانفسهم الخطا لكونه مخالفًا
لسنتهم المقدسة ام لانهم يعلمون جيدًا ان من يخطي ولو اجتهد لان يختفي عن الناس
لا يختفي عن الله فيا ليت امتناعهم يكون لهذين السببين لكن ليس هو هذا السبب
الحقيقي يا ايها السامعون بل انا اقول لكم ما هو السبب الا انني اسالكم قبل ان اوضحه لكم بان
لا تغضبوا على مفتخرين لا سيما عليّ اياي كاني ذو سلطان على ان اخاطبكم دائمًا بحرية
جزيلة من غير محاباة لهولاء رعاه فاقول لكم ان السبب الحقيقي ليس هو سوى هذا وهو ان
المسيحيين في عصرنا هذا لا يستحيون من ان يعملوا الاثام جهرًا تجاه الجميع وفي وسط
النهار لانه ليس لا يعنيهم ان يخفوا اثامهم فقط بل يفرحون بها وياتون بذكرها مفتخرين
ذواتهم بها في اجتماعاتهم ويبلغون ايضًا الى هذا الحد من النفاق حتى انهم كما زعم الرسول
الالهي يحسبونها مجدًا وفخرًا لهم عوضًا عن انهم يستوعبون منها حياءً وخجلاً وذلك
بقوله ومدحتهم في خزيهم ولكن ما بالي حذو الغيرة حملتني حالاً على انني اعدل عما ذكر
الان في فصل الانجيل الالهي الذي افتتحت منه الخطاب فاعذروني يا معشر السامعين المكرمين
ان كنت تجاوزت الحدود فانه لقد بكت ربنا يسوع المسيح في الفصل الذي تلي عليكم في
هذا النهار جماعة الفريسيين لانهم لما كانوا يمارسون احيانًا بعض افعال من الديانة
كانوا ايثارًا للمجد والفخر يحبون ان ترا افعالهم هذه وتشتهر وان يمتدحوا من اجلها
ولم يكونوا يهوون قط ان يخفوا عن الناس ولا فضيلة واحدة كما يخفي البحر الجواهر
الكريمة وكما تخفي الارض الذهب بل كل اعمالهم يصنعونها لكي يتراوا للناس اما في
دهرنا هذا فليس لهولاء الفريسيين وجود ولو وجدوا لكنت بعد طلبي الاذن من ربنا

يسوع

114

يسوع ليس اعذرهم فقط بل قد كنت ايضًا جعلتهم مثالًا لبعض الاشخاص الذين لم يقتدوا
بهم اذ وا اسفاه على انه قد بلغنا في دهرنا هذا الى حال الردى من ترك الحال جملة
لانه اذ كان في ذلك الزمن قد كانت الكبريا تقتاد الناس الى ان يخفوا الشر ويظهروا
الخير اما في هذا العصر فقد تقتادهم الكبريا الى عكس ذلك اي الى ان يخفوا الخير ويظهروا
الشر ويفتخرون به وذلك بحسبما انبا عنهم القديس امبروسيوس قايلاً ان المسيحيين
اضحوا الان يتباهون في اثامهم ويحتسبون انهم يوجد هناك شرف الفضايل حيث
يوجد خزي الخطايا والاثام فلا تتعجبون اذًا ان كنت وجهت خطابي على خط شقيقهم
ضد هولاء الذين يظهرون للناس خطاياهم مفتخرين بها الذي هو موضوع خطابي اليوم مع
محبتكم لعمري ان هذا هو ما يولم ويضرم احشاي باطنًا وهو انه في ايامنا هذه لا تقدر
ان تقنع احد الخطاة انه ان اراد ان يكون خاطيًا فليكون كذلك ولكن فقط ليكون فليكن
خاطيًا مستترًا خاطيًا مستحيًا ومن ثم دعوني ان اورد كلما في خاطري لهولاء الاشقيا لكون
الحق معي واهتف قايلًا يا لوفور شرهم ويا لنفاقهم الزايد ليت شعري هل عاد يوجد
حالة من حالات الخطاة اكثر نفاقًا واوفر قباحة نظير هذه وهي ان يظهروا اثامهم
الفظيعة للعالم وان يرتكبوا الدنس الجهار السمجة لهذا القصد لكي يتراوا للناس و
يعرفوا منهم انهم انجاس رخون العنان لشهواتهم الردية وغير مستحيين ولا خايفين
في خطاياهم انني اسالكم يا معشر السامعين الاحبا الصالحين ان تساعدوني على مقت هذه
القباحة الشنعة لانني وان كنت عارفًا جنون هولاء وشناعة سيرتهم على انني حسب
ظني لا اقدر على ان اصفها واشرحها لكم كما يجب ويليق
انني قد تقدمت واظهرت لكم عجزي عن شرح هذه القباحة ومن ثم حالما نويت العدد
بالشروع في الخطاب وددت بالنبي المغبوط اعني به داود الملك اختطف الكلام من فمي
وكانه لما ادرك لي بوازع عظمة الموضوع الذي عن في صدده ولا بعبارة كافية لايضاح
جسامة شناعته فهو يريد يتكلم عني هاتفًا نحو كل من هولاء الخطاة قايلًا لماذا تفتخر
بالشر ايها القوي بالاثم وهو بهذا يتيقن لي انه بكلمات قليلة قصد ان يوضح معاني سامية
لانه اي شناعة يمكن ان توجد في البشر اعظم من هذه اذا تاملناها بعين التدقيق وهي
انه الانسان يحدد له فخرًا ومجدًا في الاثم الذي هو لاعتبار جميع الناس فلا تجد واحدًا

منهم يفتخر في غلطه بل بعكس ذلك يشمله الخجل اذا زل في عمله لقد ذكر عن هيرودس
الخطيب الاثيني ان الذي كان يسمو اهل عصره فصاحة ونطقا انه لما كان يوما ما يخطب
فتحصا امام الملك مرقص انتيغونيس فتاه ازيغا عن الموضوع بغتة ولم يعد يعرف كيف
يتم الخطاب ومن ثم التزم ان ينزل من عن المنبر صامتا فمن يظن انه احتسب ذلك فخرا
لذاته والحال انه بعكس ذلك اعتراه خزي عظيم الى هذا الحد حتى انه مرض لوقته واضجع
على سريره لا ياكل ولا يشرب اياما حتى انه دنا ايضا من ان يفقد الحيوة في مرضه هذا الذي
عراه من الخجل المتقدم ذكره ولعل ليبانيوس قد افتخر في تاليفه كتبا استحقت ادراكها ان
ترذل ظاهرا من مشيخة رومية العظمى الا انه بعكس ذلك ذهب واختفى في ناووس انتقاما
بخجله امهل ان فتخر سوفوكلس في المصنفات التي لما تلاها بجمع عمومي لم ينل من الجمهور
عنها ثناء ولا حمدا والحال انه من ذلك اشتمله خجل هذا عظم مقداره حتى انه استاق الى
ان فتك بنفسه بحربة يغرسها في قلبه وهكذا فعل ايضا ابن اميليوس سكاروس ذاك
الذي ولى هاربا من الحرب فتقهقر خيفا ابصر جندا من اعداييها حاملا عليه ترا انه افتخر
بذلك لا لعمري لكنه اعتبر ازاره فيما بعد عارا عليه حتى انه من جرا ذلك حكم بانه يستحق اهل
بان يظهر امام حضرة ابيه ومن ثم طعن قلبه بحربته وانطرح ميتا لئلا يخزى من ظهوره امام
ابيه ولكن مع ذلك جميعه ان البعض من البشر تراهم يتخذون الخطا والغلط في سيرتهم
فقط مادة للسرور وموضوعا للافتخار لكون ذلك الشهواني مثلا اذا بلغ مرامه في ارتكاب
الفسق الذي ابتغاه بحيل وهذا يا كثير فكم يفرح بذلك ويسر وهكذا اذا اتصل ذلك
الحقود الى ان يتخذ من غريمه الثار الذي درس عليه بمكايد متعددة فكم يتكلم فيه متبجحا
واذا حصل ذلك الحسود على ان يتلف تقدم صيت ذاك ويسر امام ونايه الموهوقين
منه واذا اتصل ذلك الوكيل الى ان يستفرغ هميان تلك الارملة التي سعى في محاماة دعوتها
في الشرع امام القاضي ليس انه يفتخر بذلك بتجاه اصدقايه اهذا هو فخركم ايها المنفيا الحنا
فقون فلتصد قايليين مع داود لما تفتخر بالشر ايها القوي بالاثم اما انتم عالمون انكم
مسيحيون ومستقيموا الايمان فكيف اذا تفتخرون بما هو مخالف اعتقادكم المقدس مخالفة
كلية فيا لعظم شقاكم ايها المنفيا ترى بحكم تقالنا الان نحكمه في احوالكم سوى انكم مبتلون
بداء قروح عضالة لا علاج لها ولا شفا ومن ثم اضحى خلاصكم من الوثبة الابدية صعبا عسرا جدا

انني

العدد ٣

انني اعلم جيدا ان ليس هو من شيم الطبيب الحكيم صاحب الاوراز الحسن ان يحكم بتلاف
المريض حالا ويعده من الاموات ولو استبانت فيه اشارات دالة على الموت لان القديس
لاون الحبر العظيم في الخطاب الذي قاله في عيد الظهور الالهي يقول هكذا انه ما دامت
الحيوة بالجسد لا يجوز لنا ان نياس من خلاص احد بل يجب ان نبتغي خلاص الجميع ولكن
بهذا الشرط اعني اذا لاحت لنا ولو بعض دلايل في رجا خلاص ذلك الشخص ومن
ثم الا يكون هذا الواحد الا ذاك الذي اعتاد ان يخطي باعظم شجاعة واقل حياء لانه
من ذا الذي يعلم ان الخطا بعدم الحيا هو دليل على ان الانسان على انه صار متملكا ومتعمقا
في الشر لعمري انه ما من احد يخطي المرة الاولى بقحة وعلانية لكن بحيا وخجل عظيم لان الطبيعة
التي لم تكن تعمقت بعد في الخطا ولا اعتادت عليه تشمئز جدا من الخطية نعم انها
ترتضي بها الا ان رضاها وقبولها يكون مقترنا بالخوف وترتكبها في المرة الاولى مرتجفة
ومستحية ومتوقفة وتطلب الظلام والاماكن السرية لتختفي فيها حتى انها تخاف
ايضا من الاشيا العديمة الحس التي ترتكب الخطية ضمنها ولا تظنوا ان ذلك لا يعرى
الاحيان نخشى من ان يلتحق بنا عقاب ما اذا ظهرت خطيتنا لانه وان تحققنا انه لا
يتصل الينا شي من العقاب عن اثمنا مع ذلك اذا كنا مبتديين في الشر ولم نتورط في
مباشرته كثيرا نحب ونرغب ان لا تعرف خطيتنا اصلا ونبذل مجهودنا في ان نخفيها
واذا شعرنا بانها ظهرت على نوع ما فنستوعب حياء وخجلا وهذا جميعه انما يصدر
من اشمئزاز الطبيعة من الخطية ونفورها منها وتحقيقا لذلك اخبروني

العدد ٤

اية خطية امكن ان ترتكب في العالم خلوا من ان يخشى من العقاب بسببها نظير الخطية
التي ارتكبها قاين في قتل هابيل اخيه على انه لم تكن ح ترتيب محكمة ما تفحص دعوات
البشر ولم يكن يخشى من المشتكيين ولم يكن اقيم قضاه ولا كان يوجد خدام محكمة
ليقبضوا على المجرمين ويعاقبوهم ولا بنيت سجون ولا كان سمع بعد في الارض اسم قصاص
الخطية وبالتالي من كان يخاف قاين الا يقاصصه عن خطيته والحال انه بحسب راي
القديس ابيفانيوس لم يكن بعد ولد في العالم سوى قاين وهابيل فقط ومن ثم لو فتك
ادم بقاين ابنه قصاصا عن قتله اخيه هابيل فكان اخترم من غير خليفة حتى ولو قلنا انه
كان يوجد اناس في الارض غير قاين حسب راي العلما الاصح الا ان قاين لم يكن يخاف من احد

ص

لان الجميع كانوا يهابونه ويحترمونه لاجل انه كان البكر وكان شاباً باسلاً ذا عزم كامل
وفايقاً على الجميع بالشجاعة وقوة الجسد ومع ذلك جميعه حينما اراد ان يجترم خطية
القتل قبل جميع البشر تحذر حذراً عظيماً وافتكر كثيراً في اي مكان محجوب يقتله ومن ثم
سبيلنا ان نقول انه لما حسد براخيه وعزم العزم المولي على قتله امتلا خوفاً ورهبة
لان الكتاب المقدس يشهد فيه انه تعبس وجهه قبل ان يرتكب هذا الاثم الفظيع وكانه
اراد ان يوضح لنا بهاتين الكلمتين ان لون وجهه تغير وجبينه انقبض وعيناه غارتا
وانعدم كل بشاشة لشدة الحيا والرعب الذين اشتملاه ومن ثم يسوغ لنا ان
نقول كم من الليالي قضاها بلا نوم وكم من مرة تلق وهو راقد وكم من الاشباح الخيفة تخايلة
له في الحلم الا انه مع ذلك جميعه لم يعدل عن عزمه الردي ولما قصد اتمامه كم تصبر كم
اجتهد في اخفائه سراً وخفية فدعا اخاه الصالح الوديع الى خارج المنزل كانه كان
راغباً ان يتنزه في الغياض واحتال عليه بكونه صديقاً اميناً قايلاً له لنخرج الى الحقل وابعده
عن المنزل بمقدار ما استطاع وطلب مكاناً خالياً وحقلاً مقفراً وهناك غار عليه بغتةً
وقتله كما يشهد الكتاب المقدس بقوله ولما صار في الحقل قام قاين على هابيل اخيه فقتله
ولماذا هذا الحذر والاجتهاد في الاختفا اما كان يستطيع ان يقبض عليه في اي مكان شاء
العله لم يكن اكبر منه عمراً واعظم قوة وجسارة اتراه لم يكن متسلحاً اكثر منه على ان هابيل
لم يكن يظن بانه اغاظ اخاه قط ولاجل ذلك كان يسير دايماً معه غير متسلح وغير متحذر
اما قاين فكان يدرس عليه الفخ ومن جرى ذلك احتاج ان يسير على الدوام متسلحاً بسلاح
يناسب لقتل اخيه ومع هذا جميعه فقد سلك في امر قتله بالحذر والاستتار اللذين
يستعملان اليوم حينما يسهر هذا المقدار من الجواسيس وتحدث هذا المقدار من
الشكاوات وتقام هذا المقدار من الدعوات وتفرض من السنة المدينة هذا المقدار من
العقوبات لاجل ترهيب الاثمة والجهلة فاذاً قد تصورت حسناً في صنيع قاين الرهبة
والحيا اللتان تسببهما الخطية في اوايلها قبل ان تتوطد وتتمكن جيداً في النفس ومن ثم
يخاف الانسان منها ولا يجسر على ان يرتكبها بوقاحة العين وجهاراً بل انه يتنكر ويتحايل
ويطلب غطاء برد الوداعة ويغضه بالمحبة وحقده بالمؤانسة ويهرب الى حيث لا يجد
من يضطهده ويحتجب حيث لا يرى ويفحص عن مكان حيث لا يوجد فيه من يقاصصه

واثباتاً لما قلناه في امر قاين اما تعلمون حسناً ايها السامعون ما هو العقاب الذي عاقبه
الله به فيما بعد عن اثمه على انه تعالى لم يامر الارض بان تفتح فاها وتبتلعه حياً نظير
ناداب ولا احرقه بنار انزلها من السما عليه ولا سحقه رميماً بالصواعق فما هو ذلك العقاب
فقد كان هذا فقط وهو انه ترك فيه تلك الرهبة عينها التي شعر بها عند ارتكابه اثمه
وهذا هو راي القديس يوحنا فم الذهب ايضاً لانه قال متكلماً عن قاين انه عوقب
عن هذا النفاق كله بالرعب فقط لان هذا الرعب من خواص ذلك الذي ابتدا حديثاً
قبل ان يخطي ولم يكن ضميره تصلب بعد في الشر ومن تراه يستطيع ان يدرك كم يضطرب
ضميره ويتبجس وكم يقلق ويتعب وكم يتالم ويتعذب وكم يستحوذ عليه الخجل وكم
يتمزق باطناً من الوهم والخوف فهذا كله كان يشعر به قاين ويتعذب في نفسه عذاباً
لا يوصف ولاجل ذلك كان يقول مضطرباً وآيساً كل من يجدني يقتلني فقال كل من
يجدني لانه وقتيذ توهم في ذاته بان خطيته عتيدة ان تعرف من الجميع حتى انه ظن
بان وحوش الغاب ايضاً العتيدة ان تشعر بها وتسخط عليه وتنتقم منه ومن ثم حسناً
ختم الذهبي فمه كلامه المقدم ايراده في قاين بقوله هكذا فهذه هي شيم الخطاة ان يشكوا
في كل شي ويرتاعوا ويرتجفون من كل خيال ويرتعبوا من كل حركة وضجة ويتوهموا ان
الجميع قاموا لمناصبتهم قولوا لي الان ايها السامعون الاحبا انه ان كان هذه المفعولات
التي تسببها الخطا في النفس في اوايل دخولها فيها حتى انه سببها ايضاً في نفس قاين الذي
يلزمنا ان نقول فيه انه كان له صدر من صخر وقلب يضاهي الوحوش فماذا يجب ان نحكم في امر
اوليك الذين اذا اخطاوا لا يستشعرون بشي منها اوليك الذين قال عنهم ارميا النبي انهم
عملوا بالرجس ومع ذلك خزياً لم يخزوا وجهلوا الاستحيا كما اردف وقال ايضاً النبي المذكور
وماذا نحكم ايضاً على اوليك الذين ليس انهم يشعرون بحبس في خطاياهم بل يشعرون
بفرح وسرور وليس انهم لا يطلبون الاختلا فقط بل يطلبون الفلا وليس انهم لا يحبون ان
يعذروا نفوسهم بل يتوقحون ويفتخرون ويتظاهرون بنفاقهم اجيبوني وقولوا لي ايضاً
فاذاً يجب ان نظن باوليك الذين قيل عنهم في سفر الامثال انهم يسرون بفعل السو وتفاقم
قباحتهم يستبشرون بالارتجاع الردي اما هو هذا دليل واضح في ان نفوسهم تصلبت في الشر
وانهم غلبوا الخوف والحركة الباطنة الاولى وعدموا لذع الضمير ووساوسه على انه مادام

هذا القتال في الضمير فيخشى الانسان ان يتمادى في الملاذ والقنان لذلك لانه لا يمكن ان
ندرك كم تولد حزنًا واضطرابًا تلك الدودة المرة التي تنخر الضمير حتى اننا لو اجتهدنا بمقدار
استطاعتنا في ان نسكتها ونخمد حرقة سمها فمع ذلك لا بد من ان يظهر في الوجه ويغير لونه
ويهزله ويجعل صورته دنية ثم متى ما بطلت واضمحلت هذه الاشارات من الخاطئ اعني بها
الحزن والخجل واستولت عليه عوضًا عنها اشارات الفرح والسرور وصفاوة الوجه فنادوا عليه
بالويل لانه يكون قد بلغ الى قعر الشر وذلك حسب نص الكتاب الالهي القايل ان المنافق اذا
انتهى الى قعر الخطايا لا يبالي

العدد

انه هنا لقد استطيع ان اقول انه اسد تحققًا
لم يحدد ماهية الشر الذي لا يبالي منه المنافق اذا انتهى الى قعر الخطايا لكنه قال قولًا مطلقًا
لا يبالي لانه متى ما احتقر الخاطئ ذلك الحيا الذي تسببه الخطية من طبعها ولم يعد يشعر به
ايضًا فلا يبقى له حد او يتجاوزه ولا لجام ولا يبالي منه فان شرع عليه مشورات حسنة فتروه لا
يبالي وان تهددتموه بتهديدات مخيفة فهو لا يبالي وان اعظم له اهانات او توبيخات فهو
لا يبالي ايضًا وان تحتم له جحيم ولهيبة ترونه ماذا فهو ايضًا لا يبالي وبالنتيجة اقول انه لا يبالي
من شي ما البتة اي لا يبالي من النصايح ولا يبالي من الطلبات ولا يبالي من الرشوة ولا يبالي من
العقوبات ولا يبالي من الناس ولا يبالي من الله نفسه حتى انه لا يخاف من ان يتفوه قايلًا من
هو ربنا فانتجوا الآثمة اورد لنا اي رجا يبقى لهم ولا سيما في الخلاص لا ادري كيف يستطيعون
ان يصلحوا سجيتهم الردية بعد ان تملكت فيهم الخطية كيف يمكن ان تتغير بعد ما سكن عنهم
لذع الضمير كيف يقدرون ان يرجعوا الى الله طايعين والحال ان قلبهم تصلب في الشر فمنهم
تمردت في فعل الاثم حقًا ان خلاصهم صار صعبًا عسرًا جدًا من حيث ان ارتدادهم من الخطية
الى التوبة الحقيقية اضحى صعبًا هكذا انه لا ريب في ان ارتداد من يخطي بخوف وارتداد
او اقله يكون بنوع ما من الحيا ليس هو صعبًا جدًا كما قال القديس غريغوريوس والسبب في سهولة
ارتداده هو ما اورده هذا القديس المذكور ايضًا بقوله لان الذي يستحي من ان يتبين خاطيًا
قد يمكن بسهولة مع مدا الزمن ان يستحي ايضًا في نفسه من كونه خاطيًا ومن ذلك يسهل
عليه ان يتحرك الى التوبة والى الارتجاع عن الخطا ولكن كيف يمكن ان يستحي من كونه خاطيًا ذاك
الذي لا يستحي من ان يتبين تجاه الناس خاطيًا بل يفتخر بذلك مسرورًا لان العاطفة الصالحة
والخوف التي يحدثها الخاطي المنافق هي الرغبة في ان يتبين امام الناس واقعًا صالحًا

تقيًا

تقيًا وهي التي من قبلها نشاهد الشحيح البخيل يستر شحه ومحبته للفضة تحت اسم التوفير
كما صنع يوداس حينما ضج واجلب بسبب الطيب الذي افاضته المجدلية على راس المخلص
كان ذلك لانه يوجد بضرر الفقرا وقد كان يبين ان قصده انما كان ليتوفر من اجل احتياجهم
والجبان يحجب فيتلبس تحت اسم الحذر والمتعجرف يستر عجرفته تحت اسم الشجاعة والمتكابي
يستر ظلمه تحت اسم العدل وهكذا وعلى هذا النسق نعاين ساير الخطاة الذين
يستحون من ان تظهر اثامهم ومن قبل ذلك يحجبونها تحت اسامي الفضايل لاشتياقهم
ان يتبينوا امام الناس بمنزلة صالحين اتقيا وتاكيدًا لكلامي اقول هل وجدت امراة على وجه
الارض اشر من ايزابل الملكة ومع ذلك لم تجسر ان تتلطخ بدم نابوت المسكين التي رامت
ان تختطف منه كرمه من دون ان تستر ظلمها برداء الديانة الممدوح لانها اظهرت
على نفسها انها قاصدة ان تقيم عليه دعوى كانه مجدف ولاجل ذلك فرضت صومًا عموميًا
وجمعت شيوخ اسرايل واجلستهم لتضرب معهم مشورة في امر باهظ ثقيل وصنعت هذه
المكيدة هذا جميعه لانها استحت ان يظهر شرها ونفاقها وهكذا امنون بن داود الملك
لقد اجتهد ان يخفي عشقه الدنس بحجة ضعف الطبيعة ومثلهم هامان قد سعى ان يحجب
حسده وحقده الشنيع تحت حجة خير الجمهور واننا اذا راينا احدًا بعكس ذلك يبلغ به
الشر الى ان يخطي بوقاحة وسهولة من غير حيا بل يسر بفعل السو كما جاء عنه في سفر الامثال
فيلزمنا ان نحكم عليه بهاتين القضيتين اي اما انه لا يفقه الاثم ترجيحًا اما انه لا يحتسب
العار قصاصًا عظيمًا واذا ما وصل الانسان الى هذا الحد من النفاق هل يبقى لنا رجا ان نرده
الى التوبة وبغض الخطا كما يجب ولكن ما بالي قلت ان نرده الى التوبة فالاجدر بنا ان نقول
انه صار شريكًا مع لوسيفوروس في العقاب واثباتًا لذلك اصغوا جيدًا بعقلكم وافهموا جيدًا
هذا المعنى الدقيق الذي اورده هنا على مسامعكم وهو انه لمن المعلوم ان لوسيفوروس
تعظم في نفسه ايضًا لكن في اي شي تعظم انه لا شك في انه تعظم بحسنه وضيايه كما قال
حزقيال النبي متكلمًا مع هذا الطاغوت الكبير هكذا ارتفع قلبك في بهايك اي نعم لقد
تعظم هذا الملعون في ذاته لانه راى عقله احذق من عقول المخلوقات كافة وانه قد اتصف
بعلم ادق واعمق واعطي الرتبة الاعلى تعظم لانه ابصر انه لا يوجد حسن في العالم الا وقد
تسربل به تعظم في كونه هو صورة العزة الالهية الاكمل والاقرب الى عظمة الله الكلية الاوفر

تشبهاً بجهنم السرمدي ولاجل ذلك ظن في ذاته انه لا يمكن لخليقة اخرى ان تتوسط ما بينه
وبين الله رب البرية ومن ثم يستبين لي هذا التعظم والافتخار ربما يقبل الكفر اعتذاراً وذلك
طبق ما تفوه به اشعيا النبي قايلاً حكمتك وعلمك هذا خدعاك اما اوليك الخطاة الاشقيا
الذين يتعظمون لانهم مكتسبون اثماً ويشعرون عاراً اوليك الذين يفتخرون لانهم صاروا
سجين ومكر وحيف بازاء عيني الله الطاهرتين اوليك الذين يجعلون مجدهم وفخرهم في ان
لهم نفساً دنسة وقلباً وسخاً وجسداً منتناً من الرجاسات وسيرة حيوانية فمثل هولا ترى اي
عذر يرجون ويتوقعون من الله لعلهم يرجون ان الله تعالى يحتملهم وهم متعظمون هكذا
باثامهم وادناسهم والحال ان الله عز وجل لم يحتمل ان يبقى ويدع ان تتعظم بكمالاته تعالى ما
اي انه يجب عليهم ان يرجوا بعكس ذلك اي انهم ينتظرون من الله سبحانه اشد العقوبات
التي اجراها على جميع الانفار المتعظمين والمتكبرين في نفوسهم لانه اذا كان هو تقدس اسمه عاقب
عقاباً مريعاً من افتخر بقوته كمثل جليات الجبار وكمثل ابيشالوم الذي تكبر بحسنه وكمثل سنحاريب
الذي افتخر بكثرة جيشه ونظير من تباها بسلطته وهو هامان ومن استبطر بغلباته كمثل
انتيوخس ومن تباهى بفصاحته كمثل هيرودس ومن تجبر في عمارته كمثل بختنصر ومن تبجح
بكنوزه كمثل حزقيا والاغرب من ذلك هو انه تعالى قد عاقب ذلك الذي امتدح على مداومة
اصوامه واداء عشوره وتوزيع الصدقات بفيض عميم اعني به الفريسي المذكور خبره في الانجيل
الطاهر اللهم ماذا يحل بكم ايها الخطاة المنغمسون في الاثام الذين تجعلون فخركم فيما يكره
ويقبح ذكره اعني في الشهوات السمجة وفي الغش والكذب والخبث والخيانة والشره والسكر
وما ضاهاها ذلك من ساير انواع الخطايا المستقبحة التي بدل الاثمان تعفوها بمنزلة العار
الفضيحة تفتخرون بها باهتمام جازم تستحقون المدح والثنا وبعد ذلك هل ترجون ان الله تعالى
يحتملكم والحال ان هذه الصفة هي صفة الله حسب راي يهوديت العفيفة اي انه يجب
مطلقاً ان يكسر ويذل ويوهن اوليك الذين يفتخرون بقوتهم ايضاً قايلة والمفتخرين بقوتهم
انت تذلهم يا رب العالمين ترجون ان يصبر عليكم ام هل تاملون ان يغفر لكم لعمري ان ذلك لا يمكن
اصلاً ايها السيبون الحيا لا يمكن لان هذه وقاحة عين قبيحة الحمالة ومن اجل ذلك لا بد
ان تضرم في الله عز شانه غيظاً وحنقاً الديان ولا بد
من ترتيبه ما غزل البشر
لا يشعر نفسه بمثل هذه العاطفة اي عاطفة الزجر اذا ما اغاظنا احد ولو مرة فلا شك في اننا

نتحرك الى الغضب ولكن مع هذا نستسهل الصفح عنه وذلك اذا علمنا انه لم يشعر بذلك
احد ولا سمعنا احد يتكلم فيه لانه يبان لنا ان شاننا لم ينثلم كثيراً ولكن اذا اغاظنا وافترى
علينا ولم يكتفي بذلك بل اذاعه واشهره مفتخراً متعظماً فليت شعري ما اعظم الغيظ
وما اوفر السخط الذي يتقد بنا حتى اننا لا نعود نشا ان يتوسط احد ما بيننا وبينه
متشفعاً فيه ولا نقبل له عذراً ولا نحب مصالحته معنا بل نحتسب انه لم يبقى شي يمكنه
ان يرد لنا صيتنا وشاننا المهدوم سوى الانتقام منه بايدينا فلنحتسب الان انه هكذا
يجري الامر نظراً الى الله تعالى وهو ان الذي يخطي سراً ومتحذراً وخايفاً فانه لا يظهر نحو
عزته الالهية المقدار من الاحتقار ومن ثم لا يحرك سبحانه الى سخط عظيم جداً ولكن
ما اعظم الاحتقار الذي يصنعه ضد جلالته الالهي ذاك الذي يذيع ويشهر انه اغاظه
تعالى واستهان به فهذا لعمري يتبين منه انه باهانته ربه يقر بلسان الحال انه لا يعتبر
ناموسه الالهي ولا يخاف من سلطته الرهوبية ولا يبالي من الكرامة ولا يعنيه بتمجيد
ولا يبتغي محبته ولاثبات ذلك جميعه يستشهد مضر اجمع اوليك الذين يعرفهم بخطيته
ومن ثم لا عجب ان كان الله ينتقم بقصاصات شديدة عن الخطايا المشتهرة غير انه ولو
مهما كان السبب فانه لمن المحقق ان الخطية الخفية ولو كانت جسيمة لقد يسهل الغفران
باوفر سهولة اما الخطية المستعلنة وان كانت اخف فنادراً ما تترك من غير قصاص وهذا
الراي لم اجسر على ان اتفوه به لو لم استند على شهادة القديس يوحنا فم الذهب القايل في
خطابه ضد المنافقين هكذا انه وان اخطا احد خطاة ثقيلاً سراً فيستحق عقاباً اخف
ممن اخطا خطاة ظاهراً بغير حيا ولو كان خطاوه اخف انتهى ولعل الله تعالى يظهر صدق
هذا الراي عياناً في واحد من اعز اصفيايه الذين كانوا له في المسكونة اعني به موسى قايد
شعب اسرايل فهذا النبي النفيس قد كان تعب وجاهد واحتمل مشقات وشدايد في
ادخال بني اسرايل الى ارض الميعاد اكثر جداً من ان يتعب ويحتمل احد القواد في ادخال الجيش
المقلد له لامتلاك مدينة من احصن المدن من الاعدا فما اغزر الاتعاب التي تكبدها اولاً مع
فرعون ملك مصر كيف لا والحال انه قد كان خاطر بنفسه مع سحرة الملك وطرح بذاته
يسقط تحت غضبه ثم لما خرج اخيراً من ارض مصر من ذا يصف كثرة المشقات التي احتملها
مدة سنين عديدة في البرية لانه قد كان تقلد في ان يدبر شعب عظيم لا يحصى عدده

من رجال ونسا وشيوخ وشبان وصبيان مختلفي الادراك شرهين في الطلب غليظي الاعناق
كثيفي العقول ومتصلبي الارادة جسورين عليه ومنهم كم من مرة قد عصوه وجبهوه وناصبوه
وبحثوا عليه لقد قذفوه بالذم والنميمة وقسوا قلبه بالمشاجرات وصرعوا سماعه بالبكا
وعابوه بالتهمات واقتحموا عليه بالجرائم اما قد التزم استغفاره دفعات شتا اذ ينحدر وينجيه
من شرهم تارة بالحريق وحيناً بالوبا وطوراً بالزلزلة وفتح الارض قصاصاً للذين كانوا
يناصبوه وما عدا ذلك كله فقد اضطر ان يقضي ايامه في الفقر ضابطاً بيده الاسلحة
ضد الاعداء الذين كانوا يتلقوهم في كل رحلة وقد كان مفوضاً له من قبل وظيفته ترتيب
الحروب واستماع الدعوات واصلاح الخصومات وتعليم السنة وعلى الاطلاق اقول انه
كان يلزمه ان يتعب ويشتغل في كل الاوقات على حد سوى كانت اوقات السلام و
الراحة او اوقات الحروب والقتال وهذا كله كان يصنعه لهذه الغاية فقط وهي
ان يدخل شعب اسرائيل ارض الميعاد ومع ذلك جميعه لما دنا الدخول اليها لم يشا الله
جلت احكامه ان يعطيه هذا الجزاء اي ان يدخل الشعب ارض الميعاد ومنهم من
يستطيع ان يدرك كم يكون قد اشتمل موسى من الحزن وذلك لانه بعد ان اتصل الى
حدود الارض المشوق اليها بهذا المقدار سمع من فم الله تعالى حاكماً عليه بالموت وقايلاً
رأيتها بعينيك ولكن لا تدخلها على انه هو الذي نصب وتعب وكان غير بعيد ان
ان يتمتع بثمر اتعابه وهو الذي احتمل مشقات لا تحصى ليبلغ بالشعب الاسرايلي الى
الارض الموعودين بها وكان غرضه ان ينال بحدها الانتصار ولكن ترى ما هو السبب الذي من
اجله استعمل الله مع موسى هذه الصرامة لعل موسى لم يكن كلامه كاملاً في سيرته ووديعاً
في اخلاقه ومتورعاً في ديانته وغيوراً في حفظ ناموس الله نعم انه كان متصفاً بهذه
الكمالات كلها ولكن لاجل انه زل يوماً في بعض كلمات نطق بها خلواً من رصد العقل اغتاظ
الله تعالى اغتياظاً جزيلاً حتى انه ما امكن ان يسكن غيظه الالهي عنه. واذ شئتم تعرفوا ما
هي هذه الكلمات التي زل بها باللفظ فاصغوا لما اورده على مسامعكم فاقول انه لقد كان
الشعب الاسرايلي عطش في البرية وهتف صارخاً بضجة عظيمة الى موسى متهدداً اياه
وسايلاً منه الما فضجر موسى من صراخهم وتذمرهم ورفع عصاه وبكتهم قايلاً ما الذي تطلبونه
يا ايها الغليظو الاعناق والمخاصمون هل نخرج لكم الماء من الحجر فهذه هي الكلمات التي فرطت

من

من فيه وخلواً من رصد العقل الا انه انتبه حالاً وعرف انه هو في نطقه اياها بايمان قليل
شاء ان يصلح بيده غلطة لسانه فضرب الصخرة فعاين حالاً الماء فايضاً يتدفق منها لاحقاً
لانتظاره لكن وقته كان قد فات لان الله تعالى ما استوفى رضاه من ندامة موسى وسرعته
عن قلة ايمانه ولذلك ترى له توقعه وعلمه انه لاجل انه تزحزح منحرفاً قليلاً عن الثقة
بمواعيد الالهية اعدمه الاستحقاق في ان لا يبصرها مكتملة بادخال الشعب ارض
الميعاد لعمري ان هذا القصاص مطابق لهفوة موسى اما انا فاقرنا ظلماً الحق اني لا اظن
ان هذه الهفوة بمجرد ذاتها استحقت هذا القصاص ومن ثم يلزمني ان اقول انه لابد من
ان تكون اقترنت بعادات اخر صدرت فيما صير موسى يستحق القصاص المذكور وانبا ان ذلك
اجيبوني هل هي هذه المرة الاولى التي زل فيها موسى النبي في قلة الايمان والثقة بالله كلا
لكنه زل ايضاً مرات اخر غير هذه الزلة وربما اعظم منها ايضاً على انه لن الحق وانه في احد
الايام لما حسب كيف يجد قوتاً يطعم هذا المقدار من الخلق في البرية فابس ولم يتكل على الله
تعالى فانه قادر على ان يقدم لهم ولاجل ذلك شرع يحاوره عن اسمه ويخاصمه كان عدم
القدرة بل فشكا منه ايضاً كانه تشبه باولئك الذين يعدون بالكثير ولا يستطيعون على ان
يقوموا بوعدهم فاسمعوا نص كلامه واعتبروه جيداً وانظروا هل يخلو بالكلية من شايبة
الجسارة لانه هكذا خاطب الله تعالى قايلاً هذا الشعب ستماية الف رجل ماشي وانت تقول
انا اعطيهم لحماً يأكلونه شهراً كاملاً لعل كثرة الغنم والبقر تذبح لهم كي تستطيع تكفيهم او لهم
ام جميع سمك البحر يجتمع جملة ليشبعهم انتهى ومع ذلك جميعه اجابه تعالى بحلم عظيم
ودالة وافرة وابان له انه لعتيد ان يرى بعينيه حقيقة قدرته الالهية التي لا تكون بالكلام
فقط بل بالعمل ايضاً وذلك بقوله هل ان يد الرب لا تقوى ان تفعل ذلك فالان انت تنظر
ان كان قولي يكمل بالفعل ام لا وما عدا هذا كم من مرة كان سابقاً عاند الله تعالى وابى ان يسلم
لدخلا اما قاوم في مصر لما اراد جل ذكره ان يرسله ليخاطب فرعون ولما رفض تقلد
الوظيفة التي اراد ان يقلده اياها وهي ان يقتاد شعبه الى البرية ولعله ما ضجر وسيم
منها فيما بعد دفعات شتى وهل لم يغضب منها وتشكا وتذمر مرات عديدة حتى انه لتصل
الى انه يطلب لنفسه الموت لينجو من تعب وظيفته واكدارها قايلاً لله ان رغبت ان
تميتني ليلا احتمل هذه الشرور كلها لما كان الله قادر ان يعزيه وينعم عليه بطريقة

أخرى غير طريقة الموت ومع ذلك جميعه لم يقاصصه الله في هذه الدفعات بل إنه بعكس
ذلك كان يترأف عليه ويحبيه بالحلم ويشجعه ويعضده ويعزيه أما هفوته الثانية
التي زل بها من غير رصد العقل حينما احتاج أن يخرج الماء من الصخرة فعاقبه الله
عنها عقاباً شديداً صارماً فما هو السبب في ذلك أو لستم تريدون تسمعوا سبب ذلك
مني لانه يمكن بما أنتم تعتبروها كأنها أهل لاقناعكم كثيراً بل اسمعوها من فم
القديس المغبوط ماري يوحنا الذهبي فمه الذي قد تكلم هكذا أنه ما أمكن أن هفوة
ما من هفوات موسى أن تعدمه الاستحقاق بالحظوة بالمواعيد الالهية سوى تلك
التي فرطت منه عند ما رام إخراج الماء من الصخرة وهذه الهفوة لعمري أخف من غيرها
نظراً إلى مجرد ذاتها إلا أنها حسبت أعظم منها ولأي سبب أعدت أعظم من غيرها فالسبب
هو لأن الهفوات الأخر كانت فرطت من موسى خفية وسراً أما هذه فقد فرطت منه ظاهراً
وتجاه الشعب كله انتهى أيمكنكم أن تسمعوا تفسيراً أوضح وأحق من هذا فالمفهوم من
ذلك أن الخطية التي صدرت عند الصخرة ولو كانت أخف إلا أنها كانت ظاهرة أما سائر
النقائص والهفوات في الإيمان والثقة بالله فلا ريب أنها كانت أثقل إلا أنها استترت بخفية
ولم يعاينها أحد ولا سمع بها ولا اطلع عليها ولأجل ذلك لم يظهر الله تعالى أشعاراً بها عظيماً
أما هذه الهفوة الأخيرة فقد أبصرها الشعب وعاينها ومع أن موسى لم يفتخر بها لكنه حزن
وبكى عليها فمع ذلك لم يدعها الله أن تجوز عنه بلا قصاص فافهموا الآن أيها السامعون الأعزاء
أننا إذا أخطأنا في منازلنا والأبواب مغلقة والحجاب ساترنا فلا شك في أننا نعمل سوءاً بل إثماً
عظيماً لأن الله سبحانه يرانا في كل مكان لأنها ليست هي ظلمة ولا ظلال الموت حتى يختفي بها
من يعملون الإثم لكن مع ذلك جميعه لنا أن نرجو ولو رجاء في أنه لسهل علينا أن ننال من الله
تعالى الغفران عنها أما إذا كانت خطيتنا ظاهرة فلنخف ولنرتجف كثيراً لأنه يلزمنا أن
نعطي عنها حساباً صارماً شديداً ونحتمل عنها عقاباً شاقاً عظيماً جداً قال اشعيا النبي إذ عن
خطيتهم وإثمهم أشهروها الويل لأنفسهم لأنهم تجاوزوا بالشرور فلنعتبر كلامه هذا أي قوله لأنهم
تجاوزوا بالشرور علوا أي الذي يتوعد بالشرور أولئك الذين أذاعوا خطاياهم وأشهروها ليس
أنه يتهددهم بشرور عتيدة أن تحل بهم لا بشرور سلفت عليهم أي نعم فقد كان إذاً الموجب أن
يقول الويل لأنفسهم لأنهم سيتجاوزوا بالشرور لا لأنهم تجاوزوا بالشرور أي نعم أن هذا كان

بالوجب ولكن أنه هو أجيد لمعنى غاية النبوة وهو كأن النبي يقول للمسلمين الحقوقين أن
هؤلاء ذوي المعرفة والشكوك تدركهم الشرور حقيقة إلا بهذا القدر أنهم أشهروا وإن
لم تكن أدركتهم بعد فيسوغ لنا أن نقول أنها أدركتهم وصاروا ساقطين فيها ÷
العدد ٧
ولكي نتكلم بالحوطة فنقول ترى ما هي الخطايا التي تصيب الآن مسيحيي الدول الإفرنجية
أعداء إيماننا ودياناتنا المقدسة هل الخطايا السرية الخفية كلا بل الخطايا الظاهرة وأفضحتم أيها
السامعون أحبائي أن تفهموا الخطايا الظاهرة فاعلموا أنه معروف أمم الإفرنج في أنه توجد
ما بين النصارى نسوة بعض عفتهن يبعن اشهرياً حتى أنه لا توجد زاوية إلا ويجلس فيها تامار
وعلمهم في أنه يوجد في النصارى من يعلم صناعة كيفية العشق والصناعة في أن يكون
الإنسان معشوقاً وفي أنه توجد لديهم كتب أشعار ومصنفات لأجل تلذذ الشهوة وأنه تسمع في
المسامرات أحاديث وأغاني وهزليات سفيهة تهيج الطبيعة المفسودة وأنه في الكنائس
يحدث من الجهلة الرصد للتعدي في البهيات الحسنة والأمور الباطلة أو قلما يكون الكلام و
الضحك كأنهم واقفون في الساحات والشوارع وأن النصارى يستعملون عمود الربا
حتى أظلمها من غير حيا ولا لذع الضمير وأنهم يحفظون جهراً البغض والحقد حتى إلى طلب
سفك الدم أيضاً كأن ذلك شرف لشأنهم وصيتهم لا عار ولأجل بذلك وأنهم يتعاطون
ويناصبون رؤساءهم الكنايسيين وأنهم يمزقون صيت رهبانهم بقذف ألسنتهم السفيهة
وأنهم يغرون غيرهم إلى الاحتقار كهنتهم وأن اسم الله القدوس أيضاً يجدف عليه ظاهراً
في الأسواق والحوانيت والبيوت والخمارات والجمعيات كأنه اسم أحد أحقر الناس فهذه
هي الخطايا التي تخفض شأن الإيمان المسيحي عند الشعوب الغربا أعداءه المبغضين
حسبما جاء في الكتاب المقدس بقوله يجعلون اسمه يجدف عليه بين الأمم أن الخطية إذ
تستر عند النصارى بخوف وحيا فيصدقون أنهم يعتبرون الفضيلة لأنه ما من أحد
يخفي الشيء الذي يمدح به لكن إذا عرفوا أن الخطايا يرتكبونها ظاهراً من غير حيا بل يفتخرون
بها مسرورين فالذي يقولونه عنهم لا ريب في أنهم يقولون أن الصلاح لا اعتبار له عندهم
أصلاً بل إن الردى عندهم محمود ومن ثم يتحققون أن غالب المسيحيين لا يعتبرون مسيحهم
وأن اتباعه هو عار لديهم أما مخالفته وبغضه فهما فخر ومجد ÷
العدد ٨
ومع ذلك جميعه فيا أعظم شرنا ونفاقنا كم من مرة نبلغ إلى هذا الحد من الإثم حتى أن الخطايا

التي صدرت منا بالسر والخفى نذنبها ونشرحها بعد نيتنا وتغيير فاعلها فلا يكفينا ان نفعل
الادناس في الظلام لكن نبرزها الى النور ومع ان جدران البيت تخفيها والابواب المغلقة
تحرسها والليل المظلم يحجبها فلا يكفينا هذا لكن نبلغ من الشر ايضاً الى ان نبوق في الجمعيات
المحرمة ونخبر بها في اسمار الغنات المرذولة ونترنم بها بالاشعار السفيهة فليت شعري هل
هذا شر قليل ام لعل الضرر الواصل منه يسير زهيد اما ان لكم ان له رجاء الخلاص ذاك الذي
تسبب بخفض شان النصرانية وبها باسم المسيح ويعير فلنعد الان ذكره ولنهتف مع اشعيا
النبي قايلين الويل لانفسهم الويل لانفسهم لانهم تجاوزوا بالشرور حقاً ان هذه ليست
خطايا يمكن نيل الغفران عنها بسهولة لقد هتف الله تعالى على لسان نبيه ارميا مخاطباً بالغضب
اورشليم وقايلاً لها هل ان اللحوم المقدسة تدفع عنك سياتك التي بها افتخرت و
معنى كلامه تعالى هو هذا اي انه لا يكفي تقدمة الذبايح لكي ترضى عن سياتك نعم ان هذه
كانت كافية لا محالة لتمحي عن سياتك لو كنت تستحين وتخجلين من فعلها ولو كنت تمقتينها
وتبكين عليها لكنك قد بلغت من النفاق والخداع تفتخرين بها فمن ثم لم يعد لك رجا وسوف
تعاقبين مني عند الممات ها هوذا الكلدانيون راكبون الخيل واتيون اليك لينتقموا منك بالاخذ
عن سياتك وخطاياك فلست اريد منك بعد تقدمات ولا ضحايا ولا ذبايح بل ارجو خرابك
ودمارك هل ان اللحوم المقدسة تدفع عنك سياتك التي بها افتخرت فهكذا كان الله تعالى
اسمه يتكلم ويقول مسخطاً على مدينة اورشليم من اجل سيئاتها وادناسها التي كانت تفتخر بها
اللهم الرحوم الرؤوف لا تسمح بان يتم توعدك هذا المخوف عن مدننا وقرانا ايضاً فمن ثم ينبغي لنا
بل يجب علينا يا ايها السامعون الاحبا ان نجتهد لان نرضي الله تعالى ونفي عدله الالهي عن سياتنا
ما دام لنا زمن وذلك بافعال التوبة المرضية ومن حيث انه ينبغي لنا ان نبادر ذلك سريعاً من
غير تاخير فلنبتدي الان من عمل الصدقة للفقرا والمحتاجين وهنا فليوصي الواعظ بجمع الاحسان
للفقرا ؛

القسم الثاني

العدد

انه بعد ان نجزنا القسم الاول من العظة بقي علينا شيان يجب ان اخاطبكم بهما بالاختصار وذلك
فيما يخص الخطايا الظاهرة الذي قد تكلمنا في ذمه فيما تقدم من عظتنا هذه احدهما هذا وهو انني
ابين لكم كيف يجب ان تسلكوا من الان فصاعداً لتمحوا الشر الذي مضى ثانيهما ان اعلمكم كيف
ينبغي لكم ان تفعلوا لكي تمنعوا الشر المقبل فيما سياتي اي الخطايا الظاهرة فاقول فيما يخص الشر الذي

مضى

مضى ان الذي يجب عليكم ان تسلكوا فيه لتمحوا الشر الماضي اي خطاياكم عند الظاهرة هو هذا
وهو ان من كان منكم عارفاً في نفسه انه قد صار سبباً للشك والعثرة للقريب بقوله او فعله
يجب عليه الان ان يسعى في ان يقدم مثالاً كاملاً للعمار الروحي ويعمل ان يرجع الى اسم توبته
نصوحة ويفهم ان يخدم اسمه خدمة لائقة لا يماثل اوليك الذين يظهرون في
على انفسهم انهم يستحون من ان يتعاينهم الناس يعملوا خيراً وصلاحاً فمن ثم لفرط حياهم
يعترفون سراً ويتناولوا الاسرار الالهية خفية حتى انهم يحبون ايضاً ان يحضروا القداس الالهي
في كنيسة منفردة لئلا يراهم احد فهذا السلوك في افتعال الخير سراً لا يحسن بمن قد اخطا
خطايا ظاهرة مشاعة نعم ان الملوك والنبي داود اوصى قايلاً الذي تقولونه في قلوبكم تندموا
عليه في مضاجعكم ووصيته هذه يجب عليكم ان تمتثلوا لها ولكن اذا اخطاتم سراً في نفوسكم
او في قلوبكم لا نتح ما دون لكم ان تمارسوا اعمال التوبة عن خطاياكم السرية في مخادعكم ومضاجعكم
خفية وهناك ابكوا وتاسفوا عليها فتحليق بها داخل نفوسكم تقشفوا وصوموا وصلوا و
تخشعوا طالبين من الله الغفران وتندموا عليه في مضاجعكم لكن ان كانت خطاياكم قد
اشتهرت لدى غيركم فلا يحسن بكم هذا الاختلا لانه يجب عليكم ح ان تبعدوا عنكم الحيا
ذاك الذي عدمتموه في افتعال الخطا واجعلوا توبتكم ظاهرة لمعاين من تشكك ولمن اخذ
له منكم سبباً لان يعثر بالخطايا مثلكم ومن ثم يجب عليكم ان تواظبوا على التردد في الكنايس
واستماع الوعظ والتعليم والمذاكرات الروحية جهراً وتعترفوا وتتناولوا الاسرار الالهية
عياناً واقول لكم بالاجمال انه يجب عليكم ان تعوضوا الاضرار الماضية وتجتهدوا في ان تردوا لله
بنوع متساوي ذلك المجد الذي اختلستموه منه ظاهراً بالخطية اسمعوا في هذا الشان ما قاله
الرسول الالهي الى اهل رومية كما انكم كنتم اسلمتم اعضاكم لعبودية النجاسة هكذا الان
اسلموا اعضاكم لعبودية البر واعتبروا قوة كلمته اسلمتم ومعنى قوله الاخر اسلموا فاذاً من
اخطا ظاهراً لا يؤذن له ان يعمل توبته خفية لقد اظهرتم على نفوسكم من غير حيا انكم خطاة
فاظهروا الان انكم صرتم من التايبين ؛

العدد

فهذا الذي قلناه فيه كفاية لاصلاح الشر الذي مضى اما الشر الممكن المقبل فيما سياتي فان
شيتم تعلموا الواسطة الاسهل والايمن لصده ومنعه فاصغوا الي قليلاً لكي اوضحها لكم
بيناً فارصدوا عقولكم حسناً نحو ما انا مستعد ان اعرضه لمحبتكم فاعلموا ان الواسطة
الاقوى والايمن والاسهل لصد الشر المقبل اعني الخطايا الظاهرة هي بحسب زعمي هذه وهي ان
كل من له سلطة او ولاية ما فليعف علانية لاصحاب الفضيلة اعتباراً ويجعل لهم نيتهم في
بمنحهم الشرف والوظايف العلى ويجازيهم باحسن المجازاة بحسب جهدهم وتقواهم اما الخطاة
والاثمة فليظهر ايضاً حيالهم احتقاره اياهم ورذلهم وتاخيرهم فيما يخص الشرف عن

الصالحين والاتقيا فمتى تم الامر هكذا فترى كل انسان من الراغبين التقدم بالحيوة والاعتبار
عندهم واليهم يسعى في ان يظهر لهم صالحاً ولو كان في افعاله الباطنة منافقاً شريراً ومن
ثم ليس انه لا يعود يفتخر بالاثم فقط لكنه يخفيه ايضاً بكل جهده وعلى هذا المنوال يميل
الشوق للسعلو الانسان الذي يريد ان يتقي الله من غير عايق بعد ان فقد نعمة الله ومحبته
لبيت الولاة سواء كانوا عالمين او كنايسيين ان يفهموا بكم من زمن وحين يستطيعون ان
يتقدموا لشعبهم ورعاياهم ولا شك في انهم كانوا يتعجبون بهم متينين في تقدمهم من قدمتهم
واستطاعتهم حيث انهم لا يكونون ملتزمين ان يتعبوا جزيلاً في ذلك ولا نفقة وافرة بل كان
يكفيهم فقط ان يذيعوا وصيتهم وامن نفوسهم ما كان داود الملك ينذر به قايلاً عيناي على
امناء الارض لكي اجلسهم معي والمراد بهذا انه يكفيهم ان يذاع عنهم في الشعب هذا الخبر وهو
انه لا من بينهم احد لديهم سوى الفضيلة ولا شي يحتقر ويرذل عندهم سوى الرذيلة وانهم
لا يلاحظون اغراض النفس وهواها لكن استحقاق كل انسان ولا يعتبرون الشفاعات من
الوصايا بل الافعال فقط ولا يصنعون حسب ميلان الطبيعة لكن حسب العدل فان سلكوا
على هذا النمط وذاع عنهم هذا الخبر الجيد فتشاهدون ذلك الذي يرغب التقدم والشرف
باوفر طمع يسعى مجتهداً في ان يتظاهر بالصلاح والعبادة اكثر من غيره وهذا الذي قلته عن
الحكام والولاة عموماً نظراً الى ولايتهم اقوله عن كل من له تقدم وسلطة ما في مكانه و
كذلك اقوله ايضاً عن كل رب عيلة في البيوت ان كان هولاء كلهم يطلبون من المروسين
عليهم الفضيلة ولو كانوا هم منها خالين في نفوسهم فيفيدون الجمهور خيراً وصلاحاً اكثر
مما ينفعونه لو كانوا هم متصفين بها بنفوسهم خلواً من ان يطلبوها في المروسين عليهم ولنقل
من هنا قولاً مجملاً انه متى ذاع الخبر في اية ولاية كانت كبيرة كانت او صغيرة عالمية كنيسية
او عالمية ان الفضل يعطى للصالحين والرذل فيعطى للطالحين فينسد السبيل وتبطل قلما
يكون الوقاحة في ارتكاب الخطايا او الخطا الظاهر والافتخار والحديث السفيه

العدد ٢

ولكن ربما انكم تعترضون علي قايلين ان هذه الواسطة التي علمتم ايانا ان لمنع الخطا الظاهر
لقد تعلم الناس ان يسلكوا بالريا الذي للفريسيين لا ان يصيروا ذوي الفضيلة بالحقيقة
لانه ينتج انه اذا رام الانسان ان يربح صلاحاً لا يلزمه ان يكون صالحاً في نفسه بالحق لكن
يكفيه ان يرى صالحاً بانه لا يعرف الناس لا غير وبالتالي ان فعل الاثام مهما كان واخفوا رذايلهم طمعاً
في النجاح العالمي فلا يعود يعنيهم اصلاحها والتوبة عنها باطناً في نفوسهم ومن ثم يتفق ان
توجد في المدن والقرى ارادكثيرون بالمشاهدة العيانية فقط ويليلون بالحق فاجيبكم على
اعتراضكم هذا قايلاً لا تخافوا من هذا التوهم بل اعلموا ان ريا الفريسيين هي الرذيلة التي تصعب
ممارستها دون ساير الرذايل نعم انه قد يمكن ان يتم التصنع بالصلاح لكن لا يستمر زماناً طويلاً

لان

لان ذات التشكل في زي الفضيلة يصير فيما بعد للمتشكل بها متعباً ومكرباً اذا كان
خالياً من حقيقتها ومن جرى ذلك اذا لحظتم حسناً فترون المزمار الصليقي العصيان لا تستمر لهم
الا نتوجد من المرايين لان هولاء يحفظ المرايين اذا تصنعوا بالفضيلة فيتملكون فيها المرارة
الموجودة فيها فقط اما العذوبة المكنونة ضمنها فهم فيها خايبون ومن هنا قال حسناً المعلم
تاوفيلكتوس ان المرايين ولو تصنعوا بالفضيلة وتشكلوا بها زماناً ما فينكشفون اخيراً
بمر الزمن وذلك لانه من حيث ان اسباب الخطا هي متصلة والاسباب المحركة اليها كثيرة و
التجارب الخارجة والداخلة عديدة لا يمكن ان يستمر ثابتاً في الفضيلة ذلك الذي يتراءى
بها من اجل المراعاة فقط واذا قاوم الشر واستقام حسناً في الاسباب الخفيفة الملازمة له
فيسقط في الاسباب الثقيلة ومن ثم هل تعرفون ما الذي يجري مخالفاً لما قلتم وتوهمتم ان
كان يذيع الخبر في هذه الولاية يتقدم اولوا الفضيلة وترذل الاردياء فهكذا يجري وهو ان
هولاء المتمرايين بشكل الفضيلة اذا داوموا ممارستها بالظاهر فقط فينعطفون اخيراً الى
ممارستها بالحق واذا ابتدأوا بها من اجل اسباب ارضية فيسهل فيما بعد عليهم ان يغيروا نيتهم
ويمارسوها لاجل اسباب صالحة مقدسة واقول ايضاً بحصر الكلام انه ان كان لا ينتج مما قلته
خير ما فقلما يكون ينتج هذا الخير وهو انه يرتفع من مثل هذه الولاية او المكان او الالفة مقدار
عظيم من الشكوك التي تحدث حيث ليس الخطا هو مباح فقط بل ان التظاهر به هو جايز
ايضاً ولا يعود يوجد من يفتخر بالشر فاذاً هذه الواسطة المقدم ذكرها اما شيئاً ان اعلمكم اياها
لكي تمارسوها لمنع الخطا الظاهر وقد اعتبرتها فرايتها مفيدة جداً لهذه الغاية وان قلتم فانها
لا تلايمكم لانكم لستم من الذين لهم التسلط والولاية على الاخرين فاسلم لكم ذلك ان ننتج
منها نتيجة اخرى تفيدنا جميعاً وهي نتيجة الخجل والخزي لانفسنا قايلين في ذواتنا ما عسى
ان لا تنال منا محبة يسوع المسيح ما يناله مراعاة الانسان وكم او خاطر البشر ذلك عار وخجل
لنا وهذا هو ما قد قاله في هذا الصدد القديس مار غريغوريوس حاكماً ان الذي يستمد
منا الخوف من الانسان يجب ان تناله منا ايضاً محبة يسوع علماً بانه اذا عرفنا وتحققنا ان من له
علينا سلطة ما من اية مرتبة كانت عالمية او كنايسية يستثني من محبته جميع الذين يظهرون
في نفوسهم ورعاً وديانة ويبعدهم عن انعامه ولا تتظاهر لهم بالمناشة ولا يسمي لهم ظايف
الكرامة او ذات الثروة الوافرة فلا شك في اننا كنا نبذل الجهد والجد في ان نتظاهر دينين
ورعين لنحظى بمحبته والاكرام لديه والحالة هذا هو ما ينطبه يسوع المسيح فهل ان هذا الا
يكفي لكي يجعلنا ان نمقت الخطية ونخشيها فيا تلفا تم غارنا ويا لوفور خجلنا كيف ان قدرة سيد
ارضي تفعل بنا اكثر من قدرة السيد السماوي وكيف ان محبة انسان توثر فينا اعظم تاثيراً من محبة
الاله كيف ان خيراً زمنياً يطلب منا اكثر من الخير الابدي وقد نادى يسوع المسيح الاعظم على لسان بولص
رسوله قايلاً ان الاثمة لا يملكون ملكوت الله فمع ذلك ما اقل الذين يجتنبون الاثم ثم انه

خصص كلامه وحصره في بعض افراد من الاثمة ايضاً قايلاً ولا الزناة ومع ذلك ما اكثر
الذين يتدنسون بالزنا ثم قال ولا الفاسقون ومع ذلك ما اكثر الذين يخونون امانة سر
الزيجة ثم قال ولا المفسدون ومع ذلك ما اوفر عدد الذين يتنجسون بخطية الولع
باجسادهم ثم قال ولا المضاجعون الذكور ومع ذلك ما اكثر الذين يهلكون في هذه الخطية
الصادومية الدنسة ثم قال ولا السارقون ومع ذلك ما اكثر الخاينون والغاشون في عهود
المتاجرة والماكرون في وفا الديون ثم قال ولا البخلا ومع ذلك كم هم الذين يطمعون بافراط
في محبة الفضة ثم قال ولا السكيرون ومع ذلك ما اغزر المتولعون بنهم ذميم في الماكل
والمشارب ثم قال ولا السابون ومع ذلك ما اكثر الذين يشتمون ويتهمون شان القريب
ثم قال ولا الخاطفون ومع ذلك ما اوفر عدد الذين يختلسون ظلماً ونهباً مال قريبهم على
اننا ان افترضنا ان حاكماً ما عالمياً قد صنع هذا الامر وهو انه نقل هذه الاية الموردة من رسالة
بولس الرسول وحررها بخط يده في قرطاس ثم علقها في احدى ساحات شوارع المدينة
الشاسعة لكن بهذا الفرق لاغير وهو ان يمحو من كلمات الرسول هاتين الكلمتين فقط
اعني بهما ملكوت الله ويكتب مكانهما هذه الكلمات لا يملكون بحق وبالنتيجة لا ينقل
اما كنا نرى الاصطلاح يغوي جمهور شعبه ويسعى كل احد ان يتجنب المآثم المقدم ذكرها
فيا معشر السامعين المكرمين اني اردنا ان نتورط وندقق في مثل هذه الحقايق ونفحص
بصادق فحص ضمير كل انسان وقلبه
فنخشى ان لا نجد في الارض عند الشعب المسيحي شيئاً من ايمان المسيح سوى الجثة
فقط ولاجل ذلك الاجدر بي ان اقطع هنا الكلام لانه ليس لي ان اقول اكثر مما قلته

العظة الثالثة عشرة

في الاربعا بعد الاحد الثاني من الصوم المقدس

تشتمل على محبة البعض نحو عيلتهم التي يقصدون ان يغنوها او يعظموها بطرايق
غير جايزة انما هي محبة ضالة قاسية وليست بصالحة قل قولاً ان يجلس هاذان
ابناي واحد عن يمينك واخر عن يسارك في ملكوتك فاجاب يسوع وقال ما تدرون
ما تطلبون هكذا تحررت في الانجيلي في فصل من بشارته

العدد ٢

ان اخص المرغبين فيما سلف من الزمن ان يرى اولادهم متمتعين بوسايط ويرقونها الى
وظايف يعتنى فيها ادرج مناسب لشان تلك الصدفة لقد كانت المراة الصالحة المدون
اسمها في فصل الانجيل الطاهر الذي تلي عليكم في صباح هذا اليوم المبارك اعني بها

ام يعقوب ويوحنا السعيدة على ان هذه قد اشتهت ان ينتقل هذين الابنين من
السفينة الى المنبر ومن الصيد الى الحكم ولاجل ذلك طلبت مجتهدة في ان يعطيا هذا
الشرف الوسيم وهو ان يجلسا بمنزلة وزيرين احدهما عن يمينه والثاني عن شماله
لانها ظننت بان المسيح الرب انه كان قريباً ان يقوم ملكة الارضي في اليهودية ويصير
ملكاً مطلقاً على ساير المسكونة لعمري ان هذه المراة التقية لم تطلب ان ترقي ابنيها وتسعد
بوسايط وطرايق مذمومة كما يفعل كثيرون ارباب العيال الذين يسعون بارتقا اولادهم
الى مناصب جليلة لانها ما اخذت قط تضطهد احداً من جميع الرسل الذين خافت من ان
يسبق احدهم ابنيها الى هذا الشرف الذي كانت تبتغيه لهما ولا دبرت غشوشاً ومكايد
ولا احتالت حيلاً ولا اضطرت السيد المسيح بالحديث والخطاب وحسن الالفاظ ولا استندت
على الهدايا والرشوات ولا سلكت بنوع اخر من الطرايق الغير الحميدة لتجتذب الى ابنيها
نعمة الملك الجديد ومحبته ورضاه لكن بعد ان كانت تفرغت من ابنيها العزيزين وقدمتهما
لخدمة السيد المسيح المتعبة منذ سنين وبعد ان سمحت لهما ان يتبعاه ويسيرا وراه
الليل والنهار ماشيين من مكان الى مكان حفاة الارجل بملابس رثة وبعد ان عرضتهما مرات
شتى من قبل ذلك الى هزو اليهود وبغض كتبتهم وتعيير روساهم وشماتة الفريسيين وبعد
ان تلمذت هي نفسها للمتعلم وتبعته الى حيث كان يمضي تاركة بيتها واشغالها وغير
مكترثة بعلها فبعد هذه الواجبات التي صنعتها مع السيد المسيح وهذه الاستحقاقات
التي سجتها لديه لم تصنع شياً اخر سوى انها تقدمت بازايه وسجدت له وعرضت لديه
رغبة قلبها ببساطة جزيلة خلواً من تعوج الالفاظ ولا تخيل بالرجو والكلام قالت له قل
قولاً ان يجلس هذان ابناي واحد عن يمينك والاخر عن يسارك في ملكوتك ومع هذا
جميعه نرى السيد المسيح ليبرانه لم يظهر علامة ما في انه حمد طلبتها هذه ولا قبلها بل بخلاف
ذلك رذلها وبين غيظاً وذمها بمنزلة غبية جاهلة وبكتها بعظام المتجاسرة المتعجرفة قايلاً
لستم تدرون ما تطلبون وبجوابه هذا اوعبها حزناً وخجلاً تجاه الحاضرين فاين الان هم
اوليك الوالدون الذين لافراط اشتياقهم الى ان يحظوا اولادهم ويغنوهم يستعملون ف
سايط ليست غير جايزة وغير مذمومة فقط بل وسايط كاذبة ايضاً وغشوشاً ومظالم
ورشوات وتهمات وغيرها من طرايق الجور والاثم اين هم اوليك الذين يوردون لنيل هذه

الغاية قضايا ظالمة متجاوزة حدود العدل في المحكمات اين اوليك الذين يحرفون معاني
كتب وصايا المايتين وتمسكاتهم ووثايقهم اين اوليك الذين يمكرون باجرة العبيد والفعله
او بجمل الكنايس او بعلايف اولاد الاكليروس اين هم اوليك الذين يفترون على اليتاما و
يظلمون الارامل ويتهاونون بالقاصرين ويمتصون دم الفقرا والمساكين قاصدين جميعاً
بهذه الطرايق ان يوفروا لاولادهم ويغنوا بيوتهم فلياتي مثل هولا الان لي ههنا ويسمعوني
لانني اريد ان ابرهن لهم عياناً كم هي عديمة الصواب طرايقهم هذه وغير ملايمة الى مقاصدهم
في اثار عيلاتهم وكيف لا ولعلا ننا راينا السيد المسيح لم يبح للوالدة المذكورة الرغبة
المفرطة الى تقديم ولديها وتعظيمهما مع انها كانت امراة ذات استحقاق وافر وطلبت مثل ذلك
باحتشام واكرام بليغ فهل يسوغ لكم بعد ذلك ان تسعوا بايسار اولادكم وتعظيمهم رغماً عنه
تعالى بطرايق غير لايقة لعمري ان مساعيكم هذه باطلة واتعابكم فارغة خاوية بل مرذولة ومذمومة
وان كنتم ترغبون ان توصدوا بيوتكم وترتبوا عيالكم واولادكم على الخطف والحرام وخراب المساكين
وان هذه الحدود المتى تبلغ اليها محبتكم الفرزة نحوهم فاسمعوا اليوم خطابي وتفهموه
متحققين ان محبتكم هذه لهم ليست هي محبة على الحقيقة لكنها عين القساوة والظلم

العدد

اخبروني قبل كل شي كيف يمكن ان لا تفطنوا انتم من نفوسكم ان هذه الطرايق المتقدم ذكرها ليست
مفيدة ولا موافقة لغاياتكم على انه لمن المحقق ان ورثاتكم اذا ارادوا ان يستسيروا بسيرة مسيحية
فلا يحل لهم ان يتصرفوا بشي ما مما تخلفونه لهم من المكاسب وبالتالي هي باطلة جميع اتعابكم
التي تتكبدونها في مدة حياتكم لكي تغنوهم وتجعلوهم موسرين لانهم يلتزمون ذمة بعد
وفاتكم ان يعودوا راجعين الى حالتهم القديمة ويعدلوا عن حال العظمة ويقلوا الخدام
ويفرغوا الاسطبلات من الخيل ويبيعوا الاملاك والقنايا واقول قولاً مجملاً بعبارة ايوب
الصديق انهم يلتزمون على ساير الوجوه ان يتقايوا المقتنى الذي ابتلعوه واذا تغاضوا
عن هذا ولم يريدوا ان يكملوه طوعاً واختيارياً من تلقا نفوسهم ماذا يتفق لهم فان الله تعالى
عينه قال ايضاً على لسان ايوب البار سيخرجه من بطونهم وما الذي اعنيه بكلامي هذا
فانما اعني هذا الامر وهو انهم ان ارادوا يحفظوا لانفسهم شيئاً مما لا يجوز لهم حفظه فيصير
الله جلت قدرته عدواً قاهراً لبيوتهم ولبيوتكم قبلهم ومن ثم احببوا في جبابرتكم العالم تامنون
على بيوتكم مع وجود عداوة الله هذه القاهرة لقد ذكر عن يوليوس اغريكولاس اعظم مشايخ

رومية

124

رومية وافضلهم انه لما شاخ وبلغ الى السنين الاخيرة من حياته بغضه دوميتيانوس الملك
وعزله عن مرتبته الشريفة وقطع عنه الجرايات ومداخيل كثيرة من الثروة بل اسقاه
ايضاً سماً ناقعاً سراً كما خبر بعض المورخون اما يوليوس المظلوم فاحتمل هذه المظالم بحكمة
ووقار ولم يظهر غيظاً وحرداً البتة ثم لما دنا من الموت وهم بتخيير اولاده وترتيب نظام بيته
فاستعمل هذه الصنعة وهي انه اخذ قرطاساً وكتب فيه وصيته واقام الملك وريثاً لمخلفاته
في راس الكتاب قبل الجميع متكلماً عنه بالفاظ اعظم الاحترام وعبارات احسن الشكر ومعرفة
الجميل كانه كان ممن انعم عليهم لا من المظلومين منه فتعجب من ذلك البعض من الانام الاقل فهماً
وادراكاً منذهلين واحتسبوا صنيع يوليوس هذا سذاجة وقلة مشورة في العقل اما الانام
الاولو حكمة فلم يحتسبوا ذلك سذاجة بل حكمة ووقاراً عظيماً لانهم فهموا جيداً انه خبير بالحيلة
ان تستمر بوراثته زهيدة مع كون حاكم الوقت محباً لها من ان تكون بعكس ذلك اي ذات وراثة
وافرة ويكون حاكم الوقت عدواً لها ومبغضاً وهذا حققه فيما بعد الفعل لان اولاد يوليوس
المذكور استفادوا ونجحوا جداً بعد وفات والدهم عند الملك الذي احبهم لسبب حكمة والدهم
الجزيلة التي اظهرها ابوهم دايماً في حياته وخاصة عند ما عاين موته ولتحقيق الامر قولوا لي يا معشر
السامعين انه اذا اتفق لكم ضيق نظير الرجل الشريف المذكور اما تحبون ان تتركوا اولادكم
باقل ثروة وانما يكونون تحت رضا حاكم الوقت ونعمته لا ان تخلفوا لهم مالاً غزيراً واملاكاً كثيرة
ويكونون تحت بغض الحاكم وغيظه بل اقول ايضاً انه اذا افتكرتم انهم يسقطون ضرورة بعد وفاتكم
تحت عداوة احد حكام المدينة ويكون من ذلك عليهم خطر فهذا لعمري يحسكم ويزعجكم
جداً وتبذلون جهدكم في ان تصلحوا ما بينهم وتوفقوهم جيداً قبل ان تنتقلوا من هذا العالم
حتى اذا اقتضى لذلك نفقة وافرة من المال ايضاً فتنفقونها من غير صعوبة وان كان ذلك كذلك
فكيف اذاً لا تخافون من ان تتركوا الله تعالى جلت قدرته عدواً لخلفايكم بعد مماتكم اعساكم تظنونه
ضعيفاً عاجزاً لا يستطيع ان ينتقم ام تتوهمون انه ينسى ام يهمل الانتقام اسمعوا ما قاله عز قوله
للاخيا النبي عن هولا الذين يحبون ان يبنوا بيوتهم ويرفعوها رغماً عنه فهكذا قال لهم
يبنون وانا اهدم اي كانه تعالى يقول لهم دعهم يصنعون ما يهوون وسوف يرى من هولاء
من هو الاقوى قوة وذرعاً وقدرة هل هم في بنا البيوت وتشييدها ام انا في هدمها وخرابها
وان اردتم ان تتحققوا ذلك ابلغ تحقيقاً اذهبوا
هم يبنون وانا اهدم

واستقصوا في الكتاب المقدس عن جميع الاولاد الذين ورثوا عداوة الله بتصرفهم بالقنايا
التي اكتسبها والدوهم بطرايق غير جايزة وخلفوها لهم ثم ارجعوا واخبروني هل انتفع احد
منهم من شرف نسله او من استناده على قرابة الاقويا او من كثرة املاكه او من ثروة مكتسبة
او من عظمة ولايته بل تنظرون ما يضاد ذلك وهو انه تعالى في مثل هذه الحوادث قد تحرك
سخطه ليفعل افعالاً مستغربة مخوفة ولاجرم في انكم عارفون ان السنة الدارجة المالوفة
لا تقتضي ان الاولاد الابريا يدركهم قصاص ما من اجل اثم والديهم وذلك حسب قول الله
تعالى ايضاً في حزقيال النبي القايل الابن لا يحمل اثم ابيه لكن مع ذلك جميعه لكون الله جل ذكره
هو المولى المطلق وله ان يصنع ما يشاه فقد فعل احياناً ما يناقض هذه السنة وقاصص
من اجل خطية الوالدين ليس اولادهم فقط لكن اولاد اولادهم ايضاً حتى الى الجيل الرابع لان
هذا هو الجيل الاخير غالباً الذي يمكن ان يراه الاب في ذريته اذا شاخ وهرم جداً اما اذا لاحظتم
من اجل اية خطية من خطايا الوالدين قد اعتاد الله تعالى ان يقاصص اولادهم نتقماً منهم فترون
انها انما هي هذه الخطية التي نحن الان في صدد التكلم عنها وهي رغبتهم الذميمة في ان يغنوا
اولادهم ويسعدوهم بارباح محرمة ووسايط غير حميدة ولاثبات ذلك اذكروا عاخان الشقي
ذلك الذي رام ان يغني عيلته حينما خالف وصية الله تعالى واخفى في الارض مبلغاً من الذهب
في خراب اريحا ولاجل ذلك حكم عليه بحريق النار مع عيلته كلها ومثله كان قصد جيحزي ان يغني
عياله ذلك الذي بحيلة كاذبة استمد من نعمان الشامي جزءاً من الهدايا التي ابى ان يقبلها اليشع
النبي ولاجل ذلك عوقب بضربة البرص هو وخلفايه جميعاً وعلى هذا النسق اراد شاول
الملك ان يذخر لذريته اموالاً من غنيمة العمالقة مخالفاً امر صاموييل النبي الذي اوصاه ان لا يبقي
من امتعتهم شياً ولاجل ذلك خسر الملك هو وبنوه ايضاً وكذلك احاب الملك اراد ان يزيد
بجنة الملوكي غناه ورياضاً باختطافه فجوراً كرم نابوت ولاجل ذلك مات مقتولاً هو وجميع
ذريته والامر الذي يزيدنا عجباً وذهولاً في هذا فهو ان احاب هذا الملك لما مات ترك بيته
مشتملاً على اثنين وسبعين ولداً والجميع كانوا ذكوراً فههنا كان يتبين ان بيته كان عتيداً
ان يستقيم مخلداً متناسلاً من قبيلة الى اخرى دهوراً كثيرة وخاصة لانه كان غنياً جداً وله
قنايا واملاك عديدة ومتمتعاً باهل واقارب اقويا اعزا ومع ذلك جميعه فقد اضمحلت قبيلته
كلها ولم يستمر منها احد باقياً في الحيوة لا من الاقارب البعاد ولا من القريبين حسبما تشهد

بذلك

125

بذلك الكتاب المقدس قايلاً وقتل كل من كان بقي لبيت احاب حتى لم يبق منهم بقية فانظروا
اذاً كيف انه لاجل هذه الخطية اي خطية قيام البيوت وايسارها بطرايق مذمومة قد عوقب
ليس الوالدون فقط الذين ارتكبوها لكن معهم اولادهم ايضاً الذين لاجلهم ارتكبوها بل
اولاد اولادهم ايضاً الى الجيل الثالث والرابع لانه لمن مقتضى اللياقة والعدل ان يحتمل الانسان
العقاب في الشي الذي اخطا فيه فاذاً كيف تجسرون على ان تستعملوا لاجل تعظيم بيوتكم تلك
الوسايط التي لا تسبب الا في خرابها ودمارها العلكم تترجون بانها تستقيم زماناً مديداً
مع علمكم ان لها عدواً ذاك الاله العزيز المقتدر الذي استطاع ان يلاشي بزمن هكذا قليلاً
عيلات جمة وشريفة ومتسامية وقوية بمقدار الاهرام فان كنتم لستم تخافون من ان تنفق
لكم عاقبة تضاهي عاقبتهم فافعلوا ايضاً مهما شيتم ولكن ان كنتم تخشون من ان تدرككم
عاقبة مثلهم فاي جنون يبقى اعظم من هذا وهو ان تتركوا ابناكم وخلفاكم في عدم الاهتمام
بايثاركم الردي ان تخلفوا لهم قليلاً من الايسار والنعمة الاوفر

العدد ٤

فاذا عزمتم ايها السامعون على ان تبنوا برجاً ما فلست اظن انكم تباشرون عمارته في فصل
الشتا البارد بل تنتظرون ان ياتي الصيف او فصل اخر من فصول السنة الاخر ويح تشرعون
في الابتنا وما السبب في ذلك اليس لان الابنية التي تبنى في الشتا تبنى ولكن لا تستقيم كثيراً
وذلك لان الجليد يكرز الكلس والطين ليف التراب ومن ثم لا تستطيع الحجارة ان يتشبث
بعضها في بعض وتنتظم معاً والعلكم لا تعرفون ما هو ابتنا البيوت على فضة اجنبية فهو
لا محالة ابتناها في الشتا وهذا هو طبق المعنى فيما نطق به الروح القدس في فم ابن سيراخ
الحكيم قايلاً من يبني بيته بنفقة غيره كمثل من يجمع حجارته في الشتا يعني لكي يبني بها
في الشتا هكذا فسر جميع مترجموا الكتاب الالهي فانتم تبنون في الشتا يا ايها المسيحيون نعم انكم
تبنون في الشتا ولاجل ذلك الاولى بكم ان تعدلوا عن الابتنا والا فيتقلقل بيتكم ويتزعزع ويتقوض
وينحبط وبالتالي تضحوا اتعابكم فيما بعد باطلة وتضمحل قال ارميا النبي الويل لمن يبني
بيته بالظلم وغرفه لا بالقضا وقد اضاف على ذلك حبقوق النبي فقال الويل لمن يبني
المدينة بالدما اي دما الفقرا ويستعد القرية بالظلم وانتم تصدقون تخيلاتكم الباطلة
اكثر مما تصدقون تهديدات الانبيا لقول الكاذبة ما اكثر ما نرى كل يوم عيلات جليلة موسرة
تخرب وتفنى لاجل هذا السبب غير منتكرين هذه القضية ان الاموال الجارية في الشتا ولو

شوهدت تنمو وتهدر بامواه كثيرة عظيمة فهي اقل ثباتًا من كل قناة ولو مهما كانت صغيرة
لان تلك امواهها غريبة مجتمعة اليها من الخارج وهذه فمياها اصيلة من نبعها ولذلك انتبه
زكا العشار الى نفسه ورجع الى الرب تايبًا قال ان كنت غبنت احدًا بشي فاعطيه عوضه
عوض الواحد اربعة اضعاف فاجابه السيد المسيح قايلًا اليوم وجب الخلاص لهذا البيت
فلنتعبرن جوابه تعالى هذا الالهي قايلين ما هو هكذا الجواب لقد كان من الواجب انه يجيبه
قايلًا اليوم وجب الخلاص لهذا الرجل لان زكا كان الذي غبن وظلم واختلس مال غيره
بالحرام لا اهل بيته وهو الذي اراد ان يتوب ويكافي عن كل ضرر اضر به قريبه ومن ثم استبان ان
الخلاص كله كان واجبًا له اي نعم الا ان السيد المسيح ربنا له المجد كان يعلم احسن منا ولذلك
لم يقل اليوم وجب الخلاص لهذا الرجل بل قال لاهل هذا البيت وذلك كان نظرًا وضحًا انه لو
لم يرد زكا المال الذي اختلسه ولو لم يكافي عن جميع الضرر الذي اجلبه على غيره لم يكن هو وحده
يحمل العقاب عن المال الذي جمعه ظلمًا بل كان اهل بيته ايضًا مع انه هو بمفرده كان قد
ظلم ومكر قريبه لا اهل بيته   ولكن هات نسلم لكم ما تريدونه يا ايها السامعون

ولنفرض ان عداوة الدجالت قدرته ليست هي بعتيدة ان تاتي عيالكم ولنفرض انكم لعتيدون
ان تغلدوا بيوتكم بالارباح المحرمة ولنفرض ايضًا انكم لعتيدون ان تزيدوها سعادة وشرفًا
وتوطيدًا ولكن هذا بيان لكم خيرًا لكم ولاولادكم فيا معشر الاتام الاشقيا اصغوا الان نحوي سمعكم
لكي ابث عليكم عواطف قلبي الجريحة بكلام القديس سلبيانوس اسقف مرسيليا المعظم لانه
هكذا يقول مخاطبًا يا اشقى الناس حظًا انتم تفكرون في العيشة الرغدة المتنعمة التي سوف
تعيشها خلفاوكم بعدكم ولستم تفكرون في الميتة الشريرة الشقية التي انتم تموتوها انتهى كلام
القديس نكانه يقول من هو الذي علمكم ان تصيروا اخيرًا اولادكم الزمني اغنيا الى هذا المقدار
حتى انكم لاجله لا تمتنعوا من ان تجعلوا انفسكم تحت خطر الهلاك الابدي وخسارة السعادة
السموية فيا للعماوة التي يجب ان يبكى عليها لانه ما هو هذا الاغتناء القليل الذي به تمتعون ذاتكم
حتى انكم ترتضون لاجل محبة انسان ما من عيلتكم ان تنحدروا الى جهنم وتحترقوا في نارها
معذبين باكيين مع الهالكين والشياطين الى الابد لانني قد سمعت حتى الان انه يقال على
الدوام ان كل انسان يحب نفسه اكثر من حبه لغيره وحتى انه منذ نعومة اظفاري قد انطبع
في مخيلتي مقال ذلك الفيلسوف الوثني اللاتيني القايل ان الجميع يريدون لانفسهم احسن مما

يريدون

يريدون للاخرين لكن واحسرتاه لقد اضطررت الان ان اكذب هذه الحقيقة المشهورة التي
سمعتها وتعلمتها منذ حداثتي لانني ادري انه يوجد في العالم كثيرون يوثرون باتعابهم العظيمة
لغيرهم والهلاك لانفسهم لانهم على ما قال عنهم القديس سلبيانوس المقدم ذكره يستودعون
نفوسهم الحريق في النيران المويدة ليجعلوا غيرهم مستوعبين التنعمات الزمنية ليت شعري
اي ضرر اعظم من هذا يستطيع ان يجلبه عليكم الد اعداكم الذين يمكن ان يكونوا لكم في هذه الارض
على ان عدوكم نعم انه يبغضكم ويضطهدكم وهذا لا شك فيه لكن الى اين ينتهي بغضه و
اضطهاده انما ينتهي الى النعش والى القبر لان القديس المقدم ذكره يقول ان كل عداوة
تنحل بالموت اما انتم فلا تكتفون ان تاسوا نفوسكم فقط لكنكم تاسون اليها حتى الى بعد الموت
ايضًا وهذا هو ما قاله الاسقف المغبوط المذكور انفًا انكم تحاربون ضد نفوسكم بهذا المقدار حتى
انكم لا تنفلتون من العداوة لانفسكم حتى ولا بعد الموت لانه من اجل خير اولادكم وعيالكم لا
تبرحون عايشين في هذه الارض عيشة متعبة ومكربة تارة تتخاصمين في المحاكم وتارة
ضابطين ذواتكم تحت ولاية الاكابر واحيانًا حاملين الحر والبرد في الاسفار واحيانًا مغرقين
نفوسكم في هموم واشغال متعبة وليس ذلك فقط بل تصيرون اضطهاد نفوسكم هذا
متصلًا الى بعد وفاتكم ايضًا على انه بعد ان تكونوا عدمتم حبًا بغيركم كل راحة وصحة
ولا تخشون من ان تخسروا نفوسكم وتعدموا الملكوت ايضًا فلنعد اذًا ما يليق اي ضرر
اعظم من هذا يستطيع الد اعداكم واقوى مبغضيكم ان يجلبه عليكم ها هو ذا قد تم ما نطق به
حبقوق النبي قايلًا الويل لمن يكثر اموال غيره حقًا انه لغبي وخسيف العقل بالتية كان
يفهم وفور الضرر الذي يصنعه مع نفسه بتكثير اموال غيره وانما لذلك قد اردف النبي المقدم
ذكره ايضًا فقال حتى متى يثقل على نفسه طينًا كثيفًا العلكم لحظتم معنى قوله هذا اي على نفسه
فلم يقل حتى متى يثقل على غيره طينًا كثيفًا بل قال على نفسه والمفهوم من ذلك انه لكي يصنع خيرًا
لغيره يدمر نفسه ويهلكها لانه يثقل على نفسه من الطين الثقيل الذي هو عتيد ان
يوارثه ويطمره فاعتبروا هنا يا معشر السامعين وافهموا جيدًا ما هو الاسم الذي
يلقب به الله تعالى بفم القدوس ذاك الذهب الذي انتم تحبونه وتعتبرونه
اعتبارًا لا هذا حده حتى انه تعالى لقبه باسم الطين الكثيف
والعلكم تظنون يا ايها الاباء انه ياتيكم في جهنم تعزية من تذكركم بان اولادكم وعيالكم هم

مسترجعون وفايزون بثروة وافرة وعظمة جزيلة في الارض لا لعمري بل تذكركم هذا
نفسه بما يزيدكم عذابًا والمًا وبكاءً لانه كيف يمكن تذكركم هذا حينما ترون بعض
الروح يتنعمون وحاصلين على نفقتكم وانتم غايصون في بحر العذاب الفادح بسببهم
وقاطعون الرجا من الخلاص الى ابد الدهور فيا لتنا تمسيننا من تصعد لهذه القرعة
المنحوسة اي ان يعصر نفسه لكي يغني بيته لا ينم اسا ان يكون منها لاحد من هولاء
السامعين لولا انه كم من مرة يعض شفتيه باسنانه كل يوم لعلة جنونه هذا الواهي
ما اكثر ما يلعن ذلك النهار الذي فيه فتح حدقتيه ليبصر نور الشمس وتلك الساعة
التي اطلق بها لسانه للحديث ثم في غضون ذلك يتقدم اليه الابالسة متشكلين بصور
المغبونين ويشرعون يخاطبونه بشماتة مرة قايلين ما بالك يا صاح تتمرمر وتلعن افرح متعزيًا
هوذا نحن قادمون الان من العالم ونخبرك خبرًا بهجًا وهو اننا راينا اولادك واقرباك
واحدًا فواحدًا والجميع اصحا ومتعافين وسعيدين ومجتهدين في التمتع بالاموال
التي لاجل تحصيلها احببت ان تاتي الى ههنا معنا فواحد منهم يخدم في ولاية ذلك
الامير والاخر تزوج بابنة ذلك الوالي الشريف التي كنت خطبتها له والاخر تقلد الى
الوظايف التي سعيت لنيلها والاخر اشترى خيلًا وكثرة من العبيد كما رتبت
لهم فلا تحزن اذًا ولا تبكي لانك انت احببت ان تموت هالكًا لكي تسعدهم ها
هوذا قد نلت اربك واسعدتهم فافرح وتعز ثم نخبرك ايضًا عن ابنتك
التي امرت ان تجعل لها ابهة وتجهيزًا تذكارًا لامتصاصك دم الفقرا وغدرك
في اجرم الفعلة هاهي قد خطبت بالزواج التي ابتغيته لها وقد جاها اولاد
وكبروا ويفرحون هم ايضًا ان ياتيهم من الزواج القريب اولاد وهكذا تنمو وتكثر
ذريتك من هذه الجهة ايضًا فما بالنا نشاهدك تحزن وتولول افرح وتعز فما هو
قولكم ايها السامعون الجهال تستحسنون هذه الاخبار وتعتبرونها من
جملة التعزيات الكافية لان تعزيكم في تلك العذابات الجهنمية المويدة لا اظن
ذلك بل انه لمن المحقق ان هذه الاقوال سوف تكون لديكم بمنزلة نبال مسنونة تلج في
اعمق جوارح قلوبكم لا تنظروا الى المحبة القلبية المتعلقين بها الان نحو اولادكم لان هذه
ستستحيل الى بغضًا وحقدًا وقساوة وجفاوة لا توصف خبرونا عن اغريبينا ام نيرون

الملك

الملك انها لتنال مرام اشتياقها الحار تنظر صولجان مملكة رومية الكبرى بيد ابنها نيرون
المذكور فكانت تسعى به سعيًا يفوق على نشاط النسا وطاقتهن فاستشارت
في هذا الامر الثقيل السحرا والمنجمين فجميعهم انبوها بصوت واحد ان ابنها هذا
سيصير يومًا قاتلها اذا استنال له الملك اما هي فبما ان الطمع وتعظيم ابنها كانا قد اعميا عين
عقلها اجابتهم قايلة ليقتلني بشرط ان يملك فاخيرًا حظيت بما ابتغته وكانت سعت
بدوام ارتقى نيرون ابنها الى مملكة رومية وابصرت بعينها الصولجان الملوكي بيده لكن
لما شعرت بان قول المنجمين استبانت له علامات لان يكمل بالفعل فتغير رايها وانقلبت
محبتها لابنها لانها حالما ابتدت ان تحس بعلامات الفتك بها مع انها كانت بعيدة
وذلك من قبل قساوة ابنها نحوها ونحو الرعية ندمت على ما كانت تاقت اليه وطلبته
برغبة وافرة حتى انها اتصلت الى ان تسعى بعزله من الملك وتقيم عوضًا عنه بريتانيكوس
ابن زوجها الذي كان يستحق الملك باعظم عدل لانه هو كان خليفة الملك ووريثه
فبلغ نيرون مقصد والدته وسعيها هذا واحتمى غيظًا وامات بريتانيكوس بالسم ولو لم
خوفه من ان والدته تهيج الشعب عليه وتحصل في عزله على مرامها لقبض عليها وسجنها
في بلاطه واقام عليها حراسًا يحرسونها ليلًا ونهارًا ولا يدعونها تخرج منه حتى وفاتها
فالذي يستبين لكم الان من هذا الخبر على انه لو ذهب احد الى اغريبينا اذ كانت متضيقة
في السجن وتتمرمر غيظًا نظير اللبوة في القفص او نظير النمرة المغللة بالكبول وقصد ان
يعزيها قايلًا لها يا ايتها الملكة ذات العظمة السامية من اي شي تشتكين وتتالمين اما قلت
سابقًا بشجاعة وجراة عظيمة ليقتلني ابني بشرط ان يملك وذلك لما كان العرافون يقولون
لكِ ان ابنكِ سيقتلكِ اذا استولى على الملك كيف نسيتي الان قولكِ ذلك افرحي وتعزي
هوذا ابنكِ جالس على كرسي الملك الذي ابتغيتيه وسعيتِ له فيه بطرق كثيرة من
الصناعات والاجتهادات هوذا تتقدم له الجزية من البلاد والاقاليم الغربية ويقدم له
الاحترام والطاعة من الجيوش وقوادهم اجمعين هوذا يملك الاقطار الرومانية كلها بامان
وبغير مانع لان الشاب بريتانيكوس الذي كان يجاوره على الملك قد قتل وباد ذكره وليس
له الان احد ولا مخاصم ولا منازع في ولاية المملكة فلا يحزنك اذًا السجن المعتقلة فيه ولا
يغيظك الموت مني ولقاكِ لان هذه باسرها هي مشتقات قد تقدمت انت ورايتيها ومع

ذلك أحببتيها لنفسك لأنك بها نلت الملك لنيرون ابنك العزيز فأجيبوني يا معشر
السامعين انه لو خاطب احد اغريبينا على هذا النسق فهل يتبين لكم انها كانت تعرف
من كلامه هذا كلا بل الاقرب للتصديق انها قد كانت ازدادت حصراً وبغضاً متاملة انه لا
ينبغي لها ان تدفق غيظها على احد سوى على نفسها لانها هي سببت لذاتها هذه
الشدايد ولعمري انه لقد اتضح من صنيعها فيما بعد ان الاسباب التي ادلتها لم تكن
كافية لان تغريها وتجعلها تسكت صامتة لانها طفقت في السجن ايضاً تسعى وتستعمل
وسايط كثيرة محرمة لتعزل ابنها عن الملك بمقدار ما كانت سعت سابقاً في ان ترقيه اليه
حتى انه لما ظهر سعيها هذا امام الملك وتحققه التزمت ان تحضر الى المحكمة بمنزلة المجرمة
ضد عزم الملك لكي تعطي حساباً عن نفسها واخيراً بعد ان رامت عبثاً ان تتخلص من
الموت الذي كان حتم عليها مرات اخر فيما مضى من ابنها الملك فبانت عند آخر حياتها مقدار
ما بغضت من احبته سابقاً حباً عظيماً لا يوصف وذلك لانها لما عاينت قد دخل واحد
من قواد الجيش حاملاً بيده سيفاً مجرداً ليحز به عنقها او يطعنها في قلبها احتمت غيظاً
واعترتها الجنون فقدمت له بطنها قايلة اضرب هنا اضرب هنا لان هذا هو المكان الذي
استوطنه نيرون اذ كان جنيناً وهذا استحق ان يقتل ويبيد لانه حمل وحشاً لا بشراً
انني لواثق بكم ايها السامعون الاحبا انكم لا تواخذوني من حيث اني اوردت على مسامعكم
باسهاب ذكر هذا الخبر واطلت الخطاب فيه اكثر من الواجب نعم انه خبر عالمي ومورد من اعمال
الوثنيين غير انني اعتبرته مفيداً للموضوع الذي نحن في اثباته لانه يستبيح لي انني استطيع
ان اقتبس منه قياساً مقنعاً واقول هكذا انه ان كان والدم اسكرها حبها لابنها بهذا المقدار
حتى انها ارتضت بالموت لكي تصيره ملكاً ومع هذا لما ابصرت الموت ادركها بسببه تغير
رأيها وابدلت حبها له ببغضته فماذا يحل باوليك الاشقيا الذين يبصرون نفوسهم في جهنم
وقد حكم عليهم بنار مويدة لانهم راموا ان يصيروا اولادهم او المنتسبين اليهم لا ملوكاً لان
هذه عظمة سامية جداً لكن يصيروهم من فقرا اغنيا ومن اغنيا يجعلوهم اصحاب وظايف
شريفة اما يبان لكم انهم يتمزقون غيظاً وحصراً اكثر من اغريبينا المذكورة خصوصاً اذا
اتاهم احد المنهمكين في جمع الثروة والمال لبيوتهم الذين نحن الآن نتكلم عنهم ويقول له
يا صديقي انتبه لذاتك وافهم جيداً ان تجارتك هذه ليست بجايزة واهتمامك هذا

وسعيك

وسعيك مذموماً انك سوف تبلغ لا محالة بغضا لملك هذه واعمالك المحرمة التي
تقتني لابنك تلك الوظيفة وترتبه في المال والعلايق حسبما في ضميرك لكن بعد ان هو
الاقرب للتصديق ان سعيك هذا في ترتيب ابنك حسناً يكون سبب هلاكك نفسك
الى الابد ليت شعري ترى ماذا يكون جوابهم لكم فلا شك في انهم يهزونكم وان كان لا
يجيبكم متكلماً باللسان فيجيبكم بالفعل كانه لا باس بذلك وقايلاً في سره مقال اغريبينا
المقدم ذكرها فلتمت نفسي بشرط ان يملك ابني لتمت نفسي بشرط ان يعظم البيت وينميه
اواه واسفاه عليكم ايها الاشقيا المساكين على انكم الآن لستم تفهمون ولا تذكرون ما هو
معنى موت النفس وهلاكها لكن متى ما ادركتكم تلك الساعة الرهيبة تفهمون وتذكرون
ما هو معنى ذلك اي انكم تبصرون ذواتكم قد احاطت بها النيران والنبال والسيوف و
الجلادين والامشاط الحديدية المرهفة والحيات والعقارب والتنانين المرعبة نح
تنقلب مودتكم هذه نحو بنيكم واولادكم الى بغض وحنق عليهم

العدد

اصغوا جيداً بعقلكم الى كلامي هذا اذ انه قد تصور في مخيلتي انه اذا سمح استحقاقكم ان
تخرجوا من تلك الهاوية الجهنمية وتعودوا راجعين الى منازلكم مدة وجيزة من الزمن
ففي اول دخولكم البيت الذي كان سكناكم فيه قديماً وشاهدتم ذلك الاثاث وتلك التحف
والزينات التي اقتنيتموها بالظلم لعمري انكم لا تستطيعون ان تضبطوا داخل فوادكم الغيظ
بل قد كنتم تطيرون بفورة عظيمة وتطوفون المخادع هنا وهناك وتحرقون بالنار الحاطمة
بكم للفرش الناعمة والملابس الموشاة بالقصب والخزانات المنقشة والصناديق الممتلية
المستوثق عليها وجميع ما تبصرونه من التحف التي خلفتموها لاولادكم ثم لكنتم تنحدرون
كالمصابيح الهايشة الى الاصطبل وتخنقون الخيل وتحرقون حملها ثم كنتم تنتقلون
مسرعين ومغضبين الى البساتين والكروم والحقول والقرى وتجولون في الاماكن التي
نعمتم بها لاولادكم بطرائق غير لايقة وتحرقون بالنار جميع ما هو لهم من كروم وتوت
ومزارع ومواشي وذلك لكي تخمدوا فورة الغيظ المر المتقد بكم عليها لانها كانت سبب
آثامكم وهلاككم الابدي لكن لا يسمح الله الرحيم ان يتم هذا الحكم المتهور في احد منكم
ثم الاجدر بكم الآن ان تسلموا الى معترفين ببساطة القلب بهذا وهو ان من يخاطر في
هلاك نفسه حباً بغيره فهو مجنون بل لا بل جاهل اعظم من جنونه وان كنتم لا ترتضون

بان تسلموا الى مدعيني في هذا فسلموا به مصدقين للقديس سلبيانوس الذي يذكركم انه امرا شتى لانه يقول منذ هلاا بالها من حال شقية يرثى لها وهي ان الانسان بعد نحو ان لنعيم السعادة ولنفسه الشقا لنعيم الفرح ولنفسه البكا لنعيم السنع الزمني ولنفسه النار المخلدة انتهى فاهتموا اذا بسعادتكم اسعوا بخلاصكم واذكروا في نفوسكم فكيف يسوغ لكم يا معشر المسيحيين ان تخصصوا انفسكم بهذا القليل من الاعتبار حتى انكم تهملونها وتضعونها في خطر الهلاك الابدي حبًا بالابن او بالاخ او بابن العم او باحد اخر من الاهل والاقارب ان حبكم اولادكم او اقربايكم هو امر مباح لكم ولكن فلتكن محبتكم لهم عقيب محبتكم نفسكم حبوا خيركم في نجاحهم الارضي لكن حبوا بالاكثر سعادتهم الابدية اسعوا لهم بمال وثروة وعظمة في الارض لكن بعد سعيكم بمجدكم الابدي وبالجملة اقول لكم ما قاله القديس سلبيانوس نفسه وهو هذا حبوا ودودوا اولادكم فهذا لا نمانعكم به لكن حبوهم في الدرجة الثانية عن محبة نفسكم حبوهم محبة لا يستبقيها انها انكم باغضوا انفسكم لان التفكر في الاخرين ونسيان النفس هو لعمري محبة خالية من الصواب بل هي ذات عيب الجنون انتهى كلام القديس

العدد ٨

مع انه اذا فحصنا وزنا نقول الحق فنقول ان هذه ليست هي محبة نحو الاولاد والاهل لكنها بغض ظالم وشيطاني ولكي تتحقق ذلك اصغوا الا ما اورده على مسامعكم قايلًا اما تعرفون انتم من نفوسكم انه اذا خلفتم لاولادكم شيئا ما من المال والامتعة التي جمعتموها بالحرام فانكم تطرحونهم ايضا في خطر واضح في الهلاك الابدي على مثل ما انتم اذا كان فايضا ولو تحصل بطريقة جايزة فلا يخلو من خطر منه على النفس دايما هذا هو راي الاباء القديسين اجمع واولهم القديس كيرلس القايل في فصل من السفر الاول الوجيات هكذا ما هي الاموال الجديدة الا حيات النجاسة وخمير الشهوة واحمال الذنوب واثبت ذلك القديس ايرونيموس في فصل من المجلد من تفسير سفر ايوب بحيث يسمي الاموال مادة النفاق وتحريشات الخطا واثبته ايضا القديس يوحنا فم الذهب في خطابه عن البخل لانه هناك يسمي الاموال عدوا قاسيا بل قاتلا للانسان وقد شبهها ايضا في عظته الخامسة نوعا للشعب اسبابا وعللا للعداوات والخصومات والحروب والشكوك والتهمات والسرقات والقتل وساير الاثام فمن ثم قد تقرر واضحا انه اذا تكلمنا بوجه العموم فنقول انه بقدر ما تخلفون لذريتكم من الاموال والامتعة بقدر ذلك تخلفون لهم اخطارا لنفوسهم وتصنعون ذلك بجهل ذاك الذي يستودع بايدي الطفل

موسا حدا مسنونا ولو كانت قبضته مرصعة بالجواهر واذا كان ذلك يصح في الاموال التي تحصلت من طرق الحلال بالحري يصح في تلك التي جاءتها جنيف الاثم فتستعمل الاهل طريقة الى هلاك ما لكها سيما الان سليمن الحكيم دعاها ثروة محفوظة عند صاحبها لشره ومن ثم تهلك تلك الثروة في تقلب ردي فمن هنا انبعوا كم يشتبك ضميركم وكم يقلق حيث انه من احدى الجهات يشاهد انه لا يجوز له بحسب قواعد الذمة المستقيمة ان يمتلك بطوية حسنة شيئا مما اقتنيتموه لدى بطرق غير جايزة ومن جهة اخرى يرى ان ارتداده لاصحابه الشرعيين هو امر صعب عليه ويرى ايضا انه ان كان لا يرده فيهلك لا محالة اذا ما اكثر الاخطار التي تلقون فيها خلفاكم للهلاك بواسطة المال الذي تتركونه لهم العل هذه محبة والدية نحو الاولاد لا لعمري بل الاولى بنا ان نسميها بغضا بل قساوة فيهم وفي هذا يصح كلام الرب القايل ان اعدا الانسان اهل بيته قال القديس يوحنا الذهبي فم انه خير لهم ان تتركوهم فقرا لانهم يستطيعون حينئذ ان يجنوا خيرا ما لنفوسهم من فقرهم ولو كان فقيرا كما اجتنى العازر المسكين المضروب بالقروح اما الثروة المكتسبة بالسوء فلا يستطيعون ان ينتجوا منها لنفوسهم خيرا ما اصلا على انهم لا يستطيعون ان يعطوا منها للكنايس ولا يتصدقوا منها على الفقرا ولا يوزعون منها للديورة ولا يفيئون بها الوتي ولا يرضون بها الله حقا وذلك ولانه كما انه لا يباح لهم ان يحفظوها لانفسهم هكذا ايضا لا يباح لهم ان ينفقوها في معيشة غيرهم او لغاياته فاجيبوني اذا قايلين هل يمكن ان يوجد في العالم انسان افقر واشقى ممن هو حاصل على مثل هذه الخيرات والعل هذه هي الخيرات التي تقصدون ان تخلفوها لاولادكم الاعزا بعد وفاتكم يا لها من محبة ظالمة بالجنون عقل خسيف يرثى له قد خبرنا القديس انطونينوس اسقف فلورنسا خبرا مخزنا يملأ قلب كل من يسمعه كابة جزيلة وهو انه قد كان مرض واحد من هولا الاغنيا المنافقين الذين نحن الان بصددا لتكلم عنهم ودنا من الموت ولاجل ذلك اتاه الكاهن لكي يعرفه ويسعى في خلاص نفسه فطفق ينصحه مهلا في ان يرد ما قد اختلسه من الناس او اكتسبه بالربا ويفي من ضروب الظلم الذي ينجو من دينونة الله الصارمة اما هو فكان لابثا شبه الصخر لا يتزعزع فابتدا اذ ذاك الكاهن ايضا يخاطبه بكلمات ذات لين وتوسل اليه لكي يقبل نصحه فلم يلن قلبه ولا يتحرك حتى ولا من الوعيد المخيف الذي توعده به فيما بعد فدخلا اليه حينئذ ابناه وطفقا ايضا ينا شدانه ويطلبان اليه ان يخاف

على نفسه ويمتثل كلام الكاهن ونصحه فاجابهما لست استطيع يا اولادي لست استطيع ان
اردلانني ان اتبعت مشورتكما وعوفيت من مرضي هذا فاضطر ان اقضي بقية حياتي متوسلاً كل يوم من
باب الى باب واذا مت فتلتزمون انتم ان تتوسلوا فاجابه ابناه قايلين اسمع يا ابانا انه فيما يخص
شخصنا لا يعنيك امرنا اصلاً ولا تهتم ولا تفتكر بنا لاننا نحب اوفر حباً ان تكون انت خلاصاً ونحن
فقرا لا ان نكون نحن اغنيا وانت هالك ففي تعزبن بهما بعين غضبي ونهرهما قايلاً اصمتا يا ايها
الولدان الخسيسان العقل انتما صغيران بعد في المعرفة والعقل والادراك ولم تتعلما ان الله تعالى
ارحم من البشر فاذ كنت انا خاطيا فالله يرحمني اما ان كنتما انتما فقرا فمن اين لكما ان تتقوا بان
البشر لعتيدون ان يرحموكما قال هذا ومات موتاً شقياً بلا اعتراف وبلا قبول سر اخر من اسرار
بيعة الله ثم بعد وفاته انطبع كلامه الاخير في عقل ابنيه اللذين استورثا المال المكتسب بالظلم
واثر فيهما تاثيراً ما غير ان احدهما انتبه لنفسه فيما بعد واتخذ له شوراً حميداً في الخير الذي
خصه من ارثه ووفى بين اوليك الذين كان والده الشقي ظلمهم ولكن ما الذي حدث بعد ذلك
فهكذا حدث وهو ان الاخ المنافق الذي استند على مقال ابيه المذكور وتصرف في مال
الظلم لم يعش الا زماناً يسيراً ثم مات موتاً شقياً نظير موت ابيه واما الاخ الصالح فزهد
العالم ودخل رهبنة مار فرنسيس الجليلة وصار راهباً تقياً وفي ذات يوم اذ كان هذا الراهب
التقي مختلياً في الصلوات والوقد عاين هوة عظيمة انفتحت بازايه عينيه واذ كان يتامل
مرتعباً ذلك الدخان المتكاثف الظلمة والنيران المتلهبة واللهيب الملتف الكاين فيها
عاين اباه واخاه ما بين جم غفير من الهالكين ينقلبان معهم في عذابات تلك الهاوية المخيفة
ولكن ما هي الحال التي تظنون انه عاين فيها اباه واخاه لعمري انه عاين كلاً منهما يرعش رفيقه
نظير كلبين متهاوشين وينتف احدهما شعر الاخر واحياناً يغرزان وجوه بعضهما بعض
باظفارهما كالوحوش وكان الاب يقول للابن اهاً منك يا ايها الابن الملعون فمن اجلك صرت
انا مكابداً هذه العذابات وكان الابن يجيبه قايلاً انما انت الملعون لكونك انت صرت سبباً
لسقوطي في هذه العذابات القادحة وكان الاب يجيبه قايلاً لقد كان خيراً لي ان الد افعى لا
ابناً والابن يجيبه انه كان خيراً لي ان اتلد من وحش لا منك وكان الاب يقول له انت تعذبني
يا ايها الابن العديم الرحمة والابن يجيبه انت هو الذي تحرقني يا ايها الاب الاشر من كل الناس
فبهذه الكلمات وبغيرها كثيرة ايضاً كانا اثنانهما يلعنان بعضهما بعضاً ويتمزقان بلسانهما

كانه لم يكن لهما في تلك العذابات المريعة تعزية اخرى غير هذه وهي ان ينهش احدهما الاخر
باسنانه ويمزقه نظير وحشين هايجين مقيدين بسلسلة واحدة فهذه هي الاجرة التي
ينالها الوالدون في الابدية كلها من الاموال والقنايا التي يخلفونها لاولادهم من الحرام ف
هذه هي الفايدة التي يستفيدها الاولاد من وراثة والديهم المحرمة فما هو قولكم الان يا معشر
السامعين الاحبا فهل استبان لكم جيداً ان تبتاعوا لاولادكم ويعيالكم سعادتهم الزمنية بهذا
الثمن الغالي اي بالهلاك الابدي لكم ولهم في نار جهنم وعذاباتها وان كان هذه محبة فليت
شعري ما هو بغضها وان كان هذا هو احسان للاهل والاولاد فترى ماذا يكون الاساءة لهم
فليكن اذاً مقرراً عندكم انه وان سلمنا ان الثروة المكتسبة بالظلم والخطا تغني البيت ففناه
على هذا النحو لا يصلح لا لكم ولا لاولادكم بل انا اقول ان ايسار البيت على هذا النمط هو عين
انتفاخ خرابه وهذه هي الحقيقة التي قصدت ان ابرهنها لكم بهذه العظة وقد تبرهنت بالكفاية
بالبراهين والقياسات الراهنة الموردة مني كما رايتم فلنختم اذاً القسم الاول بكلام حبقوق النبي القايل
الويل لمن يجمع بالبخل الردي لبيته ليكون عشه في العلا فلاي سبب اعطيت الويل لمن هو
هكذا يا نبي الله لاي سبب لانه فكر خزياً لبيته. تاملوا هذه الحقيقة النبوية واعتبروها
جيداً الى ان استريح انا قليلاً

القسم الثاني

انه بعد ان تلخص من جميع البراهين الموردة انفاً انه لا يحل لكم ان تفعلوا ما هو ضد فضيلة العدل
كي تصيروا بيوتكم اغنى مما هي فما الذي بقي لنا ان نخاطبكم به سوى ان ترعوا من قلوبكم
تلك الرغبة المفرطة التي بها تهتمون بان تنظموا لوازم خلفايكم وتتغافلون متهاملين
عن الاهتمام بخلاصكم الابدي ناشدتكم الله يا ايها الاباء الاحبا ان تبتدوا من الان تعتبروا في نيته
ما يجب اعتباره لانفسكم وانتكروا بها ما به تصيبون حسناً فربما انكم قد طغيتم في ايامكم وتناقصت
قوى ابدانكم وبالتالي دنوتم من شرب كاس المنون ومن ثم اضحيتم ملتزمين ضرورة بان تظهروا
عن قرب امام منبر الله تعالى الرهيب وتعطوا حساباً عن انفسكم ها هوذا تنتظركم الملايكة
الصالحون المعتدون ان ينقلوكم عن الجهة الواحدة بمقام الشهود الصادقين فيما
صنعتموه من الخير وفي الجهة الاخرى الابالسة الواقفين بوظيفة الاعدا المشتكين فيما
عصيانكم مع هذا حتى الان لا تزالون تفتكرون فيما تتركونه لاولادكم بعد وفاتكم وفيما يلبسونه

وفي كيف يسكنون وكيف يستسيرون وكيف يرحون بطرًا هذه هي همومكم لا تنفل هذه هي
حسابا بكم المتصلة فهل تظنون ان صيرورتكم اولادكم اغنيا موسرين تجعلكم في امان
اعظم امام منبر الله كلا بل انما يفيدكم رح جدًا التضرع الى الله قايلين خلصني يارب ولكن ان
سالك تعالى ولاي سبب ولاجل اي استحقاق اخلصك فهل لك ان تجيبه قايلًا لانني تمثلت
متسربلًا (؟) الانجيلية والبست العراة وجهزت اليتامى وفككت المحبوسين واطعمت الجياع
وسعيت ان اشهر مجد اسمك القدوس بافعال كثيرة غير هذه ام بالحري تقول له انني لست
اسالك يارب ان تخلصني من اجل هذا بل خلصني لانني تركت بيتي منتظمًا ومرتبًا بجميع
لوازمه واحتياجاته وخلفت لاولادي ثروة يمكنهم ان يتنعموا بها ويمرحوا ويسكروا بالعظمة
على ما يلوح لسرورهم فمن اجل هذه اضرع اليك ان تخلصني فان كان هذا القول والاحتجاج
يفيدكم امام منبر الله العادل فاستمروا بما انتم عليه ولا تعدلوا عن جمع الثروة لخلفايكم
باهتمام جزيل ولكن ان كنتم ترون واضحًا خلافًا لذلك اي ان هذا الاحتجاج يوذيكم ويصير
لكم علة للدينونة الصارمة فانتبهوا اذًا لانفسكم وابدلوا اهتمامكم هذا بنحو تصرف
اصلح وعوضًا عن ان تعتنوا في غيركم بهذا المقدار اعتنوا بنفوسكم قبلًا وان كان مع ذلك
يعنيكم امر اولادكم فثقوا بالله انه هو جل ثناوه يهتم بهم دايمًا باهتمام ارحم من الوالدين
اذا فضلتم انتم دايمًا بمخافته تعالى على المحبة الوالدية الدهرية اذكروا راعوث المواببة
اما دخلت ارض بيت لحم وهي فتاة ارملة مسكينة مفتقرة ومع هذا فلان الله تعالى سبحانه
كان حارسها لحظيت في بلاد غريبة في رجل كثير الغنى تخذها له زوجة اذكروا ايضًا استير
اما كانت ساكنة في سوسا المدينة وهي صبية يتيمة لا ذكر لها عند احد ومع ذلك لكون
الله تعالى كان معها فسهل لها في البلدة التي كانت فيها اسيرةً ان ترقى الى ملك مقتدر الى
السدة الملوكية فثقوا انتم اذًا بالله ايضًا وتوكلوا عليه مصدقين بانه لا ينسى اولادكم
بل يهتم فيهم اذا استودعتموهم بين يدي رحمته وقدرته الكلية واذا ابتغيتم نموذجًا اخر
عدا ما ذكرناهم لكي تقتدوا به فتصوروا معتبرين خبر طوبيا المتهور الجليل الذي اورده الان
على مسامعكم على سبيل الاختصار قايلًا

انه لقد كان لطوبيا هذا البار
في شيخوخته ابن وحيد وكان هو امل نسله وسند ضعفه ونور عينيه ومع انه كان يحبه
محبة صادقة من صميم فواده فمع ذلك كان يحذر من ان يغنيه بطرايق اتل من حد زاهد

العبد

حدم حتى انه لما سمع في احد الايام جديًا ابتاعته امراته ناعيًا في البيت اضطرب جدًا
الشيخ الصالح وطفق بحذر ويقول صارخًا ما هذا الذي اسمعه الجدي في البيت انظروا
ليلا يكون سرقة فردوه الى اصحابه لانه لا يحل لنا ان ناكل او نلتمس شيًا سرقةً فكانه يقول
اسالوا واعتنوا ليلا يكون اخذ من جدار احد جيراننا وان كان هو مشتريًا فاسرعوا
وردوه الى اربابه لانه لا يجوز لنا ان ناكل او نسطع ما هو لغيرنا ولم يكتف بهذا فقط
بل ما عدا ذلك كان يوزع على المحتاجين والمحبوسين واليتامى كل شي كان يتوفر من نفقة
بيته اليومية وان كان يمكن ان يتهيا لابنه الشاب ان ذلك التوزيع كان يبان من القساوة
نظرًا اليه اي مشاهدته اياه في كبر سنه يتغاضى عن شغفه بهم بين في ان يرتب له مقتنى
او ثروة لايقة تكفي للقيام بمعيشته بعد وفاته فلاجل ذلك دعا الاب الصالح ابنه الشاب
يومًا ما كانه يريد يبرد نفسه عن ذلك لديه وبعد ان قدم له نصايح وتعاليم صالحة
كثيرة بين له كم من القليل يملكون من الثروة ورأس المال ثم اردف كلامه قايلًا له وباكيًا لا
تخف يا ابني الحبيب فانا عالم انه نظرًا الى القليل الذي سوف اخلفه لك وراثة سيكون
بيتنا صغيرًا حرجًا ضيقًا والملبوس حقيرًا والقوت فقيرًا لكن اعلم يا ابني انه سيكون لنا
كثير من الخيرات اذا حفظنا شريعة الله وسلكنا في خشيته تعالى لا تخف يا ولدي نحن نعيش
عيش الفقر لكن تكون لنا خيرات كثيرة اذا كنا نخاف الله ونفارق كل خطية ونعمل الخير
هكذا قال طوبيا الشيخ لابنه وقد تم كلما قاله والد نابه لانه بعد زمن قليل حظي فتاة بزيجة
شريفة وحصل منها على ثروة وافرة ووراثة موسرة جدًا وعاش بعد وفاة ابيه بخيرات
كثيرة جدًا اكثر مما كانت له في حيوة ابيه وها انا اريد منكم يا معشر السامعين الاجبان تتخذوا
لكم من ذلك نموذجًا صالحًا واذا اتفق لكم ان تعقلوا يومًا ما مع اولادكم فليخاطب كل منكم بنيه
هكذا يا اولادي الاعزا انتم معاينون كيفية حال بيوتنا فانا استطيع ان اجمع لكم مالًا وثروة
بالوسايط والمساعي الغير الصالحة التي يستعملها البعض من المنافقين المتغافلين عن
نفوسهم ويمكنني ان اباشر عهودًا في تجارات غير جايزة ولا عادلة يمكنني ان اسلك طرق
الغدر والكذب والتصنعات والخصومات ولكن لا يسمح الله ان افعل مثل هذه الاثام
التي لا تفيدني ولا تفيدكم يا اولادي الاحبا اخشوا الله واطيعوا نظرًا الى كل شي لا تنسان
خشيته تعالى فتصيروا تحت وكالته مولى صالح وقد يسر تعالى بلا تبغاروا اهل المدينة الذين

هم من نظرائكم اذا رايتموهم حصلوا على مكاسب غير مقدسة وصاروا اغنيا وشيدوا بيوتاً و
حصوناً افخر من التي ولدوا فيها او اذا غرسوا مقابلكم بساتين واقاموا املاكاً وابتاعوا مواشي
اكثر مما استورثوا من سلفائهم فلا تحسدوهم في هذا لا تتكلوا على مقتني الظلم كما اوصاكم
الحكيم في سفر حكمته لكن اذكروا ما قاله النبي داود في زبوره ان اليسير للصديق خير من
كنز مغنا الخطاة دعوا غيركم يتنعم ويبذخ قليلاً دعوه يمتلي خيرات والله هو المحاسب لابد
ان ياتي وقت ويصنع لكل انسان عدلاً احفظوا انتم ناموسه اكرموه احترموا اسمه وان كان
هو جلت مراحمه ليس هو بعيداً ان يعولكم ويهتم بكم فتبقى لكم حجة على ان تلوموني وتشكوا
مني بعد وفاتي نحن نعيش عيشة الفقرا لكن تكون لنا خيرات كثيرة ان كنا نخاف الله ونفارق
كل خطية فهذه النصايح ونظيرها ينبغي ان تكون وصاياكم لاولادكم اقتداء بطوبيا البار
اما انتم فقد كان حان الوقت لكي تجمعوا افكاركم وتختلوا في ذواتكم لانكم قد بلغتم الى سن
الشيخوخة ولكي تهتموا بنفوسكم اكثر من بيوتكم وتجتهدوا في ترتيب ضميركم اكثر من ترتيب
اشغالكم الدنيوية وتتفكروا في استعطاف الله اكثر من افتكاركم في العالم وان كان فيما مضى صدر منكم
ما لم اظنه بكم اعني ان كنتم دنستم ايديكم بارباح قليلة البر والعدل فاسرعوا اسرعوا انفقوها
عنكم عاجلاً اوفوا فعلة اجرتهم الباقية عندكم اعطوا الكنايس والاديرة حقوقها التي اسكتوا
عنها تمموا وصايا موتاكم ردوا ما اختلستموه بالسو وكافوا بالخير لمن اساتم اليه واقول بحصر
الكلام لا تحفظوا عندكم شيئاً ما اصلاً من ذلك المال الذي لا يصلح لشي آخر سوى لهلاككم
ودمار اهلكم واولادكم وان تحفظون في بيوتكم عداوة الله متقدة دايماً صاحبها او عز الى ذلك
ميخا النبي بقوله النار في بيت المنافق كنز الاثم والسبح دايماً

العظة الرابعة عشر

في الخميس الذي بعد الاحد الثاني من الصوم

في انه لا يوجد في جهنم نوع
ما من التعزية اصلاً ومن ذلك ينتج كم يجب علينا ان نفر منها هاربين من هذا المكان
الذي انما هو مكان العذاب لا غير   مات الغني وقبر في الجحيم هكذا حرر مار لوقا في فصل ١٦
من بشارته   انه لا بد لكم يا ايها الخطاة احد هذين الامرين اعني بهما اما جهنم اما
التوبة فلماذا نتعب انفسنا كل يوم بهذا المقدار من العظات والحال انه ليس لاحد مناص
من هذين الامرين اما جهنم اما التوبة فلازم اذاً ان تعزموا على انتخاب احدهما ولكن اعسى

العدد ٢

يجب

يوجد من يجب ان يختار جهنم لا التوبة واسفاه ان وجد هذا العديم المعرفة اذاً انه يظهر
عن نفسه انه لم يتامل قط برصد العقل ليفهم جيداً ما هو معنى الهلاك في هذه الهاوية المرعبة
ومن ثم ارغب اليكم يا معشر السامعين الملزومين ان تصغوا جيداً لمقالي لاني قاصد ان اشرع
حالاً خلواً من مقدمة اخرى وابين لسمعكم انا ما هو تاويل ذلك فيا ايها الاله العظيم المالك
بقبضتك مقاليد تلك الابواب السفلية الصلبة التي لا الحصب ولا الماس يوازيان صلابتها
ابتهل الى سيادتك ان تعيرني الى زمن يسير هذه المقاليد لافتح ذلك السجن المريع سجن
الهالكين ولكن لا لاني اروم ان اعتق منه احداً لانهم لو اقدم لهم ماء ليطفوا نارهم او بلسماً
ليعالجوا قروحهم او تعزية لزفراتهم فليمكث هولاء الاشقيا هناك ليحتملوا العقوبات
العادلة التي وجبت عليهم لعلة خطاياهم لانهم لا يستحقون المعونة ولا الرافة وليتمزقوا
غيظاً ولينقعوا ترمزاً لانهم جوزوا على قدر استحقاقهم بل انما قصدي انما هو هذا اي ان
اريح انفس هولاء السامعين المحبوبين مني جداً لكيلا يزداد عدد اوليك المحبوسين هناك
ولا يوجد منهم ولاجل هذا اريد ان ابين ماهية هذا السجن لمن يخطي وذلك ليتنبه على نفسه
ويرى ما هي العذابات التي يلقي نفسه بها بارتكابه الخطا ويدرك كميتها ويكفيني على كل
حال ان اعرفه واحققه لديه انه يختار لنفسه عذاباً باصرفاً لا تعزية فيه وهذا هو امر العذابات
باسرها اي العذاب الخالي من كل تعزية اصلاً ؛ انه لمن المعلوم ان الرحمة
والعدل هما اليدان اللتان يدبر بهما العالم غير انه يجب ان تكون هاتان اليدان احداهما
مساوية للاخرى والا فلقد كان الله تعالى ناقصاً وبالنتيجة يجب ان تكون اثنتاهما على حد
سوى نظراً الى القدرة والعمل وافتعال المعجزات من دون تعب فبعد ان تقرر ذلك فنقول
انه من المعلوم جداً ان الله تعالى لما استعمل رحمته اجترح ايات باهرة تفوق على ادراك
كل انسان وذلك لانه اتصل ليس الى ان يحتمل فقط بصبر جميل ويتجلد غريب اهانات ارذل
الناس وتعييراتهم وينعم عليهم ويتملقهم في ذلك الوقت نفسه الذي فيه كانوا يصرفونه في
اغاظته وحقارته لكنه تعالى بلغ الى ان يموت لاجلهم ايضاً لا موتاً كيفما اتفق بل موتاً شنيعاً
شنعاً موتاً بهذا المقدار حتى كان التصديق به برهان لكثيرين عثاراً ولغيرهم جديانا فاذاً
يلزمنا ان نقول ايضاً انه جل ذكره متى ما شاء ان يستعمل عدله بحسب الحق يجب ان يصنع
ايات معجبة تسمو على الادراك ويصب غضبه حسب رحمته كقول الحكيم ابن سيراخ

ت

العدد ٣

ومن ثم كما انه لما اراد ان يظهر رحمته فعل افعالا ابانت للناس كانه شيئا خاليا من العدل هكذا لما يريد ان
يظهر عدله يجب ان يفعل افعالا يبين لنا كانه خال من الرحمة فلنا ان نتصور والحالة ان في جهنم مغر
مظلمة ومجاري منتنة واشباحا هايلة وسيوفا وارماحا وعجلات محرقة ونبالا وامواسا واودية
من كبريت متقد ومشارب من رصاص مذاب وبحيرات مياه بجليد ومراجل محمية ومشاوي ومسامير
وعصي حادة ومخارز لقلع الاعين وكماشات لقلع الاضراس وامشاطا لتجريد اللحم وسلاسل
لترضيض العظام ومشاعل لاحراق الاكباد وحديدا للدغ واللذع وملزمات لجذب العروق
وسموما للتسميم ونيارا مفعمة نارا واظفارا للتخديش وفؤوسا للقطع نعم ان هذه الاصناف من
الات التعذيب هي شديدة قاسية لا محالة غير انها بمجرد ذاتها قد اتصل الانسان الجاني
يخترعها بمعرفته ويعذب بها بقوته اذ ان الثيران النحاسية كانت اختراع بارليوس
والكراسي الحديدية قد استنبطها اغاثوكلس والمصريون اوجدوا ذلك الصنف من العذاب
المر وهو نقب الاظفار بقصب محرق ونيرون اخترع تلبيس البشر والقاهم على الكلاب الكاسرة
ومكسنتيوس اخترع ربط الاحيا بجثث الموتى ليموتوا مهترئين ومأكولين من الدود وهم احيا
وبواشق تيتيوس وتعطش تنتالوس وعجلات يسيون وحجارة سايسيفوس فهذه
جميعها انما كانت الات التعذيب عند اليونانيين ولاجل ذلك لا تظنوا ان حدة العذابات
التي كان يتعذب بها الهالكون في جهنم لا تبلغ الا الى الحدة المذكورة المخترعة من البشر لانه
ان كانت هذه العذابات المخترعة منهم هي قاسية ومرعبة جدا فليت شعري ماذا تكون
العذابات التي هي اختراع الاله الكلي القدرة العظيمة التي يعذب بها الاثمة حينما يلتزم
ان يبين فيهم عدله الالهي ويصب غضبه حسب حدته لا ريب في انه ينبغي ان تكون
هذه العذابات قاسية فاعلة بحدة بهذا مقدارها حتى انها تعلو على ادراكنا كليا وتظهر
بذلك الفرق الغير المتناهي الكاين ما بين ضعف البشر وقدرة الله الكلية وضيفوا الى
ذلك قولنا هذا وهو ان كل اهانة تصير ضد العزة الالهية هي عظيمة فايقة على كل مقدار
حتى انه لا يوجد عذاب يوازيها ولو مهما كان فاعلا بحدة غريبة ومن ثم نقول كيفما عذب
الله تعالى الهالكين فعذابهم هذا الذي للعدل الالهي وفاه موازيا بل يستمرون مديونين
لجلالة صفاته بعذابات اخر اشد صعوبة الى الابد فانتجوا اذا من ذلك كم تكون عذاباتهم
مرة وكم تفوق على الادراك والوصف لعمري انه ليجب ان يتم فيهم ما قاله ايوب الصديق

133

اي ان الله يعطر عليهم بمحاربته وبالنتيجة سبيلنا الان ان نتصور في عقولنا انه تعالى يفرغ
فيهم من جعبته النبل والسهام ومن اسلحته السيوف والارماح وجميع الالات الحديدية
الملايمة للحرب ومن سحايبه الصواعق وذلك لكي يتكافى عدله الالهي قدر الممكن و
الواجب لانه قد قال عز قوله اتمم سخطي بهم وان كان ذلك كذلك فينبغي ان لا يرجو واحد
منكم شيئا ما من الفرج والتعزية والراحة في جهنم فان ذلك لا يوجد فيها ولا يمكن ان يوجد
على ان ذلك هو من مفعولات الرحمة المتراوفة لا من مفعولات العدل المسخطة وفي هذا
المعنى قال القديس اغوستينوس في انه لا خلاص في جهنم البتة هناك المناحة والتنهد والتوق
اننا نرى في جهنم الارض نعلم
ليس من يرحم هناك البكا والوجع وليس من يسمع
الطب اوجد لكل علة دواء ما ولاجل ذلك لم يعد الان جرح دون البلسم الذي يعالجه ولا سم
دون الدرياق الذي ينتزعه اما هذا الامر فلا تظنوا انه يوجد ايضا في جهنم فهناك الحريق
قادح لا محالة ولا دهن يخففه والعطش شديد فلا شيء يرويه والجوع كلبي ولا قوت
يشبعه والحزن عميق ولا رقاد يسكنه والعار غير محتمل ولا انقاب يستره ويا ليتها كانت
عوض كلما يكون موتا يجعل اخيرا نهاية لهذا المقدار من الضيقات والعذابات لكن هذا هو
اعظم اوجاع الهالكين في جهنم حسب قول سفر الحكمة وهو انه ليس فيها سلم للتهلكة فحواه
ومعنى ذلك انه ليس للهالكين فيها رجا ان ينعم عليهم بدوا يستعملونه لابادتهم وتفانيهم
بالكلية ان متريداتس ملك بنطس المشهور لما انه لم يتوله واسطة اخرى لينجو بها من
رق العبودية التي كان قريبا ان يسقط بها بايدي اعدايه سوى هذه اي واسطة الموت
مع انها صعبة ومخيفة جدا عزم حانقا على نفسه ان يشرب كاسا مسمومة ويموت فاتخذ
كاسا وشربها ولكن لاجل انه كان فيما مضى قد صير معدته بسبب الادوية التي كان يشربها اختراعا
من عقله الذي يقوي ان تهضم السموم فمن ثم لم تنله مضرة ما من كاس السم التي تجرعها بل بعكس
ذلك نال منها قوة وغذاء لجسده ولهذا شرع يحزن باكيا لانه صير جسده بالادوية التي
كان اخترعها وكان يتناولها سابقا غير قابل الموت بالسموم الناقعة ولكن الاصح ان نقول
انه الم متريداتس بحزنه وتالمه هذا نظرا الى كونه لا يستطيع ان يقتل نفسه بالسم لانه لو لم
يطلب الموت حقا وتعزيا للانسان او طلب الموت بالحقيقة لكان يدعو طرقا اخر متعددة يقتل بها
نفسه فهذا العالم حيث كل شيء يناسب لاستيصالها ولا شيء كاف لحفظها فلم يكن الا ان يحوي

لذا نفهم ويحزن من اجل ان السم لانه لم يفعل فيه فاعلية لانه كان يمكنه ان يهتدي ان يطعن قلبه
بحد الرماح ويخنق نفسه بحبل ما او يزج ذاته باحدى الهوات العميقة على ان البحر وحده
كم يحوي من انواع الميتات التي لو اراد لكان يقدمها له ليبيد بها حياته وكم تحوي الانهار
من الدوامات ليغرق بها او الثنانين والحيات لتبتلعه ولو اراد ان يدخل في غابة ما لقد كان
يمكنه ان يجد في كل غصن من اشجاره مشنقة وكان يمكنه ان يجد الموت في الفرج حيث ترض
الوحوش الضارية وفي الاتونات حيث تتقد النار وفي الابيار حيث يلقى المذنبون ومن ثم نقول
انه لم يتجاسر ان يطلب الموت على منوال اخر سوى بالسم الذي كان صيره لديه سابقا مشروبا لذيذا
نافعا اظهر عن نفسه انه انما كان يطلب لنفسه الفايدة فقط التي تصدر احيانا من الموت اي
زوال الضيق والشدة خلوا من ان يريد ان يذوق العذاب الممتزج به واذ شئتم ان تعرفوا هل
كان يوجد للهالك الشقي المذكور سبب صايب للتالم والشكوى لعدم استطاعته على قتل
نفسه فاجيبكم قايلا لانه كان يحوله ذلك مثلا لو تشجع وطعن قلبه بحربة او الالة الحربية
من غير ان تقتله او لو شد عنقه بحبل ما وشعر بالنزاع خلوا من ان يختنق او لو ضرب نفسه
بالحجارة وشعر بالترضيض من دون تميته الحجارة او لو طرح نفسه في البحر وحس من ان يختنق
والبحر حمله شايفا على المياه او لو القى ذاته في النار وتعذب بحريقها خلوا من ان تفنى حياته او
لو انه عرض ذاته الى الوحوش واستحس بوجع افتراسها من غير ان تستطيع ان تبتلعه وتميته
ففي هذه الحالات كان يسوغ له ان يحزن ويشكو من عدم استطاعته على الفوز بالموت وهذه
لعمري هي حال الهالكين في جهنم حسبما ذكر عنهم يوحنا الحبيب في جلياناته قايلا يطلبون
الموت ولا يجدونه هذا هو الجهاد الذي يجاهدونه في كل الابدية اي انهم يطلبون الموت
حتى في كل انواعه الاوفر قساوة وظلما ولا يحظون به اصلا فيقضون غالب ايام الابدية
نايحين وهاتفين من جوارح قلوبهم في تلك الهاوية المظلمة المرعبة وقايلين اين انت يا ايها
الموت اين انت لماذا لم تاتي الينا من من الشياطين يرحمنا ويرينا اياك فيقول ابيمالك احد الاشقياء
اين الان ذلك السيف الذي اماتني ونجاني من العار الذي كنت اخشى ان يستحوذ علي ويقول
زمري اين النار التي احرقت بها نفسي ومت ويقول اخيتوفل اين الحبل الذي خنقت به نفسي
يا للشقاوة كيف امكن ان يكون هذا المكان المفعم عذابات خاليا من عذاب ما كاف لحتفنا ولابادتنا
ماذا تصنع ايها الدود هل انت ايضا تابى عن ان ترعانا وتلاشينا وماذا تصنعه يا ايها اللهيب

ابلغ من وقتك لتذيبنا وتلاشينا وفي غضون ذلك اذا شاهدوا في احدى زوايا جهنم بئرا
يغلي فيه القطران والزفت والكبريت باعظم اضطرام فينهضون مسرعين متلهفين ليزجوا
نفوسهم فيه مترجيين ان يصطادوا الموت في عمقه لكن هذا الخير لا يجدونه يطلبون الموت
فيه لا يجدونه ثم يخرجون منه متمزقين غيظا ابلغ تمزقا ليطلبوا الموت في مكان اخر حيث
يبصرون الفؤوس تقطع باعظم حدة او حيث تطحن العظام باوفر تدقيق او حيث النتانة
تفوح باغزر كرم وهنالك يطرحون نفوسهم ويتقلبون ويتحطمون مترجيين ان يجدوا
هكذا الموت ومع ذلك لا يجدونه لا يجدونه يا لسوء حظهم يا لتفاقم شقاهم فانهم وان القوا نفوسهم
في افواه التنانين وطرحوها امام براثن اي اظفار النمور والاسد فلا ريب في انهم يتعذبون
منها عذابا لا يطاق لكن عذابا لا يفني حياتهم حسب كلام ايوب الصديق القايل كلا من الهالكين
هكذا يعذب على ما صنع ولا يفنى وهم يظنون انه يوجد في جهنم الحبس والاشتعال بجميع
العذابات كقولنا تحطيم العظام وتقطيع الاعضاء وضرب العصي والنزاع الصادر من
الخنق وحريق النار وطعن الرماح وما ضاهى ذلك غير ان الموت ينتفي منها ولكن لا كل موت على
الاطلاق بل الموت الذي يفني هو ايضا وينتهي ولا يكون الى الابد غير مايت لعمري انه لو كان
يمكن ان يوجد موت ينتهي في هذه الهاوية المرعبة حيث ان كل عذاب منها ينبغي ان
يكون ابديا غير متغير تغيير الطبيعة والادهار ولا ان ينقص فلو كان ذلك لكان هذا
خيرا عظيما للهالكين والحال ان هولاء الاشقيا معدومون كل خير حتى من خير الموت
وفنا الحيوة فاذا ما هو رايكم يا معشر السامعين وما هو قولكم في هذا الحال حال الهالكين
المرهبة اما جمد دمكم في عروقكم خوفا وارتياعا من تامل حالتهم هذه قال القديس بوناونتورا
من لا يرتعب قلبه اذا تامل العذابات الجهنمية واعتبر كونها غير محتملة ليس لتفاقم
شدة عذاباتها فقط بل لدوامها الى الابد ايضا نعم انها دايمة الى الابد لان داود النبي ها
قال عنهم هكذا ويكون زمانهم الى الابد فما تظنون معنى هذه اللفظة الى الابد لعل معناها
هو هذا اي انهم يتعذبون الى ان يجفف عصفور ما جميع مياه البحار اذا اتى كل مدة
سنة مرة واحدة وشرب منها نقطة لا غير لا لعمري بل معناها انهم يتعذبون الى ان تكون
زمان غير هذا يضيف الوف الوف بلا انتها او هل معناها انهم يتعذبون الى ان تكون
تمت دودة صغيرة اكلت جميع شجر الارض اذا قرضت كل سنة قرضة واحدة كلا بل يتعذبون

الى زمان اكثر من هذا وهل معناها انهم يتعذبون الى ان تكون انتهت نملة من تطوف
فيها الارض باسرها اذا مست بقدميها كل سنة قدماً واحداً فقط كلا بل يتعذبون الى
سنين اكثر من هذه جداً واذا افترضنا ان العالم باجمعه امتلا رملاً رفيعاً ونقلت منه كل
مايه سنة حبة واحدة فقط اينتهي عذابهم اذا فرغ العالم كله من الرمل حاشا وكلا واذا
احتسبنا هذا العالم باسره صار نحاساً صلباً واتاه من يضربه بضربة خفيفة واحدة
في كل الف سنة مرة واحدة فقط ترى ينتهي عذابهم متى ما بلغ هذا العالم النحاسي
الى ان يتلاشى ويصير غباراً ناعماً لا البتة بل يتعذبون الى الوف من السنين اكثر من
هذه ولنتصور قياساً اخر وهو انه اذا ذرف احد الهالكين من عينيه دمعة واحدة
فقط في كل ربوة من السنين اجيالاً ترى ينتهي عذابهم متى ما بكى بكاء هذا مقداره
حتى تكفي دموعه اذا اجتمعت ان تحصل طوفاناً اخر نظير ذلك الطوفان العرمرم الذي
غمر الارض كلها في القديم وغرق البشر والبهايم والطيور جميعاً لا حقاً لا ينتهي فلنختم اذاً
مقررين بان هذه القياسات انما هي قياسات لهم طفال لان عذاب الخطاة لا ينتهي بل
يكون زمانهم الى الابد ومضمون ذلك انه يدوم الى جميع الدهور بلا عدد وبدون
حد من غير تاجيل ولا مقدار ولاجل ذلك قرر الله تعالى وقال قولاً اوضح انه يجعل الجوسهم
النار والدود ويحترقون بالحس الى الابد بالالفاظ خفيفة بالمعاني مرعبة كيف يمكن لكلمة
هكذا مرهبة اي الى الابد ان لا تذهل عقلنا ولا تذيب قلبنا لفرط الخوف فيا ايها المغرم
الكهوف وثقوب المرض اين انتقى انني اتوقى ان اسجن ذاتي في واحدة منكن واختلي
هناك بمفردي خلواً من ان اعاين ايضاً وجه انسان او نور الشمس لكي ابكي وانوح مكرراً
هذه اللفظة الى الابد لعلي ابلغ وادرك ما هو معنى قولنا الهلاك الابدي

العدد ٤

اننا نقدر نرى في هذا العالم ان التنزهات عينها اذا طالت كثيراً تسبب ضجراً وكرهاً ايضاً
ولاجل ذلك يجب ان يكون كل شي مما يخصها مرتباً بحكمة ومنتظماً باوقات ملحلة كالجلوس
على المايدة مثلاً واللعب والصيد والسهرانات ودق الالات والاغاني وما ماثل ذلك بحق
ان استمرت متصلة دايمة فانها تورث الضجر والاشمئزاز ولو كانت في مباديها عذبة
لذيذة وان كان ذلك كذلك فكيف يكون اذاً الدوام في عذابات واحدة بل عذابات
كثيرة وشديدة بمقدار لا يدرك انه لقد اتفق لي مراراً عدة اذ كنت مسافراً في فصل الصيف

ان اوجد في مرج اخضر مزهر شهي المنظر وانطرح من التعب تحت ظل شجرة ما ظليلة
متمتعاً برطوبة النسيم الدقيق الرقيق وخرير المياه المتدفقة وصوت نغمة البلابل
العذبة وما اكثر ما كنت التذ من ذلك في الابتدا ولكن ماذا كان يجري لي بعد ذلك
على انه بعد مكثي زماناً قليلاً كنت استيقظ واقوم ناهضاً من مضجعي حتى انه لو تفق
ان غير واحد بان امكث هناك غير متحرك ولا متنقل يوماً واحداً فقط على جنب واحد
لكانت تلك اللذة لا محالة استحالت لي مرارة وعذاباً ومن ثم التذكر في هذا فقط كان
يبتدي ان يحصل لدي تلك النغمة اللذيذة مخزنة وذلك الخرير مكرباً وتلك النسمات
الرقيقة خشنة وذلك الظل مكرباً وتلك الزهور غماً فاذاً يا لتفاقم شقا الهالكين ترى
كم يكون مقدار عذابهم مراراً اذا انه محكوم عليهم ان يستمروا مطروحين لا يوماً واحداً بل الى الابدية
كلهما في بحر النار المحيفة الذي سماه يوحنا في جليانه الاجم من النار الموقودة محاطين دايماً
من العقارب ومزدرين على الدوام بالحيات ومهزوا بهم دايماً من الابالسة ولا من ان
يستطيعوا البتة في جميع دهور الابدية ان يقتبلوا من القلب نفساً واحداً مفرحاً فلما ان
حالهم هذه ترى ما اكثر ما يلعنون ذلك اليوم الذي ولدوا فيه وذاك البطن الذي
حملهم وتلك الاثدا التي ارضعتهم قايلين من كلام ايوب ليهلك اليوم الذي ولدنا
فيه والليل الذي قيل فيه ان قد حبل بنا فيه ولكن ولو بكوا وولولوا بقدر ما يشاون فليس
من يرحمهم ايضاً لانهم قد صاروا الشعب الشقي الملعون الذي قد نوه عنه ملاخيا النبي
قايلاً الشعب الذي غضب الرب الاله عليه حتى الى الابد

العدد ٥

ولكن ربما يظن احدكم شيئاً واحداً في الهالكين وهو انه يمكن ان يحصل لهم تعزية ما في
عمق هذه الشرور وذلك من علمهم ومشاهدتهم ان غيرهم ايضاً يتعذبون بعذاباتهم
وليس هو وحدهم ولاجل ذلك تقول لنا بعض الاوقات ان نسمع شخصاً ما يقول وماذا يكون
بي اذا هلكت في جهنم فانني لست الوحيد فيا ايها الخاطي الجاهل الاحمق المنكود
الحظ ما هذا الجنون المعتري بك وهو قولك انك لا تكون وحدك في جهنم والحال انه
هذا اشد عذاباً لك اي انك لا تكون وحدك بل برفقة تخيفك على انه اذا ترهبت فرخ حية
اكثر توحيفاً او الكبوشتيغ فهل تكون وحدك في الدير وحاشا ان تكون برفقتك ملاينكة
كثيرون ومع هذا السبب تحب ان تذهب وتحبس في الدير فكيف اذاً تتصور ذلك جهنم

محتملة وذلك لانك لعتيد ان تكون وحدك انني لا انكر بانه يمكن ان تتصل الينا تعزية
ما في هذه الارض اذا كان لنا شركا في شدايدنا والسبب في ذلك على حسب ظني هو هذا
اي انه يمكننا حينئذ ان نرجو باو فرصة ولو نادرة ان يعيننا غيرنا او يعزينا او يشفق علينا حين يوجد
لنا من بينهم شدتنا بالعمل الحنو لانه ابتلي بها ايضاً مثلنا واضحى يدرك ماهيتها ووفود
الالام الصادرة منها اما ههنا فلا يبقى في جهنم حيث كل هالك يزيد عذاب صاحبه فيها يكون
الهالكون بمنزلة حزمة من شوك ملتزق بعضها مع بعض ومن ثم لا يصدر منها سوى ان
يشبك احدها الاخر وحسب قول ناحوم النبي القايل كمثلما تتحاضن الاشواك بعضها
مع بعض ومن ثم نقول اما الفايدة في جهنم من كثرة الرفقة فهذه لا تصير احدهم ان ينفع
الاخر او يعزيه بل تجعل ان تزيد بعضهم على بعض ثقلاً وضيقاً وصراعاً وتبلبلاً وعدم
النظام ولاجل ذلك خير للهالك ان يكون وحده نعم ان الهالكين لافراط الياس والبغض
لبعضهم بعض يحبون ان يكونوا كثيرين ويحبون لان يلعنوا او يبغضوا او يشتموا بعضهم
بعضاً لان اشعيا النبي يقول بغضب رب الاجناد يكون الشعب مثل من ياكل النار ومع
ذلك لا يرحم الانسان اخاه كما اردف اشعيا النبي ايضاً وقال بل كل واحد ياكل من لحم
ساعده يعقوب منسا افرايم وافرايم منسى ومن ثم ينبغي لكم ان تتحققوا ان بغضهم هذا لبعضهم
لا يفيدهم نفعاً ولا تعزية مطلقاً بل يزيدهم عذاباً ووجعاً لان الهالكين يبغض بعضهم
بعضاً بغضاً بهذا المقدار حتى انهم يحسبون الاسا الذي ينزلونه فيهم خفيفاً
بالنسبة الى الاسى الاعظم الذي يشتهون ان يفعلوه معهم لو يستطيعون عليه ومن اجل
ذلك اضاف النبي المذكور فقال كل واحد منهم هكذا يميل الى اليامن ويجوع وياكل من
اليسار ولا يشبع

العدد ٦

ولما كان بغض الهالكين بعضهم بعضاً سيكون
بلا تعزية الى الابد فليت شعري ما الذي يجب ان نعتبر في غيظهم على الشياطين الذين هم
علل عذاباتهم وشقاوتهم الدهرية العظمى فان الغيظ مريع مرعب وهو انه يشاهد الهالكون
الاشقيا حينئذ ان الشياطين الذين تملقوهم في مدة حياتهم وخدعوهم كثيراً في مجالسهم
سيكونون في ذلك الوقت متسلطين عليهم بهذا المقدار حتى انهم لا يملون ولا يبردون من
تعذيبهم الى الدهر ومن ثم لاجل انهم يتحققون بانهم خانوهم فليت شعري كم من الشر
يطلبون لهم انتقاماً منهم وكم يكرهون ذكرهم ويتمرمرون من مشاهدتهم ومع ذلك قد

صار

136

صار كل منهم ملتزماً ان يرى اعداه الخاينين الذين سببوا له هلاكه الابدي محدقاً به دايماً
ويسمع على الدوام شماتتهم من افواههم ويعاين ذلك على مر الزمن معذباً من يديهم في
جهنم اخرى لا يستطيع ان ياخذ منهم ثاراً لان الشياطين يحسبون جيداً انه يقوم لهم وظيفة
جلادين الهالك فلا ينعكس ان يصير جلاداً للشياطين وهذا يزيد الهالكين تالماً وعذاباً
لا يوصف

العدد ٧

غير انني اتكلم الحق فاقول ان عذاب الخطاة هذا الذي
الملتحق بهم من الشياطين ومن رويتهم الشنيعة على ظني لا يخلو من تعزية ما وذلك نظراً
الى سبب العذاب الذي انا مستعد ان ابرهنه لكم وهو ان عذاب الشياطين الذين كيما
عذبوا الهالكين وبهما عذبوهم فهم معذبون ايضاً معهم في مكان واحد وهو جهنم
ومن ثم ينبغي ان غيظ الهالكين وغضبهم عليهم يسكن مشتفياً قليلاً بمشاهدتهم معذبين
واحتراقهم ايضاً من الله تعالى وذلك شبه العدو الذي يفرح ويشتفي قليلاً بالعذاب
الذي يراه في غريمه ولو لم يكن عذابه هذا مسبباً لنفسه ولكن ماذا نقول في غيظهم
المسبب لهم من مشاهدتهم القديسين والطوباويين الذين لا يوجد لهم سبيل ولا
وجه ما اصلاً للاشتفا فهذا لعمري يسبب لهم عذاباً وتمزيقاً هذا اعظم مقداره حتى
انه يجعلهم يصرخون ويولولون كالمجانين ويرفعون احياناً نواظرهم الى السما ولما يتاملوا
متذكرين بكم من القليل نال غيرهم السعادة الابدية التي هم قد خسروها فالام الحسرات والبكا
والتنهد الذي يرددونه من اعماق قلبهم وقتئذ وما التصريف اسنانهم ان اخوة يوسف
لما ابصروا اخاهم هذا موقراً ومحبوباً عند ابيهم اكثر منهم احتموا بغضاً وغيظاً عليه بهذا
المقدار حتى انهم عزموا على قتله ومع ذلك ترى في اي شي كانت قايمة محبة ابيهم ليوسف
اكثر منهم لعمري انها كانت قايمة في هذا فقط وهو انه عمل له قميصاً اثمن منهم او لانه كان
يتبسم له او يقبله دون اخوته فليت شعري اذا كم يحتمي الهالكون بغضاً وحنقاً حينما
يبصرون واحداً من اخوتهم او اقاربهم مثلاً في مجد جزيل المقدار جداً وعلى الخصوص
اذا عاينوا واحداً من غرمايهم او من اعدايهم الذين كانوا وهم احيا يبغضونهم حتى الموت او
واحداً كانوا قد احتقروه في مدة حياتهم بمنزلة فقير او هزء او ابرص عقام صعلوك ومجذوب
او كانوا قسوا عليه بشبه عبد او اسير وعلى ما يلوح لي انه من هذا يجب ان تتصل اليهم عذاب وزاد
قلبي عظيم بهذا المقدار حتى انهم لو اعطوا اذناً الان يختاروا من هذين الامرين انهم يصعدون

الى السما ليتمجدوا مع القديسين واما ان يستجروهم الى العذاب معهم لكانوا اختاروا ان
ينحدروا اوليك الى عذابهم لا ان يصعدوهم الى مجدهم لعمري ان هذا الالم العظيم جداً ولا احد
يدركه الا الذي فيه معظم مقدار ما تولم شهوة الجسد الذي على حسب ظنو جميع الم العذابات
هو اخف من الم وذلك حسبما تقرر القديس كبريانوس نصاً في كتابه الذي الفه في الحسد
قايلاً جميع المشقات والعذابات يمكن ان تخالطها من جهة طبعها تعزية ما اما الحسد فغير
قابل تعزية ما اذا استحوذ على انسان بالدرجة الفايقة وبرهان ذلك هو القصاص الذي
توعد به الله عالي الكاهن من توانيه بتربية اولاده الاشرار فان قلتم ما هو القصاص الذي
قد توعد به جل ذكره الطيكانه رفع علاينه ومداخيله الوافرة من خدمة الهيكل ام هل كان
قطع ذريته وتبديد بسطه فاجيب كلا لان هذا لم يكن القصاص الاقوى الذي تقدم به الله
تعالى فتوعده به بل انما كان هذا وهو انه سيجعله ان يعاين في الهيكل من يعاتله حاصلاً في
مجد عظيم وذلك بقوله وتبصر نظيرك في الهيكل بكل خيرات اسرايل وهكذا نرى ايضاً
ان الم الحسد هو الذي جعل عيسو يبكي ويعج مولولاً كالحيوان وهو الذي جعل شاول
الملك يعدم الصواب والمعقول وذلك من مشاهدته ما ذاته عاجز عن صد السعادة
عن غريميه الذين انتقلت اليهما منه ولذلك لا حاجة لنا ان نطوف طالبين البراهين من
بعد لان لهم بما عندنا النظر الى الغني المذكور في فصل الانجيل الذي تلي على سماعكم اليوم ونتامل
ونفحص لاي سبب تاق الى نقطة واحدة من الما البارد في ذلك الاحتراق النارى طالباً ان يرسل
اليعازر ويأتيه بها قايلاً ارسل لعازر ليبل طرف اصبعه بما ويبرد بها لساني فاجيبوني يا معشر
السامعين اما كان الاوجب والاليق والانفع للغني المعذب ان يطلب ملتمساً ان يصعد هو بذاته
الى حيث كان العازر جالساً متنعماً مسروراً لا ان يطلب لينحدر العازر الى حيث كان هو يعذب
كذا بعذابات فادحة فلماذا اذاً ابتغى ان يقطع عنه تلك الراحة اللذيذة التي كان فايزاً
بها في حضن ابرهيم المعبر عنه بالنعيم لماذا اراد ان يقلقله ويزعجه من مكانه ويكلفه
بالنزول فيجيب هنا القديس بطرس الذهبي اللسان قايلاً لا تعجبوا من ذلك لكون الذي يطلبه
الان هذا الغني الهالك ليس هو الا صادراً من عذابه الشديد الذي يجده عليه في جهنم لكنه
الصادر من بغضه القديم نحو لعازر ولاجل ذلك كان يتعذب في جهنم من الحسد من حيث
العازر اشد من عذاباته في النار لانه لم يكن يطيق ان يرى في مجد هذا اعظم مقدار من ذلك الذي

سهف

كان في حياته يبصره اقل اعتبار من كلابه ومن ثم كان يرغب وهو في العذاب ان يوصل
العازر ضرراً واساءة ما الكثر مما كان يتوق الحاذ بما يتيسر منه عون وفرج ثم ختم القديس المذكور
كلامه قايلاً عن جميع الهالكين هكذا ان هذا عذاب للهالكين عظيم واحتراق جزيل غير مطاق
اعني بيرهو مشاهدتهم اوليك الذين رذلوهم ههنا في الارض ممجدين ومطوبين هناك
ولاجل هذا السبب رفع عينيه الغني وطلب ان ينحدر لعازر اليه لا ان يصعد هو اليه
انتهى ومن هنا قد يلوح لي انه لو امكن بهذه الفرصة ان يتصل الغني للعازر ويضمه بين
يديه لكان وثب عليه بمنزلة كلب ومزقه باسنانه او بمنزلة ثور هايج هايج واماته نطحاً
وترفيساً وبالنتيجة لكان عوض الما المتقدم لرمته نفس في وجهه من احشاه وعمق قلبه
عرام من نار وافرغ جهده بقدر ما يستطيع في ان يسكب في مفاصله وعروقه وعظامه وجهد
كل العذاب الذي كان هو يتعذب به ولكن فليتمزق هذا الغني غيظاً ويذوب حسداً
بقدر ما يشا فهذا محقق انه لا الهالكون اقرانه يسمح لهم ان يصعدوا الى ملكوت العازر
ولا العازر يسمح له ان ينحدر الى قبر الهالكين لان هوة عظيمة بينهم فلنستنتج اذاً من ذلك
مقدار ما يتقطع ويتمزق غيظاً وعذاباً اوليك الاشقيا لما يشاهدون انهم مهما ناحوا وولولوا
وصروا باسنانهم فلم تزل نظراهم متمتعين ومتنعمين الى الابد الابدين خلواً من ان يستطيعوا
ان يوصلوا اليهم شيئاً ما البتة من الحزن ولا يكدروا ابداً افراحهم ولا ان ينزعوا شعرة واحدة
من روسهم لعمري ان عذابهم هذا الصادر من الحسد هو عذاب مذيب يخرق حتى العظام
لان الحكيم قال في امثاله ان الحسد عفونة العظام ومع ذلك جميعه اقول
قولاً اخر وهو ان عذابهم هذا ربما كان اخف عليهم لو لم يعتقدوا ان السما فضلاً عما ذكرناه
تشمت بهم مسرورة في عذاباتهم ايضاً وان ليس القديسون والقديسات والملايكة اجمعين لون
بهم فقط بل الله ذاته يضحك ويهزأ ويسخر بهم مشرفاً عليهم من علو منبر ذيء العزة
العظمى وهذا اطبق ما جاء في الكتاب المقدس من سفر الحكمة الرب يضحك بهم وقيل ايضاً
في الزبور الساكن في السما يضحك بهم والرب يستهزي بهم وفضلاً عما ذكرناه اسمعوا
ايضاً ما قاله الله المجد اسمه بفمه القدوس نفسه على لسان حزقيال النبي لانه هكذا يقول
بل انا ايضاً اصفق بيداي واتم غضبي ان ذاك الذي يخسر في اللعب لاشي يزيده حسرة
وعذاباً اعظم من الضحك عليه حينما يكون هو متفتت باطناً غيظاً لعلة خسارته اي نعم ان

العدد ٨

الضحك عليه بكفولان بحصله أن يبغض ويحرق الورق ويقلب المواييد اذ تعجز عن الوثوب
على الغالب وتبهشيمه فاحسبوا اذاً كم يكون يتحرق قلب التعسا الكيف حينما يولولون نايحين
من جرى عذابهم وخيبة نظرايهم في السما ومع ذلك يبصرون اوليك يضحكون على عذابهم
ويستهزيون بهم فعلى ما يستبين لي اذ هذا يكون لديهم بمنزلة راس عذاباتهم الامر وكي
ابرهن لكم صدق ظني هذا باوضح برهان ها انا اشرح لكم حال رومية القديمة حينما اتقدت
كلها بالنار من نيرون الظالم واضحى اجيجها متصاعداً الى الجو كانها اشتعالات الى جهنم فتصور
اذاً انه لما علقت النار في اكثر زواياها امتدت بزمن يسير ليس الى منازل الفقرا فقط بل الى قصور
اكابرها وابراجهم ايضاً واضحت اعلا القلاع تتقد كالمصابيح وتعلن من بعد الخراب المريع (؟)
الموافي على رومية ثم شوهدت تلك الابنية الشامخة المزخرفة التى قد كلت الايدي من ابتنايها
وحارت العقول في تكوينها تندك متساقطة ثم امتدت النار ودخلت الغياض المدغلة و
البساتين المخضلة وشرعت تخفف وتحرق كلما فيها واتصلت الى الاهرا الشاسعة وابتدات
تاكل منهم الغلات الكثيرة المخزونة فيها اما الشعب لما ابصر ذلك فاعتراه الهول ولم يعد يعلم
ماذا يفعل والى اين يهرب فمن كان منهم مصوراً لم يعد له وقت ليحمل تصاويره الثمينة وينجو
بها سالماً ولا النحاتون بقي لهم وقت ليحملوا اصنامهم الرخامية وتلك الغنايم والبيارق التى
اكتسبت من حروب كثيرة والاقواس والاهرام البديعة التى اقيمت ذكراً وتخلداً في ظفرات ملوك
كثيرين صارت غنيمة للنار المهلكة وكان يسمع من كل جهة نحيب الاولاد يصرخون الى امهاتهم
متضيقين من الدخنة او محترقين من الاجيج وبكا النسا الناظرات خدورهن وبعولهن تحترق
بالنار وصراخ الكهنة الباكين على خراب هياكلهم ومناحة الاغنيا الشاهقين على ثروتهم
التى تصير رماداً وضجيج الصناع المضطرين ان يستودعوا للنار اتعابهم وفي غضون ذلك
لما اشتدت النار وزادت لهيباً طفق كل من الشعب يركض هارباً هذا الى الحقل وذاك الى الثغر
واخر الى النهر فيا ايتها المدينة العظيمة مدينة رومية الكبرى من ذا الذي يبلغ بك الى هذه الحال
المرثي لها هل بغض الوندليين اعداءك ام رجز القطيعين ام بالحري غيظ الارواح الجهنمية
المبعوثة عليك من كهوفها السفلية حاشا ولعمري انه لا حاجة لنا في ان نطلب علة شقاك من بعد
ان نيرون الكافر ملكك هو صار علة ذلك وها هو ذا هو جالس على برج شامخ فاذهبي اليه و
استغيثي به واطلبي منه متضرعة باكية لانه ان كان يوجد لشفاك حتى الان علاج ومداواة

فهو

فهو الذي يستطيع ان يزيله منك لانه هو كان علته وسببه لكن الاه وا اسفاه على اهل رومية
لكونهم لما ذهبوا الى نيرون الملك ليستمدوا منه اسعافاً ما ولم يكونوا علموا انه هو كان سبب
حريق المدينة ابصروه جالساً فوق برج عالي شاهق يشرف على المدينة ومن هناك يعاين
بلذة وافراح احتراق المدينة وليس هذا فقط لكن شاهدوه ايضاً حاملاً على عنقه القيثارة
يضرب بها مترنماً على بكايهم وتولولهم ومشتغلاً في اللهو والضحك على الشرور الواردة
عليهم ليت شعري من منكم يا معشر السامعين يستطيع ان يدرك مقدار الغضب الذي وجب
ان يضطرم في قلوب اهل المدينة لمعاينتهم هذا الامر الغريب وهو ان رومية تحترق بالنار
ونيرون جالس يضحك وكم قد اضطرهم الامر ان يجلبوا ويصروا باسنانهم عليه كم من التوبيخات
والتعنيفات المرة لزم ان يخاطبوه بها كم مقدار من افكار القتل وعواطف التهشيم صعدت
في قلوبهم وليس يمحى انه كان البعض منهم رجعوا يايسين الى ما وراهم وزجوا بنفوسهم في وسط
النار ليبيدوا ويحترقوا كيلا يعودوا او ينظروا فيما بعد انساناً هذه الصفة صفته ولو لم يكن
البرج الذي كان ماكثاً عليه هذا الملك القاسي محصناً ومحاطاً من جنوده الاقويا المتسلحين
والمستعدين للقتال لكان الجميع اسرعوا اليه ليحرقوه ويجذبوه ويقطعوه ارباً ارباً ويمزقوه
باسنانهم فافتكروا الان ان غضب التعسا الكيف في جهنم يكون نظير غضب اهل رومية المذكورين
المتقدم ذكرهم على نيرون بل يجب عليكم ان تتصوروه اعظم من ذلك جداً من غير قياس لان هولا
يحترقون من نار واحدة من النار التي احرقت رومية النار التي قال عنها اشعيا النبي لا تاكل قبايا
وبيوتهم ولا امتعتهم بل تاكل نفوسهم بقوله يكون الشعب مثل ماكل النار ومع هذا لما
يرفعون نواظرهم ملتفتين الى ذلك الاله العظيم الذي اوقد نارهم يبصرونه ليس متغاضياً
عنهم فقط ولا يشا ان يرحمهم ويعزيهم بشي ما اصلاً بل جالساً يصفق بالايدي ويضحك
عليهم شامتاً وملتذاً فانجوا من ذلك كم يحتموا غيظاً وكم يتمزقون ترمراً فيه تشفونح نايحين
باكين من عمق افيدتهم وقايلين اننا نحترق والله يضحك علينا اننا نتعذب والله يتفرج
يستهزي بنا فيا ايها الاله لماذا لا تسحقنا بصواعقك بدلاً مما تشمت بنا ضاحكاً زدنا
عذاباً ضاعف علينا النار اضعافاً قوي اجيجها بمقدار ما تشا وابعد عنا الاستهزا بنا يا الله
من هو امر علينا من مكابدتنا هذا الشقا بالدم فرح اشق علينا من عذاباتنا فلماذا التعوي
جهنمنا ايا ذا لا يحموا لنتهود فيها ونهرب من وجه الضاحك لقد عرفنا كثيراً من قال

عذابنا الأعظم سيكون في مشاهدة وجه الله مغضب فقد كان الأولى بي أن نقول
لنا انه سيكون في مشاهدة وجه الله ضاحك اننا نريد لهان أن تقع الجبال علينا
أو تنفتح الأرض من تحت أرجلنا وتبتلعنا لنختفي عن وجهه اين هي الآن تلك الظلمة
التي قيل لنا عنها انه حفظ لهم زوبعة الظلمة الى الأبد لماذا لا تغطينا عن وجه الابد
البهي زينا لها الشقاوة لكون الشي الذي يولمنا نراه جلياً وقد اظلمت بصائرنا نظراً
الى كل شي عدا الشي الذي نريد أن نتخفيه لن تظلم بصائرنا عنه فهكذا يجب على
الهالكين الاشقيا أن يولولوا نادبين ونايحين وحيث لا يستطيعون أن يحملوا سلاحاً
ويحاربوا السما يحيلون كل غيظهم نحو نفوسهم ويعضعضون ألسنتهم من الوجع حسبما
قيل عنهم في سفر الرويا وينتشوا لحومهم باسنانهم وينتفون شعورهم ويخدشون
وجوههم بل يتنفون أيضاً أن يقوروا أعينهم باظفارهم لئلا يبصروا من يستطيع
أن يعذبهم بابتسام واحد فقط وأما الذي نريدهم عذاباً فهو أنهم ولو فيهما بكوا وبهما
فعلوا لا يمكنهم أن يمنعوا عنهم مشاهدة وجه الستقا التي تولمهم بل انها تستمر بادية
بازاء أعينهم دائماً الى الأبد أخو إذا كان روميا قد شوهدت متقدم كلها بالنار من غيظ
نيرون الملك كما قدمنا فقلنا غير انها مع ذلك كانت ترجو أن تعود وتتولد من رمادها
وتتجدد نظير طير العنقا وتتزين بابنية أفخر وتقتني بساتين وأملاك أنعم وهكذا صار
أما الهالكين الاشقيا فيتقدون بالنار على الدوام ويستمرون أحيا الى الأبد لأجل هذا
فقط وهو لكي يتقدوا بالنار دائماً وذلك شبه قول من وقود متلبس وملتزم بعضه في
بعض يصنع محرقة دايمة للعدل الالهي ويكون دخان عذابهم صاعداً الى أبد الآبدين
كما قيل عنهم في سفر الرويا ومن ثم تزداد جثتهم في كل يوم سواداً ونتانةً وبشاعةً واحتراق
وبالتالي نقول كم يتوافر قنوطهم وغيظهم وتجديفهم يوماً فيوماً بعد أن يكونوا قد
تحققوا انه قد توصد دونهم كل باب الرجا من استعطاف معونته وذلك حينما يعاينونه
في تجاله جالساً على عرشه المهيب وليس انه لا يلين أو يضجر من عذابهم ويترحم فقط بل
يضحك ويهزو بهم وهكذا يتم ما قاله عنهم موسى النبي في تخصيص المعاندين العصاة
حيث يقول كما أن الرب أولاً فرح بكم وأحسن اليكم وأكثركم كذلك يفرح في هلاككم و
ابادتكم فهذا هو الشر الأعظم الذي تاملته أنا بن بارتي اليوم سجن جهنم أتري أنتم

لكم

139

ب

لكنها السامعون أنه توجد فيه تعزية ما كلا لا يوجد فيه شي من التعزية البتة فبالصواب
اذاً قد لقب هذا الحبس المريع في الكتاب الالهي موضع العذابات لان العذابات مجتمعة
فيه كانها في مركزها وليس فيه الا عذاب محض غير ممتزج بشي ما من الفرح والتعزية
فلنغلق الآن هذا السجن ولنرد المقاليد مع الملك الى السما ولنختم هذا القسم الأول من
العظة بكلام القديس مار افرام السرياني الشايع في ميمر الثاني هكذا الويل الويل الويل
لمن لا يجرب في نفسه هذه قبل أن يصدق بها مقتنعاً انتهى

القسم الثاني

العدد ٩

انه بعد أن اتضحت وتحققت ماهية العذابات المرة القادحة التي يتعذب بها
الخطاة في جهنم فلقد كان يجب على كل منكم أن يفرغ جهده وجده في انه ينجو منها لانه
ان كان اخاب الملك لما سمع ايليا النبي يتهدده بشرور اخف جداً من المرتسمة في جهنم
فلو قد عراه خوف هذا أعظم مقداره حتى انه شق ثيابه الملوكية ولبس مسحاً ونضح عليه
رماداً ومارس الصوم باكياً فما الذي ينبغي أن تصنعوه انتم الذين سمعتم في تهددكم
بشرور جهنم السامية عظمتها من دون كل قياس فلا ريب في انه ينبغي ان ترجعوا الى
منازلكم جميعاً باكين نايحين بل ينبغي أن تركضوا الى الديورة مسرعين وليس ذلك فقط بل
تسجنوا نفوسكم في المغاير مختليين منفردين عن العالم ومع هذا جميعه أقول لكم انه بالكاد
يوجد منكم من يبذل مجهوده كله في أن لا يهلك وتصديقاً لذلك أقول لكم ما أكثر الذين
يقرون أنهم راضيون أن يذهبوا الى جهنم أكثر ما ينبذون تلك العشرة الملعونة المتنعمين
بها ما أكثر الذين يستحبون جهنم ولا يردون الذي اختلسوه ظلماً ما أكثر الذين يشاؤون
جهنم ولا رد صيت القريب الذي طعنوه بالسنتهم ما أكثر الذين يفضلون جهنم على
مصالحة غريمهم أما سمعتم المسيح ينادي ويقول قولاً صريحاً أن الطريق التي تؤدي
الى الهلاك رحبة وواسعة ومن ثم من يمكنه أن يصف ما أكثر عدد الذين يهلكون
على مر الزمن اسمعوا هذا الخبر وارتعدوا خايفين لقد كان في مدينة باريس رجل من
عظما المدينة قد دنت ساعة موته وكان محبوباً جداً من اسقفها ولاجل ذلك ذهب اليه
لكي يزوره في ساعته الأخيرة فبعد خطابه معه طلب منه أنه ان اذن له استحقاقاً بعد
وفاته أن يأتيه ويخبره فيما سيقوله في العالم الآخر فوعد العليل بذلك وبعد أيام

قليله مات فبعد انقضا شهر من وفاته حينما كان الاسقف جالسًا في مخدعه وحده يتلو
كتابًا ما واذا بالميت صديقه قد ظهر امامه متسربلاً بجلباب اسود بل كان يحمله ترخزيًا مغتمًا
فحصل للاسقف بهوتًا من هذه الرويا ثم شجع نفسه وساله من انت وما هو قصدك ههنا
فاجابه الميت انا صديقك ذاك ولو اتيت لاكمل معك وعدي ولاجل هذا اقول لك من قبل
الله اني هالك في جهنم الى الابد لاجل خطيتين اعني بهما الكبريا والزنا فافتكروا هنا يا ايها
السامعون واعتبروا مقدار الحزن الذي شمل الاسقف وكم بكى وناح على هلاك صديقه
ذاك الكلي الشقا ثم ساله قايلاً هل يمكنني ان اقدم لك عونًا او مساعدة فاجابه الهالك
قايلاً انني اتعجب من سوالك بهذا اما علمت حتى الان انه ليس في جهنم خلاص الى الابد ثم
اردف الهالك وقال له اما انا فاسالك ان تخبرني شيئًا واحدًا وهو كم لي من الزمن قد فارقت
الحيوة فاجابه الاسقف انت في هذا اليوم قد تم لك ثلثون يومًا منذ وفاتك فحين لما سمع الميت
هذا الجواب هتف بصوت اسيف وقال ثلثون يومًا ثلثون يومًا لا غير الويل الويل الويل
فساله الاسقف قايلاً ما بالك تصيح هكذا اجاب ذاك الويل لنا نحن الهالكون لقد ظننا
جميعًا ان يوم الدينونة الاخير قد دنا فساله الاسقف ولاي سبب ظننتم ذلك اجابه ذاك لان
الانفس تهبط في جهنم كما يهبط البرد من السما ومن ثم ظننا ان العالم فرغ من الناس واضحت
الدينونة قريبة قال هذا وصرخ صراخًا اخر رعب وتوارى عنه اسمعتم يا ايها المسيحيون
الاعزا فهمتم ما اخبر به هذا الهالك بقوله ان الانفس تنحدر في جهنم شبه البرد فاذًا لنا داعٍ
نخاف كثيرًا من ان يوجد احد من الحاضرين ههنا في عدد اوليك الاشقيا الذين هم عتيدون
ان يحنقوا بذواتهم وبالفعل ما نحن الان نتصوره في العقل فقط لعمري انه لا يمكن ان يكون
غلطًا كلام اشعيا النبي القايل اوسعت الجحيم نفسها وفتحت فاها بلا انتها ليت شعري
ما وسع في جهنم ما اعرضه على انه لن يشبع الى الابد ومن اجل ذلك من تراه يستطيع ان
يعدد الانفس التي يبتلعها كل يوم فما الذي تيجي لي اذًا في هذا الصباح ان اصنعه سوى ان
اجري من عيني نهرين من الدموع باكيًا من غير تعزية على هذا المقدار من المسيحيين الذين
يعاينون جهنم مفتوحة بازايهم ومع ذلك لا يرتدون الى الوري قدمًا واحدًا لكنهم يتهورون
في نيرانها متهورين تعمدًا واختياريًا فقفوا يا ايها الاغنيا الاشقيا لا تعجلوا في تهور نفوسكم وقبل
ان تطفروا الى تلك الهاوية المرعبة هذه الطفرة العظيمة دعوني اسالكم مع اشعيا النبي

ايضًا قايلاً من منكم يقدر ان يسكن مع النار الاكلة من منكم يستطيع ان يلبث في المواقيد
الابدية مهلاً يا معشر المسيحيين انني لست اسمح لكم ان تخرجوا من هنا ان لم تقنعوني اولاً
بالجواب على هذا السوال الذي اوردته عليكم من كلام اشعيا النبي وتقولوا لي من منكم
يقدر ان يلبث في المواقيد الابدية ماذا تقولين يا ايتها المراة المرفهة المعيشة التي تنعمين
جسدك وتخصبينه اتقدرين ان تلبثي في المواقيد الابدية والحال انك لا تحتملين في
جسدك الان نخسة ابرة وبعد ذلك اتقدرين ان تحتملي في جهنم تقطيع تلك الضروس
المرهبة التي تقطع وتسحق حتى العظام ايضًا وماذا تقول انت يا ايها الانسان الذي تطلب
بجهد اللذة لجسدك وراحته اتقدر ان تلبث في المواقيد الابدية مع انك الان لا تطيق
ان تستنشق نتانة الفقير اذا دنا اليك وفاحت نحوك نتانة خلقانه الرثة وهل تستطيع بعد
ذلك ان تطيق صديد تلك البالوعات الجهنمية السمجة التي يلزمك ان تطعم وتغتذي بها
وماذا تقول انت يا ايها الكاهن المتواني عن مباشرة لوازمك اتقدر ان تلبث في المواقيد
الابدية والحال انك تضجر من المكث في الكنيسة ساعة واحدة في تلاوة فرضك حسب اللايق
خلوًا من ان تحول نظرك يمينًا او شمالاً وتشتت فكرك الى ههنا وههنا وخلوًا من ان تستمر
ضابطًا رجليك ولسانك فهل تستطيع بعد هذا ان تلبث في الابدية كلها راقدًا على سرير
من نار ومستمعًا دايمًا صراخ الشياطين في اذنيك وماذا تقول انت يا ايها الشره النهم
ويا ايها السفيه الدنس ويا ايها المفسد ويا ايها الشاب المطلق العنان لهوى جسدك
اتقدرون ان تسكنون في النار الاكلة من منكم يلبث في المواقيد الابدية ولكن ما بالي تكلمت
وسالت الاخرين وتركت نفسي فلا احد يجب ان اسال ذاتي قايلاً هل تستطيع يا ايها الواعظ
ان تسكن مع النار الاكلة نعم انني بنعمة الله راهب ومتشح بالاسكيم المبارك الملايكي لكن
الويل لي فاني قليل الامانة والصبر وكثير الاباطيل ولم استعد كالواجب ان اصنع توبة كاملة
حقيقية تناسب خطاياي وذنوبي الكثيرة فان كنت انا الان لست اهلاً ان البث زمانًا ما
لابكي على ذنوبي بتخشع تحت اقدام سيدي المصلوب فكيف اقدر ان البث فيما بعد تحت
رجلي سطانايل في مدى الابدية كلها والحال ان تحت قدمي هذا العدو الظالم قد اعد الله
تحتي المكان لقرنايي المتشبهين بي اعني بهم اوليك الذين الزموا من باب وظيفتهم ونذرهم ان
يكملوا الاخرين صالحين وقد نالوا من الله دعوة لهذه الغاية هذا المقدار من النور والمعرفة

النعم السموية ومع ذلك ما وفقوا افعالهم مع اقوالهم فماذا يصير بنا ان قدر ان نسكن
مع الناس كلنا ونلتذ مع المواقيد الابدية لا يا بعلا لسنا نستطيع ذلك ولاجل هذا اسالك
الرحمة والرافة لي ولهولا المومنين بك المجتمعين لاستماع وعظي لقد اخطانا لا شك ولسنا
ننكر ذلك اخطانا عملنا بالنفاق فعلنا سوا ايها الرب الهنا في جميع عدلاتك ولاجل ذلك لا
نجسر ان نطلب منك ان ترفع عنا قصاص عدلك تاصصنا وعاقبنا لاننا مستحقون ذلك
جازينا لما تكبرين غير اننا نتوسل اليك باحشا رحمتك ان لا تقضي علينا بالجحيم قصاصًا عن
خطايانا يا ايتها الجحيم فيا ايتها الجحيم هذه التي ذكرها نقصاهو كافيًا لان يوعب جميعنا هيبةً
ورهبة نسالك يا يسوع الهنا لا باستحقاقنا لكن باستحقاق اتعابك وبجود دمك المهراق
لاجلنا ان لا تسمح بان نكون من نصيبنا لعلة اثامنا ادبنا يا رب ولكن بالقصاص لا برجزك وها
نحن مستعدون ان نفيك في هذه الحيوة كل القصاص الذي تشاه منا قايلين مع اغوسطينوس
قديسك المعظم احرقهنا واقطع ههنا لكي تغفر الى الابد ابلنا بالفقر لكي تسامحنا الى الابد
ارسل لنا العار لكي تسامحنا الى الابد امضكنا بالامراض لكي تسامحنا الى الابد احزنا واشقينا واضربنا
وافعمنا من البلايا والشرور ههنا لكي ترحمنا وترفع عنا الشرور والبلايا الابدية اما غير فما الذي
ينبغي لنا ان نصنعه يا ايها المسيحيون لنستحق هذه الرافة من استحقاق الهنا منا قليلا لا تتعبوا
وتفتشوا عما ينبغي ان نصنعه فانا اقول لكم بكلام مختصر وهو انه ينبغي لنا ان نصنع توبةً
ان نصنع توبةً فسبيلنا اذًا ان نجعل حدًا للملاهي الباطلة والشهوات السيئة والسمجة
ونعرض تحت اقدام الكاهن الاقرار بخطايانا ونمحوها بالبكا والدموع وننفي عنها بالاصوام و
نفديها بالصدقات فبهذا يكفي لننجو من جهنم ولكن بعد هذا ليت شعري هل يوجد من
يعصا ويابى ان يصنع ذلك فان كان يوجد هذا النكود حظه فيلكيني ان التفت الى ابتدعها
واستشهدها على انني تممت ما كنت ملتزمًا به فما الذي استطيع ان اقول واصنع اكثر مما قلته
وصنعته قد بح حلقي وصوتي انقطع وضاقت نفسي وضعفت قوتي ثم انني ايضًا اشعر
بجسدي كله يتصبب من العرق الغزير فان كان مع هذا جميعه يوجد ههنا احد الخطاة
الجانفين يوثر ان يهلك فليعص هذه النعمة التي يبتغيها وليبد ويستاصل الى الدهر الداهرين
وليدعه في ظلام معتلد وليضحك ويفرح ويتنعم حسب هواه الردي حتى اذا مات وحان اذا
انتقل وفتح عيني نفسه وابصر غيه وغروره فلا تغفر يا رب واذا صرخ اليك صا ابًا منك

الرحمة فاغضب عليه ولا تجبه واذا طلب منك مهلةً ليعمل توبةً فلا تمنحه اياها واذا
التمس الغفران فاسدد دونه الباب العلك تحتاج الى مثل هذه الانفس المزدرية بك
لتزيد عدد ممجديك في السما دعها تتعربس وتهلك وتباد حسب استحقاقها لانها
لا تشاهد رحمتك ومحبتك فليكونوا ساقطين امامك في وقت رجزك اعمل عليهم
وان كنت لا تشا ان تصنع هذا معهم بل لم تزل تحب كثيرًا ان توزع انعامك الالهية
فانظر بعين الرحمة والرافة الى شعبك هذا السامع لي برغبة واشتياق الذي يلتفت
اليك ويسالك غفران ذنوبه اجعل ندامتهم ان تكون فايضة عليهم كالبحر لكي تستدر اد
تهطل من اعينهم الدموع السخينة وترحض خطاياهم استجب طلباتهم واقبل تضرعاتهم
واصنع بهذا النوع ان ينتضح صدق كلامك وهو انك وضعت لدى الناس الما والنار
حسبما قلت جعلت امامك الما والنار وماذا بقي لكم ان تفعلوه يا احبائي السامعون
سوى هذا وهو ان كل انسان فليختر ما يحب فامدد يدك الى ما تريد منهما اي اما انكم تبكون
ههنا في الارض زمانًا قليلًا مع التاييب وهذا هو الما الذي جعله الله تعالى امامكم اما انكم
تحترقون في الابدية الدهور مع الهالكين وهذه هي النار التي جعلها عز اسمه امامكم ايضًا
والى سرمديًا

العظة الخامسة عشر

في الجمعة التي بعد الاحد الثاني من الصوم المقدس

في ذكر الضربات المريعة التي
بها ضرب الله سكان البشر حتى في جيلنا هذا ايضًا وذلك لاقناع الخاطي المتمرد لكي
يخاف الله سبحانه وان كان لا يصدق وعد التهديدات الالهية ولا يخشى منها فقد
ستردية بالردى يهلكهم هكذا حرد ماري متى الانجيلي
الصاعقة الربية لا محالة

ما هي الغاية التي من اجلها امرتني يا يسوع العدد ١
في ص ٢١ من بشارته

الهي ان اصعد اليوم على هذا المنبر فهل لكي انذر هذه المدينة المومنة المستحقة كل خير
بالعقوبات والضربات المقبلة عليها لا يكن ذلك يا رب فان كنت تشا ان اخدمك يا الهي
وامتثل امرك الالهي نظير يونان النبي فارسلني الى مدينة ما تضاهي نينوى اي مدينة غير
مومنة منافقة تجترم اقبح الجرايم من دون حيا وبلا خوف منك وحينئذ اتمم امرك بالكمال
طالحة وانذرها مخبرًا اياها بارهب الضربات واعظم الخراب كما تشا انت ولكن اذ قد
ارسلتني الى مدينة مومنة ايمانًا مستقيمًا فاية بشارة يسوغ لي ان ابشرها بها سوى بشاير

الفلاح وطولة العمر وسعادة الاوقات وخصب الغلات فهكذا ارغب واطلب ان يكون ذلك
يا ايها السامعون المكرمون ولكن من ذا الذي يحقق عندي هذا الامر وها هوذا ارى عيانا ان
الاثم قد امتد واتسع ودخل وامتلك في كل مكان ومن ثم اخاف يا مدينتي (فلانة) ليلا يكون
قد توفر الاثم فيك ايضا حتى انه صار قريبا ان يحرك رجز الله تعالى عليك ولكن كيفما كان ها هوذا
المناداة الصريحة التي يشا الله عز وجل ان انادي بها عليك على سائر الوجوه انما هي هذه
الاردياء بالردى يهلكهم ان الله جل ثناؤه لا يلاحظ قدمية النسبة ولا يلاحظ استحقاق
السلفا بل من كان خاطيا فهو يعاقب باثمه انني اسالكم فاجيبوني اية مدينة شوهدت في
العالم محبوبة وموموقة من الله اكثر من مدينة اورشليم على انه تعالى سبحانه قد كان جعلها
بمنزلة بستان حسن ومحبوب لاجل نزهته ومفضلا اياها على جميع اكام بلد فلسطين الاخصب
والافضل واعطاها ناموسه المقدس كالسياج وافاض لها حمايته كالحصن المنيع و
استاصل منها تلك الغروس الشائكة التي كانت تنكد عليها اعني بها شعوب الكنعانيين
والعمونيين والعاموريين وغيرهم من الامم الذين كانوا يقلقونها ويبخسون راحتها وبنى
فيها كالقلعة هيكله واقام فيها مذبحه كالمعصرة وعلى الاطلاق اقول لم يترك شي من المنفعة
والصناعة الا وبذله عنها ولاجل ذلك قال عنها اشعيا النبي ماذا وجب ان اعمل بكرمي
ولم اعمله ومع ذلك جميعه كيف الان اذهبوا وعاينوها فترونها قد صارت خرابا قفرا ولاي
سبب فالسبب ليس هو الا انها ما ارادت ان تصدق المناداة الانجيلية المقدم ذكرها اي قوله
تعالى الاردياء بالردى يهلكهم وربما تقولون ما لنا وهذه التهديدات والتخويفات لا ينزل بنا
الشر لكون هذه هي الكلمات التي كانت تسمع قديما من افواه الاسرائيليين منذ عصر ارميا النبي
الانبيا تكلموا باطلا هولا المبشرون يوثرون ان يخيفونا ويبخسونا فقط فلا نبالي بهم
هات نسعى بامتداد حياتنا ولا نكدر انفسنا ولا نغمها بل نحيي بالفرح والسرور و
العشرة المطربة لا ينزل بنا الشر لهذا منكم يا ايها العبرانيون المردة الست انتقد عن هذه
يقول الرب امن قوم مثل هولا لا تنتقم نفسي اعطوا مهلة قليلة لرجز الله وبعد ذلك
تنظرون ماذا يحل بكم اما نحن فلماذا لا نستفيد يا ايها السامعون من مثل غيرنا لانه ربما
يوجد من المسيحيين من يفتكر ان الله تعالى رحيم كانه عاجز عن الانتقام ويقول دائما لا ينزل
بنا الشر ولاجل ذلك ها انا قد قصدت اليوم ان اجعل موضوع خطابي هذا الامر وهو ان

اخرى

اخرى اوليك الذين لا يصدقون انذارات الله وتهديداته تتوارد لهم من قبله تعالى
ان لم يريدوا ان يصدقوا في حين ملايم لخلاصهم الرعود المهيبة فتنزل عليهم ايضا الصاعقة
ان اثبت الدلايل التي لنا في رحمة الله الغير المتناهية العدد
الرديئة بعد قليل من الزمن
هي التهديدات المخوفة التي قد اعتاد دايما ان يرعد بها على الخطاة وليس له تعالى بها
سوى هذا القصد وهو ان يمنحهم زمانا للانتباه والخلاص لعمري ان الذين يتقدم فيهددهم
كثيرا يظهر على ذاته انه لا يحب ان يضرب ويقتل وقد قال ذاك الفيلسوف الحاذق العقل
ان التهديد ليس هو شيئا اخر سوى ترس للمهدد حيث انه يمنحه زمانا ليهرب ويخلص
او ليتحذر ويتحصن جيدا وفي هذا قال القديس اغوستينوس في خطبته الـ٢٨١ في
القديسين هكذا انه لو يريد الاهنا ان يعاقبنا لما كان نبهنا قبلا منذ دهور هذا اعظم مقدارها
فاذا رغما عن يعاقبنا وينتقم منا ذاك الذي يعلمنا قبلا كيف نستطيع ان نصد عنا عقابه
لان من يبدي نحوك صراخا كثيرا لا يحب ان يجرحك انتهى ومعنى كلام القديس هو هذا
اي الذي ينبهك ويقول لك احذر من الضربة قبل ان يضربك لا يكون له ارادة مطلقة
ان يضربك ولاجل ذلك قال القديس المذكور ان الله تعالى لو يسر ويلتذ في قصاصنا لما كان يتقدم
الرعود على الصاعقة ولا البروق على الرعد ومن ثم لم نتلو ولم نسمع قط ان الله عز اسمه ارسل
ضربة ما الى العالم قبل ان يتوعد بوجه عام او بوجه خاص وهذا هو السبب الاكبر في ارساله
الانبيا الى شعبه في اوقات مختلفة والبيانات لذلك اصغوا لما اورده على مسامعكم فاقول ان الله
تعالى لما اراد قديما ان يعرف شعبه الاسرائيلي بخراب املاكهم ودمار خيراتهم ومن ثم هكذا
فعل اي ارسل اولا اشعيا النبي يبشر بهم طايفا المدينة عريانا وحينما اراد ان يشتت شعبه
ويجعله مع اولاده ونساه اسيرا للشعوب الغربا ففعل هكذا وهو انه ارسل قبلا ارميا النبي
ينادي بذلك طايفا المدينة حاملا بيديه القيود واذا اراد ايضا ان يقاصص شعبه بالجوع
الشديد الموافي على المحاصرين فجعل حزقيال يستمر راقدا على جنب واحد ثلثماية وتسعين
يوما لا ياكل شيئا اخر سوى قدر البقرميسا ومطحونا ومخبوزا بالنار كارغفة خبز وذلك
تنبيها للمجاعة الشديدة المقبلة عليهم وهكذا فعل ايضا منبها بضرباته قبلا في اوقات
اخر حينا بعد حين وهذا كله انما كان انذارا للشعوب ليحذروا ويبكوا على خطاياهم
ويصلحوا سيرتهم ومن يهرب من وجه جرمه وقد تامل ذلك داود الملك القديس فهتف

قايلاً اعطيت الذين يتقونك علامة لينجوا من قدام القوس لكيما ينجو احباوك ومع هذا
جميعه من ذا الذي يندهل من جهل الناس وقساوة قلوبهم وكيف لا والحال ان جميع هذه العلامات
والتهديدات التي ابداها الله تعالى لم تستطع ان تعطف قلوبهم ليصدقوا الله ويخافوه
ومن ثم بعد ذلك ما كان الله يتقدم و يتعب ويجد بالتهديد قايلاً انه يهلكهم ارديا
بالردى بعد ان ذلك كانوا هم يجتهدون على ان يزيدوا خطاياهم ويغيظوه تعالى كان كل
واحد منهم كان حافظاً مطبوعاً في قلبه بحروف غير ممحوة ذلك الراي انهم عاداً عن القول
ان لهم بصرا لا يومن وما الذي نتج ايها المسيحيون من قلة التصديق سوى انها الزمت
الله فيما بعد ان ياتي بالشدايد والعقوبات التي كان يهددهم بها اي نعم ان هذه اي قلة التصديق
غرقت العالم الاثيم في طوفان المياه لما ابى ان يصدق نوح الذي انذرهم به وهذه انزلت مطراً
نارياً على اهل صادوم من السما على اوليك الدنسين لما ازدروا بكلام لوط الذي اعلنه لهم
وهذه اهلكت المصريين في بحر القلزم لما قسوا من جرى العلامات التي تقدمت لهم هذه
جعلت جمعاً غفيراً لا يحصى عدده من الاسرايليين يموت منفياً من المشقات والدواهي في البرية
لانهم رذلوا وصايا موسى الذي تقدم فاعلمهم بكلام صريح بذلك هذه اهلكت وابادت
جيش الكلدانيين تجاه بيت فالو لانهم هزوا بكلام احيود الذي حقق لهم ذلك قبلاً و
ليت اوالله علينا يا ايها المسيحيون ولا يسمح ابداً ان تكون ايضاً هذه اي قلة التصديق تسبب
الضربات والشرور الكاينة في عصرنا هذا الا وا اسفاه من قولنا انه ليس لنا ان نسرع ونخاف
وانه لا ينزل بنا الشر ليت شعري ما الذي تطلبونه ايها الخطاة لكي تصدقوا اتطلبون ان
تبصروا باعينكم كيف ان الله سبحانه وهو جالس على عرشه يخدم في السما الداعين يشاهد بها
خطاياكم وله قلب يحس به وله ايدي يقاصص بهما وهل تلتمسون ان تبصروا ايضاً كيف ان
الله تعالى يقاصص خطاياكم بالقصاصات التي يتوعدكم بها فها انا راض بالتماسكم هذا
ولكيما تحققوه عياناً فلا حاجة لكم ان تطوفوا بالفكر والتامل في الضربات التي شوهدت
في احقاب اخر بل احدقوا بصايركم في حوادث عصرنا هذا الذي نحن فيه احيا ان الموضوعات
الحاضرة تسلنها انه تحركنا اكثر تحريكاً من الموضوعات التي سلفت فاجيبوني اذاً ما اشهر
اسقى لنا عياناً في عصرنا هذا ان تهديدات ليست بكاذبة كما تتوهمون انتم بل انها صادقة
خلافاً لما تبتغون حينما تقولون انه ليس ينزل بنا الشر لعسالكم خاليين من الضعيف اتعابيين

العدد ٣

هذا

هذا المقدار الجزيل من سواقي الدما ومن تلال العظام ومن اكوام الجثث التي ترى في كل يوم
في دهرنا هذا لعمري انه حلقم قليلاً في الصلاة انكم تعاينون بعيونكم انه لا يوجد في اقليم اوروبا
مملكة او بلدة او مقاطعة او مدينة الا و يسمع على ابوابها في عصرنا هذا ادوية الطبول
الحربية وصوت الابواق وضجة الشنكات والمدافع ومن ثم لا ايطاليا ولا اسبانيا ولا فرنسا
ولا النمسا ولا فياندرا ولا الانكليز امكنها قط ان تنوز براحة لذيذة او بهدو ابيض وماذا
نقول عن كمية الرجال الذين قتلوا او بادوا في هذه الاضطرابات العامة ومن تراه يستطيع
ان يحصيها يكفينا القول انه في المحمة الاولى من الحرب التي صارت في عصرنا هذا في فتح مدينة
ؤستندا لم يكن الذين بادوا اقل من ثمانين الف نفراً ومن هذا فقط انتجوا عظم تفاقم القتلات
التي صارت في البشر في المواضع الاخر الكثيرة في حروب كثيرة عظيمة وازمنة مستطيلة لكن ما لنا
والتكلم في الاشيا التي لا نعلم لنا بها والحال انا نستطيع ان نتكلم فيما نراه كل يوم بعيوننا فلنا من
ان نطوف جايلين في اقاليم اوروبا فقولوا لي كم من الاملاك قد كانت سابقاً تري عامرة تشرح
خواطر الناظرين اليها واليوم نشاهدها متفرقة كم من الصحاري المحصلة والمخصبة قد اضحت
اليوم جافة محترقة كم من القرى الجامعة واليوم نبصرها قد غدت دريبة كالغاب كم من
المدن المتسعة العظيمة صارت الان بوراً وخراباً ليت شعري اما ان هذه الضربات جميعها
انما هي اتمام الضربات بعد التهديدات المخوفة التي تهدد الله بها قايلاً اذا رذلتم سنتي
اخترط في اثركم السيف وتكون ارضكم للفساد ودياركم للخراب فهل عاد يسوغ لك ايها
الخاطي ان تقول انه لا ينزل بنا الشر فتح حدقتيك وانظر رغماً عنك ما حدث في مرور ازمنة
قليلة من الاضطرابات المستغرقة العظيمة تلك التي حدثت في شعوب لا يحصى عددها
لان في ايامنا هذه ها هو ذا زي الجنس لا يزال متصلاً على الدوام في المملكات والمدن تارة في
النمسا وتارة في برتوغال وتارة في كتلونيا انكلترا واحياناً في باهريس واحياناً في نابولي واحياناً
في فولونيا ولقد شوهد في هذا الجنس اناس خطفت ثرواتهم واخرون سلبت عروضهم واخرون
حصلوا اسارى واخرون هدمت قصورهم وغيرهم انقصت حياتهم وغيرهم فضح صيتهم
ايضاً وابينضربات سمعت نظير هذه في احقاب اخر ولعل ايتاليا بلادنا هذه لم تنل جزاها
من هذه الضربات لعمري انه ليس لكم ان تنسوا دثار مدينة مونفراتو ولا خراب نتو ولا
شدة تورينو الرثي لها وما عدا ما ذكرناه فلو كان احد منكم يطوف بجا بلا و يرغب ان يطاس

نحو الضيع اخر ما تكبدت الكاثوليكيون من الاذية وتحملته النصارى من الوثنيين والذي
هو اكثر من ذلك المسيحيون من المسيحيين انشقهم كان بلاشك يقشعر لها نفس المرتاد
والبعوك وماذا نقول انك لتبصر تلك الاثار الباقية حتى الان في حقول بلاد الفلاخ من قبل
النفي جنودي من المسلمين والتتر الذين استاقهم الى هناك السلطان ومع ذلك جميعه
فان الشر الذي اصطنعه في بلاد الفلاخ فيعابه شعوب كوسكا بل اهل بلاد الفلاخ انفسهم
هو بعض جدا من الشر الذي اجلبه عليهم المسلمون والتتر وبالوفور شقايك بها بلاد القسا
اذ انه حتى الان يرى فيك ايضا اثار دخان الحريق المريع الذي القاه فيك عدوك ذلك
المنتصر عليك اعني ديمغو ستافوس وذلك حينما طاف في كل اقطارك بمنزلة الصاعقة المهلكة
والممالك برومية سيما مدينة ارهيبوليس او هيوكيا وماعون او غسطا واكثر اقطار زنكونيا
وسبونيا ايتنا توس وماذا نقول عما احدثه الملك الذي استولى عن قرب على بلاد وبراديت
وبنيتوما وعلى جزر كثيرة من البحر مما اذ يهم كل يوم لان يدخل عيشته الى اقاليم المسيحيين
ومن ثم تراه يجس دايما اعداينا بتقريضهم واحيانا اموالنا ينهبها واحيانا يستغفم املاكنا
ولاجل ذلك اول استطاعته جزر كاندياه وبودا البتات سقطنا اخيرا في ايامنا هذه تحت
رق عبودية الظالمين ان تسمعنا شدايدها وبلاياها المستبين لها منهم لكانت ادرفت
من عيوننا الدموع السخينة واقول باختصار الكلام انه لا يوجد جيل لم ينتظر بعينيه مقدارا
وافرا من ولايات اضحت خرابا وخفية المحروب حتى لا اقول حكاما بل ملوكا ايضا اصبحوا
معتقلين في السجون ومنهم قتلى بحد السيف والذي نجا من السيف لعل استطاع ان ينجو
من الجوع اه والاسفاه لقد يستبين لي من هذه الحوادث المضغطة اني استطيع ان اهتف
مع ارميا النبي قايلا اذ كنت اخرج الى الصحارى فاذا قتلى بالسيف واذ كنت ادخل الى
القرية فاذا هزلا بالجوع فليتكلم هذا المقدار من العمال الذين كانوا منذ سنين كثيرة زاهرين
بالكثرة والثروة والان انقطعوا واضمحلوا وليتكلم هذا المقدار من الجماعات الجزيلة التي
نشاهدها انها بادت وتلاشت وليتكلم هذا المقدار من الارباب الاغنيا الذين اضطروا الان
لان يجولوا الارض متوسلين ولعل هذه النكبات هي بمجردها قليلة حتى اضطرت السما بان
تزيدها اضعافا وذلك بالمحل والقحط ايضا ثم انه من مدة وجيزة امطرت في مدينة بودا
مدينة المجر رصاصا عوضا عن الما وذلك لكي تتم بهذا المعنى الحرفي الوعيد الذي قايل

فلتكن

فلتكن السما فوقك نحاسا والارض التي تدوس بها حديدا اما هذا الجدب والقحط فقد
اتى علينا غالبا في بلادنا هذه من باب اخر اي من فيض المياه الكثيرة ومن جرى ذلك كانت
قوى الشعب تنهزل في كل مكان ويصير عاجزا عن العمل لشدة اضناك الجوع له وفي
ايام تلك المجاعة العظيمة قد كنت انا في مدينة رومية ملكة العالم وشاهدت بعيني
اوليك الفقرا الذين كانوا يموتون في قارعة الطريق في كل يوم بعضهم مهزولين بالجوع
وبعضهم جافين يابسين من البرد ومع ان ذوي الخير الذين كانوا يسرعون الى اغاثتهم كانوا
كثيرين جدا فمع ذلك لم يكونوا يستطيعوا ان يكفوهم كلهم لكثرتهم وان كانت هذه حال
المدينة العظمى فليت شعري ماذا تكون حال القرى والمزارع والحقول حيث كانت العازة
ابلغ والمعيشة اقل انه بالحقيقة لقد تم بهذا قول الله تعالى الذي انذر به قايلا يضربك
الرب بالعازة وفي البرد وقوم يكونون منطرحين بالشوارع لاجل الجوع وماذا اقول عن
ضربة الوبا التي تفرغ لنا المدن والقرى لكثرة الموتى الذين يموتون بها فانتم من ذواتكم
تفهمون كم هي مفزعة هذه الضربة ومخيفة والمية ولاجل ذلك يسوغ لي ان ابسط الشرح
فيها والحال هذا كله لا يجعلنا ان نتحقق جهارا بان الله تعالى يكمل ما قد تقدم فتوعد قايلا
ويزيد الرب ضربات عظيمة وثابتة وامراضا ردية وابدية وتصير طرقكم خالية
فما الذي يجب برايها الخاطي اعساك لا تزال مصرا على رايك العنيد انه لا يترك
بنا الشر فما الذي تطلب ان ترى ابلغ مما اوردناه لكي تتحقق ان الله يهلك الارض بالرزايا
الهلك تطلب ان ترى الاراضي تبتلع سل فيا تدرا فتخبرك بهذا ام تحب حقولا اكلتها النار
سل نابولي ثم تريد تعاين شعوبا انفتحت الارض تحت اقدامهم بالزلازل وابتلعتهم احيا
كالبريا فتطلعك بهذا بل اقول لك ايضا ان الزلازل توافرت في اماكن اخر بهذا المقدار
حتى انها ارهبت قلوب الشعوب وجعلتهم يهربون خوفا وفرقا اياما كثيرة من القرى الى
الصحارى ومن الصحارى الى الغابات ومع ذلك لم تكن الارض تكف من الزلازل من تحت
اقدامهم الى اينما كانوا يهربون حتى انهم احتسبوا الليل مع النهار انهم حاملون الموت
على مناكبهم ومشاهدون كل وقت قبورهم مفتوحة امامهم ولعله لم يتضح بخوفهم هذا
العظم انه قد تم وعيد الله عيانا حينما قال تفزع ليلا ونهارا ولا تثق بحياتك فتقول
باكرا من اين لي المسا وفي المسا من اين لي الصباح لخوف قلبك الذي به انت مرهوب من

اجل ما تراه بعينيك اعساك لا تكتفي ايها الخاطي من القول انه لا ينزل بنا الشر قصاصاً عن
خطايانا الا ينزل بنا الشر والحال ان الذي ذكرته لك يحتوي الآن على الضربات والشدايد التي وردت
على البشر لعلة الخطايا قد عاينت ذاتك بعضاً منها بعينيك وبعضاً قرأته مدوناً في كتب التواريخ
وبعضاً منها سمعته باذنيك من شهود لا يكذبون ومع ذلك جميعه هل عدت تحتاج برهاناً
اقوى من هذا ليقنعك بان الله جلت قدرته يكمل وعيده بالفعل حينما قال الذي يهلكك تمرداً
بالردى ؛ ولكن يا لغباوتي وانخداعي ما بالي قد اجتهدت بهذا المقدار من التعب حتى
آتي الى اخرى ذوقيتنا على عدم تصديقنا بتهديدات الله والحال ان الذي لا يبصر الضربات
المولمة الغريبة التي تحل كل يوم في الارض فهل هو اعمى بالكلية ولذلك اقر لديكم متكلماً الحق
انني قد غلطت بقولي لكم ايها السامعون اننا لا نريد نصدق ما لم نشاهد باعيننا ولقد كان
الواجب ان اقول اننا لا نصدق ولو شاهدنا بعيوننا وهذا الاثم الذي هو عدم تصديقنا لعظم
جداً لا يوجد اثم اشنع منه لانه نظير ما قال ارميا النبي حسبما ترجم القديس كيريانوس في رسالته
الى ديمتريوس هكذا ضربتهم ولم يريدوا ان يصدقوا فكانه يقول انظر كيف هي بنية الخطاة
فطالما يستمعون فقط رعد التهديدات فيزدرون ويهزأون قايلين انه لم نشاهد ولم
نصدق ولما يشعرون بصاعقة القصاص فيتمردون ويقسون قلوبهم قايلين اننا لا نصدق
ولو شاهدنا بعيوننا والنتيجة من ذلك انك ضربتهم ولم يريدوا ان يصدقوا ولكن كيف يمكن
حدوث ذلك يا ايها النبي القديس ان نيران القصاص باد اعينهم اما يلتمسون بايديهم اما
يشعرون بها بانفسهم وكيف اذاً يتفق انهم لا يصدقون فيجيب النبي ذاته بذاته قايلاً هل
تلتمسون ان تعرفوا لاي سبب لا يصدقون فاعلموا ان السبب هو لانهم جحدوا الرب
وقالوا ليس هو معنى ذلك انهم يصدقون لا محالة ان هذه ضربات مولمة حقاً الا انهم لا يصدقون
انها ضربات من الله تعالى اي لا يصدقون ان الذي يضربهم بالحروب والوباء والغلاء وفيض المياه
المودية والجراد والزوابع والزلازل هو الاله المسخط عليهم بسبب خطاياهم وليس غيره
جحدوا الرب وقالوا ليس هو. تقدموا هنا يا ايها الخطاة واسمعوني اما شاهد فرعون ملك مصر
واصحابه الضربات المريعة التي كانت تهطل عليه باتصال اي الظلمة التي جعلت نهاره ليلاً
مقتماً والبرد الذي كسر اشجاره وغروسه والجراد الذي قحط زرعه والقروح التي اكلت
رجاله والطاعون الذي اباد بهايمه نعم انه شاهدها باسرها ومع هذا جميعه قسي قلبه

العدد ٤

وافرغ

وافرغ كل مجهوده في ان لا يسلم مدعناً الراي اولي دولته انفسهم الذين قرروا لان اصبع الله هو
هذا فارسل ودعا اليه من اقطار مملكته جميع السحرة والمنجمين المتوفرين علماً في صناعتهم لكي
يستشيرهم في هذا الامر ويحكموا هل تلك الايات المستغربة كان يمكن صدورها من يد اخرى
قلما يكون من يد شيطانية غير يد الله تعالى الكلي القدرة وامرهم والزمهم ان يصنعوا ايات
مثل هذه اي ان يحيلوا العصا الى تنين ويصبغوا المياه بالدم ويخرجوا اضفادع من الصهاريج
ويحوا ذباباً في الجو ومع ذلك لما ابصر ان هولاء السحرة ايضاً انغلبوا خجلوا وسلموا قايلين
ان اصبع الله هو هذا فلذا سلم هو ايضاً مصدقاً وموقناً ان الضربات المذكورة صادرة من
الله جلت قدرته لا الغير بل تقسى قلبه اكثر مما كان من ذي قبل وابى ان يرجع من عقله الراي في
ان تلك الايات انما كانت فعلاً سحرياً من موسى النبي هكذا هي صعوبة اكثر الخطاة في تصديقهم
وايمانهم ان الله تعالى هو الذي يضربهم لعلة خطاياهم وليس غيره ولكن لا تستنتجوا من كلامي هذا
انني اريد اماثل المسيحيين بفرعون المذكور لان قساوة قلوبهم لا تبلغ غالباً الى حد قساوة قلبه
الا انني مع ذلك جميعه اقول وليس في قولي غلط انهم يستصعبون جداً ان يصدقوا مقرين
بان اليد التي تضربهم هي يد الله عزت قدرته واثباتاً لذلك اقول انه اذا دخل ذيب مثلاً في
مواشيكم وافترس بعضاً منها فحالاً تنسبون ذلك الى تواني الراعي وتهاونه وكذلك اذا علقت
النار في حقلكم واحرقت بذوركم فانكم انما تلومون خبث جيرانكم واذا اعترت اجسامكم حمى
دقيقة واذابت صحتكم فانتم تشكون من قلة خبرة الطبيب ومثل ذلك غالب الحروب التي تصدر
في الارض اما ينسب اكثر الناس علتها اما الى شره الحكام في ان يوسعوا ولاياتهم واما الى رغبة
الشعب في ان يخلعوا عنهم رق العبودية ولذلك فان تبديد الحقول ونهب القرى
والمدن في ايام الحرب تنسبها الناس غالباً الى شر الجنود المطلوقيهم العنان وقلة انكسار
العساكر وعدم نجاح الحروب ينسبونها لقلة خبرة القواد وتحطيم السفن وغرقها
او القا بضاعات في البحر في حين هيجانه يقولون ان علة ذلك هو عدم انتباه النوتية
وكذلك اذا زاد الظلم على الرعايا تقولون انه صدر من طمع الحاكم واولي دولته ولذلك
اذا خسرتم دعواكم في الشرع واتصل لكم من ذلك ضرر في مالكم فتقولون ان قلة عدل
القاضي هي سبب خسارتكم ولم نكتف بهذا فقط بل اننا اذا وجدنا ايضاً ان الاخر باطلة
ننسب اليها مصايبنا وشدايدنا نحو قولنا البخت وعدم الاتفاق والنصيب ولذلك اذا

تم بواحد من مكان شاهق مثلاً او مات او غرق في نهر او احترق بنار او قتل تحت الردم وما
شاكل ذلك من النكبات فنقول ان ذلك جرى بصدفة واتفاقاً او هكذا كان حظه ونصيبه
حتى اننا نتورط ايضاً اكثر من ذلك في الضلال ونجعل لمصايبنا مصدراً من قبل النجوم و
الافلاك قاصدين بذلك ان نجعل علة دواهينا البروات المايتة الغير الحساسة لا الله الحي الكلي
القدرة فيا للتام من اناس قد اعتراهم العمى والهذيان على اننا نعاين القصاص ونتحققه ومع
ذلك لا نريد ان نقر اننا نضرب بتدبير من الله تعالى لعلة خطايانا فيصح اذاً ما قال ارميا انك
ضربتهم ولم يريدوا ان يصدقوا بل جحدوا الرب وقالوا ليس هو   فلا نضل اذاً

العدد

يا ايها المسيحيون ولا نخدع ذواتنا بقولنا ان الله ليس هو علة ضرباتنا لسبب خطايانا بل
خليقة اخرى لان ذلك انخداع وافر عظيم ولست اعني هنا النجوم والافلاك فقط فان هذه
لا يمكن ان تكون علة ضرباتنا وشدايدنا بل يمكن تكون ربما علامات لها وغالباً تكون علامات
كاذبة ولاجل ذلك يشجعنا ارميا النبي وينهينا بان لا نبالي بها بل نخاف قليلاً من علامات
السما لا تفزعوا التي تخاف منها الامم ويقوله هذا يعني جميع المخلوقات سواء كانت ناطقة
او غير ناطقة او حساسة او غير حساسة لانا نعلم نحن ان هذه البروات كلها انما هي الات
السخط الالهي فقط وهذا هو شي محقق اننا كنا لا نريد ان نكذب اشعيا النبي القايل انها
قضيب غضب الرب وعصاه فلماذا اذاً نضل ذواتنا بملاحظتنا القضيب الذي يضربنا
ولا نبالي باليد التي تضربنا به فاي غبي جاهل بعد ان يجرح عدوه بالسيف ينسب
جرحه للسيف لا للعدو واي تلميذ من ابنا المدارس يضربه معلمه بقضيب فيقول ان
القضيب ضربني لا معلمي او اذا امر الملك للجلاد ان يحتز راس مذنب ما فهل لهذا المجرم
ان يقول ان علة قتله كانت يد الجلاد لا امر الملك فاذاً اذ ضربنا الله تعالى ايضاً لماذا
لا نقر معترفين انه هو الذي ضربنا من اجل خطايانا بل نجحده قايلين ليس هو وقد نفعل
بذلك نظير الكلاب العديمة المعرفة والنطق التي تدفق غيظها بعضها بالحجر الذي
اصابها ولا تلتفت الى الساعد الذي رشقه عليها وان كنتم تريدون يا ايها الاخوة
السامعون ان اكشف لكم الحولاي سبب نفعل نظير الكلاب فاقول اننا نفعل نظيرهم
لانه يصعب علينا ان نتخذ لنا من ضربات الله تعالى حجة واضحة لنفهم شر خطايانا
وننتبه لانفسنا ونبكي عليها ونتوب عنها وذلك لانه مادمنا مضايقين نفوسنا نتوهمين

ان

146

ان علة شدايدنا ليست هي خطايانا بل علة اخرى اتفاقية او بشرية فلا ندرك ونفسر
الخطية التي من اجلها وردت علينا الشدايد ولا نعتبر صرامة الهنا التي يرسلها علينا
لننتبه عليها وعلى هذا النحو نبلغ رويداً رويداً الى ان ننزع من قلوبنا ذاك الخوف
الطبيعي الذي يرشدنا الى انه يوجد في العالم اله ينظر كل شي نفعله ويجزي كل رذيلة
نرتكبها وهذا هو الخوف الذي يشوق كل خاطي الى ان ينتزعه من نفسه لو يمكن ذلك نظير
ما جاء في سفر الزبور الالهي القايل قال الجاهل في قلبه ليس اله لان الخاطي يتالم من تذكره
انه يوجد اله منتقم عن الخطايا وانما يبتغيه ان يكون الهاً صالحاً رأوفاً فقط لا عادلاً
ومنتقماً فهذا التذكر في عدل الله وصرامته يبجسه ويولمه ويعضه ولاجل ذلك يقسي
قلبه تجاه ضربات الالهية ايضاً وعوضاً عن انه يقر انها وردت من الله لعلة خطاياه
فيموه عن ذلك ويجعل سبب ورودها الناس ولما لم يمكنه ان ينسب ورودها الى الناس
فينسبه الى الصدفة والاتفاق ولما لا يمكنه ذلك ايضاً فينسبه الى تاثير النجوم والفلك
وعلى هذا النسق يخدع نفسه دايماً ليستمر ثابتاً في اثامه المتغمس بها ضربتهم ولم يريدوا
ان يصدقوا بل جحدوا الرب وقالوا ليس هو   وكيف يمكن يا معشر المسيحيين

العدد

السامعين انه مع كوننا مؤمنين ومصدقين تصديقاً كلياً في ان الله هو الذي يضربنا من اجل
خطايانا لا نعدل عن الخطايا بل نزيدها اضعافاً كثيرة اه وا اسفاه انني لقد اضطررت
ان ابكي على عصرنا هذا واهتف مع القديس كبريانوس قايلاً ها هوذا تنزل بنا الشدايد
من الله ومع ذلك ليس في قلوبنا خشية الله ها هوذا نحن مضروبون من العلا بسياط
لا تمل ومع ذلك لا نحس بها ولا نخاف البتة انتهى ولعمري ان هذا هو ما نراه صادقاً كل يوم
لانه ما اقل الذين يصلحون سيرتهم من مشاهدتهم الضربات الحالة بهم بل ما اكثر الذين
يزدادون ايضاً خطاءة من جراها وتصديقها لذلك اقول ما اكثر ما يزداد النهب والسرقة
في زمن الوبا الخبوري فيما يكثر ايضاً الظلم والربا في ايام الغلا واما يكثر الزنا والفساد في ايام
الحروب وهكذا يتم بنا ما جاء وخاطبنا به الله تعالى على لسان عاموص النبي قايلاً اذا اعطيتكم
ضرس الاسنان في جميع قراكم وعوز الخبز في جميع اماكنكم ولم ترجعوا الي وانا منعت عنكم
المطر ولم ترجعوا الي ضربتكم بريح السموم وبصدا كثرة بساتينكم وكرومكم وزيتونكم و
تينكم اكلها الغرس ولم ترجعوا الي واصعدت نتن عساكركم الى مناخركم ولم ترجعوا

يقول الرب من منكم ايها السامعون يعلم في اي ظروف من الزمن صنع بلتاشاصر ملك بابل
تلك الوليمة المشتهر بذخها ونفاقتها المنوه بذكرها في نبوة دانيال حيث يقال وصنع بلتشاصر
وليمة عظيمة الى عظمايه هل تظنون انه صنعها بهجة عرس ام لكي يضيف اناساً نبلاء غرباً
اتوا اليه ام بسبب صلح صدر ما بينه وبين ملك اخر ام لعلة تغلبه نالها على اعدايه
كلا ففي اي وقت اذاً صنعها فيجيب هنا القديس ايرونيموس ويقول انه صنعها حينما كان
قورش الملك محاصر وعسكره القوي الرهيب محدقاً بمدينته ففي ذلك الوقت نسي ذاته و
جلس على الوليمة مع عدد من السراري والزواني وكان ياكل ويسكر معهن بالاواني المقدسة
التي نهبها من هيكل اورشليم غير مبال بصراخ كثيرين من المساكين الذين كانوا يرتعون من اسوار
المدينة مقتولين من الاعدا بل كان يتنعم مع الزواني شارباً بسر الهتة النحاسية والذهبية و
الرخامية والخشبية حسب قول يوحنا الذهبي الفم وماذا تقولون ايضاً في طوفان الما العرمرم
الذي انما افاضه الله تعالى على الارض لكي يرحضها من الادناس والنجاسات التي دنستها بها البشر
اما يرهب القلب لتذكيره فضلاً عن مشاهدته العيانية ومع هذا صودف واحد من اولاد
نوح لم يخف من ان يفتكر في الادناس حينما كان يشاهد تلك المياه عينها التي غرقت الارض وغرقتها
وكذلك اما يرهب القلب النظر الى ذلك الطوفان الناري الذي انزله الله على صادوم لكي يقاصصها
على رجاساتها السمجة ومع ذلك فان ابنتي لوط اتفقتا بتجاسرتين على ارتكاب افظع الاثام
تجاه تلك النار عينها ولكن لكيلا تشمت بغيرنا اضاحيك فمن اجل شقاوتنا حينما نستطيع
ان نبكي على شقاوتنا فيها انا اسالكم لكي تجيبوني ايها السامعون هل اتيان فيكم اصطلاح تنظر
الى سيرتكم بعد تلك الضربات الباهظة التي التحقتكم فيها ما تختصم به من قبل الله ايضاً الست
اعلم هذا بل الاصح ان الامر بعكس ذلك ولقد يبان لي اننا نستطيع ان نقول مع اشعيا النبي
ها انت غضبت فاخطانا ولكن كيف يصح ذلك نعم لو انه يقول اننا اخطانا فانت غضبت
لكنت فهمت الامر جيداً ولكن لانه يقول انت غضبت فاخطانا فهذا الامر غريباً عظيماً يعسر
تصديقه الا ان الحال الحادث هو هكذا واذا شيتم تحقيق كلامي فاخرجوا الى الساحات وارصدوا
هل بعد هذا المقدار من الضربات تناقص عدم الحيا في العشرات والغش في البيع والشرا
ادخلوا البيوت واستفحصوا هل قلت الخصومات ما بين الاخوة والقتال في العيال كعقوا في
المخادع السرية وارقبوا هل قلت الرعانة في الحديث والدنس في المضاجع احضروا السمرانا

والحظوا

كن

والحظوا هل قل القذف والنميمة في الريب وسوء الادب في الالفاظ طوفوا البساتين والاماكن
المشاعة وانظروا هل خس الانهماك في الماكل والمشارب والولع في اللعب المفرط اتركوا
قليلاً في الكنايس ايضاً وتبصروا هل قل عدم الاحترام لبيت الله تعالى في الحديث وطلاقة
النظر بالاعين والنتيجة انه لقد صح ما قاله اشعيا النبي ها انت غضبت فاخطانا ونجد
هذا جميعه هل نصدق نحن ان خطايانا هذه قد اجتلبت علينا من الله تعالى الضربات في
الشدايد لست اظن يا ايها السامعون الكرام اننا نصدق ذلك ربما نسلم به بقولنا
باللسان ولا نصدقه بالقلب وهكذا يتم بنا كلام ارميا النبي المذكور في مراثيه عدد ٦ انك
ضربتهم ولم يريدوا ان يصدقوا جحدوا الرب وقالوا ليس هو فلنؤمن اذاً ايها السامعون
ونصدق ان الله سبحانه موجود وانه قاضي عادل وصارم في قصاص خطايانا وياتي بالصوا عق
على الخطاة ومن هنا سبيلنا ان نسرع ونسعى في ان نسكن رجزه بتوبتنا ونرضيه عن فاحل
اني لعارف بان البعض يسرعون
عن خطايانا ما دام لنا زمان مناسب
في السعي بمرضات ربهم ولكن من هم هولا لعمري انهم اوليك المشهورون بالصلاح والتقى العدد ٧
الذين هم اقل سبباً لورود ضربات الله تعالى والشدايد على الارض اما اوليك الذين هم اكثر
سبباً لها بخطاياهم وجرايرهم الدنسة فلا يعنيهم مرضات الله سبحانه ولا يفتكرون بها
فمن هنا تعلمون كيف يتفق في هذا الصدد فلا شك في انه يتفق ما قد اتفق في سفينة
يونان النبي العاصي على ان جميع الملاحين والركاب الذين كانوا الابريا لما عاينوا اضطراب
البحر الجزيل الخطر الذي احدق بسفينتهم حسبما يخبر عنهم الكتاب الالهي اقتلوا خوفاً
ورعبة وشرعوا يتعبون في لف القلوع وتخفيف الضبر وتفريغ الوسق وكان منهم من
يامر واخر يشير واخر يصيح واخر يركض الى مسك الدفة واخر الى القذف بالمقاذيف
واخر الى جذب المراسي والنتيجة ان الجميع كانوا يبكون ويصرخون ويتنهدون و
يتضرعون ويتعبدون وفي حال هذه المخاوف فان ذاك الذي كان هو المذنب ومن اجله
صار هذا الهيجان كان راقداً مستريحاً في عمق السفينة المضطربة غير قلق ولا خايف
من صوت الرياح وهدير الامواج وجلبة الرعود وضجة الصواعق وصياح البحرية لان
الكتاب المقدس يقول وكان يونان نايماً بثبات ثقيل حتى انتقد الترم اخيراً مدبر السفينة
ان يتقدم اليه وينادي ويزجره وينبهه بالصراخ والتعنيف ايضاً حسبما جاء في

سفر يونس بقوله وتقدم اليه مدبر السفينة وقال له مالك وللسبات قم وادع الهك لعل
ان الله يذكر فينا ولا نهلك انني اخاف ايها السامعون سادتي ان لا يتجدد خبر يونان هذا
في كثيرين منا على ان الله تعالى تهددنا مرات شتى بعلامات رهيبة كثيرة ويسخط ويحتد
غيظاً علينا ويبين احياناً انه قادم الينا يوازينا تحت الارض لفرط رجزه علينا من قبل خطايانا
ففي غضون ذلك هل يوجد من يخشاه ويجد مجتهداً في استعطاف خاطره الالهي نعم انه
يوجد البعض ولكن من هم هؤلاء لعمري انهم اولئك الابرار الذين لا يلتحق بهم العقاب بسبب غزرهم
فهؤلاء المساكين يجاهدون تارة بالدموع وتارة بالصدقات وحيناً بالمسوح وطوراً بالاصوام
وتارة بالصلوات واخرى بالتقشفات والاعمال الصالحة ليخفضوا زوبعة الرجز الالهي اما اولئك
الذين هم الخاطئون كالمرابين والحقودين والمفسدين والشتامين الذين من اجلهم تارة زوبعة
الشدايد فيرقدون مستريحين في حضن البطالة بل في حضن الاثم والدنس فيا ايها المسيحيون
اخوتي هل يوجد فيكم من هو نظير يونان حاصل على الرقاد وتشكون فيه انه من قبله تهيج حيناً
فحيناً الزوابع المخيفة التي تكاد ان تغرقنا او قلما يكون ان لم نكن هالكين كلنا من قبله بل من اجله فان
وجد مثل هذا المنحوس وعرفتموه اسالكم ان تمدوني اليه لاني اشتهي ان اتقدم اليه وازجره
وانبهه بصوت مدبر السفينة ذاك الغيور والحكيم الذي نبه يونان الراقد واقول له مالك
مالك وللسبات يا ايها المتهاون الكسلان انهض وقم وادع الهك لعل ان يذكر فينا ولا نهلك
فيا ايها الخاطي ايّ من كنت مالك رقدك بالك وللسبات ما هذا الوسن الشنيع المؤدي
المستحوذ عليك هاذي الضربات تهبط علينا من السماء حيناً فحيناً فالى متى انت راقد بل مستغرقاً
في الرقاد ولماذا لا تلتجي حتى الان الى الله تعالى ولم تدعه ولم تنتبه انهض وقم والقي عنك
هذا السبات الذي يهلكك قم وانبذ عنك تلك الضلالات السيئة حيث ان الله سبحانه من
اجل ادناسنا يجعل اعضاءنا تهترئ وتنتن بقروح الوبا القبيحة قم واجعل الصلح والسلامة
مع مبغضيك لان الله عز وجل من اجل بغضنا وحقد الاحد على الاخر يدمر قرانا ويخرب بلادنا
قم ورد الارباح المكتسبة منك في الدغل على ان الله من اجل ازدياد طمعنا يامر بجدب اراضينا
وقد يبسها قم اذاً وادع الهك لعل ان يذكر الهك فينا ولا نهلك لاني اعتقد يمكن ان الله عز وجل
لا يعسر ان ينعطف ويترأف علينا الان بعد اذ يبصر ذاك الذي قد حركه الى الرجز يتواضع امامه
متذللاً ويتضرع اليه باكياً غير انني اخاف جداً لئلا اكون انا الذي لخطا

العدد ٨

وابشر اخرين شريكاً ليونان في الرقاد وعدم الحس في حلول الزوابع اه يا الهي فان كنت عالماً
باني انا هو الشقي المسلي نار رجزك الالهي ليتمت تستدركني فما الذي لي ان اقول سوى هذا الكلام
خذوني والقوني في البحر بشرط ان يخلص اولئك الذين يخشونك يارب ويخدمونك بخدمة
امينة انني اخاف يا ايها السامعون بل انني استوعب كلي بجملتي رهبة وارتجافاً كلما ان يخطر
ببالي خبر القديس مار عبد الاحد ذاك الذي قد اضحت زمرة المسيحيين كافة مديونين له
لانه حمل على منكبيه الكنيسة كلها التي كانت قد شارفت للسقوط فهذا المغبوط مع قداسته
هذه العظمى حينما كان يبلغ الى ابواب مدينة ما كان يخشى لئلا يصير هو سبب خرابها من قبل
ذنوبه ولاجل ذلك كان يلبث قليلاً قبل دخوله اليها ويجثو على ركبتيه ويتضرع الى الله تعالى
بحرارة جزيلة ان يترأف على تلك المدينة ولا ينزل بها بسببه ضربة ما غريبة فان كان هذا
القديس كان يخشى هكذا وهكذا كان يفعل فما الذي يجب علي ان اقوله عن نفسي انا الخاطي
الكلي الشقا اما يحق لي بل يجب علي ان اخاف لئلا اكون شريك يونان الذي كان الملاحون
يفتشون عليه ليطلعوا هل لاجله اصابهم الموج العظيم نعم اني انا هو هذا ولست انكر ذلك ولقد
اتيت لهذه المدينة وقاصداً ان افيدها فايدة ما بوعظي وتبشيري ولكن لا تسمح يا الهي
بان اجلب عليها شراً ما بذنوبي بدلاً من الفايدة التي قصدتها لها لا تسمح بهذا يا رب لا تسمح
بل دع الموت ان يسبق فيدركني قبل ذلك وها انا جاثٍ تحت قدميك الطاهرتين واقدم
ذاتي ضحية لرجزك فان كانت زلاتي لم تعد ان تحتمل على الارض فاضربني واقتلني لئلا
يحمل الاخرون القصاص من جرايي نعم انني اشتهي واطلب ان احيى مثل غيري حيوة مديدة لكيما
اخدمك واصنع مرضاتك ولكن مع ذلك لست اريد الحيوة اذا كانت حياتي لا تفيد شيئاً اخر
سوى ان تزيد شدايد الناس وتكثرها

القسم الثاني

العدد ٩

انه لشر قليل لو كانت قلة تصديقنا المذكور لا تجلب علينا من القصاص سوى قصاصات هذه الحيوة فقط لان
هذه القصاصات كيفما كانت لا بد من ان تزول اخيراً وتنتهي بالموت اما الشر الاعظم فهو هذا
انها تجلب علينا قصاصات الحيوة الاخرى ايضاً التي لا تزال ولا تزول الى الابد لاني اسألك فقل لي
يا ايها الشعب المسيحي هل يوجد لنا اعتذار نبديه امام الله اذا اهلكنا اخبرني ايتمكن شيء ت
لتبرر اترى نستطيع ان نتبرر باعتذارنا ان الله تعالى لم يتقدم ويعلمنا في حيف ملايم بالعقوبات
والشدايد الابدية المقبلة علينا من اجل خطايانا لعمري انه هذا لا نستطيع البتة ان نعتذر به

لانه كم من الوسايط يقدمها لنا في كل وقت لكي يحذرنا من ضرباته الرهيبة كم من الشورات
الصالحة يرسلها لنا كم من الالهامات الروحية الباطنة يخاطبنا بها كم من الطرايق الاخر
المفيدة يحركنا ويحثنا بها لنجعل نفوسنا في امان وسلام في اوان مناسب فاذا كنا الان نريد
ان نبادر بهلاكنا رغماً عنه أليس يكون ذلك من ذنبنا واثمنا الاختياري ولكن بما انكم تستصعبون
ان تقضوا على نفوسكم بان هلاككم سيكون من ذنبكم الاختياري اذا هلكتم فمن ثم ارغب
اليكم ان تسمعوا هذا الخبر قليلاً ثم قولوا لي واقضوا هل هلاككم يكون من تلقا نفوسكم ام لا فاعلموا
ان الملك والنس ذاك الناكر احسان الله تعالى الذي نقله من المنفى الى الملك لما جلس على
المنبر الملوكي في القسطنطينية وتوطد فيه طفق يضطهد الكاثوليكيين وينعم على الاريوسيين
بهذا المقدار حتى ان الكنيسة الارثوذكسية شرعت تنوح وتبكي بكا الغزالة بالكلية نظير من
وثب عليه الذيب واخذ يمزقه باظفاره وينهشه باسنانه فتحنن الله تعالى على بكاها ورق قلبه
الالهي على دموعها اخيراً وحرك الشعوب الشمالية البربرية ضد مملكة الشرق وح العزم
والنس الملك ان يجرد عساكر اقويا ويخرج الى ملاقاتهم ليخفض تشامخهم ويستردهم الى
الطاعة فبلغ ذلك واحداً من النساك القديسين المستوطنين الجبال وكان اسمه اسحاق
فقام بالهام الهي وترك محبسته واتجه مسرعاً الى ملاقاة الملك الذي كان سايراً الى
الحرب بجمع غفير من الجنود راجلين وركاب الخيل وتقدم اليه ونادى بصوت عالٍ قايلاً
يا ايها الملك امر بفتح كنايس الكاثوليكيين التي انت غلقتها فترجع ظافراً والا فستموت
فسمع الملك صوته لكنه احتسبه مجنوناً ولم يلتفت اليه بل مضى سايراً في طريقه مسرعاً اما الحق
فلم تصغر نفسه لكنه رجع في الغد الى الملك واتى عليه الصوت قايلاً يا ايها الملك امر بفتح
كنايس الكاثوليكيين التي انت اغلقتها فسترجع منتصراً والا فستموت فعند ذلك اضطرب والنس
المنافق حال استماعه مرتين هذا الصوت وشرع يحس في نفسه بعاطفتين متقابلتين فمن
احدى الجهات استبان له ان التصديق بمثل هذه الاصوات يدل على ضعف القلب والعقل
ومن الجهة الاخرى تبين له ان احتقارها وعدم امتثالها قحة وقد يمكن ان تجلب له بلية
ما ومن ثم لكي يبين للجميع انه يريد ان يدبر مملكته بحكمته وافراز ضرب مشورة عامة مع عظماء
ذلك النهار ولكن لان المتقدمين في تلك المواقع كانوا اريوسيين مثله فاوحوا بسهولة عظيمة
كل وهم من مخيلته واقنعوه بان لا يصغي الى كلام ذلك الراهب بل يعاقبه لانه تجاسر بحضر

فراه

قدامه مرة اخرى ثم قام الملك وارتحل بجميع جيشه من ذلك المكان وفيما كان جايزاً في اليوم
الثالث واذا باسحق حضر باعظم جراة من ذي قبل وجاز في وسط العسكر المحدق بالملك
حتى وصل اليه فقبض بقلب غير خايف لجام الفرس واوقفه ورفع صوته قايلاً انني اكرر
عليك يا ايها الملك الصوت هذه المرة الثالثة واقول لك ان تامر بفتح كنايس الكاثوليكيين
التي انت غلقتها فسترجع من الحرب منتصراً والا فستموت وكان بازا تلك الطريق التي خاطب
فيها الملك وقتيذ هاوية عميقة مفعمة عليقاً وغيره من الاشواك المريعة فغضب الملك على
اسحق القديس وامر ان يرجوه فيها وظن انه هكذا يموت ويقبر فيها وتبع مسيره مضطرباً
ومسحساً في نفسه من رعب قلبه غير انه لم يبتعد العسكر سوى قليل من الزمن الا وقد نزل
من السما ثلثه مليكة متشحين بياضاً ثم انحدروا في الهاوية وحملوا اسحق واصعدوه الى فوق
حياً خلواً من ان تلتحق به مضرة ما وعرف من غيابهم عنه بغتة انهم كانوا مليكة اتوا
الى اغاثته بصورة بشر ولذلك خر على الارض ساجداً وشاكراً الله تعالى الذي نجاه من
الموت ثم نهض وجرى كانه باجنحة من قبل نار الغيرة والمحبة متجهاً نحو الملك ليدركه
وبعد زمن يسير من الجري ادركه وتقدم امامه المرة الرابعة وقال له بوجه متقد مثل النار لقد
ظننت ايها الملك اني اموت في الهاوية التي القيتني فيها فها انا امامك واتيت لكي اوصيك
ايضاً بان تنتبه الى نفسك وتفتح كنايس الكاثوليكيين التي انت اغلقتها ان اردت ان ترجع
من الحرب سالماً غانماً والا فستموت وتباد افهمت هذا انك لتموت وتهلك فمن تراه لا
يندهل يا معشر السامعين من قساوة قلب والنس المنافق لانه لم يوثر ان يرضخ لهذه المخاطبة
الرابعة بل ازداد عماوة وقساوة وامر ان يربط اسحق ويستودع محبوساً بيد اثنين من عظمايه
وهما ساتورنينوس وبتطر ليحفظاه الى ان يعود راجعاً من ملحمة الحرب ويعاقبه عقاباً موازياً
لكذبه وجسارته فضحك اسحق واجابه بالفاظ ميخا التي قالها لاخاب ملك
اسراييل فاذهب اذاً وحارب وان رجعت سالماً فتحقق ان ليس الله خاطبك بفمي
بل روح الضلال ولكن اعلم وتيقن انك سوف تشرع بالملحمة مع اعدايك الا انك
لست تستطيع ان تقوى وتقوم مقابل قوامهم ولذلك تنقاد خاضعاً لهم وتهرب الى ما
وراك متقهقراً فيجرون نحوك ويدركونك وتسقط في ايديهم وتموت محروقاً منهم بالنار
قال هذا وهكذا اتفق لان الملك ذهب وحارب لكنه انكسر لوقته وادبر منهزماً مع جيشه

ركضاً مبدداً متبلبلاً لشدة الخوف فصادف في الطريق كوخاً صغيراً من قش كان مأوى
للرعاة فدخله ليختفي عن نظر عسكر العدو الطالب أثره ولما عاينوا الملك مختفياً في الكوخ
اضرموا في قشه ناراً فالتهب كله واحترق والتعس الملك فيه حياً وتحقق عند الجميع صدق
نبوة اسحق وبعد ذلك اطلقوه من السجن باكرام وشرف جزيل واستنال من عظمي الملك المذ
كورين دريهماً عمره الدوصار مدبراً فيهما على رهبان كثيرين ها هو ذا قد سمعتم ايها الاخوة
الاحباء هذا الخبر فارتضوا الآن ان تقصوا منه على والتعس وعلى نفوسكم فاذا اقتضانا ان
هذا الملك قصد في يوم الحشر الاخير ان يقيم على اسحق دعوى ظاهرة ويثبت ان يستقط
في نار جهنم لا من ذنب نفسه لكن من اهمال اسحق اياه فكيف بيان لكم ذلك اما بيان لكم
ان اسحق المذكور وحده يكفي لان يكذبه ويخزيه قايلاً له اسدد فاك ايها الشقي الغبي
القلب اما اتيتك انا اربع دفعات وقدمت لك واسطة سهلة كنت تستطيع ان تخلص
بها نفساً وجسداً وانت كان مع هذا قسيت قلبك على الله تعالى واحتقيت سخطاً علي
فكيف تجسر الآن ايها الاثيم ان تشكو او تتذمر من هلاكك فانطقوا بالحق ايها السامعون
وقولوا من من الاثنين بيان لكم انه يغلب هل والتعس الملك ام اسحق اما يتبرر بعدل الله
بالكفاية من تعنيف اسحق هذا فقط وان كان ذلك كذلك فاين انتم يا ايها الخطاة
اين انتم اهول اسفاه عليكم تقدموا هنا واسمعوا فان هذا القضا قد خرج عليكم ايضاً
ولكن ربما انتم تجسرون ان تنسبوا بهلاككم هذا التعنيف اليه بهذه السجية من
العيشة العايشون بها ان عيف ان الله يرحمكم ويتخلا عنكم غير اني اقول لكم انه سوف
ينهض ضدكم لا اسحق واحد بل كثيرون يكذبونكم ويخزونكم وان كان لا يوجد من
يكذبكم سوى الكهنة الذين يعظونكم اما يكفي هولا فقط لان يسدوا افواهكم ثم اسالكم
ان تسامحوني بما انا عتيد ان اقوله لكم وهو انني انا مع كوني دودة حقيرة سوف اضطر ان
اظهر في الميدان في ذلك اليوم العظيم بوقت الحشر الاخير واجاهد عن عدل الله تعالى
وانكم شاهداً عليكم اني اتيت نظير اسحق المقدم ذكره الى كنايسكم وصعدت الى منابركم
واعلمتكم مصرحاً من قبل الله تقدس اسمه انه ان اردتم ان لا يدرككم الهلاك الابدي في
جهنم فيجب على المفسدين منكم ان يكفوا تابيبي غشيهم والتهم الزنوية وعلى الشباب ان
يفارقوا تلك العشرات والصداقات الباطلة وينبذونها عنهم وعلى التجار ان يكفوا عن

الارباح

الارباح الممتزجة بالمكر وعلى النماميين ان يردوا الصيت الذي هدموه بقذفهم وعلى الحقود دين
ان يصالحوا اخصامهم ويعدلوا عن الانتقام ولكن اذا ابيتم انتم ان تمتثلوا هذه النصايح
الخلاصية فكيف يسوغ لكم ان تشتكوا من الله عز اسمه كيف تستطيعون ان تبرروا نفوسكم
اما فعل معكم جلت مراحمه ما وجب عليه ان يعمله بهذه المنادات فقط التي انا اكررها ايضاً
على مسامعكم قايلاً انه اردياء بالردى يهلكهم فيهلككم لا في هذه الحيوة فقط بل يهلككم
هلاكاً امر من هذا في الحيوة الاخرى ولا تقولوا انكم لقد كنتم تمتثلون النصايح الخلاصية التي
وعظتم بها فلو كنتم تعلمون انكم ستهلكون بمخالفتكم اياها لما خالفتموها ولكن لستم تصدقون
ما خاطبتكم به وانني اجيبكم واقول ان والتعس الملك ايضاً لو علم متحققاً انه سيموت حريقاً
لعدم افتتاحه كنايس الكاثوليكيين لكان امر بافتتاحها حالاً لا ريب الا انه ابى ان يفتحها
لانه احتسب ذلك عاراً عليه ان يصدق كلام راهب فقير حاف لم يكن يعرف من هو ومن
اين اتى وكيف عاش ولكن عدم معرفته هذه به لا تعذره امام الله تعالى لانه اذ ما كان الشو
مطابقاً لناموس الله تعالى سبحانه والكتب المقدسة ونص الانجيل الشريف فهذا يكفي ان يسد
كل باب للاعتذار والاحتجاج ولا يعني ان اعظ من انسان معلم او امي من قديس او من خاطي فيها
انا خاطي يا ايها السامعون وساذج واحقر من جميع الذين يفتحون افواههم ويبشرونكم من على
المنابر في كنايسكم الا ان الانجيل المقدس يحقق لدي هذا وهو انه اذا اصلحتم سيرتكم المفسودة
فتخلصون من جهنم وان لم تصلحوها فلا خلاص لكم هل فهمتم هذا وان كنتم لم تفهموه فما الذي
تطلبون مني اذاً اكثر من ذلك فاذاً ينبغي لكم على كذا الحالات ان تبادروا الى العمل بما سمعتم
من الوعظ والتنبيهات لانه يمكن ان تكون هذه التنبيهات هي الاخيرة للبعض منكم ولا
يعود يبقى الوقت ان يستمع تنبيهة اخرى قد اتت اليكم انبياء وكما تلون اسحق المذكور
ونبهوكم لا مرتين ولا اربع مرات فقط بل عشر مرات واثنتا عشرة مرة ومن ثم يمكن ان تكون
النار دنت من قش حياتكم فهلموا اذاً واسرعوا عن الخوف من الله تعالى واعجلوا بالتوبة لانه
لمن الممكن ان لا تسمعوا فيما بعد عظة اخرى غير هذه وان كان الله جلت قدرته بعد ان
ارعد عليكم بهذا المقدار من الدفعات ينزل بكم اخيراً الصاعقة فلا تلوموا اذاً احداً
سوى نفوسكم الكريهة

والسبح لله دايماً

العظة السادسة عشرة

في الاحد الثالث من الصوم المقدس تتضمن ان الذي توبته من دون قصد اجتناب الخطايا
ولا يجتنب اسبابها ايضاً على ان مثل هذه التوبة هي كاذبة وباطلة متى كان القوي
متسلحاً حفظ داره فامتعته تكون في سلامة هكذا حرر لوقا في ص ١١ من بشارته
لعمري ان الصنيع الذي صنعه احد تلاميذ افلاطون المدعو زوكيلوس قد استبان لي على
الدوام انه لمن ادق افعال الحكمة والفطنة البشرية فهذا المذكور لقد كان لحسن حظه نجا
من هيج عظيم في البحر الذي فيه انكسرت دفة السفينة وانشق الصاري وتمزقت القلوع
وتقطعت الحبال واشرف من ذلك على الغرق فلما نجا من هذا الخطر الجسيم ووصل الى داره
وتعشا نحالاً قبل كل شي امر ان تسد طاقتان كانتا في داره تكشفان على البحر وذلك لخوفه من
ان يراه منهما في زمن اخر هادياً ساكناً وتاتيه التجربة في ان يدخله مسافراً مرة اخرى اما انا فاقول
لكم اني عالم انه ليس امراً عظيماً مستغرباً اذا رايت الكثيرين منكم يتجنبون رويداً رويداً من
غرق الخطية المهلكة في هذه الايام من الصوم المبارك وذلك لكثرة الوعظ الذي تسمعونه
ولكثرة الامثال الصالحة التي تبصرونها في الاخرين ولكن مع هذا جميعه اتظنون اني امنت
اليكم اماناً كلياً كلا بل اخاف من انكم اذا نظرتم بعد زمن يسير نحو الخطية بعين اخرى غير التي
تنظرون نحوها الان تماثلون اوليك الملاحين الذين يكونون بالجهد نجوا خالصين من الغرق
فيجلسون حالاً على شاطي البحر ليجمعوا فضلات قلوعهم الممزقة ويشرعون في ترقيعها ورتقها
ليغزلوا ايضاً الى البحر ويستودعوا حياتهم بيد ذلك العنصر الذي اختبروا خيانته وعدم
امانته قبل زمن وجيز فلاجل ذلك قد اتيتكم اليوم ايها السامعون لكي اخاطبكم واعظاً اياكم
ان تسدوا جميع الطاقات التي تشرف الى البحر اي ان تحفظوا نفوسكم مبتعدة من جميع الاسباب
التي يمكنها بسهولة ان تغرقكم وتجتذبكم الى ذنوبكم القديمة لانه اذا استمر سبب واحد الى
الخطية ولم تتقصوا عنكم فهذا بمفرده هو كافٍ لان يجعلكم ان تسقطوا في الخطا مرة اخرى
وتهلكوا وربما ان كلامي هذا يستثقل البعض منكم انه صار مشدداً كثيراً حيث انه يتبين
لهم ان مقاومة النظر ايضاً وضبطه هو امر صعب عسر على الطبيعة الا ان الانجيل الذي نومن
به هو يشهد لنا بخلاف ما تستصعبون ويعلمنا ان هذا هو النوع الذي نستطيع به ان
نحيى بالسلامة اي ان نسد كل عزم ونقطع كل سبب للتجربة التي تاتينا من خارج لانه قال

متى

متى كان القوي متسلحاً وحفظ داره فان امتعته تكون في سلامة افهموا قوة معنى
كلام الالهي على انه لم يقل حفظ اجزاوه الداخلة واجزاه الباطنة بل قال داره لانه اذا
ما سمحنا للتجربة ان تدخل بنا قليلاً فتعسر علينا مقاومتها فان كنتم اذاً تحبون ان تصنعوا
توبة حقيقية ثابتة وصادقة وترجعوا الى الله ربكم من صميم قلبكم فها انا اريكم الواسطة
الوحيدة لذلك وهي ان تباينوا لا الخطية فقط بل كل شي يستطيع بسهولة ان يجذبكم اليها
والا فتوبتكم كاذبة غير صحيحة وها انا مستعد بنعمة الله ان اثبت عدم صحة توبتكم هذه
من البراهين التي اوردها على سماعكم الان فاذا اصدتم عقولكم وفهمتموها جيداً سترون
واضحاً ان الذي يريد ان يحفظ نفسه طاهرة بارة في وسط اسباب الخطا فهو معتري
اولاً لنعلم ان كل موضع حسن يلذ
بشايبة المعرفة الباطلة المذمومة
الحواس له هذه الخاصة وهي انه اذا كان حاضراً يصعب على الانسان ان يقضي بالحق هل ينبغي
له ان يختاره ام يرذله لانه بحضوره يخدع الحواس بدقيقة لذيذة ويربط العقل ويجذب
الارادة ويعلقها بالخارج وهذا قد قاله ارسطو الفيلسوف في كتاب ادبياته المشهورة
وقد اورد اثباتاً لذلك خبر عظماء مدينة ترويا حينما كانوا يجتمعون ليستشير بعضهم
بعضاً في طرد هيلانه الزانية وذلك بقوله ان هولاء لما كانوا يجتمعون في بيت المشورة
ليعقدوا راياً حميداً في امر المراة المذكورة فكانوا في غيابها يحكمون حكماً عادلاً بطردها
من المدينة ليزيلوا السبب الذي كان يصدر بسببها في الشعب ولكن اذ كانت تحضر
امامهم وينظرونها فينبهرون من جمال وجهها وينصادون بهواهو شقيتها ويغيرون
رايهم ويعزمون على ابقايها في المدينة رغماً عن ساير شعوب اليونانيين الذين كانوا
يطلبون نفيها ومن تراه منا لا يجرب كل يوم في نفسه صدق مثل هذه الحقيقة لانه كم يصعب
على الجايع مثلاً ان يمسك نفسه عن الاكل حينما تتهيا امامه مايدة فاخرة وكم يعسر على
العليل ان يصد نفسه عن شرب الماء اذا راى الكووس امامه مفعمة ماءً زلالاً وان كانت
موايد اللعب بعيدة فلقد يسهل على المعتزم فيه ان يعزم على نفسه بان لا يمارس ايضاً
اللعب بالزار وبالورق اللذين حصل له ضرر منهما في ماله لكن متى ما ابصرهما في يد من هو
نظيره فمن تراه يستطيع ان يمتنع عن الرجوع حالاً الى رذيلة اللعب التي كان تاب
عنها سابقاً وعلى هذا النحو ايضاً يصعب على الانسان المضرور من شخص ما ان يهدي

حركة الغضب حينما يبصر تلقاه غريمه ويعسر على المرابي والطماع ان يمسكا ذواتهما
عن الغدر اذا شاهدا بازاء عينهما الذهب وانفتح لهما سبيل الربح وعلى الرجل الارعن
ان يمسك نفسه عن التكبر والتبجح حينما يرى الاكرام والواجب يقدمان له وعلى
العاشق ان يضبط نفسه عن حركة العشق عند مشاهدته امامه معشوقته فلنختصر
اذًا الكلام قائلين ان الموضوع من اي صفة كان حاضرًا فله قوة عظيمة في الفاعلية
واذا اردتم ان تتحققوا صدق ذلك اوفر تحقيقًا اذكروا التجربة الاخيرة التي بها افرغ
ابليس مجهوده ليغلب مخلصنا في البرية ويقوى عليه على انه خزاه الله قد اوعده ان
يسلطه على الارض كلها اذا خر له ساجدًا ولكن ماذا فعل هذا الخبيث فهلا ليحصل على
ازيد فصعد به على اعلا الجبال وهناك اراه جميع ممالك الارض واقاليمها ومقاطعاتها
واحدة فواحدة ثم طلب منه السجود ليعطيه هذا كله ولما اصعده الى اعلا الجبال
واراه بازاء عينيه كل ممالك الارض وغيرها قبل ان يعده بها اما كان يستطيع ان يعده بها
ايضًا وهو كائن معه في وعر او في غاب او في احدى المغاير لا ريب في انه اخزاه الله
بما انه اصنع مصوري الارض اجمع كان يستطيع هناك ايضًا ان يناجيه ويقول له اعلم
ان المسكونة تنقسم اليوم الى ثلثة اقسام فاحدها يدعا اوروبا والقسم الثاني افريقيه
والثالث آسيا واميركا بما انها القسم الرابع فتحتوي على ولايات وبلدان كذا وكذا وافريقيه
التي هي اعجب من قسمي الارض تشتمل على سلطان كذا وكذا واوروبا التي هي الاجمل
فتحتوي ايضًا على مملكات كذا وكذا وهذه الاقاليم باسرها تتضمن هذه وتلك
من المدن المعظمة وهذه تحتوي على الحقول الخصبة الشهية وهذه تشتمل على
الانهر الفايضة العذبة مياهها وهذه تحتوي عددًا من البحار المتسعة المغنية ويوجد
داخلها عالم آخر يحتوي على معادن فضية وذهبية لا تفرغ وعلى شعوب وامم لا
يحصى عددها وعلى منتزهات من ابداع الطبيعة غريبة حسنة لم تر العينان
مثلها قط اي نعم ان هذا العالم هو الى يومنا هذا مخفي ولم يدخله احد من سكان اقاليم
الارض الثلثة المقدم ذكرها لكن مع ذلك اعلم انني اظهره لك واعطيك ايضًا اذا
انحنيت لي ركبة واحدة فقط واكرمتني بالسجود لانه لي هو العالم كله والنتيجة انني
اعطيك هذا العالم كله ان خررت لي ساجدًا فلماذا اذًا لم يكتف ابليس ان يناجي المخلص ويقول

152

لو هكذا بل اراد ان ينصب امام عينيه المقدستين عيانًا كل شي اوعده بان يعطيه
اياه كقول الانجيل الشريف واراه جميع ممالك العالم ولاجل هذه الغاية اعني ان يصعده
به الى الجو الى اعلا قمة جبل الارض كلها بحسب رأي الذهبي فمه وليس لذلك على ظني
سبب آخر سوى ما نحن في صدده وهو لان ابليس الاخبث من جميع الناس كان يعلم جيدًا
مقدار قوة الموضوع الحاضر في الفاعلية فمن ثم ظن في عقله انه متى ما اصطاد الحواس
وغلبها يسهل عليه امتلاك الارادة فهذه هي الحال التي فيها تحصلون يا معشر السامعين
من المسيحيين حينما تعيشون وتستديرون ما بين اسباب الخطا اذ انه حينئذ يكون
الموضوع الحسن الجزيل الخطر بادئًا بازاء اعينكم بل في متناول ايديكم وتسمعون سكانه يدعوكم
الى الخطا وتعاينون محاسنه واشراكه المجتذبة الى الخطا وتحسون في داخلكم بتمليقاته
مجتذبًا اياكم الى الخطا ايضًا فهل ترجون في هذه الحال الآن تقاوموه اتستطيعون ان تقهروه
وتزدلوه حقًا ان هذه لجرئة ومجاسرة واهية مذموم مثلًا لان القديس ايرونيموس قد
حرر في كتابه ضد يوفينيانوس هكذا ان حسنًا يفكر بما يشاهده ويتسمعه ويتنشقه
ويذوقه ويلمسه والشهوة تخطف اليوم المستغرقت بلذته فاذًا بعد ان تقرر ذلك نقول
من تراه يسمح لكم ان تطلقوا النظر في التبصر بجمال الطالعات الخطرة ومع ذلك لا تتصادفون
في اشراكها او ان تسمعوا الاغاني السفيهة والاحاديث المهيجة الطبيعة ولا تغويكم او ان
تقروا كتب النجاسات ولا تتحركون اليها انا اشدتكم الله ان تجيبوني فابلين الخوم من تراه يضمن
لكم عدم السقوط مع وجودكم في هذه الحالات او ما هو الشي الذي ترجون منه النصر والمعونة
والتاييد لتستمروا ثابتين بلا خطا حينما تطوحون بانفسكم في هذه الاسباب القريبة من
الخطا فعلى ما اظن انكم ترجون وتثقون في فضيلتكم او في النعمة الالهية فتكونون في
العدد
فضيلتكم تصيركم اقويا غير متزعزعين اذا صدمتكم رياح تجارب الخطية وان النعمة الالهية
تقلدكم ترسًا قويًا لتدفعوا عنكم رشق نبال التجربة ومن ذلك تظنون انكم قد كبحتم شهواتكم
ولا تخافون فيما بعد من انها تعصا وتتجاوز حدود الصواب وهذا الوهم هو الذي يصيركم تذ
عنون
بانكم اقويا غير خاشعين من اشراك الخطية ثم تتوهمون ايضًا ان الله تعالى يحرسكم دايمًا حتى انه
تقررتم بما ليس هو ببعيد ان يتخلى عنكم وهذا الظن في حراسته تعالى لكم يجعلكم تثقون بنفوسكم
بانكم مسلحون لدفع التجربة اخبروني ما هي هذه التاييدات التي تثقون بها فانا لست اعلم

انه يوجد تاييدات اخرى بها يمكنكم ان تستندوا عليها غير المتقدم ذكرها فلنبحث هنا لنرى هل لكم
حجة شرعية وراحة في الثقة بهذه التاييدات التي تجعلكم تظنون بنفوسكم انكم امنون وتسلكون
بهذا المقدار جسارة انه لم يعد يلزمكم ان تحرسوا ذواتكم وتحفظوها جيداً اعني بها حواسكم
الباطنة والخارجة وتفحصوا عن قواكم بانكم قد كبحتم شهواتكم فاخبروني كم مقداراً ما كبحتموها
وروضتموها امساككم بعقوبها وروضتموها اكثر من اوليك القديسين الذين قضوا حياتهم
في الصلوات وذرف الدموع واصناف الاماتات والتقشفات المتنوعة لا اظن ذلك ومع هذا
جميعه فها انتم ترون ان هولا القديسين كانوا يخافون جزعاً وخوفاً تجاه كل سبب يجذب
الى الخطر فقط ويقرون معترفين على سبيل البساطة انهم لا يرجون الظفر بمحاربة الجبان
اعني بالهرب من وجه العدو ويكفينا عن الجميع القديس ايرونيموس وذلك بجوابه الذي
اورده على سوال فيجيلانسيوس لان هذا المذكور سال يوماً القديس المتقدم ذكره قايلاً
لعن اي شي يا ابانا تخاف في العالم والحال انه يمكنك ان تستوطن البراري ومع ذلك انفردت
ساكناً في المغار تحت الكهوف وفي المغر نظير الوحوش البرية فاجابه القديس قايلاً الم تعلم
من اي شي اخاف فاعلم انني خايف من مشاهدتك واخاف من استماعي حديثك واخاف من
انني لا استطيع ان احتمل عجرفتك وان قلت انه ليس لي سبب معقول في خوفي هذا منك فاجيبك
انني اخاف ليلا اخطي في الخاطرات الخطرة الكثيرة التي انت عايش في وسطها اخاف من خصومات
الغضب اخاف من الحديث الفارغ البطال اخاف من الشهوات او الانهماك في محبة الفضة اخاف من
طلب الرياسات اخاف من التملق اخاف من النظر الدنس فهكذا اجابه على سواله المذكور وكان
القديس يبين له انه يحوي بهذا لم يورد كلما يعجب القول به ثم اردف كلامه الاول فقال هذا
الكلام الذي ذكرته الذي لم اكن انا لاجسر على ان انطق به لو لم يكن من نفسه تتفوه به وهذا هو انني
لمختصر الكلام واقول لك انني اخاف ليلا يصيدني جمال الزانية ويفضي بي الى احتضان الغير اللايق
انتهى اما فيجيلانسيوس فلم يقتنع بهذا بل اعترض عليه ايضاً وقال ان هذا ليس هو ظفر مجيد
يستحق الثنا والحمد لكنه انهزام بمنزلة جبان ضعيف متقهقر فاجابه القديس قايلاً احتسب
ذلك انت كيفما شيت اما انا فاقر بضعفي انه لا لي جراة على الحرب مع هولا الاعدا الجزيلي القوة كما
تفعل انت لانني لست اريد انا ان احارب برجاء الانتصار تحت خطر فقدي احياناً حيث انه خير
للانسان ان يهرب في الحرب الروحية ليلا يغلب من انه يغلب لانه لم يرد ان يهرب انتهى كلام

القديس

153

القديس ايرونيموس فلنستنتج اذاً من ذكره قايلين انه اذ كان قديساً هكذا جليلاً لم يثق بنفسه
بل انه كان يخاف في وسط امثال هذه الاسباب اي الاسباب التي لم يوجد فيها خطر قريب
الى الخطا بل خطر بعيد فقط وذلك كملاقاة امراة عالمية عاهرة في الطريق اتفاقاً فكيف اذاً
تثقون انتم بنفوسكم في سبب بخطر قريب لا بعيد وهو كالذي اورده القديس المقدم ذكره اي
تحديق النظر في وجه شخص عاهر والحديث معه واستماع كلامه والعشرة معه بمحبة ودالة
خلواً من احتراس كيف لا تخافون انتم من مضاحكته مع ان هذا القديس كان يخاف من
مشاهدته فقط كيف تامنون انتم في زيارتكم له والجلوس معه والحال ان هذا القديس المغبوط
لم يكن يامن على نفسه من الملتقا به في الطريق فقط صدفة واتفاقاً العل صدوركم ادمى
من القرع بالحجارة اكثر من صدر ايرونيموس القديس الجليل اظهروا لنا هل اجسادكم انهزلت
من الصوم والتقشف اكثر من جسده او ربما هل ركبكم تكلكلت من كثرة الركوع اوفر من ركبه
وهل اعينكم تشوهت من كثرة البكا اكثر منه وهل اعضاكم جفت اكثر منه لتنا قلتم تعذيبها
والعل سهركم الليالي في التهذيب بالكتب المقدسة او تفسيرها قد كان اوفر من سهره كم من
الليالي صرفتم اكثر منه في الرقاد على الحضيض البارد الجلد كم من السوط لاشيتم على اجسادكم
اكثر منه كم من الاماكن المقدسة البعيدة زرتم اكثر منه كم من المزامير تلوتم اكثر منه وبعد ذلك
جميعه تؤثرون ان تقنعوني بانكم استعبدتم الجسد للروح وروضتم شهواتكم اكثر من قديس
هذا عظم سمو قداسته لعمري انني لست اصدقكم البتة فمن هنا ينبغي لكم ان تقروا بضعفكم و
تهربوا من اسباب الخطا مع هذا القديس المذكور ولو اعتبرتم ذواتكم اقوى منه لان حزقيال
النبي يقول ينبغي الذين يهربون ويكونون في الجبال مثل حمام الاوطية جميعهم فازعين اي
الحمام اذا طار وبلغ الجبال يقل خوفه عما كان وهو ساير في الاوطية اما الابرار فليس هكذا بل
ينبغي لهم ان يخافوا ايضاً ولو قلنا انهم بلغوا قمة الكمال نظير خوفهم اذا كانوا بعد في اوطية
الكمال ولاجل ذلك قال النبي المذكور يكونوا في الجبال مثل حمام الاوطية جميعهم فازعين لانه
وان قيل ان المحبة اذا كملت تنفي الخوف حسب نص يوحنا الحبيب في رسالته الاولى حيث يقول
المحبة تنفي الخوف فالامر ليس هكذا انها تنفي الخوف من القصاص لا الخوف من الخطية حسبما فسر
ذلك القديس توما امام العلما اللاهوتيين وبالنتيجة تفعل افعالها اكراماً لذات الله المتكرمة
فقط لا خوفاً من العذاب الذي تستوجبه الخطية اما الخوف من الخطية فتزيد في الانسان

البار ولا تنفيه منه اصلاً لان الذي يحب الله اكثر حباً يحذر من انه يغيظه ويتقدم ابلغ
حذر. ولكن كيفما كان ذلك فلا تظنوا ايها السامعون ان خوف القديس ارينيوس الجزيل
المشروح آنفاً كان خوفاً وهمياً صادراً من وساوس العقل لا خوفاً موسساً على قواعد راهنة
قوية ثم اعلموا بتحقيق انه يمكنني ان احرر لكم كتاباً كاملاً من اخبار الانفار الذين كانوا استولوا
بكمال القداسة ثم طرحوا ذواتهم في اسباب الخطار نظير التي ذكرها القديس المذكور
فلبوا انهم ارتدوا بضعفهم مختبرين بذلك فقط لكنهم ابتدوا وسجلوا ايضاً سقطات واهية
يرثى لها. وتحقيقاً لذلك اقول من منكم لا يجزع قلبه اذا تذكر يعقوب السايح السرياني ذاك
المشهور بين السواح بحسن السيرة الذي بعد ان كانت اسارير جبهته تجعدت وشعره
تعطل ابيض كالثلج من الشيخوخة في الفيافي ومع ذلك ما عرف ان يحفظ طهارته تجاه
سبب محرك الى الخطا بل لوقته فقد بعار يبكى عليه وخسر جميع الاستحقاقات التي كان حازها
من الله بمدة خمسين سنة من توبة قشفة وانتقل من خطية اللذة بالقلب الى اقتضاض بنت
بكر ومن اقتضاضها الى قتلها ولقد كان ايضاً انتقل من خطية القتل الى اثم قطع الرجا لولم
يتراف الله تعالى عليه برافة لا قياس لها وعضده بمساعدة الرفيع ليقوم من سقطاته هذه
الرهيبة ومثله سقط ايضاً وتيوريتوس السايح كما يخبر عنه القديس غريغوريوس وهكذا
سقط ايضاً آخر يقال له ثاوفيلوس وآخر يقال له [illegible] وآخر يقال له مكاريوس الروماني و
آخرون ايضاً كانوا سابقاً سواحاً متسامين جداً في القداسة والسيرة القشفة حسبما يذكر عنهم
بلاديوس المورخ احد كتبة بستان الرهبان فهولا جميعهم حققوا لنا بسقطاتهم الفظيعة
صدق المثل اللاتيني القايل ما من احد يضحي كاملاً بسرعة لان الطيران فوق السحاب يقتضي
تعباً جزيلاً ولكن لا تنجو من ذلك ان صادفت ايضاً المثل القايل ما من احد يصير كلي الشر
بسرعة فهذا المثل الذي يقال عند العامة يكذب احياناً كثيرة لان التهور في عمق الشرور انما
يقتضي شيئاً يسيراً فاجيبوني اذاً يا معشر المسيحيين هل تبين الآن لكم ان الخوف الذي كان يدرك
القديس ايرينيوس على نفسه كان خوفاً وهمياً صادراً من وساوس العقل وليس هو بالاحرى خوفاً
راهناً مستنداً على امثال سقطات غيره من الابرار الواهية الفظيعة وان كان مستنداً هكذا
فكيف يسوغ لكم ان تفتخروا بانكم انتم وحدكم خالون منه انتم اللابسون انعم الملابس و
المتعطرون بازكى الروايح العطرية والمترفون بالراحات والمغتذون بالذ المآكل السمينة

ايكم

ايحل لكم بان تدعوا في وسط اسباب الخطايا بتلك القوة التي لم يجسر ان يدعيها اوليك
الابطال الذين اذابوا اعضاءهم بالتقشف والصوم حباً بالسيد المسيح في المغاور والبراري
نعم ان لحكم هذه لشنيعة تفوق شناعتها الوصف بل اقول لكم ايضاً انه ينبغي لكم ان
تخافوا اعظم خوفاً من هذا نفسه اي من ثقتكم بغنى قوتكم لان ثقتكم هذه تسقطكم باوفر
سهولة وذلك بحسب نص الحكيم القايل ان الواثق بغناه يسقط

العدد ٤

ولنأت الآن الى تفنيد التأييد الاخر المقدم ذكره الذي تثقون به عندما تطرحون بنفوسكم في
اسباب الخطايا اي تأييد النعمة الالهية فنقول انه ان كان الانفار الموردة اخبارهم آنفاً لم يكونوا
يرجون ايضاً من الله تعالى تلك النعمة الفايضة التي كان يمكنها ان تمنطقهم سلاحاً قوياً
لدفع التجربة مع انهم كانوا حازوا استحقاقات وافرة كانت جعلتهم اقوياء في الفضيلة والبر فمن
ترى منكم يرجو لنفسه هذه النعمة انه لمن الحق ان الله تقدس اسمه لا يمسك نعمته وحراسته
عن احد بعد ان يدعوه وما يكفي للخلاص ولكن سبيلكم ان تعلموا انه حينما يستطيع الانسان ان ينال
غاياته بواسطة عامة شايعة فليس من شأن الله تعالى ان يمنحه واسطة اخرى اخص واكمل
وانه بما قولي هذا لا نظراً الى ما يخص رتبة الطبيعة فقط بل نظراً الى ما يخص رتبة النعمة
ايضاً ولاجل ذلك لا ترون قط ان الله سبحانه يجترح آية معجزة حينما يستطيع الانسان
ينال مقصده خلواً منها الهم حينما تعجز قوتنا البشرية فحينئذ تشرع قوة الله تعالى في ان تعضد
وتفعل وان رمتم ان تسمعوا في ذلك برهاناً من الاخبار الكثيرة التي يمكنني ان آتيكم بذكرها من الكتاب
الالهي فدونكم البرهان من حال المجوس الثلثة فانتم عارفون انهم اعطوا من الله نجماً يقتادهم
الى المسيح المولود في مغارة بيت لحم الا انهم لم يعطوه ايضاً حينما قصدوا الرجوع الى كورتهم
مع انهم ربما احتاجوا اليه ايضاً لانهم اوصوا ان يرجعوا في طريق اخرى اصعب واقفر غير معروفة
منهم ولاي سبب لم يعطوه عند رجوعهم فالسبب كان لان المكان الذي ولد فيه المخلص
وقد كانوا يتجهون لم يكن احد من الناس يعرفه وبالتالي لم يستطيع احد ان يهديهم اليه ومن اجل
ذلك اعطوا من الله ذلك القايد لانه يهديهم اليه اما الوطن الذي كانوا راجعين اليه فقد كانوا
يعرفونه حتى وان كانوا جاهلين الطرق الموصلة فمع ذلك كان يمكنهم ان يستهدوا اليه اما
باستخبارهم اناساً يسيرون معهم او بالاستخبار من كانوا يصادفونهم في الطريق او قلما يكون
بارسالهم امامهم هداة تدلهم عليه هكذا ايضاً لما اعذر الملك الى بطرس الصفا في السجن

يخلص من القيود لكنه لم يعمد في التردي بتة لانه بطرس كان قادرا ان يلقي بنفسه من
دون مساعد وهكذا ايضا نجى الملاك السفينة ببولس من هيجان البحر وخلص له الملاحين و
الركاب الذين كانوا معه من الغرق لكنه لم يساعده ان ينزل عنها الى البر لانه بولس كان في يمكنه
البلوغ للبر بقوته واعتياده ولذلك لما استطاع المخلص ان يقيم من القبر العازر حيا بعد ان كان
قد انتن اما كان يستطيع بالاعظم سهولة ايضا ان يرفع الحجر عن القبر بكلمته فقط ومع ذلك فقد
اراد ان يرفعها الحاضرون بتعب ايديهم لانه رفعها لم يكن يفوق طاقتهم فان نحوا الامر هذه
القياسات المورودة ما انه ليس لنا ان نرجو من الله تعالى معونته الفايضة الغريبة حيث تكون تكفي
معونته الاعتيادية التي يعطيها لكل انسان فلنعد الان الى مقصودنا ونقول انه اذا تجنبتم انتم
ذلك السبب القريب من الخطا الذي ترجون بنفوسكم فيه باختيار ومعرفة فمن قبل لا يعلم انكم
تستطيعون بسهولة ان تحفظوا انفسكم مبتعدين عن الخطا بالمعونة الاعتيادية العامة فقط
التي تعطيكم اياها العناية الالهية وليس لكم فقط بل لكل انسان حيث ان الله تعالى قال هكذا من
يحذر الفخاخ يكون مطمانا فكيف اذا يحل لكم اذا اذن تؤملوا منه حراسة خصوصية ما عدا
المعونة الالهية الاعتيادية العامة المعطاة لكم ولكل انسان وبما لكم هذا تلقون ذواتكم في
اسباب الخطايا كانكم تريدون ان تلزموه تعالى ان يصنع معكم اية معجزة باحفظه اياكم بحال
وقحة مذمومة فان كان اذا لوحكم ذلك البيت يحرك فيكم عواطفا وشهوات دنسة فلا
تدخلوه وان كان ان العشرة مع ذلك الشخص تسبب لكم افكارا غير لايقة او تعلمكم ما ليس ينبغي
ان تعرفوه فاقطعوها وعلى هذه الجهة تتخلصون من اشراك الخطايا بتاييد العناية الالهية
الاعتيادي العام وخلوا من تعب اعسالكم تطلبون من الله تعالى يحفظكم سالمين من حريق النار حينما
يكون لكم استطاعة على ان لا تلجوها ويكون الابتعاد عنها سهلا لديكم فهذا لا ترجونه منه غير
رجل انثى عالم جيدا انه جلت قدرته حفظ الفتية الثلثة من حريق النار في اتون بابل وحفظ
موسى الطفل حيا في وسط مياه نهر النيل في مصر وصان دانيال من شراسة الاسود في الجب
وحفظ يونان النبي حيا في جوف الحوت والذي ليس هو باقل عجوبة من هذه المذكورات
هو انه سبحانه حفظ نوح وبنيه ونساهم محتبسين في السفينة مع الضباع والنمور والذياب
والسباع وغيرها من الوحوش الضارية من غير مضرة البتة ولكن الا ترون انه ما من احد من
هولاء الانفار طرح بنفسه في هذه الاخطار باختياره ومشيته فانجوا اذا من هذا كله هذه

القاعدة

155

القاعدة المحققة وهي انه ليس له ان يرجو من الله تعالى تاييدا خصوصيا ذلك الذي يلقي
نفسه في مخاطر الخطايا باختياره ومعرفته اما الذي يلقي نفسه فيها ملتزما من قبل الله او من
قبل امر الطاعة لروسايه او من قبل سنة المحبة الاخوية فهو يستحق ان يوصي الله ملايكته
ليحفظوه في ساير طرقه كما جاء في سفر المزامير اسمعتم وفهمتم متى يحفظكم الله سبحانه ويوديكم
في طرقكم اي في الطرق الملتزمين ان تسيروا فيها من قبل الاسباب المذكورة ولذلك قال الله
ليحفظوك في ساير طرقك ولم يقل ليحفظوك في المسالك الوعرة والاشواك والوهدات
لان الذي يلقي نفسه في هذه المذكورات من غير سبب صالح داع فيتهور ويسقط ويتم
فيه ما قاله الله تعالى في سفر ايوب ان رجاه يبطل ويطرح امام اعين الجميع انني اري انه
يطابق هذا المعنى مطابقة حسنة اختلاف الحال الذي اعتبرته في يهوديت بمدينة بيت
فالو العظيمة ودينا ابنة يعقوب المغبوط على انكم لعارفون كيف قد دخلت يهوديت في معسكر
السريان لتنتصر على اليفانا المتجبر وقد مكثت هناك اياما مع خلق كثير من الجنود الغير
المهذبين تتحدث تارة مع الجواسيس وتارة مع الحراس وتخالط اولي الدولة وتتعاشر
مع القايد متشحة على الدوام باجمل زينة الملبس النسايي ومزينة بالاقراط في اذنيها وبالخواتم
في اصابعها وبالدمالج في ساعديها وبالقلايد في عنقها والجواهر والذهب على صدرها وتتوج
منها الروايح العطرية الزكية وتتلالا بجملتها بالحسن والبها اما دينا فما تجلببت ولا تزينت
بشي من هذا بل قد كانت وصلت مع اخوتها الاتين من الغربة الى مدينة تسمى شاليم ونصبوا
حدها خيمهم في ارض اشتروها بفضتهم ليسكنوها ولاجل ان الابنة السادجة المذكورة كانت
ضجرت في دوام سكناها تحت الخيم وحدها انحرك فيها يوما ما الشوق بان تخرج قليلا من الخيم
لتتنزه قاصدة فقط ان تنظر نسا تلك الكورة حسب نص الكتاب الالهي حيث قيل وخرجت
دينا ابنة ليا لتنظر الى بنات ذلك البلد وربما الى ترقب بحسب المالوف عادة النسا الراغبات
شكل ملبوس نسوة تلك البلد وكيفية زينتهن ولكن ما الذي حدث من ذلك فحالما خرجت
هذه الحمامة الوديعة خارجا عن عشها انتشبت بها اظفار باشق خاطف وكان ابن والي
تلك المدينة وهكذا حينما استطاعت ان ترجع يهوديت الى بيتها عفيفة نقية لم يكن
ممكن ان ترجع دينا بكرا الى خيمتها فليت شعري كيف امكن ان يتم الامر هكذا اي ان احداهما
سقطت سقوطا هكذا فظيعا في اقل خطر والاخرى بقيت سالمة عفيفة في خطر اثقل على ان

يهوديت دخلت متورطة في العسكر ودينا لم تخرج كثيراً من خيمتها يهوديت خرجت لكي تتردد
مع رجال ودينا خرجت لتنظر النساء والبنات اللاتي من رتبتها وجنسها يهوديت قصدت
ان تستبعد جمالها ودينا لم تفتكر بان ترى يهوديت تزينت بثياب فاخرة عالية ودينا لم تكن
متسربلة سوى كسوة اعتيادية يهوديت تغربت اياماً في وسط الاخطار ودينا اشرفت
من بعيد فقط ومع ذلك بجميعه دينا سقطت في اشراك المفسدين ويهوديت استقامة ثابتة
بجميعها فما هو السبب هذا الاختلاف الغريب فانا اعلم ان السبب انما هو كون يهوديت
التقت نفسها في الخطر بالهام الهي ولاجل غاية صالحة كما يحقق عندنا الكتاب الالهي في
ذلك بقوله ان تزينها هذا لم يكن من هوى الشوق بل من فضيلة النفس ولذلك ازاد الرب
في جمالها حسناً اما دينا فطرحت بنفسها في الخطر باختيارها ودعانتها نسايه كما تتلخص لنا ذلك
واضحاً من نص الكتاب الالهي ايضاً القايل وخرجت دينا لتنظر الى بنات تلك البلد فان عرفتم
انتم سبباً اخر غير هذا فاصدعوه علي وماذا ينتج من نموذج هاتين الامراتين سوى هذه النتيجة
وهي انه من شان تدبير عناية الله ان يصون صيانة خصوصية اوليك الذين يلجون مثل هذه
المخاطر من باب الاضطرار لا اوليك الذين يلجونها من باب اختيارهم او خفة العقل
فلعله تتعالمون بصعوبة ايضاً سارة وحفظ عفتها سالمة من بغي فرعون الذي اختطفها وهل انه
تقدرون ان تفهموا بصعوبة ايضاً خطرها في دار ابيمالك الذي انشغف بها ويوسف ما بين ايدي امراة
فوطيفار ولا التي تعلقت به في المخدع معها وسوسنا من هوى شيوخ اسرائيل الذين اقتحموها
في البستان ثم انتم تصادفون لا جميعاً طاهرين ابرارين سواء كانوا القوا نفوسهم في هذه الاخطار
بامر الله مثل سارة ورفقا او لم يكونوا القوا نفوسهم بها تعمداً باختيارهم مثل يوسف وسوسنا اما داود
الملك الذي لم يكن اقل فضيلة وقداسة من هولاء الابرار المتقدم ذكرهم فقد حدث له خلاف
ذلك وذلك لانه خاطر بنفسه في ترقب جمال بتشبع من سطح بلاطه الملوكي قاصداً التنزه
والنزهة فنزغه الشيطان على الاستطلاع عنه وسمع لبسرانه يعثر ويسقط فقط لكنه تهور في عار واهي
وافظع جميعه سقطت الذي في جرم القتل الظالم ايضاً فانتجوا الان من هذه النموذجات
ما يفيدكم في امر نفوسكم واختبروا انه اذا حاقت بكم مثل هذه المخاطر الجاذبة الى الخطا رغماً عنكم او
من باب الضرورة فاستغيثوا بتايد الله لكم فانه اقرب الى المعقول انه يجعل عنايته الالهية تظللكم بل
يعضدكم ويحفظكم لئلا يوزركم سبب الخطا بسعي القاتل ولكن اذا القيتم انتم نفوسكم فيه

156

وطفقتم تلعبون وتهزأون حولها فخافوا عند ذلك ايها المسيحيون وارتعدوا فان هذه
هي قحة ومجاسرة شنعة لا تستحق من الله سبحانه تاييداً خصوصياً ليلا تسقطوا بها وتهلكوا
وقال فوهذا على لسان ابن سيراخ الحكيم من يرحم حاوياً تلدغه حية وماذا اعني بقوله
هذا اسمعوا وانتبهوا اذا لدغت حية مترصدة تحت العشب حارس البستان او راعي
الغنم او واحداً اخر جايزاً في الطريق مصادفة واتفاقاً فالجميع يرحموه ويسرعون فيأتونه بالدرياق
الشافي لكن اذا لدغت جاهلاً ما قد مسكها بيده لرعانة عقله او طفق يلاعبها او ادناها الى
نفسه لكي يقبلها فكل من يراه يفعل ذلك يشمت به قايلاً انه جوزي كاستحقاقه ولا يوجد من
يرحمه هكذا نقول نحن ان السبب القريب من الخطا هو كالحية فلا ترجوا اذاً الرحمة اذا
اغريتموه انتم الى اللدغ غير انه لكم ان ترجوها ان اقتحمتموه ولا عليكم خلواً من تقصد او معرفة
منكم انكما اوردته على سماعكم حتى لو هو تعليم محتو لا ريب يشوبه البتة ومع ذلك مما اقل
الذين يفهمونه ويحفظونه لاننا نرى في ايامنا هذه انه اذا تصلب الكاهن وامسك الحل عنكم
الى ان تنتصروا عن السبب القريب عن الخطا فلوتنكم تلومونه قايلين انه صار متقاسياً وقليل
الافراز وذلك لزعمكم انه يسوغ له ان يثق بكم انكم لستم بعيدين من ان تسقطوا في الخطا ولو كان
السبب الى الخطا قريباً الا انه كيف يمكننا ان نثق بكم بذلك والحال انه يعلم علماً محققاً ان الله دعا في
لا يريد ان يويدكم في مثل هذه الحال ولكي تقتنعوا بذلك اعظم اقتناع ارصدوا اعقالكم واسمعوا
انه من المعلوم
هذا البرهان الاخير لانه ربما اقوى من البراهين الموردة الى الان
ان الله عز اسمه لما كان ينهى شعبه عن فعل ما كان غالباً ينهيه ايضاً عن كل شي يستطيع على العدد
نوع ما ان يصير له سبباً لمباشرة الفعل المنهي عنه وهكذا صنع منذ ابتداء تاسيس العالم في الفردوس
الارضي مع ابينا ادم وحواء لانه لما اوصاهما ان لا ياكلا من شجرة المعرفة اوصاهما ايضاً ان لا يقربا
منها كما يتلخص ذلك من كلام حواء للحية لما قالت لها امرنا الله ان لا نقربها وكذلك صنع ايضاً
مع بني اسرائيل لانه لما اوصاهم ان لا يسجدوا لصنف ما من المنحوتات البتة اوصاهم ايضاً ان
لا يضعوا شيئاً منها في بيوتهم ولما اوصاهم بان يستعملوا في ايام الفصح خبزاً من غير خمير اوصاهم ان
لا يحفظوا ايضاً لديهم شيئاً من الخمير ولما اوصاهم ان لا يصعدوا الى الجبل سينا اوصاهم ايضاً ان
لا يقربوه ولما نهاهم عن الطبخ في يوم السبت نهاهم ايضاً عن ايقاد النار يوم السبت وكذلك
لما حرم على النذيرين شرب الخمر حرم عليهم ايضاً اكل العنب والزبيب ولذلك ليلا يتهوا ذوات لذة

الغيرة ونجد بعض من حلاوة ثم نبدو اليس ان هذه الاشيا قد شددها المخلص في السنة الجديدة اوفر
تشديداً سلوا في هذا القديس يوحنا الذهبي الفم فتسمعونه يقول لكم ان السيد المسيح لم
يقصد شيئاً اخر بوصاياه الجديدة الانجيلية سوى ان يقطع عنا جميع الاسباب التي تستطيع ان
تجذبنا الى مخالفة وصايا سنة العهد العتيق ولتوردوا في ذلك البعض من اقوى امثاله فنقول
لقد اوصى اسحقا في الناموس العتيق قايلا لا تقتل فبهذه الوصية حرم بها على البشر القتل الا انها
لم تكن هذه الوصية الالهية تحفظ قديما حفظا جيداً الا يسير حيث ان الناس كان احدهم يحرك
صاحبه الى الغضب اولا بالكلام المرذل ثم كان يصعب عليهم ان لا ينتقلوا من الكلام الى الضرب
ثم يتورطوا من الضرب الى القتل ومن ثم ما الذي فعله المسيح ربنا فقد جعل لهذه الوصية سياجا
فقال هكذا سمعتم انه قيل للاولين لا تقتل وانا اقول لكم ان كل من قال لاخيه رقا وجبت
عليه ايمة الجماعة هاهوذا منع القتل برفعه سببه وهو كلام التعيير والشتم ومثله حرم الله
عز اسمه قديما الحنث باليمين غير انه كان يمكن ايضاً مخالفة هذه الوصية بالسهولة وذلك
لانه اذ كان الناس يستعملون غالباً الحديث الفارغ البطال فمن ثم كان يسهل عليهم ان
ينتقلوا من الكلام البطال الى الحلف ومن الحلف الى الحنث ومن هنا كيف صنع مخلصنا فقد
جعل سياجاً اخر لهذه الوصية فقال هكذا سمعتم انه قيل للاولين لا تحنث بيمينك وانا
اقول لكم لا تحلفوا البتة وليكن كلامكم نعم نعم لا لا فهاهوذا قد منع الحنث برفع السبب
الذي يدعو اليه وهو الكلام الزايد والبطال وايضاً قد حرم ايضاً قديماً الزنا بقوله في
الوصية ٦ من الوصايا العشر لا تزني والحال ان السبيل كان مفتوحاً لمخالفة هذه الوصية جداً
وذلك لانه بسبب ان الناس كانوا لا يعباون بالملاقاة والنظر والتفرس في جمال الصور اللحمية
فمن ثم كان يعسر عليهم ان يضبطوا نفوسهم ليلا ينتقلوا من التفرس الى الشهوة ومن الشهوة الى الفعل
غير ان ربنا هكذا فعل اي دبر ايضاً لهذه الصورة الوصية صورة اخرى فقال هكذا سمعتم انه قيل
للاولين لا تزن وانا اقول لكم ان من نظر الى امراة واشتهاها فقد زنى بها في قلبه هاهوذا رام
ان يمنع الزنا برفعه عنا النظر الدنس الذي يخرج الى اثم الزنا ولنختصر الكلام ونقول انه
يتبين من هذه الوصايا وغيرها التي تشبهها ان المسيح كان لم يات الى الارض الا ليحرض الانسان
على انه يمتنع عن كل شي يستطيع ان يلقيه في سبب قريب في مخالفة الناموس الالهي و
التعدي عليه واظن ان هذا ما اوعز اليه بحذاقة عقل رقيق اشعيا النبي العظيم لما تقدم وتنبا

عن المسيح انه لعتيد ان يسمى واضع السياجات بقوله عنه ودعي مسدد السياج وهاهو
هو الذي ينتج من هذه الجملة كلها فينتج ما انا قد قصدت بيانه في هذا الصدد اي ان
الله لا يريد ان يويدنا تاييداً خصوصياً حينما نلقي نفوسنا في اسباب الخطايا ولا يضاح
ذلك قولوا لي يا معشر السامعين المسيحانيين حاجتي في ان استعمل وصي بهذا المقدار من
الصرامة ان نجتنب بكل قوتنا اسباب الخطايا لان كان نتقدم اسمه حتم ان يويدنا فيها
تاييداً خصوصياً عظيماً ليلا نتعرقل بها او نسقط لعمري انه لو حتم ذلك لكان عبثاً نهانا
عن الاقتراب الى الهوة بل لكان بالاحرى دعانا الان نبلغ الى فمها ثم كان يسرع ويمسكنا
عن التهور فيها ولكان تركنا ان نحدق النظر كيفما احببنا ونحدث بحسب هوى نفوسنا
ونشتم ونهزو كيفما لاح لسرنا وبعد ذلك كان يقدر يعضدنا ليلا نتهور في الدنس والحنث
والخصومة والقتل وذلك لانه جل ذكره دبر لنا خلافاً لذلك فتقولوا لي ايها المسيحيون
ما الذي يدل عليه هذا اما هو دليل واضح في انه لا يريد ان نطوح نفوسنا في اسباب الخطا
تحت امل تاييده ونعمته فهذا هو قياس واضح جلي كانه ملموس بالايدي ومحتوٍ غير ريب
به وان كان ذلك كذلك فما الذي تقولونه وما الذي تنتظرونه ليت شعري متى تريدون
ان تبتدوا في ان تقتنعوا اقتناعاً كلياً انه ان لم تهتموا بحفظ ذاتكم فانتم تهلكون
العلكم تطلبون قياساً اخر اكثر من الوردة الى الان لتقتنعوا بها هاهوذا رايتم انه لا يحل
لكم ان تستندوا الا على فضيلتكم التي تزعمون انها تجعلكم اقويا لعدم السقوط في حين
اسباب الخطا ولا على النعمة الالهية متوجيين انها تويدكم لدفع التجربة لكن ينبغي لكم
ان تتعلموا وتحذروا مقتدين خوف غيركم الذي كان يخاف من القا نفسه في مثل هذه
الاسباب وهلاكه كما سقط بها الانفار المورد ذكرهم انفاً فما الذي اذا تطلبون اكثر من هذا
قال القديس اغوستينوس في هذا المعنى انه غبي جاهل وقاح ذاك الذي يروم ان يجوز
من حيث ابصر غيره سقط ومن هنا لا ريب في اننا نحتسب غبياً ذاك الذي يروم ان
يقطع في الشتا نهراً قوياً بعد ان ابصر اوليك الذين تقدموه غرقوا فيه او من اراد ان
يجوز في وعر كثيف في الليل حينما سمع ان الذين جازوا قبله وقعوا في ايدي اللصوص
وقتلوهم فاصغوا اذاً تلك الكتب الدنسة التي تتلذذون بتلاوتها اجتنبوا تلك
السهرات العالمية الباطلة امتنعوا عن تلك الملاعب الخطرة اقطعوا تلك المودة

التي تجتذبكم الى العشق الردي واطرحوا من منازلكم ذلك الشخص الذي هو بينكم ولغيركم
سبب العثرة وذلك ان اردتم ان تخلصوا نفوسكم ولا تقولوا انه لا يوجد في ذلك بعض
ولا تزعموا بانكم انتقلتم عما كنتم فيه سابقا واضحيتم تحذرون على نفوسكم اوفر حذركم من
ذي قبل ومن غفلة تخافون ايضا معتقدين انكم ولو ترددتم مع ذلك الشخص انما نيتكم
سليمة وليس لكم في ترددكم معه قصد ردي فهذا لا تقولونه اصلا فانني اكرر عليكم
الوصية قايلا انفوا عنكم كل سبب الخطا الان هذا هو الذي يريده الله تعالى منكم كل من
يتوب عن السجود للاصنام يجب عليه ان يطرح عنه الصنم ايضا وهذا هو السبب القوي
الذي يورده كثيرون من الاباء في هلاك سليمن الحكيم المسكين اي لانه ما اظهر توبته برفع
الاصنام التي كان اقامها في مملكته لقد سجدتم لتلك الصورة التي احببتموها وصيرتموها
صنما لكم فان اردتم اذا ان تتوبوا وتخلصوا فاطرحوها عنكم وابعدوها ولا تاتوا بذكرها ايضا
بعد اصلا واتوا بحصر الكلام انه ينبغي لكم ان تطرحوا عنكم كل اسباب الخطر وافعلوا وقولوا
على مثال ذلك الفيلسوف الحكيم المدعو كراتس هذا الذي لما شاهد ان امتعته كانت تصده
عن الدرس والتهذيب في العلم حملها وبلغ بها الى البحر والقاها فيه قايلا انني اغرقك ليلا
تغرقيني انت فعلى هذا النسق هي الاسباب القريبة فلانها تجتذبكم الى الخطا فمن ثم تصدكم
عن خلاصكم الابدي وتطرحكم اخيرا في بحر عذابات جهنم فاذا الاجدر بكم ان تطرحوها
وتبعدوها عنكم قايلين بجراة مقدسة انني اطرحك ايتها الاسباب وابعدك عني ليلا تطرحيني
في نار جهنم فاذا الاجدر بكم ان تبعدوها ليلا تبعدكم عن ربكم وان فعلتم كذا فتكون توبتكم
عن الخطية توبة حقيقية كاملة والا فتكون توبتكم كاذبة لانه يدعا كاذبا لا محالة ذلك
الذي يزعم انه يبعد عن قلبه الخطية ومع ذلك ينفتح لها ابواب داره

القسم الثاني

انني لقد جاهدت حتى الان وتعبت لاشرح مستطيلا في ان اثبت للجميع ان الثبوت في البر تجاه الاسباب
التي يوجد فيها خطر النفس هو امر مهم جدا على انه ان كان مع ذلك جميعه يجب ان اتاسف
واحزن على تعبي هذا لانه لا نزاع انني اضعت الزمان باطلا في هذا الصباح كله لانني لست
ارجو من الجميع الفايدة الماثورة لكون الذي قلته واثبته لكم هو من اوضح الحقايق التي يكرز
بها من اعلا المنابر وكل انسان يعرفه ويحققه في نفسه وانما التمس منكم فلماذا اذا لا يجتنب غالب

الناس اسباب الخطا فيها انا اجيبكم قايلا اعلموا ان السبب في عدم تجنبهم الخطا هو هذا
وهو لانهم يحبون ان يخطيوا على انه لا ريب في ان نار الشهوة الغير المرتبة هي متقدة في اعمق
فواد الناس ولاجل ذلك هكذا يفعلون اي يسيرون في طلب تلك الملاهي التي تقدم لشهوتهم
صنفا مما يروي غليلهم ولو كان محتجبا فيسرعون الى التماثيل والى السهرات او الى الزيارات
العالمية والى احتفالات الاعياد وذلك لكي يجدوا هناك مرعى لشهوتهم كما تقدمنا فقلنا ومن
هنا لا يخلون من الخطا في مثل هذه الاسباب حتى وان كانوا لا يخطيون بالفعل جهارا فيخطيون
بالفكر والنظر وبالتبسم او بالاشواق المستكنة داخل قلوبهم ليت شعري هل يوجد فيكم من
تعجب مما خاطبتكم به في هذا الصباح بحسب هذا المنوال الغريب اها منك يا ايتها المدينة
الفلانية لقد الزمت رعاعيني ان اتكلم اليوم فيك هكذا فكيف يمكن الا اتخلى من تاملي في ذلك
انك رويدا من غير ان تفطني لقد انسحبت في العشرة الرديه والسلوك المذموم الغير المهذب
لعمري انك كنت سابقا مدينة صالحة محمودة تستطيع الشعوب ان تتوارد اليك ليستمدوا
منك نموذجا في الرزانة والادب والحكمة والحيا فكيف اذا اعطيت انت ايضا مجالا للانطلاق
الذميم وانفتح فيك السبيل للملاهي واللعب والعشرة من خلو من تحفظ انه لقد يجب علي
الان ان انوح باكيا على انقلابك واقول مع اشعيا النبي كيفما صارت زانية المدينة [illegible]
المدينة المومنة المملوة احكاما التي سكن العدل فيها الان هذا هو دايما التقدم الاول الذي منه
يحدث الانقلاب الى المباضعة الدنسة وهو السلوك من دون خشية وعدم الضبط في
التردد ان بلاد افريقية الداخلة تحوي على امساخ من الوحوش اكثر مما يوجد في الارض باسرها
وعلى ظني انكم لا تعرفون ما هو سبب ذلك فانا اقوله لكم وهو هذا ان تلك البلاد جافة يابسة
جدا بل عديمة المياه لانه لا ينحدر عليها مطر البتة ولذلك تعطش الوحوش فيها اكثر او تلجيها
الضرورة الى ان تجتمع جميعا على شاطئ نهر واحد لتشرب ومن جرى ذلك لما تجتمع هناك كل
وقت معا من اناث وذكور ومن اجناس مختلفة فينعطف احدها على الاخر بالشهوة وهكذا يكون
تناسل نوع الامساخ الهايلة واقول الان ان المدينة وان كانت صالحة فتستحيل اخيرا الى بلد
الامساخ نظرا الى الفجور اذا عطشت واعطت مجالا للانطلاق الذميم والعشرة الغير المصونة الجارية
على حسب الهوى لعمري انه لا ينقضي زمان كثير الا وترى الامساخ فيها الان انفارا كثيرين
يختلف احدهم عن الاخر نظرا الى الحال والجنس والمرتبة معا يجتمعون معا في التنزهات والتقليلات

والحديث والولايم وفي البيوت والشوارع والبساتين اللهم الا تكون الاوساخ قد ظهرت الان في
هذه المدينة ايضاً اذ لنا اسباب قوية تدعونا الى الظن والشك بذلك لاننا نرى عياناً ان
الخطايا اللحمية قد اضحت دارجة في هذه الايام عند اهل مدينتنا هذه حتى انهم لا يستحيون
من ارتكابها بل اضحوا يعتبرونها انفراج الطبيعة ونزهتها ومن قبل ذلك يستخفون جرمها
كانها ضعف طبيعي في الانسان كما ان الحمى هي طبيعية في الاسد وكم مرة قد سمعنا
العدد ٧
من كثيرين يتفوهون بهذه الالفاظ قايلين انه يجب ان نلاحظ ونرحم ضعف الطبيعة ومن
ذلك يستعظمون ساير الخطايا كالشتم والحلف والغضب والسرقة اما خطايا الدنس فيحتقرونها
قايلين انها تصدر من ضعف الطبيعة المنفسدة ولاجل ذلك ليس لنا ان نعجب مستعظمين جرمها
وكثرتها فيا ايتها السموات اشهدي عني وقولي امام هذا الشعب المسيحي هل هي عظيمة ام خفيفة
هذه الخطية التي لا يستثقلها كثيرون ولا يعتبرون شرها ولا يبالون بها في ايامنا هذه النغمة
اما هو الذي من جراها انفجرت ميازيبك وانزلت على الارض طوفان المياه وغرقتيها بالكلية وقولي
علانية لاجل اية خطية انفجرت ميازيبك اليس لاجل هذه الخطية المحتقر جرمها من الكثيرين
انه لمن المحقق ايها السامعون انه لما حدث الطوفان على العالم كانت فيه جميع الخطايا كالسرقة
والغضب والحنث باليمين والتجديف وما ضاهاها ما خلا عبادة الاوثان كما اثبت ذلك القديس
توما امام العلماء اللاهوتيين ومع ذلك جميعه فلاية خطية على الخصوص اتى الطوفان لاريب
في انه لم يحدث الا من جرى خطية الدنس هكذا يعلمنا الكتاب الالهي في سفر الخليقة المقدس بقوله
لان كل ذي جسد كان افسد طريقه على الارض ويشهد بذلك ايضاً الاباء القديسون فاذاً
كيف تستبيحون لانفسكم ان تستخفوا هذه الخطية وتعتذرون بانها ضعف المفسودة
بعد ان افاض الله تعالى هذا الطوفان العظيم من المياه ليغسل الارض ويرحضها من دنسها
ووضعها طوفوا بعقلكم وجولوا بالفكر واجمعوا تلك الجثث البشرية الغريقة في مياه هذا
الطوفان العرمرم وكدسوها بعضها على بعض فترون قد تكون منها جبال شامخة تبلغ
الى الجو وبعد ذلك قولوا انها خفيفة تلك اللذة اللحمية التي صدر من قبلها هذا القصاص
المخيف المرعب فاقول لكم اذاً ايها السامعون انه ليجب عليكم ان تخافوا من هذه الخطية ابلغ
خوفاً من هذا الوجه عينه وهو لانها صارت متشاعة وعامة في الجميع فلو كانت منحصرة
في القليلين لما انغمر على الارض في جميع العالم هذا القصاص الغريب المريع اي الطوفان

الا انه انما انحدر حينما امتدت في الجميع وتدنسوا بها ولكن ما بالي تورطت وتكلمت
هكذا اي انني تكلمت معكم ايها السامعون الحاضرون ههنا كانكم قد تدنسون بها انتم
ايضاً والحال انني لو اتوهم انكم ربما لم تتشابهوا بها اصلاً ومن ثم اسألكم ان تسامحوني
بما تكلمت معكم لاني عالم جيداً ان اوليك المتوغلين بهذا الاثم الشنيع المتماجنين الى
استماع الوعظ اكثر احياناً من غيرهم ليس من عادتهم ان يأتوا الى الكنايس كثيراً في وقت
الوعظ ومن ثم هل تعلمون كيف صنعت انا في جمع اخر وعظي هذا فقد صنعت شبه
الخروف الذي لما لم يمكنه ان يستحضر امامه اوليك الذين صاروا اسباباً لحزنه فيظهر اثر
حزنه ويتزمزم على مقدار ما يستطيع في من يصادفه ولو كان جرباً وغير عارف ما هي علة
مرارته ولكن فلنعد الى موضوعنا ونختم خطابنا قايلين ان السبب الذي يجعل الناس
يطرحوا ذواتهم في مخاطر الخطايا واسبابه ليس هو غالباً ثقتهم بنفوسهم بانهم اقوياء وغير
خايفين من السقوط بل السبب انما هو جهلهم الخطية او قلما يكون توهمهم بانها شي قليل
وليس لعظم فيا كثافة غرورهم واتخداعهم المهلك اذ يتوهمون ان خطية الدنس هي
ضعف في الطبيعة وليست بشر عظيم فليعلم مثل هولاء ويتحققوا خلافاً لذلك اي ليعلموا
ان هذه الخطية هي الشر الذي يخفض شرف مرتبة الانسان السامية ويجعله حقيراً مرذولاً
اكثر من ساير الخطايا وهي الشر التي تظلم مخيلته وهي الشر الذي يوذي عقله الشر الذي يصيره
شبيهاً بالبهايم بل اوفر تشبهاً بها الشر الذي يجعله بزمن يسير ان يفتقد كل خير اي الزمن
والمال والصيت والراحة والسلامة والصحة والحكمة والحرية وعلى الاطلاق نقول انه
يجعله يخسر ذاته كلها لان هذه هي الخطية التي تجعله باعظم سهولة من جميع الخطايا لان
يموت هالكاً اسمعوا ما يتفوه به في هذا الصدد ابن سيراخ الحكيم قايلاً لا تبذل نفسك
بالزناة بتة ليلا تتلف نفسك قال ليلا تتلف نفسك ولم يقل ليلا تتلف امتعتك ولذلك
ينبغي لكل منكم ان يحذر من هذه الخطية حذراً كلياً لان القصاص الاعظم الذي يستطيع
الله جلت قدرته ان يقاص به الانسان اذا غضب عليه ربما هو هذا وهو ان يدعه ان
يسقط في حفرة الشهوة مع المرأة الاجنبية كما يتضح لنا ذلك من سفر الامثال حيث قيل
حفرة عميقة فم الاجنبية الذي يغضب عليه الرب سيسقط فيها ومن ثم من منكم الذي
يظهر على نفسه انه يوثر بالحقيقة ان لا يسقط في هذه الحفرة فهو لعمري ذاك الذي يجب

ان يلعب على فيها والحمد لله دائماً

العظة السابعة عشرة

في الاثنين بعد الاحد الثالث من الصوم المقدس تتضمن التعجب من قباحة من لا يختشي اذ يكافي لساعته عن خيره شراً

قاموا واخرجوه خارج المدينة وجاؤوا به الى اعلا الجبل التي كانت مدينتهم مبنية عليه ليطرحوه الى اسفل هكذا اخبر داري لوقا الانجيلي في فصل من بشارته

العدد

انني لما ادعو الشر الناكرين حسنات الله بحياتي او بعضوا لها امامكم المحتسبا ايها السامعون ويعطوا اجوبا عن انفسهم ويبرروها من شاينة عدم معرفة جميل ربهم ان استطاعوا ذلك فهذه هي المرة الاولى التي فيها يظهر اناس قد تجاسروا ان يمدوا ايديهم على السيد المسيح ويهجموا عليه بوقاحة لم يسمع بمثلها ويمسكوه بغضب شنيع ويوثقوه بمنزلة مجرم مرتكب افظع الاثام ويصعدوا به الى قمة الجبل العالي ليزجوه الى اسفل ويموت لكن تمهلوا ايها الانام الاشرار والبثوا قليلاً لكي اسالكم مستفهماً وقايلاً ما هذا الانسان هو ذاك المسيح المنتظر المشتاق اليه منذ دهور كثيرة والمرغوب بتضرع غزير والمجذوب من السما الى الارض ببكاء ونوح عظيم نعم انه هو نفسه فلماذا اذاً تعاملونه هكذا بعد ان حظيتم به وخبرتموه لعمري انك اصبحت ايتها السما في مبدا باصرارك اياه تعالى في عرشه الالهي وتاخيرك عن ارساله الى العالم فلماذا اذاً عذبت واسيت مع كونك تقدمت ورايت المعاملة الرديئة التي كانت جماعة البشر عتيدين ان يعاملوه بها ولكن فلندع البرية لانه هكذا يعجب نفاق البشر والى الجحاود الى يومنا فليستجروه جذباً الى روس الجبال ويرموه منها ما الاسيلين لنا ان نعلم من هم اوليك الذين يجسرون قبل الجميع على ان يضعوا ايديهم عليه ويمسكوه ولنصبر قليلاً لنعاين من العصابة خرج هولا الكفرة المتوحشون ومن اية مدينة ومن اي بيت حتى لا نقول من اي كهف ومن اي وعر ابل لا ينبغي لنا ان نتعب يا معشر السامعين في الفحص عن ذلك ها هو ذا قد علمنا جميعاً ان الناصريين اهل بلدته كانوا اول من تجاسر في مد يده عليه وطلب قتله انتبهوا ارهطا الباب ان يخجل اليوم جماعتنا البشر وذلك من الكارم المعروف حسناته رب ليت شعري كيف استطاع الناصريون المديونون للسيد المسيح اكثر من ساير اهل بلاد فلسطين ان يكونوا الاولين في اضطهاده والاقدام عليه بغضب مع انه كان منهم قد اتخذ لنفسه فيهم قد قصد ان يعزم ثروته الالهية لعمري ان هذا انهم نتاو ولا يوصف على ان هذا

البغض لو اظهره نحوه قبل الجميع اناس اخرون غربا غير منعم عليهم فيستحقا بل محكوم عليهم ان يكونوا رعاع الناس وارذلهم لكان يعذر كل احد عذرهم قليلاً ولا اذمهم ولكن بما ان الناصريين اهل بلدتنا المحبوبين منه ابغضوه واضطهدوه وقصدوا قتله قبل جميع البشر فهذا لعمري اثم عظيم قد جاوز حدود الاثام كافة ولكن اه واسفاه لانني ان كنت اذم الناصريين على صنيعهم هذا فقد كان ينبغي لي ان اذم معهم مسيحيين كثيرين سامعون يا معشر السامعين الحصار ان انتم كم من هولا لعمري اننا قد حصلنا اليوم في حال يرثى لها بهذا المقدار حتى ان المسيحيين المنعم عليهم من يسوع المسيح باوفر الانعام هم اكبر اعدائه ويبغضونه ويهينونه اكثر من غيرهم ولنتكلم مصرحاً من غير محاباة ونقول ان اوليك المتفضل عليهم بمراتب اشرف وصيت اعظم وغنى اغزر وحسب الكرم الذين يستهينون به غالباً بوقاحة ابلغ ويبغضونه تبسيا ثم اكثر من غيرهم فلنجعلن اذاً اليوم موضوع خطابنا عن هولا ونجعلهم مع الناصريين المنافقين ولنشبق على صيفة الاطلاق وبالوجه العام الذي يحل كم هو عظيم الخاص اثمهم هذا في عدم معرفتهم جميل ربهم حيث انهم يكافونه عن خيراته بالشرور

العدد

انني حينما عزمت على اثبات هذه القضية المذكورة نحو الاقد شعرت بنفسي نادماً على ما عزمت عليه لانه اين نحن موجودون يا ايها السامعون وفي اي مكان نحن متكلمون هل بين وحوش برية ام بين اناس ادميين هل بين برابرة ام بين مسيحيين على انه هذا الموضوع الذي قصدته اثباته انما يناسب ان نخاطب به جماعة ما يكونوا اما سوداً واما غبراً او تتلبين وما اشبه هاهنا من الوحوش الكاسرة وبالتالي اقول انه لو كانت هذه الوحوش قابلة المعرفة والنطق لكنت ابصر ولكنت نفسي على ان افهمها بقليل من البرهان عظمة اثم ذلك الذي ينكر حسنات المتفضل عليه وعوض خيره يجازيه شراً ولكن ما لي قلت ان هذا الموضوع انما يناسب جماعة ما يكونون متوحشة والحال انه بحسب ظني ولا لهذه الوحوش ايضاً تقضي بان تستمع مثل هذه التوبيخات اللازمة بل قد كانت اثبتت لي من شواهد كثيرة واخبار متعددة ان هذا الاثم اي اثم عدم المعروف هو عندها ايضاً منكر وممقوت وانما تعجب من ينعم عليها ولا تهينه ولا تؤذيه ولكانت من جملة الشواهد اوردت لي احتجاجاً عن نفسها شهادة سينكا الفيلسوف الذي قال هكذا ان الوحوش تعرف ايضاً الجميل المعمول نحوها ولو مهما كانت الوحشية برية وشرسة فانها مع ذلك تنقل افتراسها الى الاستيناس نحو من يحسن اليها ولكانت ايضاً اوردت لي ما ذكرتني به التسلط الذي جاز والذي

الكريه يحنو على السباع لانه قد كان تسلطاً باهراً بهذا المقدار حتى ان اهل بلده تسحكوا
انه لا يسوغ للانسان ان يعصى هذا الرجل بعد ان خضعت له الوحوش ولا تسلكها ولكانت
ايضاً ذكرتني تودد سبع ما في بلاد فلسطين لرجل جندي يقال له منتوديس السيراكوساني
وذلك لانه انتزع شوكة من رجله وكذلك لكانت خبرتني بخدمة سبع اخر في بلاد
افريقية لرجل اسمه اليدوس لانه استخرج من فمه عظماً كان انغرس ما بين اضراسه
وكان يوليه الى الاختناق ولكانت اعلمتني كيف ان ضبعة انتحت وهي في الغاب تودد عبر
رجلاً ما وذلك لانه حن على جحشيها واصعدهما من هاوية اجرتهما الصفار الذين كانوا
زجوا فيها اتفاقاً ولكانت ايضاً خبرتني بالشيء الذي انقذ من ايدي اللصوص في بلاد
اركاديا رجلاً يسمى توانتس لانه كان يطعمه وبقيته ومثله كانت اخبرتني عن ذاك الاسد الذي
حاول في روميه عن المحسن اليه وصانه من افتراس بقية الوحوش التي القي لها قصاصاً من اثامه
اما انا اذا انطلقت بمثل هذه الاخبار فما الذي كنت استطيع ان اجيبها به لعمري انني لقد كنت
استوعبت حياءً وخجلاً والتزمت ان اعود راجعاً الى هذا المنبر واهتف صارخاً بمنزلة من
اعتراه الهول والذهول قايلاً يا ايتها القلوب قلوب بني البشر وخاصةً يا قلوب المسيحيين هلم
وتعالوا نحوي لكوني قاصداً ان اقتادكم الى القفار والمغر والكهوف التي في الجبال لتتعلموا من
الوحوش معرفة الجميل مع ربكم على ان هذه اذا احسنتم اليها فتجيل طالبا انس اسيادها الى ودها نحوكم
وتسمع صوتكم وتطيع اموركم وتمشي في اثركم ولا تحدد اسنانها لتنهشكم حينما تبسطون يدكم
لتطعموها واما انتم فتجازون ربكم خلافاً لهذا فما الذي لم يفعله تعالى نحوكم من الاحسان يا ايها
الخطاة ليستلب منكم قلوبكم قولوا لي ما الذي لم يفعله فيها نحو تعالى وهو مستقر على عرشه لا يزال
من هناك معتنياً في الاحسان اليكم كانكم انتم بمفردكم اهتمامه وشغله ولم يكفه ان يدبر لوازمكم و
احتياجاتكم فقط لكنه اراد ان يشاهدكم حاصلين على خيرات وفايزين بلذات ايضاً كم من
الخيرات انعم الارض حباً بكم على اننا ان اخذنا نتكلم عن الحيوانات فنرى بعضها قد اعطاكموها
لاجل تنعمكم وبعضها لاجل خدمتكم والغروس بعضها لاجل فايدتكم وبعضها لاجل تزيينكم والمعادن
بعضها لاجل خدمتكم واستغنائكم وبعضها لاجل علاجكم وقد امر جميع العناصر ان تخدمكم وتعيشكم
في كل شيء يمكن ان تجتنوا منها نفعاً فلاجلكم وخيركم اقام ملايكته لكل من الافلاك ليعتنوا ويدبروا
حركتها ولاجلكم وبامركم تسير ليلاً ونهاراً كل عدد جزيل من المقدار من الكواكب والنجوم لانارتكم

وحراستكم

وحراستكم لم يعطوا دقيقة واحدة من الراحة للانهار والبحار لكنه اراد ان تكون هي ايضاً متحركة
من غير سكون لاجل خيركم وذلك اما في تروية حقولكم وخصبها واما لاجل انجاد للعرى غنمكم
او في نقل بضاعات تجارتكم او في اشباع هيامكم وبالنتيجة اقول انه جعلت مراحمه مقيم كل
المخلوقات في الحركة والعمل من اجلكم اما انتم فكيف تجسرون على ان تتهينوا وتسخطوه
بخطاياكم في ذلك الوقت نفسه الذي به يحسن اليكم بهذا السخا العظيم وكان ذلك قليل
تزدادون اثماً ونفاقاً حينما هو عز اسمه يزيدكم جوداً وسخاءً لعمري ان هذا يتبين لي انه
اثم عظيم يفوق الادراك فوقاً شنيعاً بهذا المقدار حتى انني لو وبخت الان العالم من جديد
وبعثت احداً حتى من اشرافهم يخبر في به لما كنت اصدقه بل كنت اجيبه قايلاً ان هذا كذب
محض او انه قلما يكون مبالغة من الواعظين لانه لا يمكن ان يبلغ الشر الى هذا الحد من
الجهل والكفر ولكن الاه واسفاه على انه ان اراد ان يقنعني بصدق كلامه من اخبار جميع
الاجيال السالفة حتى لو انني لكنت اضطررت ان اسلم مغلوباً واقر له انه يقول الحق
واليس انه من المعلوم المحقق دايماً كانت تزداد الناس شراً وكفراً عند حلول الخير والسعادات عليهم
اسمعوا كيف يشكوا الله تعالى على لسان ارميا قايلاً تعظموا واستغنوا سمنوا وتخنوا وبعد ذلك
ماذا فعلوا تعدوا بكلامي تعدياً شريراً واثباتاً لذلك تذكروا الاسرايليين فهولاء اذ كانوا
منغمسين بالضيق ومتعبين بحمل التراب والعمل في الابنية تحت رق عبودية المصريين استقاموا
مع الله تعالى امنين صادقين حتى انه على راي الاباء والعلماء ما ارتكبوا نوعاً ما من السجود للمنحوتات
اصلاً لكن بعد ان نجوا من هذا الاسر وابصروا البحار تخضع لهم وتفتح لهم في وسطها
طريقاً يعبرون به وعموداً يتقدمهم ورأوا السما تمطر لهم القوت من العلا في البرية والليل
يضوء لهم والنهار يظلل عليهم من حر الشمس والصخور تسيل لهم المياه ليشربوا والقفار
تخصب لهم وحينئذ ابتدوا ان يكسروا ويصيروا اثاماً ويحكموا على الشعوب ويستولوا عليهم
فحادوا عن عبادة الله عز اسمه بعصاوة شنيعة واخذوا يقدمون بخوراً للالهة
الكذبة تحت كل شجرة وينصبون لها المذابح فوق كل صخرة وبحسبما اخبر عنهم هوشع النبي
ايضاً بقوله هكذا ان اسرائيل جفنة مورقة بحسب كثرة ثمره اكثر مذابح بحسب خصب ارضه
ازداد اصناماً وشاول لما كان رقيباً للحمير وحارسها فكان متسامياً على الشعب بالاحتشام
والورع ولما ارتقى على سياسة الشعب حصل اقسى قلباً من جميع اليهود واوفر نفاقاً منهم وداود

قد كان بأسًا عنيفًا في ايام اضطهاد دقلديانوس ضد وجه اعدايه وحينما ثبت في ملكه مستريحًا
فنسق واجترم بخطية القتل وسليمن سجد للاوثان بعد ان افيضت عليه جميع الخيرات وعزيا
تعدى على حقوق الهيكل والكهنة بعد ان نال الصلح من اعدايه والسلامة ويوآش اضحى
متجبرًا متكبرًا بعد ان قدمت له الكرامة وحزقيا اضحى متكبرًا ايضًا بعد شفايه من مرضه و
شمشون انهمك في اللذة اللحمية بعد ظفره بالفلسطانيين وبالنتيجة اقول انه يكاد
وجد من حفظ في اوقات السعادة البر الذي كان متشبثًا به في ايام السوء وما هذا كله سوى
ما قلناه اي ان البشر يجازون الله تعالى المحسن اليهم بالشر والخطا واحتقار جلاله الالهي ولعمري
ان هولاء هم الذين قال فيهم ايوب البار انهم قالوا لله ابعد عنا ولكن في اي وقت عاملوه هذه
المعاملة الرديئة وابعدوه عنهم العليم فعلوا ذلك لما كان يحزنهم بالفقر ام لما كان يضربهم
بالامراض كلا بل كما قال ايوب ايضًا لما ملا بيوتهم خيرًا والمراد بهذا ان البشر لما كانوا في الضيق
او لما كان خيرهم من اسقليلا كانوا يحفظون معه الواجب ويكرمونه ويهابونه اما انهم لما
امتلاوا خيرًا وشبعوا حادوا عن طريقه ورذلوا الراحة قايلين ابعد عنا فاننا لم نعد نحتاج
اليك لان بيوتنا مملوة خيرًا فاعتبروا ما اتوى معنى كلام هذا البار وما اجمله اذ يخبر عنهم بقوله
ولكن ما لنا قد نلهو في بيان عدم معروف غيرنا بالله تعالى عن حسناته المنعم بها عليهم والحال اننا نقدر
ان نحكي نفوسنا بهذا الاثم ايضًا فليت شعري لماذا نتحول عن نفوسنا نحن المسيحيين الذين
اذا ادخلنا يدنا في جيبنا ثم اخرجناها كمثل موسى واذا هي برصا والمعنى المقصود من ذلك هو هذا
اي لعلنا نحصل ادرو اقدر من غير ناحية حينما نظفر من الله تعالى بالنعم والخيرات مثلًا هل اننا نعتبر
ان الله تقدس اسمه قد من علينا بنعمة فريدة اذا اخصبت غلاتنا وتوافرت زروع حقولنا لانه
لمن المعلوم المحقق اننا نحن نشوق ونطلب منه تعالى على مدى السنة ان تخصب حقولنا غلات جيدة
وتحمل كرومنا عنبًا وتينًا وتمتلي اشجارنا من الاثمار الشهية فحسنًا نفعل ذلك غير ان القديس باسيليوس
اسقف قيصرية يسال هنا قايلًا ترى ماذا نفعل اذا نلنا ذلك من الله حسب رامنا العلنا نضعون
مع تميني في خدمته وكرامته او فرحنا اما احسانا نسرع الى الكنايس لكي نقدم لله تعالى الشكر الواجب
امهل نفدي الهياكل من الهدايا العلنا نقسم منه جزا للفقراء او لما يسيف احسانا بتجدد اصلاح
سيرتنا امهل نزداد تقوى وورعًا نحو الله تعالى المحسن الينا لعمري اننا ليس لا نفعل من ذلك شيًا
بل نفعل بخلافه حسبما قال القديس المتقدم ذكره اي نزداد جنبًا بطرًا ونفسد سيرتنا الشنع فسادًا

العدد ٤

ونسى

وننسى الله تعالى ونفوسنا وعسانا تعرفون في اي شي نصرف همومنا وافكارنا بعد ان نكون قبلنا
من الله سبحانه هذه الخيرات اننا نصرفها في توسيع اهرائنا فقط وفي تكثير البيادر لحفظ الغلة
فيها وننسى الحيوة الاتية ونقول لانفسنا ما قاله ذاك الغني الجاهل المذكور ذكره في الانجيل المقدس
يا نفس لك خيرات موضوعة الى سنين كثيرة ومن ثم ما الذي يجب ان نفعليه كلي واشربي
وتنعمي وافرحي ونجد هو ذا قد آن اوان المدح وازدياد الصرف واللعب واللهو لاني قد جمعت
في الصندوق مبلغًا من المال والان قد حصلت لي الفرصة الملايمة والمناسبة لان اخذ الثار
من غريمي ذاك او ان اجتذب الى ذاتي تلك الفتاة او ان افرغ شهوتي المتقادمة من منذ ايام كثيرة
او ان استميل الى جانبي القاضي واعوانه بالرشوة وعلى هذا النحو نبلغ من التغالي الى هذا الحد
حتى اننا نستعمل انعام الله تعالى سلاحًا لنا نحاربه ونقاومه ومثل ذلك اذا ثارت علينا حروب
مزعجة ومخيفة فبعد زوالها وحصولنا على السلامة ترى ماذا نفعل اما نطلق العنان
لذواتنا في الجولان والتنزه مع اي شخص كان حتى في البساتين والبيوت والمجتمعات العالمية
وكذلك اذا نلنا الصحة بعد مرض عضال اما نعود راجعين الى عمل العشق والتدنيس بالشهوات
والاصرار على البغض والعداوات القديمة وكذلك حينما نكون في حال متوسطة من الرتبة
والكرامة فنكون نحو الجميع متواضعين وذليلين ونعطي لكل ذي حق حقه واكرامه لكن متى
تفضل الله علينا برتبة او وظيفة اشرف واخذت الناس تحترمنا من قبلها وتلقبنا باسما اعظم
واشرف فالوقت ننتفخ ونرفع روسنا ونتسربل برداء التكبر ونحتقر مودة قرنايا وربما اننا نستحي
ايضًا ان نظهر في الكنايس بذلك التذلل والتواضع والاحتشام الذي كنا سابقًا متصفين
به ثم اخبروني ايضًا قايلين في اي شي نصرف العلم الذي اعطاناه الله تعالى [illegible]
ويفيد القريب اليس اننا نصرفه في تاليف الاغاني والقصص العالمية الباطلة وفي اي شي نشغل
العقل الرزين بالحكمة الذي خصنا الله تعالى به لنعطي المشورات الحميدة والتدبير الصالح اليس
اننا نمارس به الدسايس المؤذية والتدابير الناتج منها ضرر اخوتنا وفي اي شي نستعمل القدرة
التي خولناها الله تعالى لنمارس افعالًا جيدة لخير الجمهور سوى في المظالم القاسية والاختلاسات
النفاقية وما بالنا نسهب الكلام في ذكر سوء استعمالنا الانعام اسفرادًا فردًا والحال ان القديس
ايرونيموس اختصر القول وقال شاكيًا اننا نطيع بالصمت لكي تكمل شهوتنا الدنسة ونحمل
الغنا الى العيش الرغد ونشبع صيتنا بالتردد الذميم اما هذه مكافاة يستحقها بذل الخير

س

ت

لعمري اننا بهذا نصنع نظير ما صنع احد قواد الجيوش ذلك المسمى اريبانوس فهذا قد نال
من كريسبوس الملك ذهباً وازهبة وبجانا ولكن بعد ان حصل عليه ماذا فعل به هكذا
فعل وهو انه اصر في استجاد جنود ليجمع منهم عسكراً ويحارب كريسبوس ملكه المحسن
اليه اي نعم هكذا نحن نفعل اي اننا نستعمل مواهب الله تعالى ونعمه لنحاربه بها وبهذا نتم فينا
ما قاله اشعيا النبي بنبوته هو شعب انا قويت اذرعهم اما هم ماذا فعلوا فكروا علي بالسوء بالحقيقة
انه هذا ليتم بنا هذا الاثم الشنيع اي اثم عدم المعروف وهو سالك ودارج هنا كثيراً واذاً لا
حاجة لنا ان نجاهد ونتعب وفي تحقيق الامر نقول ان كان عدم تقدمة الشكر لله
تعالى عن احسانه تعالى الينا او انكارها او اخفاها او تناسيها فقط هو خطأ يستحق العتاب فليت
شعري ماذا نقول في استعمالنا اياها للمخالفة والاهانة افتكروا يا ايها السامعين الاحباء كم يكون
عظم غضبكم على من يلطمكم على خدكم لطمة وجيعة حينما تقدمون له هدية او يطعنكم
بحربة في الجنب الذي فيه انقذتموه من الموت وهذا الغضب تتقدون به ليس على من
يعاملكم انتم بهذه المعاملة الرديئة فقط بل على من تعاينونه يعامل بها غيركم ايضاً حتى ولو
كان ذلك غريباً منكم وغير معروف عندكم ومن هنا لم يستطع القديس زينون ان لا يغضب
على شاول الملك الذي قصد ان يقتل داود في الحين الذي كان يجتهد فيه بقيثارته ان يشفيه
من وجع الانصراع ومثله غضب القديس يوحنا الذهبي الفم على اخوة يوسف لانهم تشاوروا
على قتله لما كان حاملاً اليهم الطعام اما انا فاني اورد لكم خبراً آخر غير معروف عندكم جميعاً و
اريدكم ان تكونوا في مقام القضاة وتبرزوا الحكم بعد ان تسمعوه فيها انا اريد ان اتقلد الان
وظيفة المشتكي واقدم لكم ملكاً مذنباً واعرض عليكم امره لتقضوا بحسب قواعد الشرع
الصحيح وهذا هو الخبر اي ان باسيليوس الملك لما كان في مدينة القسطنطينية خرج يوماً
الى صيد الوحوش ولما دخل غابة كثيفة صادف ايلاً كبيراً ضخماً جداً فاقتحم عليه واوقف
ورفع الحربة ليطعنه بها ويقتله الا ان الايل استدار ونجى من الطعنة بخفة عظيمة ثم انثنى
راجعاً وهجم على الملك وغرز قرنه في منطقته ورفعه الى فوق وكاد ان يفترسه فاتفق ان
واحداً من اعيان دولته وكان قريباً منه فلما ابصر الخطر الذي حصل فيه الملك ركض بنشاط
وسحب السيف وقطع بشجاعة حميدة منطقته ونجاه من الموت فلما عاد وقصد الى
المدينة وشاع الخبر بما فعله الرجل المذكور من الخير مع الملك طفقت تتوارد الناس اليه بنوع

على

العود

على حسن ما تتقوله من صيانته للملك ونجاته من الموت وكان منهم من يظن ان الملك
عتيد ان يقبل جميله ويرقيه الى اعلى مرتبة او يوليه على مدينة ما او قلما يكون يودعه اعز
ودًّا ويفضله على الاخرين بالاكرام والواجب واخرون كانوا يبشرونه بهدايا وافرة تورد
له من الملك وغيرهم يتحدثون عليه بان الملك سيشرفه في الزواج مع احدى بنات عظماء
دولته وغيرهم يتنبأون بان الملك لعتيد ان يلقبه بملاقب شريفة جليلة واعظم فخر اما
الملك اذ لم يحتمل ان يرى ذاته مديوناً لمن كان ادنى منه مقاماً ونسباً وذلك نظير عادة
اردياء كثيرين من المرتفعين في الوظايف والمراتب العالمية ايضاً فهكذا فعل وهو انه دعا حالاً
الجلاد واختلق حجة في ان ذلك الرجل تجاسر وبسط يده على شخص الملك وبهذه الحجة اللعينة
امر ان يمضي فيقطع راسه في احد شوارع المدينة وهكذا تم حتى ان الجميع ادركهم الذهول عند
مشاهدتهم ذلك الذي ظنوا انه استحق عند الملك ان يشركه في الملك صار رجيماً مقطوع الراس فهذا
هو الخبر الذي قصدت ان اورده لكم فاجيبوني الان ما هو رايكم فيه اما شعرتم يا افيدتكم انها قد
انزعجت عند سماعكم اياه على ان المورخين الذين دونوه في تواريخهم لم يزالوا الى الان يذمون
هذا النفاق المستغرب متحيرين ومندهلين وانتم كيف يتبين لكم ترى لو كان هذا الملك الظالم
الجاحد المعروف حاضراً امامكم واعطيتم السلطان عليه فاي عقاب كنتم تقضون به عليه لعلكم
كنتم تستطيعون ان تضبطوا انفسكم من الاقتحام عليه وتمزيقه باظفاركم وتهشيمه بانيابكم
وتفصيصه اربا اربا باسنانكم لا اظن ذلك فانا انطق بالحق قايلاً انني في حين تلاوتي المرة
الاولى هذا الخبر احتد دمي في جسدي واضطرب فوادي لانني وان كنت عارفاً بما تقدم من ابن
سيراخ فقاله وهو ان الذي يجحد الشكر يترك مخلصه الا انني لم اكن اصدق انه يبلغ الى هذا
الحد من النفاق ويقتل مخلصه وايضاً يبيده لان هذا اثم وظلم لا يوجد اقبح منه من جميع اصناف
الاثام والمظالم وان كان ذلك كذلك (يا ايها الاله الودود المظلوم علمني كيف اتكلم في اثبات ذلك)
لماذا اذاً يا ايها المسيحيون تختلف فيما يخص الاستحقاق عن رايكم فيما يخص الشر انما صنع ربكم معكم
مثل هذه الحسنات لكن ما لي قلت مثل هذه الحسنات فالاولى ان اقول ان ما صنع معكم اعظم منها بلا
انتهاء لان الاحسان الذي صنع مع باسيليوس الملك لم يكن سوى انه نجاه من خطر الموت الوقتي
عليه اما المسيح فكم من مرة انقذكم من نظير هذا وكم من الاخطار جازت عليكم في مدة حياتكم الى
الان في البر او في البحر او في النار ومنها قد وردت عليكم من الوحوش او من الناس او من الاماتة

او من على اخر كنتم والبس انكم كنتم لما ان تحترقون في قروحهم لو اذن الله الحي فقط ان يخفف عنكم
او للبلغ ان يسدد عليكم الطريق للنفس او للكلمة ان تنفي حكم او النقمة ان تنزل على تبلبكم لما هو
جلت رحمته فلم يصنع معكم شيًا من ذلك لكن رحمكم واحسن اليكم واخذ سلاحًا وترسًا بحنانه
المحامي عنكم ورد عنكم جميع الموجات التي هجمت على راسكم من كونه لخادمته العدل الالهي
وقام لمعونتكم واما انتم فما هو الذي جازيتموه به اسمعوا بما ذا انكم تتهمكم في بولص الرسول
الالهي اذ قال انكم اخذتم بايديكم المطرقة والمسامير وصلبتم ثانيةً ديانكم بنفاق مريع
وسمرتم على الصليب يسوع المسيح ابن الله وبعد هذا لا تستوعبون خوفًا وخجلًا او لما
تحترقون غيظًا وسخطًا على انفسكم مثلما احتميتم قبل هذه قبيحين على باسيليوس الملك ولكن لا
تقتلوا قايلين ان هذه هي عبارات مار بولص صادقة في المجاز غير انها لا تصدق في العمل لانكم
انتم ما صلبتم ولا قتلتم ابن الله البتة في جميع حياتكم فعن قولكم هذا اجيبكم بهذا السوال قبلًا
قولوا لي ما هو رايكم في الناصريين الذين افتخاعظنا بخبرهم العلماء لعدم نيلهم اليوم ما عزموا
عليه من قتل السيد المسيح من حيث انه توارى عنهم بغتةً قد تبرروا من خطية قتله ام انهم
صاروا بالاحرى مذنبين بهذه الخطية كانهم قتلوه حقًا حيث انهم فعلوا من ذواتهم حسبما
استطاعوا عليه ليقتلوه وهكذا انتم فحقًا انكم لا تقتلون ابن الله لكونه متمتعًا سعيدًا في السما
غير مايت وغير قابل التالم لكن مع ذلك جميعه تعدون مذنبين بخطية قتله كل مرة تخطيون خطاة
مميتًا ولاي سبب فالسبب هو ما اورده القديس توما المعلم الملايكي اي لانكم بخطاياكم تعودون
وتجددون السبب الذي كفى لصلب يسوع ابن الله وقتله وهو الخطية بمجرد ذاتها وهذا نفسه
هو نص القديس المتقدم ذكره من تفسيره صح من الرسالة الى العبرانيين القايل هكذا ايها
انت تخطي تقدم سببًا في نفسك ليصلب المسيح ثانيةً ولكن هات نسلم لكم
ما تقولونه فمع ذلك جميعه اسالكم يا ايها الخطاة ان تظهروا لي ما هي المكافاة الصالحة التي تكافون
بها يسوع مخلصكم عن هذا المقدار من النعم التي يسديكموها العلي لا توجد عندكم سوى هذه المكافاة
فقط وهو انكم لا تتصلون المصلوب وتقتلونه حقًا فان كان هذا الاثم لا يمكنكم ايضًا ان تبلغوا اليه
لانه كما تقدمنا قلنا فالاصح ان المسيح غير مايت وغير قابل للتالم الا انكم تصنعون معه
ساير الشرور التي تقدرون عليها اي تجدفون على اسمه القدوس وتستهزون على عنايته الالهية
وتتجنون على عبيده وتزدرون بكهنته وتنجسون كنايسه وتتوطاون وصاياه اما هذه فنعمها

العدد ٦

هي خصال الخطاة غالبًا وخلاتهم الردية وبهذه يكافون ربهم ومخلصهم المحسن اليهم فيا لهما
من قساوة شنيعة بل كلية الشناعة نحو ربهم ان اهل مدينة بيت فالوا لما ابصروا يهوديت
الشجيعة انقذتهم من الذي كان موقعًا عليهم من عسكر الاثوريين فما اكتفوا بهذا فقط تطويبها
وهو ان لا يقتلوها لمعرفتهم جميلها معهم بل الكتاب الالهي يخبرنا قايلًا انهم باركوها كلهم
بصوت واحد قايلين انت شرف اورشليم وفخر اسرايل وبهجة شعبنا ثم انهم قدموا
لها هدايا كثيرة واحترموها احترامًا جزيلًا ولما ماتت فيما بعد ناحوا عليها سبعة ايام مناحة
عظيمة وكذلك فرعون ملك مصر ما كفاه بان لا يقتل يوسف الذي تقدم واعلمه بروح النبوة
بالغلا المستانف واهداه بحكمة عظيمة كيف يدبر نفسه وشعبه في الجوع اللايم قبل حلول
المجاعة لكن رقاه الى اعلا مراتب مصر واقامه وزيرًا له في الملك ومثله ما اكتفى احشويرش
الملك بان لا يقتل مردخاي الذي اظهر له بامانته وافرز الكمين المخفي المدروس عليه ليحيي فيه نفسه
قبل ان يسقط فيه لكن رفعه الى اشرف مناصب بلاد الفرس وعلى الاطلاق اقول انه ما من احد
من الناس غالبًا اكتفى بان لا يصنع معروفًا اخر مع المتفضل عليه سوى هذا وهو ان لا
يقتله لان هذا المعروف هو نعمة يصنعها اللصوص ايضًا مع اوليك الذين ينهبونهم
ويعرونهم من جميع امتعتهم اما انتم ابهذا تكتفون من المعروف فقط نحو ربكم اي ان
لا تقتلوه وكانكم بهذا تبررتم من الدين الكثير الذي له عليكم عن هذا المقدار العظيم من النعم
التي يسديكموها ومع ذلك لا تستصعبون فيما بعد ان تخالفوه وتشتموه وتمرمروه وتجدفوا
عليه وتجعلوا ازدراءكم وبحدكم في احتقاره والاستهزا به ولماذا تجازوا ربًا صالحًا ودودًا
هذه المجازاة الشريرة وقد قال بهذا الصدد الذهبي فمه في الميمر ٦ هكذا انني لعالم
جيدًا انه لو يصنع معكم انسان نصف الحسنات التي يصنعها الله معكم لما كنتم تتجاسرون
ان تغيظوه حتى ولا باصغر الهفوات بل قد كنتم تبذلون بجهودكم في ان تقدموا له احسن
الخدمة وادقها كم كنتم تحبون الانسان لو كان يعطيكم تلك الاملاك الحسنة التي تفضل الله
تعالى بها عليكم والغنى منها امنا لكم وكذلك لو منحكم انسان هذه الصحة المتمتعين بها من جودة
ربكم او لو يعد انسان بحياتكم هذه التي حافظها لكم ربكم لو فور رحمته كم كنتم تقرون بنفوسكم انكم
مديونون له وكم من معرفة الجميل والشكر كنتم تظهرون له فلماذا اذًا لا تسلكون هكذا مع
الله ربكم بل تغيظونه كل يوم اسبابًا لان يشكوا منكم على لسان اشعيا النبي قايلًا انني ربيت

بنين ورفعتهم رتبتهم بمواهب طبيعية كثيرة ورفعتهم بانعام سماوية متعددة وهم
اشتموا نوني العله فيسهل عليكم ان تعرفوا جميلاً اكثر مما تعرفون جميل ربكم فاذا كان ذلك اسهل
عليكم فالاولى بي اذاً ان اصمت واعرض عن الحزن والشكوى من شرارتكم نحو ربكم لكن
هذا هو الامر الردي الذي لا تشنع به ايها السامعون وهو اننا نعرف جميل الناس مع ان ذلك يقتضي
منا تعباً ونفقة وخسارة غالب الاوقات وننكر المعروف نظراً الى الله تعالى والحال ان عمل
المعروف نحوه عز وجل سهل جداً ولا يلزمنا بتعب ونفقة الا ويعوضنا عنها اضعافاً كثيرة
لا تحصى ... لقد نهى الله تعالى العبرانيين في السنة العتيقة عن ان يقدموا له سمكاً
في الذبايح فمن منكم يعرف سبب ذلك اما ان السمك ذو لحم فاخر لذيذ المذاق ومغذي الاجسام
نعم انه كذا لكن صيده صعب ويقتضي تعباً جزيلاً ولاجل ذلك افرزه الله تعالى عن الذبايح
لانه جلت مراحمه لا يريد منا سوى الاشيا السهل علينا ايجادها ومن هنا تفهمون ايضاً ما هو
السبب الذي لاجله لم يطلب الله في العهد القديم ان يقدم له ذبايح من تلك الحيوانات
الاخر التي يقتضي صيدها تعباً اما في الغياض او في الغابات لكنه اراد ان تقدم له الحيوانات
المدنية نظير العجول والبقر والغنم والخراف ومن الطيور لم يطلب سوى الحمام واليمام الوديع
والسبب انما هو ليفهمنا انه ليس هو مولى متغطرساً ويكلف عبيده بل يكتفي منهم بالاشيا السهل
عليهم ايجادها وتقديمها خلواً من تعب وان كل شي يقدمونه له من جري معرفة جميله و
احسانه ولو كان زهيداً فيقبله ويرتضي به لانه ينظر خاصةً الى حسن القلب كقول ماري
بولص الرسول الالهي هكذا ان كانت المشية مستعدة فهي مقبولة بقدر ما لها فمن هنا
من الاذى لان اظهار المعروف لله تعالى عن حسناته ليس هو امراً عسراً شاقاً كما يتفق في صنيع
المعروف مع الناس الذين من كونهم مستكبرين ومتغطرسين وطامعين وشرهين لا يشبعون
من الاكرام الذي نقدمه لهم ولا من اظهار المودة والاعتبار ولا من اسداء الشكر لهم فقط بل
يحدقون الحاظهم نحو اليد المملوة لا الى القلب فتصوروا حال التلميذ وهو يخاطب معلمه او
صاحب الدعوى يخاطب وكيله او العليل طبيبه فيقول التلميذ لمعلمه يا مولاي اني عارف افضالك
ومقرٌ بها ولاجل ذلك اشهد على نفسي انني ساعتبرك واحترمك واكرمك سراً في نفسي وظاهراً
تجاه الناس ولست اخالف ارشادك في الدرس وصاحب الدعوى يقول لوكيله انني لا اتجاوز
الحدود التي تفرضها علي في الدعوة الشرعية والعليل يخاطب طبيبه هكذا انني لا اخالف

العدد ٧

امرك

امرك في المداواة الطبيعية فبعد ان تتصوروهم يقولون هكذا نحو اربابهم فافتكروا هل
تراهم يكتفون بهذا فقط من تلاميذهم اعني المعلم من اجيره والوكيل من صاحب الدعوى
والطبيب من عليله حاشا بل يطلبون فضلاً عن ذلك اجرة لانفسهم ويرغبون هدايا
وعطايا اما الله تعالى فيكفيه من التي يطلبها ما لا يكلفنا شيئاً فانه جلت جودته لا يطلب منا شيئاً
اخر سوى حفظ وصاياه التي فرضها علينا لاجل خير انفسنا حسبما شهد هو تعالى بفمه الطاهر
قايلاً ان اردت تدخل الحيوة احفظ الوصايا بل الذي هو ابلغ من ذلك هو انه عز اسمه لا
يرغب ان نمارس من الفضايل سوى تلك التي هي في مكنتنا واستطاعتنا بالسهولة مثلاً ان
كنت فقيراً وعاجزاً عن ان تفي الله المحسن اليك بالصدقة فيكتفي منك ان تفيه بالصوم وان
كنت مريضاً وعاجزاً عن ان تفيه بالصوم فيقبل منك الصدقة وان كنت عاجزاً عن هاتين
الاثنتين ايضاً فيرضى منك ان تعوض عن عجزك هذا بالقناعة في معاشك وتهذيب
خصالك والاحتشام في مسيرك والتضرع في صلاتك وعلى الاطلاق اقول ان الله يكتفي
بالشي الذي ولا واحد من الناس غالباً يكتفي به وهو ما قاله القديس اغوستينوس في خطابه
ع ٢١١ في الزمن اي ان لا نحتقره ونستهينه والمفهوم من ذلك انه يكتفي بالمحبة والاكرام
فقط ومع ذلك جميعه من لا يتمزق تحسراً واسفاً عندما يتامل ان هذا القليل ايضاً لا نريد
ان نقدمه لله تعالى لنصنع معه المعروف بل نتفق احياناً ان نفضل عليه كرامة الناس كان
تلك الحسنات التي تاتينا منهم ليس مصدرها منه تعالى بما انه العلة الاولى لجميع الخيرات
فمن هنا قد اصاب جل ثناوه اذ يشكو من البشر على لسان هوشع النبي قايلاً انا قد فديتهم اي
انا فديتهم من الفقر وفديتهم من الامراض ومن الجهل وفديتهم من جميع اصناف الشقا التي
كانوا مغموسين بها وهم تكلموا علي بالكذب بحيث انهم نسبوا لغيري الحسنات التي
قبلوها مني اي الغنى والصحة والعلم والمراتب وما شاكلها من ساير الانعام والمواهب فيا لسوء
حظنا ويا لعظم شقانا نحن الذين نعامل الله بعدم المعروف لعمري ان هذه الاهانة الصادرة
منا ضده تعالى هي اهانة عظيمة لم يسمع بمثلها قط ومع ذلك جميعه لنا ان نزيد
على هذا ونقول ان تفضيلنا الناس على الله عز شانه في معرفة الجميل ربما انه كان يخف
اثمنا وجرمنا لو لم نفضل عليه الحيوانات ايضاً في صنيعنا المعروف معها ألا تستغربوا ألفاظي
هذه يا معشر المسيحيين الاحبا لانها صادقة وانني مستشعر بقلبي يتمزق الماً وتحسراً عندما

العدد ٨

اتاملوا ايضا هذا العظيم الباهر والتزم ان اورده لكم فاجيبوني ايها الاخوة الاحبا ما قولكم في
الذيلب التي هي وحوش ضارية وممقوتة بهذا المقدار فهذه مع كونها هكذا حظيت باكرام
بليغ من المصريين وذلك لانها ارعبت حينا ما بعض اللصوص القبليين من بلاد الحبش و
هزمتهم صادفة من حقول مصر التي كانوا دخلوها رغبة في النهب والسرقة وكذلك القطاط
والنيران المسماة الهندية والعقبان وغيرها من الطيور الخاطفة المسماة باللغة المصرية
بيبديه فهذه ايضا قد صار لها اكرام ايضا فوق المذابح ويقدم لها من المصريين البخور والسجود
كالاصنام اما القطاط فكرموها وبجلوها لانها كانت تبيدهم ضد لدغ بعض حيات
وحشرات مسمة تؤذي الناس ومواشيهم اما النيران الهندية فلانها كانت رصدا ضد التمساح
فتهزمه عن حقولهم اما العقبان لانها كانت تخرب اوكار العراقات المستولية على حقول مصر اما
سائر الطيور البيبديه فلانها كانت تمنع عن الوصول الى اراضي مصر نوعا من الافاعي الطيارة
التي كانت عند دخول فصل الربيع تطير من برية بلاد الغرب الى نواحي مصر فهذه الحيوانات
والطيور قد صار لها اكرام وكان يقدم لها البخور من اهل مصر اظهارا للمعروف عن الخير القليل
الذي كان ينتج منها اليهم مع ان ذلك لم يكن خيرا يستحق اظهار المعروف لان الحيوانات والطيور
المذكورة من كونها عادمة المعرفة والنطق لم تكن تفعل الذي تفعله ايثارا لمنفعة اهل مصر
ومع ذلك فقد عرف المصريون جميلها واكرموها اما الهنا المحسن الينا احسانات لا تحصى
افما يستحق ان نعرف جميله ويناله منا شكرا على حسناته قلما يكون بلا نعرفه ونهينه ولكن
ما حاجتنا ان نذهب الى مصر ونرى كيف ان المصريين عرفوا جميل البهايم ايضا والحال انه يمكننا
ان نجعل نفوسنا من اكرامنا البهايم ومودتنا لها لاجل معرفتنا بالجميل المتصل الينا منها اجيبوني قايلين
اما نحن نحن حتى الى الكلاب لانها تحرسنا وتحفظ بعضنا بالامانة اما نود الخيل لانها تحملنا واذا
تكلمنا على صيغة الاطلاق فنقول اما نعتبر البغو والاثوار والقساوة على اية بهيمة كانت اذا
اذيناها حيث انه لم يكن نالنا منها اذى بما نقدر نذكر عن شابع اتينا انهم انزلوا واحدا من عظما
المدينة عن كرامته لما بلغهم انه طرد عنه عصفورا ارتمى في حضنه بغتة ليحتمي من الطيار اللاحق
المنقض عليه ليفترسه فلماذا اذا نتناسى نحن ستحقا بمفرده ولا نقدم له المودة ومعرفة الجميل الحال
انه جلت مراحمه ليس لا يؤذينا فقط بل يحسن الينا احسانات فريدة لا تعد ومع اننا لما نكتفي
بعدم معرفة الجميل فقط بل اننا علاوة ذلك نجعل اهانته تعالى ولما نقدر عليه لذة لنا ولكن الويل

لي اذا انه ينبغي لي ان ارفع وجهي برداء الحيا من حيث انني تنازلت الى ان انظم البرهان
في عدم جميل الله سبحانه من قياسنا هكذا دنية حقيرة مع ان القديس ايرونيموس هكذا يقول
انه لما نماثل مثل الكبار بالصغار فهذا التماثل بالصغار يشين قيمة الكبار ولكن ما الذي
يمكنني ان افعله اما هو حق كلما قلته فماذا اذا تقولون ايها المسيحيون الاعزا ماذا تجيبوني
من اين تصدر مكافاتكم هذه الردية لربكم الطالما تصدر من هذا الباب اي من اجل انكم
هو هو الذي يحسن الينا ونحن لا نريد ان نقر انه هو المحسن الينا اي نعم اذ هذا هو السبب
في عدم معرفة جميل الله عز اسمه كما يتلخص من قوله تعالى نفسه في نبوة ملاخيا حيث قال
انني احببتكم قال الرب وقلتم في اي شي احببتنا فالسوء وحده هو ذاك الذي لا نحب ان نعرف
احساناته ولكن يا للعجب كيف اننا نعرف احسانات الناس بل نعرف حتى حسنات البهايم
ايضا اما الهنا وحده فننكر حسناته وليس هذا فقط بل نحصل منافقين واردياء ومبينين عظم
الالهية بعد اقتبالنا احساناته فان كان اذا الحسنات ليست كافية لان يكتسب بها محبة
قلوبنا رحم اي شي عادله غير هذه ليربحها منا تكلموا يا ايها الخطاة مماثلي وقولوا لي باي شي
يستطيع الهكم ان يربحكم لغير طريقة الحسنات فهو جلت رحمته يسرى في طلبكم دايما ولا
يتوق الى شي اخر دونكم ولا يهتم في شي اخر سواكم ظانا بانكم تنعطفون اخيرا الى محبة من يحبكم
بهذا المقدار لكن من اجل ان امله هذا خاب فيكم فما الذي تبقى له ان يصنعه معكم اتريدون
ان يغير معكم السلوك الذي سلكه الى الان منعما ومتفضلا عليكم اتريدون ان يكف عن مراحمه
لكم وعن احساناته اليكم ويهملكم ان تتجهوا الى الخراب والهلاك لا يكن ذلك ايها السامعون
لا يكن ذلك اه وا اسفاه يا ليتكم كنتم تفهمون كم تغيظون الله تعالى وتحزنونه اذ الزمتموه
ان يهملكم وينقطع احساناته عنكم ليت شعري ما هو السبب الذي تظنون انه لاجله يعرض
الله سبحانه ويكاد جدا من عدم معروفنا جميله فان قلتم انكم تجهلون ذلك فاجيبكم قايلا
ان السبب قد اظهره لنا القديس برنردوس في خطابه في سفر النشيد قايلا ان السبب
هو هذا وهو لان عدم معروفنا الحسنات الله تعالى هو بمنزلة ريح السموم يجفف هذه الارض
الخصبة جدا اي قلب الله الرؤوف المنعطف دايما الى ان ينعم علينا ويحسن الينا ومن ثم
ان تلوتم سفر الزبور الالهي تعاينون ان الله تعالى يشكو جدا في المزمور ٤٣ من اوليك الذين
يجازونه بدل الخير شرا وليس يشكو منهم من اجل انهم يختلسون منه خيرا اما ولاجل انهم

يستهينون به الى انهم يشمتون به بل يشكونهم من اجل انهم يعقون نفسه بعدم معروفهم حسناته
ويكفنون عن ذواتهم تبع انعامه قايلاً جازوني بدل الخير شراً واعقموا نفسي فاشد ذكم الله
اذاً يا ايها المسيحيون الاحباء ان تصغوا لمقالي ولندع الهنا ان يحسن الينا بقدر ما يشاء ويجب
ولذلك فلنبتدي من الان نصلح عدا ان نظهر له عز اسمه معروفنا وذلك بالشكر له على
الحسنات والانعام التي اسداها الينا فيما مضى

القسم الثاني

العدد ٥

انني لم استغرب في حياتي قط شيئاً ما بمقدار ما استغربت ما قرأته في كتاب تواريخ ارودوتوس فهذا
المورخ القديم قد اخبرنا انه وجد في العالم شعوب يعادون الشمس بهذا المقدار حتى انهم
في حال بزوغها كانوا ينهضون تلقاها بغيظ وغضب عظيم ويشتمونها ويتناولون حجارة
ويرشقونها بها وما عدا ذلك فكانوا يعملون سهاماً ايضاً ويرشقونها بها كالمجانين المخاطرين
العادمين الرشد لفرط الغضب ولكن ترى من هم هولا الشعوب هل الشماليون المتركون من
خير الشمس اكثر الايام بحيث انها لا تشرق على اراضيهم الا نادراً وبالنتيجة لا يتصل اليهم
نفع من تاثيراتها الا قليلاً ويتمتعون بضيا اشعتها اقل من ساير شعوب الارض كلا بل ان
هولا بعكس ذلك كانوا يصنعون اكراماً جزيلاً مع الشمس لانه في حال شروقها عليهم كانوا
يخرجون من بيوتهم ليكرموها بالات الطرب كالدفوف والطبول والابواق والقيثارات
وما ضاهاها اما الشعوب الذين كانوا يبغضونها كما مر القول فهم الذين يكون سيرها
اقرب اليهم وتخصب معادنهم بالفضة والذهب اكثر مما سواهم وتملا بحارهم مرجاناً و
لولواً واقرب اعني بهم شعوب بلاد اتلنتيا المصاقبة اليمن فحقاً يا ايها السامعون انني لما
قرات صنيعهم هذا استغربته كثيراً واعتبرته صنيع شعوب مجانين وعادمي العقول
وناكري الجميل مع من يحسن اليهم غير انني اسالكم ان تتركوا الحق ولا تنكروه اما يبان لكم ان عدم
معروفنا مع استحكام شرورنا في هولا الشعوب الوحشيين لعمري اننا نحن ايضاً نصنع
صنيعهم مع الهنا الرووف المتفضل علينا وقد اثبت ذلك القديس غريغوريوس الكبير
الحبر المعظم قايلاً ان اوليك الذين يستفيدون خلافاً لاستحقاقهم اغزر غنا من كرم الله
وبغاية النعيم يرتفعون ضد الله اكثر من غيرهم ومعنى كلام القديس هو هذا اي ان الذين
ينتج الله بيده السخية نحوهم ويخولهم خيرات وانعام وافرة فيا سوف اليه بخطاياهم

وينكرون

وينكرون جميله باعظم شناعة ممن لا يقتبل منه تعالى خيرات بمقدارهم ولكن ترى ما هو سبب
عدم معروفهم هذا الكلي الشناعة وعدم ربهم المحسن اليهم فاقول انه ما عدا ما ذكرته
في القسم الاول من عظتنا هذه فقد رايت له سبباً اخر خصوصياً الا انه ينبغي لكم ان
تصغوا لخطابي جيداً لتفهموه حسناً وهذا السبب قد استنتجته من الناصريين
الذين انكروا حسنات السيد المسيح الذي اتاهم من الله ليخلصهم واضطهدوه بل
قصدوا قتله ايضاً كما سمعتم من فصل انجيل هذا الصباح فاذا اردنا ان ندقق بالفحص
ونعرف ما هو السبب الخصوصي الذي بلغ بهولا الناصريين الى هذا الاثم الواهي اي انكار
انعام مسيحهم واضطهاده وبغضهم له بهذا المقدار فانما هو هذا وهو انهم شكوا به
واعتقدوا بانه لم ياتهم كالمحب لكن بمنزلة خصم وعدو وربما ان كلامي هذا هو مبهم لديكم
ومن ثم ها انا اورده لكم صريحاً من شهادة المعلم الجليل مالدوناتوس احد مفسري الانجيل المقدس
فقال هذا المفسر النبيل ان اهل الناصرة لما سمعوا يسوع المسيح المخلص يونبهم على جرايرهم
وسوء امانتهم بين تعالى مع كونه اتاهم من الله حسبما كان اوعد به على افواه الانبيا فشكوا
وخافوا من انه يتهددهم بانتقال الديانة الحقيقية من امة اليهود الى الشعوب الوثنيين
ومن قبل ذلك تهيأوا على اضطهاده وقتله كانه كان عتيداً انه يرفع عنهم النعمة التي
كان اعطاهم اياها فهذا اذاً هو السبب الذي يجعلنا مرات كثيرة نضحي غير عارفين حسناته
تعالى بل ناكرين جميله علينا لانه يخطر في عقولنا انه يريد يختلس ما هو لنا كانه لم يكن
في امكانه على حد سوى انه لا يعطينا ما قد نخاف بان ياخذه منا ولنوضح هذا المعنى
بالامثال فنقول على اننا مثلاً نرى اباً قد ظفر فيه تعالى جلت مكارمه بجنين احسن مما في خاطره
ومع ذلك عوضاً عن ان يعرف انعامه تقدس اسمه عليه وتربيهم بحسن الديانة وخشية
الله فيطلق لهم العنان ويبعدهم عن الدرس فيما يوافق خلاص انفسهم وانما يكون السبب
في ذلك خوفه من ان ينعطفوا الى التقوى والزهد في السفليات ويتركوا العالم ويترهبوا
ومن ثم ياخذهم الله عز وجل اليه بعد ان يكون اعطاهم اياه ويحرمهم الخدمة وتعاينون
ايضاً رجلاً نبيلاً حاز من جود ربه رتبة او وظيفة ما يحصل له منها ثروات وعلا ينفع كثيرة
ولكنه انه يابى من ان يصنع معروفاً مع الله سبحانه وينفق منها جزءاً من ثرواته في رضوانه
تعالى بل انما يقسي قلبه نحو البايسين ويظلم عبيده ويتناسا ان يستفقد الاديرة المحتاجين

ولو بقليل من الصدقة وانما يفعل ذلك خوفاً من ان يسقط فيما بعد في العازة وينقرم الى ما
اغناه به فان هذه هو السبب لقلة معروفنا الحسنات الى تعالى احياناً كثيرة اي لاننا نتوهم
خصماً للناس بعد ان يكون قد اعطانا كل ما يوجد عندنا من الخير غير انني اوردكم الحق قايلاً انه
متى ما دخل هذا الوهم في قلب الانسان وخشي من الله تعالى ان ياخذ منه ما قد وهبه فيستاقه
ذلك الوهم الى سيات كثيرة بل يستاقه الى وهدة اغرب الاثام وقد نرى حقيقة ذلك في
يوربعام اول ملوك اسرايل الذي حقاً لو لم يذكر خبره الكتاب الالهي في سفر الملوك لكان غالب
الناس يستكذبونه . فكان هذا يوربعام احد عبيد سليمن الملك ولكونه عبداً كان يمكن
ان يرجو كل شي ما خلا هذا الامر انه لعتيد ان يكون خليفة لملكه في اعظم قسم من مملكته
ومع ذلك جميعه فان الله تعالى ارسل له نبياً اسمه احيا يقول له من قبله انه بعد وفاة
سليمن يعطيه الملك على عشرة اسباط من اسرايل لان سبطين منها كان ابقاهما من اجل
داود عبده الى ابنه رحبعام وهما سبط يهوذا وسبط بنيامين فسبط يهوذا كان اشرف
مقاماً من ساير الاسباط كافةً وسبط بنيامين كان الاصغر والادنى ولاجل ان هذا الكلام كان
من الله تقدس اسمه فتم حالاً في اوانه بعد وفات سليمن ليت شعري من منكم لا يحكم انه من الواجب
على يوربعام الملك الجديد انه يزداد ثقةً بالله تعالى ويعرف احسانه اليه ويتمسك به فيما
بعد من الزمن اعظم تمسكاً مما كان من ذي قبل وذلك حينما عاين انه جلت مكارمه كمل وعده
له ورفعه من مقام العبيد الى اعلا المناصب وثبت بيده الصولجان الملوكي ووطده في
الملك بتحريك قلوب ال اسرايل باطناً الى ان يصطفوه ويقبلوه عليهم ملكاً واضيفوا الى ذلك
اسباباً اخر لاهنة صارت له ليزداد ثقةً بالله وتمسكاً به منها ان الله عز اسمه اوضح له محققاً
ان ملكه هذا يثبت لمولده بعده دايماً وذلك بشرط ان يحفظ الامانة والصداقة معه تعالى وانه
لعتيد ان يؤيده في تدبير مملكته ويعضده ويحرسه في الحروب مع الامم الغريبة وينقذه من
الاخطار المهلكة وعلى الاطلاق اقول يوعده بنعمه بفيض زاخر بما يستطيع ان يخطر في باله
ويشتهيه في قلبه قايلاً له لسان النبي الذي تقدم ذكره وتملك على جميع ما تحب نفسك لعمري
ان كل انسان منكم يحكم ويقول انه من الواجب عليه ان يثق بكل ما يلوح بسره ويحتضن الله تعالى
بكل عزايمه وقواه وينبغي له ان يزداد دينه وديانته وغيرته في خدمته تعالى ومع ذلك من تراه يصدق
انه بعد زمن قليل من جلوسه على منبر المملكة ابتدا ان يغار ويحذر من الله عز وجل بالاكثر

ونزع

168

ونزع عنه نفسه وتوكله عليه سبحانه لانه شرع يهجس في نفسه قايلاً اذا سمح للاسباط العشرة
بان تمضي الى اورشليم الى الاعياد الناموسية والذبايح الاعتيادية بموجب فرايض السنة الالهية
فيخشى عليها من قبل هذه الفرص ان تعود قليلاً فقليلاً الى طاعة رحبعام ملكهم الطبيعي
المتسلسل من داود اول ملوك يهوذا الشرعي وذلك من قبل الانعطاف المستكن في قلوب
جميع الشعوب الى الخضوع لمن ولد لهم ملكاً وسيداً اكثر من الخضوع لمن صار ملكاً اغتصاباً
بالعرض ومن هنا عزم ان يقاوم الله تعالى ويمنع شعبه جميعاً بسنة ظاهرة عن الذهاب الى
اورشليم وزيارة الهيكل ولكن لاجل انه زعم بانه يلزمه ان يوجد على ساير الوجوه في الشعب
صنف ما من امارات العبادة والديانة صحيحاً كان او باطلاً ليعمله داخل حدود الخوف
او يشغله ويلهيه عن الجولان الى بقية الامم فهكذا صنع اي سبك عجلين من ذهب ووضع
احدهما في بيت ايل والاخر في دان وصنع عيداً لهما فلاً ودعا الشعب كله الى الذبيحة وقال لهم
هذه الهتكم التي اخرجتكم من مصر واطعمتكم في البرية بعد سنتنا اسمعوا اذاً وافهموا وحيث انه يجب
عليكم ان تقدموا من الان فصاعداً البخورات والذبايح والتقدمات لهذه واليها تستغيثون
ولا حاجة لكم ايضاً ان تمضوا الى اورشليم وهذا جميعه تراه مدوناً في سفر الملوك الثالث هكذا
فاستشار الملك يوربعام مشورة وصنع عجلين من ذهب وقال لهم لا تحتاجون للصعود
الى اورشليم هذه الهتكم يا اسرايل التي اصعدتكم من ارض مصر وقد جاز ارتداد
لانه حاد الشعب الاسرايلي عن التعبد لله الحقيقي غير مكترث بالتوبيخات والتهديدات
النبوية والقصاصات والمجازات الالهية التي حلت عليه ليثنوه عن غباوته الجهنمية
ويعود تايباً الى الله تعالى ويثق به ولكنه استمر متحذراً من الله عز اسمه حتى مماته كانه تعالى كان
اكبر مضطهد له ومبغضيه لا اكبر المحسنين اليه فها مشرًا سمعتم يا اخوتي هل كان يمكنكم ان
تصدقوا ان الانسان يستطيع ان يبلغ الى هذا الحد من النفاق والكفر ضد الله جلت قدرته
حتى انه يعدم الثقة به تعالى بهذا المقدار اي نعم انه يستطيع وهذا هو من حقايق الايمان ان
يوربعام بلغ اليه وكذلك اهل الناصرة كما سمعتم اليوم ولكن اواه كم يوجد اناس يبلغون
اليه بكلام صريح فيبلغون به بالفعل او مضمراً ليت شعري من اي نوع تكونون ايها العدد
يا ايها الخطاة الجاحدون انعام ربكم لعمري انه تعالى لو لم يمنحكم غير ما كان اعطاكم به هذا
المقدار من الحسنة والسخا والجودة وما كان ابدعكم من حيز العدم حيث كنتم كلا شي وفداكم

لما كنتم اسرى الخطية والشيطان والبستكم لما كنتم عراة واحتملكم لما اعطيتموه واسايتم اليه بخطاياكم الكثيرة فكم اذا هو عظيمة جميع التكهينات تخشون من اندعز اسمه يلخذ منكم احوالكم ويتجاوزونه من هذا القبيل ثم ايدل الخير كان استهما انتم بين تفيدكم التوصيد في امتلاك خيراتكم رغما عند نيا الضاوتكم وسي ظنكم على انه جلت قدرته لو اراد ان ينزع عنكم قنايكم وخيراتكم هل كان يصعب عليه ذلك فما بالكم اذا تبخلون بجزء منها على بايسيه خوفا من ان تنقص او تقل عليكم ترى لو شاء ان يصدمكم اولادكم فما اسهل وما كان ذلك عليه فما بالكم اذا تبعدونهم عن خدمته خاشعين من ان تكملا نخدمهم له او نفتقدكم اياهم تقا اما يستطيع ان يختلس منكم كرامتكم في اقاربكم ووظايفكم وجميع ذرواتكم لو شاء ذلك فلماذا اذا تسعون مساعي باطلة ذات نفاق في ان تتوصلوا في التمسك بها في تعديكم وصاياه المقدسة وافتراكم على حقوق ديانته السنية فلنعرف اذا جودة المحسن الينا الفريدة وان اعتقدنا مقرين بانه يحبنا او فرحنا من خيره فلنقدم له عز وجل حبا لا بغضا اكراما لا احتقارا كيلا يبقى من الان فصاعدا من يهين جلاله الالهي من عن المنابر كما افهته انا الان من غير قصد وارادة وذلك بيبانى لكم جودة لمن يكافيه بدل الخير شرا له المجد والشكر الى ابد الابدين

العظة الثامنة عشر

في ثلثا بعد الاحد الثالث من الصوم المقدس تتضمن اولا دحض اعتذار البعض عن تاديب قريبهم وهدايته في نهج الخلاص لزعمهم انهم ليسوا بملزومين بذلك ثانيا تتضمن تعليما مفيدا للسامعين ليتخذوا المسيح ويقفوه في ربح النفس للملكوت ان اخطا اليك اخوك فاذهب وعاتبه فان سمع منك فقد ربحت اخاك هكذا احرد ماري متى في صح ١٨ من بشارته اظن انه لا يوجد في الوصايا الانجيلية المكرر علينا من السيد المسيح كثيرا وصية تستحب الناس استقلعها باعظم لذة ويرغبون امتثالها باوفر نشاط من هذه الوصية اي وصية التاديب الاخوي لانه من ذا الذي يعلم مقدار ما ينعطف الانسان طبعا الى رصد ذنوب غيره وتوبيخه عليها على ان الشمس مع كونها بعيدة عن الارض بعدا لا يقاس بسهولة وبنيرها نور ساطع يبهر البصر فمع ذلك قد اتصلت انحطاط عين الانسان الارضي الى ان ترقب فيها بعض نكتات وتعدها بالتدقيق وتشهرها وتذمها بجرءة وافتخار وقد حققت ذلك تحقيقا لا يشوبه ارتياب وكم يفضل ذلك الذي يرجو نقصان من ثلب

النسان الاملي بشرف مقامه الحاصل عليه او بحسن الصيت الممدوح من اجله ومع ذلك جميعه ما اقل عدد المومنين الذين يمتثلون الوصية المقدسة المذكورة في التاديب الاخوي انه لقد يوجد في عصرنا هذا في الملة المسيحية من يختطف نسا غيره شبه داود ولكن من تراه ينهض ويخاطبه بحكمة نظير ناثان ويرده عن ضلالته المهلك ويوجد ايضا من يختلس املاك غيره وقنايا كصنيع احاب مع نابوت ومن تراه ايضا ينتقد بنار غيرة ايليا ويونبه على سوء عمله هذا ولكن اين هو المعدان ليمارس زجر الهيرودسيين المدنسين باثم اختلاط الدم اين الذهبي فمه ليقاوم الاودوكسيات المستكثرات اين تاوفيلوس ليضاد ممانلو الاون الايسارين في نفاق سلب الالهيات اين ديستانوس ليتهيا لمضادة الكيمايين نظير ديونيسيوس الميوانين هو ايرونيموس ليخرج الى تعنيف سافكوا الدما كمثل ما وضوح بعضهم الكبيرة والسفاح على انا انما نشاهد الانعطاف العظيم المنعطف به الانسان الى ثلب ذنوبه وذنوب قريبه انما يستبين كلما في تاليف رسايل سرية هجنا فيه او في اصراف السهر ليالي الحمياطنا فيها او في تصنيف كتب جهيرة لتقذفهم وتعييرهم وهذا جميعه لمن شانه ان يغيظ المذنب ويسخطه اعظم سخطا لا ان يفيده ويرده عن ذنوبه وهكذا ينتهي انعطاف كل انسان الى ثلب ذنوب قريبه وليس احد يجسر ان يكلمه مواجهة على انفراد او يبكته على زلاته بمحبة وغيرة مقدسة ليستفيد من التبكيت ويرتدع عن زلاته وبذلك يماثل الحارس القليلي الامانة ونصرخ على اللص بعد ان يكون ادبر هاربا فمن ثم قد عزمت اليوم على تنبيهي ايها السامعون الاحبا ان اخاطبكم واعظكم بحرارة عظمى وانذركم لان تصيروا باجمعكم متقدين بغيرة مقدسة لنمو خلاص القريب غير انني لخايف ان يمضي خطابي نظرا اليكم فارغا من النتيجة المقصودة لانكم تعترضون على قايلين انكم نادرا جدا تلتزمون بتاديب القريب وانما ذلك تتولون الى انكم وقفتم على كتب الذمة والاستشرتم علما الاهوت بعد وجميعهم ثبتوا لكم انكم معروفون من هذا الالتزام فان كان هذا هو اعتذاركم فاية عظة عاد يمكن ان اعظكم بها في هذا اليوم سوى هذه وهي اذا نونبكم وابكتكم قليلا على اعتذاركم المذكور عينه اي على انكم لستم بمرفوضين ان تسعوا برد النفوس الى التوبة والى الله تعالى لانكم بحسب زعمكم لستم بملزومين بذلك ولعل هذا التبكيت ليس هو مادة حسنة لانتظام موعظة مستطيلة على انني ارى في هذا اليوم ان سيدنا يسوع المسيح لكي يرشدنا الى التاديب الاخوي فلا

خوري

يتهددنا ولا يصرخ علينا ولا يرهبنا ولا يحتم علينا حتمًا صارمًا قايلا لاعاتبوا اخوتكم وادبوهم فاني
انا الزمكم بهذا تحت عقاب شديد ان خالفتم لكنه يعرض علينا بنجاح قريبنا فقط مشيرًا الينا
اننا اذا عاتبناه فيمكن ان يستفيد ويصدر من ذلك خلاصه وذلك بقوله ان سمع منك
فقد ربحت اخاك ليتنا نفهم ايها المسيحيون الاعزا وندرك ما اعظم هذا الربح اي خلاص
النفس المدلول عليه بقول الرب ربحت اخاك فانا احقق لكم انكم لقد كنتم تتجاوزون من الاعتذار
والقول فليخلص هذه النفس من احب خلاصها فاني انا لست ملتزمًا بها فلنعاين اذًا هل لي
استطاعة اليوم على ان ادحض اعتذاركم هذا المذكور ام انني اماثل كلبًا ينبح وسبيلكم
انتم ان تحسنوا الاصغا لكلامي لاني اذا اضرمت اليوم في قلوبكم نار الغيرة المقدسة الملايمة
فلما يكون رتبتكم العالمية ايضًا في السعي بخلاص القريب فلست اربحكم انتم السامعين لي
فقط لكني ارجو ان اربح ايضًا بواسطتكم غيركم من اوليك الذين لم ياتوا الى الاستماع وعظي وعلى
هذا المنوال اصير لكم جميعًا رسل المسيح ربنا

العدد

انه حالما ظهرت يهوديت
الشجيعة في معسكر الاثوريين اختطفت عقول الجميع حتى لم اقسى قلبًا واوفر وحشية ايضًا
وذلك من جمالها الفريد نظير من ينبهر من مشاهدته نورًا غريبًا غير مالوف قد اشرق عليه
بغتة ولما تاملوا احتشام نظرها وظرافة خطابها وحسن نظامها ازدادوا تعجبًا وهتفوا
براي واحد قايلين من يهين شعب العبرانيين اذ لهم نسوة مثل هذه جميلات اليس ينبغي
لنا ان نحاربهم لاجلهن انه وان كانت بيت فالوا مبنية على رووس الجبال ومحصنة بامنع
الاسوار ومحاطة باعمق الخنادق فالاستحواذ عليها سهل لدينا بالنظر الى هذه الغنايم الجميلة
التي نرجو حيازتها فلنستعد ونسرع الى التقلد بالسيوف والارماح ولا يجبن ايماننا قايدنا
فانه مباح له الان ان يامرنا باية معركة شاء ولو انها كانت شاقة او باية هجمة اراد ولو انها
كانت خطرة وتقتضي سفك الدما الا انه ليس احد منا يقول ان يهوديت ونظايرها لا يستحققن
ذلك كله فهكذا كان اوليك الجنود الاثوريين المساكين يتكلمون فيما بينهم لان الهول و
الهذيان قد كانا اعترياهم لفرط العشق والجنون ولعمري ان كلامهم هذا لقد كان حسب ادعاه
عظيمًا وعجرفة بالغة لو لم يذكر في التواريخ انه لقد حدثت ايضًا في العالم حروب اشد واصعب
من الحرب المذكورة لسبب طلعة امراة جميلة المنظر ليت شعري من كان سببًا لحدوث الحرب
المريعة على ترواديا مدينة اليونانيين الا المراة هيلانة الوحيدة العظيم ومن هو الذي سبب

القتلة

القتلة في مدينة تيبو لاتيانه الحسنة المنظر ومن هي التي من جراها صارت المعركة
العظيمة في مدينة شيقرا الاماجيستا هذا ما خلا الحروب المشهورة التي صارت ما بين
انيباس وتورنوس من اجل لاونيا حبيبتهما وما بين انتيغونوس وتلماوس من اجل كلاوبترا
معشوقتهما وانما غاية قصدي بايراد هذه الاخبار هذا الامر فقط وهو لكي اجلي حدقات
عقلكم ايها السامعون واجعلكم ان تبصروا اعظم جمال النفس وحسنها الا انه ما هو حسن
كلاوبترا ولاونيا والماجيستا وتيانه وهيلانه ويهوديت وما ماثلهن لعمري ان حسنهن
البديع انما هو شبه زهر الحقل الذي يذبل ويكمد حال ظهوره وقد كان ايضًا جمالهن انخداع
العقل وغش النظر ورباط قلوب الجهلة بل كان طعمًا يتملق للناظرين لكي يخونهم ونبلًا يتهلالا
ليقتلهم اما النفس فوحدها وبمفردها لها الحسن الحقيقي على انها هي التي تصورت على شبه
وجه الله الكلي الجمال والبها وفي هذا قال القديس اغوستينوس في المقالة الثامنة تفسير الرسايل
يوحنا الحبيب هكذا باي شي خلق الانسان على صورة الله ومثاله ابالجسد كلا بل بالعقل
والفكر وبنفسه ونفهمه العقلي انتهى فاذا لو استطيع ههنا ان اريكم النفس بصورتها
الحقيقية على حليتها لكنت بلا شك اضرمت قلوبكم جميعًا نحوها بمحبة هذا مقدارها
حتى انكم حالًا تهتفون قايلين فلنبذل نحن اعراقنا ولنجاهد لنسفك دمانا من اجل هذه البديعة
والغريبة في الحسن ولعمري ان هذا كان الثواب الذي كان الرسول المعظم مار بولص يتوق
اليه حينما كان يقدم ذاته ليحرم ويبقى من المسيح من اجل نفع القريب وربحه وهذا كان
الثواب المطلوب من القديس مرتينوس الاسقف لما كان يقدم ذاته ان يستمر في الارض وذلك
من اجل نفع رعيته وربحها وهذه كانت الاجرة التي كانت تشتهيها القديسة كاترينا البتول
السارافيمية اي ربح القريب وخلاصه مع كونها امراة ضعيفة عاجزة وذلك حينما كانت
تقول عن ذاتها انها تستحب ان تطرح في فم جهنم لتقف فيه وتسده لكيلا يدخل فيه احد فيما
بعد فما هو قولكم الان انتم الذين تتهاونون بخلاص غيركم لزعمكم انكم لستم بملزومين به هل
تظهرون على نفوسكم مع زعمكم هذا انكم فاهمون ماهية نفس الانسان اهذا هو اعتباركم قيمتها
الاولى سناه حيث انكم انتم بعكس ذلك تظهرون على نفوسكم انكم مستهينون بها ومحتقرونها
جدًا على انه ان كانت قلوبكم ترق على نعجة اذا رايتم ذيبًا قابضها وجالسًا فوقها يفترسها
وعلى بهاميه اذا شاهدتم باشقًا منقضًا عليها وضاميها ما بين مخاليبه يمزقها فكيف يمكن

ان تبصروا انفسنا في فم التنين الجهنمي ولا تحنون عليها هل تزعمون انكم غير ملزومين باسعافنا وخلاصها هات نسلم لكم ذلك ثم ان زعمكم هذا اذا بردكم من شايبة الظلم فلا يعفيكم من تهمة القساوة نحوها
العدد ٣
ولكن ما بالي تنازلت فقلت اننا نسلم لكم ذلك فان كنتم لستم تذعنون لكلامي انكم ملتزمين بخلاص نفس حاصلة على خطر الهلاك دعوني التفت الى هذا المصلوب والتمس منه ان ينزل عن الصليب الذي ارتضى ان يحيى عليه لكي يخلصنا فما هو رايكم فيه تعالى اتراه كان ملزوما ان يخلصنا ولكن لا كيفما اتفق بل يخلصنا في احتماله هذا المقدار من العذابات والجلدات وتهشيم اعضاه وسفك هذا المقدار من الدم الى ان البته لان اشعيا النبي هكذا يهتف عنه قايلاً تقدم لانه اراد انه تعالى قد صار ضحية عنا وهذا حق لكن لانه شاء واراد باختياره وهذا هو معنى ذلك على ما فسر القديس يوحنا فم الذهب في الميمر الـ ٣ من تفسيره رسالة الرسول بولس الى الرومانيين اي المسيح كان يستطيع ان لا يقاسي ما قد قاساه لو اراد ان يلاحظ حقه لكنه تهاون به لكي يلاحظ ما يخص خيرنا وصلاحنا فاذا كان هذا المصلوب الالهي مع عدم التزامه بخلاصنا بل خلصنا وسعى بخلاصنا متكبداً عنا اتعاباً وعذابات لا تقايس فكيف يسوغ لنا ان نمسك عن سعينا بخلاص غيرنا ماهي المحبة التي نوردها لنبرر نفوسنا من ذلك اليست هي زعمنا اننا ليس بملزومين اها منكي ايتها القلوب القاسية الناكرة المعروف نحو ربك اعني بها قلوب المسيحيين اهذا هو الذي بجب الله قد صلب وتهشم ومات لاجلنا اي اتتكر بعلينا فنظل لا نعمل ان العمل المعظم الذي يهتم به سيدنا يسوع المسيح اكثر من ساير الاشيا هو هذا اي ان يخلص العالم وهذا هو قول الذهبي فمه ايضاً في الميمر الاربعين من تفسيره التكوين الخليقة حيث قال هكذا لا شي يطلبه الله ويقتضيه بمقدار خلاص النفوس هذا هو العمل الذي يفتش لاجل ذكره من كل جهة على رفقا وجنود واتباع ليتمموه معه اما نحن فهل يطاوعنا قلبنا وضميرنا ان نتعول لديه لا نريد ان نعينك به وقد نقل عن شيبيون الافريقي انه لما رام ان ينطلق من رومية الى محاربة نوم نسيا مع ان محاربتها كانت تقتضي الى تعب وصعوبة وخطر عظيم فوجد له رجالاً يتبعونه للحرب مجاناً بلا اجرة مجندين اختيارياً من محبتهم له فقط بكثرة وافرة هذا المقدار حتى ان مشيخة رومية التزموا ان يشهروا امرها ثمّا ليصدوا الشعوب عن التجند له والذهاب معه الى الحرب خوفاً من ان تفرغ بلاد ايطاليا كلها من الرجال وماذا اقول عن بمباوس وقيصر بل ماذا اقول عن اسكندر المكدوني التايق الى المكاسب من غير شبع فهذا الملك المتكبر ما احتاج ان يتعب قليلاً في تحريض الشعوب ليلتحقوا به الى محاربة بلدان شاسعة بعيدة غير مدانية من احد الملوك قبله على انه وان كانت لزيمة او فرحان من ساير اقطار الارض وشتتيا اكثر دكم من ساير الاصقاع فمع ذلك كان يستاق الى هناك جنوده غير مباليين بالانهر والمياه الكثيرة التي كانت تغمرهم حتى العنق ولا خايفين من تلقانس بهم غير مباليين بالجبال العالية التي كانوا يضطرون ان يستلقوها مستعينين بايديهم على الصعود كوحوش البر وماذا اقول ايضاً عن كاتون القايد وعن اماراته المحبة الجزيلة لاسيما التي اظهر نحوه جنوده لما قصد ان يدخل بلاداً غير مسلوكة يرعب ذكرها البشر لكثرة الوحوش الضارية فيها ولعدم وجود الما للشرب هناك ايضاً قد ذكر عنه انه قبل ان يدخل هذه البلاد جمع امامه جنوده كلهم واذان لهم بامانة وبساطة الاخطار الجزيلة والمشقات الفايقة التي كان ماضياً بهم اليها ثم اطلق لهم الاختيار وذلك بقوله كل من اراد ان يرجع الى وطنه فليرجع ومع ذلك جميعه من يصدق انه ولا واحد منهم تقهقر وطلب الرجوع الى وراية بل الجميع تنشطوا وتبعوه بشجاعة لا توصف ودخلوا معه تلك البلاد التي التزموا ان يتاجروا في سيرهم اليها مع الوحوش الكاسرة والحيات والافاعي والتنانين وساير اصناف دبابات الارض وهم اكثر مضرة وسماً قبل شروعهم بالحرب مع الناس البربر القاطنين هناك فمن اين اذاً يصدر عدم انقيادنا الرغبة قلب مسيحنا اذ انه تعالى لا يعوز منا ما قد حازه اخرون من رؤسايهم مع انهم كانوا ادنى منه شرفاً واستحقاقاً بلا قياس فهو غرضه يطلب ايضاً ان نربح العالم لكن بقصد مختلف جداً اذ انه تعالى يطلب ان نربح العالم ليخلصه لا ليهدمه كما كان يفعل الاخرون القدم ذكرهم ومع ذلك جميعه ما هو الذي يتقوله فهو هذا اي انه ليس من ينطلق الى القتال كما قال حزقيال النبي ليس من ينطلق الى القتال فيتعب غرامه مهم كثير العدد من تلقا نفسه كجندي باسل بل ينتظر ايضاً الى ان يحض تابعيه ويحتم عليهم ويلزمهم الزاماً فما هو اذاً افتخارنا نحن السيد المسيح قايدنا ايها السامعون سادتي اذ كنا لا نريد ان نصنع اكرامه المنوط بنا وامرنا شيئاً اخر سوى ما نحن ملتزمين به لا غير اهذا هو معروفنا لتهتنه وجلالته الالهية اهذا هو اعتبارنا لاحساناته تقدس اسمه

العدد ٤

اظن ان البعض من ذوي الروح العبدي يتغاضون عن اتباع السيد المسيح في هذا

الجهاد المقدس عن خلاص النفس لغير الملتزمين بحرصها لا يبصرونه يوتيهم ربحًا ما منه
ولكن اذا عرفوا انهم يجتنون منه ربحًا فيتبعون السيد المسيح القايد الالهي في الجهاد ولو
لم يلتزموا به فهيهات اذًا نظار وعميم برايهم هذا الذي يقدم لنا برهانًا اقوى من حثهم على
اتباع السيد المسيح في الجهاد عن النفس فمثل هولا لا يعلمون ان رد خاطي واحد الى التوبة
هو عمل مرضي لله انسانًا او فرحًا لله بين الملائكة المعلوم محقق ان خاطيًا واحدًا فقط يكون احيانًا الذي
يجلب رجزًا مستقيمًا على الشعب كله ولو كان الشعب بريًا وقد اثبت ذلك المعلم ابو يحانس
مستندًا على الاخبار المدونة في الكتاب المقدس بقوله انه من اجل خطية واحد ينزل الغضب
على جميع الشعب ومع انني انا ليس لي خبرة نظير هذا المعلم في الاسفار المقدسة فمع ذلك
ها انا مستعد الان اتيكم منه ههنا في بعض من الاخبار المسطرة فيه فاقول لقد كان الاسرائيليون
هدموا بسهولة عظيمة مدينة اريحا واستبشروا من ذلك بانهم سوف يفتحون ايضًا
بافتتاحهم ساير المدن والقلاع الحصينة ولهذا مضوا متخشعين الى امتلاك عاي وهذه
كانت مدينة احقر من اريحا اسمًا وقوة كثيرًا فشرعوا بالقتال الا ان جيشهم انكسر للوقت وولوا
هاربين من اعاديهم الى الوراء فقام حالًا في الشعب ضجيج ونحيب وبكا عظيم ولما لم يعرفوا ما
هو السبب الذي من اجله تخلى الله تعالى عليهم حالًا وسكت عن حمايتهم مع انهم امة دعاها هو
ذاته الى كسب ذبيحات النصر لا الى الكسر والعبودية فاسرع يشوع بن نون وجثا باحترام
وانذر امام التابوت وتضرع متذللًا امام الله تعالى وتضرع وبكى فاوحى اليه ان علة كسرهم قد
كانت خطية صدرت في الشعب فيا معشر المسيحيين ترى اية خطية كانت خطية الاسرائيليين
فهل كانوا ائتمروا فيما بينهم ان يكسبوا عجلًا جديدًا من ذهب ويسجدوا له كما صنعوا في القفر
ام لعلهم كانوا اكلوا من الاطعمة المحرمة عليهم من الناموس ام هل كانوا زنوا بنسوة اجنبيات لا
البتة بل ان علة مصيبتهم هذه العظيمة قد كانت خطية اخرى اصغر جدًا من الخطايا المذكورة
وقد صدرت لا من الشعب كله ولا من كثيرين بل من شخص واحد فقط ولكن اسمعوا ما جرى
لانه امر غريب اهل الذي ذكره فاعلموا انه لما كانت مدينة اريحا المهدومة محترقة بالنار وتصعد
دخنتها الى الجو فواحد من ادنى الجنود يقال له عاخان ابصر اتفاقًا ثوبًا جميلًا ثمينًا ما بين
الكسب فاعجبه واختطفه وخباه عنده وصيته روى الشعب الذي كان امر محرمًا كل شي والحال
هذه الخطية فقط ومع انها كانت مستورة احتمى رجز الله تعالى ضد الشعب كله بهذا المقدار

حتى انه قرر لهم انه سيتركهم الى الهوان ان لم يجتمعوا كلهم على قتله وادماره قايلًا لا اكون
معكم ما دام بينكم هذا الخاطي لا اكون معكم ايضًا حتى تبيدوا المرذول بهذا الخطا
لاحظوا اذًا كيف انه لاجل خطية واحد تضرب الشعب كله ولكن هذا قليل
فلهذا نقول ايضًا اما يذكر في الكتاب المقدس انه من اجل يونان فقط اشرف على الغرق
جميع النوتية والركاب المضيين معه الى ترشيش ومثلهم اليس انما اشرف على الغرق
تلاميذ الرب يسوع المسافرين في بحيرة طبرية بالسبب يهوذا الاسخريوطي فقط والبراهين
من الحقوق ايضًا انه لاجل خطية الكبريا التي ارتكبها داود وحده في احصا الشعب انه ضرب
الشعب كله بطاعون شديد جدًا حتى كان الشعب كله كان ارتكب تلك الخطية فقد
صح اذًا كما قد قلناه انفًا مع اوريجانس وغيره من الاباء القديسين انه من اجل خطية شخص واحد
ينزل غضب الله على جميع الشعب ومن ثم اسمعوا ايها السامعون الى اي شي استدعيتكم
انا اليوم بنصحي اياكم ان تسعوا بتوبة الخاطي اني استدعيتكم الان تصونوا جميعًا من
الضربات التي يمكن ان تصادفنا بسبب ذلك الخاطي وحده ان الانسان القاضي لسبيل اذى
ان يقاصصنا بذنب غيرنا بل بذنوبنا فقط اما الله جل ثناوه فلا يقاصصنا احيانًا بسبب ذنوب
غيرنا وقد قال القديس اغوستينوس انه احيانًا ان الله تعالى يقاصصنا لهذا السبب عينه وهو لاننا
نتهاون بتاديب غيرنا واصلاحهم عن ذنوبهم فما هو سبب ذلك (يقول القديس المقدم ذكره)
هل تظنون انه كما ان من اجل واحد تحصد احيانًا في الحقل الزهر والقش في وقت واحد وصنعه
وانه تحرق في الكرم والعنب والقرط معًا هكذا يسخط الله ويبيد مرارًا كثيرة الابرار مع
الردياء فيجيب القديس ذاته بذاته ويورد السبب قايلًا لكي يحترس كل واحد منا لا على
نفسه فقط بل يعتني ايضًا في اصلاح غيره وتاديبه ويصير الجميع اعضا الجسد الواحد
والنفس والجسد وذلك بلغنا احدهم غير قريبه انتهى فكيف اذًا تقولون ايها المسيحيون
انه لا يعنيكم رد النفوس الى التوبة لانكم لستم ملتزمين بذلك والحال ان السعي بتوبتهم
وخلاصهم هو واجب على جميع المسيحيين بل هو خير نفوسكم وخلاصكم وبعد هذا اتزعمون
انه لا يعني لكم سبب داعي الى ذلك اني اسالكم فاجيبوني اذا رايتم نارًا عظيمة قد اتقدت في
بيوت جيرانكم اما تسرعون حالًا وتاتون بماء لتطفوها ولو لم تكونوا ملتزمين باطفايها
اما تفعلون هذا جيرانكم بكلما يمكنكم من السعي والغيرة فعلى هذا المستوى ومنكم ان

العدد ٥

تصنعوا فيما نحن في صدده ليكن عندكم محققاً انه حينما يحصل قريبكم فتكون النار قد
اتقدت في جوارتكم ولذلك سبيلكم ان تحزنوا وتسرعوا وتتعبوا في اطفائها لئلا تتصل
اليكم وتضركم غير ان الربح الذي قلناه هو ربح سلبي فقط اي تخليص
النفس من الشر وتوقيتها من المضرة اما الذي يبلغ من ذلك فهو هذا انه فضلاً عن الربح
السلبي الصادر من تاديب القريب لقد يصدر منه ربح وضعي ايضاً وهذا العظيم جداً لاني
اذا اردت اوضح لكم رايي فلا اظن ان فعلاً من الافعال الصالحة ترضي الله تعالى وتكسب
استحقاقاً اكثر من ارتداد خاطي واحد الى التوبة ولكن ما لي قلت لكم هذا الذي اسمعوا ما يقول
القديس غريغوريوس الكبير في تفسيره مزامير التوبة لانه يقول هكذا ان الذي تقوله
بنعمة الله ان ينحل من اغلال الخطايا والجسد بغير مقدرة اذ يعظ الخطاة الى رجا الغفران
ايضاً فليس له ان يقدم لله تقدمة مرضية اكثر من هذه اي غير خلاص النفس ولتحقيق ذلك
اخبروني من اي فعل من الافعال الصالحة ترجون استحقاقاً اغزر من رد الخطاة الى التوبة
العلم من الصوم ولكن اي صوم يكون اشد صرامة من صوم المسيح الذي حسب شهادة
الانجيل الطاهر تعنى اربعين يوماً واربعين ليلة من غير ان يذوق شيئاً من الماكل والمشرب
ومع ذلك جميعه فلكي يخلص نفوساً كان يتبع طبعه ويجلس على ولايم العشارين مع انها
كانت مفتنة ومرهفة ويكل ويشرب فرحاً مسروراً معهم من غير ان يبالي بكلمة الراصدين
له الذين كانوا يقذفونه بانه اكول شروب الخمر امعسا كم ترجون استحقاقاً اوفر من قبل الصلوة
ولكن من هو الذي يصلي صلوة اوفر اطالة واكثر اسهاباً من صلوة السيد المسيح الذي كان
يصرف الليالي ساهراً في الصلوة من غير رقاد ومع ذلك فلكي يخلص نفوساً كان يقطع صلاته
الليلية ويقبل زيارة نيقوديموس ونظيره الاتي اليه ليلاً ويسمع صابراً مخاطباتهم السمجة
مع انها كانت مخاطبات كثيفة وغليظة خالية من كل التذاذ ام هل ترجون ذلك من الصدقات
التي تحسنون بها على المساكين فههنا لست اكلمكم بل انا استدعي يوحنا الذهبي الفم ذلك
الذي لم يكن له نظير في الغيرة على المساكين وحث المسيحيين على ان يتصدقوا عليهم
نظيره فليتكلم عوض اني ويوضح لكم اي عمل افضل من الصدقة ام من ارتداد النفوس الى التوبة
فاسمعوا ما حرره في عظته ٣ من تفسيره رسالة الاولى الى التسالونيكيين اذ يقول انه وان وزعت
يا هذا مالاً كثيراً على الفقرا تعمل عملاً افضل اذا رددت نفساً واحدة الى الله فلا تتعجب

من

173

من قوله هذا لانه هو نفسه اورد السبب في موضع اخر من عظاته فقال لان من
اعطى الفقير يزيل جوعه ومن يرد خاطياً يزيل نفاقه فذلك يخلص الجسد من الضيق
وهذا ينقذ نفساً من جهنم انتهى ما اعظم هذا الاختلاف ايها الاخوة اي الاختلاف
الكاين ما بين انقاذ الاجساد من الضيق السريع الزوال وانقاذها من الحريق المؤبد ومن
ثم نقول انه ان كان الاستحقاق يقاس من جرى الخير الذي نصنعه للقريب فمن ذا يشك
ان اغاثة الانفس المحفوفة بالخطايا الا يوجد بها استحقاقاً اعظم من اغاثة الاجساد الحاصلة
في الضيق والشدة ام لعلكم تظنون ان لكم استحقاقاً اوفر امام الله في بنايتنا الكنايس
وتشييد المعابد واقامة البيمارستانات كما صنع الملوك والاراخنة الصالحون لا لعمري
بل انكم تصنعون تقدمة مقبولة لله اكثر من كل شي تقدمونه له بخاطي واحد فقط تردونه
اليه تايباً من صميم قلبه وهل تعرفون ما يتفق لكم بهذا الصدد لعمري انه يحدث لكم
نظير ما صنع كيمون اعظم قواد جيش اليونانيين حسبما خبر عنه بلوتركوس المورخ فهذا
كيمون قد كان ظفر بالفرس واقتبس منهم غنايم وافرة وعظيمة ثم لما اراد ان يفارق ساير
متقدمي الجيش ورجع الى اتينا جمع كل السلب وجعله قسمين فوضع من احدى الجهات
جميع الغنايم التي حصلت من العسكر الفارسي المغلوب اي الاتراس والخود والدروع
والصدرات والسيوف والجعب الجزيلة الثمن وثياب الارجوان الثمينة والاواني الفضية
والمناطق الذهبية ومن الجهة الاخرى وضع جمعاً غفيراً من الاسرا المستاسرين بالنصر في
الفين عرايا مجرحين ومهشمين من الضرب في القتال ووجوههم متغيرة سحنتها لفرط
التعب والخوف اللذين قاسوهما في الحرب حتى ان النظر اليهم فقط كان يحرك الى الشفقة
عليهم ثم التفت الى روسا العسكر اقرانه قايلاً لهم انتخبوا ما تستحبونه من هذين القسمين
لاني انا اتنزل لكم عن حقي في تقدمي عليكم بالانتخاب ولو كنت اكبر من جميع قواد العسكر
فلم يتقاعد اوليك عن الاختيار بل انتخبوا للوقت المال لانهم اندهشوا من بهاء الفضة
وتشعشع نور الذهب الموضوع بازايهم ساخرين بكيمون الذي جعل اوليك الاسرى العراة
الجياع في حصته غير انه لم يلبث بعد ذلك هكذا وهو ان كيمون بعد ان اتخذهم حصته
داواهم واشفاهم من الجراحات والقروح حتى تعافوا جيداً ولحين وجد من اشتراهم بثمن
غال جداً حتى انه حصل لدى الجميع ان قيمة المال والامتعة هي ادنى طبعاً من قيمة الانسان

فاذا ان شيتم ايها الاخوة السامعون ان تستمعوا اشورى ابحثوا عمن يكون من الخطاة
المساكين الاكثر انغماسًا واستغراقًا في الخطايا واسعوا واتعبوا في علاجهم وبمداواتهم من
اسقامهم المهلكة ثم بعد ذلك قدموهم قربانًا للسيد المسيح ولا تخشوا فانه يعطيكم
عن نفس كل واحد منهم اكثر جدًّا مما يعطيكم لو تمضون اليه موسقين من الجواهر المنتجبة و
الذهب الصافي الجزيل واذا كان ذلك كذلك فلنعد الى مطلوبنا قايلين ان كان السعي
غلاص قريبنا المفهوم بقول الرب ربحت اخاك هو عمل ذو استحقاق يفوق على استحقاق
الصلوة والصوم والصدقة وبحصر الكلام يسمو على افتعال العجايب والصالحات
كافةً فكيف يمكن ان لا تؤثروا انتم الان ان تمارسوا بكل الاجتهاد لزعمكم انكم غير ملتزمين اترى
اعتذاركم هذا يعذركم امام الله او هل هو شرعي راهن معتبر حاشا وكلا بل هو اعتذار ضعيف
واهٍ وان كان لدى عندكم شبه سند يعفيكم من السعي المقدس المذكور بكل جهدكم فيعفوكم
ايضًا من الالتزام بحرث اراضيكم باجتهاد عظيم وعن الالتزام بالمتاجرة بفضتكم بتعب جزيل
لانه وان كان الربح الذي يجتذبكم الى ذلك عظيمًا فلستم ملتزمين بالحراثة باجتهاد عظيم
ولا بالمتاجرة بتعب جزيل ولكن اخبروني من الذي قال لكم انكم لستم بملتزمين
ان تربحوا نفوسًا لله فان كنتم لم تصيروا سبب عثرة لاحد قط في الخطا وان كنتم لم تحملوه عليه
اصلًا فانا اسلم لكم ذلك لكن ان كنتم حملتم احدًا على ذلك (وهو امر سهل حدوثه) وذلك اما
بتعليمكم اياه الشر او بحثكم عليه او بمدحكم له اياه او بطريقة اخرى كيفما كانت فلست اسلم
لكم انكم غير ملتزمين بربح النفوس لقد اختطفتم من الله عز اسمه نفسًا فاذًا تلتزمون من قبيل
ذلك في جميع الشرايع والحقوق ان تسعوا في ان تردوا له نفسًا اخرى لقد امر الله تعالى شعبه في
العهد العتيق ان من قتل بقر حيوانًا يعوض بحيوان اخر شبيهه اي فليعوض الثور بالثور
والخروف بالخروف والحمار بالحمار وهذا هو قول الله من يضرب دابة فليرد جزاءه نفسًا
مكان نفس مع انه اذا اعتبرنا قيمة الحمار البهيمي فنرى ان القاتل لقد كان يمكنه ان يعوض
المضرور بطريقة اخرى غير هذه السنة الصارمة اعني قوله تعالى بالنفس بمكان النفس فمن
ثم ها انا على سبيل المقايسة اهتف قايلًا اي بطريقة لكم ترجون بها ان تعوضوا الله تعالى
عن النفس الانسانية التي اخذ عنوها واختطفتموها منه فغوصوا في بحر القلزم واجمعوا
جميع ما يحويه من اللالي وقدموا لله جميع الحجر الفاخر الذي في بلاد ارمينيا وجميع

العدد ٦

المرمر الموجود في اقليم نوميديا وجميع العطور المتباهي بها الاثوريون وكل الاحجار المتفاخر
بها الصيداويون فهذا جميعه لعمري كلا شي بالنسبة الى قيمة نفس واحدة مختلسة
من الله تعالى بل العالم كله ليس هو ثمنًا موازيًا لقيمة النفس كما قال القديس غريغوريوس الكبير
ومن ثم لا شي يساوي النفس المختلسة من الله سوى نفس اخرى ترتد اليه عز وجل لان جميع
الانفس اشتراها يسوع المخلص بثمن واحد ولاجل هذا اذ عرفتم انكم اضللتم نفسًا ما عن
طريق الخلاص فكيف تتجاسرون وتبرون نفوسكم من الالتزام بان تردوا نفوسًا قلما يكون
قدر ما اضللتم فتلتزمون اذ ذاك بالمكافاة اي برد نفس مكان نفس فحصوا ضمايركم جيدًا
واعرفوا كم من المشورات الردية خرجت احيانًا من افواهكم توذي القريب وكم من مرة صيرتم
سبب شك وعثرة لغيركم اما بالكلام السفيه اما بعشرتكم السيية اما باللعب الغير المرتب
اما بالمعاني الدنسة وما ضاهاها وبعد ذلك كيف لا تحزنون وتخافون من جرح خديعتكم
ذلك البار الذي كان تابعًا ليسوع لعمري انه يلزمكم ان تعودوا خاضعين لدى اقدام يسوع
حالًا وليقل كل واحد منكم نحوه تعالى هكذا يارب قد اخطات واختلست منك ذلك البار وهو ذا
اقدم لك عوضًا عنه هذا الخاطي وبهذا كان داود يعد الله تعالى بعد توبته اي تعليم الاثمة
ورد الخطاة قايلًا فاعلم الاثمة طرقك والكفرة اليك يرجعون ولكن لاي سبب كان يعد
الله هذا الوعد العلم من كان جنديًا نظيره وقد اعتاد من صغر سنه على الحرب والقتال يلتزم
بان يقوم بوظيفة المعلم والواعظ على الخطاة الذي ان خاصة وظيفته كانت تقتضي ذلك
اي تلزمه بمنزلة الراهب او الرسول اي نعم هذا حق ولكن بما ان داود قد كان اظهر توبته في
ثم تذكر انه صار بواسطة اشتهار بعض ذنوبه سببًا لكثيرين لان يجدفوا على اسم الله القدوس حسبما
قال له ناثان النبي اشمت بك اعدا الرب ولاجل ذلك كان يرى حسبما فسرها المترجمون
المدققون انه لم يكن يسوغ له ان يظهر باصفرار الوجه امام الله تعالى ويتبع منه الغفران
ما لم يرد خطاة الى التوبة بقدر ما كان اضل منهم عن طريق الله وهذا هو السبب الذي جزم
ارنوبيوس واغوستينوس وايلاريون وكبريانوس ويوستينوس الذين كانوا سابقًا ملحدوا
الايمان المسيحي ومضطهدو المسيحيين ان يكتبوا فيما اسفار احماايش عن الايمان القويم واذا
كان بولس الرسول ايضًا قد تعب ونصب في كنيسة المسيح التي كانت نشيت حديثًا اكثر من
ساير الرسل وقد صنع ذلك لانه كان سابقًا اضطهدها كما شهد بذلك القديس غريغوريوس

الكبير الحبر الاعظم في تفسيره للزبور ٥٠ فلا يظن اذاً احد منكم انه تاب لله وانتبه لنفسه
بالكفاية ان كان فيما مضى اسا الى نفس ما اما بالتعليم الردي او بالاجتذاب النفاقي او بفعل آخر
مشكك ومع ذلك ما لم يجتهد الى الآن ان ينصحها و يبيدها الخلاص بغيرة مقدسة فمن ثم
نقول ما هو الذي يجب عليكم ان تستنتجوه يا ايها السامعون مما اوردناه على هذا عمم
سوا هذا وهو ان ترجعوا الاخوة وربما يجس في خواطركم انكم لا تستطيعون انتم ان
تفيدوا اقريبكم فايدة عظيمة اذا اردتم ان تفيدوه فاذ كنتم تتوهمون ذلك فانتم ضالون
ليت شعري ما اعظم الفايدة التي تقدرون ان تفيدون بها انتم ايها الاعيان وانتن ايتها
السيدات وانتم ايها العوام جميعاً من اية جهة وبهيئة كنتم انني اعلم ان عظتي
هذه ربما يذمها الان كثيرون منكم لكونها تبان غير مناسبة لدرجتكم العالية لكنها تطابق
الرهبان والكهنة الرسليين الذين بحسب وظيفتهم يلزمهم ان يعظوا ويردوا الناس الى التوبة
بغيرة حارة ولا يدعون الرذيلة تستقر حتى ولا في الفيا في المتقدم اما انا فاقول لكم الحق انكم
تخادعون ان ذممتم عظتي هكذا ولاثبات ذلك اسمعوا ما يوصي به الروح القدس في حكمة
ابن سيراخ قايلاً لكل احد من غير تمييز هكذا انقذ صاحبك بقدر قوتك فقال بقدر قوتك لا
بقدر القوة التي تراها في غيرك لكن بقدر ما يمكنك انت وبقدر وزنتك وبقدر علمك وبقدر
الحال التي انت فيها وفي هذا قال ايضاً القديس غريغوريوس الحبر الاعظم في عظته ٦ على الانجيل
هكذا لا يقل احد لست انا كفواً للنصاحة ولست ملايماً للوعظ والتنبيه فاصنع يا صاح بقدر
ما تستطيع نعم انه لا يخص دعوة العامة ان يصنعوا وعظاً سمعياً بضجيج نفاير ووعظاً لكن
كم من مرة يتفق لكم ان تحضروا مجلساً وتصادر فيه مشورة على شي يضاد الله كما مثلاً على اقتناص
طهارة احد او على تهمة احد او على اخذ الثار من غريم ما او على اخداع احد وما شاكل ذلك
اما تستطيعون ح ان تنقذوا اصحابكم بقدر قوتكم من الخطا المعتمد عليه قلت بقدر قوتكم
لانني لست اعني بانكم تهجموا على اوليك الاشخاص نظير نحاس ام وانتم قاصدون الرمح بيدكم
لكن يمكنكم ان تنصحوهم بمحبة وتودوهم بعذوبة ان كنتم متسلطين عليهم او اكبر منهم مقاماً
وسناً واذا لم تكونوا هكذا فيمكنكم ان تفيدوهم ايضاً بطرايق اخر كثيرة وذلك مثلاً بان تبطلوا
نيتهم وعزمهم الرديء بتلاشي مشورتهم بصناعة وظرافة او بذم العمل العازمين عليه
او ببيان الصعوبة العظيمة في تحصيل اربهم او ببيان عدم الرجاء بالنجاح في ما هم يقصدونه

وبهذا

وبهذا تماثلون يهوذا الواحد الذي عندما عمقوا ابوه لا يستطيع ان يقنع اخوته بان يعفوا
عن يوسف اخيهم البار اشار عليهم بان يختاروا الشر الاخف وهو بيعه للتجار الاسماعيليين
وهذا الذي قلته للجميع بوجه عام اقوله لكل فرد منكم بوجه خاص اشيخ انت في البلد
وذو قدرة وسلطان اسمع وصية ربك القايل لك انقذ صاحبك بقدر قوتك لماذا لا
تجتهد في ان تلقي السلامة ما بين ذينك الرجلين الشريفين المجيدين على ادمار بعضهما
بعض لسبب الخصومة التي بينهما وتعطفهما بالفاظ راهنة ليمارسا الصبر المقدس قبل
ان يبيد احدهما غريمه لاجل قليل من الجاه العالي اتاجراً انت وليس لك صناعة اخرى سوى
المتاجرة انقذ صاحبك بقدر قوتك لماذا لا ترحم تلك الفتاة المسكينة المشرفة على فقد
طهارتها وتجود عليها بقليل من الفضة لتدخل الدير وتستر عرضها قبل ان تصير صيداً
للجهلة وهكذا انت ايتها المرأة الشريفة انت مستقيمة ملتزمة بان تعيشي محتجبة في
البيت حسناً ذلك ولكن انت ايضاً يخصك امتثال وصية الله القايل انقذ صاحبك
بقدر قوتك ليتك تفهمين كم تفيدين غيرك خلاصاً بتربيتك اولادك حسناً لكي
ينعطفوا الى العبادة ومحبة الفضيلة من حداثتهم لانك بهذا تبلغين الى ان ترجعي
بسهولة ليس نفوسهم فقط لكن مع نفوسهم نفوس آخرين ايضاً لانه من الممكن وليس بعجب
ان تحرك قلب واحد فيما بعد ويقدم ذاته لخدمة الله بسبب هذه التربية الحسنة
ويضحوا التشريفة عظيمة في اجتذاب الانفس الى الملكوت ومن منكم لم يسمع قصة حنة
الصالحة امرأة هلقانة المشهور اسمها في الكتاب المقدس فهذه لم تلد ابناً سوى صموئيل فقط
وقد كانت نالته من الله تعالى بتضرع جزيل اي باصوام مديدة ودموع غزيرة وصلوات متصلة
ومع ذلك حال ما ولدته فرحت جداً كانها سمت على ليا بالخصب وشرعت تسبح الله
عزة قدرته وتقول عن نفسها ان العاقر ولدت بنين كثيرين وكيف يصح قولها هذا
والحال انها لم تلد سوى صموئيل فقط العل صموئيل بمفرده كان يحسب كثيرين فيجيب
هنا اوتيموس العلامة في تفسيره هذه الاية قايلاً اي نعم ان بالتي واحداً نظير صموئيل
كان بمقام الكثيرين لانه من ذلك امكنه ان يعدد اوليك الذين صيرهم هذا البار ابراراً
مع كونه واحداً فانتجوا من ههنا ايها الوالدون السامعون باي نوع تستطيعون ان
ترجعوا نفوساً كثيرة وذلك بتربيتكم اولادكم في خشية الله تعالى وتعليمهم الغيرة لمجده تعالى

منذ نعومة اظفارهم الا ان هذا لقليل فاعلموا ايضاً ان من شهادة مار يعقوب الرسول
القايل في رسالته العامة ليصل بعضكم على بعض لتخلصوا عرفنا ان الصلوة عن الخطاة
هي واسطة قوية لردهم الى التوبة وقد تم ذلك في مار بولص لانه لم يستطع مار اسطفانوس
اول الشهدا ان يرجعه الى الايمان بوعظه فرجعه بصلاته عنه ومثله مار اغوسطينوس
الذي لم يرتد الى الايمان بتعليم امه مونيكا ونصايحها فارتد بصلاتها وبكاوها عنه
ومن هنا نقول ايها السامعون من منكم لا يستطيع ان اراد ان يشتغل ذاته هكذا بتخليص
النفوس فان كنتم تجلدون جسدكم سراً في معبدكم فقدموا هذا العمل المقدس لاجل ان ترتد
الخطاة الى الاستغفار واذا صمتم وصليتم قدموا ايضاً صيامكم عن الخطاة بل اقول لكم انه يمكنكم
ان تفيدوا الخطاة وتردوهم الى التوبة بطرايق اقوى من هذه واسهل وهي مثلاً ان تملقوهم
وتستاقوهم الى جمعية روحية او شركة مقدسة التي انتم ملازموها وتجتنون منها فوايد
وافرة لانفسكم او تكلفوهم الى استماع الوعظ احياناً او تحثوهم على تلاوة كتاب روحي او تفيدوهم
اكثر من كل شي بالمثل الصالح لان القديس برنردوس في خطبته الـ ٥٩ على نشيد الانشاد
هكذا يقول ان صوت العمل هو اقوى من صوت الفم اه الو تفهمون ما اقوى فاعلية التكلم
بالعمل العمري انها اشد اقناعاً من التكلم باللسان هذا هو التكلم القوي جداً الذي كان
الرسول بولص يطلبه من تيطس تلميذه قايلاً له تكلم بكل سلطان لانه وان كان التكلم
باللسان يحرك الانفس ويعطفها ويملقها ويجذبها الا ان التكلم بالعمل يضطرها ويلزمها
الزاماً فلنسلم لكم اذا ايها السامعون ان حالكم لا يسمح لكم ان تصعدوا المنابر وتنذروا
باصواتكم ولكن مالنا وذلك عظوا واكرزوا بالمثل الصالح عودوا نفوسكم على الوقوف في
الكنيسة بورع واحتشام لكي يتادب من احتشامكم وصمتكم اوليك الذين يتحدثون فيها
اعترفوا بتواتر وتناولوا القربان المقدس مراراً شتى جهراً امام الجميع بلا حيا ولتنسكب
ينابيعك خارجاً كما قال الحكيم واقسم مياهك في الشوارع لكون الخير الذي تصنعونه سراً
ينفعكم وحدكم اما الذي تمارسونه ظاهراً فينفع غيركم ايضاً لان هولاء يتحركون ويتخشعون
من النظر حسبما اثبت ذلك موضحاً مار بطرس [illegible] قايلاً هكذا يرعون بغير
كلام اذ ان بصروا تقليبكم فاذاً ان كان الامر هكذا فلا ينبغي لكم ان تخسروا الزمان ايها السامعون
الاحبا بل ابتدوا عاجلاً من كل القلب كي تفوا الدين العظيم عنكم الذي لا يتعدى عليكم لعلة الانفس

التي

التي اضللتموها منه ابدلوا الغرقتكم(?) وكدوا واهتموا بخلاصها وتحققوا انه يصعب عليكم ان
ترجعوا الى نعمته بطريقة اخرى غير السعي بخلاص الانفس التي خدعتموها او صرتم
سبباً لابتعادها عنها لانه ان كان القديس بونافنتورا يخبر عن القديس فرنسيس الكبير
انه لم يكن يعتبر نفسه ولداً للمسيح ان كان لا يجد في خلاص النفوس الذي هو نجا
انقذها فماذا يجب ان نقوله عن نفوسنا المسكينة نحن الذين كل يوم نهين في محضر
يسوع المسيح وبعد هذا لا نعتبر ذواتنا ملتزمين شرعاً ان نكافيه عن المضرم بحق
غزير

القسم الثاني

انه على ما يلوح لي لقد اتضح بالكفاية انه لا يسوغ الى احد بالكلية ولو كان علمانياً
او ذو وظيفة لا تقتضي ارتداد النفوس ان يعفي نفسه من هذا الالتزام المذكور اي ما لا سيما يخص العدد ٦
خلاص الانفس بنوع ما غير انه اقول ايضاً ان كان العالميون ملزومين بذلك فليت شعري ما الذي
ينبغي ان نقوله عن التزامكم يا معشر الاقفاء(?) والخوارنة ورؤسا الرهبان فهل يجوز لكم ان تبردوا
نفوسكم من هذا الالتزام العظيم فاسمعوا الحق الان لانبهكم باحترام لكي تحترسوا وتنتبهوا
جيداً لان الله ما اوصى منكم بخلاص نفس غيركم هو لعمري تماماً ان بخلاص نفوسكم انه لمن المحقق
ان من ضمن شيا لغيره بصيغة من قبل كفالته ملتزم بما دير الالتزام ما صار ما هذا مقدار ما حتى اذا
ظهر نقص ما فيما ضمنه يلتزم بان يغرمه هو ويضطر ان يعطي عنه حساباً باصار ما دقيقاً
والحال ان الذي صنعتموه انتم يا سادتي الحزينين حينما تقلدتم تدبير الكنيسة والرعية
صغيرة كانت او كبيرة فهو انكم ضمنتم انفس الذين تقلدتم تدبيرهم ومن جرى ذلك
صرتم مديونين للسيد المسيح بالسعي والاجتهاد ان يقدم له المومنون جزية الطاعة
والاحترام كما هو واجب ولايق وبالنتيجة اذا صار نقص واختلال في ذلك فلابد ان
تساقوا انتم الى الديونية وتفحصوا لكونكم الكافلين وتغرموا بالعقاب وتلتزموا بالمكافاة
عن الضرر فانتبهوا اذاً الى ما يوصيكم به الروح القدس قايلاً يا بني اذا ضمنت صديقك
فقد اسلمت يدك الى غريب اخذت بفخ كلام فمك يليق فاعمل ما اقول لك فتسلم
ان القديس غريغوريوس الكبير وبرنردوس وبيدا وتوما المعلم اللاهوتي خصصوا
هذا المثل الالهي بجميع اوليك الموكلين على الانفس وقالوا ان هولاي بالحقيقة الذين
ضمنوا واسلموا ايديهم ولسانهم الى غيرهم واسلموا ايديهم بالزام نفوسهم ان يعيدوا

الذين ضمنوهم بالمثل الصالح والسلوك الحسن امامهم واسلموا انسانهم ليفيدوهم بالوعظ
والتعليم غير انني اسالكم ايها الموكلون على الانفس عن قضية واحدة قايلاً اخبروني من
هو الذي ضمن لهولاء الموكلون على النفوس واسلموا ايديهم اليه وربطوا انسانهم فقد اليس
هو المسيح ربنا نعم فلماذا اذاً قال الكتاب المقدس انهم اسلموا ايديهم الى غريب العل
المسيح ربنا وسيدنا هو غريب عنا لعمري ان هذا السوال عميق ودقيق ولكن اسمعوا الجواب
نا قول ربما اتفق لكم احياناً ان تذهبوا الى شخص ما وضمنتوا احداً من المديونين له على مبلغ
جزيل من الدراهم وقد عاينتم كيف ان المذكور عند استماعه ضمانكم سر وقبلكم بوجه باش
ومارس نحوكم الاعتبار والاكرام ولكن اذا ما جاء زمان الوفا فكل شي ينبدل عليه اذ يرسل
حالاً وينتش حالاً عليكم باحتراص ويطالبكم بالضمان بصرامة ولا يقبل و[illegible] ولا تشفيعاً
ما بينه وبينكم ويتغافظ من التماهل والتاخير كانكم غربا وكانه لم يعرفكم قط واذ تباطا تم
الوفا فيدعوكم الى المحاكمة ويسجنكم ويسلب موجوداتكم لكي تفوا ما ضمنتموه فعلى هذا النسق
يتم الى بينكم وبين السيد المسيح فهو حال ذكركم يعاملكم كالصديق حينما تضمنون بتوليتكم
على رعاياتها وتدبيرها ولكن حينما يدنو الوقت لمطالبتكم بالضمان المقدس المورد انفاً
فيعاملكم كالغريب وكانه لا يعرفكم اصلاً هكذا فسر المعلم القديس يوحنا المذكور ونص
الكتاب المقدس المورد سيما القديس ماري توما العلامة بقوله ان المسيح يسمى ههنا غريباً لانه
صديق وقت الضمان وغريب وقت طلب الحساب اما احسن وما اسد هذا التفسير اي نعم
سيكون السيد المسيح وقت طلب الحساب بمنزلة غريب لا يعرفكم ايها السادات المقلدون
سياسة الانفس لكي يطالبكم ويحثكم بما ضمنتموه بصرامة مخيفة وتدقيق كلي فاسرعوا اذاً فرحين
واكفلوا غيركم واطلبوا وظايف تسلموا تدبير كنايس وارضيوا خدمة رعايا ولكن سوف تعاينون
بذواتكم ما هو النتايج الواصلة اليكم من ذلك نعم ان الله عز اسمه يظهر لكم الان وجهه باشاً ويقبل
بسرور ضمانكم فهو لكم صديق وقت الضمان كقول القديس العلامة المتقدم ذكره ولكن كيف هو ثقتكم
اتتقون انه سيكون لكم صديقاً ايضاً وقت الحساب والحشر لعمري انكم ضالون ومغرورون ان جوابكم
ذلك لانه تعالى يكون في اي وقت طلب الحساب غريباً فالويل لنا اذ نتعاطى في ذلك اليوم يكون كله صرامة
وكانه غريب لا يعرفنا بل ولا يلتفت الينا حتى ولا لحظة واحدة بل يطلب منا المكافاة ويطالبنا
بالعدل ويأخذ حقه منا حتى اخر فلس بما انه عز وجل يكون غريباً وقت طلب الحساب وفي

مرتين

التحقيق لو لم يكن الامر هكذا لما كنا شاهدنا ان اساقفة بالقداسة انطلقوا الى البراري و
قطنوها لخوفهم من ان يلزموهم في رعاية الانفس وما عدا ذلك ما اكثر الذين استعملوا
طرايق اخر للهرب من هذه ومنهم الانبا نيلامون الراهب فهذا قد ذكر في خبر سيرته الصالحة
ان شعب مدينة بعلبك اجتمعوا يوماً ما وراموا ان يختطفوه من ديره ويجلسوه على كرسي
اسقفية المدينة المذكورة عوضاً من اسقفهم المتنيح ولما لم يستطع على ان يقاوم اغتصاب
الشعب وتوسل الكهنة واوامر الاساقفة الذين حضروا من الارشيات اللاتي ليسيموه
اسقفاً طلب ان يمهلوه يوماً واحداً ليستعد لهذه الدرجة الثقيلة فمنحوه طلبته ثم
اختلى في قلايته وجثا على ركبتيه وشرع يصلي بحرارة ويتنهد ويذرف الدموع ويطلب
باضطرام قلب هذا اعظم مقدار حتى انه نال من الله اخيراً ان يموت هناك مايتاً قبل ان
يبلغ الى مسا النهار الذي امهلوه فيه وهكذا اعتد القديس خيراً لنفسه من الاسقفية وعوض
السايح قطع بيده حالاً اذنه الواحدة ليضحي عاجزاً عن اقبال الاسقفية الاسكندرية الذي
اختير اليها من كليروس والشعب واما افرام السرياني فانه احتال وابان على ذاته بانه
ساه ويجنون لئلا يلتزم باسقفية قيسارية والقديس امبروسيوس قاوم ايضاً ليس باقل
من هولاء المذكورين لئلا يرتقي الى درجة الاسقفية لكون هذا المغبوط لما شاهد شعب
مديولانن اتفقوا على نقله من الولاية العالمية الى الولاية الكنايسية نصب كرسياً عالياً
للحكومة في وسط ساحة المدينة وجلس عليه بحال مرهبة وامر بحضور الجلادين قدامه
وكان بعضهم مصاحبين بايديهم سيوفاً وغيرهم ماسكين سيوفاً وطبرات للقطع والبعض
حاملين عصياً وقضباناً للتاديب ثم لكي يذيع الخبر عنه بانه قاس ظالم امر بان يستاقوا
لديه من المسجونين المسجونين ويعاقبوا كلاً على حسب زلته فمن كان يستحق قطع الراس
فلتقطع هامته قدامه والذي يستحق تقطيع الاعضا فليتقطع والذي يستوجب الجلد
فليجلد ولكونه لم يستفيد شياً من هذه الحيلة فاحتال حيلة اخرى وهي هذه اي انه بعد
رجوعه الى قصره دعا اليه بتجاه الشعب النسا الزواني وغيرهن من النسا العالميات القليلات
الحيا الخجل على الشعب ان لديه هن معشرة وصداقة قاصداً بذلك ان يصير له احتقار من
العامة ويعدلوا عن انتخابه اسقفاً عليهم الا انه لم يستفد شياً من هذه الحيلة ايضاً لانه لم
يستطع ان يغش الشعب ويزيغه عن مقصده في اي بعد ان آيس من كل حيلة فكر انه ليس له

واسطة اخرى تبعده عن قبول الاسقفية سوا النيزعة ولهذا انزع عنه وشاحه ولبس ثوب
فلاح وخرج هكذا متنكراً من المدينة ليلاً وركب متن الطريق يهرب الى بلاد بعيدة ويختفي
فيها ليلاً يمر في شعو الليل كله وظن انه ابتعد عن المدينة جداً ولكن لما تلالا النهار ابصر
ذاته واقفاً عند باب المدينة ومن جرى ذلك تيقن ان الله شاء استقفيته فمن هذه النمو
دجات انتجوا الان ايها المتوكلون على سياسة النفوس انه لو لم تكن سياسة الانفس وظيفة
سامية رهيبة تثقل على مناكب الملايكة فضلاً عن مناكب البشر المايتين لما كان هولا القديسون
العظمون ارتاعوا منها واستعملوا هذا المقدار من الحيل والوسايط ليعتفوا منها مع انهم
كانوا متصفين بعلو قداسة وحكمة وغيرهم وما يماثل ذلك من المناقب الحميدة اللازمة لحسن
سياسة الانفس فمن ثم اقول اما يكون خسيف العقل ذاك الذي يشتهيها ويطلبها ويعتدها
راحة واجرة لا اتعاباً بالوظيفة متعبة مرعبة ومخيفة انه لمن المعلوم ان الملايكة متصفون
بجميع الصفات السامية كالفطنة والحكمة وما ماثل ذلك ومع ذلك جميعه فكل ملاك منهم
ليس له سوى نفس واحدة فقط موكل على حراستها اما الاسقف او الخوري او غيرهم كنايسي
سواهما فلهم تحت حراستهم انفس كثيرة وبعد ذلك العليهم يرجون ان يعملوا الواجب عليهم
اليسير في خلاص الانفس المتوكلين عليها فلا تنيها ونوا اذاً ايها الرعاة المكربون عن كمال وظيفتكم
الثقيلة لكن ازدادوا غيرة في خير الانفس واعملوا ما ارشده الحكيم وقاله ايضاً في الفصل السادس من
انقاهكذا يا ابني فاعمل ما اقول لك وتسلم اسرع اسعى ان تقض صديقك لا تعطي عينيك نوماً
ولا تنعس اجفانك لتتخلص كالغزال من اليد وكالطير من يد الصياد ومعنى ذلك هو هذا
اضمنت يا هذا السيد المسيح المديون له وكفلتهم فاسع اذاً واسرع واجعل كل واحد منهم
يفي ما عليه وتسلم المطلب عظ عاتب توعد قاصص ولا تعطي جسمك وروحك راحة حتى تستوفي
الله تعالى الدعلى المكفولين منك من الاكرام والتعبد ولكي تبطل العوايد الردية التي دخلت في
رعيتك وتضمحل الخصومات والعداوات وتستاصل الادناس ويتعلم الشبان على الخصوص التعليم
المسيحي الخلاصي ولكي تردوا سطوتك للكنايس الوقار ولاهل الاكليروس الهيبة وللطليعين
التهذيب المقدس الا ترى الغزال كم يعدو ويتعب ليخلص من الشرك المتنصب به والطير لينفلت
من شبكة الصياد انصبابنت وجد وجاهد هكذا لتسلم من شبكة الضمان التي جلبت بها
نفسك فاعمل اذاً ما اقول لك يا ابني وتسلم وتتخلص كالغزال من اليد وكالطاير من يد الصياد

لانك

لانك بهذا الضمان الزمت نفسك بشي جزيل القيمة وفايق الاعتبار وهو انقياد الانفس
المتوكل عليها ولهذا نبهنا ابن سيراخ قايلاً لا تضمن اكثر مما تقدر وان انت ضمنت فوطن
نفسك لانك قد توفي والمجد لله دايماً

العظة التاسعة عشرة

في ثمرها بعد الاحد الثالث من الصوم المقدس تتضمن بيان اصناف الثلثة الاشرار التي
تصدر من لسان النمام في وقت واحد الثلثة انفار اولاً لاوليك الذين ينم فيهم ثانياً لاوليك
الذين ينم قدامهم ثالثاً لنفسه خاصةً وذلك لسبب النميمة الغير المبالي بها والقصد
بهذا كله ان يعلم النمام تحققاً ان خيره وصلاحه قايمان في الصمت وحفظ اللسان كلياً
لا في النمو والثلب فقط

لماذا تلاميذك يتعدون وصية المشيخة اذ لم يغسلوا ايديهم عند اكل الخبز هكذا اخبر مار متى في فصل ١٥ العدد ٢

لقد قيل ان الزهر الذي يجتني منه النحل الحلو لعمل العسل منه نفسه يستخرج العنكبوت سماً قاتلاً ايضاً فان كان هذا
القول صحيحاً فقد صح واتضح بحقيقة جلية اليوم في اعمال الرسل القديسين لان هولا
المساكين قد كانوا تبعوا يسوع مخلص العالم ولهذا اضطروا ان يعيشوا معه بالذل والحرمان
ناسين ذواتهم غير مهتمين براحتهم ونظام احوالهم وملاطفتها ومع ذلك من ذا يصدق
ان البعض من اليهود لحظوا في هذا ايضاً ما يقرفونهم به ويثلبونهم لكن ما الذي رقبوه
فيهم العل ذلك كان مخالفة باهظة شنيعة تضاد ناموس موسى كالاكل من الحيوانات
النجسة المنهي عنها او لمس الجثث المنتنة كلا بل انما عابوهم بانهم ياكلون احياناً من غير ان يغسلوا
ايديهم قبل الاكل حتى ولو كان اكلهم الخبز فقط لا اللحم والطبيخ حسب تدم اليهود عليهم
فابلغ انهم لم يغسلوا [illegible] عند اكلهم انه على التحقيق كان الاولى والاوجب على اليهود ان
يحتسبوا عدم غسل الرسل ايديهم فعلاً صادراً من البساطة والسذاجة المقدسة لكونهم
تراصيادين غير متفلسفين لا احتقاراً للطقوس وتعدياً للوصايا والتسليمات الا ان هذه
هي شيمة الاشرار الناس المنافقين انه يستقطروا مرارات كثيرة من كل عشب جيد شافي سماً ناقعاً و
هذا الشر لم يزل جارياً ايضاً في زماننا هذا كل يوم ومتملكاً في كل مكان وكان طاعون مفسد
دخل في كل اماكن المدينة يدب في الشوارع وفي البيوت وفي القصور اللهم الا يكون متسللاً الى
الديورة المصانة والمحصنة باحصن الاسوار الروحية فاذا اردت اولك الاشرار واحداً

متى اصغا صبوراً على كل صنف من الاهانات فيقولون فيه انه ذليل جبان واذا كان فنوعاً يحب الامساك الحميد فيثلبونه بانه بخيل واذا كان متورعاً وعابداً فيتهمونه بمرايا انه مراي فريسي واذا كان عفيفاً طاهراً فينقدونه بانه قاصر وعاجز وعلى هذا النسق يستخرجون من كل شي مادة فايضة للمذمة والقذف كانه بذلك راجع الى مجدهم وكرامتهم ولا يرجون ارتفاع مقامهم وشانهم الا بانخفاض شان غيرهم ولا يتلالاون بمجد وبهاء الا بتسويد غيرهم ليت شعري ايها السامعون اما هذه حقارة ودناة نفس عظيمة انه ليلزمنا ان نرقب نفوسنا ونصير نحن كاملين لان نجعل الغيران يظهروا ناقصين ومن ثم قصدي اليوم ان اصرف هذا الزمن كله المعين للوعظ في ترويض هذه الالسن المطلوقة للمذمة والنميمة الكاينة فينا واحث النمامين على محبة الصمت الممدوح وعدم التكلم باعمال الناس اقتداء بداود الصالح الذي حتم على نفسه قايلاً لا يتكلم فمي باعمال الناس وما هي اعمال الناس لعلها هي فضايلهم كلا بل انما هي نقايصهم ورذايلهم لان الفضايل هي من الله تعالى فهولاء اذاً هم الذين يحبون دايماً ان يتكلموا باعمال الناس يسلكون على هذه الصفة وهي انهم يتكلمون بما هو للناس من الله وبما هو لهم من نفوسهم ويصدر من ذلك انهم يستحيلون من النمامين الى المساقلين غير انني لخايف من ان هولا عند استماعهم اياي طاعناً اياهم بسهام الكلام يسخطون ويجعلونني انا المسكين ان احمل العقاب بذنبهم معطي هذه البغوضة لهم لكن مع ذلك جميعها اريد انا اتمم وظيفتي الملتزم بها وقد ارتضيت ان ينفث هولا غيظهم كله بي لاني ارضى بان اذم بشرط ان يعفوا غيري من الثلب والقذف بهم ✻ وها انا ابدي الخطاب فاقول ما احسن

العدد ٢

بحدكم ايها النمامون وما اعظم فخركم المتصل اليكم من محاربتكم ذلك الذي هو غايب عن لواحظكم لانه من انه هو غايب ولا يسمع ما تطعنونه به بل ان لسنتكم الرهيفة لا يستطيع ان يبرر نفسه مما تتهمونه به ولا ان يعلمكم كاذبين مفترين ان استماع الوصية التي امر بها في سفر الاحبار وصية لا تفترون انتم جيداً اما انا فاني معتبرها كثيراً واحسبها من اخص الوصايا المقدسة لانني لي فيها ارى انها تنهى كل احد عن ان يتجاسر فيسب الاخرس او يتكلم عليه كلاماً ردياً وهذا هو قوله تعالى لا تشتم الاخرس لماذا اوصى الله عز اسمه هذه الوصية لعل الخرسان نعم عليهم نعمة خصوصية دون ساير المصنوعين حتى انه يجوز لنا ان نشتم الخليعين والمقطوعين الاعضاء والعميان والطرشان ولا نبكم كلا ليس الامر هكذا لانه من المعلوم انه يجب ان تكون الحجة عامة كقول بطرس هامة الرسل القايل

المودة تغطي كثرة الخطايا بل المعنى حسب مفسري الكتاب المقدس هو ان ايتها الرب اراد ان يفهم نحو الخرسان عناية تامة وفرط ان الشتم من لا يقدر ان يتكلم ويرد عن نفسه ويبررها هو بعض من الاقتدار والقساوة وهو غريب جداً ولعل الان هذا هو صنيعكم انتم ايها النمامون حيثما تشتمون وتثلبون بمن هو غايب عنكم كما يعلمنا القديس غريغوريوس الجبر الاعظم يقول هكذا ان انتم بالغايب او القبر السامع هو شتم بالاخرس فانتم اذا كنتم في محضر تشرعون في مذمة اعمال من هو بعيد ولا يسمعكم ولا تفطنوا ان مذمتكم هذه ليست هي نقيصة عظيمة فقط بل هي قساوة ضد العدل محضة ليت شعري لو كان ذلك الذي تسنون لسانكم عليه حاضراً بازايكم هل كنتم تتجاسرون على ان تتكلموا عليه ردياً هكذا لكن اغفروا لي اذا ابتدات ان استعمل عظاتي عبارات جافية قليلاً لكي اورد على سماعكم الحق موضحاً لكم انكم تقومون بوظيفة الخاينين حيثما تثلبون بالناس عند غيابهم لانكم تفتحون عليهم في الغيبة وفي هذا كان ايوب الصديق يقول انصرفت فتكلموا في فاذا شعرتم بنقايص وعيوب في احد امضوا اليه بشجاعة وخاطبوه مواجهة كما صنع ناثان مع داود واحيا مع يوربعام ويخلع مع اخاب واكشفوا ما اتمه و انصحوه وبكتوه مشافهة لانكم اذا فعلتم هكذا فتربحون عند الله اجراً وافراً لكن اذا فرقتموه وهو غايب فانما تشيرون بذلك على انكم نظير الكلاب الجبانة التي تصرخ على الذيب ولكن بعد ان يكون حمل الخروف وابتعد ودخل الوعر ووصل مربضه وما عاد يسمعكم ايضاً بل يا ليت النمامين يصنعون مثل الكلاب ايضاً لانكم اذا رصدتموهم فترونهم يصمتون لا محالة ولو كان الذيب قريباً وقد سماهم اشعيا النبي كلاباً صماً لا يقدرون ان ينبحوا ولكن مع ذلك فلا تطابق الكلاب مع الذيب على الفريسة ولا يواسون معه ولا يعاونونه على خطف الخروف واما انتم فكم من مرة تثلبون بذلك الشخص وهو غايب عنكم قايلين فيه انه لعشرة ردية في الملاعبات او انه متولع في اللعب المحرم او يبدد ماله على معشوقاته او يتهاونون في كمال وظيفته وما اشبه ذلك من انواع القذف لكن اذا احضر قدامكم فتبتدون حالاً ان تحمدوه على هذه الخصال عينها التي لاجلها تثلبونه سابقاً اي تحمدونه على شهواته كانها فوزه الطبيعة التشابه وباللعب كانه تنزه وتفريج الغم وبالبذخ كانه سخاء وجودة وتعلمونه ان يلتهي احياناً عن اشغاله الضرورية التي كنتم سابقاً انتم تتهمونه انه متهاون بها اما هو هذا اقتراف شنيع على القريب انا عارف انه يلزم للانسان شجاعة قلب عظيمة لينصح قريبه مواجهة على زلاته

لاسيما اذا كان بذا مقام سام اي انه يلزمه ان يكون نظير ايليا محتقراً كل شي ارضي وراضياً بلباس خشن
على جلده ومكتفياً برغيف الخبز اليابس الذي كان ايليا يتغذى منه نايماً على جرعة ماء في القفر
لكن اذا كان ليس لكم هذه الشجاعة العظيمة في النصح والتبكيت شبه ايليا الغيور فالكم تقدرون
من بعد الصيت من لا تحترسون ان توبخوه عن قرب توبيخاً خفيفاً فقط لان الحق حسب قول
ماري ايرونيموس لا يجب ان يختفي في الزوايا ومن لدغ قريبه هكذا اي سراً وعن بعد يشبه الخلد
والجرذان التي تلدغ سراً خفياً بل الاشر من ذلك يشبه الافعى التي تكمن مخفية تحت حجر او ما يقرب
الرمل وترصد بغير صفير وبلا زحف لكي كلما يجوز من هنا تلدغه من غير ان ينتبه على عقبه
كقول الحكيم ان لدغت الحية سراً كذلك الذي يثلب خفياً وبعد ذلك جميعه اتظنون
انه يسهل عليكم ان تردوا فيما بعد الصيت الصالح لذاك الذي اختلستموه منه لعمري انه وان
افرغتم مجهودكم كله فقد يعسر عليكم ان تردوا صيته كما يجب انه لقد قصد موسى النبي ان يظهر
لفرعون انه هو قاصد من الله حقاً ومن ثم اذ اراد ان يقنعه بهذا هكذا فعل اي انه القى
القضيب الذي كان بيده على الارض وللوقت حال حية ثم ماذا اتفق بعد هذا فعاد وامسكها
بيده ومن ساعته ردها عصا كما من ذي قبل فاتى سحرة فرعون وراموا ان يصنعوا آية نظير هذه
الا انهم ما استطاعوا لانهم وان كانوا استطاعوا على انهم يجعلوا العصي حيات غير انهم لم يمكنهم
ان يردوا تلك الحيات الى عصي كما من ذي قبل فههنا قال الذهبي فاه متفلسفاً حسناً هكذا
افهموا المعنى يا صاح وتأمل الى اين بلغت قوة الشيطان على ان سحرة السحر استطاع ان يصنع
من العصا حية لكنه ما استطاع ان يصنع من الحية عصا لانه يستطيع ان يصنع من الخير شراً
لا من الشر خيراً فهكذا يجري الامر في صنيعكم يا معشر النمامين على انكم لقد يمكنكم بسهولة ان
تجعلوا ذلك الانسان الصالح يستبين في اعين الناس شبه نظير الحية لكن كيف تستطيعون ان
تردوا له فيما بعد صورته الحسنة التي شنعتموها بتدنيكم وكيعتكم ويمكنكم ايضاً ان تجعلوا
العفيف ان يستبين دنساً ولكن كيف تقدرون ان تجعلوه ثانياً ان يظهر من دنس عفيفاً لقد
يمكنكم ان تصيروا العابد التقي محكوماً عليه بانه مرائي لكن باية طريقة تستطيعون ان تردوا
له الظن بانه عابد متورع حقاً بعد ان صيرتموه مرائياً فالشر الذي يقال في الناس يصدق
حالاً امام اجمعة القول بالشر وتبدره فقليل جداً من يصدق فيها تصديقاً كاملاً فمن هنا تعرفون ان
من البدي انكم لا تستطيعون ان تعوضوا على قريبكم الضرر كله الذي اوصلتموه له بفقدانكم لانه رد

الصيت

الصيت واصلاحه كلياً اصعب وعسر جداً جداً لعمري انه ههنا اي في مثل هذه الحوادث
لا يستطيع المرء ان يقول نظير ما امكنه ان يقول في ارتداد الدراهم المختلسة ان اظلمت
احداً بشي فرد له اربعة اضعاف كما قال زكا العشار فما هو اذاً الطريقة التي تبعدنا
من السقوط بهذه الصعوبات العظيمة الكاينة في ارتداد الصيت بالكمال فهي هذه
ان تصمت لانك ولا تثلب احداً مقتدياً بداود النبي القايل لا يتكلم فمي باعمال الناس
غير اني انا لم ابين لكم حتى الان سوى الضرر الاخف وهو الضرر الذي توصلونه للشخص الذي
تثلبونه وهذا الضرر مع انه ثقيل ومعتبر لانه ضرر في الشان والصيت الصالح نعم ذلك فهو
ضرر زمني زايل الضرر في النفس ابدي ومن ثم الضرر الاعظم الذي تسببونه بالنميمة فهو الذي تسببونه
للشخص الذي تثلبون قدامه لانكم تضعون له عثرة ما بين رجليه تستطيع بسهولة ان تزجه
في الهلاك وانبانا لذلك اخبروني هل الانفار الذين تثلبون قدامهم هم اناس اتقياء الحوف ام
اناس اشرار منافقون ماذا تجيبوني فان قلتم انهم اناس اشرار منافقون فاجيبكم قايلاً اما اجهل
ما يفرحون عند استماعهم منكم ان لهم شركاء ورفقاء في الاثم لعمري انهم ح يتعززون ويتشجعون
على ارتكاب الخطايا اعظم شجاعة والذي هو ربما اشر من ذلك فهو انهم عند استماعهم اياكم
تذكرون سقطات غيرهم وجرايم فيتهزاون بها ضاحكين خبرنا الكتاب المقدس ان داود الملك
لما بلغه الخبر بان شاول الملك واولاده الثلثة الابطال سقطوا قتلى اخيراً في جبال جلبوع
من عسكر اعاديهم طلب من الذين اعلموه بهذا الخبر السوء ان لا يوصلوه الى سكان جات
وشعوب عسقلان وذلك ليلا يصير للغلف سبب اعظم في ان يشمتوا بشعب اسرايل ويهزاوا
بهم متنظين قايلاً لا تخبروا بهذا في جات ولا تبشروا في اسواق عسقلان ليلا تفرح بنات
الفلسطانيين ليلا تطرب بنات الغلف اما انتم ايها النمامون لماذا تنصبون ديواناً
في تلك الجمعية الباطلة وتشرعون بذكر عيوب ذلك الشخص الكنايسي او ضعف ذلك
الاكليريكي او نقص ذلك الراهب سوى انكم تعطون للغلف سبباً للطرب والشماتة بهم
لا شك في ان سكان جات وشعوب عسقلان لقد كانوا فرحوا لو بلغهم خبر موت
شاول واولاده الان فرحهم هذا لم يكن الا بمصيبة زمنية حدثت اتفاقاً على شاول
واولاده اما اولئك الذين يسمعون قذف السنتكم يفرحون بالخطية ومن ثم كم من مرة
يتقوا انه بسبب خطية شخص واحد فقط ذكرتموها انتم يتسع الكلام ويلطخ الراهبنة كلها فتكثر

ح النمامون فيقول بعضهم انه قد بطل روح القداسة من هذه الرهبنة وآخر يحكم بقصاص
أولئك الرهبان وآخر يثبت أنه يجب استيصال رهبنتهم وآخر يذم قانونهما وفرايضهما المقدسة
لعمري أن مثل هؤلاء يماثلون العصفور لانه مثلما ان هذا الدبيب حينما يصرخ على الأشجار في
أيام الصيف يحرك بصراخه العصافير الآخرين الى ان تتغاير وتملأ جميعاً الوعر صراخاً هكذا اذا
نم منافق واحد فينبه الآخرين الى التمثل به بالنميمة فكيف يمكن اذاً ان لا تخافوا من ان تحملوا
نفوسكم هذا الحمل الثقيل من الآثام اللاتي تصيرون انتم سبباً لها بتقذف السنتكم لكن ان قلتم
ان الاتقياء الذين تنمون عليهم اتقياء صالحون ولهذا لا يفرحون ولا يضطربون من استماعهم
السماجات التي تذكرونها انتم بل يمقتونها ويشمئزون منها فاجيبكم قايلاً العلكم تظنون انكم
لا تجعلون لهم بسبب ولتيه ايضاً خطراً واهياً الذين يرهقوا ويذنبوا كمثل الاشرار المنافقين وان ظننتم
والنعرية لانه ليس تتقوا انهم يتعلمون ح شرور كثيرة لم تخطر لهم على بال او ذلك الحين فقط
بل مما علا ذلك لتديتقوا ايضاً انهم اذ يسمعون غيرهم بتلك الفظايع التي هم منها بريئون فيعتريهم
روح العجب والافتخار بسهولة داخل قلوبهم ويخشى عليهم ان يتشبهوا ويحسبوا بذلك الفريسي الذي
خبره في الانجيل المقدس لحيث انه يفتخر وانفسهم منفصلين على الآخرين قايلين بعجرفة وخنخنة مذنوس
اللهم انا نشكرك لاننا غير ليس كمثل ساير الناس ومن جرى ذلك يسهل عليهم ان يحتقروا الانفار
المذمومين منكم ويفرون هاربين منهم بعد اذ كانوا سابقاً اصدقاءهم المعتبرين ويتحايلون منهم
بعد اذ كانت لهم قبلاً ذا التجزيلة نعمهم في كشف اسرار احدهم للآخر واذا سلمنا انهم لا يتورطون
الى هذه النقايص كلها فيمكن ان تنثلم المحبة المسيحية والالفة الصالحة التي كانت فيما بينهم لانه
الاقرب هو ان يسرعوا بتصديق التهمات قبل ان يسمعوا نص الفريقين وهذا هو ما اوعز اليه داود
النبي القديس لما قال اذ جلست تكلمت ضد اخيك وعلى ابن امك وضعت شكاً قال اذ جلست
معنى ذلك انك لم تتكلم ضد اخيك بسرعة او باختصار او بتقليل من الزمان والكلام لكنك
تكلمت ضده بتاني وهدو ومستطيلاً جلست في ديوان ذاك الامير الذي انت قايم في خدمته جلست
في قارعة ذاك الشارع حيث تجتمع الجهلة والسفهاء الذين هم مثلك جلست على باب ذاك
الحانوت الذي فيه يتنظر محفل الهزء والضحك جلست على كراسي تلك الكنيسة حيثما كان الشعب
ينتظر الوعظ جلست في تلك المايدة جلست في تلك السهرة جلست حذا تلك النار التي كنتم
تصطلون عليها وبالاجمال اقول جلست كانك في محل يوجبك لذم وافترا وطرحاً بعيضنا تتكلم ضد

اخيك

اخيك لكن ماذا تظن أتظن ان ههنا نقطة شرك واسأتك لا تظن هذا انقطر يا ايها النمام
الشقي لانك في الحين الذي تكلمت به ضد اخيك وضعت ايضاً شكاً على ابن امك اي وضعت
شكاً لأولئك الذين سمعوك كون اولئك مما انهم ضعفا وناقصوا الرأي فيزداد بكل واحد
منهم حسب تفسير القديس اغوستينوس ابن ام اي ضعيف وناقص الرأي قلت اولئك الذين
سمعوك زلوا وعثروا من كلامك المملوء قذفاً وسقطوا لانهم نالوا منك سبباً الان يخطيوا ايضاً
كثيراً او قليلاً بحسب ضعفهم ونقص رأيهم لكونهم سمعوا وتعلموا الشر الذي لم يكونوا يعرفونه
ولا الحكم في احد حسبما فسر القديس اغوستينوس النص النبوي المذكور وبعد هذا اما تخاف
اما ترتعد بل ترتجف لانكم كلما ليس اثامك فقط بل اثام الآخرين ايضاً فطاوعني اذاً واقصد
القصد الذي قلته لك انا واهتف مع داود النبي قايلاً لا يتكلم فمي باعمال الناس

العدد ٥

ولقد يحق لنا ان نقول ايضاً اكثر من ذلك لانه يجب عليكم ان تعلموا ان لسان النمام افعى ذي لسان
بثلث الرؤوس ومن ثم يجرح كقول القديس برنردوس بلدغة واحدة ثلث جراحات فيجرح اولاً
الشخص الذي ينم به لكونه كما تقدمنا فقلنا يؤذيه اذية عظيمة ثانياً يجرح الاشخاص الذين ينم
قدامهم حيث انه كما بينا آنفاً ايضاً يضع لهم شكاً وعثرة للخطا ثالثاً يجرح ذاته بل نفسه
لانه يضرها بهذه المضرات المستعدة لان اوضحها لكم الان بخطاب اوفر اسهاباً امامر في
توضيح المضرتين المشروحتين اعلاه الى لا يحتاج الى فصاحة اغزر مما مضى لا استطيع ان اوضح
جلياً هذه المضرات لانها اعظم كثيراً من المضرات المشروحة اعلاه ولكي تفهموا من ذلك ايها
النمامون كم تسيئون الى نفوسكم بعدم ضبط السنتكم فاقول اولاً انه لمن المحقق مع ان ذلك
ربما هو الشر الاخف) انكم لما تظنون ان نميمتكم ترضي السامعين وتجعلكم لديهم معتبرين
مقبولين لاجل ان الثالب في الناس يسمع غالباً بشوق ولذة بعكس ذلك تصيرون ممقوتين عندهم
ومرذولين لانه لا يمكن الا ان يتم بكم ايضاً ما نطق به سليمان الحكيم قايلاً ان النمام مبغوض
ممقوت عند الناس وهذا هو نص كلامه الثالب هو رجاسة الناس وتصديقاً لذلك اخبروني
قليلاً ايها الصلك تحسبون الناس المتكلمين معهم سذجاً وغشماً بهذا المقدار حتى لا فهم لهم لان
يفكروا في نفوسهم انه كما انكم تذمون الآخرين قدامهم هكذا تاتون بذكرهم ايضاً امام غيرهم
لعمري انهم يفهمون ذلك ويفكرون به ويعتقدون بكم خاينين للاسرار لكم ومع انهم يظهرون لكم
بالتبسم وطلاقة الوجه انكم لديهم في حيز القبول والرضى فمع ذلك يحتقرونكم باطناً قايلين

في ذواتهم ما اوهم العماليق لانه وكيف يتعظم ويمرح لا ريب في ان هولاهم الذين دعاهم
الحكيم الجليل الذي اسمه انسيوس وان كان ممكن يعز ترد غيظنا فقد انسا بلا ريب في انهم عم توبا
لدى الخبر ان هولا المخالفين لا يسوغ لنا ان ندعي لهم ولا نتفلسف عليهما الناموسين ثم يبيدكم
تا ابنو مذبتهم بحيات مصنعة او ما يوجهم عقرتهم بعدم ما يتجملوا للكلام بكهرسه او ثمار او
ذلك اذا احتقرتموهم هذه توهم في الكثير ومدحتموهم في القليل لموثر هذه صناعة وحيلة
داهية كتبعالي ونبهوا مستعد لذلك اي غالب الناس لانه يصعب جدًا ان يوجد احد تقي عارف
ان الرب يصطفيه ويمرح ولو كان مستترًا بعزة او ورق اخضر ان الجواسيس الذين ارسلوا من
شعب اسرائيل الى ارض الميعاد ليختبروها ثم رجعوا وكيف هي لما عادوا الى العسكر وارادوا ان
يذموها ويزهدوا ضمائر الشعب بسكنها جعلوا الحاضرين اولاً ابتدوا بالمدح فيها ويفترون عنها
كثيرًا وكذلك ارخيم عنقودًا من العنب اتوا به من بينها كبيرًا بهذا المقدار حتى انه لزم ان يحمله
شابان متوسطا على خشبة ثم اروهم بعض رمانات حسنات المنظر ثم تدعو اليهم ايضًا تينا اسودًا
ودسمًا جلًّا وقالوا اليهم انهم هذه الثمار لما الحسن وما الخصب الارض التي يستاقنا الله
اليها بالحقيقة انها تفيض لبنا وعسلا ومشتهى رؤيتها ما اسهل ما اوليها ما المعز بها
وبالشبعة الذي يوجد بالعالم الارضي ترى افضل منها ولكن كيف ختموا خبرهم هذه المعول وانهم
المقولات عليهم وقد نقضوا بعد قليل على هذه القصارات العسلية المتقدمة فهم الشعب اجزل
المرارة جدًّا وذلك بقولهم ان سكان تلك الارض جبابرة ومدنها حصينة يصعدون بها جدًّا
وبكلامهم هذا حصلوا الشعب كله على التذمر بخوف ويغضب واضطربوا وثاروا على موسى
وهارون بل علوا بسخاتة بحجتها سيفيقا لم يصر مثله الى ذلك اليوم في مضارب العبرانيين فاتحذروا
اذًا من هذا ايها النمامون ان تصنعوا هذا في ذم القريب ومدحكم القليل اليه ليس هو صنع وصادقًا
بكم كما تظنون لكن تقديم معروفه من غيركم تيلكم ومنعه ان يعين عيانًا انه لا يفيدكم شيئًا ولا يصيركم
في حيز القبول والمحبة لدى الناس بل يحملكم ان تكونوا مترتبين عند الجميع وذلك حسبما قال الحكيم
اعلاه ان الثالب نجاسة الناس على ان الجميع فهم يودون جهلا ان علة تلبكم اعمال الناس ليس هو
غيرة صالحة منكم لكن غيظًا او بغضًا او حسدًا ملتبسًا فيلا ان شكل الغيرة ومن قبل ذلك تتخذ
نسبًا كالمين يسمعكم فاذا يحذرونكم اذا انكم تنظرون كلاب العابر المهيجة التي يلزم ان تهرب منها
بدم كل حيوان على جانب السري ولذا يحذرونكم في عقلكم لان الثالب نجاسة الناس هو

182

ولكن حانات تنقرض ان تصيير كم الناس لا يحملكم تمقتون وترذلون بل يصيركم ذوي عيب وتقول عنكم ان العدد
الذين يسمعونكم ولكن اما تظنون جيدًا انه يصيركم انتم لا يكون مبغوضين عند الله تعالى في الكرة البرار
الامر يقول فيها السنة الى الرومانيين ان الثالبين هم لله مبغضين ولا عجب في ذلك لان هذه
الرذيلة التي افتعلوا عن الناس هي ان انها تضاد شيم الله تبارك وتعالى وكيف لا وهو الحال الذي ترتئيه
كما هي ذاتك وداعة ورافة تعذيبه ولاجل ذلك قال مار توما العلامة ان الله جل وعز يستصعب
جدًّا ان يظهر جرايرنا الخفية مادمنا احيا في هذه الارض ويتقنع ذلك يستر وكيف تشعل
انتم الثالبين المارة ساجدًا قدامه على ان هذا الذي يغفر الشارع هذا ما الغريبة مقرونًا
من البرد في بين هولا من اللعن بمعنى انسا للكاد استطاع ان ينطق قدامه وما هو الشيء الذي على مستعد له
بيرتقل والتي المطلا عتق حلالا بان يدفنها او يطعمها او يسقيها كلا لكنه اهتم بان يكسوه ولذلك امر
للوقت قبل كل شيء ان يأتوه بالحلة الاولى واستر حاضنو معتنقا الى ان اتوه بها والى عبيه صنع
ذلك لعوان السبب هو ما اورده الذهبي اللسان وذلك بقوله يستره ولا يدع احدًا يعيده
بل يراه عريانا وهكذا يا جلت مراحمه سترا ايضًا فضيحة الزانية التي قدمها الى الهيكل لانه ما اراد
ان يكلمها ولا بكلمة واحدة من التبكيت قبل ان يعزي المشتكيين عليها ومثلها ستر ايضا فضيحة
السامرية التي وان لم يستر المسيح ذاته لم يشا ان يوبخها على سماجة افعالها الا على انفراد وذلك
بعد ان انصرف عنه جميع الرسل وكذلك ستر مكر يوضاس لدى رافع نفسه لانه مع ان الذي سالكه فيه
بالحاجة كان يوحنا الحبيب ذلك الحبيب والمنعم عليه وخازن اسراره الغامضة العميقة مع ذلك
لم يشا يظهره ولذلك ايضًا لم يرد ان يقطع نصع اذا كان الله جل ثناوه يستصعب كثيرًا ان يظهر
جرايرنا الخفية مادمنا احيا بهذه الارض حسب قول مار توما اللاهوتي المتقدم ذكره فكيف انكم يمكن
ان لا يبغضكم الله تعالى ايها النمامون لما تصنعوا ما يضاد شيمه الحكيمة وتظهرون جرائر قريبكم
الخفية المستترة وتزيدونه فضاحة على قباحة سام بن نوح اذا انكم تفضحون من هو اقدس منكم
بل تدعون اخرين كثيرين ليتنزهوا عليه نعم ان الله يبغضكم من اجل نفاقكم هذه العالة ولكي اريكم
امثل في ذلك اسالكم ان تخبروني اترى كم تظنون ان اكم انتم الفضل اذ انكم اقل خطاة من اخيكم ذلك
الذي تتكلمون عليه بالذمة ان لا عالة في ان كل خير وكل فضيلة هي نعمة من الله وانتم تتعرون
لذلك على اصحابكم بل انكم تذمونه وتلدغونه فاذا انتم تعرفون من هذا الافتخار والكبرياء الارتفاع بذ
النسعين اعانتكم واذ لعدل الله عز ان يضدكم اما تسقطون في تلك الاثام بعينها التي تذمون بها

غيركم اسمعوا ما نطق به الروح القدس في سفر الامثال قايلاً ان المنافق يخزى اي نعم ايها السامعون
ان المنافق يخزى ويخزا اوه ليتني كنت استطيع الان على ان اسهب القول فيما نحن بصدده كل زمان
وفي كل الشعوب وفي كل عمل ولكن نكتفي الان عن الجميع بخبر ابيشالوم المنافق وفي التعيين لو لم تكن
قصته موردة من الكتب المقدسة وهي من عقايد الايمان لما كان الجميع صدقوها انه لقد كان هذا
ابيشالوم سمع ان حمنون اخاه الكبير اغتصب بحيلة تامار اختهما بعد ان الغرام حمله ان يضر بها و
لذلك افتضها يوماً ما بعار لم يسمع بمثله قط فغضب ابيشالوم من ذلك بل احتمى غيظاً وحقداً
الى هذا الحد حتى انه حكم بعقله ان فضيحة اختهما لا تمحى الا بقتل حمنون اخيهما المغتصب ولكن
ماذا صنع ليبلغ ارب هذا افتناس بمعرفة ثم اخفيه الى مدة من الزمان ثم لما ابصر انه في احد الايام
الوقت ملايماً لاتمام مقصده صنع وليمة فاخرة وارسل ودعا اليها حمنون وساير اخوته وصنع له
فيها كميناً ثم دخلوا وانقضوا عليه وقطعوه ارباً ارباً باسلحتهم فمن منكم الان ايها الاخوة السامعون
لا يستنتج من هذا الصنيع ان ابيشالوم اضحى ملتزماً بان يحذر بحرص كلي في انه لا يوجد مدنساً
بالعيب الذي ابغضه في اخيه وقاصصه بحد به فهذا اعظم مقدار هو الا الحكيم قال من يستهزئ
بامر سيلزم بالامر ولاجل ذلك اما تحكمون انه قد وجب على هذا الذي غار للعفة بهذا المقدار
ان يعيش فيما بعد طاهراً عفيفاً كالحمل النقي بل مبتعداً عن كل دنس ونجاسة نظير القاتول المشتهر
بمقت كل دنس ومع هذا جميعه اسمعوا ما اصطنعه هذا الغبي بعد ذلك لكونه صنع امراً ترتجف
منه الفرايص لا محالة وارتكب نفاقاً اعظم جداً من النفاق الذي ذمه في حمنون اخيه لانه لما هرب
داود ابيه من سراية الملوكية وتركها مفتوحة نصب في سطح عالٍ فوقها خيمة عظيمة واحضر
لديه بتجاه الشعب كله نساء ابيه وفضحهن بوقاحة لم يسمع بمثلها عند البربر حتى ولا عند الوحوش
البهايمية ايضاً ولكن بالعدد ليس باقل من عشرة وهذا نص التوراة ضرب لابيشالوم خيمة
على السطح ودخل على سراري ابيه بتجاه الشعب امام اسرائيل كله اهذا هو ابيشالوم ذاك الغيور
الذي عمل بحسناً عظيماً من اجل اثم واحد فقط سمع به في غيره ما هذا الانقلاب الغريب ما هذا الامر
البديع لا ريب ان حمنون اخطا لكن سراً خفياً وفي اخفى مخادع البيت حيث خاف على الشعب انه
ربما يضر لخوفه من ان تشتهر خطيته التي قصدها اما ابيشالوم فما استحى من ان يخطي جهراً
وباصوات الابواق وبصناديد المنادي وفي الظهيرة بتجاه امم وشعوب لا يحصى عددهم اي نعم
هكذا جرى واتفق ايها السامعون فهل حقاً قد اتصل ابيشالوم ذلك الغيور ضد اثم غيره الى هذا الحد

من النفاق اي نعم ولاي سبب اتصل الى هذا النفاق فليورد كل منكم السبب الذي يهواه فانا محقق
عندي انه ما اتصل الى هذا الحد من النفاق الذي لم يذكر مثله في كل الاجيال لهذا السبب اي لانه
من جرى خطية واحدة اقام بحسناً وضجة عظيمة على اخيه على ان المنافق يخزى ويخزا هو
ما رحم اخاه ولا عذره بل اراد ان ينتقم منه ويخزيه ويفضحه امام الشعب واما الله فسمح في
قصاصاً عن قلة رحمته لاخيه ان يتهور في اثم افظع من اثم اخيه جداً ثم فلننظر نحو ذلك مع ما
نحن في صدده فنقول انت يا اخي تمزق بلسانك المرهف صيت قريبك لاجل خطية انتج بها
امام من قبل الضعف البشري او من شدة التجربة او من حدة الخلق او من خفة العقل ولكن ما تخاف
ليلا يهملك الله فتتهور في جرايم اثقل من ذنوب غيرك فانت ادرى بها في نفسك غير انني اسالك
باحترام جزيل بان لا تثق بنفسك ولا تتوكل على قوتك وبخ صديقك هكذا قال ابن سيراخ
الحكيم وبخ قريبك لانه هذا فعل صالح به ثوابي لكن افعل ايضاً ما حرره الحكيم المذكور بعد ذلك
قايلاً واجعل موضعاً لمخافة العالي لانه وان استبان لك انك حاصل على الكمال في هذا الحين
فمع ذلك لا تعلم ماذا يصيبك في جميع اخريات شعري من كان يصدق ان ياهو ملك اسرائيل
ذاك الذي بغيرة مقدسة نقض مذبح باعال وقتل كهنته ياتيه زمان ويجثو بركبتيه قدام
الاصنام ومن كان يفتكر ان يواش ملك يهوذا ذلك الملك المتورع الذي رمم اسوار هيكل
الرب وملا خزنته من الفضة والذهب ياتيه وقت ويمد يديه الى اواني الهيكل وفضته
ويخطفها وينقد بها ما تقدمته الى ملك اخر وثني ومن كان يصدق ان سليمن الحكيم ذلك الذي
تكلم بروح الهيبة في امثال ونشيد المحبة للنسا وكشف غشهما واظهر الاضرار الناتجة منها
يحصل اخيراً عبداً في كرامتهن كقول ابن سيراخ ص ٤٧ ع ٢٢ ويسقط بعار شنيع في الهوة
الجهنمية العميقة التي كشفها بنور هذا اعظم مقدار ضيائه فلا تحسبوا انفسكم ايها
الاخوة غير قابلين الخطا لانه ليس طاهر ما تبسم بعد في النعمة نظير سكان السما المتمتعين بمشاهدة
الله بل انكم بعد سريعو العطب وقابلو الخطا ولقد اخشى جداً ليلا تكونوا انتم اعظم خطاة
من الذين تحتقرونهم وتعيرونهم لعمري ان الذين يرقدون مدفونين في الطين نظير الضفادع
هؤلاء هم الذين يصرخون اعظم صراخاً ويضجون اشد ضجيجاً كانهم قاصدون ان يوبخوا ويعيروا
من يحتمل انه بهم ملوث من ان يتلوث به قال الحكيم ان الصالحين يظنون في الجميع خيراً
ويصدقون في كل شيء ولذلك يقول الساذج يصدق كل كلام كما صدق يشوع سكان جبعون

ويعقوب بصدق الايمان ويوناثان بصدق وطهر يتنون اما انتم اشرار الاكثر انغماساً في الرذايل فما يكتفون
بالنقايص التي يرتكبونها في الآخرين لكن ينظرون احياناً النقايص التي لا وجود لها فيهم ايضاً
يرصدون كل شي ويعيرون كل شي ويحتقرون كل شي ولا يعرفون ان يحسنون الظن في غيرهم بل
يتفكرون بهم بما هو اشر دايماً لانه احسن ما قاله سليمن الحكيم في سفر الجامعة الغبي اذا
مضى في طريقه لانه جاهل يظن ان الجميع جاهلون وهل يمكن ان استحتمل من كانت هذه السجية
سجيته لا شك في انه ينبغي ان الله يعاقبه عقاباً شاقاً لانه اذا كان رجل كريم ما سمع في سنته
القديمة بان تحكم بالعصا على احد بانه اجرى ان لم يختبره الكاهن قبلاً بفحص بليغ فهل يعقل
انه بان تحكم البرص على اصحاب ويدينوهم لا يتكلمن احد في اعمال الناس لا يتكلمن لان التكلم بها
يطرحنا في خطايا جسيمة ومخاطر عظيمة نفساً وجسداً وربما انكم ظننتم بي اني بالغت ان
في تخويفنا النمايم وتكلمت في معناهم كما عندي او يمكن انه يقال عن الردع ولكن فلنسترح قليلاً
ثم تحتقنون كل شي ذكرته فيما يخصهم انما هو هزء ولعب

القسم الثاني

العدد ٨

انني لا ارتضي بان تكون تسميتي عندكم كاروز الفلات نحو البشر بالاهوال المضغطة لانه
ما الذي اريد بوعظي اياكم كل يوم اذا كنت راغباً تخويفكم وانذرتكم بامور مهيلة تحملكم
اذ تكرهون استماع وعظي لكيلا تستمعوا فيه هذه الانذارات المرعبة ولكن مع هذا جميعه
محبوكم الخلاص يضطرني بان لا اغشكم ولا اتهاون فيما يخص خيركم وخلاصكم فاحذروا
اذا جيداً ايها النمامون لان القصاص الذي يوافيكم من نميمتكم اعظمه جداً وهو انه يدرككم
الموت سريعاً وبغتةً ويكون موتاً رديئاً وان سالتم من اين لي هذه المعرفة في ذلك العل
ملكاً سماوياً اخبرني من العلا وسارني بهذا السر العظيم ام هل اوحاه لي الله تعالى ام هل
لي فيه دليل وبرهان واضح فاجيبكم ان لي معرفة في ذلك اوضح واثبت مما ذكرتم يسوالكم
هذا لانه ليس ملاك اظهر لي ذلك لكن روح الله تكلم في سفر الامثال القايل يا بني
اتق الرب ولا تخالط الثالبين لان هلاكهم ياتي بغتة اسمعوا قوله تعالى هلاكهم ياتي
بغتة فيا لسوء حالنا ويا لعظم شقاوتنا ترى ماذا نصنع اذ كنا لا نخاف من هذا الخطر المهيل
المرعب العل الله تعالى يمكن ان يكذب ام لعله يستطيع ان يبالغ في شي اكثر مما هو بالحق العله
يقدر ان يخيفنا خوفاً عبثاً ليجعلنا ان نصدق ما لا وجود له حاشا وكلا ولكي تتحققوا

ذلك

ذلك بالاخبار ايضاً اوضح تحقيقاً اخبروني كيف انتهت حيوة القيوس ذلك المنافق الذي
اطلق لسانه بهذا المقدار ضد بهوذاريس المكابيين الابطال اما عدم النطق حالاً وانبكم
وجفت اعضاءه ومات بغتة من نقطة دم نزلت عليه وكيف انتهت حيوة داثان و
قورح وابيروم الذين تقمقموا على موسى النبي وشتموه اليس ان الارض انفتحت وابتلعتهم
بغتة واوليك الذين تذمروا على موسى في برية ادوم اما تستدلون كيف قضوا اجالهم
اليس هو من المعلوم عند الجميع انه قد وافاهم جيش من الحيات والافاعي فوثبت عليهم
ولدغتهم وكانوا يموتون سريعاً باشقا الميتات فانتبهوا اذاً من ان الله تعالى لم يقصد ان
يخيفنا عبثاً حينما يوعد النمامين بالموت الفجايي وذلك بقوله الثالبين هلاكهم ياتيهم
بغتة لان ذلك ليس هو معلوماً محققاً بالاخبار والعقل فقط بل هو مطابق لبرهان العقل
ايضاً حيث انه ان كان الثالبون هم اناساً يقتحمون على العدو كما قلنا في مبتدا خطابنا
ولا يصادمونه مواجهة بل مكيدة وسراً وبالتالي هم خايفون ماكرون فليس اذاً بعجب
ان كان الموت يدركهم بغتة ومكراً لانه هو وحده كاف في العالم ان يخرس السنة الغاش
والخبيث ولكن ها هوذا انا اسلم لكم ان الوعيد الالهي المذكور ليس هو عتيداً ان يتم
بكم بهذا المقدار من الصرامة والتدقيق بل انكم تحظون قبل وفاتكم بزمان مناسب فتستطيعون
بر ان تنتبهوا لنفوسكم وتندموا اثمكم وتستميحوا الله تعالى الغفران الا اني اسالكم فاخبروني
باي قلب وباي اسفار وجه تستطيعون ان تستنجدوا يسوع ربكم وترجوا منه الغفران
اما قستم انتم على قريبكم ولم توثروا قط ان تغفروا له خطيته لكن اهنتموه بكبرياء واشكيتموه
بحرفه وعوضاً عن ان ترحموه وتستروا نقايصه جعلتموه معيراً بل مضغطة ايضاً في
جميعاتكم فكيف اذاً ترجون عند وفاتكم الغفران من الله تعالى فالويل لكم لعمري ان هذا
اكبر الاخطار التي تدرككم في نزاعكم اي القنوط وقطع الرجا من رحمة الله تقدس اسمه وليس
ذلك من غير سبب بل لكون الله تعالى يبغض النمامين بهذا المقدار ويظهر صرامته وسخطاً
عليهم جداً حتى انه يبان انه يجد على الضغط ما دام حسبما قال في زبور داود هكذا الذي
يقع بقريبه خفياً لهذا كنت اطرد انني لا اظن انه يوجد فيكم احد يجهل كم كان لموسى
النبي من السلطان في استعطاف رافة الله تعالى نحو المذنبين على انه شعبه قد كان سبك عجلاً
من ذهب في البرية ونصبه على المذبح وقدم له بخوراً وسجد له ومن جرى ذلك غضب الله عليه

غضباً هذا عظم مقداره حتى أن الله تعالى حتم أن يهلك ذلك الشعب بالسيف ويبيد ذكرهم
من الارض كلياً ومع هذا جميعه حالما توسط هذا النبي المذكور ما بين الله عز اسمه وبني اسرائيل نال
لهم الغفران وجعل سخطه الالهي أن يهمد أسرع مما تهمد الارياح في البحر المضطرب بالامواج
كما يشهد بذلك نص الكتاب المقدس هكذا فصفح الرب عن شعبه ولم ينزل بهم الشر الذي قال
انه يفعله بهم. فمن هنا من منكم لا يقول أن الذي نال الغفران بهذا المقدار من السهولة و
السرعة للشعب منافق اثيم هذا المقدار ليس له أن يخاف من عدم اجابة صلاته فيما سيأتي
دائماً ومع ذلك فما الذي تقول أيضاً لهذا النبي نفسه أي موسى بعد زمان قليل من ذلك الحين
اذ شاء أن يتشفع في مريم اخته التي كانت ضربت من الله ببرص كريه في وجهها على انه تهلل
متضرعاً من أجلها وصرخ الى الله تعالى جداً ولم يستمد مع ذلك شيئاً لكنه التزم ان يشاهدها
بعينيه معتزلة عن الجماعة ومنفية ومخلية وحدها لتفني باحتمالها البرص السبع عن القصاص
المستوجب عليها فليت شعري ما هو سبب ذلك الطلبها ارتكبت اثماً اثقل من اثم السجود للاوثان
ماذا فعلت هذه المسكينة من الردي ماذا قالت ماذا ارتكبت حتى فاق اثمها على اثم الاسرائيليين
الذين ارتكبوه بسجودهم للعجل الذهبي وهان على موسى أن ينال لاولئك من الله تعالى الغفران ولا
لها. الجواب انه من المفهوم أن مريم هذه طمعت في الفصاحة الطبيعية الممنوحة من الله
سبحانه لجميع النساء ليس لهن تعليم اولادهن اللغة الحديث وثلبت موسى اخاها من اجل
زواجه بامرأة كانت حبشية طلعةً ونسباً ولاجل أن خطيتها هذه كانت خطية النميمة
أي قلة الرحمة نحو نقايص القريب الصادرة من الضعف البشري فمن ثم لم يشأ الله عز اسمه
كما لحظ القديس باسيليوس أن يقبل عنها الاعتذارات والطلبات والشفاعات وقد تراءف الله
بواسطة شفاعة موسى وصفح عن الاثام الثقيلة التي صدرت ضد شخص عزته الالهية
ولم يؤثر أن يصفح عن هذا الاثم الخفيف الذي فرط ضد شخص موسى عينه فلاحظوا اذاً
يا معشر السامعين ما هو حق ما قلته لكم وهو أن أرهب المفعولات التي تصدرها النميمة في
قلب مستعملها هي انه تصير قلبه تعالى قاسياً لا يرحم ولا يتراءف بسهولة ومن ثم من يقدر أن يحقق
لكم أنكم تستطيعون أن تلينوا قلبه تعالى نحوكم عندما تستغيثون به في ساعة موتكم أترى لا يبادر
لكم انه جسارة عظيمة طلب الغفران والرحمة عن الخطايا التي هي في حقيقتها عدم الرحمة
لعمري انه هكذا كان نجوا بأحد الرهبان عند ساعة موته كما تخبر عنه مؤرخون كثيرون فهذا

الراهب لماذا دنا من ساعة الموت سمع القيام عنده يناشدونه بحجة جزيلة أن يثق برحمة
الله تعالى اجابهم قايلاً بصوت عالٍ ماهي الرحمة ماهي الرحمة ليست هي لي لاني ما استعملتها
مع غيري ومد لسانه خارجاً عن فيه واشار باصبعه الى الحاضرين ليتفرسوا به ثم اردف
قايلاً هذا اللسان قد دانني هذا الذي سمعتموني مرات كثيرة اذين به غيري هذا جعلني
الان اموت يائساً واهبط الى الهلاك. ولكي يتحقق عند الجميع ان ما نطق به هو حق
وبحكم الله تعالى تورم لسانه للوقت وتشكل بصورة هايلة جداً حتى انه ما استطاع ان يرده
الى فمه بل اسرع ينضح ويلهج شبه الثور المربوط للذبح وبعد نزاع معذب وشاق خرجت
روحه الشقية وانسان آخر قطع لسانه كله باسنانه بغيظ شيطاني عند وفاته وآخر
يبس لسانه وآخر انتفخ ودود في الحين وهولاء جميعهم ما استطاعوا في تلك الساعة
الاخيرة أن يحركوا السنتهم في طلب الرحمة والغفران من الله عن جرايرهم القديمة فما هو
قولكم الان ايها الاخوة أيحسن بكم أن تطرحوا نفوسكم بمثل هذا الخطر الواهي لاجل فلتات
اللسان او عدم ضبطه بخشية الله تعالى لا يتكلم فمي باعمال الناس هكذا ترنموا دائماً
مع النبي والملك لا مرة واحدة بل كرروه مراراً شتى قايلين لا يتكلم فمي باعمال الناس فلنقصدن
اذاً قصداً اكيداً أن نفتكر بنفوسنا ونهتم بها فقط ويكفينا الحساب العتيد أن نعطيه
لله عن نفوسنا اما لنا وعمل الناس لعمري أن هذا جنون بنا عظيم أي التفكر والاهتمام بضماير
الاخرين والحال ان ذلك يزيد الوقر والحمل على ضمايرنا ماذا يفيد النهر اذا خرج من مقره منعماً
امواهاً وغسل الشوارع ومعها كل نجاسات وادناس المدينة وبعد ذلك عكر نفسه وصار
هو دنساً وسخاً بدنس غيره ان حياتنا قصيرة واذا رمنا أن نصرفها بالحكمة في عمل خلاصنا
هيهات أن تكفينا فلماذا اذاً نريد أن نصرف البعض منها باطلاً في اعمال الناس لان الحاجة
الضرورية الملتزمين بها اذا صدقنا المسيح هي واحدة وهي ليست شيئاً آخر سوى ترتيب
امر خلاصنا والاهتمام به هذا العمل لعمري هو ثقيل ومتعب وعسر جداً ومع ذلك فنحن عايشون
في هذه الارض غير مكترثين به كانه لا شي لكننا نحمل نفوسنا هموماً اخر باطلة وليس باطلة فقط
بل موذية لنا ايضاً فلندعن اذاً عيسو واقرانه يجولون حاملين الجعبة على مناكبهم والقسي
بايديهم غير عاملين سوى صيد عيوب الاخرين لفرايس لذيذة على مذاقهم ولنتضيف نحن
مع يعقوب فوان نختبي في مخادعنا ونحسب ببساطة مقدسة في قلوبنا الجميع افضل واكمل

مثلاً من يصنع هكذا فهو من المسيحيين الصالحين الحكيمين المهتمين بخلاص نفوسهم والذي
يصنع خلافه فهو انسان الذي لا يبالي من خلاصه اجارنا الله تعالى من ذلك امين

العظة العشرون

في الخميس الذي بعد الاحد الثالث تشتمل على براهين عقلية طبيعية فقط تلزم
اعداء ايماننا جميعاً بتسليم هذه القضية وهي ان المسيح اله لنستنتج من ذلك انه ليس بايمان
صحيح سوى ايماننا به وكان الجموع يطلبونه ويمسكونه لئلا يمضي من عندهم اما هو
فقال لهم ينبغي لي ان ابشر في المدن الاخر بملكوت الله لانني لهذا ارسلت هكذا حرر لوقا
البشير في فصل من بشارته

العدد

انه لمن المعلوم ان المذاهب المختلفة والمتناقض بعضها
بعض الكاينة في الارض لا يمكن ان تكون جميعها صحيحة بل يجب من لازم الضرورة ان يكون
المذهب الصحيح واحداً فقط فهذه الحقيقة هي واضحة ايضاً لهذا المقدار حتى انه لا
يستطيع احد يشك بها سوى من يشا ان يجاوز تعدياً نور العقل والصواب المرتسم فينا
طبعاً او يقاوم تلقين الضمير الباطن المغروس في كل انسان على انه من حيث ان الضرورة تقتضي
وجود اله واحد في العالم كما يسهل بيان ذلك ولا بد ان يكون هذا الاله الواحد كلي الحكمة
في العقل وصالحاً في الارادة وقادراً في الافعال بما تقتضيه حسن ترتيب العالم وتدبيره فكيف
اذاً يمكن ان تصدر منه وتكون لديه مقبولة هذه المذاهب المختلفة التي يرذل احدها الاخر
ويشتمه كانما اسس على النفاق ويشحون غلطاً ومحقوقة من ذلك الاله نفسه الذي يفتخر كلها
انه هو مبدعها ومن ثم تكون الصعوبة قايمة في بيان اي مذهب هو الحقيقي من هذه المذاهب
جميعها وفي اظهارهم من هم المعلمون الماكرون الذين يخفون تحت شكل الخراف الوديعة اظفار
الذياب المفترسة اما انتم ايها المسيحيين فافرحوا وقروا انفساً وعيناً لكوننا نحن فقط اعطينا
هذا الحظ السعيد اي ان نكون اهل الايمان الصحيح ولنا ان نفتخر بايماننا على مذاهب ساير
الامم بعدل وواجب وذلك لاننا نتمسك به وقولنا فيه هو الصحيح لا لانه ايماننا وفيه ولدنا كما
تصنع ساير الامم لكننا متمسكون به لانه هو المستقيم والصحيح في ذاته . بل حيث لو كان يسمح لي
ان استوضح ما يليق الشعوب المتمردين الغير المومنين لكنت برهنت لهم من اسباب برهان طبيعية
ايضاً ان المسيح هو المعلم المرسل الى العالم ليبشر بملكوت السما لاستنتجت من ذلك اننا نحن
الذين نقبله ونومن به ونطلب اليه كما كانت تصنع الجموع حسبما تلي على مسامعكم في انجيل هذا

النهار

186

النهار ان لا يبرح من عندنا فلسنا بمغشوشين بروض الومن بل هم المغشوشون لانهم برذلهم
ولا يريدون ان يفتحوا له الابواب ايضاً ولكن اية حاجة لي في ان استوضح بلزام الغير
المومنين لاجل الغاية المذكورة والحال انه لا بد من ان تصدر فايدة للمسيحيين من ايراد
بعض قياسات في الايمان احياناً او تكرارها عليهم اذ لو فرضنا انها لم تقدهم تحقيق ايمانهم اعظم تحقيقاً
لكونه محققاً عندهم كلياً بغير ارتياب اصلاً غير انها لا تخلو من ان تفيدهم حفظه فيهم حياً
وحاراً ويجعلونه يفرحون به بابلغ فرحاً ان القياسات الطبيعية هي بمنزلة اجيج النار
اي انها وان لم تجعل الايمان يعاين لكونه غامضاً الا انها مع ذلك تحميه وتصيره حاراً ومن
ثم وان كانت القياسات الطبيعية والشهادات البشرية ليست هي سبب الاعتقاد الصحيح
بل شهادة الله الصادق الغير الكذوب فمع ذلك يسوغ لاهل الايمان ان يتخوضوا في تلك
البراهين والقياسات التي يستطيعون بها ان يخزوا اعداهم المستهزيين بهم ويثبتوا ايمانهم
نحو وعند الذين يومنون به ام متمسكون بمقدار الاثم ترغبون انتم ايها الاخوة المومنون ان
تسمعوني اثبت لكم هذه الحقيقة المؤكدة والمحبوبة لديكم اي ان السنة التي اعطاها السيد
المسيح للعالم هي السنة الحقيقية فعلى ظني انكم ترغبون ذلك لاني احكم عما في ضميركم بما هو
في ضميري على اني اشعر بفرح جزيل كلما اتذكر هذه السنة المقدسة واتحرك تحريكاً مضطرماً
الى ان اشكر ربي واحمده لانه تفضل علي واهلني لان اولد في البلاد التي تاسس فيها كرزها
اي كرز هذه الديانة المقدسة غير انكم الان تصوروا ذواتكم كانكم تتخذون وظيفة اعدا
الايمان وانا ساجاحد واجد بقدر ممكنتي بالمحاورة والجدال لاقنعكم اقناعاً بيناً ان الحقايق
التي تنذر بها الانجيل المقدس لها التفضيل على جميع الديانات والمعتقدات المعتقدة
في ساير المذاهب قلت اني ساجاحد بقدر ممكنتي لان سبيلكم ان تعلموا انني لا استطيع بسهولة
ان استعمل في هذا الجهاد مهما كان من الاسلحة لانه من حيث انه جهاد مع اناس لا
يعتبرون الاسفار المقدسة ولا يعرفون شهادة الاباء القديسين فينبغي لي ان القي جانباً السهام
الاقوى ولا اورد شهادة الكتاب المقدس لاثبات الموضوع بخط مستقيم ولا استنجد الاباء العلما
لكني احارب نظير جنود جذعون حاملاً بيدي المصباح فقط اي احارب بنور العقل فقط
الذي غرسته الطبيعة في كل من الناس لكن قبل ان اشرع في المعركة معكم بعد ان صورتكم
قايمين بوظيفة الجدال اسالكم ان تسلموا الي طوعاً بقضية صادقة وعادلة بهذا المقدار حتى

انما اذا ابيتم ان تسمعوا لي بهما من تلقا نفوسكم فانا مستعد ان اجعلكم تقروا لي بهما رغماً عن
اغتصاباً ولئن قلتم ما هي يا حبيبكم قايلاً هي هذه اي ان يسوع هذا المعبود منا نحن المسيحيين
لم يكن اخبث الناس الذين ظهروا في الارض ولا اشرهم اتقرون لي بهذا لعمري ان اعدا انفسهم
الذين ابغضوه وثلبوه لم يظنوا انه يستحق مثل هذا الظن الردي بل كثيرون من الوثنيين اعتبروه
بمنزلة نبي عظيم وشخص ذي قدر وفضيلة بالغة ومنهم اسكندر الملك الوثني لقد اثنى
عنه باثنية جليلة والذي هو اعظم من ذلك فقد ذكر اسمه ايضاً بضحية القرابين لديه علانية
اما انا فلست اطلب منكم ان تعتبروه هذا الاعتبار كله بل يكفيني ان تقروا لي بما ذكرته اي انه لم
يكن اعظم الناس شراً ونفاقاً واذ قد سلمتم بذلك فاسمعوا ما هي النتيجة التي استنتجها من
هذا الاقرار وهي هذه ان يسوع هو اله وايمانه هو الصحيح وسنته هي السنة المستقيمة وانه
يسوغ لكم ايها الانام والوثنيون واليهود المبتدعون الملحدون اجمع ان تجثوا بركبكم وتحنوا
روسكم وتسجدوا له جميعاً من حيث انه لا بد ان يوجد اله واحد في العالم كما تقدمنا فقلنا
في المقدمة فمن ثم يكون هذا الاله الواحد هو يسوع المسيح غير انكم ربما تقولون لي لا تسرع
ايها الواعظ قف عندك فان نتايجك هذه تظهر لنا انك قصدت ان تهتف بالنصرة قبل
ان تغلب حتى لا نقول قبل ان تجاهد ما هي هذه النتيجة الغريبة اي كون المسيح ليس هو
اشر الناس في العالم فاذاً هو اله العلك تظن ايها الواعظ انه لا يوجد طرف اخر ما بين
الصلاح الكلي والشر الكلي وما بين الكمال الاعظم فاجيبكم اي نعم قد يوجد طرف اخر لكن ليس في
المسيح ومن ثم اذا اوضحت لكم ان الانتاج المذكور لازم ومستقيم فها انا اكون قد ظفرت
بالغلبة فاحسنوا اذاً الاصغا الى كيفية بيانه لانكم تسمعون قياساً دقيقاً قوياً جداً لا نا خبروني
اما سعى يسوع المسيح بجميع الطرايق ان يجعل الناس ان يعتقدوا ابداً انه اله بالحقيقة اليه هذا
القصد كانت تتجه رغباته جميعها والحاصل كانت تنتهي كل اقواله نكلما علمه من الاشيا
العالية وكلما اصطنعه من اغرب المعجزات وجميع ما احتمله من العذاب والضيق كان يوجه
الكل الى هذه الغاية العظيمة اي بيان الوهيته للناس وقدر في الوظايف شريفة سامية
من قر بالوهيته ظاهراً كبطرس رئيس الحواريين وبكت من شكك بها مراراً كثيرة واثبتها بعلامات
ظاهرة لمن طلب الثبات منه كتوما ابل وادعى بها خفياً وظاهراً باسماع العموم واقواله كما كانت اعداه
انفسهم يثلبونه قايلين انك اذ انت انسان تجعل نفسك الهاً فاي نفاق وشيطاني اذاً يكون

ان

ان يكون اعظم واقبح من هذا وهو ان الخليقة تنسب لذاتها الالوهية انني عارف ان اناساً
اخرين ايضاً قديماً طلبوا لانفسهم هذا الشرف اي ان يصيروا ذواتهم الهة ولاجل هذه
الغاية استعملوا وسايط واخترعوا حيلاً وصنايع غريبة واحد هولاء كان حنون القرطاجي
فهذا كان يتصيد جملة ويعلم الغربان والزاغات والببغات وغيرها من الطيور السهل
النطق عليها لتلفظ هاتين الكلمتين حنون اله ثم كان يطلقها حتى اذا طارت وطافت من
بلد الى بلد تحمل الى ما هناك هاتين اللفظتين المذكورتين ويذاع خبره وتيماريوس ودوميسيا نوس
وسفا اليفولادس وغيرهم من الامساخ الجهنمية الذين ملكوا في رومية سعوا في ان تبنى هياكل اكراماً
لهم وتنصب مذابح وتقدم ضحايا وقرابين لهم وسالومونوس ذاك المشهور كان يطوف
المدينة جالساً على مركبة مهيبة ويرشق الارض بحربات نارية كالصواعق ويحدث مرتجلة
بصناعة خفية لمع البرق وصوت الرعد نظير ما يصير في الجو وكان قصده بهذا جميعه ان
يحرض سكان المدينة لان يسجدوا له كالمشتري وهكذا ايضاً اسكندر المكدوني وتماسيوس
القبرصي وسابور الفارسي وهرقل الفيلسوف ومنكراتس الطبيب وما نس الملحد وغيرهم طلبوا
باجتهاد وصناعات عديدة ان ينحلوا لانفسهم شرف الالوهية غير ان هولا طلبوا ان يسجد
لهم من شعب واحد او في زمان واحد فقط ولم يكرهوا شركة غيرهم في الالوهية لانهم ارتضوا
كما هو معلوم عند الجميع ان يحسب مركوريوس وابولينيوس وبخس واخرون غيرهم الهة
معهم ومن ثم فاليفولاس مع كونه متكبراً جداً راغباً كل شرف لذاته لا لغيره فمع ذلك كان معتاداً
ان يجلس في الهيكل ما بين شخصين الصنفين وهما كستور وبلوكوس جاعلاً ذاته الهاً اعظم
منهما ولكن ليس الهاً وحده اما يسوع المسيح فانه بمفرده يذكر عنه انه اراد ان يومن به
انه الله عام وحده لا شريك له في الالوهية كما قال هو نفسه في انجيله معلمكم واحد وهو المسيح
ومن اجل ذلك سنته يغير سنتنا فنبذ كل المذاهب وحرم كل التقدمات غير التي هو فرضها واقر
علانية قايلاً ان من ليس هو معي فهو علي وقد اراد ان يعبد ويسجد له ليس في جيل واحد
فقط لكن في جميع الاجيال والازمنة والاوقات وليس في بلاد واحدة فقط لكن في البلدان و
اقطار المسكونة باسرها كما اوصى تلاميذه قايلاً اذهبوا الى كل العالم واكرزوا بالانجيل لكل الخليقة
فلا ريب اذاً في انه لو لم يكن الاله الحقيقي لكان اشر الناس الذين ولدوا في العالم واعظمهم نفاقاً
اما انتم فقد سلمتم لي منذ الابتدا ان ذلك باطل فيه واذاً لا بد ان نقول انه اله حقيقي كما هو ادعى

وكما نحن نومن به ساجدين له هاهو ذا قد استبان لي انني اثبت موضحا ما قد قصدت
اثباته لكم ايها السامعون لكن اذ قد ردتم ان تتوبوا عن كبر لعدل المسيح المسجودين كبرا وجهلا
ونفاقا وتجديفا وتقولوا ان المسيح كان اشر الناس واردأهم فها انا مستعد ايضا ان ادحض
هذا المقال الكفري في المسيح ببراهين وقياسات عقلية مفيدة ومستحبة جدا فاعطوني
سماعكم نحو ما تستمعوا مقالي ؟ فاقول ان المسيح قد كان اشر البشر جميعهم مع
انه ما من احد تصلحني ولا من اكبر اعدائه يعتقد بهذا فاسالكم ان تجيبوني اولا كيف امكن ان
لا يذكر عنه حتى الان ولا خطية واحدة ولم يلطخ شانه برذيلة ما العري انه لو كان يقصد
ان يدعي بالالوهية باطلا وانه لكانت ظهرت فيه رذيلة الكبريا عظيمة جدا في الغاية ولكان
اصطحب مع هذه الرذيلة رذايل اخر اثقل منها جرما واردى نوعا لانه من الحق الغير المشكوك
به ان الرذيلة من اي نوع كانت لا تستوطن في النفس وحدها بل مرفقة بغيرها من الرذايل وعلى
الخصوص رذيلة الكبريا فهذه اما انها تلد جميع الرذايل واما انها تربيها من لا يعلم ما قال الذهبي
في الكتاب المقدس هاتفا ينبوع كل خطية هي الكبريا فمن تمسك بها يمتلي لعنات على ان منها
تتولد محبة الجاه والفخر والمدح ومنها يتولد احتقار الصغيرين واضطهاد المساوين والحسد للذين
هم اعلا مقاما وشرفا ومنها يتولد اخذ الثار والانتقام من اجل الاهانات ومنها يصدر الطمع المفرط
في الارباح ومنها ينتج البخل والرغبة الزايدة في حفظ المال وهي ينبوع قلة الصبر والاحتمال ومنها
تصدر السهولة في الاستهانة بالقريب ومن ثم لما شاء الرومانيون ان يحصروا جميع رذايل
تركوينيوس شيخهم القديم بالفاظ وجيزة مختصرة تحوي معاني متسعة لقبوه بلفظة واحدة
اي المتكبر وبهذا اللقب وحده حكموا انهم جمعوا جميع خصال الرذولة وكان بالحقيقة تركوينيوس
هذا مفعما من كل العيوب اي دنسا شحيحا ظالما قاسيا غضوبا لحقودا وما شاكل ذلك لان الرومانيين
قصدوا ان يجمعوا هذه الخصال كلها بلفظة متكبر اما المسيح فلم يستبين فيه ولا خيال واحد
من هذه الرذايل كلها بل بعكس ذلك قد ظهرت فيه على الدوام اخص الفضايل وذلك كاعتبار
الناس والتهذيب والادب والفقر والصبر والوداعة وما شاكل ذلك كما كتب عنه ليس منا الا نجيليون
فقط لان هولا لكونهم تلاميذه فلمن الممكن ان يحسبوا ذوي غرض بل يفيلون اليهودي يوسيفوس
اليهودي ايضا ولنتولس الوالي الروماني الذي مع كونه وثنيا كتب رسالة جليلة رومية في شخص
يسوع المسيح ذاكرا عنه انه كان شخصا يعلو طبقة البشر

ثم

ثم اقول اما اتفق ايضا جميع هولا على امتداح قداسة تعليمه حتى انه كيف اذا يمكن ان يشك بمن احد
بانه كان ذا سيرة ردية اني لعارف ولست انكر ان المنافق يستطيع ان يعلم الفضايل ويتبرض
فرايض مقدسة غير انه لا يمكن ان يدوم مزورا كثيرا خلوا من ان تفرط من فمه قلما يكون بغتة دون
غير رصد العقل كلمة ما تلايم فساد الطبيعة الكثير ما تناسب قوانين العفة الصارمة وذلك اما
ان عواطف القلب البهيمة تعمي بصره احيانا او لان الجسارة والثقة بنفسه تورثه الى الغلط او
لان الطمع يتسعه برومه ثم لم يتعلم معلما او حكيما من اوليك الخارجين عن الكنيسة الا ويمزج غلطا
مرذولا مع الوصايا والتعاليم الصالحة التي علمها والاثبات ذلك تكفي بذكر العلما القدما اولهم
سقراط الذي لقب معلم الفضيلة فهذا ليس انه اباح في شرايعه اشتراك النسا بعضهن مع بعض
وقد انتصر لرايه هذا كاتون فخر الرومانيين وافلاطون معلم اليونانيين الاكبر وايضا ليفورغوس
اليسوني الاعتبار ان يشرط انهما تم بصلعتهو وخستيو سلفونيوس لقد اذن لاهل اتينا كل
نوع من النجاسة البهيمة تشرط ان تكمل من الاحرار لا من العبيد وارسطو اوجب لنفسه ان يعلم في
مدرسته انه اذا زاد عدد الاولاد على مدخول البيت وصار القيام باولادهم مستعسرا يلزم
الامهات ان يسعين بعد ذلك باسقاط كل جنين يحملن به وهكذا الاطفال الذي ولدوا ناقصي الاعضا
اي لما عميانا او عرجانا او جاوفين او معضلين بسقم اخر فلا يلتزم ابواهم بتربيتهم بحجة وحينيذ لكن
يحل لهما ان يتهاونا بهم بل يجوز لهما ان يتخليا عنهم وسينكا معلم الذمة عند الوثنيين بلغ
ان يمجد ذلك الغضب المذموم الذي يعرض الانسان على ان يقطع رجاه ويقتل نفسه لعدم صبره
على حفظ حياته عند حلول مصيبة ما وهكذا توليوس وسالوستيوس وتاشيتوس وبلينيوس
وغيرهم من المحتسبين معجزات الحكمة قد حمدوا اضطهاد الاعدا والانتقام من المهينين وطلب
الكرامات وتوجيه الافكار والمقاصد الى ربح المجد الفارغ الذي هو ليس هولنا لانه خارج عنا فهذه
وغيرها كثير هي ورطات الحكما والعلما الاقدمين اما تعليم سيدنا يسوع المسيح فهو لا يوجد فيه غلطة
واحدة نقطة من هذه الغلطات لا البتة بل هو كانه الاول الذي اوضح لنا غوامض سرية جليلة
في الطهارة والامانة والوداعة والصبر والمحبة والطاعة والاتضاع وغيرها من اكمل الفضايل
وكيف يمكن ان يخرج تعليم كذا صالح ومقدس من عقل انسان اثيم منافق ومرائي كيف استطاع
ان يتعلمه او يهبات بدون السما او من اي معلمين وفي اي مدارس او قلما يكون كيف امكن انه لا يزهق
في تعليمه بكلمة ما ردية او مذمومة او مودية او غير نافعة او باطلة او مضحكة او هزلية ومرتبة

لا للتدوخة لان الكثير من يحرك الارادة وينفعها ومع انه كان تعليماً جديداً لم يسمع قط بمثله في
الاحقاب التي تقدمت تعليماً غير معلوم لديهم وصار تاماً من جهة العمل فمع ذلك لما عرضته على نوع
لين لكل عقل مهذب ورشيد واباَن بكل قسم من اقسامه انسجام المعاني بعضها مع بعض و
مطابقته عظيمة مع الحق وموافقته كاملة مع الصواب العقلي بهذا المقدار حتى انه ما انبا ذا فيه
شي قابل للنخجة او بروح التعجب لكن من اجل زيادة نقصه وقد الرغبة بقصا تعليمه واظهره للناس
بنص عذب سهل رتيب جداً حتى ان العامة فهموا حالاً ما قد يعجب منه الحكما الذين هلكوا من اسرار
الغامضة المحتوية فيه وكل صنف من الناس وجد فيه رشداً مطابقاً لمهنته وحاجته وبعد ذلك
جميعه اتريدون ان تستعوضون ان تعليماً كهذا مقترباً هو اختراع رجل عاصي مالوف لا رجل قدوس
بل كلي القداسة اذ انه من المعلوم ان العالم يشهد منذ ثمانية عشر جيلاً بحسب قول الرسول ان الذي لا يذنب
في كلامه هو رجل كامل لقد يمكن ان يتكلم المرء حسناً الى وقت ما لكن الذي يتكلم حسناً في كل
وقت وفي كل موضع كان حقا انه لم يزهو ولا يعجز واحد ولم يزغ عن الحق ولا بغلطة واحدة
فهذا ليس مرايا ولا كاذبا ولا غاشاً لكنه صادق وطاهر وقديس كامل الا ان الغاش يستطيع ان يتظاهر
بكونه مستقيم الى زمان قليل لكنه لا يستطيع ان يتظاهر بذلك الى زمان مستطيل كما قال سينكا
الفيلسوف — ثم فاخبروني كم من اجيال انقضت الى الان وكم فحص فيها تعليم السيد المسيح ليرى فيه
زوانا ما ومع ذلك لم يقطعوا الى سنة اخرى غير سنة المسيح تعب العلما واذابوا حياتهم
في تفسيرها والتهذيب بها لكونها ان وانها صارت موضوع البحث بهذا المقدار من الجدال وشرحت
بها المقدار من الكتب وانذر بها بهذا المقدار في المدارس وهي شبه حجر الماس المجرب بضرب المطرقة
عليها بمقدار ما كانت تضرب وتطرق بمقدار ذلك كانت تنمو وتزداد صيطاً وشرفاً وهذا جميعه
لم يتم في غيرها من السنن لان حكماها ومعلميها بمقدار ما كانوا يدرسونها ويفحصون بها بمقدار
ذلك كانوا يحسون نقصها وهكذا اتفق عند الوثنيين اعني بهم لاكسانوفاس وافلاطون و
اوبيرويعو وارسطو وشيشرون وسينكا وبلوترخوس واللاتينوس وفرفوريوس وغالينوس
وغيرهم كثيرين حولاً لما اطلعوا سنناً وادعوا علماً وصحوا بعقلاً ارادوا ان يفحصوا فحصاً باطناً
مدققاً السنة التي ابتدعوها فحصوها وبعد ذلك ليس بهم ان يدروا فيها كل الكاذبة والباطلة
فقط لكنهم اشتهروا بها ايضاً كسنة اخترعت من اناس بحانيفون نعج شهم من الاولة والهات حافظين لها
وذلك اما من قبل الضعف البشري او لاجل الطمع او لاجل تسليك الحال ومن ثم كانوا يخفون ارايهم

العدد ٥

ولم

189

ولا يصدقون بهم في بطلان سننهم بل يذمونها بكتبهم وهذا هو السبب الذي حرك فيما بعد
البعض من المميزين الى ان يتركوا كل صنف من العلم والجدال واوصوا ان تقطع كل محاورة بالجهل
عنها الذي احتسبه الواسطة الانسب والاقوى لاذاعة سننهم لكن مع اجتهادهم هذا في
تبطيل العلم والجدال من اتباعهم ما استطاعوا ان يصدوا الطالبين العلوم عن البلوغ الى علم
فايق فالذين فاقوا اقرانهم بالعلم على جميع اهل ذلك الزمان حالما بلغوا اوج العلم عرفوا بطلان
السنة التي كانوا يتشيعون فيها وما التمسوا ان يكتبوا في كتبهم ان التهذيب هو سعادة الجسد المطلقة
من الحيوانات لا سعادة النفس المقصودة من الحكما وكانوا يشرفونها بهذه التسمية اي بسنة البهايم
لا سنة البشر نظير سنة فيقوريوس ونستدل من ذلك جميعه ان ساير السنن ما التزمت بعلم حقيقي
تبعها من كل قلبه امانة المسيح فما اكثر العلما الحقيقيون الذين تبعوها من صميم قلوبهم وعكفوا
ان اذكر لكم اسماهم بصوت واحد فهذه هي السنة التي تبعها ومدحها كثيرا ديونيسيوس الاريوباجي
وكبريانوس واوغسطينوس وايرونيموس وغريغوريوس وباسيليوس وتوما وغيرهم كثيرون لا يحصى
عددهم الذين كانوا متصفين بعقل دقيق وبارعين في كل صنف العلم الطبيعي والفايق الطبيعة
كما تشهد لهم كتبهم ليت شعري لو كان المسيح اشر الناس واردأهم هل كان استطاع ان يجتذب
الى رايه اناساً حكماء بهذا المقدار بل كان ممكنا ان يلزمهم بمحبته التزاماً هذا اعظم مقداره حتى
انهم صرفوا حياتهم كلها في ان يكتبوا فيه ويجاهدوا عنه ويكرزوا في محامده دايماً لانهم قد
كانوا فعلوا قليلاً لو ارتضوا ان يحبوهم وحدهم لكنهم ابتغوا ان يشاركهم في محبته جميع البشر و
يعبدوه ويكرموه مثلهم ففي اي مذهب غير ايمان المسيح ازهرت مثل هذه الغيرة الصالحة
فليتكلمن العرب والفرس واهل الهنود واهل يابون وكينا وساير الشرقيين وتيقولوا منهم الرسل الذين
ارسلوهم من قبلهم الى بلادنا بلاد ايطاليا ليعلموا بمذاهبهم ويجتذبونا الى معتقدهم ليس ولا واحد
منهم ان يكلف نفسه بتعب قليل وينطلقون من اوطانهم للغاية المذكورة ولم يعنيهم قط هل
مبتدعوا مذهبهم صار لهم اتباع كثيرون ام قليلون شرفاء ام حقيرون علماء ام مشتهرون ام اغنيا
مجهولون اما انا فاقول ما اكثر الرسل الشجعان الذين استطيع ان اعدهم واحدا فواحدا الذين انطلقوا
ولم يزالوا ينطلقون ايضاً الى الان من بلادنا الى بلدان شاسعة لا لاجل الربح والمنفعة بل من اجل هذه
الغاية فقط وهناك يذيعوا اسم الهنا وما اكثر المشقات التي يتكبدونها في هذه الغربة
ويقبلون على ذواتهم بفرح وسرور من اجل الغاية المذكورة النفي والطرد الدايم من اوطانهم الوالدين

جي

العدد ٦

فيها خلوا من أن يتقلقلوا من قبل طلبات أصدقا ولا من دموع الأقارب ولا من شهيق ونفرات الوالدين
المحرقة الموجعة بل يباينون أوطانهم ويغادرون أموالهم ويبحرون راكبين البحار المخيفة من قبل
القرصان أو من قبل الدوارات المغرقة أو من قبل الثنانين البالعة البشر أو من قبل اضطراب الأمواج الغير
المستكنة محتملين حرارة الشمس وبرد الشتا وبعد هذا التعب الجزيل والخطر الجسيم في الطريق يبلغون
بلاد زولاد ومن غير قايد دخلوا من رينو الى شواطي الأحمر الذي هو بحيث كان الشمس ذاتها تخشى
من الدنو منه فيسيرون في وغاليهم حافين ما بين غابات وحشية وسبل متشعبة وجبال معرقلة
يطلبون باجتهاد البور الخفيف في الخلق كالذيب فيتبعونهم الوحشيين يذهبون ويجذبونهم و
يتملقونهم لا من أجل منفعة أخرى غير هذه وهو أن يجذبونهم الى معرفة يسوع مسيحهم فما الذي
تنتجونه من هذا أيها السامعون. العل انسانا منفعا خطايا وأثاما قد كان يمكن أن يبلغ الى أن
يحظى بعذاب وجنود يغارون على مجده بهذا المقدار حتى أنهم يطرحون ذواتهم في هذه
الأتعاب والمشقات لكي يزيدوه اكراما فقط ويجعلوه يعبد أعظم عبادة وما أقول يطرحون
نفوسهم في المشقات والمحال أنهم يقدمون ذواتهم لاحتمال العذاب والموت من أجله [illegible]
لانه من من الناس غير المسيح الذي قد نال من أتباعه أنهم يرتضون أن تفترسهم الوحوش
جبابرة وتتقطع أعضاهم بالحديد وتحرق أجسادهم بالنار وتخلع أضلاعهم وتنكسر أوصالهم من
الضرب ويحتملون عذابات أخر كثيرة الأنواع ترجف الفرايص من ذكرها فقط ؛

العدد ٧

اسمعوا هنا عبارة حسنة من الترتليانس ما عني في صدده وهو أنه لما أراد داود لأجل حفظ كرامته
أن يزيل حيوة أوريا من العالم فهكذا صنع أي أنه استعمل الحيلة وذلك لأنه كتب رسالة الى قايد الجيش
وأوصاه أن يضعه وقت الهجمة في رأس الصفوف لكي يأتيه أو ضربة من الأعدا ويقتل ثم طوى الرسالة
ودفعها لأوريا نفسه ليأخذها ويوصلها الى قايد الجيش الا أنه دفعها له مختومة بختم عظيم لأنه لم
يكن يثق به أصلا في أنه يسلمها بالأمانة لو كانت مبعوثة اليه ولو كان عرف فحواها واطلع عليه من هو
ولذلك سلمها له مختومة كما قلنا وما علم بشي من المكتوب فيها أما يسوع المسيح فلم يصنع هكذا
مع أتباعه لكنه دفع لهم الرسالة مفتوحة تجاه الجميع لأنه أنذرهم علانية في الانجيل المقدس أنه
سيسلمهم الى مشقات ونكبات وأهوال كثيرة غير محصاة قايلا هوذا أنا مرسلكم كالخراف بين
الذياب وقال لهم في موضع آخر يضعون أيديهم عليكم ويطردونكم ويسلمونكم الى المجامع والسجون
ويقدمونكم الى الولاة والملوك من أجل اسمي وقال في موضع آخر ستأتي ساعة يظن فيها كل من يقتلكم أنه يقرب

قربانا

قربانا لله وقال في موضع آخر يسلمونكم في المجامع ويجلدونكم وقال في موضع آخر يسلمونكم الى الضيق
ويقتلونكم وتكونون مبغوضين من كل الأمم من أجل اسمي وقال في موضع آخر سوف تسلمون من
الآبا والأخوة والأقارب والأحبا ويقتلون منكم ومع ذلك جميعه من ذا يستطيع أن يصف كثرة
أولئك الذين مضوا وسلموا من يد الى يد هذه الرسالة وسلموها الى الولاة والحاكمين حتى أنهم
سلموها أيضا الى الملوك وهم جالسون على سدتهم الملوكية ولكي نتكلم واضحا من غير رموز نقول أنهم لم
يخشوا من أن يحملوا الانجيل ويبشروا به حيث كان أعداؤهم يتهددونهم بالعذابات الأمر ايضا حتى
أمام القساة الذين كانوا عتيدين أن يعذبوهم بها أفليس هذه هي أعجوبة تنذهل منها العقول ما أعظم
هذه الشجاعة ما أغرب هذا الثبات الممدوح ما أحسن هذه الأمانة أترى يمكن أن ينتهي هذا الحد أكرام
لرجال أنهم ماتوا نعم أني عارف بأنه وجد عند الوثنيين ولا أتقى من هولا الشهدا الأخفيا ربما
الذين احبوا أن يموتوا ولا يكفروا في أرباب مذاهبهم الا أن هولا احتملوا الميتات المألوفة وعذابات
قصيرة ولم يذكر قط عن واحد منهم أنه احتمل الاستشهاد بثبات غريب عذاب أربع عشر سنة
نظير القديس غريغوريوس بطريرك الأرمنية أو عذاب ٢٦ سنة كمثل القديس الجليل صوصيوس الانكري
وان كان أولئك احتملوا عذابات مستطيلة قليلا فانما احتملوها بحزن وغيظ لا ببشاشة
وفرح وسلامة نظير كل الشهدا المسيحيين ومن هنا نقول أنه كان استبان لشيشرون الفصيح
أنه لضرب من المستحيل أن الانسان ولو كان من أكبر الشجعان يفرح بسجنه في الثور النحاسي المحمي بالنار
المخترع من فاريلوس ذلك الظالم الا أننا نحن قد رأينا هذا الفرح تم في القديس انتيباس الأسقف
وفي القديسة بيلاجيا البتول وفي القديس أوستاكيوس وعيلته المباركة الذين كانوا يرسلون من
فم الثور أصوات الفرح بأنغام الترنم عوضا من أصوات البكا والنحيب ولنضف الى ذلك هذا الأمر
وهو أنه ولو سلمنا أن واحدا من أولئك الشهدا ماتوا بشجاعة وفرح من أجل مذاهبهم الباطلة غير
أننا نرى ذلك تم في أناس بالغي السن وأقويا في التركيب وعنيدين في الرأي ومتمسكين بعبادات
باطلة وليس في أناس شيوخ هرمين ولا في نسا ولا في شبان ولا في فتيان ولا في أطفال ذوي قلب خايف
وعقل متزعزع كما اتفق عندنا في شهدانا ولعل مشاهدة سمعان الأسقف ألم تكن تحرك الى الخشوع و
الورع ذا الذي مع كونه شيخا ابن ماية و٢٠ سنة كان ذا جرأة وهو معلق على الصليب ترتيلا عذبة
لذيذة تبهر العقل وأيضا مشاهدة ولدين أي يوستوس وبستور الذين كانا يبتهجان تحت الضرب
ومشاهدة طفلين آخرين أي ماسو وتبوسوس الذين كانا يضحكان فوق الصليب وهل لا يحرك الى

الخشوع ايضاً من يسمع خبر اولاليا البتول الشريفة التي كانت ابنة ١٣ سنة وكان جسمها كله
ممتلي جراحات من قبل كثرة الجلد ومع ذلك كانت تصرخ الى الوالي الظالم قايلة لذاك يا تيرنا
عجل وبرش عليها ليزداد عذابها حباً بيسوع المسيح حبيبها ثم فلنضف الى ذلك ايضاً ونقول ان
شهدا ساير المذاهب قاسوا العذابات لكن لم يذهبوا للقايها ولم يطلبوها بشوق مضطرم لا يرام
نظير ما صنع يوليانوس الشهيد ذاك البطل النشيط فهذا قد خاف من ان يعتاق عن الوصول
الى مكان العذاب حيث كانت الشهدا تستشهد لانه كان معتوقاً بداء وجع المفاصل فلذلك اوعز
الى خدامه اقويا بان يحملوه على مناكبهم ويسرعوا به الى موضع العذاب ليفوز بالاستشهاد مع
ساير رفقته الذين كانوا تقدموه ونظيره ابولونيا البتول التي زجت بنفسها اختيارياً في
وسط النار ونظيره اغابيتوس الذي قدم ذاته بلذة للوحوش ونظيره اظونتوس الذي لبس
ثياباً بيضاً لفرط فرحه وانطلق الى الاستشهاد كانه منطلق الى العرس وان قلتم ان اوليك الشهدا
اي شهدا ساير المذاهب مضوا باختيارهم الى العذاب ايضاً وعرضوا نفوسهم من ذواتهم الى الجلادين
فاجيب على ذلك واقول ربما انهم ابتدا احبوا الموت اختيارياً ولكن فيما بعد لم يعد في استطاعتهم
ان يفلتوا وينجوا من الموت فابتدوا باحتمال العذاب من تلقا نفوسهم لكنهم استمروا فيها بعد تحت
العذاب قهراً وغصباً عنهم اما هذا فلم يحدث في شهداينا هكذا الذين كانت اعداهم يطلبون اليهم كل
وقت ان يرحموا اجسادهم وكانوا يتملقونهم بتانيق الكلام ويعدونهم بالمواعيد ويتحفونهم بهدايا
سخية اي هدايا الذهب والجواهر والكرامات والوظايف والرتب الشريفة وكان ذلك جميعه
يذهب باطلاً من غير فايدة بهذا المقدار حتى ان واحداً من الشهدا وهو كبريانوس الاسقف امر الجلاد
الواقف على قطع راسه ان يورثاً له في جميع ما يمتلكه واخيراً اقول انه وان كان لا يوجد اختلاف اخر
ما بين شهدا ساير المذاهب وشهداينا غير ان اوليك كانوا قليلي العدد بهذا المقدار حتى انه يمكن
ان يحصوا كلهم بصحيفة من الورق وتعد اسماوهم بجملة واحدة من الكلام اما الشهدا المسيحيون
فيهم فايقوا العدد بهذا المقدار حتى انه غير ممكن ان يحصيهم احد وينوف عدد اشرفهم والمعروفة
اسماوهم الكثير معرفة على احدى عشر ربوة ث وربما انكم تتحيرون ايها السامعون على هذه
البيانات جواباً لاستفهامكم بما انكم اناس حاذقوا العقل وجليلوا الفهم قايلين ان وجود شهدا كثيرين في
ايمان المسيح يدل على انه قد صار لهذا الايمان مضطهدون كثيرون ومن قبل ذلك لا نعرف ان
نصدق في دعوى المسيح هذه هل الذين استشهدوا وجاهدوا اعتبروا بمنزلة اصدقا امنا لهم الذين

العدد ٨

اضطهدوه

اضطهدوه بمنزلة مبغضين فعن ذلك اجيبكم قايلاً انه لقد يوجد ابواب كثيرة التي منها اريد
ان ادحض رايكم هذا فاقول نعم ان المسيح نهض ضده مضطهدون كثيرون غير انني لست اعلم
هل المضطهدون كانوا اكثر عدداً من المستشهدين ام بالعكس حيث ان مضطهداً واحداً كان
يكفي لان يقتل شهدا كثيرين اما الشهدا فلم يكتف ولا واحد منهم في استشهاده الى مضطهدين
كثيرين ثم من لا يرى انه يجب ان تعتبر شهادة من مات من اجل المسيح اكثر اعتباراً من شهادة من حارب
المسيح لانه من المعلوم انه لكي يكون واحد مضطهداً يكفي غلطة زهيدة تصدر منه في العقل
او فوران دم او حركة الحسد او زهقة الغضب ولكن لكي يبذل الانسان حياته عن غيره ويبذلها
محتملاً عذابات فادحة لا تطاق وتقبلها بطيب سار فيلزم ان يكون معتبراً لصديقه هذا الباذل عنه حياته
اعتباراً فايقاً لا يوصف ويلزم ثبات قوي في محبته وشجاعة بالغة لايقة بالابطال وايمان حي حار
لا نظير له بالحرارة نعم انه من ان يصدر الشك اذ كان يجب ان تعتبر في دعوى المسيح شهادة شهيد
واحد اكثر من شهادة ماية مضطهد وزيدوا على ذلك الفرق العظيم الكاين ما بين المضطهدين
والمستشهدين لان غالب الشهدا كانوا اناساً عاشوا منذ حداثتهم ببر وطهارة عظيمة في بعضهم
خطفوا من الاديرة والبعض من البراري السايحين فيها واخرون من المدارس وغيرهم من الكنايس
والمذابح وقد كانوا اناساً حكماء عادلين مهذبين محترمين متقشفين وبالاجمال اقول انهم كانوا
منزهين من الخطايا والعيوب حتى ان اعداهم ما وجدوا فيهم حجة ما يقتلونهم بسببها سوى الايمان
لا غير كما اشهد فيهم بذلك بعينه الفيلسوف بلينيوس الوثني في الرسالة التي كتبها الى ترايانوس
الملك مع انه كان عارفاً انه يرضي الملك بذمهم لا بمدحهم واما المضطهدون فلم يكونوا
اكثرهم الا اناساً غشماء رجسين وقحين غضوبين ربيوا في المواخير سافكي الدما وان قلتم
المسيح وايماننا اضطهدوا فاجيبكم نعم غير ان الذين اضطهدوه وهم امثال نيرون الملك
رجاسة الطبيعة البشرية القاتل والدته ومعلمه ودوميسيانوس الذي قتل من اصحابه
الاوفر ظلماً وقساوة على الرعية وغاليريوس الممقوت من الكتبة اكثر انهماكه في الشهوات
الدنسة وغاليريوس الذي صار فيما بعد مكروهاً مبغوضاً ليس عند اعداييه فقط ولا عند
اصدقايه وعبيده فقط بل عند نفسه ايضاً حتى انه قتل ذاته بذاته وتراياتوس الدنس
الذي فاق في محبته الدناسة على جميع الملوك سلفايه فوق ما هذا مقداره حتى انني استحي
من ذكر نجاساته ودكيوس وديوكلتيانوس ومكسنتيوس وليكينيوس ومكسيمينوس هولاء

الذين استبانا في كل واحد منهم كانه ولد في الارض لينجس الجنس البشري ومن هنا نستنتج و
نقول من هو ترى السخيف العقل الذي يحتسب المسيح اخطا العالم لكونه اضطهد من اناس
اردياء اشرار بهذا المقدار بل اذا اردنا نحكم حكما عادلا ودقيقا فنقول انه اقوى البراهين في
سمو قداسة المسيح ورب هو هذا البرهان وهو انه لا شي يبرهن بها نور الشمس العظيم بمقدار
ما يبرهنه بغض الخفافيش له ⁂ ولكن هل تظنون ان هولا المضطهدين تقووا
على المسيح وايمانه كلا بل قد راينا وسمعنا ان المذاهب الاخر لما صار لها اضطهاد من اناس
اقويا مشهورين فنفسها تفرق الوقت ودمرت ارتياعا من قوة المضادين وسلطانهم اما ايماننا
فانما ازداد نموا واشتهارا وثباتا عند المضادين على انه لم يوجد في العالم مدينة قد شددت
الحرب ضد اسم المسيح باعظم غيظ من مدينة رومية الكبرى لكونها لم تكتف ان تغرق ارضها
من دما شهدائنا وتشبع نمر وحوشها لكنها تاقت ان تبيد اسم المسيح خارجا عن حدودها
ايضا وقد ارسلت الى هذه الغاية لبلاد افريقية واسيا وكلا وولاة ليفتشوا على من يومن
بالمسيح ويقتلونهم ويبيدوا ذكرهم من الارض ولكن ما الذي حدث لها بعد ذلك لعمري
انها بلغت اخيرا الى ان تسلم سدة الولاية لمن كانت تضطهده الى هذا الحد اي سلمت للسيد
المسيح قصورها الملوكية وهياكلها الفاخرة وتسلطها على المسكونة باسرها واضحت المفترضة
معه والجاهدة عنه اكثر من ساير الامم بعد ان كانت فاقت عليهم جميعا باضطهاده وبغضها
له فهل حكن ان الانسان الخطي العالم ان يبلغ الى هذا كله ولعله غلب بقوة السلاح ام بكثرة
الجيوش ام بزوابع المخاوف كلا ثم لم يكن هذا سلاحه الذي به غلب العالم كله هذه الغلبة العظيمة
بل انما كان سلاحه انسانا اثني عشر صيادا وهولا كانوا اناسا حافين عراة فقرا سذج مرذولين
والاعجب من ذلك هو حيث انهم كانوا يهودا ومعنى ذلك هو انهم كانوا من طايفة مبغوضة
في العالم ومحتقرة فهولا هم الذين بواسطتهم رفع في رومية التمالك وقتل الاعداء واخضع
شعوب البربر وقهر تشامخ الحكما انه لواضح ان شيخة رومية قد احصوا الاسكندر الكبير في
عدد اصنامهم وما هو السبب في ذلك هو لانهم ظنوا انه لا يمكن ان يكون انسانا بسيطا ذاك
الذي بمدة اثني عشر سنة فقط ملك الارض واخضع شعوبها تحت ولايته مع ان الاسكندر
قد اخضع اوليك الشعوب وهو في الجيوش وكان يملك خزاين كثيرة وتحت سلطته شعوب
عديدة وقد اخضعهم بالسيف والجيوش اما السيد المسيح فبعكس ذلك لانه انما قد اخضع

الشعوب

العدد

حاشية الخفاش هو طير الليل صح

الشعوب البعيدة [illegible] وخلصها من نقمة [illegible] والذهب [illegible]
لا بالسلاح والجيوش [illegible] لكني اقول انه اخضعهم بالصليب لا بالحديد [illegible]
[illegible] كان انسان [illegible]
[illegible] اخضع العالم
[illegible]
[illegible] التي [illegible] غير قادرة على انتقال المعجزات فماذا على
عكس [illegible] الذي تخضع العناصر له باحترام وتطيع لاسمه الطبيعة
[illegible] الكواكب ان تستحي بوشاح الحداد
وترتعد [illegible] ايتها الشمس [illegible] عليك ان تنزعجي [illegible]
وتسكب [illegible] ان تتصدعي ويا ايتها
[illegible]
[illegible] ان تنقضي [illegible] تتزلزلي [illegible]
[illegible] هذه الايات العجيبة عند موت من هو اخطى الناس ويا عدل
[illegible] انصاب الخليقة
ذلك [illegible]
وتنتبه [illegible] كيف نقدر رجل خاطي
[illegible] ترتعد
[illegible] باسم المسيح الدجال
[illegible] فتعاينوا كيف انهم
[illegible] ثم [illegible] باسم يسوع المسيح [illegible]
[illegible] الالسنة
يخافون ويرتجفون [illegible] فيسوع هو الاسم القوي القاهر الذي [illegible] كالد هن
واضطهم [illegible] ما احسن ما نستطيع نحن ان نقول ان هذا الاسم الجليل هو [illegible] لنا حقا
[illegible] ههنا
[illegible] الناس الذين لا يحصى عددهم [illegible]
[illegible] الحرب في بلاد فلسطين [illegible] مدينة كبيرة
[illegible] الى البيوت والشوارع [illegible] لهم
الروم [illegible] عظمة [illegible]
[illegible] في الخندق
[illegible] القياس [illegible] في

صدوره ... كانت ثم المسيح باسقفيه ببيارقهم مستخرجين في العالم ونكون جميع ... البلدان
... وان لم ... من ... الشعوب ... سنة ...
يسوع ... بهذه الكلمة حتى انه جعلهم يتكرزون ...
الجماهير التي كانوا خرجوا بها ... في العالم وتم بذلك ما تقدم ...
فعاله ... حين ... يسوع المسيح في العالم ...
جميع الاصنام وهم ابولون وديانا ... وباخوس ... وغيرهم من الشياطين
الشياطين ... وبعد ... خرجوا كليا ... الفيلسوف ...
لعل ذلك كله ... يسوع ... عند ... هذه الفيض ...
عبادة يسوع الناصري ... الشعوب ...
ايمكن ان تقصد ... عظيمة ... هذه الكثرة ... رجل
اشر الناس ... يستطيع ... ذلك ... ان يضاد
خلاف النطق الطبيعي واذ كان ذلك كذلك فلنعترف ... القول ... المسيح ...
لانه على ما برهنا انفا ينبغي على كل حال ... يكون ... الوهية ...
واذ كان هو الها فيكفينا هذا فقط ولا حاجة لنا ان نتعب في صحة العقايد التي تسلمناها
لنوضحها ... الاسرار التي فرضها لنا للخلاص وغيرها من التعاليم التي ... اذا ...
كانت هذه العقايد هي ... البشري الضعيف ...
نحن ليس ضالين لان المسيح الذي علمنا ... ان ... الها

القسم الثاني

فعلى ظني انكم تتعجبون على اليوم باطنا في ضمائركم ايها السامعون المباركون ... انكم ...
في واحدة من هاتين القضيتين اي ... وعظت وعظة ...
الجمهور المبارك السامع ... اعتبار ... في ...
ان ... في هذه المدينة المولدة اسم يسوع المسيح ... المتمسكة بايمانه اشد
تمسكا فكان الواجب ... بالازهار ... البلاد ... واليهود
... عليهم ... ذلك ... يا سادتي ان كان هذا ...
تقدمت ... الاعتراض بالاعتقادات التي ...

هذا

هذا ولكن لكونكم احرجتموني لانكم تكلمتم علانية من غير محاباة فمن ثم اسالكم ان لا تسخطوا اذا
اردت الان ان اتكلم معكم كظاهر فيها انا اسلم لكم انني غلطت في ... هذه التي اوردتها على
سماعكم لانه من الواجب علي انا ان اظن بكم انكم ابر النصارى واطهرهم لانكم من ذرية اقدم
المسيحيين لكن مع ذلك يحق لي ان ارثي هذا الراي ... يوجد شي يجب
تكرارها على المسيحيين من على المنابر باوفر تواتر من هذه الحقيقة وهي انه يعتقدون الاعتقاد
... ايمانهم هو الصحيح ومع ذلك يعيشون كاوليك الذين يزدرون ... ولكن
مالي قلت كاوليك الذين يزدرون ... انهم يعيشون اشر
من اوليك لان المعيشة الرديئة هي ساكنة عند النصارى اكثر مما هي ساكنة عند الامم الحنيفين
ليت شعري هل يوجد شخص من اي مذهب كان من المذاهب الباطلة يستحي من ان يعيش في
بلاده في ايمانه الباطل على انها زي الوثني لا يستحي من ان يعيش وثنيا ولا اليزيدي يزيديا
ولا اليهودي من ان يعيش يهوديا اما المسيحي فقط فانه يستحي ان يعيش مسيحيا حسب ايمانه
وان رمتم ان تتحققوا كلامي فاصغوا لما اورده قايلا انه اذا تفوه رجل اشر هما من اخوتكم
المسيحيين حتم على نفسه ان ياخذ ثاره من ذاك الذي اغاظه او خفض شانه ولاجل ذلك
اخذ يكمن له ليزيل حياته ويترصده في المدينة وفي البراري فرضنا انكم اذا عزمتم على خلاص
هذا الرجل ورمتم ان تزيحوه عن عزمه هذا الشرير فما هي الاسباب الاقوى التي تظنون ان
توردوها لتقنعوه ويرجع عن نفسه هذا المهلك لا ريب انكم تقولون له اذكر يا اخانا
انك مسيحي ولهذا يجب عليك ان تدع هذا الغيظ وتلقي هذا السلاح لانه لا يحل لك ان تاخذ
الثار وان قلتم له هذا اما يحتسبكم انا سا... ويهزأ بكم قايلا دعوا غيرتكم هذه جانبا وكونوا
رجالا حكماء لانكم لا تفهمون ما هو الشرف ولكن اذا اثبتم له ان هذا الانتقام عليه لانه رجل
شريف ذو حسب ممدوح او اذا قلتم له انه اذا انتقم يسقط تحت غضب الحاكم لانه هو ارسلكم
اليه لكي تنبهوه لان ... يرجع عن مقصده الردي او اذا بلغتموه ان رب بيته هو امراته تلتمس منه
ان يصفح عن غريمه فلا يستصعب وقتئذ ان يصغي باذنه الى طلبتكم بل يتقبل كلامكم واذا سمع
اخيرا منكم وتصدر ان يصالح عدوه هل تظنون انه يتخشع ويتعزى قايلا اي نعم انني اسامح عدوي
فلان لانه ... هكذا يوصيني فانا مسيحي ولست استحي بالانجيل فعلى ظني ان هذه العبارة
هي لديه مقام الهزوء ... اما الصفح عن غريمه اكراما للامراة او هيبة من الحاكم فيحتسبه

حلاوة ولا شرفاً فان كان هذا هو دينكم فهل تعتبرون ايمانكم انه هو الصحيح لا لعمري لانكم لو كنتم
تعتبرونه انه هو الصحيح فكيف كان يمكن ان تخالفوا ما يعلمكم وكيف كان يمكن ان تعتقدوا
العمل به احتقاراً لكم او قلة شان بل كيف كان يمكن ايضاً ان تصدوا غيركم عن العمل به بالحرية
الواجبة من غير محاباة لا العالم تعرفون هل كان يعتبر ايماننا صحيحاً اولئك الحكام والولاة وسائر
الطوائف الذين كانوا قديماً يصدون المسيحيين عن اشهار ايمانهم ويلزمونهم ان يحسبوا الشريعة
والعفة والمقابر جميعاً كانوا يقصدون ان يقهروا اسرار الايمان المقدس فاجيب كلا غير انكم انتم هكذا
تفعلون وذلك حيث تلزمون نساءكم ان يطلبوا لست اقول اخفى المقابر ولا اظلم المقابر بل قلما
يكون الكنايس المنفردة والمعابد السرية لينجوا من مذمة السنتكم لما يقصدون ان يحضروا
الصلوات والقداسات او يقيتوا انفسهم من الخبز السمري باعظم عبادة واوفر خشوع اخبروني
كم تضحكون على تلك الابنة المادية لانها تحب ان تلبس لبساً ساذجاً بالبساطة المسيحية القديمة
كم تستهزئون بذلك الشاب العابد لانه يحب معاشرة الرهبان القديسين اليس هذا كله اعتراضاً
على العمل بحسب ايماننا المقدس نظير ما كان يعترضه المغتصبون الوثنيون القدماء غير ان
الاختلاف الذي اراه انما بينكم وبين اولئك هو هذا اي ان اولئك كانوا يقاومون بالسيف من
يرغب السلوك بحسب ايماننا وانتم تقاومونهم بالضحك والهزء وهذا اراكم اكثر من السيف
مرارة حتى ومنذ متى يحدث هذا الامر وهو ان الذي لم يكن يقهره سقم عن العمل بموجب ايمانه من سيوف
اولئك المغتصبين فيقهره الان من السنة اصحابه واسمعوا شيئاً اخر مما قلناه ايضاً وهو ان
الجرائم الفظيعة والنجاسات القبيحة التي تحرمها السنة المقدسة التي تؤمنون وتعتقدون بصحتها فهذه
نفسها لقد تفتخرون انتم بها مرات عديدة كانها سعادة وكانها افعال الابطال الصناديد بل
مجداً وعزاً لكم حتى انكم تمدحون وتكرمون من يعتني بها اهذا هو اعتقادكم انني لعالم بان الخطا
ليس له من عيب ذاته ان ينزع عنا ملكة الايمان لكن افتخار الخطاة والافتخار بهذا الامر هو شبيه
بالكفر لانه انما هو محض الكفر بحسب حقيقته لانه ليس سوى اتباع الاراء المضادة تعليم يسوع المسيح
واستلام ما هو جل ذكره وزلوم لما هو تعاليم ضده فقد اصبت انا اذاً برايي الذي رايته انفاً وهو
انه في وقتنا هذا لا يوجد شي يلزم ان ينصح المسيحيين اعظم ما يصلح من هذا وهو ان ايماننا هو
الايمان الصحيح وذلك ليكون للمسيح عندهم اعتبار الاله الحقيقي لانه اذا تكررت على مسامعكم
هذه الحقيقة الدينية فعلى ظني انه لا بد من انه يصير لها عندكم اكرام اعظم ولا يعودون

يحسبون

يحسبون عاراً لهم ما هو يحسبه شرفاً ولا شرفاً لهم ما هو تقديرك عنه يعتبره عاراً وفضيحة
فاقصدوا اذاً اليوم هذا القصد الضروري لكم واني اطلبه منكم اكراماً للايمان الذي انتم متمسكون
به وهو ان لا تدعوا ان تفرط من فمكم فيما سياتي كلمة تتضمن امتداح الرذيلة ومذمة الفضيلة
ولا تهابوا الحوادث والظروف التي تعرض لكم فتشهركم لدى الناس انكم مسيحيون حقيقيون
واحتملوا التعييرات بصبر يحسن بالمسيحيين وقفوا في الكنايس باحتشام وورع لا يليق
بالمسيحيين واحفظوا فيما بينكم الالفة والسلام والمحبة المختصة بنا نحن المسيحيين ولا تمتصوا
بقساوة دم الايتام والفقراء الذي هو دم المسيح ايضاً واذا اكملتم هذا كله فحينئذ يحسن بكم ان
تلوموا من يابيكم لكي ازعليكم كرزة تتضمن صحة الايمان المسيحي او يجب ان يورد على التريف
الهنود الغير المومنين امين

العظة الحادية والعشرون

في يوم الجمعة التي بعد الاحد الثالث من الصوم المقدس مضمونها انه ينبغي ان نتوق الى الخلاص
نفسه ان يستفيد ذلك حتى ومن الفرص الزهيدة اذا كانت ملايمة تقصد هذا وكان يسوع
قد اعيى من تعب الطريق فجلس هكذا عند العين وكانت الساعة السادسة فجاءت امراة من
السامرة لتستقي ماء (وما يتلوا ذلك) هكذا اخبرنا البشير يوحنا في فصل ٦ من بشارته

العدد

انه من الاية التي ذكرها الانجيل المقدس في هذا اليوم اعني بها اية السامرية يتلد في قلبي عاطفتان
وكل منهما تضاد الاخرى وهما عاطفة الرجا الحار وعاطفة الخوف العظيم لاني لما اعتبر مدققاً
انه من شي زهيد صار خلاص امراة هذه الخاطية فيحدث لي الوقت فكر لذيذ يعزيني
قايلاً ان كان الامر هكذا فيمكن اذاً نيل الخلاص من امر جزئي ولكن اعود اسفاً حيث انه يلد
في حال الفكر اخر يضاد ما سبق في خاطري ويقول لي هكذا وان كان الامر هكذا فقد يمكن اذاً الهلاك
من شي زهيد ايضاً نعم ان هذه المراة الخاطية الشقية انها صارت قديسة من هذا السبب
عينه لا غيره وهو ورودها السيد المسيح اتفاقاً قاعداً عند البير حيث كان جالساً ليستريح من تعب
الطريق وهو متعب الى ذلك الحين خاطبها وهي تهرق ميلها الى السرعة استقاء الماء لتستمع خطابه
تعالى لو مرت تلام خلاصها ولكن فلنفترض انها لحال شاهدته ثم قرت بان تصبح له اذنا بل قالت
لرات انها الان في حال عطش مذيب وعلى اشتغالات جمة وقد فات الوقت لانها الساعة السادسة
وينبغي لي ان ارجع الى منزلي لاتمم عملي فلو قالت هكذا مقتصرة لكان الاقرب الى التصديق انها

كانت علامة الفرصة الملايمة جداً لتتمة على نفسها وتفهم سوء حالها وتصلحها وتتوب
ثم انني اتخذ من هذا الموضوع سبباً لان اسالكم قايلاً من منكم يا اخوتي لا يعتبر الحركة الباطنة
الخفية التي تحركنا احياناً الى ما تشتهي ولتنا او الهمة اي الالهام اللطيف الذي يجذبنا الى
التوبة او الى عمل الخير من اصاغر اعمال الفضيلة ومع ذلك لقد يمكن ان ممارسة هذه الفضيلة
الصغيرة هي الابتدا الناتج منه خلاصنا وسعادتنا وبالنتيجة اقول كما انه لا يحصل على الغاية
من قد تهاون بالابتدا هكذا قد يمكن ان لا يفوز بالملكوت من تهاون بالابتدا بتلك الاشيا اليسيرة
ولكن ربما تقولون لي ما هذا الراي يا ابانا اتراك قاصداً ان تقنعنا في ان خلاص الانسان الابدي
يصدر من شي خسيس قليل فان كان رايك هذا صحيحاً فانت قاصد ان تخيفنا وترعبنا لا ان تعلمنا
وترشدنا في منهج الخلاص اي نعم يا معشر المسيحيين الاحبا هذا قصدي ان ارهبكم اليوم لانني انا
ايضاً حاصل على رهبة عظيمة ولكن لا تظنوا انني قاصد ان ارهبكم بعبارات باطلة ومبالغة
فارغة بل ارهبكم بالحقايق الراهنة التي لا يشوبها ريب واعاهدكم في انني لا اورد على سماعكم سوى
ما يجعلني ارتجف فزعاً بكليتي من الراس حتى القدم حينما افتكر فيه نعم ان هذا ليس كفواً ليصيرني
اول الخطاة الا انه يفيدني الا اتصلب في الخطا واصير غير قابل التوبة والاصطلاح وان قلتم ما
هو هذا فاجيبكم هو القضية التي استغربتموها انفاً اي ان خلاص الانسان الابدي يصدر مرات
عديدة من شي قليل وهذه هي القضية التي تخيفني وهي التي قصدت الان اثبتها لكم بعظتي هذه
لتعلموا انها ان لا تتهاملوا في الاشيا الخفيفة بل اجتهدوا في ان تستفيدوا منها وتغتنموها لانه يمكن
ان تصير لكم سبباً وفرصة مرات كثيرة في الخلاص الدايم

العدد ١ انني لا اظن ان احداً منكم يستغرب
القول ان من اشيا صغيرة يمكن صدور اشيا كبيرة عظيمة وهذا قد علمنا اياه العلما الطبيعيون باختبارهم
والحكما بتجربتهم وعلما الازمنة بتعاليمهم ولكيما نتحقق ذلك فيكفينا ان نجول بعقولنا حول العالم
كله ونتروى بلحظة واحدة فقط فاننا نعاين انه ليس لحبة الخردل وحدها ان تفتخر في ارض فلسطين
على انها تعلو وتنمو بهذا المقدار حتى انها تساوي سائر الاشجار لكن مع جميع الغابات التي من
اغصانها يعمل مقدار جزيل من رماح الحروب ويصنع مقدار عظيم من السفن في البحار ومقدار وافر
جداً من الخشب والجسور للبيوت وهذا المقدار من الالات والابنية ويكون منها هذا المقدار من
المأوى والوقود وهذا المقدار من المادة لاضطرام النار ولو اردنا ان نفحص عن اصولها فنرى جميعها
نابتة من بزور صغيرة تداس بالارجل او تنقل من الطيور بمناقيرها وما قولكم ايضاً في الصاعقة التي

تنقض

تنقض من السحابات وتحدث ضجة عظيمة جداً حتى انها تملا القلوب رعباً ومنها ما
تهدم الابراج وتخرب الجبال وتحرق الغابات وتجعل كل شي تصدمه رماداً فهذه
ليست هي الا بخرة قليلة لطيفة متلبدة في الهوى وهكذا الانهر الكبيرة الجارية بعزم شديد
على الارض وتجعل حدوداً للبلاد وتغاير البحر بمياهها وقوتها الا انها تحمل على سطحها سفناً
مشيدة ومسلحة للحرب وتخرج من قبلها حيتان عظيمة وتفيض احياناً من مستقرها
وتغطي الحقول وتدمر الزروع وتغرق المواشي وتخرب المنازل وتقفر المدن فاذا امكن ان
ترتد هي الى ورايها لتعاين مصادرها لما تصغر الان تتضع عند مشاهدتها فتياناً ضعفاً يلعبون
في العيون الصغيرة النابعة منها وصبياناً صغاراً يتعفرون من فوقها بارجل غير مبتلة بل ومن
العلوم ايضاً ان اشيا اعظم من هذه تصدر من مبادي طفيفة لا اعتبار لها الا لمن لا يعلم انه
من شرارة واحدة يلتهب احياناً حريق عظيم ومن نفس شخص واحد يمتد طاعون يعم المدن و
البلاد والممالك ومن هوا قليل محصور في جوف الارض تصدر زلازل مرعبة وما عدا ما ذكرناه
اذا تاملنا سياق احوال البشر فمن لا يرى انه من سبب خفيف يتفق ان الانسان يسقط من
درجة سامية الى حال دنية او يرتقي من حال دنية الى درجة عالية لعمري ان ابيغايل
قد كانت واحدة من جملة النسا الوضيعات الغير المعروفات حينما انتخبها داود واتخذها لزوجة
لكنها اتصلت من هذه الزيجة الى ان تلبس على هامتها تاجاً ملوكياً ومن اين صدر لها هذا
الحظ السعيد الا من الاكرام الذي صنعته مع عبيد داود حينما قدمت لهم زاداً وايضاً رفقه
قد كانت ابنة مجهولة في بيت ابيها بل بمنزلة جارية ثم لما خطبت لاسحق واخيراً استحقت
من ذلك ان تلد من نسلها المسيح المخلص الموعود به ومن اي سبب حازت هذا الشرف العظيم
الا من الوداد الذي اظهرته لرسول اسحق الذي عرضت له الما عند العين وبعكس ذلك تم الامر
في هامان ذلك الوزير العزيز عند احشويروش الملك لانه ما هو السبب الذي من اجله سقط من
النعمة التي كان حاصلاً عليها وتنزل عن الوزارة وخسر غناه وفقد اولاده حتى مات اخيراً معلقاً
على خشبة كاقبح المنافقين فانما كان بسبب انحطاط هذا من سخطه على مردخاي الفقير
الذليل لانه لم يكن يسلم عليه كباقي العبيد باحنا ركبتيه على الارض قدامه وماذا اقول عن
[illegible] وعن المتاجر وعن الصناعات وعن العلوم اليس من علة يسيرة حدثت اتفاقاً الى
فيثاغوروس صيرته اخيراً فيلسوفاً كبيراً اشتهر عند الوثنيين فاسمعوا ماذا كانت تلك العلة

وتعجبوا لقد كان هذا المذكور ولد فقيرًا ابن فلاح ذليل ففي ذات يوم حين كان حاملاً
على منكبيه حزمة حطب لابيه الهرم تلاقى صدفةً بديموكريتوس البارع في علم الفلسفة
فبهذا الامر حزمة الحطب مربوطة بمساواة وظرافة جميلة سال الغلام هل هو الذي ربط تلك
الحزمة فاجابه الغلام نعم انا هو فقال له ديموكريتوس حلها الان وعد فاربطها ثانيةً قدامي
فاطاعه الغلام وحلها ثم صف الحطب ونظم موضعها وجعلها حزمة مرتبة كما كانت و
رفعها وحملها على ظهره ايضاً فاستدل ديموكريتوس من ذلك على صفاء عقل الغلام وانه قابل
التعليم جيداً وطلب من ابيه ان يتبعه ويعيش تحت تدبيره فاتبعه ومضى معه الى مدرسته ورباه
وعلمه حتى اضحى اخيرًا فيلسوفًا حكيمًا بارعًا نظير معلمه وفاز اخيرًا بمصالح هذا الغلام الفلاح
المحصل فيتوغوراس ليس باقل من معلمه فاذا افترضنا الان ان هذا فيتوغوروس لم يرتب تلك الحزمة
بالحكمة المشار اليها او انه لم يلتقِ بذلك الفيلسوف في تلك الفرصة اما كان بلا شك يستمر في ان
يسوق البقر ويحرث بالسكة والفدان عوضاً عن تشغيل القلم بتاليف كتب الحكمة ولقد يمكنني
ان اورد لكم في هذا المعنى اخباراً لا يحصى عددها من كل جنس لولا يعنيني اثبات القضية المذكورة
من اعمال النعمة الالهية خلواً من اني اسهب الخطاب في اعمال الطبيعة ؛

فلنعلم اذاً ان الله جلت احكامه الغامضة يسلك في مرتبة النعمة بحسب المنوال الذي يسلك به
في مرتبة الطبيعة والا لما كنا نستطيع ان نرفع عقولنا الى استفهام ما ليس نراه بعيوننا الحسية كما
علم بولس الرسول الروحانيين قايلاً لهم ان اشيا الله غير المنظورات تفطن بالفكر والتفهم بالاشيا
التي صنعت فاذاً لقد اعد الله السعادة للجميع بمجد السما بارادته السابقة ولذلك يريد ان ينال الجميع ولا
يخسر احد كما علمنا ماري بولس قايلاً ان الله يحب ان يخلص جميع الناس الى اخره وان كانت الغاية
الواجب علينا ان نبلغ اليها جميعاً هي واحدة بل كثيرة جداً الابعاد ومن جملتها سلوك الانسان في طريقة
واحدة من هذه الطرق او في طريقة اخرى تصدر مرات شتى من اعمال جزئية يسيرة جداً وذلك كاستماع
عظة او عدم استماعها وتلاوة كتاب روحي او عدم تلاوته والتكلم مع هذا الشخص وعدم التكلم
معه وحضور سهرة او عدم حضورها فلقد يمكن ان شيئاً من هذه الاشيا يثبتنا في طريق السما
او في طريق جهنم قلت يثبتنا وذلك انه من ان خلاصنا ليس هو متعلقاً بهذه الاعمال على خط مستقيم
ومن غير واسطة اخرى لكنه متعلق بها كواسطة بعيدة مسببة الخلاص نظير ما قلناه في الحوادث
الطبيعية المقدم ذكرها التي قد يمكن بواسطتها ان اعمالاً طفيفة تنتهي بالانسان الى خسارات

195

باهظة او ارباح عظيمة كما جاء في هذا المعنى ايضاً في سفر ايوب بقوله فتكون اوايلك صغيرة
واخرتك تكثر جداً فلا يفهم احد منكم ان كان يستبين لنا انه غير لازم بعد هذا التعليم جيداً فيها
انا مستعد لان اوضح جلياً للجميع من اي مرتبة كانوا وذلك بالاخبار والقياسات ولو كنت خالياً
من معرفة العلوم الفلسفية ولنتخذ الان لاجل الايضاح ذلك لاجلى ايضاحاً نموذجاً من خبر
جليل قد اورده القديس اغوسطينوس المعظم في كتبه فاصغوا الاستماع وافهموه جيداً فاقول
خبرنا هذا المغبوط انه لما كان ثاودوسيوس الملك قاطناً في مدينة تريباري ليتنزه في مشاهدة
بعض اصناف من الملاعب التي كانت وقتيذٍ تصير في ساحات تلك المدينة الشهيرة فابتعد عن تلك
الفرجة المطربة اثنان من اعيان دولته ولما لم يعلما ماذا يصنعان توجها معاً الى خارج المدينة
ليتنزها بمشاهدة الحقول والمروج المخضلة فجازا من سبيل الى سبيل يكلم احدهما صاحبه فتنقلا
من خطاب الى خطاب اتصلا صدفةً واتفاقاً من غير قصد الخبر بمستقر كان يسكنها بعض
من السواح الناسكين التايبين في كواخ فقيرة فدخلا احدى الكواخ ايثاراً للفرجة وعندما كانا
يجولان بنظرهما ههنا وهناك كما هو عادة الناس يتفرجان عما يحويه فابصرا كتاباً قديماً ملقى على مايدة
فتناوله احدهما وفتحه ورأى فيه سيرة القديس انطونيوس الكبير ابي الرهبان فشرع يتلوه اولاً قاصداً
سماع قصة جديدة ثم ابتدا ان يتلوه بلذة ثم اخذ يستشعر في نفسه قليلاً فقليلاً بحركة ما باطنة
تحرضه على ما قد قراه وبغتةً اتقد قلبه بمحبة مقدسة والتهف وجهه برداء الحيا فتنهد تنهداً عميقاً
وقال لصاحبه انما لعمري لمساكين نحن السالكين طريقاً غير هذه الطريق قل لي يا صاح بحياتك ما
الذي نؤمل بجهد هذا التعب والخدمة في دولة الملك العلنا نستطيع ان نقتبس شيئاً اعظم من
محبته لكن من تراه يحقق لنا اننا نحصل عليها ايضاً ان الحيوة قصيرة والشبوبية خاينة والقوى تكل
والطالبون التقدم في دولة الملك كثيرون والوظايف قليلة لا تكفي الجميع وبعد ذلك جميعه اذا
افترضنا اننا امتلكنا محبة الملك فما هو الذي ننال منه من ذلك سوى ابتذال الخدمة بخدمة وتعب بتعب
وخطر بخطر وما اكثر الحساد المكمنون لنا وما اكثر المبغضون الذين يرصدون وما اكثر المضطهدين المنعودين
على ثلبنا وانحطاطنا من كرامتنا فمن هنا ما يجب علينا ان نعيش بخوف وحذر دايماً او لا حال من دوام
ان يعيش صديقاً لله فهو بعكس ذلك لانه يكفيه ان يريد ذلك فقط ولا يستطيع احد ان
يقاطعنا في محبته ولا يزيلها عنا قال هذا وعاد الى الكتاب وشرع يتلوه وكان خطف وسلب من
التغيير العظيم الذي كان يختلج في قلبه وكان يمزج قراءته بالبكا ثم طوى اخيراً الكتاب بغتةً وضرب بيده

المايدة فقال لصاحبه انا العربي قد عزمت على نفسي ان لا انصرف من هذا المكان ومن هذه الساعة
وفي هذا المكان اريد ان اقدم ذاتي بكليتها لسيدنا ولذلك ان لم تشا انت ان تتبعني او سالك لئلا
تضادني وتصدني فتحركت جوارح صديقه من كلام الحار وعزمه المؤسس للاقتدا به واجابه
قايلا لا يسمح لسانني ان تفضي باقتنا الارض وتترك السالك بمفردك بل انما نعود نحن اثنانا الى الدولة
واما اننا نعبر هنا معًا وهكذا دعا هذا النسق عزمها على ان يرجعا ايضًا الى الملك لكي كتبا الرسالة
اخبراه بها بقصدهما الصالح ثم نزعا عنهما الحلل الموشاة بالذهب الفاخرة ولبس كل منهما مسحًا
وشدوا وسطهما بحبل ثم تعطلا في تلاوة واحدة وفيها قضيا باقي حياتهما بالفقر والصلاة والصوم حتى
شاعت قداستهما في العالم فاخبروني لانه ايها السامعون المكرمون ما هو مبدا هذه الاعمال الصالحة
التي مارساها فيما بعد هذان السايحان الحديثان اي سهر الليالي وتلاوة المزامير والتسابيح والتامل
العميق والصوم الصارم والجلد حتى الدم وغير ذلك مما ريحا به مجد السما وما هو مصدر هذا كله
الذي سماه سفر الامثال مبدا الطريق الصالح فاخبروا ما هو مبدا ذلك العربي تسليس هو سوي الامتناع
من مشاهدة الملاعب الباطلة ومن هنا دبر ان يخرجا من المدينة ليتمشيا في البرية ومن التمشي
دبر ان يلجا كوخ لسواح ومن ولوجهما الكوخ ان يتليا الكتاب ومن تلاوتهما الكتاب بضرما انه صالح
مقدس وهكذا يعتقان الدولة ويغادران بيوتهما ويحتضنا المحبسة ويتشبثا بطريق الصليب
الملوكي واذا افترضنا انهما لبسا يتنزهان بمشاهدة الملاعب التي كانا يمكنهما ان يتماها من غير جناح
فهل كان اتفق لهما شي مما قلناه هلا العربي لم يكونا حظيا بذلك لانه اذا ذكرنا ان نصدق سفر الجامعة
المقدس القايل لكل امر يوجد وقت وحينه فنضطر ان نقول ان كل الاشيا لها اوقات وفرص متعلقة بها
وان تهاونا احد بها فيحدث من ذلك تبديل وتغيير عظيم ومن ثم لقد كان اتفق للاميرين المذكورين
تدبير حوادث اخر مختلف جدًا واسلام الحياة كانت حصلت لهما والذي يقرب للتصديق انهما كانا
استمرا في خدمة الملك ورغبة التقدم ومحبة الافتخار ورذايل العالم وبالنتيجة كانا استمرا في مخاطر
الهلاك ايضًا فالذي ينبغي لهما ان يقرا ان مبدا خلاصهما كان من امتناعهما عن الفرجة الباطلة
كان امرهما هذا نظير العين الصغيرة التي راها مردخاي تستحيل نهرًا عظيمًا وشبه الحصوة التي شاهدها
دانيال وقد انقلبت جبلًا كبيرًا فاعتقدوا ان هذا اي امر لسبب يسير ابتدات
قداسة جميع اوليك القديسين الذين نحن عارفون بهم اوليك الذين حصلوا على اسمى درجات القداسة
والكمال واجترحوا المعجزات حقًا ان اوليك الذين قد ابتدوا قد ربيغ هم قليلًا ونجد ان ذلك بل انه في

العجايب

196

العهد القديم مع ان لذلك النبي فقط وفي العهد الجديد لقد تلد ايضا يوحنا المعمدان
لا يجيدوا ما قيل في سابقهم لم يكونوا قديسين لكنهم تقدسوا بعد ميلادهم ولكن ما هو السبب
الذي صيرهم قديسين لعمري ان منهم من اتفق سببًا خلاصه يسيرًا وفي قديسًا من واحد الكبار
والنبيا نعمة تتعاقب قليلا ان رجل صالح كان يسال في شوارع المدينة مع جمع غفير من الناس
وراه بعض الزناة فصدقت خطيته وغير نتاوه البيصاني واخر اتفق له سبب خلاصه من تامله
جنازة امراة ماتت وهو القديس فرنسيس بورجيا واخر من صفحه لغريبه وهو القديس يوحنا غوالبر
واخر من صدقة اعطاها للفقرا وهو القديس فرنسيس الاسيزي واخر من احتمال الاهانة صابرًا وهو
القديس ابراهيم المرياني واخر من استماعه انه فاته احد كرم العظات وهو القديس انطونيوس الكبير
واخر من النعمة التي انجد عليه من قبل سقوطه في الطعن وهو الطوباوي ... من رهبنة يسوع
الجليل وقديسين ومن ... وهو القديس ابراهيم ... واخر من خدمة الفقرا
... واخرها القديسة مريم المصرية
... وان لا نطونيوس ولغناتيوس
ولكن ما لا يستغرب من كوكب وزينة المعلمين في القديسين اغسطينوس انطونيوس ولغناتيوس
... الذين ... المسلوكين بطرق مختلفة فاستفهموا من المتشابهة التي توجد بينهما
ولكن ... احدث اعتراضا الفرض كانني قاصد ان اتابع في تخليص ... هذين المذكورين فاقول
اولا قد صار لكل منهما ... خصب ... بالاحياء اي ... الروحية بالرهبنة غير ان اولهما
كانت ... ولا ... الطريقة النظرية واما الاخر فكانت ... بعاشرونه الناس
... الطريقة العملية ثانيًا قد حدث ... في ابتدا توبتهما اضطهاد شاق عظيم من قبل
... وكان ... انطونيوس ... بشكل الوحوش الضارية واما الى لغناتيوس
... ملاحقات متوحدات ... الانه ... على تلك الارواح الرديئة
... لكونه انطونيوس كان ... ولغناتيوس يطردهم بالعصا وكلاهما
... الاستشهاد ولكن ... انطونيوس للاسكندرية ولغناتيوس
... الروحية ورغم
... اخيرًا ... كثيرين ... الروحية ورغم
ان ... القداسة ... كليهما ... البعض الخ
احدهما ... الخارق ... الذين ... غيورين ... كليهما ايضًا
التي كانت في البيعة المقدسة في زمان انطونيوس من بدعة اريوس وفي عهد لغناتيوس من بدعة
لوثيروس ... هذين ... تركا احدهما الى زمان ... تيبايس وبقي

ف

ترس

رف

الى الماء عوض [illegible] التي كانت تختلج فيها وكان [illegible]
الرهبان قد امتد [illegible] هكذا اغناطيوس [illegible] اولاده [illegible]
كذلك [illegible] الذي [illegible] من حكام العالم وولاته [illegible] كان [illegible] اغناطيوس [illegible]
قسطنطين الكبير [illegible] الشر و اغناطيوس كان [illegible]
لذلك تقول [illegible]
يعرضها على القديس اغناطيوس [illegible]
وايدها [illegible] سوى [illegible] بالنار [illegible] اغناطيوس [illegible]
السكينة [illegible]
[illegible] الصالح [illegible]
[illegible]
للجسمين [illegible]
لانهما [illegible]
كاخذ [illegible]
ومبدا الطريق الصالح [illegible] كتابا روحيا [illegible]
حدث [illegible] القداس [illegible] فصل الانجيل القائل ان اردت ان
تكون كاملا اذهب وبع كل شي لك وتعال اتبعني فاحتسب القديس [illegible]
انما قيلت من اجله [illegible] ذلك الحين عزم على نفسه بان [illegible] يسوع بسيرته واما اغناطيوس [illegible]
كان مريضا وطريحا على السرير طلب كتابا يتلوه [illegible] التعزية [illegible]
عوضا عن كتب الفروسية الذي كان [illegible]
يعيش كمثل القديسين الذين كان يتلو اخبارهم [illegible]
حسن [illegible] الكتاب الروحي [illegible] هذه [illegible]
منذهلين فانا لست اعلم ذلك لان هذا الامر يختص باحكام الله الخفية الغير المدركة [illegible]
ذلك النهر العظيم الذي ما استطاع [illegible]
فاضت مياه النهر العظيم الذي لا يمكن العبور فيه [illegible]
المدرسة لان [illegible] احكامه [illegible] ان يصنع مع البشر دفعات كثيرة كما صنع مع نعمان

شامي

الشامي ابرص فان الله تعالى كان قد علق شفا هذا المرض نفسا وجسدا على امر جزئي زهيد خفيف
جدا وهو ان يغتسل سبع مرات في نهر الاردن الغريب عن بلاده ومع ذلك استصعب نعمان
جدا وقال لماذا بالاحرى لم يخرج النبي الى لقاي ويضع يده فوق راسي لابرى وان كان لابد
من اغتسالي فالانهر اذا لم يرسلني الى نهر اخر من انهر دمشق الشام الحسنة اليس نهر فرفر هو احسن
من نهر الاردن وقبله نهر ابانا وغيره من الانهر الرائقة مياهها والصافية نظير البلور لا تما حكني يا نعمان
ولا تحاور في ما حكم الله تعالى جلت احكامه اعساك تريد ان تضع سنة على الله من ذا الذي
يقدر ان يقول لله لماذا تصنع هكذا اعمل انت مهما شيت فانك معطي الارادة غير انه لا يحق ان
كل خير روحيا كان او جسديا قد علقه الله سبحانه بالخفاض تشامخك وهذا قليلا بالفعل [illegible]
منك غير مناسب وغير لايق بك اي اغتسالك سبع مرات في نهر الاردن على ان الله تعالى الغير المدركة
احكامه لمن عادته ان يشا ان يعلق مبدا القداسة او خلاص الناس على فعل ما صالح زهيد
يسير لا اعتبار له جدا فاذا [illegible] في نعمهم جلت احكامه فيما بعد نعمة فاضلة ويصونهم صونا
خصوصيا حتى انهم يبلغون الى السما لا محالة كما صنع مع نعمان الشامي واذا تغاضوا عن ممارسة
فيعدمهم تلك التاييدات والانعام الخصوصية الموفرة التي ليس الله تعالى ملزوما على حسب راي
المعلمين اللاهوتيين ان يعطيها للبشر ومن ثم يعطيهم المعونات الاعتيادية فقط وبلا ريب انهم
ان يتبعوا مشوراتهم الخادعة وعلى هذا النسق يهلكون كما كان يجري الامر في نعمان لو لم يذهب
وهذا الراي علمناه [illegible]
ويغتسل في مياه الاردن الذي كان قد استهان بها
العدد ٥
القديسين تكرارهم علينا القول ان الابدية متعلقة بدقيقة واحدة فقط ان البعض يظنون
ان هذه هي دقيقة الموت فقط ولظنهم هذا فيصرفون باكثر [illegible] متصرفا سيئا كانه يكفيهم
ان يتصرفوا احسنا بدقيقة الموت فقط ولعمري ان مثل هولاء لضالون لكون هذه الدقيقة
نظرا الى البعض تكون في الحداثة ونظرا الى البعض تكون في الشبوبية ونظرا الى اخرين توجد
في الرجولية ونظرا الى غيرهم تكون في الشيخوخة وهذه الدقيقة هي بمنزلة حبس ينتظر بها
الله ان يهب في ارادته على بني البشر ليقتص [illegible] وهذا هو ما قد نوه به موسى النبي
لشعبه الاسرائيلي مخاطبهم قايلا ان الرب الهكم يبتليكم ليبان اذا كنتم تحبونه من كل قلوبكم
ومن كل انفسكم ام لا الا انه لا ينتج من ذلك انه اذا جازت تلك الدقيقة لا يعود يمكننا
الخلاص او الهلاك على حد سوى لان هذا لا يحل لنا ان نقول ولا ان نرتايه لكننا نقول [illegible]

من تلك الدقيقة يتفق ان نصادف فيما بعد صعوبات اعظم او اخف في عمل البر او ان نعطي ثمرة
اكبر او اصغر او ان نخذل النعم المعطاة لنا في زمان وجب حسب نص الرسول الالهي وقد ذكر ذلك كله
في خبر فريد مدون في الكتاب المقدس الذي يثبت مقصودنا اعظم اثباتاً ولاجل ان البرهان الناتج
منه عظيم وواضح جداً فيجب على الجميع ان يسمعوه بخوف ورعدة ناصتين وهو انه لما طلبت
اسباط العبرانيين من الله سبحانه ملكاً ليدبرهم عوضاً عن القضاة فمنذ اذ اختارهم رغماً عنه
وعين لهم شاول وهذا كان حقيراً في النسب ولكنه جليلاً في الفضيلة لان الكتاب المقدس يشهد
فيه انه ما من احد من ذلك الشعب كله كان يفوقه صلاحاً وبراً وذلك بقوله ليس من بني
اسرائيل اصلح منه مع انه في عهده كان داود وصاموئيل وغيرهم ايضاً في القداسة ما عدا غيرهما
الذين نعدل عن ذكرهم وقلد الله صاموئيل نفسه السلطان في انتخابه فمسحه النبي وبشره وبعد
ان تسلم زمام الملك وجب عليه بما انه ملك جديد ان يقدم لله ضحية ولهذا دعاه صاموئيل
واوصاه ان ينزل معه الى الجلجال وينتظره هناك سبعة ايام الى ان ياتي ويحضر التقدمة قائلاً
له انزل امامي الى الجلجال فتمكث هناك سبعة ايام حتى اتيك فنزل شاول وانتظر غير انه
بلغ اليوم السابع ولم ياتي صاموئيل فاحتار شاول فيما يصنع لانه ابصر عسكراً عظيماً من الاعداء
اصطف مقابله وجيشه العبراني مستطعاً الى القتال والتقدمة معطلة فعزم اخيراً على ان
يقدم هو بذاته التقدمة حسبما كان ماذوناً لذوي الشريعة في غياب الكاهن لان ليلة
اليوم السابع الاخير المؤجل قد كانت دنت الا انه لما قدم التقدمة واذا بصاموئيل قد اتى
فقام شاول الى ملاقاته وعندما ابصره صاموئيل قال له ايها القليل السعد ماذا صنعت
اجابه شاول انني انتظرتك الى اليوم المؤجل بقدر ما استطعت لكن جنودنا كانوا يطلبون
القتال والاعداء يهددوننا ولذلك احتسبت المصاف معهم نفاقاً قبل ان استمد رضى الله
بالتقدمة السلامية ظناً بك انك لا تستطيع ان تاتي في حينه لعائق عاقك فاجابه
صاموئيل لهذا عذرك قد اساءت اسمع ما اقول لك انه لو انتظرتني اكثر من ذلك قليلاً لكان
الله خلد ملكك على شعبه ولكن لانك خالفت فلا يكون لك وريث في الملك وهذا هو
نفس نص صاموئيل النبي فلاحظوا ما ارعب هذا الخطاب الذي خاطبه به الان قد اصلح
الرب مملكتك على اسرائيل الى الابد والان فملكك لا يثبت غير ان هذه الخسارة التي خسرها
شاول بمخالفته هذه الوصية وصية النبي اي خسارة المملكة هي كلا شي نظراً الى الخسارات

بالاخص

بالاخص الفضيلة التي خسرها بهذه المخالفة المذكورة لانه خسر نفسه وخسر فضيلته وخسر
الملكوت فاسمعوا كيف تم هذا كله ولا تظنوا انه هلك بمجرد هذه المخالفة فقط لان علماء
ماهرين كثيرين يبرروه نظراً الى هذا الامر من الخطا المميت وذلك لانه ربما ظن في نفسه انه
ملتزم ان ينتظر صاموئيل الى دخول اليوم السابع فقط او لانه احتسب ذاته مضطراً في ان
يطاوع جنوده الملحين عليه بالقتال كما نستنتج ذلك من الاعتذار الذي اورده عن نفسه
لصموئيل قليلاً فانصتت واصعدت صيحة وان قلتم كيف اذاً هلك من اجلها بما انها
اعدته الى الهلاك لا انها اوجبت عليه الهلاك من نفس ذاتها فالثقل جرمها وان كان
كلا يحضر عليكم فيه فهاكم تاملوا صحيحاً قليلاً ان استحقاق الارذال بسبب مخالفة شاول هذه
ان ينزع الملك من بيته وكان ذريته وهذا الانتزاع كان من نعم زمانية بجانبه ولذلك اعد
من يعتقبه قد كان شاباً من سبط اخر الذي هو داود بن يسي ومن حيث ان السيد بحكمته
وعذوبته فيما يختصه علينا وفق ان ينتقل داود من رعاية الغنم الذي كان يرعاها في القفر
الى دولة شاول الملك وقد كان اولاً من قبلهم شاول بولا حبه واكرام لانه كان في ذلك
الوقت محتاجاً الى من يخلصه من جليات الجبار الذي كان يهزو بالعسكر الاسرائيلي
وقد نتج شاول من انتصار داود على الجبار وتبديده جيوش الاعداء ومن المحامد التي كان
الجنود يمدحونه بها لان هذا هو العتيد ان يكون خليفته في الملك كما كان صاموئيل النبي
توعده وابتدا من ذلك الحين ان ينظر الى داود بعين الحسد والشراسة كما هو من عادة الولاة
ان ينظروا الى خلفائهم ومن هنا امتلا بغضاً وسخطاً على داود وطلب ان يقتله بطرائق كثيرة
احياناً بان يشكوا الرماح على صدره وتارة بارسال الجواسيس الى بيته ليمسكوه وطوراً بدس عليه
المكايد ليقتله في الوعر ثم ابتدا ان يتهاون في تدبير شعبه والسعي بمنافعه ويعتبر قليلاً او
صاباً ربه ولما شعر بان بعض الكهنة انزلوا خصمه عندهم واطعموه امر ان يقتلوا جميعهم
بالسيف امامه ولم يكتف بهذا لكنه امر ان تحرق مدينتهم بالنار وصنع تقتل عظيمة من
رجالها ونسائها وشبانها واطفالها وشيوخها حتى انه ما عفى عن البهائم ايضاً بل قتلها
ثم لما ان انتقل من قساوة الى قساوة ومن نفاق الى نفاق وعاين اخيراً اولاده الثلثة يموتون في
الحرب ضمن الجبل وهم الذين كان يعتمد ان الله تعالى سيمنحهم في ان يثبت فيهم ملكه وجرح طلب النفسه
الموت فاعطاه رجاه ولما لم يصب من يقتله تناول بيده سيفه وغرسه في صدره فقتل على

هذا النحو قبل نفسه بنفسه ثم ما قاله قديماً في الذهب تتا ملاخورة الرهيب وذلك في الخطية ٨٢٩
على تفسيره بشارة متى هكذا ان شاول لما خالف صموئيل ستضطر رويداً رويداً حتى تسوق نفسه
الى هاوية الهلاك فلنفرض الان ونحن انه لو تنبأ احد القيام مع شاول حينما ستعود لا يضحي
الضحية متعدياً وصية صموئيل وقال له احذر ايها الملك مما انت فاعل لان هذا يهلكك وهذا
مصدر خلاصك الزمني ولابدي لعل شاول كان صدقه لا لهري بل الاقرب للتصديق انه قد كان
كذبه قايلا كيف اصدق ما تقول انت هل من فعل هكذا هو جزء يسير يصدر عنه خلاصي او هلاكي
لا يمكن بل انما هو وهم الموسوسين وخوف عجايز غير ما كان يجيبه هكذا لكنه انا ياه ومع هذا
جميعه قد تم وجرى ما ذكرناه وذلك لان شاول لما استطاع تصايحه الذي تردعه عن الخطايا والاثام
الى كانية تورد به ما لكن لا نتعجب علينا ان يرتدعنها وبعكس ذلك لقد كان هان عليه كثيرا
ان لا يسقط بمثل هذه الاثام الثقيلة من حيث انه كان في صلاحه صالحا ولو كان يتمتع بملكه بالسلام
خلوا من ان يتقوى عليه خصم فيه وخلوا من ان يرعج بعينيه او في حياته التي حصل بعيدا ان يخلف وانه لمن
حقا او انه يمكنه قد كان يتمتع بملكه بالامن لو اطاع صموئيل النبي ولكن هو ان الله فلنتعجب من هذه الاديا
ان هي تتمثل في صدده وتنتفع نحن بعد من يعمل المعايير وغير ذلك على مدى ما لكن الذي
خسر ذلك الذي حظ انه ليس يعمل شيئاً باحتقاره بهذا القليل خسر هذه الاعظم مقدارها
اي نعم هذا القليل كان بمنزلة الجسر الضيق الذي حصل عليه الله تعالى الذي دعاه ارميا النبي عظيم الرأي
وغير مضبوط بالفكر ليتحقق طاعة شاول وديانته ولما انه ليرى هل هو من جملة او ليكن الذين
كتب عنهم ان الله امتحنهم ووجدهم له اهلا فشاول الذي يحتمل صابرا على هذا الامتحان لكنه تفقد
فالله بما انه عدم من ذلك التأييد العظيم الذي كان اعد له كما استحسنت مشيئته وتركه ينجح
الى الهلاك قليلا قليلا فماذا اذا لا تحسبون يا معشر السامعين ان الله جلت احكامه يصنع
معنا هكذا مرارا عديدة كم من مرة يتفق ان رجلا ذكرت فيقول في ذاته الهيئة انا ارى انه ذلك الرجل
المزوج ان يلج الكنيسة ويسمع تلك العظة وان ذهب وسمعها اريد ان احركه في زمن وجب
ليغادر اخيرا تلك العشرة الرديئة واذا ما غادرها فلا يعود يستصعب مواظبة الحقوق والنشاول
تبواتر وبهذه المواظبة الحسنة سوف يستأصل نصرويداً رويداً الملكات الشريرة التي تورطه الان
تبل اللهو والحديث البطال وغش التجارة ثم يصير بتوجيه بنفسه وترتيب اعماله حسب مرضاتي ونعمتي ويعيش باقي حياته مستقلا في نفسه ويخيم عوض خلاصا ولكن ان كان لا يسمع تلك

199

العظة فيستمر مصرا على عشرته الرديئة ويتصل الى عشق اخر ارديء ويتشبك بمساع اخر خطرة
وتقوى عليه خصمها في العشق ويعدم مرة حياته بالشقاء والخطا وذلك الشاب لم يرد لكن الهمة ايضا
ان يذهب الى الكنيسة ويعترف في هذا العيد واذا ذهب واعترف لم يرد الهيبة في زمن وجب
خشوعا بينهم على ان يحتسب اصحابه الصايرين له سببا للهلاك واذا ما تجنبهم مبتعدا عنهم
فلا يعود يعسر عليه السلوك في سبيل العبادة والورع وبهذا السلوك تتقدم فيه يسيرا فيسيرا
اشواق حارة الى ان تزداد المقادير والصلوة واما تتجسد ثم بعد ذلك يحيى حبوة طاهرة و
يقضي اجلا سعيدا لكن ان ابى عن الاعتراف فسيستقيم بصحبة اقرانه ويزداد تلفا وتنمو فيه
عوائد نفسه بحسب تستاق اخيرا الى الهلاك فيا ايها الاخوة الاعزاء السامعين اعلموا ان هذه
جميعها هي حقايق مؤكدة لا يشوبها ريب واذا جازت اوقاتها ومرت فلا ارتداد لها ونحن الان
لا نفهمها لان عيوننا اظلمت كقول ارميا النبي لكن سوف نفهمها يوم الدينونة الذي فيه ترتفع
النقاب عن اعيننا ونشاهد الطرايق التي شاء الله تعالى ان يخلصنا بها والطرايق التي اردنا نحن
ان نهلك بها تلك التي قد سماها الله تعالى عز اسمه طرايق الحيوة وطرايق الموت بقوله في نبوة
ارميا هذا اجعل امامكم طريق الحيوة وطريق الموت وح يخرج كل صديق ويخرج من يمشي الليل
كله على حافة هوتنية مرهبة من غير ان يفطن وهو تنف قايلا اللهم انني اعاين منذهلا في اي شيء
كان خلاصي متعلقا لعمري لولا قليل لكنت تورطت في طريق جهنم عوضا عن طريق السما لولا ان
الرب اعانني لكانت نفسي عن قليل تحل في الجحيم لا ريب في ان ذلك الفعل الصغير من الخصال
سببا لخلاصي او ذلك الذي فعلته في ذلك المكان او في ذلك النهار او في ذلك الوقت ولو كنت
غادرته تريهما اغرب الطريق التي كنت سلكتها بدل هذا الذي اتى بي الى الخلاص وبعكس ذلك يحزن
الهالكون وكم يولولون اذ يشاهدون من اين تسبب ضلالهم عن طريق السما المستقيم ولم يجدوا
سبيلا الى المدينة العامرة فيقول كل منهم نايحا الويل لي ليتني كنت سمعت تلك العظة ليتني
تجنبت ذلك الرفيق او ليتني امتنعت عن ذلك اللهو وابتعدت تلك الليلة من تلك السهرة
او من ذلك الرقص او من تلك الوليمة او من تلك الجمعية لقد كنت خلصت لا محالة اما الان فليس لي
ايضا ان استرد ما خسرته الى الابد فالويل لي ثم الويل لي انا الشقي الى الدهر لقد خسرت الكثير
باحتقاري القليل

القسم الثاني

انني اعاين في حد ذاتي انكم غير قادرين ان تضبطوا نفوسكم ايضا من الاعتراض القوي الذي انتم مفكرون في العدد

فيه لئن ردوه علي وذلك بقولكم لو هكذا أنه بحسب التعليم الذي أوضحته لنا الى الآن يا أبانا ينبغي
لنا أن نضع أنفسنا تحت تعب وشقا عظيم لأنه ينتج منه أنه ينبغي لنا أن نحيى بخوف وحزن كثير
كل أيام حياتنا على أننا يا أبانا لو كنا نعلم ما هو هذا الفعل اليسير المتعلق به خلاصنا أو هلاكنا وهو
كان نأمل بهما لكنا نحرص على ممارسته حرصاً بليغاً لا محالة لكن من أجل أننا لا نعلم من أي فعل يجب
أن نخاف فمن ثم ينبغي لنا أن نخشى من كل شيء وبالتالي ينبغي لنا أن نعتبر كل أمر طفيف اعتباراً عظيماً
ولا نستهين أصلاً بنقص كأنه زهيد ولا نخالف الهاماً ما ولو بهما كان خفيفاً كأنه غير ضروري
بل يلتزم أن نجتهد في كل مكان وكل محل وفي كل عمل وكل دقيقة أن نحقق مسيرنا الى السماء بكل نوع من
أصغر أنواع الأفعال الصالحة وهذا بالحقيقة يسبب لنا تعباً جزيلاً يفوق طاقتنا ويجعلنا نقضي
أيام حياتنا بخوف ورعب لا قياس لهما فأجيبكم قائلاً أنه على ما أرى أنكم قد اعترضتم علي اعتراضاً
صعباً لا أدري كيف أفنده ولكن العالم تريدون مني أن أخادعكم تعليماً غير الذي علمه الله تعالى نفسه
لعمري أن هذا لا يمكن ولأجل هذا أقر لديكم معترفاً علانية أن كل ما اعترضتم به علي هو حق وصدق
وأنه لمن الحق أنه يجب عليكم أن تحيوا في هذا العالم بخوف ورعدة دائماً لأن هذا هو الذي أوعز اليه
ماري بطرس هامة الرسل لما انتبه بعد خطاياه مستطيل هذه الحقيقة المرعبة وقال فمن أجل هذا يا أخوتي
أحرصوا جداً أن تجعلوا دعوتكم مثبتة واختياركم في الأعمال الصالحة فإنكم إذا فعلتم هذا لا تذنبون
دائماً فكأن الرسول يريد أن يقول لنا هكذا يا أخوتي لعلكم أنتم تظنون أن عمل خلاصكم الأبدي هو تام
بسهولة وبالهوينا وأنه يكفيكم أن تتذكروا به أحياناً من سائر أعمال الجسد فإن ظننتم ذلك فأنتم
ضالون مغرورون لكونه عملاً ثقيلاً أي الاعتبار عظيم وهو عمل سام وخفي يجب أن تشغلوا فيه أفكاركم
واهتمامكم وعواطفكم دائماً ولذلك احرصوا احرصوا لأنه يلزمكم اجتهاد وتعب وعناء جزيل حتى تبلغوا
الى أن لا تذنبوا أبداً لا ذنوباً ثقيلة ولا خفيفة احرصوا جداً جداً فإنكم وإن حرصتم بقدر جهدكم
كله فمع ذلك احسبوا أنكم ما تحرصون بحرص أعظم فهذا هو مضمون كلامه وإن قلتم أن غالب الناس لا
يحرصون هذا الحرص كله فأجيبكم نعم ولأجل هذا قال السيد المسيح أن الطريق التي تؤدي الى
الهلاك رحبة وإن قلتم أن قليلين جداً هم الذين يحرصون على خلاصهم هكذا فأجيبكم نعم ولأجل هذا
قال أيضاً السيد المسيح أن الطريق التي تؤدي الى الحياة ضيقة فليت شعري ما الذي يمكنني أن أقوله
لكم أيها الأخوة السامعون أيمكنني أن أعظكم خلافاً لما نطق به يسوع الحق الغير الكاذب أيمكنني أن
أبطل الإنجيل لأعلمكم تعليماً يسر خاطركم ولعله في عدة أبدله بإنجيل آخر إنه لا يمكن ذلك أصلاً فإذا

200.

ماذا أستطيع أن أفعل العبد أنه على الحقيقة لو لم يكن كلما وعظتكم به حقاً وصدقاً
لا يدخله ارتياب أصلاً لكان قد ضل وجهل جميع أولئك الصالحين الذين إذ سمعوا ما أخاطبكم
الروح القدس في سفر الجامعة قائلاً المتقي الله لا يهمل شيئاً فمن ثم كانوا يحرصون على نفوسهم
يجتهدون في أن لا يرتكبون ولا هفوات طفيفة أن القديسين أعني بهم برنردوس وفرنسيس
وبرناردينوس كانوا يشعرون بلذة حسية خفيفة في الجزء الأدنى فكانوا للوقت ينزعون عنهم
أثوابهم ومنهم من يرمي نفسه في الثلج وآخر ينطرح على الجليد وآخر يسرع ويتقلب على الشوك
والقديس فرنسيس سالازيوس لما خطر على مخيلته في الحلم فكر واحد دنس فأرعبه وأزعجه وأقلقه
بهذا المقدار حتى أنه جعله أن يدفق من فيه دماً غزيراً وكاد أن يخنقه لتفاقم ارتعاده وغيرهم من
القديسات كن يرهبن حتى من خطوة واحدة غير مقبولة جيداً ومن تبسم غير حسن ومن كلمة غير
موزونة كانوا يجب يحزن بهذا المقدار حتى أن البكا وتردد الزفرات عند اعترافهن بها عند
معلميهن كان يصد أنهن عن النطق وأكثر من ذلك صنع أوسابيوس الراهب فهذا قد كان يتلو
في ذات يوم الإنجيل الشريف وفي ذلك الحين أطلق نظره ليعاين متفرجات كونه فلاحين بعضاً من
الفلاحين كانوا يحرثون الأرض بالقرب منه فتشتت فكره بهم ومن ثم احتسب ذلك إثماً خافه
خوفاً هذا أعظم مقداره حتى أنه أقام حرباً على حدقتيه ولم يعد يمنحهما الراحة أصلاً الى أن
رحمهما الموت نفسه ولعله جعل وكانت محاربته لهما على هذا النسق وهو أنه أناط بعنقه طوقاً
حديدياً ثقيلاً جداً ألزمه أن يتفرس في الأرض على الدوام لئلا يستطيع أن يعاين بحدقتيه لا
الحراث ولا المروج ولا الجبال ولا السماء بل استمر منكباً هكذا نحو الأرض ومعاقباً ناظريه على هذا
المنوال [illegible] سنة الى أن توفي فما الذي تظنونه أيها السامعون هل تعتقدون أن هؤلاء الناس الأبرار
توهموا أنهم يتحقق جميعهم حالاً من جرى هفواتهم هذه الخفيفة ولذلك جاهدوا بالتقشفات في
العذابات الشاقة المذكورة ليفتدوا نفوسهم من الهلاك بواسطتها كلا لأنهم لم يكونوا جهلاء بهذا ك
المقدار حتى أنهم لم يكونوا يفهمون جيداً ما هو الذي يستوجب الهلاك بل كانوا يفهمون أنه يلزم للهلاك
سيئات ثقيلة ومفعولة برضى العقل وتعمد الإرادة وباختيار كامل لكن مع فهمهم هذا كانوا يخشون
من كل هفوة لعلمهم أنه يقع أن التورط في القليل الى الكثير نظراً الى ما يخص الخطا السهل جداً حسب قول بيوس
الله المدون في الكتاب المقدس هكذا أن الذي يحتقر القليل يسقط رويداً رويداً وهذا عينه أمر به أوسا
الذكور الذين كانوا يلومونه بعدم الإقرار عند مشاهدتهم إياه لا يعذب جسده عن نقص زهيد

يتفانون صارمين بهذا المقدار قايلاً لهم لا تعجبوا من هذا يا اخوتي لاني عارف ان الروح الشرير يحارب انسانًا
برزانة عظيمة اذا استقطع [illegible] القناعة والبر وفي صوت اخر خفية فكان ان كهذا البار يخاف
ليلا يستاقه النظر من موضوع الرحمة البري من الاثم قليلاً قليلاً الى التنزه بمشاهدة موضوع محرم
واذا لم يسلم من هذا النوع لم يكن يامن على نفسه من ان لا ينتقل الى استلذاذ [illegible] ومن الاستلذاذ
الى الشهوة ومن الشهوة الى الرضى ومن الرضى الى الفعل وهكذا وعلى هذا النسق يتهور الى الخراب
الاخير الكلي خراب الانسان الروحي الذي كان [illegible] حسب قول ابن سيراخ
الجليل القايل ان لم يتمسك بخشية الرب باجتهاد فبيتك يهدم سريعاً ولكن ربما تقولون
انتم ايها السامعون انكم تستطيعون ان تتحفظوا من الكثير بعد ارتكابكم اليسير ولاجل ذلك لا ينبغي
لكم ان تخافوا هكذا الجواب اني لتعجب كيف تستطيعون انتم على ما لم يستطيعه قبلكم اناس قد
بلغوا الى قمة القداسة والكمال ان بعضهم وحدهم كانت الطبيعة متعاصية والنعمة محدودة
والسماء ضيقة والابصار [illegible] والفضيلة متعبة والخلاص عسر اذ كان اوليك يخشون من كل زلة
خفيفة ليلا تنمي فيهم فتكون سبب هلاكهم مع انهم كانوا لابسين على اجسادهم المسوح الشعرية
نايمين على الرماد [illegible] اجسادهم من الجلد والضرب واما انتم فلا تخشون مع
انكم متجملون بالثياب الحريرية الناعمة ومنضوحون بازكى الروايح العطرية وغارقون في التنعم
ومنعمون تنعماً كثيراً بالاغذية اللذيذة فان كان اذاً لا يخشى عليكم فالاجدر بي ان اهتف واقول
ما لا يحل ان يقال [illegible] الظلم [illegible] هذه هي محبة ابوية اهذا هو عدلك وهو ان
تمنح انعامك هكذا فايضاً على الذين هم مستغرقون حتى العنق في ملذات العالم ويطلقون كل
العنان الى اهوية نفوسهم واجسادهم ومع ذلك تمسكها عن اوليك الذين انفردوا لاجل الحب
بك وقطنوا البراري حيث ليس لهم رفيقاً سوى الوحوش ولا معاين سوى الظل ولا [illegible] الا الفقر
ولا الفرح سوى البكا ولا لهو يلتهون به سوى الاماتة والتقشف [illegible] ان يعيشوا خايفين
دايماً على نفوسهم واوليك العالميون مباح لهم ان يعيشوا غير خايفين فاذا كان الامر كذا فخير هو ان
القي المسوح واحرق الجلدات وتحطم الصوامع وتبقى الاماتة وسائر فنون التقشف لانه على ما اري
قد يكون اوليك الذين يقاصون نفوسهم بهذه الهفوات الطفيفة بهذا المقدار من الصرامة و
التدقيق يحصلون على خطر الهلاك العظيم اوليك الذين يشربون الاثم كالماء [illegible] هلاك
[illegible] في هذا النمط على [illegible] القاضي [illegible] لانه سوف ياتي الوقت الذي سوف

ياتي ذلك الوقت الذي [illegible] علانية [illegible] بان [illegible] نفوسهم [illegible]
كانوا [illegible] فالويل لنا اذاً فليس كل احد [illegible] من يعتني [illegible] الذي ينبغي له
ان [illegible] ويكفر كل شهوة [illegible] السلوك في الطريق
المودي اليه ولهذا اوصانا السيد المسيح قايلاً اجتهدوا على الدخول من الباب الضيق
ولكن ما هو المراد بقوله اجتهدوا [illegible] المعنى هو هذا [illegible] واجتهدوا وهذا
ايضاً هو [illegible] ومعنى ذلك حاربوا وقاتلوا
على الدخول من [illegible] الذين [illegible] تحت خطر الموت عند
[illegible] على الدخول من باب [illegible]
[illegible]
ان [illegible] ولاجل ذلك يذهبون لاستماع العدد
[illegible] الذين [illegible]
[illegible] استطيع انا اقدم لكم في هذه
[illegible] اما انا فمشترك
المادة [illegible] الخوف [illegible] بل ان تحذروا [illegible]
[illegible] الخوف [illegible] على خلاصكم [illegible]
لو [illegible]
[illegible] يا اخوة
[illegible] الهلاك [illegible]
[illegible] الخوف [illegible]
[illegible]
[illegible] خلاصكم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الطريق [illegible]
[illegible] خلاصكم بالخوف [illegible]
[illegible]

صنعتم هكذا فانكم تسلكون بالاستقامة والدرع لانه قيل في الكتاب ان الذي هو مغبوط هو الانسان
الذي يخشى كل حين العبد كرتما

العظة الثانية والعشرون

في الاحد الرابع من الصوم المقدس تتضمن الاحتجاج عن الفقرا ضد الاغنيا الذين
لا يحبون ان يتصدقوا عليهم حتى ولا من فضل ما عندهم من الخيرات اجمعوا الكسر التي
فضلت لكيلا يضيع منها شي هكذا اخبر ماري يوحنا انني احترم من اعماق صميم
قلبي ما فعله السيد المسيح وهو يتشح برداء ناسوتيته الاول ساله غرشا نلان يا ذني الى
اذا انا جيد متعجبا وقايلا لاجل كان لا يتغلب انه الاهي ما قد فعله ان علو انه ان اراد ان يقهر
بالجوع عظمته وعنايته وكرمه وقد رزنا الكلية بتقديم لهم طعاما وازال بهم المقدار
فلما ذا يجل عليكم بالكسر اليسيرة التي فضلت عنهم ولاي سبب لم يسمح لهم ان يحملوها معهم الى
بيوتهم او يبقوها الى وقت اخر للاحتياج لكنه امران يجمعوها كلها بالتدقيق حتى امر بحذر جدا
من ان يضيع منها شيا قليلا اجمعوا الكسر التي فضلت لكيلا يضيع شي منها فلاي سبب يحل عليهم
بها فانا اوردلكم السبب من غير ان نطيل الكلام وايلا انه تعالى قد قصد بذلك تعليم الجموع
الذين شبعوا ان لا يحفظوا الفاضل عندهم بل يقدموه لتقلب طيب الجياع المحزونين فهذه هي
يا اخوتي السنة التي اجرها الله تعالى في البر بشكلها وان اردتم ان اوضح لكم تدبيرهم تعالى
ايضاحا حسنا فاقول ان اليبس انه اذا مطرت السما مطرا وابلا على حاص الباسية العطشانة
فانها لا تشرب مقدار ما يكفيها للترطيب اللازم وتدع باقي الماء يجري لينفع غيرها وايضا
اذا نال الغصن من الدالية رطوبته ما كان فيه فيكف عن اقتبال ما يجري من الرطوبة و
يتركها للاغصان الاخر المحتاجة نظيره ومثله اذا اكتفت ثمرة الشجرة الواحدة من الماء
فتقدم لغيرها من الثمار ما تفتقر اليه من ذلك الما لتستوعب كلها وهذا نراه يجري ايضا
في الازهار والحشايش والبقول التي كل منها تشارك بجارتها با لغذا الذي يفضل عن كفايتها
الضروري وهكذا الهوا اذا اضطرب بحرارة كثيرة فيسكبها وينبذها الى اجرام اخر وعلى
الاطلاق فان جميع المبروات تعطينا بلسان الحال انه لا يحفظ لانفسنا الفاضل عنا ومن ثم
ليس بعجب اذ كان يسوع ربنا اراد ان ينبه الجميع الذين اكلوا وشبعوا في هذا النهار حافظين
حفظوا السنة المذكورة لكن ماذا تقولون انتم يا معشر المسيحيين احباي العلاكم حافظون

انتم

انتم هذه السنة الطبيعية ام انكم تزدادون طمعا وبخلا وتحفظون لنفس سكم بفضل الخير
الذي يفضل عنكم من غير ان تعطوه للفقرا المحتاجين وها انا اليوم مزمع ان اتعصب في هذا الميدان
لاجل نيابة عنهم وان استمد لهم ما هو فاضل عنكم لانه قد صار لهم لا لكم ولكن ما بالي احتاج
وما لانست لي قوه تتحمل اتعب مدرنية منتصف بحملتها الى الديانة والمحسنا فلا تحتاج الى
من يتخاص من كفيها رغما عنها الفضة الماليسين ومنعة لا اريد ان احاطبكم في المقام بما هو
من يحتاج من كفنهما ... المتاعل المحتاجين
ويعلمكم قوتها الجارحة غير لائقة بكم في عظم هذه التعمة ... فاسين غير رحومين
بل انني شاهدتم العظة الجارحة لا اكرزها الا انقولي ذلك على تحوب قاسين غير رحومين بل
اما انتم فاطبعتا عليكم هكذا لا بل انما عرض عليكم بسلطة التزاما لي كيف تتصرفون بما هو فاضل
عنكم من الخيرات لتحتمون ان ذلك ينظر بكثير ... احركم الواضحة بمرور ... الا تشبت انتطوعهم اني
الصادقة في ما هو ذلك التي يمكن ان يحصى منها غير المتوجة الجذب والعوايد وكل النصايب
النصايح البريئة هو ذلك التي عليها الايمكن ان يحصى منها غير المتوجة ... ان ارى انه من جملة
البلدين الصالح فيجري بها الثمار ويتم توبيد وامداد
العلمات العظيمة الموجودة في العالم قد يوجد هذه الغاصبة الناسد الكثيرين بانهم مسلطون
على جميع ما في الكون تسلطا مطلقا حتى انه يحل لهم ان ينفقوه وتصرفوا فيه كما شاوا وليس ذلك
نقصان ولو يحدوه يبذروه او القوة التي بيدهم الاحتياج عليهم ولهم انهم مستقلون مسلطون عليه
ولكن لا تسلطا مطلقا كما هم يزعمون بل تسلطا مقيدا محدودا وانه قبل حال الهينة الذي يحصل
تسلطهم هذا في اموالهم فاجيب انه هو ما قلناه انه الاي لتردادهم في ان تشمو الفقرا الفاضل
على اموالهم معيشتهم اللازمة بحال مراتبهم غير اني لا اطارف بان هذا التعليم سيكون ... عليهم
صعبا عند الكثيرين ومن جرى ذلك لقد اجتهد البعض من علما اللاهوت ان يلطفوه ويخففوه
بقولهم ان الصدقة لا تلزم تحت الخطا المميت الا في الحين الذي يكون فيه الفقير حاصلا في ضيق
شديد نقيلة فاذ فيه ولكن راي جمهور الابا القديسين هو مخالف لتعليم هولاي العلما فيا بني
هذا النظر ... انهم يستوجبون ... من انهم قوة كلامهم جيدا فاسمعوا كيف تكلم القديس
اغريغوريوس فهذا الصدد من غير تمييز ولا تحديد وذلك في الخطبة ال ٦٩ بعد المية الى
اوردها في الزمان فقال هكذا كلها ينفصل عن القوت والكسوة اللازمين لا يحفظه المسرف باطلا
بل ويخزن في الخزنة السموية بالصدقة وان كنا لا نصنع هكذا فنكون اختلسنا مال الغير
وهكذا علم واضحا ما عبر عنه فم الذهب في موضع اخر من عظاته وماري باسيليوس

وقال نيكلوس [illegible] المذبح [illegible] الكبير [illegible]
وماري توما وأما هذا التدبير [illegible] اللاهوتيين فقد صرح تعليمه [illegible] وذلك ان
ان هذا التعليم العظيم بالاحسان على المساكين يتولد من جهتين وكل منهما تلزم بالصدقة [illegible] خروجها
خلوا من الجهة الاخرى . فالجهة الاولى هي من قبيل التنفير والثانية من قبيل العفو فنظرا الى التنفير هي لازمة
ونظرا الى العفو هي [illegible] الناقص عن احتياجه [illegible] كانت علاقة التنفير شديدة [illegible] يلتزم الغني
بالاحسان اليه ولو لم يكن [illegible] ولذلك كان [illegible] فاضلا عن الغني [illegible] ايضا
بالصدقة [illegible] التنفير [illegible] جدا [illegible] تعليم القديس توما
الملائكي ولا تتعجب من تعليمه [illegible] الانسان [illegible] تنقص [illegible]
وتدبيرهم [illegible] يكون [illegible] بالفقرا والمساكين [illegible] ان يلبس
زهر الحقل [illegible] العصافير [illegible] وسائر الحيوانات [illegible] ويدبر هذا
لكل [illegible] الارض حتى [illegible] الكلية ليت شعري هل يسوغ لنا
ان نقول انه يوجد نقص في [illegible] كلا [illegible]
فكما انه مع [illegible] بنوع متساو
[illegible] لا يكون له
[illegible] يكون لهما
[illegible] العالم حتى
[illegible] لا يبصرون [illegible]
[illegible] الفقرا العا
جزين عن العمل [illegible] العامة ايضا
لئلا [illegible] من لوازم الغنيا كما [illegible] مصدر
نور النجوم على النور الفايض عن الشمس ولهذا قال [illegible] في انجيله المقدس [illegible]
صدقات قال [illegible] وذلك سوا كان من [illegible] اللباس او من الفضة او من [illegible]
كانه [illegible] صدقات [illegible] من ذلك القديس توما [illegible] قائلا ان امر الرب
ان يعطي [illegible] وقد كان ذلك بصيغة الامر لا على سبيل التشوير او الوعظ
[illegible] ان الصدقة [illegible] الله تعالى [illegible] ايها [illegible]
[illegible] من كل [illegible] العظيم بالصدقات [illegible]

جدا ولا تظنوا انكم تخلون من الخطا الثقيل [illegible] انكم فيما ليس هو بضروري لقيام العيش
وذلك لظنكم انكم مسلطون عليها تسلطا مطلقا يبيح لكم التصرف بها على اي وجه كان فان
فعلتم كذا تحوجونا الى ان نبين لكم الحق وهو انه لا يمكنكم الخلاص البتة لكن تسقطون في هلكات
جهنم لا ريب من منكم لا يتذكر ايضا ذلك الغني المشروح لنا من لوقا الانجيلي ذاك الذي كان
الله تعالى قد انعم عليه بغلات وافرة ولذلك طال الليل فيه مهتما [illegible] في نفسه
حتى قال [illegible] ماذا اصنع اذ ليس لي حيث اخزن غلاتي عرفت ماذا اصنع
اهدم اهرائي واوسعها واخزن فيها غلاتي ثم ساقول لنفسي طيبي يا نفس وافرحي كلي واشربي
وتنعمي لان هوذا لك خيرات كثيرة موضوعة الى سنين عديدة ولكن اسمع ماذا تقول على انه لم
يفرغ من [illegible] هذا [illegible] فاجاه صوت رهيب من السما يقول له تبا لك ايها الشقي هذه هي
المقاصد التي تفتكر بها انت ضللت يا جاهل لانه في هذه الليلة توخذ نفسك منك وهذا
الذي اعددته لمن يكون فيا معشر السامعين احبائي اني اقول لكم الحق [illegible]
اتامل هذه الاية الشريفة اخبروني ما هو الاثم الثقيل الذي ارتكب هذا الغني الى ان استحق
من اجله هذا القصاص المريع قال انه يريد ان يهدم اهراءه اولا ثم يعود ويبنيها ويوسعها
ليت شعري هل يوجد فيكم من يعتبر ذلك اثما ثقيلا كم من الذين ولدوا في قصور فاخرة ولهم فيها
كل نوع من الراحة والتنعم ومع ذلك لا يستريحون بها مكتفين لكن يصرفون ايامهم في [illegible]
والهدم ثم يهدمون ما ابتنوه ويصعدون الى [illegible] وقال ايضا الغني المذكور انه بعد ذلك يريد
يستريح وذلك بقوله واقول لنفسي استريحي [illegible] الراحة هو اثم ثقيل على انه لو قال يريد ان يظلم
ويقيم دعاوي باطلة او يقتل او ينهب او يعيش بالبذخ مع الزواني لكنت صدقت ان ذلك جميعه
اثم عظيم ولكن اي خطا هو الرقاد على الفرش الناعمة الليل كله وجزا كبيرا من النهار ثم قال انه من
ذلك الحين يريد ان يتكلف على الاكل والشرب وذلك بقوله لنفسه كلي واشربي وتنعمي ولكن هل
يوجد خطاة مميت في التنعم بالاكل والشرب مع ان ذلك يعجل الموت مرارا كثيرة على الناس فلاجل ايه
علة [illegible] استحق هذا الشقي ان يحسب من عداد الجهلة اي ايها [illegible] اسمعوا علة هلاكه من فم
ربنا المسيح نفسه وهو لانه اراد ان يحفظ لنفسه فقط جميع الخيرات التي تفضل الله تعالى
عليه بها ولاجل ذلك ختم يسوع المثل قائلا هكذا يكون من يذخر لنفسه ذخاير ولا يستغني بالله [illegible]
ما اقوى معنى هذه اللفظة اعني لنا المشتملة على ضمير المتكلم فقط والدالة على ان طلب كل شي

لنفسه ولم يرى هذا هو شره لانه يشبع لذاته اما لحمه يوذي الفقرا المهملين هكذا ارى الغني محكوما ايضا ان يحكم
عليه بالنار الجهنمية بسبب الادناس الجسمية ولكن لا لاجل خطية القتل ولا من قبل التجديف ولا الغش لكن
من اجل انه كان يملا بطنه من الغذا الطيب اللذيذ ويمسكه عن الفقرا واذا لم يمسكه عنهم فلم
يكن يقدم لهم بالكفاية حتى الشبع بل يتركهم جياعا كما لحظ حسنا القديس المغبوط اغوسطينوس
ولذلك لم يقل انه بخل عن لعازر لانه كان يشتهي ان ياكل من الفتات التي كانت تسقط من مايدة
ذلك الغني لان ذلك ربما كان يعطى لكنه كان يشتهي ان يشبع وهذا لم يكن ان يعطوه له لنفترض
الان نحن قايلين لو كان هذا الغني حيا في عهدنا اما كان انتصر له احد العلما الرحومين وعذره محتجة
قايلا له فاي حاجة بهذا الفقير ان ينتصب دايما على باب منزلك اما يوجد في اورشليم اغنيا كثيرين
يستطيع ان يتسول منهم فليذهب اذا اليهم لانه وان كان مضروبا بالقروح نعم ذلك ليس هو مخلعا
ليستطيع ان يتحرك ولكن مع ذلك جميعه هوذا هذا الغني كاين في جهنم ويا ليته كان في جانب ما
من جهنم لكنه حاصل مستغرقا في اسفل دركاتها لان الانجيل يقول مات الغني وقبر في الجحيم حسب النسخة
اللاتينية ولفظة قبر مدلولها انه دفن في قعر جهنم ولاجل اي سبب فالسبب هو الذي اورده المغبوط
اغوسطينوس المشار اليه انفا اي لانه لم يطعم الفقرا بالكفاية ولو كان موعبا خيرات من الله جل شانه
ومع ذلك لم يكن يتصدق على الفقرا بالصدقات اللايقة بشان حالته فهذه هي اذا السنة المفروضة
على الجميع وهي ان الذي قد اقتبل نعما من الله تعالى ينبغي له ان ينعم على غيره من نعمته وقد اوصى
القديس ماربولس الرسول اهل قرنتيين قايلا ليعين فضلكم لمسكنتهم واعتبروا هنا ان لفظة المسكنة
التي استعملها الرسول هي انما تعني العازة لكن لا العازة الشديدة او الكلية بل العازة مطلقا
وبالنتيجة ان نقول ان الوصية بهذه الصدقة لا تلزم لاجل العازة الشديدة او الكلية فقط لكن
ملتزمين بالفقرا الاذلا جدا ومن ثم لم يكن الكتاب الالهي يشحن من عبارات التذمر والترهيب والتعنيف
والتوعيد على الاغنيا لو كان هولا يذنبون بقلة الرحمة على الفقرا الا قليلا وهل يمكن ان يوجد
في الفقرا عازة اخف من عازة اوليك المتوسلين الذين يكربونكم باصواتهم سايلين في اثركم كل يوم
في الشوارع والساحات ومع ذلك اسمعوا وصية الله تعالى الرهيبة على لسان ابن سيراخ الحكيم
اذ يقول المسكين لا ترد بعينيك عنه للغضب ولا تجعل له سبيلا عليك ان يلعنك
لان من لعنك بمرارة نفسه يستجاب الى صلاته ومن ثم لا تظن ان الالتزام الاعظم بفعل
الصدقة لا يتولد من قبل العازة الموجودة في الفقير لكنه يتولد من قبل الموجودة في الغني

العدد ٤

وربما

204

وربما تعتذرون قايلين حسنا ما قلته يا ابانا لكن الصعوبة قايمة في ان نعرف ما هي فضيلتنا لانه
من ذا الذي لا يتعب فيه ويتناهدون لكيما يعيش حسبما يقتضي شانه وكرامته على ان العالم الان اضحى
الان نحن في الملابس والحلي الثمينة والمركبات والخدمة والاثاثات والولايم بهذا المقدار حتى انه وان
كانت مداخيل وثروات مضاعفة فهيهات ان تكفينا لان نقوم فيها بالكرامة اللايقة لمرتبتنا
نعم ذلك احسبكم قايلين اما تتنعمون ان اقول لكم ايها السامعون انكم انتم تتخذون سلوك العالم
البذخ الشرير قاعدة لافعالكم على انه لم يعد لي سبيلا للكلام بل يجب على السيد المسيح نفسه ان
ينزل من ذلك الجبل الذي عليه فتح فاه في مبدا بشارته الالهية ويعدل عن كلامه وينقض تعليمه
السموي السامي الذي به نهانا عن الاهتمام المفرط في تحصيل القوت والملابس لان تعليمه هذا اضحى
وقتنا هذا غير ممكن حفظه غير انني اجيبكم فاقول انه لا يجوز لنا ان نتخذ قاعدة افعالنا في
العالم الجاهل لانه ماري يعقوب الرسول حتم قايلا كل من احب ان يكون خليلا لهذا العالم فانه يصير
عدوا لله فاذا ممكن او ينبغي ان نتخذ القاعدة ولعمري انه يجب علينا ان نتخذها من العالم [illegible]
من العالم الذي له في الروحيات حسن اعظم والافضل ان نقول انه مطهر العالم ومجدده وهو يسوع
المسيح الذي اراد من جميع تابعيه ان يجحدوا في حال اعتمادهم كل اصناف الفخر الشيطاني وهذا
ليس هو شيئا اخر سوى العظمة العالمية والتبجح الباطل والبذخ الكثير الغير المرتب واذا اتخذنا هذه
القاعدة التي هي الميزان الحقيقي وسلكنا بموجبها فما اكثر ما يكون الزايد والمفرط في البذخ الذي
يمكنني ان اجده في الكثيرين منكم حتى لا اقول فيكم كلكم واذا كنت انا لا استطيع ههنا ان ابين
لكم ما هو هذا الزايد والمفرط في الامور العالمية كالماكل والمشرب والملابس فالسبب هو لان
ذلك يمكن ان يتبين ويعرف لكل انسان بمفرده لا بوجه عام مطلق لكن اوضح لكم الحق فاقول انكم
لعمري غير محتاجين الى ان اعينه لكم بالتدقيق اما تستطيعون انتم انفسكم ان تعينوه لذواتكم
والحال انكم تعرفون جيدا ان تعينوا لذواتكم ما هو الزايد والمفرط في الالتزام الذي يلزمكم بخدمة
الله تعالى حسب مرتبتكم وذلك كقولنا اذا رايتم كثيرين ليس من الرهبان والسواح بل من عامة
الانام الذين مثلكم يعترفون ويتناولون القربان المقدس كل ثمانية ايام مرة ويزورون الاديرة
والكنايس بتواتر ويتثقفون بتكاثر ويمارسون اعمال الديانة المسيحية فتقولون ان ذلك
جميعه زايد ومفرط في خدمة الله ولستم ملتزمين به انتم فاذا كنتم اذا تعرفون تعينون
ما هو الزايد والمفرط في خدمة الله تعالى اسمه وتعفون انفسكم منه فكيف لا تعرفون ان تعينوا

وتحذروا ما هو الزايد والمفرط في خدمة العالم لكن اذا رايتم احداً مما بيناتكم يفرط في العيشة
البذخية والفخر العالي وذلك نظراً الى الملابس والحلي الثمينة والولايم والمركبات وما ماثل ذلك
من الاباطيل تحتسبون انفسكم ملتزمين ان تغايروه لعمري ان هذا جهل مقصود منكم ومذموم فيكم
لانه ان كنتم تعرفون الزايد في خدمة اسقفاً الذي حسب زعمكم غير ملتزمين بها فينبغي ان
تعرفوا ايضاً المفرط في خدمة العالم الغير ملتزمين بها ومن ثم اختم كلامي معكم في هذا الشان و
اقول لكم انه مباح لكم ان تعيشوا في العالم حسبما تقتضي كرامتكم او رتبتكم ولكن لا حسب العادة
العالمية الباطلة المفرطة التي وجدت في العالم عند الجهلاء ÷ غير انه اذا اردنا ان نفتكر
الحق فنقول ان الذي يحطكم تفتكرون انكم محتاجون دايماً وليس عندكم فضلة ليس هو احتياجكم
الى ان تحفظوا كرامتكم حسب درجتكم ومقامكم بل انما هو اشتياقكم الى ان تحسنوها وتنموها ولم
يعد احد يرضى مع ايوب الصديق ان يموت في العش الذي فيه ولد ويخاطب ربه قايلاً انني في
عشي اموت بل من كان فلاحاً يرغب ان يكون مدنياً ومن كان مدنياً يرغب ان يكون متقدماً في
الجماعة ومن كان متقدماً في الجماعة ينبغي له ان يكون حاكماً ومتى حصل على بغيته هذه ازداد ويشبع
ويكتفي كلا بل يتجرع النهر ولا يعجب كقول ايوب الصديق انه يتجرع نهراً من الذهب بتلك الشهوة
التي بها يتجرع غيره كاس ماء واذا ما تجرع هكذا مال العالم يشتاق الى ان يتجرع المال الكنايسي ايضاً
ويتم به ما زاده ايوب في النص المذكور فقال ويتكل ان يجري الاردن من فمه فان كنتم اذاً تريدون
ان تخصوا نفوسكم بكل شي يلزم لا لحفظ رتبتكم فقط بل لنموها وتعظيمها ايضاً فان ليس يفضل
عنكم ما يجب عليكم ان توزعوه على المساكين امتثالاً لوصية ربكم ÷ ثم اني اسمح لكم ان تلاحظوا
ايضاً نمو رتبتكم وتعظيمها لكن لا باي نوع كان بل بالنوع الممدوح والمعتبر اعني بالعلم اعني
بالديانة اعني بالتقوى اعني بالعفة اعني بالمحبة وهكذا وعلى هذا المنوال تبلغون الى الكرامة
الحقيقية اعساكم تظنون ان تحصلوا على محل الكرامة اذا اكثرتم العبيد وعاصدتم واقتنيتم
الخيل ووسعتم قصوركم وجددتم بالولايم وتفننتم بالملابس لا لعمري بل نتيجة هو بعكس ذلك
وربما ان هذا يفيدكم لان تخاذلوا اسمكم والاحقاب كثيرة لانهم اذا عاينوا نفاقاتكم هذه المفرطة
بكل الانواع ترى ماذا يحكمون عليكم سوى انهم يتذكرون بذخ من انفقها وتبدد به الفضة باطلاً
وظلماً للفقرا والمساكين وعلى هذا النسق يتم بكم ما قد تم باوليك الجبابرة الذين عندما ارادوا ان
يشرفوا اسماهم في الارض ابتنوا برج بابل العظيم قايلين بعضهم لبعض تعالوا نعظم اسمنا وقد

العدد ٥

العدد ٦

حصل لهم عار وخجل من ذلك الامر الذي كانوا يرجون منه الشرف والتعظيم [illegible]
واخوتي [illegible] فعلى ان تكونوا محسنين على الفقراء جميع الذين الصدقة هي الفضيلة الموعود لها
[illegible] سائر الفضايل بدعلم ذكرها وترتيبها الى المجد حسب نص الكتاب الالهي القايل
وتصدقوا [illegible] كل جماعة القديسين [illegible] فيتفق كل جماعة الفاضلة
في ان [illegible] الفضايل [illegible] الانسان اذا امتدح احداهن [illegible] فيذمها
اخرى [illegible] فضيلة الحكمة [illegible] اخرى [illegible] الى الخبث
[illegible] الى هذا الاصل [illegible] الفضايل
ومن يمتدح [illegible] الصبر [illegible] فضيلة مقتصدة
اما الموجودة على الفقراء والمحتاجين فلا يرغب احد ان يذمها [illegible] ولا [illegible] بل
الجميع [illegible] فضيلة ممدوحة [illegible] عند الكل ومن ثم لا عدل [illegible] ولا احكمتهم ولا احسن بل
صدقوا انه [illegible] كل جماعة القديسين وفي هذا الصدد ذكروا عن رجل خبيث مفتون وحسود
طول الدنيا وكان يتبع [illegible] ما يرعاه [illegible] ولكن [illegible] انه كان
يتنزل عن حقوقه لاجل خير الشعب ويعطي الفقراء ما يحتاجون اليه [illegible]
وتظاهر [illegible] قايلاً ان قد صدقت ان هذا الرجل قد بقي لا يحظى كيف ان الحسودين
والمبغضين ايضاً يتفقون على امتداح ذوي الصدقة ولهذا قال سليمان الحكيم ان الرحوم
يكون مباركاً فهذا هو ايها السامعون المجد الحقيقي الراهن الذي اعرضكم واحثكم الان
ان تلاحظوا اليه لا ذلك المجد الخاوي الذي تتوقعون من المديح [illegible] الباطل فان [illegible]
هكذا فيصرح قولكم انه ليس عندكم شي فاضل لانكم تقدمونه باسم لذتكم
وان كنتم مع ذلك لا تشبعون من المجد بل تشتاقون ان ترتبوا مداخيل بيوتكم حسناً وتنموها و
تكثروها حتى تصير عليكم فايضة اعملوا ما قلته لكم انفاً اعني اعطوا منها [illegible] وانتم تقولون
انكم لا تعطون صدقات لانه ليس معكم دراهم وانا اقول لكم انه ليس معكم دراهم لانكم لا تعطون
صدقات لانه من يعطي المسكين لا يعوز فاعتبروا هنا انه لا يعوز عبر عن كثير لان الذي
يحسن على المساكين ليس انه لا يعوز فقط نظير البير التي لا تفرغ قط من فيض الماء الذي يستقى
بنفس [illegible] ولهذا الامر [illegible] الحكيم ايضاً باوفر تصريح في موضع اخر قايلاً اكرم الرب
من مالك [illegible] ما يحدث من ذلك قايلاً فتمتلي خزاينك شبعاً وتفيض معاصرك خمراً
اين انتم اذاً ايها الاغنياء [illegible] ايها البخلاء [illegible] ايها الذين [illegible] الشبع ما بالكم تتغربون عن [illegible]

العدد ٧

والقريبة انكم لتبيعوا درهماً آخر ولما لكم تقطعون الجبال وتلجون ابحاراً غريبة [illegible] الى المكاسب
هلموا الى تعاطي الرحمة فانها تغنيكم عن سبيل آخر لحصول على ارباحكم ارجعوا الى بيوتكم ولا تخاطروا
بها في ركوب سفينة سير بحث العطب والغرق تطلبون شيئاً آخر سوى ان تملوا خزائنكم في
تنقيص معاصيكم من الخيرات فاصنعوا هذا اي اقرضوا الله تعالى في صدقاتكم على المساكين فتنظروا
كيف ان مساعيكم واتعابكم ولو كانت قليلة جداً فتكون نعمة تسعدكم لانه من اجل صدقاتكم فيضاً
تملي خزائنكم شيئاً ومعاصيكم جزاً تمحى فلم ترجعوا بكم على هذه الكلمات الواضحة والصريحة
العلكم تتوهمون انها ليست هي كلمات الله تعالى عز اسمه فان ظننتم ذلك ثم تتوبون لكونها مكتوبة
في سفر امثال القديس سليمان وانها كانت هي كلمات الله تعالى فأي شيء ترتابون الله تعالى جلت قدرته
عاجز عن تتميم ما نطق به وقال لماذا شككتم بهذا فانكم تجهلون ان الله عز اسمه هكذا نطق انما
لعلكم تزعمون ان الدين ما قد وعد به وان كان هذا زعمكم فانكم تصيرون نتخذ اكذباً اعتبروا
قليلاً ان تختبروا تعالوا ان تحققوا كم هو جميل جيداً وهذا المعنى قد خاطبنا به بلسانه
على لسان ملاخيا النبي قائلاً اختبروني في هذا لولا ان افتح لكم ميازيب السما وافيض لكم
البركة حتى يبقى لهم فيض البركة وذلك بقوله حتى اخصب فهذا ما يقوله الله تعالى عينه و
هذا ما قلته لكم ايها السامعون وان قلتم ان كان كما ذكرته لنا يا ابانا

العدد ٨

هو حق لقد كان يجب لعظم العلما يصيرون اعظم المحسنين وذلك رغبة منهم في ان يجمعوا
بهذه الواسطة اموالاً اوفر فاجيبكم نعم انهم لقد كانوا يصيرون هكذا لو يبتدون ان يحسنوا
التوكل على الله تعالى من كل قلوبهم غير ان الصعوبة كلها قائمة بهذا الى ذي يتبدون ولعمري ان
جميع الشهوانيين ايضاً كانوا يستميلون اليها لو يبتدون ان يعتبروا الطهارة القلب جميع
العلمانيين كانوا يصيرون رهباناً لو يبتدون ان يذوقوا باختبار اللذة والراحة التي تجنيها
من خدمة الله تعالى ولكن هيهات ان يقبل جميع هولاء هذه النعم وذلك لان ابليس كلهم يعرفون
على الظفر بالصعوبات الاولى التي تصادفهم في ابتداء العمل غير اني اخبركم بما [illegible] الا
جملان الطريقة التي تستطيعون بها ان تجعلوا ثروتكم كاملة في سلام وتوسعوها وتنموها
وتكثروها انما هي الصدقة لان هذه هي الصناعة الاجود والاسهل الربح قلت هي اسهل لان
الصدقة على المحتاجين هي اعطا الفضة بالربا لكوننا نقبض عنها باضعاف وهي ربح لا نسلم
فضتنا ايدي من لا يغش ولا يفتقر وهو الله عز اسمه وفي هذا الصدد جا في سفر الامثال هكذا

من

206

من يرحم المسكين يقرض الله وبعكس ذلك رذيلة القساوة على المساكين فانها ردية [illegible]
تربصنا في عمق العوز والنقص كما جاء في الكتاب الالهي ايضاً بقوله من يمنع المتضرع فهو يحتاج
حاجة وقد اخبرونا باسر في تواريخهم عن امراة لم يسمها انها كانت قد غرقت لها سفينة
موسوقة حنطة في الحين الذي فيه سكتت عن فقير ضعيف من الخبز وايضاً قد ذكر البستغرس في
تواريخه عن تاجر يقال له [illegible] انه في سنتين او نقل خمس حوادث عشر سفن مملوات بضاعة وذلك
في الوقت الذي فيه بخل على الفقير بقليل من القوت وقد ذكر بعد من حكي عن تاجر آخر [illegible]
اسمه [illegible] بان بخلت الشياطين اهراه [illegible] كلها مع وجود داخلها من
الحنطة التي قد كان اخفاها في ايام الغلا عن الفقرا فما طال [illegible] اعتقد [illegible] الذي تعتذرون
بدعة عدم احسانكم على المساكين بقولكم انما ناخذون عن عمل ذلك خوفاً من ان ينقص

ف

مالكم الا انني ولو سلمت بكلامكم فاقول لكم ايضاً لكونكم تخشون من ان ينقص مالكم فاعطوه صدقة
للفقرا لانكم بهذه الصيغة انتم تحفظون مالكم سالماً فقط كما تقدم فقلت لكم لكنه ينقص
عليكم ايضاً الذي تصدقتم به الى ابد الدهر [illegible] كما علم القديس زينون
قائلاً من تراه يمكن ان يكون [illegible] ذلك الذي [illegible] بانه هو مديون له غير اني

العدد

لست اريد انكم ان يكون قصدكم في نيل العوض الذي ترجونه من الله تعالى عن صدقاتكم قصداً
ارضياً [illegible] تقول انما سافرون
وعابرو سبيل [illegible] ان تكون خيرات الارض ثقيلة الدنيا الا انها تلذ لنا وبالتالي الراغب
منكم ان ترفعوا نفوسكم على طلب السما من الله عز اسمه اي [illegible] طلب السما غير مفتكرين في طلب
الاستغنا هنا وفي الارض حيث انكم تغربون عن بلادكم الحقيقية وبلادكم التي [illegible] انما اسالكم
فاجيبوني هل لو كان لكم عند شخص مبلغ عظيم من الفضة والذهب [illegible] وانتم
راجعون وحدكم من بلاد غريبة واراد ان [illegible] على قارعة الطريق في البرية [illegible]
تلك البلاد [illegible] لصوص [illegible] تلقون [illegible] الى ان تصلوا الى وطنكم فاصنعوا هكذا
مع الله اي سالوه ان [illegible] اغناكم في السما ولذا [illegible] ان احسانكم الجزيل على الفقرا [illegible]
اخيراً في نوع ما من الفاقة فلا ريب ان هذا خير لكم غير انه ينبغي ان تحتملوه بصبر حباً بالله
قال ابن سيراخ اتلف مالك على اخيك لان هذا هو النوع الذي يصير لكم [illegible] حقاً على الفقرا
لقد خاطبتكم [illegible] ان تتوزعوا الله واترعوا الى البائسين الثوب الذي يفضل عنكم حسب [illegible]

وهذا اكررها عليكم ايضا لاني لست اريد ان تفهموا كلامي فهما غير مستقيم لان القول بانكم ملتزمون
ان تعطوهم الفاضل عنكم ليس معناه نظير القول بانكم لستم ملتزمين ان تعطوهم الا الفاضل عنكم لا غير
لقد قيل عن ملك الحيات انه مع كونه يجب ان ياكل هو وحده ويابى عن ان يشاركه خصوصه الا انه مع
ذلك اذا اكل كفايته فيدعو بصفير عذب ساير الوحوش لتاتي وتاكل ما فضل عنه ومن ثم ان كنتم انتم
لا تفعلون شيئا اخر حبا باسم المسيح سوى ان تعطوا المحتاجين ما يفضل عنكم فقط فلا تلوموني ان
تكلمت معكم من غير محاباة وقلت لكم انكم بذلك تفعلون ما قد تفعله الوحوش والنسور فقط بل
اقصى الثعابين ايضا وهو ملك الحيات والعالم المسيحيين يجب عليهم ضرورة ان يفعلوا افضل
من ذلك ليستطيعوا ان يقولوا مع ايوب الصديق وان كنت اكلت خبزي وحدي ولم ياكل
منه اليتيم ومن هنا اقول لكم انه اذا لم يكن لكم رغيف واحد فالواجب ان تقسموه ما بينكم وبين
الفقرا المحتاجين وحيث فهمكم القول انكم تعطون الفقرا ما هو لكم لانكم اذا ما اعطيتموهم الفاضل
عنكم فقط فانما تعطونهم ما هو لهم ليس ما هو لكم حيث ان اغوسطينوس المعظم قال ان الفاضل
عن الاغنيا هو قوت الفقرا الضروري وبالتالي من يقتني لنفسه الفاضل عنه فانه يقتني مال غيره.
انتهى

فالمفهوم من عبارة القديس المتقدم ذكره هو ان الذي يمسك عن
المساكين ما هو فايض عنه يقتني مال غيره ومضمون ذلك انه يقتني مال الغير ظلما ومن ثم ينبغي لكم ان
تظفروا بالمحبة المفرطة المستكنة بكم نحو المال وتستاصلوها من قلبكم وان تبعدوها عنكم متذكرين
انكم مهما جلتم وكيفما سعيتم لا يمكنكم ان تدخلوا السما الا من هذين البابين احدهما الاحتمال والثاني الرحمة
وقد يعسر عليكم ان ترجوا الدخول اليها من باب الاحتمال لانكم تحبون راحتكم كثيرا وتفزعون من ذكر
التقشف ولا ما تتوقوا للصرامة والصبر على العذابات والشدايد وما ماثل ذلك فاذا لا بد لكم ان تدخلوها
من باب الرحمة ولعلكم غير [illegible] الواهي حيث انكم تتغاضون عن ابتياع خلاصكم الابدي
بهذا الثمن الزهيد اعني الصدقة فاصغوا اذا الى نصح الحكيم ابن سيراخ قايلا في الناس من يشتري
كثيرا بثمن يسير ولكن من هو هذا فهو الرحوم المتصدق على الفقرا والمساكين لانه هذا وان كان
مستحقا العقوبات كثيرة فلا يلتزم ان يلبس المسح الشعري ولا يتمنطق بزنار حديدي ولا يجري الدم
من عروقه من ضرب المقارع بل يكفيه ان يقدم لله تعالى عوض الدم لان الصدقة لها قوة عجيبة
فايقة وفاعلية حسبما قال الملاك لطوبيا الشيخ هكذا الصدقة هي التي لها قوة ان تطهر من الخطايا
وتجعل الانسان يصيب وينال الرحمة فقوله تطهر من الخطايا اي تمحو عقاب الذنوب وتجعل الانسان

ان

ان ينال الرحمة خطر الاثم الخطايا ولذلك لم يقل تنال للانسان الرحمة كما تنالها له الندامة
والاعتراف بل قال تجعله ينالها لانها تعد النفس الى نيلها بلا شك ولهذا قال ايضا في سفر
طوبيا الباصح كذا الصدقة تكون املا عظيما عند الله العالي لجميع من يعملها [illegible]
ما هو المسبب في ان الصدقة لها ذلك فاقر لديكم معترفا ان السبب لا اعرفه بل اقف على حد هذا الامر
فقط وهو انه استحق هكذا سر ان يشرف هذه الفضيلة اكثر مما [illegible] باقي الفضايل وذلك لكي
يعطي القوت الكافي لفقرايه [illegible] الناس الصعيدين اذ يتالم بهم شدايد
واحتياجات كثيرة من اجل حسن تدبير الجنس البشري لانهم اذا كانوا مهملين من الموسرين ولم
يعطوا منهم كفايتهم فهم يرجعون عند حلول الشدايد والاحتياجات بهم ولاجل ذلك ترون
في الانجيل الطاهر ان سيدنا يسوع المسيح للدينونة في اليوم الاخير استدراج ساير الفضايل [illegible]
[illegible] فضيلة الرحمة نحو البايسين فقط وفي هذا الصدد قال القديس بطرس الذهبي
[illegible] ان الله تعالى سيحاسب عما احتملها [illegible] وعن حفظ نوع
العالم وعن [illegible] عن صليب [illegible] منكسا [illegible] ما دحا هذا انقطع
اي [illegible] السامعون [illegible] لا تقولوا [illegible]
[illegible] تستطيعون [illegible] هذا عظم [illegible] قد [illegible]
[illegible] وخلوا من الغاية
[illegible]
[illegible] جليلة [illegible] ان جميعكم تعرفونها غير العدد
[illegible] فرق واعطى المساكين
وقد [illegible] كما تصنع [illegible] ولا يعتقد [illegible] ولا يتقايض
[illegible] المساكين [illegible] كثيرين [illegible] حتى
ان [illegible] النبي يقول عنه فرق واعطى المساكين على انه لو
يكون [illegible] ويتضرع انه [illegible] النبي قايلا وصدق
[illegible] الصدقة [illegible] استحقاق والثواب الى دهر الداهرين
[illegible] تعني القوة والشجاعة والشرف اما
معناه الحرفي [illegible] عادة قد [illegible]
الفقرا [illegible] الصدقة غير ان هذه العادة [illegible] الى [illegible]

العدد

العدد

حرمها سيدنا يسوع المسيح لما قال اذا صنعت رحمة لا تضرب قدامك بالبوق لكن لما كانت
هذه العادة تصير اثباتا لذكر الرحمة نحو الفقرا فكانت ممدوحة جدا ومن قبيل ذلك استطاع حجي
النبي ان يقول ويرتفع قرنه بالمجد الذي هو دليل الرحمة سينال في اليوم الاخير مجدا جزيلا وافرا
لان جميع المساكين يباركون ذلك الموسر الذي دعاهم اليه بعد ان في حين جوعهم من جوع
وتباركه الملايكة ... الملكة ويباركه يسوع ذاته ويشركه بعرش ملكه قايلا له تعال يا مبارك
ابي رث الملك المعد لك لاني كنت جايعا فاطعمتني وعريانا فاكسيتني الخ ثم قال النبي في
النص المذكور يبصر الخاطي فيحزن يكون من هو هذا الخاطي لعمري الا هو البخيل القاسي القلب على
المساكين فهذا يبصر في اليوم الاخير المجد العظيم الذي اوتيه عند الحرمة يصر ... فانه ويغضب ويرجز
ولنوضح هذه العبارة فنقول فلنفرض انه قدم للابتياع حقل ما مخصب حسن يرجا منه غلات
وافرة ويمكن ان يباع بثمن يسير فتقدم رجل بخيل ليشتريه لكنه ابى ان يوفيه ثمنه لانه لم يتفق مع
صاحبه على الثمن من اجل غرش او ثلثة فاتى اخر ومن غير ان ... رضي بالثمن المطلوب واشترى الحقل
ثم شرع يفلحه ويدبره حتى انه بمدة قليلة من الزمن اعطى غلات كثيرة فتمتع المشتري بها و
اغتنى كثيرا اكثر من المال الذي قدمه في ثمنه اضعافا كثيرة جدا فاذا ابصر ذلك البخيل هذا فافتكروا
كم يرجز وكم يتالم ومن ثم يعض باسنانه ويذوب غيظا ولكن ما الفايدة على انه ... حينيذ
ان يشتري الحقل باي ثمن كان اذ لا يعود ... ذلك الان الوقت فات ولذلك ... النبي ...
قايلا وشهوة الخاطي تباد فيا ايها المسيحيون انه لا حاجة لي ان ... هذا التمثيل ... ما
ينبغي لي ان اقول في اثنايه فليعتبره كل منكم ... فلست ... الجميع ... الجمهور
منكم اذا ... في اليوم الاخير ان ترجزوا وتتمزقوا غيظا من اجل الجنة التي ... فاذا لا
تمسكوها عن الفقرا ... ملكوت السماوات فسوف ياتيكم وقت تشتهون ان تبتاعوا ... جميع
اموال العالم ولا تعطون ... الان ... البعض الذين
تركوهم ... العيدة ...
الفضلات ... النهار ...
في الصالحين ...
التي لا يستفيدون من ... شيئا وذلك ... بالباطل ...

القسم الثاني

لقد

لقد وعظتكم الى الان في ان تسعفوا الفقرا بكرم ووفر فيما بقي لنا من العظة العدد ١٢
الى البعض الذين بدلا من اسعافهم الفقرا يظلمونهم فالويل ثم الويل لهولا انني ارى اننا في ايامنا
هذه نستطيع ان نقول مع الحكيم ابن سيراخ ان مرعى الاغنيا هم الفقرا انه لقد يوجد في الدنيا
اناس يجنون من تعب الفقرا ... كانه هو خزينتهم وثروتهم فيجتنون منهم المعاش والملبوس
وكل شي يلزمهم فيستخدمونهم وبعد ذلك لا يوفونهم اجرتهم وما اولى قلت لا يوفونهم اجرتهم
والحال انهم فضلا عن ذلك يتعلقون عليهم ويشتمونهم ويخيفونهم ولا يستصعبون ان يعرقوهم
بسخط فان كنتم ايها السامعون تحتقرون مثل هذا الاثم الشنيع الا تخافون من الصنان ...
العبيد ان تعطوه للشقا ليت شعري باية ذمة تغضبون على الصانع او على الفاعل او الخادم
او من له عليكم دين من اجرة ... يستبيح لديكم ... في طلب حقه لعمري ... نحو
الاشخاص الذين اوصاكم بهم يسوع جدا اهذه هي رحمتكم ووداعتكم نحوهم انا ... ايها القوم
ان ننكر على واحد من المساكين نقطة ما بارد انما ... كلاما وديعا ... ولم يقل له ... ربنا
لكي باستنيا ... قاسي القلب ... تطلب ... احترق ... غيظا وذي ظما لكونك
قد ... هذا العذاب ... وتشاء ... ان لا ... عذابا لانه كان
... فكيف اذا انتم ... على اوليك الذين ... في السما
... منكم وان كنتم ... عن الوفا ... وعذوبة و
استعطفوا خاطرهم وعاملوهم ... شاكرين ... ولا تتشبهوا باصحاب
... ان ... تطلب ... ما ... ما امد ...
يد ... كنتم ... على الوفا فكيف يجوز لكم
ان ... هذا ... التي سوف ... ما ادري
العبيد ... العدل ... هذا على المساكين لا
كان حسب قول ماري يعقوب الرسول دينونة من لم يستعمل الرحمة تكون بلا رحمة ...
عليكم ان تنتهوا من ذلك ... هولا ...
... دينونة ... والعلاهذا
... المساكين
...

هي حاصلة لهم من هذا الباب بل انما استحقوها بكد ايديهم التي قد كلّت من العمل الذي استحقوها
بسعيهم وسهرهم واتعابهم المديدة وبالاجمال اقول استحقوها بعرق جبينهم فكيف اذاً تتجاسرون
على ان تنكروها وتمسكوها عنهم وتتبعجون في العالم بنفقة هولاء المساكين الجياع وقد ذكر عن
القديس فرنسيس البا ولاوي انه في ذات يوم بعد ان بكّت بشجاعة قلب عظمى فرنسيس سلطان
نابولي لانه كان يجور على شعبه ويستلب منهم اموالاً كثيرة تناول بيده فضتين كانتا تقدمتا له
قبيل الملك من وكلا الخزينة فكسرها قدامه واذا دماً يسيل منها ليت شعري لو كان لي قدرة الهية
كمثل هذه التي اتصف بها هذا القديس الجليل لاريتكم من الدم كنت اجريت امام اعينكم في هذه
الكنيسة المجتمعين انتم فيها ايها السامعون انني لعالم انه ليس لي ههنا الا حديدية لاكسر بها الدراهم
الموجودة عند كثيرين بالظلم لكي اجري منها الدم ولهذا كان يكفيني ان ادنو من البعض واعصر
وناصات تلك القناطير وتلك الاردية الموشاة بالقصب المتبرزين بها اواه لاريتكم من الدم
كنتم ترون يسيل منها وكذلك من تلك الجوخ والطنافس والقناطير التي عتقت واهترت قبل ان
ينوا حقها ثم فلنقض ونعصر تلك الفرش والوسايد والنمارق والحجايل والخمار المتقنة المزينة بها
ذلك النفوذ كله ولنعصر ايضاً الفضة اذ نتول للتقب اوالغي واتات ذلك التاجر والتاجرة الذي
ليس فيه سبيل منها فقط بل ينحدر كالمطر لتتحققوا انها كلها ملطخة بدم المساكين لان القتل
والغش باجرة الفعلة وقطعها خطيئتان تماثل احدهما الاخرى بهذا المقدار حتى انه ما يكاد ان
تتميز احدهما عن الاخرى كما انه ضيف وهذا هو طبق ما نطق به الحكيم ابن سيراخ قايلاً ان سافك الدم
والداخل باجرة الاجير هما اخوان ولكن بما اني انا خاطي فمن ثم ليس بعجيب ان كنت لا استطيع ان اريكم
الوارحية على الذين انتم لهم مديونون ومذكّ باصطناعي امامكم المعجزات المذكورة فهو لا يسع بان
لكي تشاهدوا هولاء المساكين الغير العارفين بمن يستغيثون ولا الى من يرفعوا اصواتهم فيلتجئون
الى الله رافعين دعواهم بثياب ممزقة ولكن اذ طلبوا فسخروا وجاوا ان يصنع لهم عدلاً وينصفهم
لا تظنون انه ينصفهم ويسمعهم وينالون ما يسالونه قال مار يعقوب الرسول

العدد ١٣

في رسالته الجامعة مخاطباً الاغنيا الظالمين هذا ان اجرة الفعلة المظلومة منكم تصيح وصراخهم
قد وصل الى اذني الرب الصاباوت واذا قلتم ما معنى لفظة الرب الصباوت فاني ايها الاخوة
السامعون فاجيبكم ان المعنى هو هذا اي رب الملايكة والبشر والوحوش والصواعق
والبرد والزلازل والزوابع والطوفان والاسقام والميتات وبحصر الكلام هو رب الجيوش

ولذلك

ولذلك قال يعقوب الرسول ان صراخ اجرة الفعلة المظلومين يصل الى اذني رب الصباوت
ليفهمنا بايراده هذه اللفظة المذكورة على ان صراخ الفعلة والاجرا المظلومين والباكين
تفتح جميع مخازن السما ويعطي لهم الاذن بان تخرج الاسلحة والجيوش من اي صنف شات
وتضرب الظالمين انتقاماً منهم عن تجنيهم على الفعلة والاجرا المظلومين ومن منكم يشك
بهذا ثم انه ان كان الله تعالى اظهر للعالم انه الرب الصباوت حقاً اي رب الجيوش وذلك في
العهد القديم اي حينما حارب المصريين لانه اخرج ضدهم اكثر اصناف الجيوش المرعبة اي البرق
والرعود والصواعق والظلمات والذباب والضفادع والبرغش وضربات الطاعون وجراد
والامياه المغرقة في البحر ولكن من هم اوليك الذين ذكرنا انهم اخرج هذه القوات الحربية المفزعة المرعبة
فيهم لعمري قد كانوا الفعلة المظلومين باجرتهم لكون المصريين قد كانوا استخدموا مدة مستطيلة
من الزمن للعبرانيين في ابتنا مدينتين من اكبر مدنهم ثم ابوا عن ان يفوهم اجرتهم المستوجبة
لهم من اجل اتعابهم وليس هذا فقط بل الزموهم ايضاً ان يعدوا وينصبوا جبل حجارة وتراباً
تبنا لاجل ابنية اخرى في اوانها فهذا الظلم حرض الله سبحانه اخيراً الى الرجز والسخط العظيم لانه
لذ سمع من السما بكا العبرانيين المظلومين وصراخهم فهكذا صنع وهو انه اذن لهولاء المساكين
ان يستعوضوا بالحيلة حقهم وذلك بان يستعيروا مقدار ما شاوا من الاواني الثمينة من المصريين
المديونين لهم خلواً من الالتزام بالرد ثم امات دوابهم واستاصل كرومهم ودمر زروعهم واحرق
ثمارهم وامات ابكارهم واخيراً لما دخلوا امياه البحر بغضب ليلحقوا بهم ويردوهم الى الخلف فرد المياه
عليهم وغرقهم جميعاً وقدم في ذلك الحين للعبرانيين المظلومين مادة لاستيفا حقهم بنوع اوفر
مما كانوا استوفوه بالاستعارة وذلك بالغنايم التي فازوا بها من تشليح الجثث الغرقى وضبط خيولهم
ومركباتهم الغنية ولا تظنوا يا معشر السامعين ان ما اورده على مسامعكم الآن هو تفاسير اختراعية من
عقلي فان قراتم سفر الحكمة حيث يذكر الانعام العجيبة التي صنعها الله تعالى مع الاسرايليين فانكم
تجدون فيه مكتوباً هكذا ان الله اجازهم في البحر الاحمر وعبر بهم في ماء غزير وغرق اعداهم في البحر
وما يتلوه وتجدون مكتوباً ايضاً ان الله عز اسمه بسبب ذلك جميعه منح الصديقين اجرة اتعابهم اعني
كما فسر العالم ليرانوس البارع اوفى الفعلة حقهم وعوض الاجرة عن اتعابهم وضررهم وبالنتيجة
اعطى الاسرايليين اجرتهم التي كانت المصريون دغلوا بها فكيف اذاً يمكنكم ايها السامعون
ان لا ترهبكم اصوات الفعلة والاجرا المقهورين مع معرفتكم انهم يستطيعون ان ينالوا هذا الثمن

الدرجلت قد درتم انتم عالمون جيداً انكم اذا ظلمتم احداً منهم بالاجرة تلتزمون بالمكافاة التزاماً
عظيماً لا مناص منه وتلتزمون بها اي بالمكافاة التزاماً شرعياً سريعاً من غير تاخير لان اجرتهم
يستوجبونها من اسباب الشريعة الاكيدة فما بالكم اذاً متقاعدين عن الوفا اعساكم تنتظرون
وفاتهم عند ساعة الموت ولكن يا احبايي ان كان هذا قصدكم وهذه نيتكم لا تدرون ربما الله تعالى يعجل
عليكم بالموت قبل الوقت المنتظر منكم ليجعلكم ان تتوجهوا عاجلاً وديان الحكم في تعجيل موتكم قد تخرج
في محكمة الله تعالى ولو على ابتجارة الامراض والحميات والاوجاع المواقية عليكم وها انتم غير خايفين
بل لم تزالوا متباطيين عن الوفا لعمري انه لقد حان الوقت الذي فيه تنتهون ايها السامعون
وتلقون عنكم الاعتذارات التي تعيقكم عن الوفا لانه ما هي الفايدة من تلك الاعتذارات الباطلة والحجج
الكاذبة انني لعالم ان بعضاً منكم يحتج قايلاً ان عدمه وفايه الحق قد صدر عن عجزه او عن عدم
وجود المال عنده ولا شك ان عجزه هذا ليس صادراً الا من عدم ارادته لانه لو يريد حقاً لكان
يفي لا محالة ومن ثم يدخل في عدد اوليك الذين قال عنهم ارميا النبي انهم علموا السنتهم بكلام
الكذب لانه من جملة الخصال الثلث التي قالها الله في الكتاب لقد عرفت نفسه بغضتها وثقلت
عليه حياتهم هو الغني الكذاب وهذا الغني الكذاب على ما فسر اغوستينوس المغبوط هو ذاك الذي
يورد اسباباً فارغة واعتذارات باطلة كاذبة ليلا يفي غرماه المساكين وقال ايضاً هذا القديس
المغبوط انه اذ زعم هذا انني لست استطيع الوفا فيكذب لانه يستطيع في الاشيا التي يريدها ولا
يستطيع في الاشيا التي لا يريدها انتهى على ان مثل هولا اذا قصد احدهم ان يصنع ولايم او يتلذذ
بالاكل والشرب او يتبجح بالملبوس ما احسن ما يستطيع لكن اذا طولب بان يفي احد الديون او
المديونين لهم حقوقهم فيجيب قايلاً انني لا استطيع وهكذا اذا سالته احد المغنيات او صواحبه
شيئاً فما اسرع ما يمنحهن سولهن اما اذا الح عليه بان يفي الكنيسة حقها الموقوف لها فيعتذر قايلاً
ليس لي الان ما افي وكذلك اذا رام ان يربي عنده خيلاً وكلاباً للصيد او يرتب دارهم حسب هواه
او ينفق نفقات اخر لتنزهه ولذته ما اكثر ما يوجد عنده من الفضة لكن اذا طلب منه الفعلة اجرتهم
او الخدام علايقهم فيعدهم الى حين اخر قايلاً ليس الان معي ما اعطيكم فصح اذاً قول اغوستينوس المغبوط
انه يستطيع في الاشيا التي يريدها فلينجيكم الله ايها السامعون من عدد هولا الاغنيا الكذابين
اواه ما اعظم نقض استحقاقهم ومن ثم اضرع اليكم ان توفوا الاجرا بيرنقا ليس ما يحق لهم عليكم فقط
بل تعوضوهم من مالكم الكثير مما لهم من حقوقهم ايضاً وما هو الذي تتوقعونه من هولا المساكين

والمحتاجين العلكم ترجون ان يسامحوكم بما لهم ام يتنازلوا لكم عن حقوقهم اما ينتظروكم ويتمهلوا
عليكم بقدر ما تشاوون لكن ان كنتم انتم تستثقلون ان تفوا ما هو لغيركم مع كونكم اغنيا فكم
بالحري يستثقل اوليك من عدم استيفا ما يخصهم ذمة وشرعاً ليت شعري ماذا كنتم تصنعون
لو كانت فاقتكم حايقة بكم اما كنتم تتضرعون الى الاغنيا منكم ان يدفعوا لكم حقكم فلماذا الان مع
كونكم اغنيا تدعلون باجرة من هم افقر منكم لكن لا يسمح الله ان يضحك كلامي هذا كانه نيوم عليكم
كانكم تعتمدون ان تسقطوا في المعازة قصاصاً لكم بل فليزدكم الله تعالى بركات ونعماً لتتمتعوا بخيراتكم
الحاصلة عليها فانه ليس احد من الفقرا ولو كانوا منكم متروكين يحسدكم عليها ما هو ذا انتم فلا تزودن
بل حصاً افضل منهم ولكم اموال وارزاق اكثر منهم نعماً فاني معتقد بانكم اهل لها وان الله تعالى اعطاكم حظاً
اسعد منهم فليكن اسمه مباركاً واني اسال الله عز شانه متضرعاً ان ينميكم ويمنحكم نجاحاً في نفوسكم وفي
اولادكم اكثر مما انتم الان لكن احذروا ليلا يكون نجاحكم الان من تعب غيركم لانه على ما اثبت المعلم
الجليل كسيودوروس لا يوجد قساوة توازي هذه اي ايثار الراحة والنجاح من تعب المساكين وعملهم
اجارنا الله تعالى من ذلك امين

العظة الثالثة والعشرون

في الاثنين من الاحد الرابع من الصوم المقدس تشتمل على جسامة خطا من يقلل الورع والاحترام
في الكنايس من حيث ان السيد المسيح نفسه عاقب هذا الذنب بذاته والقصد بذلك هو قمع المؤمنين
ليمارسوا زيادة الوقار والاستهابة لبيت الله سبحانه الذي هو الكنيسة المقدسة صنع سوطاً من
حبل واخرج جميعهم من الهيكل هكذا كتب ماري يوحنا في ص ٢ من بشارته
من يستطيع ان يقول انه ليس جرماً ثقيلاً جداً ذاك الذي يتهيا الحاكم نفسه على قصاصه بيده لا بغير يد
الجلاد على انه من المعلوم ان الباري تعالى طرد الجدين الاولين من جنة النعيم الارضي الذي خلقا
ووضعا فيه الا انه عز اسمه استخدم ملاكاً انقدم اليهما ونفيهما منه بمحاربة كروبين بالسيف وقد طرد
الكنعانيين من قبالهم لكنه استخدم لهذه الغاية جيشاً جزيلاً من البرغش ونفى ايضاً العاموريين
من الصيم غير انه استخدم لهذا جماً غفيراً من الدباب واقول مجملاً انه لا يذكر في الكتاب المقدس
بكل اسفاره المقدسة ان الهنا الكلي القدرة تنازل الى مقاصة الاثمة بايديه القدوسية لا قبل التجسد
ولا بعده الا حينما عاين هولاء الاثمة اي الباعة والصيارفة قد اعدموا الوقار في هيكله المقدس
لقد ضرب الله ايضاً عسكر الاثوريين بواسطة الملاك وهيرودس ايضاً ذاك المتكبر الذي اختلس

لنفسنا لكرامة الالهية قد صرت تقدس اسمه بواسطة الملاك ايضاً اما اوليك الذين دنسوا هيكله
القدس فلم يستخدم احداً للانتقام منهم لكنه احتمى هو بذاته مع انه كلي الحلم والرافة وضربهم
وانتقم منهم بيده القدوسة فلنهتف اذاً قايلين ما اعظم اثم الذين يعدمون الاكرام مستحقاً في الكنايس
وما اشنعه لعمري انه اثم لا يطاق من الله سبحانه واذ كان ذلك كذلك فليت شعري ماذا بك يا مدينة
(فلانة) الحبيبة العلك ترتضين ان تكوني شريكة او رتليمها بالتاديب والقصاص فان لم
تشاركيها في الاثم فلا تصيرلك شركتها بالقصاص لكن اخبريني الحق كيف هو حال الكنايس فيك
العلها مثلما هي في غيرك من المدن اي جوامع الخرافات والحديث البطال ومحافل الاطلاق
العنان للنفوس بالرعانة لا اظن بك ذلك بل اجدر ان احكم على شعبك واذ كنت لم اختبر حتى
الان كيفية عوايدهم وسلوكهم ان الجميع يلجون الكنايس بخشوع وبنظر منخفض ولبوس محتشم و
يقفون داخلها مهذبين باطناً وظاهراً ويصلون بعبادة وديانة حارة فان كانت هذه سجية
شعبك المبارك في الكنايس فنعما يصنعون لان لهم نموذجاً يردعهم ويلزمهم بهذا الاحترام فيما
صنعه يسوع الاله في مثل هذا اليوم لانه يتبين لنا من صنيعه هذا انه يسخط كثيراً على الشعوب
الذين لا يحترمون كنايسه ويتحرك الى مقاصتهم بيده القدوسة وكيف لا وليس احد يرسخ في
اسطوانة القداسة يتجاهل عظم مقدار حقوقه انه لا يمكنه ان يتزعزع منها حتى لا اقول تهور منها
فلاجل ذلك عزمت على نفسي ايها السامعون ان ابين لكم في هذا الصباح كم هي عظيمة الاهانة التي
يوصلها الى الله اوليك الذين يتخلفون عنكم بالديانة وينجسون الكنايس بدخولهم اليها بقلة
الورع والاحتشام واما قصدي بذلك فهو لكي احركم بذلك جميعاً الى ان تتفاضلوا بالاحترام
والوقار في الكنايس ولو كان ظني فيكم انكم تحترمونها كالواجب وتستنتجوا ان المسيح رب الاحترام
عظيم ان ينتقم بصرامة وافرة بيده القدوسة نفسها من اوليك الذين يغيظونه داخل الكنيسة ليت شعري
كيف يمكن ان لا يغتاظ الله تعالى جداً حينما يبصر اننا لا نريد ان نقدم له حتى ولا في الكنايس اعتبارات
الاكرام تلك التي نلتزم ان نكرمه بها في كل مكان فلا تظنوا ايها السامعون ان الله سبحانه ليس هو حاضر
في كل مكان كحضوره في الكنايس لانه قيل ان الارض باسرها مملوة من مجده فهو تعالى حاضر على حد
سوى في الشوارع والمنازل والحقول وفي غيرها من الامكنة سواء كانت مقدسة او غير مقدسة
شريفة او دنية وهذه الحقيقة لقد كانت مسلمة حتى من الحنفا الخاليين من الايمان ايضاً ولاجل
ذلك قيل عن هركليطوس الملك الوثني انه رضى كثيراً من بعض اناس شرفا احتقروا ان يدنوا منه

ويخاطبوه حينما شاهدوه جالساً في بيت صغير حقير مملو دخاناً كان احد اقربن المدينة اتباع
ثم قال لهم متبسماً ادخلوا وتقدموا ايها الاعيان والشرفا ولا تخجلوا فان المسيح هنا ايضاً فتهيء
انه وان كان ذلك حقاً ولا يمانع شك فمع ذلك لم يشا الله عز اسمه ان يلزمنا ان نكرم حضوره
هذا في كل مكان باكرام متساوي لان هذا الالتزام قد كان ثقيلاً علينا بل غير ممكن حفظه لكثرة
الاشغال واختلاف الافعال وتشتيت الافكار المحدقة بجموع الانسان دايماً فيكفينا اذاً ان نجتنب
اغاظته بالخطا في كل مكان ولا نلتزم بان نبين له في كل لحظة اكراماً مخصوصاً في كل موضع فقد
بذلك النبي القايل لم ازل ابصر الرب امامي في كل حين لانه من عن يميني وقد كان يحث نفسه
على ان تسبح الله تعالى وتمجده في كل المواضع قايلاً باركي يا نفسي الرب في كل موضع سيادته تكلف
مع ذلك جميعه اما تعلمون كيف صنع الله على انه هكذا صنع اي انه جلت مراحمه عوضاً عن هذا
الاكرام المخصوص الوافر الذي لم يطلبه منا في جميع المواضع قد امرنا في البعض منها امراً لازماً وهذه
الاماكن هي الكنايس ولاجل ذلك ابان لنا في عدة مواضع انه يحل فيها بمنزلة بيته حسبما قال عن
هيكل سليمن هكذا اخترت هذا المكان لي بيتاً وليس يفهم من ذلك انه تعالى يسكن في كل مكان ما
ايضاً بل يفهم منه انه يريد ان كل احد من الناس يعرفه ويعترف انه عز اسمه حال في الكنايس بنوع اخص
واكمل ولكي يفهمنا ذلك اي اكرامه والوقار بها اعظم من ذلك هكذا صنع سبحانه قد اراد اولاً ان هذه
المواضع المقدسة الحال فيها كانها قصوره تكون مزخرفة فاخرة مزينة ليمكن الايمان مع عقولنا
الى استنتاج عظمة الساكن من هيبة المكان ويسهل علينا الاعتراف به لاننا كوننا في اماكن ماديين
كيتغي الفهم فيتنقل من النظر الى الاعتبار والاستماع من الاشياء الخارجية بما عداه ذلك فلاجل
اننا نتصفح بجهد هذه المواضع المقدسة ونرغبها بابلغ انعطاف فقد وعدنا عز اسمه ان
يصغي الى طلباتنا فيها باعظم سهولة وسرور ويفيض علينا انعامه بارو فرسخا وقد دعاها ايضاً مواضع
الغفران والسلام واراد ذلك في ان تكون حتى في الشرايع القديمة من نصفها اماكن الاعتصار والحماية والملجا
والهاربين من عصاكة القضا الانسي لانها [illegible] ان من يدخلها كل يوم نجاه حسب قوله النبي
في تحتها بيت بها [illegible] ايها السامعون الاكرام [illegible] وقد
[illegible]
ان كان [illegible]
[illegible]

نرتضي بان نحترم حقا هذه بيحيى ولا في هذه المواضع القليلة العدد التي اختارها لنفسه انظروا كم من المواضع وهبنا في العالم الطليقة لنمارس بها اعمالنا ونتاجر ونمرح وننصحك ونلعب ونلتهي ونتنزه على هوى نفوسنا فلماذا لا نعف عن الكنايس ايضا وهذا هو الذي قد كان يبغضه الرسول ويغريه الذي يتنف نحو القرنثيين مبكتا اياهم هكذا اما لكم بيوت ام انتم بيعة الله تتهاونون فكانه يقول لنا ايضا بخصوصه وايها المؤمنون الغير الرتيبين والقليلي الديانة ما هذه القباحة الجسارة الشنعة ان اردتم ان تتنزهوا نفوسكم اما لكم قصور وان اردتم تتحدثوا بايراد الاخبار افما لكم ابنية خانات وان اشتهيتم ان تتفرجوا بمشاهدة كثرة الخلق اما لكم ساحات وان اردتم ان تستشيروا بالتجارات والعهود اليس لكم اسواق فما بالكم اذا تمتهنون بيعة الله اي الكنايس هذا لعمري في قول الرسول هو دليل على انكم تعدمون العقل وتصفون بنحو فريسة وعدم المعرفة لانكم لا تكتفون بالامكنة الكثيرة التي وهبكم الله اياها بل تختلسون ايضا لاستخدامكم الاماكن القليلة العدد التي حفظها الله تعالى لاكرامه ان غير ممكن ان لا نتعظ ونتوقر

العدد ٣

جدا لدى ما نستفحل هذه الاهانة الواصلة اليها بعدم اكرام المؤمنين كنايسها بالمقابلة لما قابلها مع اكرام الوثنيين اماكن عباداتهم الباطلة على انه معلوم عندنا ان الله سبحانه ابان عن نفسه في مواضع شتى من الاسفار المقدسة انه الاله الغيور الذي يرى الاستخفاف بالتعظيم من كل ضد يقوم مقابله ويتقاعد عن اكرامه ويجده لانه قيل في تثنية الاشتراع ان الله غيور والرب الهك وقد سماه ايضا يشوع بن نون الها قدوسا غيورا وناحوم النبي دعاه الها غيورا منتقما فلماذا لا يسوغ لنا ان يقول انه اذا قابل اكرام بعض المسيحيين للالوهية الحقيقية مع اكرام الذي كان الوثنيون يقدمونه للشياطين الرجسة تلك التي قد اطمسها الناس كالهياكل وبيوت الاصنام يحكمون على الكتب المذكورة حيث قال هكذا لن تدخل الهياكل مع زينة وهيبة وانه لما تقدموا بالاقدام لتكون وجوهنا وبذل الاتراب وانتم في كل تصرف في الاحتشام والاعتدال ثم ينظر ايضا اهل البلاد الصالحة الشهيرة الذين يدخلون بالاماكن الى هذه الاماكن الباطلة المكرمة الذين فيهم الحق توفيق اما بالحلال عن ما تقيوده حديثين وكذلك بهم يدولتقوم البوذيين الذين يوتون بها الاصنام منهم وباالعبودية الصادقة القرونية بما ان الكنايس كانت صحيحة وحقيقة هذا شاهد النسل كثيرا الذين لا يدخلون الى اماكنهم الا وهم حفاة مع الصمت الكلي والخشوع وقطعا لا يتنفسون بها اذ انهم لا يتحركون الا بحذر كانهم يخافون من يحاسبهم الكبير اولا

الاقدمين الذين لم يكونوا يجاسروا في حين تقدمة الضحايا للاوثان بان يخطوا او يتنفسوا الا في يسعلوا او يشتموا لئلا يدنسوا قليلا الجو الحاضر وانصات الملائكة في الصلاة هذه وان كان الله تعالى يشاهد قديما هذا الاكرام كله ويقابله الان مع اكرام المسيحيين الغير المحترم امام بحضرة الله اذ انه كما قال عن نفسه فيما تقدم انه الغيور منتقم وهذا بالحقيقة لمن شانه ان يجعل الهنا ان يغار من المشتري والمريخ وزوس وزهرة وبلعام وعشتروت وداغون وغيرها من الاصنام الوثنية التي الشعوب كانوا يمارسون ورعا واحتشاما وادبا اما كانوا يدعون انهم آلهة الكذب بعينه او نور الى كنيسة الماء الى السيحيون الان فيتقدمون تعالى العرش الالهي الذي الكنيسة والعجيب الذي اذ يقال ان الله تعالى الديان يغار من الاصنام المكذوبة وضيقوا لذلك في الكنيسة كما الطاهر

العدد ٤

الحقيقي والصادق الذي كان الحنفاء يمارسونه في هياكل اوثانهم لانه لا يطلب منا ان نقطع السنتنا من صاحبها ونواظرنا من وجوهنا كما كان البعض منهم يصنعون وبعدئذ ذلك كيف يمكن ان نخرق في الكنائس نعمير مخافة ونطلق النظر بغير احتشام بل نطلق نظرا اي شيء لنبتدئ ان يكون لنا الزمن كثيرا عليه مما لا نرى فيها بل نعظم ما يقوم بما لاشارات الرسوم والعلامات البهية مثل الحركات في الكنيسة واذ كان هذا الفعل الاكبر لا يجوز ان التسبيح ضد المعقول الذي ظلوا ايضا في المواضع الباطلة والاصنام واذا كان الامر كذلك ذلك الموضع فليت في مواضع اخر العليم يجدوا ويعرف من حقيقته الذي يسوق اسواق المونين وفي موضع اخر حيث الذي يكمل وسط القادر الاعين ان يشاهدون في هذه والبيوت الطلبة ويبكي الذي هو جهوبات مع الاشرار في وسط القادر العين وبعد ذلك تم تشاهد ذي الموضع المقدس ما الكتير من النوح والخشوع والمخافة وكيف لا الخاطئ انهم يتاملون ذي اخذ يبكي متاسفا على ذنوبه واخر يعترف بها واحد يوزع الاسرار واخر يتناولها واخر يتصدقون التقدمة واخرين يتلون الزبور واخرين يتلون المدائح وغيرهم يعطون صدقات واخرين يتضرعون صدورهم وغيرهم يقبلون الارض وان وجد من ان يتخشع من هذه النموذجات الصالحة الكنيسة جميعها يبكي الاخرون ويذنب اذ يصلي الاخرون ولا ادعى عليه لعمري انه نلتزم بان نتعجب مع القديس يوحنا الذهبي الفم قايلين اذ لما انتم تحضرون الكنيسة اتاما هذا مقدارها فاذا تكونون اذا خرجتم منها فان كانت الامور تلطفا وتضرعا يفعل سيء فاذا يصيرونا اذا خرجنا الى البحر التي ليس اعلى الاسواق والبيت التي وهو من اللعب والطلاء ان كان احد لا يحسب في ان يصلي متحشما ومتخشعا ما نشاهده كثيرون يلبون في الكنيسة كثيرون يجهلون هذه الصلوات الروح يصلي في قلبه التهيب الافرحة جوهر الصلاة وهم يتكلمون وقد يطلبون وان صلى عنا وانا اصبح حقا في ان يخلطوا في وسط الصباح والضجيج مع كل هذا هذه الحالة في الكنيسة

أمهل يضبط لسانه من التلذذ في المحافل الباطلة مع انه لا يضبطه في الكنيسة هل نتوقا
صنيع العشق الشيطاني في المهرجانات مع كونه لا يتوقاه في الكنيسة وبأي حق نطلب
في المراسح الا كان جلوسنا في الكنيسة لاستماع كلام الله انما يكون بقلة الادب وانعدام التهذيب
وان كان لا يخاف من الاهانة لحواسه حيث يسمع من يوبخ من اجلها لا يخاف منها حيث يتهم
من عمله لا واذا كان يشكر ويعتذر على ارتكاب الخطايا حيث يعاين من يشتكي به على نفسه في الاذ
عسله يصنع حيث يسمع من يفتخر به وعلى الاطلاق اقول اذا اتصل الى هيكل ربه في الوضع
الذي قد يكرمه الاخرون فماذا يصنع في المكان الذي فيه يهينه الاخرون فاذا لا بد لنا من ان نقرر
ان الذي يقصر في اكرام الله استخفافا بهذه السهولة في الكنايس يشير على نفسه وامثاله بالتهاون
السعيد اسمه ولا يحترم مسكنه فلعل الكنايس ايضا اصلا على ان الايمان يعلمنا انه في الحرب
في هيكله المقدس كلما في سفر حبقوق النبي فلماذا نتغافل عن هذا الكلام المذكور الذي يأمر
بالسكوت الدقيق امام حضرة الله بهيبة وذلك بقوله فلتسكت عن الارض امام وجهه ايعلمنا انه ايضا
ان الله جالس في كنيسته كما انه جالس على عرشه القدسي فلماذا لا نحترم بحضرته ملك من اصل طين
بيده الصولجان ان يعلم ان الله حاضر قائم في الكنيسة كما هو على سدة الحكم والدينونة فلماذا لا نهابه
كانه قاضيه مقاوم لا ينطرح الصولجان جانبا ويضرب بالعصا فانه يتحول من جهة الانتباه بكليتها
كم نغتاظ اذا [illegible] او [illegible] شديدا [illegible]
المقدس في الكنايس ولكننا [illegible]
يكانه [illegible] عن قصاصه [illegible]
ايها المحبوبون [illegible] انما اذا [illegible] جيدا
الى حقيقته [illegible] ان الله سبحانه انما اراد الكنايس لتمجيده خاصة بل بلا كثير
لاجل [illegible] لا تزداد عظمته وعز بتلك الابنية الجليلة المشيدة من الرخام
ولا من تلك القبب المموهة بالذهب ولا بتلك الاواني المكتسية فضة ولا من تلك الشموع
كثيرة [illegible] المصابيح [illegible]
[illegible]
[illegible] الصدقة [illegible]
[illegible]
[illegible]
مكان [illegible]

الخانات

213

الاها ناتنا التي تقبلها انهم في المواضع هكذا اراد ان تصير له اسباب الى الحضور والخير
والرفع وهكذا حيثما هذه الكنايس ليمسك عنا العقوبات التي نستوجبها من اجل سيئاتنا
كما اعلن ذلك الى سليمان الحكيم عند ابتنائه الهيكل بقوله لتكن عيناي مفتوحتين واذناي
صاغيتين لصلوة من يصلي في هذا الموضع ويصفح عن خطاياهم واذا كان الله تعالى هيأ
الكنايس ليضم الاسباب تقربها الى الرجز بدلا مما يحركه الى الرأفة والرحمة
وفي هيكل من هذا الانسان يطلع وينزع غضبه وانه عينه في اللوح المكان الذي ...
يتضرعون ويرجعون من اجل اعمالهم ينظر الطرق حيث هو الحرية ضاعفة اهل المضطر
الموعظة من الحديث السيم واذا ... الكنيسة ...
على الموايب بلا رحمة كي يتوقروا ما يصنعوه للتخيل في ... وينظر ... الصناعات
والتجارة مملوة افكا وخديعة وبيوت المساكين حاوية الغيظ وعدم الصبر ...
مستقرفيها الخصام والمعاداة وهل يلتفت ناظرا الى منازل الحكم والقضا المدني واذا نظر اليها الانسان
يرى فيها احتيالا بالشكاوى وكذبا بالفتاوى وخداعا بالاحتجاجات وغرضا وحقدا في اجراء القضا
والحكم ويرى بث الدعاوى يستطيل تعدادها اعوان المحكمة طمعا في ازدياد الاجر ويرى من ليس
يرثي بمرتبة الى الوراء ومن كان خصيما فلو لا يراه متقدما الى ما قدام ومن يرجى منه النفع مكرما
ومن يخشى منه مخدوما واذا نظر الى حوانيت الصيارفة والصياغ ليت شعري ما اكثر ما يشاهد
من التوغل في الصرف واذا تامل الخانات حيث تعقد عهود التجارة ما اكثر ما يوجد من الربا الموجود
فيها واذا نظر الى الكمارك والحسبات كم يرى من الظلم والافترى ولا يستطيع النظر الى الدولات
لانه لا يرى في القاعات المشاعة سوى فنون اللعب المحرم والبطالة التي هي اصل جميع الشرور
عند العبيد وفي الحاضر يرى التهمات والشتايم عند الخدام المتقدمين وفي المخادع السرية
يرقب العظمة والعجرفة جالستين مع الارباب والروسا هناك يرى حقدا في القلوب ومحاباة
بالوجوه ومسافلة بالكلام وسما قاتلا بالشهوات هناك يشاهد البساطة مرذولة والخيانة
محمودة الطهارة مجحودة والنفاق مهابا الدخل مرتفعا والاستحقاق منحطا والويل لنا اذا
نظرنا الى محافلنا واجتماعاتنا لانها غير خالية من الاخبار السفيهة والحركات والاشارات
الاو فرقبحا والويل لنا اذا نظرنا اليها ونحن في روضاتنا وغياضنا الذي فيها تصير الولايم
الغلايم والسكر اكثر رداوة واذا نظرنا الى البحر اليس انه يشاهد فيه السفن [illegible] اموالا

كثيرة مختلسة ظلماً من اوليايها وارباببها واذا تعرض بالتغافل ما يعاين اللصوص يختفون
في اوعارها اظلم سرقاتهم واذا لحظ الحقول والمروج اليوم بصر العشاق يتلاعب بعضهم
مع الاخر ما بين ارطب الخضرات اه والاسفاه علينا ايها السامعون لعمري ان الله عز وجل الى
اية جهة نظر فلا يرى الا ما يحفظ فيتقد غضباً ويتحرك الى تاديبنا وعقابنا لانه ثم ملكت
الارض كلها ولا يوجد مكان واحد خالياً منه كما يشهد بذلك بروح النبوة هوشع قايلاً ليس
حق وليس رحمة وليس علم الله في الارض ان اللعنة والكذب والقتل والسرقة والفسق يفيضون
ما اكثر النجاسات ما اشنع القبايح التي غمرت الارض كلها ولقد يغنينا من فهم ذلك كلام
هوشع ايضاً النبي الذي ردفه كلامه المورد منا الان بقوله والدم وصل الى الدم ومعنى ذلك
ان البشر بلغوا من النفاق الى هذا الحد حتى انهم لا يخشون من ارتكاب اثم اختلاط الدم
فيما بينهم ماذا تعجبوا يصيرونا هنا الخوف اذا تحرك الهنا الى الغضب بنظره ايضاً الكنايس
لقد قال عز وجل لسنا علي بما التحق عليك معنى ذلك هو هذا اي اذا كانت الكنايس تستخطيء
كثيراً ايضاً فما هو المكان الذي به ننال الرحمة وتحت اي سقف نحتمي من اجل اي شي تحنن
علينا ها هو ذا العلة الحقيقية بهذا المقدار من الشرور التي تخرب في ايامنا هذه المدن
والبلدان وتدمرها انما هي انتقام الرب نقمة هيكله كقول ارميا النبي فمن ثم اذا رايتم الحروب
تستطيل فاعلموا انها انتقام الرب نقمة هيكله واذا رايتم الوبا يتكاثر فاعلموا انه انتقام
الرب نقمة هيكله واذا رايتم زلازل مريعة فاعلموا انها انتقام الرب نقمة هيكله فاذا لا
حاجة لنا ان نسال ونفحص عن علل الدواهي والاهوال الكثيرة التي تحدق بنا في هذه
الارض فان علتها هي هذه حسب راي الذهبي فم ايضاً اعني بها قلة اكرامنا واعتبارنا لله
عز وجل في الكنايس التي بيته لا نرضى ان يستحق علينا ونحن لا نحتمي من اغاظته وتحريكه الى الغضب
حيث نلتزم ان نرضيه ونستعطفه علينا وبعد ذلك ايمكن الا نريد ان نفهم هذه الحقيقة
الواضحة بهذا المقدار علي اننا لو لم نخطي نحن في مكان اخر وبالتالي لو لم نكن ملتزمين
ان نكافي الله سبحانه في هذا المكان اي بالكنايس عن الاهانات الكثيرة التي نوصلها له في
ساير الاماكن لكانت قلة وقارنا للكنايس ربما اقل جرماً ولكان اسهل ان يحتملها ولكن
اذ كنا نخطي بهذا المقدار في كل موضع حتى انه يصح ان يقال اليوم ما قيل قبل الطوفان
العريم ان قد فسدت الارض قدام الله وامتلات اثماً فمن ثم قد صار عدم اكرامنا الله

في

في الكنايس لا خساسة عقل او قلة حكمة لكن جنوناً بل نفاقاً لا انفاق اعظم منه
لعمري ان بعينا هذه ليست كالسجية المرموحة التي سلك بها قبلاً المسيحيون الاقدمون
في استعطاف خاطر الله وارضاه عليهم على ان اوليك قد كان عندهم معلوماً ان الكنايس
انشئت في الارض بهذه الغاية خاصةً اي ليأتوا اليها ويطفوا بدموعهم السخط الالهي
الذي كانوا اشعلوه في مكان اخر بذنوبهم ولهذا ان رمتم ان تعرفوا باية ما شاكلة كانوا
يدخلون الكنايس فاعلموا ان قوماً منهم كانوا يدخلونها لابسين ثياباً مسودة والحد ... في
منضوحاً عليها الرماد واخرون متشحين بمسوح شعرية ومتمنطقين بحبال خشنة ثم
كانوا يجثون منطرحين على الارض امام اقدام الكهنة بالتضرع بحرارة وحيا بليغ ويغسلونها
بالدموع ويوقرونها بالقبلات ولم يكونوا فعلاً واحداً من افعال الخضوع الكلي امامهم مظهرين
بر وفور تأسفهم على ذنوبهم واضطرام اشتياقهم الى الحظوة بالغفران ولا تظنوا ايها
السامعون ان الدون من المسيحيين فقط كانوا يباشرون هذه الافعال الحميدة بل الاعيان
ومنهم الملوك المتوجين ايضاً سيما لما كانوا يزعمون باظهار التوبة من اجل خطية ظاهرة ومنهم
تاودوسيوس الملك الظافر فهذا قد شوهد داخلاً كنيسة مديولان بوشاح دنس وعند
وصوله الى اسكفة الباب خر على الارض ليس بركبتيه فقط بل بوجهه ايضاً ومكث هكذا من
الزمان يتلو ويكرر بحرارة قلب غزيرة كلمات داود النبي لصقت بالتراب نفسي فاحييني
بكلمتك ثم كان يلطم وجهه وينتف شعر بيديه ويغسل الارض بدموعه ويحضر تقدمة
الذبيحة الالهية منكباً على الارض في اخر الشعب وماذا اقول بما فعله الملك لودويكوس
الاول هذا الذي تردى على لحم مسحاً جافياً وتوجه هكذا الى الكنيسة في كويسفراها ولبث
هنالك واقفاً على قدميه خارج الباب يطلب الغفران عن ذنوبه من الداخلين الى الصلوات
في الكنيسة وماذا اقول ايضاً عن ارتكوس الثاني سلطان انكلترا فهذا توشح ايضاً بجبة
شعر بيتها على لحمه ودخل كنيسة كنتوريا وجثا ساجداً امام المذبح يطلب المسامحة عن سيادته
من المسيحيين وما عدا ذلك فانه حسر على منكبيه الملوكيين تجاه الشعب وقبل باختياره
من كل راهب من رهبان الدير ثلث جلدات بالمقرعة وقد كانوا بالعدد يتنيف عن ثمانين
راهباً اما غرنج زرينون سلطان ذانيا فهو اغرب واعجب واوفر تخشعاً من التمرذجات
الواردة الثلثة فقد كان هذا السلطان تورط لشدة السخط وامر بقتل البعض من الاكابر

العدد

عبيده لانهم كانوا يتقمّوا على نوع سياسته وتدبيره المملكة كما يجري غالبًا في كل مكان ما بين
العبيد والمرؤوسين فلما سمع غوليانوس الاسقف روسيكيلذا بقتلهم اتقد غيظًا بكل صواب و
حق وواري غيظه هذا في ابتدا ولم يرد ان يشهره لكنه لم يستطع ان يخفيه ويحجبه زمنًا
مديدًا ثم اتفق لهذا الاسقف ان يقدس قداسًا حبريًا احتفاليًا وذلك بعد ايام وجيزة
من ارتكاب الملك اثم القتل وفيما كان مهتمًا بذلك عاين الملك آتيًا الى حضور القداس متوشحًا
في اثواب فاخرة بهية ومصطحبًا باكابر دولته ومشايخ ليس بقليلين فاضطرب الاسقف عند
مشاهدته ذلك وخرج تلقاء الملك ولكن بالعكاز الحبري قايلًا له بايته دالة تليق بعظمة اسقف ايها
الملك القاتل فان كنت متردًا في اثمك فاعلم ان هذا الموضع مخصوصًا ليس للخطاة العصاة وان
كنت تايبًا فما هذا الوشاح المترصع به لانه ليس هو وشاح الخطاة التايبين فعد راجعًا الى
الوراء لانك بهذه الحال لست باهل للدخول الى هذا الموضع المبارك فماذا تظنون ايها الاخوة
في زينون الملك هل ابى عن حمل هذا التعنيف المر الفجاي للعلاء تمرمر ام غضب ام ترفع نفسه
لا البتة لكنه طاطا في الحين راسه وعاد راجعًا الى بلاطه وهناك نزع عنه وشاحه الملوكي
ولبس عوضًا عنه اثوابًا فقيرة رثة وعاد الى الكنيسة مكشوف الراس وجاثيًا في المقدمين وجثا
ساجدًا في رواق الكنيسة وقد كان الاسقف ابتدا بالقداس حالًا من بعد طرده الملك ووصل
الى تلاوة المجد لله في العلا واذا بواحد من الشمامسة اخبره سريعًا برجوع الملك فامر المرتلين
بالصمت ومضى نحو باب الكنيسة حيث كان زينون الملك جاثيًا وطالبًا منه الغفران عن زلته
تلك باكيًا بل مذرفًا دموعًا سخينة من عينيه فرق قلب الاسقف على دموعه وبنا حنو للوقت
اعتنقه واراد ان يوتي له شيا باخر اليوم من تلك التي اتى بها ثم امسكه بيده وادخله الكنيسة
وصعد بزينون الملك التايب الى مكان عال وامر واحدًا من عبيده ان يوعز الى الشعب
بالصمت ثم رفع صوته واقر بخطيته على رؤوس الملا وحيد رافة غوليانوس الاسقف لاجنه
رحمه وارتضى ان يغفر له اثمه ولاجل ابادة المعروف لتلك الكنيسة التي فيها اغتفر بخطيته
لم يوقف لها كاسًا ذهبيًا ولا بدلة موشاة بالتيل الذهبي بل انه اوقف لها نصف بلد من
بلاد مملكته اسمها استيفيكا فيا لها من اخبار جليلة تستحق ان تتسطر
العدد
في ذكر جميع الاجيال الى الدهر ولكن احساني انا قد قصدت باعرضها عليكم ان الزمكم بالاقتدا
بها كلا لست اطلب منكم هذا الكثير ايها الاخوة لان هذه التقوى العظيمة قد خصت الان في

المؤمنين

المؤمنين وهذه الحرارة الفايقة قد خمدت بل طفيت ولهذا لا تجزعوا ولا تضطربوا فان هذا
كثير عليكم ولستم قادرين عليه لضعف ايمانكم وخمود نار محبتكم لله ولكن مع هذا لست استطيع
ان اصمت بل ينبغي لي ان اصرخ قايلًا ان كنا قاصرين عن ان نماثل حرارة تقوى هولاء الانفار
الجليلين المذكورين وغيرهم لما كانوا يقبلون الى الكنيسة ليستمدوا من الله الرحمة فما بالنا
نحن لا نسعى في ان نعوض عن هذا النقص فلما يكون بالقضا نوازعنا وضبط ايدينا وخفض
السنتنا واحتشام ملابسنا وتهذيب حركاتنا كلها ولنسمع ايضًا للشرفا بان يحملوا في
الكنايس الصليب الذهبي منوطًا على صدورهم والسيف متقلدًا على فخذهم عوضًا التي بروح
ناوضوسيوس الملك الذي كان دايمًا قبل دخوله الكنيسة يدع عنه تاجه الملوكي والسيف
المتقلد به ثم يدخلها ولكن لماذا لا يخشون هؤلاء كيف قدام الهيكل يا حضرة الكهنة حط الوقار الو جب
للعزة الالهية الحالة فيه ولندع ايضًا الغنيات من النساء ان يقبلن الى الكنيسة مزينات اعناقهن
بالجواهر واذانهن بالحلق والذهب على روسهن وصدورهن وغير مستورين الانموذج الذي صار
لهن في تقيسا الملكة التي لم تكن تدخل الكنايس سوى محجوبة بسيادة حقوصيانة دينية تحتها
ولماذا ايضًا لا يستمعن وصية بولص الرسول فيسترن روسهن ووجوههن وصدورهن
بتحرز في الكنيسة من اجل الملايكة القايمين هنا سوى فيهما ذلك بلفظة الملايكة اوليك الفا بميف
هنا بالطبيعة او المتشبهين بهم بنقاوة النفس اوليك الذين هم ملايكة لسمو درجتهم
الكهنوتية ليت شعري ما هو العذر الذي يمنعهم عن التنازل معي بهذه الطلبات الخفيفة
العليهم قادرون على ان يوردون سببًا ثقيلًا او يعتذرون اعتذارًا ما كي يعفوا عن هذا
الاحترام القليل للعزة الالهية في الكنايس تري ماذا يقول هولاء الاتقياء الجليليون المذكورون
انفًا لو عادوا الى الحياة ثانية ودخلوا كنايسنا وشاهدوا اهل زماننا هذا ويظهرون فيها
ظهورًا مختلفًا عما مضى في ازمنتهم لعمري انهم كانوا يقولون هكذا اهذه هي اشكال الناس المصلين
ابهذه الحال يقصدون ان يرضوا الله تعالى بعد ان اغاظوه واسوا اليه كثيرًا اهكذا هو منوال
بغضهم للخطية واستغفارهم ربهم لا شك في انهم بهذا يحتقرون ربهم عز اسمه وفي هيبونه
اكثر مما مضى عوضًا عن انهم يعطفونه الى الرحمة والغفران اننا انسا نصدق ان هؤلاء يفتكرون
بالقضايا التي يجب عليهم ان ياتوا من اجلها الى الكنيسة او يحتكون فيها نعم انهم يحضرون
القداس لكنهم يحضرونه على سبيل العادة ويسجدون ليصلوا لكن من غير اشعار [illegible] ويقبلون

الى الاعتراف بخطاياهم لكن خلواً من الندامة والقصد الصالح الواجبين لا شك ان هولاء
المساكين لا يفتكرون بما يصنعونه فهكذا كان اوليك المعظمون المذكورون يتكلمون ولكانوا
يتعجبون من قلة ورع اهل زماننا هذا وفي التحقيق ان النقايص والذنوب التي تفرط منهم
في الكنايس انما يكون مصدرها من هذا الباب وهو لانهم لا يذكرون غاية ولوجهم الكنيسة
والمكث فيها وهو لكي يستعطفوا الله عز وجل الى الرضى بل الكثيرون ياتون الى الكنايس لاجل
الفرجة وقوم ياتون على سبيل العادة واخرون لاجل تقطيع الوقت وغيرهم لكي ينظروا
اهلهم واصدقاهم ويتسامروا معهم واما الذين ياتون اليها ليكرموا الله تعالى ويطلبون منه الرحمة
وغفران خطاياهم فقليلون جداً فان كنا اذاً لا نتذكر الغاية الخصوصية التي لاجلها ينبغي
لنا ان ناتي الى الكنيسة فليس بعجب ان كان امتثالنا فيها منقولاً بروح العالم لا بروح الله وبعد
هذا جميعه هل لنا ان نرجو منه تعالى ان يقبل صلواتنا وقداساتنا واحتفالاتنا وترتيبنا وبسر
بهاميتها كلا اني لخايف جداً من ان سبحانه يخاطبنا بعد قليل بما خاطب به قديماً بفم ملاخيا
النبي اوليك الذين كانوا يدنسون برجاساتهم الاعيادة المقدسة قايلاً ها انذا القي عليكم الزبل
وابدده على وجوهكم زبل اعيادكم ليت شعري ما ارعب هذه الالفاظ ايها السامعون وما
ارهب معناها العلها كانت تخطر لكم على بال لو لم يتكلم الله عز اسمه ظاهراً بفمه القدوس
ولعمري ان معناها هو هذا انتم تصنعون اعياداً وتعملون زيّاً واحتفالات بتراتيل وانغام
ترجون انكم تسرونه بها وتزينون الكنايس وتوشحونها بالفضة والامتعة الذهبية الثمينة
فاحفظوها لكم فاني انا اهبكموها لانكم لا تصنعون فيها سوى الحديث والمزح والضحك كانكم
واقفون في مرسح او محفل عالمي ومن ثم ابدد على وجوهكم زبل اعيادكم اي اني اطرح هذه الاعياد
كالزبل على وجوهكم افهموا ذلك وتذكروه فاني ابدد على وجوهكم زبل اعيادكم لانكم تاتون
اليها لا من اجلي بل من اجلكم تاتون اليها للهوكم ونزهتكم تاتون اليها لتصنعوا بيتي بيت
الحديث والخرافات فهذا الكلام يخيفني ايها السامعون جداً وهو لئلا يقول لنا الله تعالى عن
قريب ان كان لم يفعل لنا الى هذه الساعة سخطاً سخطاً عظيماً   فياليت البعض منكم يرتضون
بهذا فقط اي انهم ياتوا الى الكنايس لاجل التنزه والفرجة المنزهة عن الخطا غير ان الاشر من ذلك
هو هذا اي انهم ياتون اليها لكي يخطئوا بل الذي ابلغ من ذلك واشر وهو نفاق اكثر جداً هو هذا
اي انهم ياتون اليها ليجعلوا غيرهم يخطئون ولكن ما بالي تورطت بهذا القول وهو قولي ليجعلوا

العدد ٨

غيرهم

غيرهم يخطئون لا تستغربوا يا معشر السامعين كلامي هذا اليس تنظرون عياناً ان الكنايس تحولت
وتشاهد ان الشهوانيين من نضر ملايمة لاقتناص عفة الاخرين اي نعم هاهنا تلقى الشباك
باعظم سهولة ليقتنص بها الاخرون هاهنا توضع الفخاخ خفية وبصناعة ليعثر بها الاخرون
ويسقطوا ومن ثم قد اتصلنا الى ايام يسوغ لنا ان نقول مع ارميا النبي يجعلون معاثر في البيت
الذي فيه دعي باسم الرب لينجسوه بالدمن نفاق جسيم ما اعظم شره وياليتهما من قباحة جهنمية
ما اغربها في اي مكان تستكفي ايتها العفة المقدسة وان كان في بيت الله نفسه يصير عليك
خوف وخطر انك تهربين من الشبابيك لئلا تتصادفي بمشترك لحظات الجيران الرعينة وتفرين
من الشوارع لئلا تلتطخي من ملاقاة العشاق الجايزين في الطرقات وتهربين من المحافل والجمعيات
العالمية خوفاً من ان تخاطري بفقد كرامتك عند الجهلة المنغمسين بالدنس ولكن ما الفايدة
من ذلك كله ان كان بعد وصولك الى الكنيسة تصادفين فيها المعاثر التي تهربين منها اذ في
سائر الاماكن يلتحق بك عار عظيم ان غرقت ولكن اعظم العار هو ان تغرقي وانت في الميناء مكان
الامان الويل ثم الويل لنا لقد صار لنا في ايامنا هذه نطلب القبور ونقصد المغر لنختفي بها عند
ما نؤثر ممارسة عمل ما صالح لان الذهاب الى استماع القداس وحضور التسابيح والوعظ
والتقدم الى تناول الاسرار المقدسة ايضاً قد صار خطراً لنفوسنا لماذا لا يمن ربي علي بغيرة
بولص الرسول من بعد ان منع الحي باسمه لكي استوعب حرارته وابكت المسيحيين على مثل هذا النفاق
الفظيع الشنيع   انه لقد انطبع وجوب الاكرام في الكنايس في عقول الشعوب

العدد ٩

البربريين الهمجيين حتى في عقل من كان منهم قاسياً جداً وذلك بهذا المقدار حتى انه لما كان
هولا يضايقون البلدان وينهبوها قديماً لم يكن المسيحيين ملجا يهربون اليه لكي ينجوا وفيه يخفون
امتعتهم لتسلم سوى الكنايس وقد شوهدت بذلك مدينة رومية حينما افتتحها الاريكوس
ملك القوطيين واجرى دماء شعبها كالسواقي بالذبح فهذا الملك الظالم مع قساوته هذه
قد وقر الكنايس المشيدة لاكرام الله تعالى وقاد لعظيمها الى هذا الحد حتى انه دون ان صار ما
واشهر على عساكره كلها فيه نهى الجميع بان يمسوا الكنايس ولا يهينوها البتة فسمع الروانيون
بهذا الامر ولهذا كانوا يسرعون ويحتمون في الكنايس المشيدة عوضاً عن احتمايهم في الحصون
القوية وكانوا يحملون اليها كل مقتناهم وامتعتهم وارزاقهم الاكثر قيمة ويخفونها داخلها
وقد سلمت جميعها ومكثوا هناك ياكلون ويشربون ويرقدون مدة الايام [illegible] التي استمر

فيها العسكر ينهب ويقتل في المدينة وبالنتيجة اقول لقد فازوا في الكنايس بالامان الذي لم
ينل غيرهم من اوليك المتحصنين على الابراج والاسوار الشديدة اليس ان ذلك امرًا
عجيبًا وكيف لا والحال انه في ذلك الحين اي في الوقت الذي فيه البرابرة يجولون في المدينة
هايجين ويملكون القلاع وينقضون الحصون ويقتحمون على قصور المشايخ ولا يرحمون بيوت
الفقرا والضعفا ولا اسرة الاطفال الباكين ولا اخدور العرايس النايحين ولا ابيات استانات
المرضى المتضرعين بل كانوا يطوفون جميع الامكنة ويلقون الخوف في كل مكان ويخربون ويقتلون
كل من يصادفونه ويملاون جميع الشوارع والمحلات ولولةً وصراخًا وتبلبلًا وغيظًا ففي ذلك
الوقت عينه لم يكن سوى الملتجيين بالكنايس فقط فايزين بالراحة والسلام في وسط تلك القلاقل
والاراجيف والابحاس المخيفة لان الجنود البرابرة الظلمة لما كانوا في جنونهم يبلغون الى اعتاب
الكنايس فكانوا حالًا من تلقا ذواتهم يرتدون الى الورا نظير البحر الذي حالما تتصل امواجه الهايجة
الى الشاطي ترتد الى خلف راجعة اي نعم ان الرجال والنسا والشيوخ والشباب والعذارى والمزوجين
والنصارى والحنفا كانوا جميعهم حاصلين على الطمانينة والامان وقبلهم كانت هناك ثيابهم ومصا
غاتهم واموالهم واوانيهم الكريمة ايضًا فاستيقظوا اذًا ايها الاخوة السامعون وارتضوا بان
تستنتجوا معي هذه النتيجة ولتهتف قايلين هكذا انه كان هذا هو الاحترام الواجب للكنايس حتى
ان رجلًا بربريًا لم يرتضي ان يلاشي جسد من يلتجي اليها اما يستحق المسيحي من ناحية نفسه ايضًا ولا
تظنوا ان هذا القياس خاليًا من المطابقة لانه في التحقيق قياس بعيد عن الصواب والحق على ان من
المحقق ان خسارة نعمة الله هي اعظم كثيرًا بلا حد من خسارة كل خير زمني سواء كان ثروة او
متاعًا او جاهًا او حيوة او غيرها اخر من اي صنف كان وان كان رجلًا اجنبيًا بربريًا ما جاسر
على ان ياسي في الكنيسة مسيحيًا في خيره الزمني الذي هو الجسد والمال وما ضاهاهما افيمكننا
نحن ان نتجرى على اذيته في الروحي الذي هو نفسه وضميره وما ماثلهما ونسعى في انه يخسر في الكنيسة
العفة ونعمة ربه والملكوت والله ذاته ولاجل هذه الغاية قد فينا من يصقل وجهه ويتزين
ويتحسن فيصيد باعظم السهولة اهل الرعانة والمهارة او بريح في العشق الذين قد اقتنصه
ولكن يا للعجب كيف يمكن ان لا تتزعزع من هذا الاثم جدران الكنايس عينها او كيف يمكن ان لا تصرخ الحجارة
وان كانت خرسًا وكيف يمكن ايضًا ان لا تحترق الايقونات المقدسة غيظًا ولو كانت غير ناطقة او
كيف يمكن ان لا تنحدر الارواح الملايكية قلما يكون ليضربونا بالصواعق قال القديس بطرس دميانوس

ان

ان الملايكة المملوة منهم الكنيسة لاسيما حين تقدمة الذبيحة السرية لا يستطيعون ان يضبطوا
السخط المتقد في قلوبهم حينما يترقبونا نقف في الكنيسة بعدم الاكرام او نضحك بسوء الادب
او نحكي بفجور وجهل تجاه حضرة ذاك الاله الذي يقفون هم قدامه وجلين مرتجفين فاذًا ان كان
من اجل هذه النقايص فقط يستوعبون سخطًا علينا فكم يزدادون غضبًا باضعاف كثيرة اذا ما
شاهدونا نصير بسبب عثرة للناس ان يخطيوا تجاه سيدهم الكلي العظمة ونجعل الكنيسة تستحيل
مغرًا للصوص ولكن اي لصوص لعمري انهم هم اللصوص الاشر في العالم اي اللصوص الذين يسرقون
النفوس من السيد المسيح افليس لهم اذًا ان يحترقوا غيظًا اما ينبغي لهم ان يذوبوا سخطًا وغيظًا
علينا لماذا لم تاتوا الى وعظي اليوم يا ايها الشباب القليلو الحذر على نفوسكم الذين بولوجكم
الكنايس تقدمون اسبابًا للرجز له تعالى وهلاك النفوس انتبهوا لنفوسكم ايها الجهلة المساكين و
احسنوا الحرص عليها فاني اقول لكم ان هلاككم قد دنا ان لم تتغيروا سجاياكم لا تظنون انكم تفلتون من
القصاص لانه تعالى عادل حتى وان تمهل فلا تحنكم على انفسكم قال الكتاب المقدس ان الرب كمثل
الرجل المقاتل فاذًا ما يعني بقوله هذا انه عز اسمه يسلك الان في القتال معكم كالرجل الجبان لانه
يسمح بانه ينغلب منكم احيانًا ولكن مع ذلك انه هو اقوة الالفاظ التي تلي القول المتقدم ذكره وهي
الضابط الكل اسمه لكون مضمونها هو انه تعالى بما انه الضابط الكل يستطيع ان يدرككم جيدًا
ويقبض عليكم في الحين الذي انتم غير مفتكرين به يستطيع ان يذل ويخفض عجرفتكم هذه الوقحة
يستطيع ان يكسر ويبدد عتوكم المتجاوز الحد فاذًا انتم تفتكرون وماذا تنتظرون اتنتظرون من
يسوع ربكم ان يحمل بيده لا المخصرة كما فعل قديمًا بل الصواعق وينقض عليكم مغضبًا ويطردكم من
هذه الكنيسة المدنسة منكم بالحاظكم الدنسة وتبسماتكم العاهرة اسمعوا مشورتي واخرجوا قبل ان
يطردكم من جلت قدرته ولا تعودوا تضعوا فيها قدمًا ان لم تتوبوا قبلًا وترجعوا اليها تايبين و
متخشعين لا نظارًا وهذا الحضيض المبارك ولا تقفوا قدام هذه الموايد السرية ولا تتفرسوا
بهذه الايقونات المقدسة كان هذه ليست هي شاهدة على عهاراتكم السيئة لاني اقول لكم وليس اكذب
انه ليس لكم ههنا امان حيث انه لم يوجد ولا مكان واحد ولو كان مكرسًا مقدسًا افلت احدًا او صانه
من العقاب الذي استحقه بارتكابه الخطايا كما هو معلوم ان السما العالي ما ردت العقاب عن الملايكة
الذين اخطاوا فيها ولا الفردوس الارضي حامى عن ادم الذي اذنب ضمنه فكيف انتم يا ضعيفي العقل
ترجون الامان والسلام في الكنيسة التي تخطيون فيها لا تتكلوا على قول الكذب كذا يقول ارميا

البنى قايلين هيكل الرب هيكل الرب هو لانه تستطيع ان تاتي الزلازل وتنقض الكنايس فوق روسكم
وتموتون تحت الردم ان لم تسرعوا بالخروج منها كما اتفق ذلك في مدينة راغوزي ورعيني حقا حقا
ان هذا المكان المبارك لدينا سببكم دعوا غيركم ياتي من الان فصاعدا الى استماع كلام الله وحضور
الصلوة والرتب وممارسة غيرها من اعمال الديانة المسيحية وان شيتم انتم ان تقضوا شهوتكم الرخوة
في ذلك الوقت فامضوا الى الغياض ادخلوا البساتين اطلبوا البيوت امكثوا في المواضع الجهنمية التي
اذا انحطاتم فيها تحركون قلب الله سبحانه الى اقل سخط مما تحركونه بالخطا في كنايسه ولا تعجبوا من قولي
لكم الا تقتربوا الى الكنايس لاني لو انشر هذا الشور على غيركم من الخطاة وان كانوا اردى منكم لكنتم تردون
اجساد القديسين المدفونين تحت هذه الهياكل ينهضون من اجداثهم ويشتكون لا يثاريكم ان امنع
الناس عن المجي الى الكنايس لاكرامهم والسجود لهم لكن بعد ان شرت عليكم بان لا تقتربوا انتم الى الكنايس
ومع ذلك ها هوذا اجساد القديسين المقبورين هناك ساكتين فمن هنا استدل دلالة واضحة على انهم
راضيون بما قلته لكم وشرت به عليكم وهو ايضا دليل على انهم لا يشتهون ان يشاهدوكم وسكوتهم
يدل على انهم لا يستطيعون ان يحتملوكم وعلى انهم يتنجسون منكم ويبغضونكم ويشمازون منكم و
يسرون بعدم اتيانكم الى الكنايس اكثر جدا من ورودكم اليها الغاية كذا مفرقة فهكذا كان قصدي
ان اخاطب اوليك الشباب الغشاة الاقل تهذيبا من غيرهم ولو كانوا اقبلوا اليوم الى استماع وعظي الذين
يظهرون على نفوسهم انهم الشعب الذي قال الله فيه على لسان اشعيا النبي انه الشعب الذي
يغضبني امام وجهي دايما لكن الامر جرى خلافا لما اشتهيت لان هولا الذين يحتاجون الى استماع
كلام الله اكثر احتياجا من غيرهم يكرهون استماعه ولا ياتون الى الكنايس في حين الوعظ ومن ثم رعيا
انني تورطت كثيرا ايها السامعون المباركون في توبيخ من هم اقل استحقاقا الى التوبيخ لكن مع هذا جميعه
قد اضطررت الى ذلك لانه يلزمنا كثيرا ان نفهم جيدا كم ينبغي لنا نحن [illegible] ان نقدم الوقار الى بيت
الله المقدس لانه البيت الذي ينبغي له بالحق الاكرام والاستهابة فقط لكن التقديس ايضا كقول
النبي وذلك لبيت الله ينبغي التقديس وان كان اللصوص والقتلة وغيرهم من المجرمين يحدفون فيها
اي في الكنايس المقدسة امانا وخلاصا من يد الحكمة المدنية اذا ولجوها فلماذا لا نجعل الطاهرين من احتشام
والخضوع وساير الفضايل ما يجدون الامان والسلام ايضا بل السكنى على الدوام في بيعته تعالى حتى اذا
طردت وفرت هاربة من مكان اخر تستقر فيها ساكنة فانتحوا اذا من ذلك جميعه امرا يحويه يسوع لاجل قول
هذه الاسباب الهايلة الراهنة ان يتحرك الى قصاص المخطيين في كنايسه بيده المقدسة

القسم الثاني

العدد ١١

انني سامع بحسن عقلي بعضا منكم وهو المحدق بما تقولونه لي انك انت يا ابانا رجل بسيط وقليل
الحكمة اما شعرت على نفسك ما ساتك بهما في خطابك هذا الذي اوردت فيه على مسامعنا لكونك قد
طردتنا جميعنا من الكنيسة كما ينتج من كلامك واذا اخرجتنا منها ولم نعد راجعين يوما اخر فمن هو الذي
ياتي ويستمع وعظك اما ينبغي لك ان الاجمل في حق الواعظ ان يغض عينيه قليلا ويأذن لكل احد
ان ياتي ويذهب ويجي الى الكنيسة مهما يشا الانسان لكي يكون مصويا من الشعب ويزدحمون على استماع
وعظه اهذا كلامكم يا ايها السادات المكرمون ما احسن التنبيه به وحريا اني اشكر فضلكم واحمد
ولكن ان كان الامر كما قلتم فلماذا لم تسرعوا قبل هذا الوقت وتشوروا هذا الشور على يسوع الذي صنع قبلي
ما انتم تدعونني به على انه رجل ذكي قد دخل الى الهيكل يعلم ويرشد وبعض الشعب مفتطنه كما وفي
عادته المقدسة بغواية لا بصر قلته وقارب البعض في ذلك المكان المدعو اخذ بخصر وجعل على ازدحم
من الهيكل والعلوص هذا لم يكن قلت حكمته بحسب قولكم في جميع الناس الى الاستماع وعظه فاذا لا
تلومونني اذا كنت انا اخذت من قلة حكمة يسوع هذه نموذجا فاني اقول ما صنع ما هو تبارك اسمه قد صنعه
قبلي ... ولكن فلنترك جانبا هذه الاعتراضات الواهية ولنقل ان نظن المحقق عند علمايها المسيحيون

العدد ١٢

انكم اذا كنتم لا تتورعون ان الكنيسة لكي تدنسوها بوجه الاطلاق بخطاياكم او قلة اكرامكم ولاجل ذلك
خاطبتكم بالغيظ الحزين مخوفا لكم اخاف ليلا ان الله احدا ولا احتقره الذي تحرونه حسنا ابن تكلمت ولمن خاطبت
لكن اذا تعرفتم وقتا ما ونويتم ان تاتوا الى الكنيسة بقصد غير صالح فاقول لكم واكرره قايلا انه خيرا لكم ان
تمتنعوا عن المجي الى الكنيسة بالقصد الغير الصالح الذي لا يعرفون كثيرا ما ويدرككم القصاص وذلك حسب
قول ماري بولص الرسول الذي به تنقت معلنا وبكلام صريح قايلا من ينجس هيكل الله يهلكه الله ولتاكيد
ذلك اسمعوا ما قد جرى قول يا ما هذه بسيني قليلة في مدينة كرمونا من اعمال كلادر ياوارتحا انه
لقد كان يوجد في هذه المدينة امراة من نسا اعيانها عارفة بنفسها ان الله تفضل عليها بحسن وجمال
بديع يفوق على ما ثلها في عصرها الا انها كانت تطمع بهذه الموهبة وتستعملها الاهانة الله التي تفضل
بها عليها في كل مكان وعلى الخصوص في الكنايس التي كانت تتبغي منها انها لم تكن تمضي اليها الا لكي تصير آلة
لمشاهدة الناظرين وموضعا للجهة العاشقين وقد انتصت مرارا كثيرة من اصحاب الغيرة ولم تتب
ولاجل هذا ادركها القصاص الهايل الذي اورده الان على مسامعكم وهو انها فيما كانت في ذات ليلة
ما جالسة في محفل عيد ما عند جيرانها واذا بغتة اعتراها اوجاع في امعايها شديدة مع ضاقة بهذا

المقدار حتى انها طفقت لشقاء الاوجاع تصيح وتتمرمر وتتقلب على الارض حتى ان العيد تبلبل الوقت
واستحال فرحه عزاء فحملها قومها الى ذويهم كالميتة الى دارها وحضر تحالا الاطبا الحاذقين في
الليل وشرعوا يعالجونها بالمطولات والمشروبات والموضعيات ليسكن عنها الوجع وكان ذلك كله
عبثا ومن ثم لما يئسوا من شفاها ولا سيما وقد دنت من خطر الموت قالوا انه لم يعد لها شفا الا عند
الكهنة فاسرعوا واتوا براهب ذي حكمة وافراز عظيم مع انها كانت وهي في حال الصحة تحتقرهم وتتعدا
وصاياهم فشرع ذلك الكاهن يذكرها بالاعتراف ولكن بلطف الخطاب وعذوبته ويناشدها ان تنقي
من كل قلبها اباطيلها القديمة المشكلة القروب التي ربما الله تعالى من اجلها انزل عليها هذا العارض بمنزلة
منبه رحيم ينبهها بالتوبة النصوحة اما هي اي تلك المراة فنظرت اليه بعين الغضب وطفقت تبرر
نفسها عن الخطايا بعجرفة عظيمة كانها لم تأثم بشي اصلا ولم تظهر ولا اشارة واحدة من التاسف والخشوع
والندم فافتكر وتنبه الكاهن في انه ملتزم بان يجد في ان يبرهن لها بخطاب مستطيل ويورد لها
شواهد واخبار وقياسات كثيرة لكي يمقت الله تعالى تلك السيرة التي استسلمت بها نحو ذلك الحين قاصدا
بذلك تحريكها الى الاقرار بسوء حالها التي تتأسف عليه نادمة وهكذا صنع فصبرت الامراة صاغية تستمع
كلامه برهة من الزمن ثم تغيرت سحنة وجهها واشتدت سخطا وامتلات همًّا وشرعت تنطق بقحة عظيمة
هذه الكلمات ان اردت ان تسلمني للاله فليأخذني واما ان تركني وحولت ظهرها للكاهن واخذت
تعج كالبقرة بغيظ عظيم ولم تعد تتكلم ايضا فانذا الكاهن من حولها بهذا التملؤ وقاحة الذي هو دليل
قطع رجاها وعاد واستعمل معها كل شي يلتزم به من قبل وظيفته ليعالج تلك العليلة الغير القابلة
الشفا غير انه لما تأمل اخيرا ان لا التهديد يصلح لترهيبها ولا التمليق يفيد لتليين فوادها حزن عليها حزنا
بليغا وتركها فريسة لقساوة قلبها وانصرف عنها فعند ذلك دخل ابوها اليها وظن انها اعترفت اعترافا
كافيا شافيا ورتبت امور نفسها حسنا لانه ابصر الكاهن لم يستقر عندها مدة مستطيلة ولهذا ارسل
بسرعة واعلم خوري الرعية لانه لم يكن اذ ذاك اطلع على ما جرى طالبا منه ان يعجل ويأتي كما هو العادة
بالقربان المقدس ليناولها الزوادة الاخيرة فلم يتباطا الخوري بل حالما استبان الغرض حمل القربان المقدس وتوجه
مقبلا الى بيتها مع جم غفير من الشعب الذي اندهل من حدوث هذا العارض الذي قد صار بغتة اثني
انتهى وهنا ان اكون ذا حرارة في الكلام لكي اختم بقية هذا الخبر كالواجب فعند ما دنا الكاهن ومعه
كاس القربان المقدس الى باب البيت الراقدة فيه العليلة الشقية واذا بريح شديدة هبت بغتة من كوة البيت
الراقدة فيه واغلقت ابوابه الذي بعزم قوي فركض العبيد ليفتحوها لكنهم من الخوف الذي شملهم اضطروا

أن

219

ان يهربوا حالا هاربين لانهم سمعوا في ذلك البيت تخشخشا وقرقعة ودبدبة وجرجرة على الارض ودبدبة
ارجل تسعى وصفق ايدي وعويل ولولة واصوات غريبة مرعبة بهذا المقدار حتى استبان ان ذلك البيت كانه مملو من
صفيرة فتحير الشعب المجتمع هناك لمرافقة القربان المقدس ولم يتجاسروا وتبددوا ومضى كل الى مكانه
اما الخوري فتوقف زمانا منتظرا الغاية ولما لم يرى لها نهاية عاد راجعا الى كنيسته بالقربان المقدس
الذي كان يحمله وضامه على صدره باوفر عبادة هاربا من حيات تلك المرارة المخوفة الذي اعترته و
بعد ذلك بزمن يسير بطل الضجيج وسكن الهلع وتسهل الدخول للعليلة وقاربها ان يفتحوا الابواب
ولكن ما ارهب المنظر الذي شوهد وقتئذ لكونهم عاينوا البيت كله مقلوبا مبلبلا الفرش ممزقة والمخدات
مفتقة والناموسية ممزقة والصناديق ملقاة على الارض مقلوبة والثياب ممزقة محروقة والخواتم
والبغم وجميع المصاغات مكسرة شذر مذر والعطور والمياه الزكية الرايحة منهرقة اما الذي يزيد
الناظر رعبة فكانت حالة المراة المذكورة الحظ لانهم ابصروها ملقاة على الثرى عريانة ميتة بصورة
هايلة في الغاية حتى ان الجميع استطاعوا ان يقرأوا حكم هلاكها مصورا على جبهتها فافتكروا يا معشر
المسيحيين كيف اضحت حالة مرابيها الحزين عند ما شاهد بناظريه هذا المنظر الرهيب فالتمس
من الشبان هناك ان يخفوا هذا الخبر ولا يشهروا صوت الصيت عند الناس ولو تقتضي تلك الجثة
الجهنمية ودفنها في الليل سرا في مقبرة الكنيسة ولكن ما الذي جرى بعد ذلك اتعلمكم تظنون ان
الكنيسة طاقت ان تحمل داخلها جثة تلك التي وهي حية صار لها منها قلة الاكرام والاحترام كلا لم
تحتملها بل حالما الشبان النهار التالي بلغ اباها الحزين خبر بان ابنته اضحت طريحة على باب القبر عريانة
فمضى وحملها وقبرها في محل ما بين حجارة حايطها فنبذتها عنها الارض ايضا خارجا ثم دفنها في الرمل
عند شط البحر وهناك الارض تقايتها ايضا فاحتار عما يصنع ولم يجد مكانا يريح من قدامه تلك
الجثة المعابة وبيما ذكرها اضطرم غضبا وصرخ قايلا ان كان الامر هكذا فلتاتي الشياطين ويحملوا هذا
الجسد الى جهنم حيث ان نفسها هي عندهم فاقبل لوقته الملاعين الجهنميين سريعا وطمس منهم الوقت
جم غفير والتصق كالنسور الذي تنقض الى الفريسة على جثتها المنتنة وحملوها برفقة جهنمية الى جهنم لكي ها
تتقد في اتون النار المؤبدة حيث تحترق دايما خالوا من ان تستحيل رمادا ارايتم ايها الاخوة السامعون
كيف ان ماري بولص الرسول قد اصاب بقوله المقدم ذكره من ينجس هيكل الله يهلكه الله ما احسن ما يعرف
الله اسمه كيف ياخذ الثار من الخطاة متى شاء والحب ليت شعري اما هذا كاف ليخيفنا ويرعبنا كي لا
نعيش مطمانين كانه تعالى عاجز عن ايجاد انواع متعددة لتعذيبنا متى شاء والحب

العدد ١٣

اعتبروا قليلاً ايها السامعون وافتكروا ان هذه الكنايس اللاتي انتم تدخلونها الان وتصلون فيها هي
عتيدة ان تكون بيوتكم الحقيقية حتى انقضا العالم اما القصور التي انتم قاطنون فيها الان فانها تاويكم الى زمن
قليل لانه عندما تنفصل ارواحكم من اجسادكم فللوقت يسعون في اخراجكم منها اخص اقربائكم واصدق
اخوانكم خوفاً من ان تفسدوا الدار بالنتانة الفايحة من جثتكم ويحملونكم اخيراً الى مقبرة الكنيسة
لتستريحوا فيها وليت راحة ترجونها من استحقاق اذ كنتم في هذه حياتكم قد قللتم لها اكرامكم فيها
ولكن الويل لنا لاننا لو كنا نستطيع ان نفتح مقابر الكنايس ونفتشها واحدة فواحدة لكنا نرى انها
خالية من اجساد بعض المسيحيين الذين بذنوبهم استحقوا قد نقلتها الشياطين من هناك لكونهم غير
اهل للدفن في مكان مبارك وحملوها الى جهنم اي الى ذلك القبر العميق الكاين في نصف قلب الارض حيث
هو قبر الراحة لكن قبر السجن قبر الاحزان قبر الشقا بل مكان العذاب الابدي كما سماه الانجيل المقدس
اها ثم اها ترى يوجد فيكم من يجب ان يطرح بنفسه في هذا الحفر الجسيم انني لعارف وناظر ايها السامعون
ان كلامي هذا الصريح يشق على مسامع الكثيرين ويغيظهم لكن كيف العمل فها انا اقول لكم ايضاً
سامحوني ان كنت استعملت الفاظاً جافية وعبارات يابسة لانه يجب علي وعلى جميع الواعظين
الغيورين ان نعمل بايدينا الخصر في هذه المادة ونضرب اقتداءً بيسوع ربنا وان اغتاظ
احد منكم منا فلا يعنينا امر لان الغتب عليه ليت شعري هل يجوز لنا ان نخفي الحق ونحابي معكم
لتتولد من ذلك مضرة لانفسكم لا لعمري فان كان في العالم شرور وآثام فيجب علينا بالاحرى ان
نماري ونصيح سواء اعجب كلامنا او اغاظ والا فماذا يحل بنا امام الله سبحانه وتعالى في يوم الحشر
وباية دالة نستطيع ان نظهر امامه عز وجل ما اكثر الخوف الذي يشتملنا اذ نحابي معكم
في حياتنا لعمري اننا نلتزم ان نحتمل منكم تلك التوبيخات التي صمتنا عنها وليتنا ان نصنعها
معكم في قيد حياتكم ويضطر كل منا ان يتاسف مع النبي اشعيا ويقول باكياً ويلي ويلي انا لاني
سكت ويلي انا لاني سكت لكن اها ماذا يفيد نياح هذا التاسف ان كنا الان نصمت عن
تعنيفكم بحجة وتوبيخكم كالواجب فاذاً انا لا اطلب من احد مدحة وثناء من قبل محاباتي معكم
لكني اقول واكرز الحق لاجل خيركم وخلاصكم الابدي ولو عرفت ان كثيرين منكم ينكدون مني و
يغتاظون علي — والمجد لله دايماً

العظة الرابعة والعشرون

في الثلاثا بعد الاحد الرابع من الصوم المقدس مضمونها انه لا يجوز ان يحكم على الخاطي من ظاهره

الباطني

220

الباطني لانه باطنه لا يطابق ظاهره مطابقة كلية اصلاً لا تحكموا بالمحاباة لكن احكموا
حكماً عادلاً هكذا اعلم ماري يوحنا الحبيب في فصل ٧ من رسالته

ان الحيلة القوية التي يستعملها العدو

الصيادون هو خبيث بل كلية الخبث لان هولاي اذا اصطادوا احياناً طايراً من الطيور التي
تعجبهم يحبسونه في قفص يحرزونه لئلا يفر طايراً وينفقون عليه نفقات جيدة ويجتهدون في ان
يسقونه في مكان مستريحاً مريضاً ويحتفظون به لئلا يخس عليه الاكل والشرب ويرفعونه في
استنشاق النسيم الرطب في اوان موافق ويحفظونه بتنعم وفرح ليستريح به الا العقين
وذلك لكي يكون تنعمه وهو محبوس ليس باقل مما تنعم لو كان طليقاً مسرحاً في البرية تصدر فيه محمدة
الرحمة كلها اليس هم الصيادين الذين يضطهدون الطيور في كل وقت حتى الموت ويبيرون حيناً
يلقون فيها البلبلة والقلق باسلحتهم النارية المرهبة اليس هم الذين يتظاهرون بقتلها واقتناصها
فمن اين اذاً تتولد فيهم هذه المحبة العظيمة وهذا الاعتنا الجزيل مع ذلك الطاير الوحيد المسجون
في القفص فلا تعجبوا ايها السامعون من ذلك لان خبثهم معروف لانهم يعاملون هذا الواجب
مع الطاير المحبوس بقصد ان يجتذب خادعاً بنغمته غيره من الطيور فتسقط في الاشراك التي
قد نصبوها له لانه لا يوجد فيها سوى التمتع بالاكل والشرب واللعب والمزاح وقد تيقنوا انهم
اي الصيادين غالب الاوقات ان يحصلوا على ربحهم لانهم يصطادون طيوراً كثيرة لا تحصى بسبب
الطير الواحد البسيط الذي يحتفظون به ويفرحونه بالاكل والشرب ويحفظونه مستريحاً فعلى
هذا النمط يستعمل الشيطان مع الخطاة حيلاً رفيعة دقيقة جداً ليصطادهم باشراكه
الجهنمية فانه يبذل جهده ومجهوده ليموه عليهم ويجعلهم يصدقوا انه يصنع مرضاتهم دايماً
ويقتبلون منه نفقات جيدة ويصير لهم عنده اعتبار حسن ويعاملهم معاملة جيدة في غيرهم و
ليس يجب ان كان هذا العدو الخبيث يسعد احياناً احداً منهم في هذه الحيوة الزمنية لان نفس ولا
يفلت من اشراكه ويجعله يفوز بخيرات وكرامات فلما يكون ظاهره خطيراً التي كان الفريسيون يفوزون
ويتمتعون بها اما نحن فينبغي لنا ان نمتثل الوصية الحسنة التي اوصانا بها السيد المسيح في الفصل الذي
تلي على مسامعكم اليوم وهو ان لا نكون ممن يحكمون من الظاهر قايلاً لا تحكموا بالمحاباة لكن احكموا
حكماً عادلاً فكانه تعالى يقول لنا هكذا لا تنخدعوا من خارج الخاطي ولا تحكموا ممن ترونه بظاهر الانسان
ظاهره لا يطابق ما في باطنه وقليلاً لا تحكموا بالمحاباة العالم تحكمون ان الفريسيين كانوا في باطنهم
مثلما كانوا يظهرون بالخارج لا لعمري لانهم كانوا في ظاهرهم قديسين ومتعففين وفي باطنهم

متحمرين بغيظاً وحقداً وحسداً ومن ثم فهذا الذي علمهم ان يصدقوا الشيطان بسرعة لما يقول
لكم انه يجعلكم تعيشون فرحين مرضيين اذا اردتم ان تتشبكوا باشراكه لا تصدقوه فانه يكذب
ويخبث عليكم ازدروا بتصفيره واضحكوا على تملقاته لانها غاية تقصد خيانتكم وها انا مستعد
البرهان ايضاً لكم انه ان كان ليس لنا عنان اخر يبعدنا عن الاثم والخطا فيكفينا هذا فقط وهو ان
نتامل كم هو شقي ورديء باطن كل خاطي وان اثرتم ان تتحققوا ذلك فاصغوا جيداً لما اورده الان
على مسامعكم قايلاً … ولا احد يمكنه ان ينكر قايلاً انها ليست بعظيمة جداً
الاوجاع التي تعتري بها المراة الحامل حتى انها لكن حالما تلد تفرح بمشاهدتها نفسها قد صارت اماً سيما ان كان
المولود ذكراً لعمري انها تفرح فرحاً بهذا مقداره حتى انها تنسى للوقت اوجاع الطلق الماضية كقول
الانجيل انها لا تذكر الشدة من اجل الفرح غير اني لست اريد ان تتوهموا ايها الاخوة المباركون انه يتفق هكذا
ايضاً حينما تلد النفس الخاطية غير انها مع ذلك تحصل بعد ولادتها ذلك الاثم على حزن وغم وعذاب
ضمير هذا مقداره حتى انها تنسى لوقتها كل اللذة الماضية وبهذا خلاف ما قال الانجيل انها لا تذكر
الفرح من اجل الشدة وهذه الحقيقة ليست هي ابتداعاً مني او وصفاً بمجرد التنسي لحسن معناها
العذب لكني استفدتها من ذلك الاب المعظم الذي نحن مديونون له اكثر من ساير الاباء القديسين فيما
تعليمه عنه في مواعظه لقد كنت متصفاً بشرحاً منها اعني به القديس يوحنا الذهبي الفم لانه هكذا
قال في عظته الرابعة عشر على رسالة رومية ان النسا يحدث لهن قبل الولادة وجع عظيم وتعب جسيم وبعد
الولادة يتبعه لهن فرح جزيل وراحة وفرح اما فعل الخطيئة فليس هكذا لاننا نفرح ونلتذ في حين
ميلادنا الخطيئة لكن اذا ما ولدنا … الخطيئة ابنة الشرور ونلنا نتانة المولود فنتعذب ونحزن
اكثر من … ولعمري انني لا اظن انه يمكن بسهولة ايجاد حقيقة اخرى
يتفق فيها الجمهور الكتبة المسيحيين والوثنيين والكنائسيين والعالميين سوى هذه الحقيقة
وهو انه لا يمكن ان يوجد في العالم عذاب يوازي عذاب لذع الضمير الشرير … ما قولكم يا معشر المسيحيين
في عذاب النفس الشريرة … ومع ذلك قد استعمله اوبيديوس الشاعر الوثني بالنسبة الى العذاب
الذي يصدر من لذع الضمير الشرير … ومع ذلك لقد فضل عليه
هذا ايضاً … الشاعر الوثني عذاب لذع الضمير الشرير … مع انه كان منصباً الى اللهو
والعبث … لانه قال هكذا الاشقيا … الضمير … الحسيات … النصح
لقد قال هكذا … الاشباح التي … انها كانت تظهر قديماً … الناس … ايضاً قد

كانت

كانت حكايات واختراعات الشعرا باسرهم تشبه الذنوب والاثام التي هي تعذب المنافق عوضاً عن
الاشباح المذكورة وماذا اقول عن بلوترخوس وسينكا وافلاطون الفلاسفة الذين … عما نقلن
بقراءتهم انهم ما صدقوا بانه يمكن ان يكون للخاطي عقاب اعظم من نفس خطيته لانهم قالوا هكذا ان
بمجرد الخطا وحده هو اعظم عقوبة للخطايا الكبر فلندع جانباً هولا العلما الوثنيين ونأتي بذكر العلما
الواجب لهم اعتبار اكرامهم اعني الابا القديسين فنقول ان شئتم ان تعلموا ما كتبه القديس غريغوريوس
الجزء الاعظم فاسمعوا وافهموا جيداً على انه هكذا قال انه ليس في شدايد النفس الكثيرة ولا في …
القيود … عذاب اعظم من لذع الضمير وقال القديس ايسيدوروس انه لا عقاب اثقل من الضمير الشرير
ومثله قال القديس برنردوس ليس عذاب يشابه تعب الضمير وقال القديس امبروسيوس هكذا اي عذاب
اشد من جرح الضمير الباطن وقد طابقهم ايضاً كثيرون من الابا في هذا القول ولكن ما بالنا محتاجين
في ايراد الشواهد من العلما الطبيعيين والابا القديسين والحال ان الاسفار المقدسة الالهية ترسم
لنا ذلك رسماً حياً سو حال الخاطي تارة بشخص ادم الذي كان يرتدع من كل صفقة تحدث من النسيم
الذي كان يسمعه في الفردوس الارضي بعد مخالفته وصية الله واحياناً بشخص قاين هذا الذي حينما اخبر
عن ان … كانت ترتجف عند حركة كل ورقة اشجار الغاب وطوراً بشخص لامك الذي اقر اختيارياً
من ذاته باثم القتل الذي ارتكبه سراً خالواً من ان يدعي به عليه احداً ويشتكي عليه المقتدر بل خالواً
من ان يدعي به اصلاً وماذا نقول عن داود ذاك الذي بعد ان كان انتصب مقابلاً جليات الجبار في الحرب
غير متزعزع وكان قد اخنق بيديه من غير سلاح الاسود وشق الذياب … بعد ان ارتكب الفسق مع
بتشابع اضحى ضعيفاً جباناً بهذا المقدار حتى انه استهاب جندياً دنياً لا يعد شيئاً اعني به اوريا ومن
ثم يسأله ههنا القديس يوحنا فم الذهب مستفهماً قايلاً اين قوتك يا داود اين بطشك وبسالتك
الغريبة اما انت ملك اما لك تخضع الوحوش والجيوش اما انت متقلد بالسيف على فخذك وتخيف به
الجميع ما بالك اذاً خايفاً حتى ولو اطلع اوريا فيما بعد على العار الذي صنعته مع زوجته فانت ماذا
عليك ثم يجيب الذهبي فمه نفسه على سؤاله ويقول انظروا ايها الاخوة واعجبوا كم هو شقي وقوي انقلاب
الخطا الملك فان … هذا الخوف هو من مفعولات الضمير المتعكر والنجس
من وقع الخطا … ويوجد ايضاً في الكتب المقدسة اخبار اخر لا تحصى … العذاب
الذين تسببها الخطيئة في قلب الخاطي ومن هنا نفهم … ان يصدر … شاول الملك …
وغيرهما … فهذه كلها كانت تاثيرات تعب الضمير وتعسه وكذلك الرعبات

جدًا بهذا المقدار فليت شعري ماذا يحل بمن هو دونه اقل قساوة منه سيما المسيحي و بالاخص من
ذلك الكاثوليكي نظيرنا فالويل لنا اذ انه ليس الاثام الثقيلة المفعولة منا فقط بل اخف المظالم و
اصغر ساير الخطايا سوف تنتصب بازايبا بهيئة هايلة مخيفة بهذا المقدار حتى انها تجعل الدم
يجمد في مفاصلنا اذا تفرستم البحر وهو هادي ساكن فترونه رايقًا صافيًا لامعًا جدًا حتى انكم
تحكمون على عمقه انه خال من الدنس ولكن عودوا وتفرسوا به في حين هيجانه بالزوابع فما
انكم تراون على سطحه من الدنس والوخم لانه يقذف كل شي فيه من الاثقال يطفوا على وجهه
ويبان وفور وخمه ودنسه اخبروني عن التسمية التي خص بها موت الخطاة في الاسفار المقدسة
اما سمي زوبعة اي نعم هكذا اسماه ايوب الصديق بقوله تموت بالزوبعة نفوسهم حسب النسخة
اللاتينية فاذًا ليس بعجب ان كان في ذلك الحين يطفو على وجه الخطاة اعمق الاثقال واعكرها
كافةً اعني بها الكذبات والاحقاد والغشوش والرياء والاباطيل والنجاسات اذ ان هذه جميعها
لعمري تنتصب بادية امام بصاير عقلهم ومن هنا استنتجوا ماذا يصير بهم في ذلك الحين من
الاسفاه عليهم فانه ليس تضيق بهم نفسهم فقط وتضجر ودنيا بل تصير لديهم مبغوضة
ممقوتة في الغاية يخبرنا الكتاب الالهي عن شاول الملك انه لما انكسر من الفلسطانيين في اليوم الاخير
من الحرب القي على قارعة الطريق جريحًا للموت من الحربة التي كان هو غرزها بيده في صدره من
الياس الذي شمله ولما لاحظ انه لم يبلغ بعد من الموت وابصر شابًا عماليقيًا جايزًا من قربه فناداه بصوت
المنازع وطلب اليه ان يرحمه ويتمم قتله لان الضيق كان حاق به ولم يكن يعرف كيف ينجو منه بسرعة
قايلًا له قم علي واقتلني لانه ضاقت بي ليت شعري ما هو هذا الضيق الذي حاق به ومن اين صدر له
هل كان ضيق الجسد ام النفس هل صدر له من الناس ام من الشياطين فمن كان عارفًا بالجواب فليخبرني
وان قلتم لا نعلمون ذلك فانا اجيب على سوالي هذا واقول ان الضيق الذي حاق به كان بالنفس وقد
صدر له من قبل الكهنة الذين كان قتلهم وذلك لانه على ما ترجمت المفسرون المؤيدون من الروح
القدس لما كان شاول حاصلًا في اخر نسمة من حياته استبان له انه ابصر كهنة نوبا الذين قتلهم
ظلمًا قد وثبوا عليه وكانوا يضيقون على نفسه ضيقًا عظيمًا غير مطاق طالبين الانتقام منه امام منبر
الله العادل ولكي تفهموا ذلك جيدًا اسمعوا كيفية هذا الخبر لانه خبر باهظ رهيب جدًا اعلموا انه لما
كان شاول يضطهد داود ويبحث عنه ويتبعه من مكان الى مكان اخر فبلغ في احد الايام هاربًا
ومتعوبًا الى اخيمالك عظيم كهنة نوبا فقبله وصنع معه معروفًا وقدم له خبزًا ناكل ثم اعطاه سلاحًا

ليحتمي

224

ليحتمي به من سخط شاول في حين الاحتياج واضطره فابصر ذلك صدفةً واتفاقًا واحد من
عبيد شاول المنافقين فحمل الخبر بسرعة ونقله الى شاول مولاه رغبةً في ان يحصل عنده في حيز
القبول والرضى باشتكايه على اوليك الكهنة الصالحين وذلك حسبما الوف العادة المرذولة
الجارية في ايامنا هذه ايضًا عند عبيد الحكام الذين يقصدون اقتباس المحبة والتقدم لدى
مواليهم بنقل اخبار خصايمهم اليهم فيما بينهم اما شاول فاتقد بنار الغضب لما سمع هذا الخبر و
استدعا اليه حالًا اخيمالك مع جميع كهنة الذين كانوا ٨٥ كاهنًا بالعدد ونظر اليه بعين الغضب
والشراسة قايلًا له انت اويت داود عدوي وصنعت معه معروفًا فاجابه اخيمالك للوقت
قايلًا ومن هو من عبيدك امين مثل داود واحكم منه في السلام واجرع منه في القتال حاشاي ان اطرده
اذا ما جا الي لقد اويته وسوف اويه ايضًا لانه بار ويخشى الرب قال له شاول الهالك ايها
الخاين هل انت ايضًا متواطي على استلاب الملك مني هو ذا انت تقادمت فتوفي النار تموت انت
وجميع بيتك ثم التفت الى جنوده وانتهرهم قايلًا استلوا سيوفكم ايها الجنود واستديروا
واقتلوا كهنة الرب ولكن ماذا تظنون ايها السامعون هل اتبع احد منهم واجترأ على ان يمد يديه
على اوليك الرجال المقدسين امر الكهنة كلا ومن ثم لما ابصر الملك ذلك التفت الى ذاك العبد
الشرير الذي كان وشى بهم اليه وكان اسمه دواغ وامره ان يستل سيفه ويقتلهم فمنيا بتقطيعهم وطاع
هذا المنافق لوقته وما احتاج الى ان يكرر عليه الامر لكن لما ابصر ان سكوتهم سرته الملك ولحقتهما
مجدًا لنفسه اذ فعلت هذه المفعولات الباهظة المستغربة فلم يخش من ان يتوسم بوظيفة
الجلاد لينوه له حبًا وقبولًا عند سيده وعلى هذا المنوال بلغ شاول الى هذا الجنون وهو شاهد له
٨٥ كاهنًا يستقطون في وقت يسير قتلى امام قدميه لابسين باجمعهم ثياب الكهنوت المقدسة
وما اراد ان يسمع اعتذارهم ولا رحمهم بكلامهم ولا رق على طلباتهم فهذه هي نتيجة الخبر فلنعد الآن
راجعين الى ما كنا في صدده فنقول مع مفسري الكتاب المقدس ان شاول لما بلغ منتهى اجله تصور
امامه اوليك الكهنة لابسين حلة الكهنوت ومضرجين بدمائهم واثبين عليه يتهددونه على ظلمه
وما سكنت نفسه في صدره الى ان تخرج من جسده بسرعة بل نزاع ضعيف بطي وذلك ليزداد
عذابًا وتحسرًا وضيقًا ولاجل هذا قال للشاب العماليقي المقدم ذكره قم علي واقتلني لانه ضاقت
بي ولان نفسي كلها بي وقولنا المذكور مع مفسري الكتاب المقدس هو مطابق جدًا للنسخة
العبرانية التي يقال فيها هكذا قم علي واقتلني لانه اضاقت بي اثواب الكهنة وما هو المدلول

خطاياكم ينبغي ان تريض ضمايركم روعًا وحزنًا وسجسًا هذه لعمري هي تلك الكلوم الغير الموجعة التي
سماها اغوستينوس المعظم الدالة على خفية هذه هي الاسقام الغير المنعية التي اصابتها الذهبي فمه
هي الاعظم ضررًا هذا هو السكون المردي عن كل سكون الذي نصحنا ايرونيموس ان نزدرعه السفينة غير
انني فالست استهين بكم بهذا المقدار حتى انني احسبكم كانكم ادتم تشهدون على نفوسكم اي انكم
تشعرون بلذة وراحة باستعطافكم ربكم لانه ابو يشهد وقال من هو الذي استعصب عليه فكان
سالمًا لكن مع ذلك اقول لكم انه وان كنتم تشعرون بلذة وراحة فاعلموا يقينًا ان هذه لا تدوم معكم
زمانًا طويلًا بل تستمر معكم ما دمتم واثقين بشبوبيتكم وصوتكم وتحسبون الموت بعيدًا منكم غير مفتكرين
فكرًا عميقًا بصرامة الحساب الموافي عليكم ولا بشدة العقوبات الجهنمية التي سوف تدرككم لكن اذا ما
اخذتم تفكرون في نفوسكم انكم دنوتم من عواقبكم هذه المرعبة المضغطة فلا كثر ما تختلف حالكم
لانكم حينئذ لا تحسون فقط بانتشكم بالدغات والرهبات التي تيابكم الان هادية ساكنة لكنكم
تستشعرون بها باعظم شدة وعذاب وذلك نظير الفورة المقيدة بالقيود زمانًا مستطيلًا فهذه
اذا فلتت منها تضحي اقسى زيدًا واقترابًا مما كانت في جريتها السابقة الطبيعية وتمضي بغيظ ابلغ
مما مضى ولتحقيق ذلك اصغوا لما اورده على مسامعكم فاقول

العدد

من ذا يمكنه يحصي المآتم و
الجرايم التي افتعلها ذاك الملك الملقب بالشريف اعني به انتيوخوس الذي قد ذكره دفعات كثيرة في
سفري المكابيين فهذا الملك المنافق قد كان دخل بجيش عظيم مدينة اورشليم وتوجه مستقيمًا
الى الهيكل واختطف منه كل شي كان يحتوي عليه من الانية والامتعة والقناديل اي مذبح الذهب والمنارة
الذهبية والشماعدين وساير الاواني والامتعة الفضية والذهبية التي كانت تستعمل لخدمة الله
ثم خرج من سوطاق المدينة وصنع مقتلة وملحمة عظيمة في شعبها فنهب بيوتًا باسرها واستلب اموال
العامة وجميع الخزانات الخفية ولانه ما كان يستطيع ان ينقل معه اسوار المدينة فحرق جزوا منها وهدم
الباقي الى الارض وما اكتفى بهذه المظالم لكنه اجتهد مجدًا في ان يبعد من عبادة الاله الحقيقي جميع
اوليك الذين كانوا نجوا من السيف والنار بالهزيمة لانه نخاهم بارهاب زمرهم ان يختنوا اولادهم بحسب
السنة ونجس ذبايحهم الطاهرة بذبايح دنسة وابطل اعيادهم بطقوس وثنية ورفع لهم على
مذبح القدس صنمًا ممقوتًا وارغمهم جميعًا بان يضحوا له في حين بعد حين اطفالًا وبنات مذبوحة
واحرق [illegible] كي ينزعهما عن ذكرهم كليًا واخترع لهم شريعة اخرى مشحونة من النفاق تضاد
شريعتهم [illegible] المنزلة من السما في طورسينا فبعد هذا العمل وارتكابه هذه الرجاسات كلها لان

سكان

223

كان ينغص ضميره ولا اعلم غير انه من المعلوم انه عاش بعد هذا الصنيع بضعة سنين خاليًا من تجسس
وروع بل قضاها في رخامة بها وطمأنينة على الدوام ووثق بنفسه انه سيرتفع بعظمته وقدرته اعظم
ارتفاعًا حتى انه يجعل السفن تسير حيث هو اليبس والعجلات تسحب في الجبل على حيث هو البحر
وهذا المقال تاييده شهادة السفر المقدس القايل كان يحتسب للتكبر انه يصير البر مسيرًا بالسفن والبحر
مطرقًا بالمشي لارتفاع قلبه ولكن كيف صار بنا فيما بعد هل قدر ان يقاوم عند دنو اجله لدغات
الضمير المرة التي كان سابقًا مموهها عنه لعمري لم يقدر بل لما انطرح على الفراش اعتراه تحسر وغم
اوجب قلبه بهذا المقدار حتى انه استدعى اليه جميع اشرافه واحبابه وطفق يحزن ويكتئب باكيًا لهم
قايلًا قد تنهدت الان اذكر والويل لي اي شي تذكر لهما الملك السعيد اعساك تذكر عظايمك وغلباتك
الجليلة اجاب كلا انني اذكر الاثام التي ارتكبتها الان اذكر الشرور التي عملتها في اورشليم
فقالوا له يا ملك الزمان اهذا وقت افتكارك باشيا محزنة وانت عليل فالاجدر بك ان
تتهذى بافكار مفرحة واشباح مطربة اذكر الجيوش الكثيرة التي كسرتها والغنايم الوافرة التي جمعتها
اذكر انك جعلت مصر القاهرة تعطيك الجزية كمولاها اذكر انك استعبدت لذاتك كل بلاد
فلسطين اذكر ان سوريا كلها ارتعبت من بطشك وخضعت لك طايعة اليس انت الذي
في وقت واحد املا باربع اجواق من الجنود بلاد اسيا كلها واوعب شعوبها رعبًا وافرض
شرايع قد بلغت حتى الى اخر سكان النيل هو ذا بل هو الان اسير لك تلك المدينة المعظمة
التي اعتلت بمجد وفخر على المسكونة كلها ولك هي انطاكية وسوسا ولك هي خزانات شعوب
لا يحصى عددهم ولك هي الغنايم الوافرة التي حصلت عليها بقوتك من امم اجنبيين كانوا سابقًا
عاصين على الملوك سلفايك ما بالك اذًا لا تبتهج بهذه كلها وتفرح اجاب قايلًا اهًا اهًا لست
اذكر من هذه شيًا لكني اذكر الشرور التي عملتها وفي شرح هذا الخبر ان يعدد جرايمه الثقيلة التي
اجترمها في اورشليم وضد شعب اسرايل وهي انواع الاختطافات والمظالم والقساوات و
السرقات وافتر يدعو انا سور استحقاقه واخيرًا اقر بالامه وضيقاته الباطنة بهذه الالفاظ قايلًا
طار النوم من عيني وسقطت ودهشت بقلبي للاهتمام وقلت بقلبي ما اشد الضيقة التي
اصابتني واي امواج حزن انا فيه الان وقد كنت مسرورًا ومحبوبًا في قدرتي فلنتج من هذا
النموذج ونقول انه كان هذا الرجل الكافر الغير المومن والمتكبر والمحتقر جميع الشرايع وقواعد الضمير
[illegible] ان يلقي عنه نخس الضمير ولدغه في اخرته بالرعبة والقلق والكآبة الكلية اجريلا

جدًا بهذا المقدار فليت شعري ماذا يحل بمن هو دونه اقل قساوة منه سيما المسيحي وبالخصوص من
ذلك الكاثوليكي نظيرنا فالويل لنا اذ انه ليس الآثام الثقيلة المفعولة منا فقط بل اخف المظالم و
اصغر سائر الخطايا سوف تنتصب بازائنا بهيئة هائلة مخيفة بهذا المقدار حتى انها تجعل الدم
يجمد في مفاصلنا اذا تفرستم البحر وهو هادي ساكن فترونه رايقًا صافيًا لامعًا جدًا حتى انكم
تحكمون على عمقه انه خالٍ من الدنس ولكن عودوا وتفرسوا به في حين هيجانه بالزوابع فما
اكثر ما ترونه على سطحه من الدنس والوخم لانه وقتئذٍ كل شي فيه من الاثقال يطفو على وجهه
وبيان وفور وخمه ودنسه اخبروني عن التسمية التي خص بها مرة الخطاة في الاسفار المقدسة
اما سمي زوبعة اي نعم هكذا اسماه ايوب الصديق بقوله تموت بالزوبعة نفوسهم حسب النسخة
اللاتينية فاذًا ليس بعجب ان كان في ذلك الحين يطفو على وجه الخطاة اعمق الاثقال واعكرها
كافةً اعني بها الكذبات والاحقاد والغشوش والرياء والاباطيل والنجاسات اذ ان هذه جميعها
لعمري تنتصب بادية امام بصاير عقلهم ومن هنا استنتجوا ماذا يصير بهم في ذلك الحين من
الاسف عليهم فانه ليس تضيق بهم نفسهم فقط وتضجر دونها بل تصير لديهم مبغوضة
ممقوتة في الغاية يخبرنا الكتاب الالهي عن شاول الملك انه لما انكسر من الفلسطانيين في اليوم الاخير
من الحرب التي على قارعة الطريق جريحًا للموت من الحربة التي كان هو غرزها بيده في صدره من
الياس الذي شمله ولما لاحظ انه لم يبلغ اربه من الموت وابصر شابًا عماليقيًا جايزًا من قربه فناداه بصوت
المنازع وطلب اليه ان يرحمه ويتمم قتله لان الضيق كان حاق به ولم يكن يعرف كيف ينجو منه بسرعة
قايلًا له قم علي واقتلني لانه ضاقت بي ليت شعري ما هو هذا الضيق الذي حاق به ومن اين صدر له
هل كان ضيق الجسد ام النفس هل صدر له من الناس ام من الشياطين فمن كان عارفًا بالجواب فليخبرني
وان قلتم لا تعلمون ذلك فانا اجيب على سوالي هذا واقول ان الضيق الذي حاق به كان بالنفس وقد
صدر له من قبل الكهنة الذين كان قتلهم وذلك لانه على ما زعمت المفسرون المؤيدون من الروح
القدس لما كان شاول حاصلًا في اخر نسمة من حياته استبان لديه انه ابصر كهنة نوبا الذين قتلهم
ظلمًا قد وثبوا عليه وكانوا يضيقون على نفسه ضيقًا عظيمًا غير مطاق طالبين الانتقام منه امام منبر
الله العادل ولكي تفهموا ذلك جيدًا اسمعوا كيفية هذا الخبر لانه خبر باهظ رهيب جدًا اعلموا انه لما
كان شاول يضطهد داود وبه يفتشون وجيبه من مكان الى مكان اخر فبلغ في احد الايام هاربًا
ومتغربًا الى اخيمالك عظيم كهنة نوبا فقبله وصنع معه معروفًا وقدم له خبزًا ياكل ثم اعطاه سلاحًا

ليحتمي

ليحتمي به من سخط شاول في حين الاحتياج واعرض فابصر ذلك صدفةً واتفاقًا واحد من
عبيد شاول المنافقين فحمل الخبر بسرعة ونقله الى شاول مولاه رغبةً في ان يحصل عنده في حيز
القبول والرضى باشتكايه على اولئك الكهنة الصالحين وذلك حسب العادة المرذولة
الجارية في ايامنا هذه ايضًا عند عبيد الحكام الذين يقصدون اقتباس المحبة والتقدم لدى
مواليهم بنقل اخبار خصمايهم اليهم [illegible] اما شاول فاتقد بنار الغضب لما سمع هذا الخبر و
استدعا اليه حالًا اخيمالك مع جميع كهنة الذين كانوا ٨٥ كاهنًا بالعدد ونظر اليهم بعين الغضب
والشراسة قايلًا له انت اويت داود عدوي وصنعت معه معروفًا فاجابه اخيمالك للوقت
قايلًا ومن هو من عبيدك امين مثل داود واحكم منه في السلام واجرع منه في القتال حاشا ان اطرده
اذا ما جا الي لقد اويته وسوف اويه ايضًا لانه بار ويخشى الرب قال له شاول الحال موتًا ايها
الخاين هل انت ايضًا متواطئ على استلاب الملك مني هو ذا انت قادم الى توفيق التار تموت انت
وجميع بيتك ثم التفت الى جنوده وانتهرهم قايلًا استلوا سيوفكم ايها الجنود واستديروا
واقتلوا كهنة الرب ولكن ماذا تظنون ايها السامعون هل ارتفع احد منهم واجترا على ان يمد يديه
على اولئك الرجال المقدسين اي الكهنة كلا ومن ثم لما ابصر الملك ذلك التفت الى ذاك العبد
الشرير الذي كان وشى بهم اليه وكان اسمه دواغ وامره ان يستل سيفه ويقتلهم مهما يستطيعهم قطاع
هذا المنافق لوقته وما احتاج الى ان يكرر عليه الامر لكن لما ابصر ان سكوت سريرة الملك ولحقته بها
بجد لنفسه اذ فعلت هذه المفعولات الباهظة المستغربة فلم يخش من ان يقوم بوظيفة
الجلاد لينود له حبًا وقبولًا عند سيده وعلى هذا المنوال بلغ شاول الى هذا الجهنمي وهو شاهد له
٨٥ كاهنًا يستقطون في وقت يسير قتلى امام قدميه لابسين باجمعهم ثياب الكهنوت المقدسة
وما اراد ان يسمع اعتذارهم ولا رحم بكاهم ولا رق على طلباتهم فهذه هي نتيجة الخبر فلنعد الان
راجعين الى ما كنا في صدده فنقول مع مفسري الكتاب المقدس ان شاول لما بلغ منتهى اجله تصور
امامه اولئك الكهنة لابسين حلة الكهنوت ومضرجين بدمائهم وانتصبوا عليه تهددونه على ظلمه
وما سكين نفسه في صدره التي لا تخرج من جسده بسرعة بل نزاع ضعيف بطي وذلك لكي يزداد
عذابًا وتحسرًا وضيقًا ولاجل هذا قال للشاب العماليقي المتقدم ذكره قم علي واقتلني لانه ضاقت
بي وان نفسي كلها بي وقولنا المذكور مع مفسري الكتاب المقدس هو مطابق جدًا للنسخة
العبرانية التي يقال فيها هكذا قم علي واقتلني لانه اضاقت بي اثواب الكهنة وما هو المدلول

بأثواب الكهنة كما قد شرحناه مع مفسري الكتاب المقدس فاستنتجوا الآن يا أيها الاخوة السامعون
مما تقولونه أن الظالم انه هكذا يجري على جميع الخطاة ليت شعري ما أرعب المناظر وما أهول الصور
التي تنتصب بإزاء عقلكم حينما تكونون منطرحين بنزاع شاق على الفراش لانه كما انه تنتصب امام
شاول الكهنة المذبوحون هكذا تنتصب امام البعض من الخطاة أولئك الفعلة والأجراء الذين
دغلوا بأجرتهم وآخرون تنتصب امامهم الفقراء الذين اصرفوهم خائبين من احتياجاتهم الشاقة وقوم
تنتصب امامهم الشباب البسيطون الذين خدعوهم وساقوهم الى الشر بمشوراتهم السيئة والبعض
تنتصب امامهم أولئك العذارى اللواتي افتضوهن وفضحوا بكارتهن وغيرهم تتصور امامهم
الابرياء الذين خفضوا شانهم بتهماتهم الكاذبة وآخرون تنهض مقابلهم الكهنة والرهبان الذين جعلوهم
سخرية وهزأة لهم في المحافل والجمعيات واستنتجوا من ذلك هل يضطرون ان يصرخوا مع شاول يا ليلا
ضاقت بنا ضاقت بنا ولكن ما بالي قلت هل يضطرون أن يصرخوا والحال انهم سيصرخون لا محالة
ويتوجعون لان القديس يوحنا الذهبي الفم هكذا يقول انه وان كان الضمير يلدغنا دائما بسبب
خطايانا الا انه عند خروجنا من العالم يزداد لدغه أكثر جدا لانه ان كان احد سرق في مدة حياته
او مكر او شتم فيتكرر درس مجمع الخطايا كلها ويستحضر لدى الاعين وينزع العقل وتخسر من هنا مثل
هذا القديس المغبوط حال الخاطي القريب من الموت بحال المجرم الممسوك في السجن ليقتل فقال لا
ريب في ان المسجون يقضي ايام سجنه بانزعاج وخوف وحزن بليغ لكن حتى يتوارد عليه ذلك ففي
الليلة المتقدمة على احضاره امام القاضي ليفحص عن دعواه ويقضي عليه بالعقاب فتروه في
سائر الايام الماضية يلتهي ويمرح ويضحك ولو قليلا مع اصحابه ولكن اذا بلغه الخبر انه في اليوم
التالي يضطر ان يظهر لدى القاضي ويفحص عنه بالتدقيق ويقاسي العذاب فيضطرب جدا ولا يعود
يمكن ان تغمض له جفن في تلك الليلة بل تتردد ذاته في عقله في كل دقيقة وتتصور امامه الجلادون
والحبال والعصي والسيوف والخازوق والمشنقة وما ضاهى ذلك من آلات العذاب والقتل هكذا
قال القديس الذهبي فمه انه تتفق للخطاة عندما تدنو ساعة موتهم ولعلكم لم تتحققوا ذلك أيها
السامعون مما جاء في الاخبار ايضا التي بها سمعتم انه يذكر عن المناظر المرعبة التي كانت تزعج احيانا
كثيرين من المسيحيين في ساعة موتهم نظير ما ذكر عن ذلك الرجل المسكين الذي كان يبان له انه
يشاهد اسدين يهجمان عليه ليفترساه باظفارهما وآخر كان يبصر دبابا ايضا تحت التخت وآخر
كان يعاين ذيبا يجول حول فراشه وآخر كان يشعر بنهر نار منحدر من العلا ليغرق البيت الساكن

فيه

225

فيه فانا عارف ان هذه الاشياء هي اشباح يصورها الشيطان بازاء العليل ليرهبه واحيانا آخر تصدر
من المرض الذي يتلف المخيلة ويجعلها ان تتخيل بمثل هذه الصور الهايلة لكن مع ذلك جميعه هي
ايضا مرار شتى هي تأثيرات الضمير الشرير المتجسس من ثقل الخطايا الذي يبان له انه دفع من الله تعالى
لافتراس هذه الوحوش الضارية بمنزلة خدام عدله الالهي قصاصا للخطايا فلنعد راجعين الآن
الى موضوعنا الاول ولنتأمل ماذا يفيد الخاطي اذا اجتهد ان يسكن الى زمان ما مع هذه الوحوش القاسية
التي تمزق الضمير اذ كانت تقوم فيما بعد وتمزقه بقساوة اعظم فلتصنع الخطاة مهما يريدونه
نعم انهم الآن يسكنونه بهدوء الآن ستأتي ايام اما في حياتهم اما عند مماتهم يلتزمون ان يحسوا
بنهش الضمير المر الشاق والغير المطاق لكن يا للعجب من كوننا نحن انفسنا نجتنب التنعم الكثير بالمآكل و
المشرب والرقاد ليلا تعترينا الاسقام التي تعقب التنعم الكثير كالبرص والاستسقا والجرب والفالج و
الحمى وداء الملوك وما شابه ذلك فلماذا لا نتجنب ذلك الخطايا ايضا ليلا نقع في لدغ الضمير ونهشه
الذي هو بموجب رأي جميع العلماء الوثنيين والمسيحيين والآباء القديسين أصعب من جميع العذابات
انما ارادت ابيغال الحكيمة ان تسكن سخط داود وتصده عن الانتقام الذي كان ذاهبا متسلحا

العدد ٦

ليصنعه مع نابال بعلها طلبت اليه كثيرا واعتذرت عنده كثيرا وقدمت اسبابا وحججا كثيرة لان
السبب الاقوى من جميع الاسباب ذلك الذي قد لين قلبه اخيرا وسكن سخطه فقد كان كلامها
هذا اذا ما صنع الرب لسيدي جميع هذه الخيرات التي ذكر عليك وجعلك مدبرا لاسرائيل لا يكون
لك هذا لاهتياج ولغيرة قلبك ان تكون انتقمت لك فكأنها تقول له هكذا انني ارى يا سيدي ان
بعلي استحق العقاب والقتل لكن اذا ترأفت عليه وصفحت عنه لا يكون لك يوم تحزن وتغتم فيه
اما الآن تتحسر من كونك اغضبته بهذا الفعل من السخط ولا يكون في قلبك عذاب وحسرة ولا في ضميرك
لدغ ان تكون انتقمت لنفسك لا يكون لك ذلك لاهتياج ولغيرة قلبك هكذا انا اقول لكم ايضا يا معشر
المسيحيين المباركين الذين تقبلون كل يوم بنشاط حسن ممدوح الى الاستماع وعظي انه ان وجد
احد فيكم يهجس الآن بالانتقام من غريمه او يدرس كمينا على عفة احدى العفيفات او يفكر بربح
ما غير محلل او يقصد فعلا آخر مضادا لناموس الله تعالى فاقول له قف عندك ايها المسيحي لا تدع شهوة
نفسك تعمي بصيرتك ليلا ترى ما سيأتي تغرر في الآتي فان هذه اللذة التي تتوقعها من خطيئتك
تزول سريعا ومثل الحلم تطير فلا توجد حسب رأي ايوب الصديق ولكن بعد ذلك ما ألم الحزن
الذي يعقبها ما اكثر الاضطراب والاهتياج اللذان يصدران منها وبعكس ذلك ما ألم الحزن الذي

يقتضيها اذا تجنبت حبًا بربك هذه الخطية ما اعذب السلامة التي تكون لك وان لم تحصل على
راحتها من اجتنابك الخطية فيكفيك هذا اي انه سياتي اليوم الاخير الذي سماه ابن سيراخ يوم
الانقضا الذي فيه تنقضي اللذات وتنتهي الارباح ويزول العز والجاه وتلتزم ان تحضر امام عرش ربك
عريانًا وما اعظم الفرح الذي تفرح به اذ كنت الان امتثلت كلامي وقبلت مشورتي لا يكون لك
هذا الاهتياج وحصر قلبك ان كنت فضلت على هوى العقل الحس وعلى الجسد الروح وعلى الخالق
الخليقة لا يكون لك الاهتياج ان كنت اصرفت فضتك باستعمال باطل لا يكون لك الاهتياج ان
كنت اسعدت عيلتك بطرايق زايفة عن الحق لا يكون لك الاهتياج ان كنت اشغلت عقلك
في تجارات وعهود ظالمة او غير جايزة لا يكون لك الاهتياج ان كنت ضيعت صحتك وقوتك في افعال
ما يرجز الله لا يكون لك الاهتياج ان كنت قضيت ايامك بالبذخ والتنزهات السمجة لا يكون لك
الاهتياج ان كنت بددت ايامًا كثيرة من عمرك فيما يخالف الغاية التي من اجلها ولدت وعشت
في العالم فرحًا تتذكر هذه العظة وتشكر ربك لانه اساقك الى استماعها ولو كان ذلك صدفة و
ترفع يديك الى السما وتبكي وتصرخ لتفاقم فرحك وتقول مبارك انت يا الهي لانك لم تسمح لي بان
اطاوع نورة تلك الشهوة الخالية من النظام تلك التي كانت تميل بي الى سخاطك ما اكثر الحسرات
التي كانت الان تلم بقلبي يا سيدي لانني الان ادركت وفهمت جيدًا ما هي عاقبة من يهين جلالتك
العظيمة انت عضدتني وجعلت علي يدك لئلا اغيظك ما اعظم رحمتك لدي حقًا انني لست
استطيع ان اشكرك واحمدك كما يجب علي فهكذا انت تخاطب ربك ويا ليت الجميع يقولون معي
هكذا لكن انا عارف ان ليس الجميع يريدون اليوم ان يمتثلوا مع داود شور ليغال لانهم يظنون
انهم سوف يتمتعون دايمًا بتلك السلامة الكاذبة المتمتعين بها الان في الاثم فليدعهم في قساوة
لانه لا بد ان تاتي تلك الايام التي فيها تتهللون انتم وتجدلون مع الابرار الذين كنتم عنهم ان لا يعتريهم
عذاب الموت فيهم بعكس ذلك ينبغي لهم ان يحزنوا ويتعذبوا متلهفين

القسم الثاني

العدد

اني عالم بما يستنتجه الخطاة بحذاقة عقل عظيمة مما اوردناه الان في اخر القسم الاول من عظتنا هذه قايلين
انه ان كان نخس الضمير الذي يستشعرون به في مدة حياتهم يكون مولمًا شاقًا في الغاية فالان ليس لا يمس
سلامتهم التي يتمتعون بها الان بل يزيدها لهم اضعافًا وذلك لان هذا النخس عينه ينبههم كثيرًا على ادراك
قبح خطاياهم ومن ذلك يتحركون الى ندامة القلب والرجوع الى استغفار ونيل الخلاص فهذه هي نتيجتهم

لا انهم خلوًا من كل شك ضالون ومخدوعون جدًا وان شيتم ان تتحققوا ذلك فاسمعوا ما
اخاطبكم به فاي لا ترى اي نخس ضمير يمكن ان يشعر به الخاطي المنازع اصعب من الذي شعر به الملكان
المقدم ذكرهما انفًا اعني انتيوخوس وشاول ومع ذلك هل ندم احدهما ورجع الى الله بكامل
جوارح قلبه كلا بل اثنينهما هلكا حسب راي العلما العام فاذًا لماذا هلكا اما تصورا بازايهما
خطاياهما واستشنعاها جدًا اما توجعا وتحسرا وتاسفا عليها اي نعم لكن تحسرهما هذا بلغ بهما
الى هذا الحد حتى انه القاهما في القنوط وقطع الرجاء من الخلاص وقد استعظما خطاياهما واحتسبا ها
شرها قبيحًا بهذا المقدار حتى انهما ظنا انه لا يمكن ان تغفر لهما ولاجل ذلك حزنا وايسا في وقت
واحد فحزنا من قبل وفور نفاقهما وايسا من رحمة الله جلت مراحمه فما بالكم اذًا تقولون ايها الخطاة
ان نخس الضمير المولم الذي تشعرون به في اخرتكم سيحثكم على التوبة والخلاص باعظم سهولة فانتم
على ما يستبين لي لا تعتبرون ما يخص الملكة الردية المستطيلة التي تاصلت فيكم نظرًا الى الطمع برحمة
الله كما يليق انها عظيمة بل غير متناهية ولذلك تستطيعون ان ترقدوا في حضنها رقاد الامين
في حضن والدة مستريحين قلت انكم لا تعتبرون ما يخص هذه الملكة الشريرة لان هذه الملكة
نفسها اليس انها لا تعينكم الى الخلاص بل انها توذيكم وتجعلكم تتقلون التوكل على استعفا اقل حذر
مما توكلتم عليه في زمن صحتكم لعمري ان هذا الامر غريب لكنه حق نعم ان من تمرن على القراة مثلًا او
على السفر في البحر او على ركوب الخيل او في دق الالات او على التصوير او على المعركة في الحرب او في شي
اخر من ساير الصناعات والرياضات العملية يجد بممارستها في مر الزمن سهولة اعظم الان الامر
يتفق فيما نحن في صدده بالخلاف لان من اعتاد زمانًا طويلًا ان يتوكل على رحمة الله سيشعر
فيما بعد بطول الزمان باعظم صعوبة في الاتكال عليها فلا تستغربون كلامي هذا وان لم تتوثروا
ان تصدقوني به فلا اغتاظ لانني عارف بنفسي انني خال من علم وحكمة يجعلان الناس ان يصدقوني
لكن صدقوا القديس فرنسيس سالس برهن فهل يسوغ لكم ان تصدقوا كاهنًا عالمًا وقديسًا بل رسولًا
ايضًا وقد طاف قطري الارض بنفع النفوس مصرفًا ايامه بالكرز والتعليم واعانة الخطاة على التوبة
من كل عمر وجنس ومرتبة ولغة والحال ان هذا القديس الرسول الغيور كتب رسالة من الهند الى الرهبان
اليسوعيين القاطنين وقتئذ في رومية قال انه من مواظبته الكثيرة المستطيلة خدمة المرضى واغاثة
المنازعين عند غشا الموت تعلم هذه الحقيقة ويستطيع ان يثبتها من غير ان يخشى شايبة الغلط
فيما يكتبه وهي انه ليس احد من الخطاة يستصعب تحريك نفسه الى التوكل على رحمة الله دعا عند

الممات بقدر ما يستصعبها أولئك الذين كانوا تائبين منهم في مدة حياتهم أنهم أوفر شجاعة بالتوكل
عليها اسمعوا نص كلامه كلمة فكلمة لا تصعب ويستحق الاعتبار قال في رسالته الثانية هكذا
كنت أزور المرضى وأشجع المنازعين لئلا يرتحلوا من هذه الحيوة واثقين برحمة الله وبالحقيقة أن
ذلك صعب جدًا كله على الخطاة الذين ما أطاعوا الوصايا الالهية لانهم لا يقدرها أكثر والخسارة
في الطمع برحمة الله تعالى وهم متقلبين بالخطايا والذنوب بقدر ذلك تنقص ثقتهم بها عند
ساعة مماتهم ويموتون بلا رجاء قل انتهى   أفهمتم قوة مقالنا يمكن أن يقال أوضح من هذا
فباطلا ترجون اذا أيها الخطاة عند مماتكم تلك الثقة العظيمة برحمته تعالى التي الآن تستشعرون
بها الذنكم حي تقطعونها أقل من هذا لا يوجد نفسه وهو لانها الآن بكم كثيرة وعظيمة واذا ابتغيتم معرفة
السبب الراهن الاصلي في ذلك اسمعوا فهل تعرفون انتم من أي سبب تصدر سهولة توكلكم العظيم
على رحمة الله بربكم الآن في حال صحتكم فتصدر من هذا أي لان الخطية تستبين لكم الآن شرًا خفيفًا
وتتجرعونها ككاس ماء بارد عذب حلو لذيذ أما عندما عند الموت فتستبين لكم على ما هي في
حقيقتها أي شرًا عظيمًا مرعبًا بل مجموع أعظم الشرور المرعبة ومن ثم ليس بعجب ان كان عند
اختلاف أحوالها تختلف أحوال ضميركم وحكمكم أيضًا ولا تعودون ترجون الغفران بالسهولة
كما ترجونه الآن اسمعوا كيف يشكو داود النبي بشخص الخاطي المنازع قائلًا غمرات الموت اكتنفتني
وما الذي تيلوه فيه وهذا وأودية الآثام عريبتني أفهمتم هذا أعني كيف الآن تتبين لنا الخطية
كأنها كاس ماء بارد حسب رأي كلام أيوب الصديق الذي قال عن الخاطي أنه يشرب الاثم كالماء
لكن هل تتبين لنا هكذا عند ساعة الوفاة فيجيب قائلًا لا لكنها تتبين لنا أودية أعني نظير أودية
المياه الغزيرة الجارية بعزم شديد ترعب وتخرب وتغرق وتسحب معها كل من هو جائزها
ويا ليت شعري هل تصمت الشياطين ولا يجدون بالأحرى بجميع صنايعهم وحيلهم ليجعلوكم أن تذكروا
جيدًا ثقل الآثام التي استخففتموها أو خفيت عنكم ولكن ما بالي قلت الشياطين والحال أن السيد
المسيح نفسه ينهض عليكم ويبكتكم بفمه المقدس عن عدم معرفتكم جميل دمه المهراق من أجلكم ومن ثم
كيف تستطيعون أن ترجوا ذلك الذي تشاهدونه مغضبًا عليكم ويطلب منكم الحساب الدقيق
عن كل كلمة بطالة هذا ما عدا التجاديف والشتم والحلف وغيرها من الجرائر الباهظة الثقيلة فأنا
حسبما أرى سوف تتراءا في تلك الساعة الرهيبة لكل أحد منكم عريانًا مجروحًا مضرجًا بالدم من
الرأس حتى القدم والملئكة واقفون من عن يمينه ويساره متسلحين بالصواعق والزوابع المرهبة

العدد ٨

فياخذ

فيأخذ بيده ذاك المصحف الكبير المتضمن ذكر أعمال البشر كلها ويفتحه ويبتدئ أن يتلو عليكم خطاياكم
واحدة فواحدة ويخاطبكم على آذان ضميركم المنفتحة جيدًا قائلًا لكل منكم كلام الزمور المخيف
أعني بهذا صنعت هذا وسكت عنك ثم يردف كلامه بقوله هكذا أنت يا منكود الحظ لما كنت فتى
بعد في أول عمرك عرفت أن تسخطني قبل معرفتك مرضاتي تعلمت اسمي لتفتري عليه بالحلف والتجديف
وتعلمت ناموسي لتطاه متعديًا عليه وأنا سكت عنك سلمت ذاتك من عنفوان شبوبيتك
للمعاشرة السفيهة الفاسدة مع أقرانك الأشرار وسمحت لهم بأن يجتذبوك الى ارتكاب أقبح الرذائل
ارتضعت تلقيناتهم وسلكت أمثالهم وقد لصقت بخصايلهم السيئة وأنا سكت عنك كنت تهرب
من الكنايس وتواظب المحافل الباطلة وتترك القداس وتحتقر الأسرار وتجلس في جمعيات اللعب وتنهمك
بالأكل والشرب وتضجر من الوعظ وتلتهي بالملاهي الكاذبة وأنا سكت عنك ولما اتصلت الى سن الرجولية
النصر ما تركت عارًا ولم تصنعه ولم تعف عن الأبكار ولا رحمت المزوجات ولا استحييت الأحرار ولا ميزت
الدرجات الدموية لكن خدمت شهواتك وعلقتها على مداها صنعت هذا وأنا سكت عنك وقد
ربيت أولادك على مثالك من غير خشية ربك ومن غير طاعة للسنة الكنايسية وخلوًا من الاكرام
الى المقدسات وأنا سكت عنك ثم انتقلت من المحبات الدنسة الى المبغضات الشريرة ولم تؤثر السلامة
مع عدوك لكنك بغضته واضطهدته وخنقته حتى أنك دنست يديك بدم انسان أيضًا
صنعت هذا وسكت عنك ولما بلغت الى سن الشيخوخة وجهت جميع عواطفك الى الفضة و
سعيت بها بوسائط محرمة وما حفظت الأمانة ولا وفيت ديونك ولا أنصفت مع أحد عدلًا بل
استعملت الكذب والخيانة والالتباس والغش وأنا سكت عنك وسكت عن غريمك أجرته وحقه
واستعملت سلطتك لاساءة قريبك ولم تحترم الأعياد والآحاد وأظلت الكنايس والصليب كالواجب ولم
تفتكر قط بأن تنظم حال نفسك وترتيب ضميرك حسنًا صنعت هذا وأنا سكت عنك فماذا ظننت
بعد انهماكك بهذه الجرائر الرديئة أظننت أيها الاثيم انني كون مثلك ظننت انني أسكت عنك
دائمًا لا أحس ولا أغضب سكت دائمًا صمت صبرت صبرًا أما الآن أوبخك وأقيم خطاياك أمام وجهك
وأتكلم مثل الطالقة ومن حيث أنك لم تعتبر دمي وانتهيت لكنك دسته واحتقرته كالطين هوذا
يهلكك دمي هذا الذي كان يستطيع الآن يخلصك فهكذا يكلم الله ربنا الخطاة المنازعين وربما
يصنع ما قد صنعه مع بعض الخطاة وهو أنه يفترق من جنبه المقدس دمًا من دمه الكريم وينضحه
في وجه الخاطي قائلًا فليتخذ من هذا الدم الموت من لم يرد أن يتخذ منه الحيوة ومع يتوارى عنكم والوقت

يظهر لكم جم من الام بالسنة وترونهم يتقدمون على افتراسكم فبعضهم يقبضونكم من اذرعكم وبعضهم من
شعور روسكم واخرون من ارجلكم ويكون كل واحد منهم تايقاً الان يعطي الشرف في جركم الى جهنم قبل
ارفاقنا ما انتم فهل يكون لكم في هذه المعركة المخيفة قلب قوي شجيع يتوكل على رحمة الله ويثق بها في العظم
جنون من يرجو ذلك فان كان اذاً ليس لنا ان نرجو ذلك فلنتشي بالجميع الى موضعنا ونقول ليت
شعري ماذا يفيدنا نخس الضمير المولم الذي نشعر به عند الممات العلي يفيدنا نيل الخلاص باعظم سهولة
لا البتة بل يفيدنا الضيق والحزن وقطع الرجا او فرسه ولة ⁂ واذا كان هذه مفعولات الضمير
المعاب بالخطا فما الذي يلزمنا ان نعمله الان مادام مصان زمان للتوبة اي نعم يلزمنا ان نعمل توبة نصوحة
عن خطايانا وهذه لا ريب في ان لها قوة على ان تهدي بنا الروع وتريح ضميرنا عند الممات راحة
كاملة وكل شي غير هذه مما نخترعه لاجل راحتنا فهو باطل ليت شعري ماذا ينفعنا اللعب والمزاح و
المتنزهات والاكل والشرب وساير الملاهي العالمية لعمري انها ما هذه الا الشوكة المسنونة اعني بها
الخطية مغروسة في قلبنا فجميع المراهم التي نضعها عليه ليخمد الوجع فهي باطلة غير نافعة ومن ثم ينبغي
لنا ان نقتلع الشوكة افهمتم مقالي ينبغي لنا ان نقتلع الشوكة اي الخطية فاذا تركناها مغروسة في قلبنا زمناً
مديداً فتعفن داخلاً وتتجسم فيمتد الفساد حتى اننا نضطر ان نصرخ باكين كل الدهور الابدية لشدة
الوجع ونتقلب ونتمزق فيه بلا فايدة حسب قول داود النبي القايل ترددت في همومي حيث انغرس
فيَّ الشوك لاسيما اسمعتكم . والحمد لله دايماً

العظة الخامسة والعشرون

في الاربعا بعد الاحد الرابع من الصوم المقدس تتضمن وفور التزام الوالدين في تحسين تربية
اولادهم وبيان عظمة شقاييهم اذا اهملوها فاجابهم ابواه وقالا نحن نعلم ان هذا ولدنا
وانه ولد اعمى اما كيف ابصر الان او من فتح عينيه فلا نعلم هكذا قال البشير يوحنا في فصل ٩ من بشارته
انه لما وجد من قبل اعتذار ابوي هذا الاعمى المذكور خبره في الفصل الذي تلي علينا هذا اليوم اما انا فلست
اقبل اعتذارهما على انهما قد اقرا ظاهراً بعد علمهما كيف انفتحت عينا ابنهما قايلين نحن نعلم انه ولد اعمى
اما كيف ابصر الان فلا نعلم ولكن هل يبررهما عدم علمهما هذا باي نوع انفتحت عينا ابنهما اهذه هي العناية
المعتنون بها بابنهما اهذا هو الحرص المحترصون به عليه اهذه هي مناظرتهما عليه الا انه مع ذلك جميعه فقد
كان هذا المولود اعمى بحظ سعيد لان ذاك الذي فتح عينيه قد كان يسوع الذي لم يتفضل عليه بفتحهما
الا لخيره اما الشر العظيم الاعجب فهو هذا وهو انه يوجد كثيرون من الاولاد الذين ينفتح

العدد

228

اعينهم الشيطان ومع ذلك لا ترى احداً من الوالدين الذين يفكرون بذلك ويهتمون بهذا واكثر
اولادهم في جميع مناسب ما اكثر الوالدين الذين يغادرون اولادهم ليفتحوا مرات عديدة اكثر من الواجب
ويضعون اشراراً وخبثاً وبعد ذلك لا يستحون حيفاً يعتذرون قايلين انهم لا يعلمون من اين وكيف
تعلمت اولادهم الشر قايلين من فتح لهما اعينهما الا نعلم لعمري ان اعتذارهم هذا باطل لانه يريهم اما
استعمال الانهم باي شي يلتزمون اوفر التزاماً الا بهذا وهو ان يسعوا ويجدوا ليحفظوا اولادهم على حال
العمى دايماً كما ولدوا اعني تعولهم هذا الا يحفظوهم بالبساطة والسذاجة المقدسة ليلا تنفتح اعينهم بيد
اخر سوى يد من فتح اليوم عيني هذا المولود اعمى ولكن ما اقل اولايك الابا الذين يفهمون هذا الالتزام
العظيم او الذين يحفظونه على ان غالبهم لا يصرفون اهتمامهم ورغباتهم الا في هذا اي في ان يرزقوا اولاداً
ولاجل هذه الغاية يكثرون صلواتهم ونذورهم ويواظبون الاصوام وعمل الصدقات واذا ما رزقوهم فلا
يهتمون بتحسين تربيتهم اصلاً ولعمري انه كان خيراً لهم لو لم يرزقوهم من ان رزقهم اياهم وصيرورتهم اشراراً
اما تعلمون ان الاشجار الغير المثمرة هي ايضاً مثمرة فتنوشر فيها سام جداً ولذلك تصير نزهة الغياض الملوكية
حتى ان الاشجار التي اختارها الامم الحنفا الكاذبة ليستظلوا تحتها ويتزينوا باغصانها كانت اشجاراً
غير مثمرة ومن ثم زوس احب شجرة السنديان وابولو شجرة الغار ونبتونوس السنوبر وفوسيدوس
العاشقة ويوناتوس العرعر وزهرة الاس اما الشجرة التي تثمر ثمراً ردياً الى انه لم يحبها احد قط في حقله
ولعله لم يوجد ان يعتبرها بل والاحجارات ايضاً يلتفت اليها فليفهم اذاً الجميع اليوم كم يلزمهم ان تكون
اولادهم صالحين فانا حقاً احتسب نفسي المستعد لان اتكبد بعظاتي هذه غير باطل اذا بلغت انا ارى
وفور هذا الالتزام للذي لا يصدقوه ولن لا يفكر به ولذلك يسقط فهذه الذنوب اللاتي ذكرتها ابا
كثيرون بتربيتهم اولادهم واحسنوا اذاً الصغار الى كلامي ولكي تحصلوا على الفايدة المقصودة لانفسكم و
تقوى اولادكم ⁂ انني لعالم جيداً ان كثيرين غيركم ايضاً يلتزمون بان يعطوا حساباً صارماً عن انفس اولادكم
فمنهم اولاً معلموهم الذين يعلمونهم القراءة والعلوم والصنايع ٢ مدبروهم الذين يهذبونهم بالسلوك وحسن
الخصال ٣ معلمو الاعتراف الذين يرشدون ذمتهم ٤ الواعظون الذين يهدونهم الى العبادة وعمل
الصلاح ٥ الحكام والروسا الكنايسيين الذين بها يلتزمون اعظم التزاماً من المذكورين بان يهتموا
بتهذيب الشباب وذلك بوضع الفرايض والسنن العامة نظير اهتمام وكلا البساتين في النصبات الصغيرة
الرخصة لكن ان احكمنا حكماً عادلاً فترى انكم وحدكم تلتزمون بان تسعوا بخير اكثر من الجميع والسبب
المتالي في التزامكم هذا الاعظم فهو ان المذكورين يلتزمون بهم من قبل وصية الطبيعة منكم لا يعلم

العدد

ان العلة التي تمنعنا بمفعول ما فيخصها تكميله على قدر استطاعتها ولكي تفهموا ذلك ابلغ فهمًا اسمعوا
ما علمه القديس مار توما العلامة في كتابه العجيب ضد الخفالانيين تعليم حسن جليل ومطابق لما نحن في
صدده قال هذا المعلم الجليل انه ينبغي لنا ان نتأمل في الطبيعيات نوعين من المفعولات فبعضها
تصطحب معها حالما تتولد الكمال القابل له طبعًا وبعضها لا تصطحب كمالها كله معها بل انها تكتسبه
على مر الزمان قليلاً فقليلاً فمن النوع الاول هي جميع الكائنات الغير الحساسة والغير النابتة فمنذ حالما تبرز ما
علتها التي هي بمنزلة امها لا تحوجها عندها بعجيبة الدية ولا ترضعها ولا تربيها لكن تتركها عنها للوقت
فلنورد في ذلك قياسًا في مفعولين طبيعيين معروفين عند الجميع وهما الماء والنار اما رأيتم الينبوع لما
يخرج الماء والصوان لما يقدح النار فليس لاحدهما ضم لديه مفعوله بل ان احدهما اي الينبوع يدع الماء يجري
حالاً ويذهب الى الوادي والاخر يغادر النار تطير حالاً وتعلق بالحراق ولا يبالي النبع ولا الصوان ان يزيدا
مفعوليهما كمالاً اذا حفظاهما عندهما اما المفعولات الثانية والحساسة والناطقة فيجري الامر فيها خلاف
ذلك اذ انها تتولد جميعها ناقصة ولاجل ذلك تستمر زمانًا ما في علتها وامها لتتربى فيها بعجبة وتكمل
وهذا نراه عيانًا اولاً في الفاكهة والزهور والقمح والعنب وباقي الثمار من كل صنف كانت فان هذه
جميعها تتولد صغيرة وفجة وتفهة وحامضة وغير ملونة وبالنتيجة تفتقر الى سقاية وعمو كثير
وهكذا افتكروا كم من الزمان تدوم الفاكهة مناطة في احضان اشجارها التي هي امها والزهور في بصلها
والقمح في سنبله والعنب في حفنته وكل نوع من الثمار في اصله ولهذا ترون ما جرت به العادة اذا اردتم
تقطفوا فاكهة ما من شجرتها فيقتضي لكم عسف وجبر في قطع الفاكهة الفجة اكثر جدًا مما يقتضي في
قطع الفاكهة اليانعة وذلك لحال ولد يخطف من حضن امه رغمًا عنه ولم تتفرغ من ولدها انفصالا
قبل ان يبلغ هذا الذي يستمد منها كماله باسره وقبل ان تبرز هي نضجه وتكمله غير ان هذا كله يتبين لنا ايضًا
اوضح بيانًا في الحيوانات كلها وقد ذكر عن طير النعام فقط انه يترك فراخه بعدما تتولد وغير معتنٍ بهم
حسبما جاء في سفر ايوب بقوله يترك بيضه في الارض ولاجل ذلك اني اسبق ذكرته في هذا المكان انه بمنزلة مثال
الجنون والقساوة قبيلاً لا يقسى على اولاده كانها ليست له لان الله اعدمه الحكمة ولم يعطه فهمًا اما سائر
الحيوانات فجميعها فردًا فردًا تحوم على اولادها وتحضنها وتربيها بعجبة ووفرة لكنه يهمنا الفرق فقط كما لحظ
ايضًا مار توما العلامة وهو ان بعض الحيوانات التي تتربى من امهاتها فقط فهي الكلاب والخيل والخراف
والبقر وما شاكلها من الحيوانات الرضيعة فهذه الحيوانات يكفيها القوت الضروري اي الحليب الواصل اليها من
لبن امها ولاجل ذلك يتركها ابوها غالبًا ولا يكترث بها بل لا يعرفها ايضًا لانها لا تحتاج اليه لاقامة حياتها

ويعكس

ويعكس ذلك يحدث في الطيور على ان الطبيعة ما دبرت لها لبنًا ولهذا فالسبب في ذلك هو لانها
ملتزمة بان تكون سريعة الطيران وخفيفة الانتقال ومن ثم كانت الرضاعة من اللبن تثقلها وتعيقها
عن الخفة اللازمة لها في الطيران ولاجل ذلك دبرت الطبيعة لها ولاولادها ان تقتات من الخطف
وكيف كانت تستطيع الام الانثى الضعيفة ان تبصر لها وحدها القوت بالكفاية ومن هنا التزمت الطبيعة
للاب بان يعين الام في تقديم كفلتها كما يجري ذلك في الحمام والسمان والحجل وبقية الطيور التي هي نظيرها سيما
الطيور القريبة الى الاستيناس ولا يبرح الحيوانات باسرها تعول اجريتها وافراخها بالقوت الضروري
ما دامت عاجزة عن تحصيله بذاتها فقط لكنها تعضدها وتقويها وتهديها وتعلمها الصنيع الخصوصي
بها العتيدة ان تمارسه عند الكبر ومن ثم نرى الشواهين يعلم فراخه الصيد والدرفيل يعلم فراخه السباحة
والاسد يعلم اجريته الافتراس والدجاجة تصيصاتها البحث والنسر يعلم فراخه الارتفاع بالطيران نحوها
قيل عنه في تثنية الاشتراع انه يهيج فراخه للطيران مع ان هذه الحيوانات لا ترجو ان تأمن اولادها
المكافاة لا بالعمل ولا بالمحبة لانه متى ما كملت الايام اللازمة للتربية فلا يعود الوالدون يعرفون الاولاد
ولا الاولاد يعلمون الوالدين بل يفترق احدهما عن الاخر ويذهب الى حيث يجد نفعًا اكثر وقوتًا اسهل
غير ان هولاء بعد ان يلدن وطالما الافراخ قاصرة فيحمين عليها بعجبة ووفرة كثيرة ويعلينها ويحمينها ويقدمن
لها الزاد والغذاء حسب عادتها ومن هاهنا من منكم لا يدري واضحًا ان هذه السنة في اتقان تربية الولد
بمقدار ما يمكن ليست هي سنة مخترعة من حكمة البشر فقط او من السياسة المدنية لكنها سنة مغروسة
من الطبيعة في جميع القلوب وفيهم من ذلك ان الطبيعة ذاتها تلزم الناس بحفظها بل تلزمهم بحفظها
اكثر من جميع الحيوانات وذلك لان الناس يتولدون من احد الجهات انقص من الحيوانات حيث ان الحيوانات
تتولد مكتسية بالشعر والناس يتولدون عراة الحيوانات تتولد محذية والناس حفاة الحيوانات تتولد
مسلحة والناس عادمي السلاح ومن جهة اخرى فان الناس يتولدون قابلين كمالات اعظم الحيوانات
ومن حيث ان هذه الكمالات لا تقتبس الا رويدًا رويدًا فلاجل ذلك لا تكمل تربية الناس بايام قليلة نظير
تربية الحيوانات لكنها تمتد الى اعوام كثيرة بل تمتد بحسب قول مار توما الى خصوص الانسان كلها او لو
مهما كانت مديدة ومن هذا الوجه تجعل رباط الزيجة غير منفك من عدم ذلته فلنستنتج الان من هذه المقدمة
التي هي تعليم القديس مار توما العلامة نتيجتنا الكبرى المقصودة منا ونقول هكذا انه بعد ان تقرر ان
التزام الوالدين بتربية الاولاد هو التزام طبيعي لا وضعي مغروس في الطبيعة لا مكتوب في الهياكل شرعي
فمن منكم لا يدري محققًا بانكم انتم ملتزمون بان تسعوا بجهدكم ونجاحهم اوفر التزامًا من الحكام والروساء

والمعلمين ولاباء الاعتراف والمدبرين والواعظين او مرشد اخر في افعالهم سواء كان كنايسيًا او عالميًا لان
هولاء جميعًا ملتزمون بتربيتهم من باب السنة المدنية التي تلزم اقل الزامًا اما انتم فملتزمون بتربيتهم من
باب السنة الطبيعية التي تلزم باعظم الزام جدًا ... واذ كان ذلك كذلك فكيف لا
تخافون من تهاونكم بهذه التربية لانه ان كان هو عظيمًا الحساب الذي يقوم بين الحاكم او الرئيس او شخص
اخر قد كان صدر هلاك ابنكم لم يبدحض قبله فليت شعري ماذا يكون حسابك انت ايها الاب وماذا
يكون حسابك انت ايتها الام اذا تسبب هلاكهما من قبل تهاونك هل تظنان انه يمكنكما الاعتذار قدام
عرش الله العظيم الرهيب بعد معرفتكم اوليك يلتزمون ان يقاسوا توبيخات مرة وعذابات قادحة بسبب اولادكم
لو عساكم تتوقعون نيل الرحمة بعد علمكما ان اوليك تستعمل بعضهم ... جدًا ولهذا لما فهم القديس
يوحنا فم الذهب ذلك فهمًا بليغًا فكان يوصي جميع الوالدين قايلًا ايها الاباء ربوا اولادكم بادب وتاديب الرب
كما يقول لكم الرسول لانه اذ كنا نحن مامورين بان نسهر عليكم مستيقظين حسنًا من كوننا ملتزمين بان نعطي
حسابًا عن نفوسكم فكم بالحري يلزم الاب الذي ولد انتهى فافهموا ايها الوالدون المسيحيون اخر كلام هذا
القديس المغبوط اعني قوله فكم بالاحرى يلزم الاب الذي ولد انتم اعطيتموهم الوجود فاذًا تلتزمون انتم
بالاحرى ان تمنحوهم الكمال بتربيتكم اياهم بادب وبارشادهم الى الخير وبتاديب الرب وبابعادهم
عن الشر لاسيما لا يسهل عليكم اكثر من غيركم ان تمنحوهم هذا الكمال على انه من حيث انه من الواجب على الاولاد
طبعًا ان يكرموا والديهم ويحبوهم اكثر من غيرهما فمن ثم لكم من اسوهم قبل الطبيعة عليهم سلطان اعظم من
غيركم ومن ذا الذي لا يعلم انه يمكن انكم تشوروا احدهما سبب في وقته او توبيخ واحد مستعذب او بكلمة و
احدة مرتبة او بايما او باشارة او بلحظة واحدة فقط انكم تستطيعون ان تحوزوا منهم ما لم يستطع اخر ان
يحوزه منهم بعظات مستطيلة وصراخ مترادف اما سمعتم قط خبر انه لو كان كوريولانس الشهير الذي قد اضحى فيما
بعد قديسًا يسجد له على الهياكل وبعد ان كان هذا في عنفوان شبوبيته ذا سيرة غير مهذبة ولذلك باطلًا
تعبت مرهنا غيورون واناس اتقياء صالحون في صده عن شروره ولكن ما الذي قد استبان انه فيما بعد هو
ان الذي ما امكن ان تؤثر فيه اصوات الكهنة قد اثر فيه صوت والدته وغيرته عما كان فيه لانها بتوبيخ واحد
خاطبته فيه بوقت ملايم صيرته قديسًا والحال تبين ذيب فاجرا الى حمل وديع متواضع فكيف تنجون اذًا من اد
الحساب الصارم المدقق اذا تغاضيتم عن التصرف ... بسلطانكم هذا العظيم وضيعوا الى ذلك
انهم يتعلقون بكم نظرًا الى الاكل والملبس والنفقة والميراث ومن هنا تستطيعون باعظم السهولة ان
تدبروهم حسب ... اذا شجعتموهم وكافيتموهم حسنًا عندما ترونهم انهم صالحون وتوعدتموهم

وعاقبتموهم

العدد ٣

230

وعاقبتموهم عندما تشعرون انهم ضلوا عن سراط الخير المستقيم فاذًا ان كنتم تهملون بذلك كله
فاي عذر لكم ولو ان اخاطبكم باكثر من ذلك ايضًا فاقول ان اولادكم هم عندكم تحت الحضانة والحراسة
منذ نعومة اظفارهم اي حينما تكون انفسهم مثل طين الخزف القابل اية صورة كانت او مثل الشمع
اللين المعد ... طابع كان ومن ثم اذا تربوا منكم تربية ردية فحيث انهم صاروا من ... غير
غير قابلين الهدى وما ارشاد الخلاصي من معلميهم الاتي فيكم طاقة فعلى من يكون الجناح الاعظم اما يكون
عليكم ايم نعم فالجناح عليكم والذنب منكم وفي هذا قال الذهبي فمه ... اذا كان الاولاد رزقوا من اسلافنا فهو
الاول بمفرده قد تقلد السلطان الكلي في تهذيبه وهو حدث ومن هنا يستطيع حينئذ ان يسهل ولده
عظيمة ان يدربه ويسوسه ويغرس فيه ما اراد انتهى فاذًا ان تقاعدتم عن ذلك في
حداثة اولادكم الى سلوكهم ... عند بلوغهم اشدهم فالاثم الاعظم
هو عليكم بل باطلًا وعبثًا يتعب الاخرون في تهذيبهم وتاديبهم اذا اهملتموهم انتم لانه ما هي الفايدة
من المدارس العامة التي انشادها الروسا الكنايسيون والولاة العالميون الغيورون لاجل تعليم
الاحداث وتهذيبهم اذا ابعدتموهم انتم عنها او كيف يستطيع المعلمون ان يرغبوهم بالدرس
والعلم اذا كنتم انتم لا تعينهم عليهم وكيف يمكن المدبرون ان يهذبوهم بالادبيات نظرًا
الى سنتها والناس اذا كنتم انتم لا تسعفونهم بذلك ومن اين يقدر معلمو الاعتراف و
الواعظون ان يستمدوا منهم النجاح الروحي نصايحهم الظاهرة والسرية اذ كنتم انتم لا
تناظرون عليهم لتبصروا كيف يواظبون استماع كلام الله عن ايمانه وكيف يباشرون سر الاعتراف
فاعلموا اذًا وتحققوا ان جميع الاسباب المقتضية الالتزام بالاولاد المختصة بكل من الاخرين تجتمع
فيكم وحدكم كلها ولذلك يخصكم انتم ان تحدقوا اعينكم في اولادكم وتفتحوها جيدًا وتلتزمون
ان ترصدوا كل كلمة يتلفظون بها وتراقبون فيهم كل حركة وتفتشوا وتفحصوا عن جميع سلوكهم
وسيرهم ولا يكفيكم ان تعلموهم وترشدوهم فقط بل يلزمكم ان تطالبوهم بالعمل حسب مقتضى
تعاليمكم وذلك ليس في مكان واحد فقط لكن في كل مكان في البلد وخارجًا عنها ظاهرًا وخفيًا
في الامور العامة وفي الخاصة وينبغي لكم ان ترقبوهم الى اين يذهبون ومع من يتعاشرون وما هو
الذي يعكفون اليه واي شي يلذ لهم ويسرهم وعلى الاطلاق اقول انه يلزمكم ان تجتهدوا الكي تشعروا
بافكارهم وعواطفهم الباطنة ايضًا اذا امكن ذلك لان الحكيم قال ان الصبي يعرف من حرصه
ولا تظنوا ان الذي خاطبتكم به هو مبالغة بل اعلموا ان هذا هو الشي الذي كان ايوب الصديق

يعتني بهم دايماً في سياسة اولاده اي ليشعر ما هي العواطف التي كانت تترجح في قلوبهم او الافكار
التي كانت تختلج في عقولهم ولهذا ذكر عنه في السفر المقدس انه كان ينهض باكراً اوقات شتى لتقديم
لهم صلوات وذبايح ليغفر الله عن ذنوبهم الخفية الباطنة من اجل انه قال لعل بني اخطاوا وجدفوا
الله بقلوبهم تاملوا ما اعظم حرصه عليهم لم يقل لعل بني اخطاوا باشفاههم او بالسنتهم بل قال بقلوبهم
لعمري ان هذا دليل واضح على انه كان يخشى عليهم جداً كثيراً من كل ذنب ليس ظاهراً فقط بل خفياً
وليس معلناً فقط بل سرياً وليس محققاً فقط لكن مشكوكاً به ايضاً :. وماذا تقولون انتم ايها

العدد ٤

الآباء اهكذا تصنعون هل تهتمون باجتهاد ووظيفتكم الثقيلة يعنيكم ايضاً كمثل ايوب بصلاح اولادكم
وطهارتهم وبنجاحهم آه وا اسفاه على انكم حسبما قال الذهبي الفم تفتكرون وتعتنون بهم في كل شي
ما عدا هذا المطلوب منكم اكثر من ساير الاشيا ومن ثم هكذا تصنعون اي تبذلون جهدكم في ان تصيروا
اولادكم اوفر غناً او شرفاً وذوي قدرة وهيبة اكثر وليس تجتهدون في ان تصيروهم ذوي فضيلة
اعظم ثم يقول هذا القديس اعني به الذهبي الفم في مقالته من تفسيره بشارة متى هكذا ان من
الآباء اناساً يسعون لاولادهم بالجندية واخرون يسعون لهم بالشرف واخرون يسعون لهم بالوظايف
واخرون بالمال ولكن يا لغباوة كثيفة تستحق ان يبكى عليها اذ ليس احد يسعى لاولاده بالله انتهى
كلام القديس والحال ان هذا فقط هو الذي يطلب منكم ايها الآباء في يوم الحشر فليس يطلب منكم كم تركتم
لهم من المخلفات والارزاق او ما هي الوظايف الجليلة التي رقيتموهم اليها او ما هي الاهلية الشريفة التي
اهلتموهم بها بل يطلب منكم هل تركتموهم بعدكم اتقيا صالحين وذوي خصال ممدوحة فبهذا يطالبكم
الله تعالى في ذلك اليوم العظيم امام منبره الرهيب فانتم ماذا تجيبونه به حينما لا تخشون احياناً من
ان تطرحوا انفسكم في خطر الهلاك الابدي وذلك ايثاراً لان تفيدوهم قليلاً من الربح الدنيوي
وكم من مرة لا تريدون ان تزيدوا النفقة عليهم ولو قليلاً لكنتم استطعتم ان تبصروا لهم معلمين
افضل ومهذبين ومرشدين اكمل يغارون على نجاحهم ويعتنون بهم ابلغ اعتناء وانتم مع ذلك
لكي توفروا لكم ولهم قليلاً من المال فانكم بفعلكم هذا تاسون على نفوسهم اسية عظيمة يا لعظم عاركم
هكذا يهتف القديس يوحنا الذهبي الفم الذي اتخذته لي اليوم معلماً في هذه المادة التي قد تكلم فيها
بفصاحة عجيبة يا لعظم عاركم على انكم لا تبالون بالنفقة اذا لزمت المحتفل لتجملوه او خصباً او للمطبخ
لتهيوا ما يلذ اوفر دسماً او للجسد لتكسوه افخر كسوة او للاسطبل لتكثروا افخم الخيل لما اذا لزمت النفقة
لتصيروا اولادكم ما اكمل واكثر تهذيباً وفضلاً فحينئذ تعدون كمية الفضة بالتدقيق وتستصعبون مقدارها

بل

بل اقول ان هذا البخل شر قليل لو لم يبلغ منه ما هو اعظم من ذلك لانه يتفق بسببه دفعات شتى انه من
الاكابر لكم اجيران احدهما ابو وحكيم والاخر سفيه وتحقق تولونه التقسيس منهما على اسماء لكم وارذلهم
والاردى منهما تولونه على اولادكم وكيف تستطيعون ان تعتذروا عن توانيكم هذا التشنيع جداً
انتم لا ترضون بان تسلموا حصانكم لسايس ساذج ولا حقلكم لزارع جاهل ولا تتركوا لحانوتكم تاجراً جاهلا
وبعد هذا كيف لا تخشون من ان تسلموا ابنكم لسياسة اجير ما فولولا تدبير معلم غشيم فتتهاونون لعمري
ان تغافلكم هذا الفظيع عن نجاح اولادكم لا اعتذار له ثم ان السبب الاعظم لذلك هو ان الانسان كان الطمع في
حطام الدنيا يغريكم الى ان تفضلوا القنية الزهيدة على اولادكم ايما كان من حيث نفقاً واعظم من هذا
او جنوناً اقبح لعمري ان كان هذا الطمع هو السبب الاقوى في ترك الاولاد بلا تهذيب ومن غير تربية
حسنة فاروم ان اصعد في علو برج المدينة وهنالك اعلن صوتي واكرر كلامي مرات كثيرة جهاراً وقايلاً
الى اين انتم ذاهبون ايها الانام اني ارى قوماً منكم قاصدين المحكمة من اجل الدعاوي والمناصب
ذاهبين الى التجارة ليصرفوا الذهب واخرين صاعدين الى قصور الحكام ليستحقوا ... نفوسهم
تتهيون الى السوق ليبيعوا ويبتاعوا ولو يبغضوا الى الحقول والبساتين ليعملوا فيها ... اسالكم
قبلاً فقولوا الى اين تركتم اولادكم فان كنتم تركتموهم تحت يد حارس امين غيور فحسناً فعلتم اذهبوا
حيثما شيتم لكن ان كنتم تركتموهم من غير ناظر يجولون مع الشباب السفها او يدخلون المحافل الغير
المهذبة او يطوفون الشوارع والساحات ما بين ذوي الرعانة والخلاعة او قلما يكونون يجولون البساتين
والغياض بطالين يقضون اكثر ايام السنة من دون عمل وفايدة فارجعوا الى المنازل ودبروا اولادكم و
اضبطوهم قبلاً ثم اعتنوا باغراضهم العالمية لانه حسن تدبير اولادكم ينبغي ان يهمكم اكثر من جميع اشغالكم
اما انتم بها عوض ... هذه من اجل اولادكم فانكم تحسنون انما الاعظم من هذا هو انكم تتولون الاشغال اللازمة
للاولاد ولانه تهتموا بالاولاد المحتاجين هذه الاعمال هكذا كنت اريد ان اهتف صارخاً مستنداً على شهادة
الذهبي فهو نفسه الذي اردف قوله الاول فقال ان هذا الشي يشبه صنيع البستاني الضعيف العقل
الذي يهتم فقط بجمع ما كثير لسقي الغروس خلواً من ان ينكر ويلاحظ قبلاً اهل الغروسات المفتقرة الى
السقي هي حسنة ونضرة ام مهزولة ويابسة فهذه الجنة اذاً هي جهة اهتمامكم بسائر اشغالكم ولو كانت
اشغالاً حميدة لا يمكن ان تبرركم قدام الله تعالى الذي لا يجوز انه تهملوا شغلاً اخر اصلاً اكثر من تربية الاولاد
الذين اعطيتموهم منه عز وجل وان كان الامر كذلك فليت شعري اية حجة لكم توردونها لتعتذروا بها
اما تسقطون امامه تحت شناعة النفاق والخيانة والقساوة نظراً الى اولادكم وماذا تجيبون اذا ابلكم

من حيث انكم ما اردتم ان ترضعوا اولادكم وهم اطفال ولا سعيتم لهم بالقوت بعد الفطام ولا كسوتموهم وهم
عراة ولا قدمتم لهم فراشا ليرقدوا عليه عند حلول النعاس عليهم واذا فرضنا انكم تهاونتم بهذا جميعه
واقام الله غيركم عليكم الفحص اما تخافون ان تقدروا ونرى ان تبرروا نفوسكم والحال انكم تهاونتم كذا تتهاونون
بالجزء الذي فيه غنى به الجسد فماذا يحل بكم اذا تهاونتم بالجزء الاشرف وهو نفس اولادكم اما تلتزمون ان تادوا
حسابا صارما دقيقا اذا تغافلتم عنهم ولم تبصروا لهم عند استطاعتكم معلما صالحا ليعلمهم وخادما امينا
ليحترس ويجد عليهم ومرشدا له حيث بينهم وكتبا مقدسة تفيدهم تلاوتها وقرنا اتقيا يصيرون لهم
مثالا صالحا وما ضاهى ذلك من سائر التأديبات والمعونات التي تسوق الى الاستنارة بسيرة مسيحية قال
القديس يوحنا فم الذهب ان كان لكم اولاد فاحفظوا ادبهم قال احسنوا ادبهم ولم يقل اغنهم وقيهم شرفهم
بل قال احسنوا ادبهم لان هذا هو الشيء الذي ينبغي لكم ان تتعبوا لاجله اكثر من كل شيء اعني تأديبكم اولادكم
وتهذيبهم في ناموس الله تعالى [illegible] ويا ليت هذه فقط تكون خطيتكم اي عدم السعي

العدد ٥

بخلاص اولادكم لانكم لكم خطية اخرى اثقل جدا وعلى هذه هي اي انكم تسعون بهلاكهم الابدي ايضا
ومالي قلت تسعون بهلاكهم الابدي اذ يمكن ان توجد فيكم هذه الخطية اي نعم يمكن وهذه الخطية العظيمة
جدا هو انه لا يمكنكم اصلا ان تعتذروا عنها ويلزمني انا ان اقاومها [illegible] اصدر من غامر وصوت من رعد والعل
هذه الخطية ليست دارجة كثيرا [illegible] واحسرتاه اني كنت ارغب من بعض الوالدين ليس انهما يتركان اولادهما
من غير تربية فقط بل يضعانهم بعد ولادتهم في صندوق ويرفقت نظير الذي القي فيه موسى اذ كان طفلا او
يتركانهم على شاطي نهر او يطرحانهم على جبل او في وعر كثيف وحدهم لان ذلك خير لهم من التعاليم الرديئة
والطقوس الشريرة التي يغرسونها في عقولهم منذ صباهم وهذا التعليم قد هتف به معلمي القديم ذكره
اي فم الذهب قائلا هكذا يا ليت هذا الاثم فقط كان فيكم ايها الآباء اي التهاون بتعليم اولادكم ما يفيدهم
لانه كان يحتمل قليلا ولو كان فعله ثقيلا لكن فضلا عن ذلك تستاقونهم الى الاشيا التي هي مضادة
خلاصهم كانكم طالبون هلاكهم تعمدا حيث انكم تامرونهم بممارسة تلك الاشيا التي لا يمكن ان يخلصوا
بممارستها انتهى وان شئتم ان تتحققوا ذلك عيانا فاسمعوا هذه السنة الانجيلية التي تلزمكم ان تقتنوا
بها اولادكم مع رضاعة اللبن تتهدد الاغنيا بالهلاك الابدي قائلة الويل لكم ايها الاغنيا اما انتم فبعكس
ذلك اي انكم تجتهدون ان تلقنوا اولادكم من عنفوان صباهم انه يجب على الانسان ان يحفظ درهمه الابيض
وهيامه لان هذه هي سعادته ان تكون صناديقه مملوة خيرات ومخازنه حنطة واقبيته خمرا واذا اتفق
لكم احيانا ان تخاطبوا ابنكم على تزاوجه فتقولون له ارصد ذلك التاجر او ذلك الشيخ او ذلك الشاب

الشريف

الشريف الذي نقبل اهل السلام من الجميع الذين يريهم فمثل هؤلاء قد عرفوا ان يحرصوا على المال ويجمعوه
ولذلك ترابهم الان كيف وصلوا الى هذا الشرف والسعادة اذ ربح عشرة على الاربعة وكل واحد منهم قبل
ان اموت وعلى هذا المنوال تغرسون في عقول اولادكم منذ حداثتهم اعتبار الدراهم بهذا المقدار
حتى انهم يظنون فيما بعد انه لا المعنى في الارض اكرم من الذهب وقد امرنا الانجيل ايضا بان نتضع ونجلس في
اخر المكان وذلك بقوله اتكئ في اخر المواضع وانتم تعلمون اولادكم خلافا لذلك دايما لانكم تلقنونهم
بانه ينبغي للانسان ان لا يكتفي بالحال التي ولد فيها بل يجب عليه بان يكون شبيه الانهار اي ان يكتسب في العالم
ودار اجد بدل وتنقدما ولتاعا اوفر وقد امرنا الانجيل ايضا بان نصفح عن الاهانات وذلك بقوله احبوا
اعداكم وانتم تعلمون اولادكم بان يضادوا ذلك قايلين لهم انه يلزم للانسان ان لا ينسى انحطاط
شانه بل ينبغي له ان يقتدي بالكلاب ان يبيع لسانه ويحامي عن نفسه ويتم ليستخلص تارم يا ليت شعري
ما الكفر الى الوالدين الذين يقولون لاحد انهم ان طايفتنا قد تكرمت دايما وليس احد تقوى عليها لكنها
القت الرهبة في قلوب الجميع وقد تشرفت بمقدمين كثيرين وبابطال شجعان في القتال لم يخضعوا
الى واحد وانتم يا اولادي تكونون غير مستحقين لتكنية المتلقبون بها ان كنتم لا تعلمون ان تجعلوا
الناس تحترمكم وتهابكم نظير اجدادكم ومن ثم تفرحون بهم عندما ترونهم يعملون بالات الاسلحة و
يشغلونها وتمدحونهم حينما تشاهدونهم يدكون بايديهم الناعمة التفنكة بالبارود والرصاص اعظم
حمدكما ما تشاهدونهم يبرون القلم للكتابة واما انتن ايتها الامهات الصالحات ما هي العلوم الجليلة
التي تعلمنها بناتكن وترهبن بها منذ صباهن ان تربين بوصايا الانجيل المقدس الذي يعلمنا ان
نكرم الجاه العالي والنخوة الباطلة بالملابس الحسنة والزينة المفرطة وذلك بقوله لا تهتموا لا
جسادكم بما تلبسون لا تعري لكن بعكس ذلك قد توجد من الامهات بعض من تقول لابنتها اذهبي
يا ابنتي وقولي لوالدك انك تريدين ان تلبسي حسب فيصك قولي له انك بهذا الملبس تستحين ان تخرجي
خارج البيت فليخرج من الصندوق الحلق والاساور والدمالج والبغمة المستوثق عليها ويلبسك اياهم
والا فلا ترجوا اني اخذك معي ايضا خارجا حتى ولا الى الكنيسة وعلى هذا النسق تربين بناتكن منذ
حداثتهن بحب الملبوس وتلقنهن انه يجب اتباع عادة العالم بالملبس ويدعن الكهنة والوعاظ ان
يعلوا صراخهم ضاربين في حديد بارد فهذه هي العلوم الحميدة التي تعلمها الاباء والامهات كثيرون في
ايامنا هذه لاولادهم وما الذي ينتج من ذلك سوى هذه النتيجة وهو ان عقول الاولاد المسكينة تولع
البذار وتبتدي رويدا رويدا محبة العالم والطمع ومحبة الجاه والمجد وما اشبه ذلك من العواطف الباطلة

القبيحة الردية تمتد في نفوسهم بشاوش عميقة حتى ان هذه العواطف تكبر فيهم مع كبر قاماتهم بهذا المقدار
حتى لا تعود يد انسان تستطيع ان تستاصل فروعها المسممة لان الله تعالى هكذا قال الشاب حسب
طريقه وهو الطريق الذي تعوده الى الشر اكثر من الخير وان شاخ فلا يحيد عنها وبعد هذا جميعه ايها
لكي تعلموا ايها الاباء انه خفيفًا اظن انكم قد سمعتم مرارًا كثيرة خبر عالي الحبر الاعظم الذي سخط الله عليه في ذات
يوم سخطًا عظيمًا بهذا المقدار حتى انه تعالى عزم الى الابد الكهنوت وخدمة الهيكل والمال والحبوة
والاولاد وقضى عليه بصرامة متعظمة هذا حدها حتى انه وان كان الراي يختلف من اجل اجتماعها الى الاخرة
الفاضلة نظرًا الى التبرير بحسب الموسوية صوابًا مقبولًا من علماء كثيرين نحو ان فيلون اليهودي والقديس
غريغوريوس النازينزي والقديس ايسيدوروس البلوسيوتي وكيرلس الاسكندري ويوحنا فم الذهب وبطرس
دميانوس وغيرهم ايضًا يميلون الى هذا الراي وانه هالك بل القديس انسطاسيوس اسقف انطاكية وافرام
السرياني اثبتا هلاكه واضحًا وما هو السبب الذي اجرى عليه هذا القضاء الرهيب اسمعوا من فم الله تعالى
نفسه لانه قال من اجل انه قد كان يعلم ان ابنيه كانا يعملان ما لم يجب فلم يبكتهما فمن اجل ذلك
حلفت لبيت عالي انه لا يغفر اثم بيته بالذبايح والقرابين الى الابد ان الرحمة المفرطة التي كان عالي يتعامل بها
مع بنيه الاشرار هي التي استوجبت عليه هذه العقوبات العظيمة ومن اجلها اظهر الله سبحانه عليه غضبًا
هذا مقداره حتى انه لا الذبايح ولا القرابين ولا الطلبات استطاعت ان ترضيه سوى القصاص الموازي
اثمه افهكذا اذًا ايها الاباء اسمعوا وارتعدوا على انفسكم ان كان هذا الكاهن المسكين قضي عليه بصرامة
شديدة بهذا المقدار لانه لم يوبخ اولاده لما كانوا يخطيون توبيخًا قويًا ولانه لم يقاصصهم كالواجب
فكم يجب من الخوف على اوليك الاباء الذين لم يحيدوا اولادهم عن الشر فقط لكن يحملونهم عليه ايضًا
بمشوراتهم وتعاليمهم الفاسدة وان كان من توانيه عن قصاص اولاده من اجل اثامهم غضب الله عليه
بهذا المقدار فكم ترى يغضبه من يحدوهم لاجلها او يحثهم عليها او يعلمهم اياها فهل يبقى لهولاء الوالدين
الاشقيا محل للرجا بالخلاص فانا لست ادري غير انني سالكم ان تجيبوني اذا احتسبنا انكم قد علمتم هذه
العلوم الفاسدة المقدم ذكرها لشاب اخر غير ملتزمين به بوجه من الوجوه اصلًا نحو قولنا يهودي او
وثني او غيرهم من الامم اما تلتزمون ان تعطوا عن ذلك حسابًا صارمًا مستقصًى امام منبر الله المهيب فما هو اذًا
الحساب العظيم العتيدين ان تادوه لماذا قد رميتم هذه العلوم الردية لابنايكم الذي تلتزمون من قبل ناموس
الطبيعة ان تعلموه علومًا مقدسة وترشدوه دايمًا في محجة الخلاص فمن ذا الذي يستطيع ان يدرك
شدة صرامته فلتعتبرون ذلك جيدًا لكيلا تزلوا فيه ؛

قم

القسم الثاني

العدد ٦

قد كان اليشع النبي راجعًا من توديع معلمه ماري ايليا النبي حين خطف الى السما على مركبة نارية وبينما كان
صاعدًا تلك العقبة متوجهًا الى بيت ايل واذا بجوق من الصبيان خرجوا من القرية وطفقوا يسخرون
عندما راوه قايلين ازدراية هلم يا ايها الشايب الاصلع اصعد يا اصلع اصعد يا اصلع فانذهل اليشع
من هذه الوقاحة الشنيعة في عمر كهذا صغير ولاجل ذلك ما استطاع ان يسكن الغيظ في قلبه بل
التفت بحدة الخلق نحو اوليك الصبيان الفاجرين ولعنهم باسم الرب حسب قول السفر الالهي وعند
تمام نطقه بهذا الكلام خرج حالًا دبان من الغيض وهجما على اوليك الصبيان كهجمة الذياب
على الخراف المرتعبة وشرعا يخدشان بعضًا باظفارهما ويفترسان البعض وينهشان افخاذ البعض
ويخلعان اعناق البعض ويجردان عظام البعض ويفرزان امعا البعض حتى انهما لم يتركا احدًا [illegible] وصنعا
منهما ملحمة مريعة وافترسا ٤٢ صبيًا بموجب النص الالهي القايل وخرج دبان من الغيض فافترسا
منهم اثنين واربعين صبيًا فان سالتم يا معشر السامعين مفسري الكتب المقدسة عن حالة هولاء الاولاد
فيجيبوكم قايلين ان هولاء الصبيان لم يكونوا بعد قابلين الخطا كثيرًا لان الكتاب المقدس يسميهم صبيانًا لانهم
كانوا صغارًا بقوله خرج صبيان صغار من القرية فلماذا اذًا عوقبوا بهذا العقاب الشديد وان
اردتم ان تعلموا ما هو السبب فاسمعوا هو لكي تعاقب اباهم عن التربية الرديئة التي كانوا يربونهم
هكذا علم ايرونيموس وغيره من المفسرين الكثيرين حكمًا قايلين ان الله عاقب الصبيان لكي يقاصص اباهم
والديهم فهم فيا ايها المسيحيون احبابي انهم تربوهم اولادكم مرارًا كثيرة تربية غير لايقة قليل من اليهود
الكلام صحيحًا لكونكم تطلقون لهم العنان وتدعونهم يسعون في كل اهوايهم وتستصعبون ان
تصونوهم مضبوطين في زمانكم ولكن ما هو العقاب الذي يوافيكم لذلك حتى في هذا العالم ايضًا
فهو هذا انكم ستبصرونهم يومًا ما مضطهدين امواتًا امامكم بعار وفضيحة ايضًا قبل بلوغ اوانهم
لان استحقاقكم قال اولادنا لمنا فيتشكون على [illegible] لانهم صاروا [illegible] مفترين [illegible] فلو فرضنا
انهم يعيشون حياة طويلة فما يمكن انهم تندمون لكم [illegible] ثبات [illegible] والغيظ قال الله
في سفر ابن سيراخ الحكيم ملق ابنك فيجعلك خايفًا لاعبه فيحزنك [illegible]
تسوح في القفار بسبب ابنها اسماعيل الذي [illegible]
من خسارة الملك بسبب ابنه ابشالوم الذي كان [illegible]
شاول [illegible] الاسباط لعلة [illegible] [illegible]

على زهد هذا الشيخ الصالح قد كان راجعاً من الغربة مع اولاده ونسايه الى ارض كنعان وابتاع هناك
حقلاً من اهل شخيم ونصب فيه مضاربه وقسم بعد ترتيب مواشيه ليقتطن فيه واذا بابنته دينا التي
كان لها من العمر ١٦ سنة لما سمعت حسب شهادة يوسيفوس اليهودي المورخ ان نسا مدينة شاليم
كن يتوردن الى قريبة من هناك ليجتمعن ويصنعن عيداً لها فاستاذنت اباها بان تنطلق الى هناك
لتتفرج عليهن قليلاً لانها كانت ضجرت من السكنى المديدة محتبسة تحت الخيام ولكن ما احسن ما كان
صنع يعقوب لو تصلب عليها قليلاً وصدها عن تلك الرعانة الصبيانية الا انه طاوعها ولم يرد يحزنها
لانه لم يطق ان يراها تبكي وتتوسل اليه فقال لها اذهبي اتذهب دينا يا يعقوب اه وا اسفاه عليك
يا ابنة ساذجة ويالك من مسكين ايها الاب ما اكثر العثرات ما ارهب الاشراك الواقفة عليكما من غير
ان تعلماها وذلك من جرى الفرجة الصبيانية فلنتبعن تتمة القصة فانها على الحقيقة رهيبة
ومرعبة لما خرجت الصبية لتتفرج على احتفال النسا لكن مع انها ازعجت جهدها لتتحفظ بالحيا والاحتشام
فراها شليم عتي الطبع وانصاد بجمالها وهام بعشقها ولهذا اختطفها وافتضها ولانه كان ذا شرف
وعظمة عند السكان شيخ تلك المدينة اي مدينة شخيم عانقها وطيبها واقنعها ان تستقر معه في سرايته
وتصير له زوجة شرعية فلما سمع يعقوب ابوها هذا الخبر البيو قام ودخل المدينة ليبصر كيف يدبر حال
ابنته فقدم له حمور شيخ مكلما بما كان يتقدم من الواجبة لاكرام رجل غريب وضيف حتى ان شيخ المدينة المذكور
نفسه اشهد بعلو ذاته انه يقدم لعرسته الحديثة مهراً وافراً جزيلاً واهدى لها هدايا غنيه ويعين لها مدخول
جزيلة واشترط على نفسه ان يجعل صلحاً وسلاماً دايماً مع الاسرائيليين الذين كانوا قليلي العدد جداً
وارتضى ان يعطيهم اراضيه بينها وحقوله ومراعيه واملاكه ليتمتعوا بها اكراماً للعروسة الحديثة فلما
كان في حومة هذه الشروط والعهود عاد اولاد يعقوب راجعين من رعاية المواشي وحالما سمعوا بافتضاح
اختهم ضربوا مؤامرة مختصرة فيما بينهم وختموها [illegible] الضغاين في قلوبهم انتقاماً ظالماً جايراً
فقالوا للشيخ شخيم انهم يقبلوا الشروط التي افترضها غير انه يوجد مانع واحد فقط متوسطاً
ما بينهم وهو انهم لا يستطيعون ان يعتشروا مع رجال غلف فاذا اذا قبل اهل شخيم سنتهم باتفاق
واحد واختتنوا جميعاً فيقبلوا الالفة معهم ويزوجوهم بناتهم وبما ان النفس المتشوقة من مرض
العشق لا تابى قبول كل شرط يقدم لها فقبل الشيخ هذا الشرط وجعله بصك شرعي ثم اشهره لاهل
المدينة واقنع اهلها جميعاً بحجج واسباب شتى فلذلك رضوا بان يختتنوا ولكن اسمعوا ما جرى من بعد
ذلك لانه لما كان اليوم الثالث من بعد قطع الغرلات وهو اليوم الذي يشتد به غالباً وجع كل جرح

وإذا

واذا باثنين من اخوة دينا وهما سمعان ولاوي ولجا المدينة متسلحين ولما كان الرجال طريحي الفرش
لتفاقم الوجع من قطع غرلاتهم غير محترسين الخيانة وعاجزين عن المحاماه طفقا يفتكان بكل
من وجداه من الرجال وبذبح الاطفال والشيوخ والمرضى ولم يعفيا احداً من الذكور ثم صعدا بعنف
وحنق الى سراية الحكم ووثبا على الشيخ المذكور وقطعوه بالسيف ارباً ارباً ثم اختطفا دينا
اختهما واتيا بها الى الخيام عارية متاملة قبل ان تتمم بالعرس ولا تظنوا انه هيهنا انتهى سخطهما
لانهما رجعا فيما بعد مع بقية اخوتهما ودخلوا جميع المدينة ونقضوها عن اخرها فهدموا البيوت
وضربوا البساتين وهدموا الابراج واستاسروا جميع النسا وسبوهن ثم جمعوا الخيل والمتاع وقسموا
على كل البلاد بالسيف والنار ولم يعفوا عن حسن الروض ولا عن خصب المواشي ولا عن ثمار
الاملاك والقنيات حتى انه شاع خبر ذلك جميعه في البلدان الكنعانية ونهض جميع سكانها بالسخط
وحملوا الاسلحة واستعدوا للقتال والقتل وهجموا على مصال يعقوب [illegible]
ونسايه فخاف [illegible] واسرع فحمل وانصرف من هناك بسرعة [illegible]
خصوصية لكان قتل هو وبنوه معه [illegible] المكرمون
ما اكثر التبلبلات والاخطار والعثرات [illegible]
من رخاوة اب حنون مع ابنته [illegible] من دون
رقاد قلقاً من الضيقات المذكورة [illegible] ابنته تلك [illegible]

العدد ٧

يا معشر السامعين سادات [illegible]
تفطنوا وتيقظوا قليلاً في النيام
ان هذه الاخبار لم تدون عبثاً في الاسفار المقدسة بل لكي تعلمن وتعرفن ولهذا اتيتكم انا بذكرها
راغباً ان تعتبروها كما يجب وتستفيدوا منها اعلموا متيقنين انه لصدق بل كل الصدق ما جرم
سليمن الحكيم قايلاً ان الصبي الذي يترك الى ارادته يخزي امه لعمري ان اول من يخزي العواقب
الشريرة الصادرة من اطلاق العنان للاولاد هما الوالدان وهذا هو الذي قصدت ان ابينه
لكم في قسم عظتي هذه التالي ومن ثم اصغوا وابتدروا في ان لا تتقاعدوا واعزاتي لجموحهم منذ اول
نشو صباهم وعودوا انفسكم سريعاً على ان لا تتمموا لهم اهواءهم ولا تنغلبوا لتوسلهم في الصبا
وبكايهم الملين للقلب لما يطلبون ان ترخوا لهم العنان قليلاً وتتوسعوا معهم والا فلا يعود
يمكنكم فيما بعد ان تكبحوهم لان [illegible] الذي لا يرتاض فهو عاص [illegible]
سفيهاً ولا شك في انه عار عليكم ان اولادكم يكونون منذ حداثة سنهم [illegible] بهذا المقدار حتى

الكم ليلا تشاهدوا على خدودهم دمعة واحدة تبحثون لهم بان يمضوا الى اماكن الخلاعة
والرقص والاعياد الاحتفالية الغير لائقة والى الملاهي والمسارات الغير اللائقة من السفاهة
تغضبوهم فانا لست احجر عليكم ذلك ولكن فليكن حبكم لهم مفيدًا نافعًا لا حبًا موديًا ومضرًا كم
كانت تلك الملكة بلنكا تحب ابنها الصغير لودوفيكوس ملك فرنسا ومع ذلك كانت تخاطبه كل يوم
هكذا يا ابني فانني اوثر ان اشاهدك ميتًا على ذراعي قبل ان اشاهدك تخطي خطية واحدة مميتة
فلماذا انتم لا تحبون اولادكم ايضًا بمثل هذه المحبة الخالصة الصالحة والحال ان كثيرات ايضًا
من النساء اللواتي يقلن لاولادهن كلام الملكة بلنكا المذكورة مع ان حبًا وافرًا كان مستكنًا
في افئدتهن نحو اولادهن تشكو وهذه هي الكلمات التي كانت تستعملها ايضًا على الدوام شفتيها
[illegible] الملكة الشهيرة [illegible] كل مرة كانت تحدق ناظريها في اولادها
ليس حسنًا لكم [illegible] الموت فتصطبر [illegible] ويدنون من الموت على الاخص كانت
تخاطبهم هكذا [illegible] بالاحرى ان اصابتكم مصايب حتى ولو كانت مصيبة
الموت ايضًا [illegible] البيضا النقية في الملكوت [illegible]
مما ادعكم تجيئون [illegible] بخطية [illegible] كيف تبلغ النعمة
الالهية ان [illegible] في قلب امراة [illegible] انكم قد حصلتم على
حال [illegible] الخطاب وكذلك [illegible] منكم [illegible] وهو ان
تخرجوا من ههنا معتنين باولادكم اي تهذيبهم حسنًا مقتنعين [illegible] نظر الله
وان خلاصهم الابدي كله متعلق بكم [illegible] خلاص السفينة الصغيرة في حين الاضطراب
في البحر بالملاح الضابط الدفة ولاجل ذلك احتملوني ولذ قلت لكم انكم تعاينون اولادكم
مثلما تشتهون ان يكونوا فاذا اردتموهم سفهاء غير مهذبين فهكذا تبصرونهم واذا اردتموهم
قديسين فتبصرونهم قديسين وانا عالم علمًا يقينًا بانني لست اقول لكم ذلك عبثًا وخلوًا من
بيان ومن ثم اقول لنصوفيا ام [illegible] المعظم لقد تاقت ان يكون ابنها هذا شهيد
يسوع المسيح ولذلك كانت ترغبه في الاستشهاد منذ نعومة صباه بتحريرها له دفعات
كثيرة حسبما حكت سائر الشهداء الابطال واخيرًا ابصرته بعد ذا شهيدًا [illegible]
المغبوط اسقف كنتواريا لقد تاقت بان يكون ولدها هذا محافظًا بكارته على الدوام ولذلك كانت
تحرضه من نعومة اظفاره على [illegible] لتشجعه على حب فضيلة الطهارة

واخيرًا

واخيرًا فازت بمقصودها بسهولة عظيمة وقد اشتاقت اليتا ام القديس [illegible] ان تجمع ستة
اولادها الذكور معًا لخدمة [illegible] منفردين عن العالم ومن قبل ذلك كانت تربيهم منذ صغرهم باطعمة
لا فاخرة كما كانت تقتضي مرتبتهم الشريفة وغناهم الكثير بل باطعمة جافة قشفة نظير السواح و
الرهبان مثلما كانت تشتهيهم واخيرًا حازت اربها وعلى هذا النحو ايضًا رامت الملكة ولفريدا ان
تصير ابنتها اديثا قديسة فصيرتها وهكذا صنع والد القديس [illegible] الراهب وبمثله صنعت
ام القديس [illegible] الاسقف وبمثلها صنعت ام القديس [illegible] رئيس الرهبان وبمثلهم صنعت
ام القديسة لونفردا البتول وعلى الاطلاق اقول ان هذه الحقيقة التي استفدتها من تداولي تلاوتي
كتب التواريخ المقدسة وهي عندي محققة ولست اغلط بها لان جميع الوالدين الذين طلبوا ان
يصيروا اولادهم لا خاصيين فقط بل قديسين وبهذه الغاية دبروهم منذ ابتداء نشوهم على مر السنين
نجحوا بنوال مطلوبهم وانما بالكم انتم لا تستعرفوا ايها الاباء والامهات بمنزل الرضا لاولادكم ما هو الذي
يصدكم ويعيقكم عنه ادب ابنك ولا تايس هكذا اقول لكل احد منكم مع الحكيم ليت شعري ما هي الصعوبة
التي تستصعبونها في تجربة ذلك لتروا هل يمكنكم ان تصيروا اولادكم قديسين يا لعظم سعادتكم ان
صار كل منكم ابًا وامًا لولد قديس لما تتغارون من حظ ام المكابيين السعيدة التي حظيت باولادها
شهيرين مختصين في العالم كله اما تؤثرون ان تتغايروا [illegible] القديس العظيم اما ترغبون
ان تماثلوا [illegible] العفيفة ولكن اعلموا ان هولاء قد صيروا اولادهم هكذا بتعبهم وحسن
تربيتهم لهم فاقتدوا اذًا انتم بهم ولا بد ان تمضي سنون كثيرة ويوجد لكم من يغار منكم غيرة مقدسة
باولادكم الصالحين والبركة عليكم امين

ديد

العظة السادسة والعشرون

تتضمن تشجيع اهل الصلاح ليقبلوا من الله تعالى
في الخميس بعد الاحد الرابع من الصوم المقدس
الموت بفرح في اي وقت وافاهم ويستفيدوا من ذكره ونصايحه تتخذ ينبوعًا بمنزلة المشير في سائر
افعالهم الاعظم اهتمامًا   واذا محمول قد مات ابن وحيد لامه هكذا كتب مار لوقا في ص ٧
من بشارته   انني لا اظن انه يوجد شي يجعل الانسان خايفًا جبانًا متمايلًا ومتعذرًا بل
ساهيًا وزميلًا ايضًا في كل عمله بمقدار ما يجعله الخوف من الموت ومن جنايزهم بعضًا يهربون من استماع
الوعظ فهذا النهار لانه فيه يكون الخطاب عن الموت ولو علموا ان الواعظ هو بطرس الذهبي
اللسان او يوحنا فم الذهب قد قاما من بين الاموات فكم بالاحرى يهربون من استماع واعظ نظيري

العدد

وانتجوا من ذلك وهل مثل هولاء يطيقون ان يحفظوا في بيوتهم ذكراً ما مما يخص الموت مثل قولنا اتمونه
او شخصاً او كتاباً يذكرهم به او هل يحبون ان يتخاطبوا بمخاطبة تصالحه ما بين اقربايهم او ليهابايهم
لعمري لا يصنعون شياً من ذلك لانهم يخافون من ان يصيبهم ما اصاب فيلبوس الملك المكدوني
الذي خبروني عنه انه كان في ذات ليلة يتخاطب مع اعيانه واثبت عندهم ان افضل انواع المميتات
هو الموت الفجائي وجرى حالاً في ذاته في اليوم التالي لانه مات موتاً فجائياً الذي كان يقول انه يختاره
لنفسه وهولاء ايضاً هل يمكن ان يذكرهم احد بكتابة الوصية الواجب ان يعمل بها بعد وفاتهم حاشا
لانهم يتوهمون انهم اذا ما كتبوها يتقصر عمرهم ولا يبقى لهم في العالم عمل اخر سوى التفكر بالارتحال عنه عن
قرب وما الكرقيه النجمي عندهم فتراهم يبتاعون منهم مكاواهم بالغالي ثمن ولا يزالون ملتصقين بهم
على الدوام لكي يخبروهم باية موتة يموتون وما هو الخطر الواجب عليهم ان يحذروه هل السيف ام
النار ام الماء ام التهور ولولا قليل لكانوا تمثلوا بارتيمون ذاك الغبي الذي ذكر عنه انه كان يجعل
اثنين من عبيده يحملان فوق راسه دايماً ترساً حذراً لما يسقط عليه شي من العلا ويرض راسه
فهذه الاحتفاظات الباطلة والاوهام المضحكة ذلك الجنون ينقاد اليها الناس من اجل شي من افراط
خوفهم من الموت نعم انني اقول لكم الحق ايها السامعون انه لو يجري ذلك من اناس اشرار خطاة
عصاة فقط لما كنت اتعجب كثيراً لان مثل هولاء المساكين لهم ان يرتعدوا من تذكرهم ذلك
الانتقال المريع الذي يلقون منه الى جهنم لكن اذا جرى ذلك في اناس اتقيا محترسين على نفوسهم
ومستنيرين تستنيراً متقدماً عن الخطا بجهدهم كله فهذا لعمري يوعبني عجباً وذهولاً ما بالكم ايها
السامعون المتورعون تنتزرون ان تفروا هاربين من مشاهدتكم شاباً مايتاً محمولاً الى القبر فلا
تهربوا بل انتبهوا هنا لتسمعوا خطابي قبلاً لانه قد خطر على بالي ان اباشر اليوم عملاً جليلاً لا يعزيكم
ويبدد روعكم كثيراً وهو ان انتهزم الرعبة من قلوبكم وان لم يمكني ان ازيلها كلها فقلما يكون
جزء منها لان هذه الرعبة هي التي توذيكم اكثر من كل شي ولا بد لدعكم ان تعقلوا جيداً كيفية الاستعداد
الواجب الى الموت واظن انه لا يلزمني تعب كثير في هذا العمل وهو انني ازي الاطفال الذكور يقوا من بعد
شخصاً ما ميتاً لا ينغشون به الوقت خوفهم يحملهم ان يجروا باكين في حضن امهاتهم ولكن ما هي
الطريقة التي تستعملها امهاتهم لكي تشجعهم لئلا يخافوا منه فيما بعد فهو هذا وهو انهن يدنينهم
بايديهن صورة الشبح الذي يرعبهم ويرينهم ليس بهدو رعبهم فقط لكن يلمسن بيديهن مقيمين
ويتكلمون معه تلك الصورة مازحين وكذا الى الاجل ان يخطفها من بين ايديهم غصباً فيكونون على

هذا

236

هذا النحو اريد انا ان اصنع معكم اليوم ايها السامعون المباركون فاني اريد ان اجعلكم الان تمسكون
بايديكم قليلاً ما هو هذا الموت المرهب للناس لكي تعلموا من ذلك هل ينبغي لكم ان ترهبوه انتم بمقدار
المقدار الذي يجب عليكم بالحري ان تحتضنوه بفرح وابتهاج في اي وقت شاء لكم حتى الا قول ان تشتهوه
وتطلبوه غير انني افترض هنا شياً واحداً كما قلت انفاً وهو انني اخاطب اناساً اتقيا ومتورعين
ولو قليلاً فاحسنوا الاصغا الي ولنبتدين سريعاً بالخطاب غير قاصر فيه قدر ما قدرت بالايلا ان افضل
في ايراد جميع الاسباب المقنعة في موضوعنا هذا التي طالعت وتعبت تعباً ليس باليسير في تحصيلها
نظير النحلة لاجل فايدتي وفايدة غيري ايضاً من روح الكتب الصالحة الخلاصية

العدد ٣

من منكم ايها السامعون اذا اضطر ان يسافر مع جماعة في فصل الشتا في طريق بحر ضيقة معرقبة [illegible]
خطرة وفي سيركم اذا اتفق وصادفتم في الطريق فلاحاً ينظم سياج كرمه او [illegible] فانتم تسالونه
قايلين هل يوجد طريق اخرى غير هذه تودي الى البلد الفلاني فان قال لكم نعم انه يوجد طريق اخرى
احسن واسهل وايسر الا انكم حالاً تعترون غيظاً وسخطاً على القايد الذي ارشدكم بهذه الطريق
الصعب من تلك الطريق الصعبة ولكن ان قال لكم ان هذه هي الطريق الشايعة المطروقة الواجب المسير
بها على الجميع وليس غيرها فتشددون عزمكم وتتبعون المسير بها ولو كان شاقاً صابرين ومطمينين
ومطمانين باوفر سلامة وان سالتموني ما هي النتيجة التي قصدتها بهذا المثل فاجيبكم قايلاً هو هذه
اي اننا نحن لو كنا نضطر بان نسلك فيما يخص موتنا سبيلاً غير مطروق بل غريباً وغير معروف فلم يكن
يتبين لنا امر مستغرباً اذا شكونا في تقتادنا فيه لكن لما كان هذا السبيل العام المستطرق من الجميع
فلنتشجعن بالخوف ولا نرهب ولا نحزن من مسيرنا فيه نظير غيرنا ان داود لما دنت وفاته قال انا منصرف
في سبيل اهل الارض كلهم وبهذا الفكر كان يشجع نفسه بالانتقال الشاق من هذه الحيوة اي بافتكاره
انه منصرف في سبيل الموت الذي به تنصرف البشر والحيوانات كلهم وبهذا الافتكار كان ابن نون ايضاً
ويعقوب وجميع الابرار يعدون نفوسهم الى الموت ولم يرهبوا لانهم مع ما قال عنهم المعلم البارع يدرون
كانوا يفكرون ان الذي لا بد عنه فالاولى ان نتلقاه بفرح وقبول ولا شك فانه عرفنا نكون غلطنا جداً اذا
استغبان لنا اننا نحن مظلومون من حيث انه لم يعفو عنا ذلك الموت الذي ما عفا عن ابرهيم الجليل
بالقداسة ولا عن يوسف المشهور بالطهارة ولا عن سليمان المعروف بالحكمة ولا عن بطرس البديعة
بالجمال ولا عن يهوذا المعجبة بالشجاعة وامثالهم من هولاء الافاضل الذين كان واجباً ان يستعفوا عن الموت
فهل لنا الجميل وايدة الجميع قد ماتوا وبادوا فما نحن فهل هو من اللايق ان يتبقى لنا الاستعفاء ان نموت ثم كلهم

وص

بالموت [illegible] لكي يعودوا الرسول اشجار خرنوبية في الارض بلا ثمر يصدر لهما مثار الاجد وضرر

العدد ٣

لا نفع [illegible] ولكن ولكن لا تجيبوني بلغة العامة الجهلة قايلين
[illegible] الذي تعرفون من الموت [illegible] بعد ان اعرفوا من الموت المالوف في احبابنا هذه اي الموت السريع
الذي يقبضنا في عنفوان عمرنا [illegible] لكم انا [illegible] عدم وجود من يعين اليوم حيوة
منتظمة [illegible] وتارحو وغيرهم من الذين استطاعوا ان
يحصروا [illegible] وعواطف ذليلة وان كنتم تحسبون بها
فلا يعود لكم سوى ان تحسدوا [illegible] الوثني المدعو [illegible] الغزلان والتنانين والغربان
التي [illegible] النسر الاعز عندنا ويا ليت شعري من هو من الناس
العائش في [illegible] سعيدة [illegible] تجعلنا ان نتوق بالحري الى حيوة [illegible] لم نذكر في الكتب
المقدسة عن بني اسرائيل انهم صيروا في مصر حيوة شقية وتعبة [illegible] في الارض قبيلة اخرى فقط
[illegible] كانوا [illegible] مستوكلة بهم [illegible] ومن الشعوب [illegible] وكان ختم عليهم
بان لا يبرحوا [illegible] الطين [illegible] فيه كالضفادع النتنة ليبتنوا منه ابنية عظيمة [illegible]
[illegible] في البيادر ليجمعوا تبنا لعمل اللبن واخرون كانوا يتعبون في الغياض لقطع الخشب
والحطب واخرون يجاهدون في نقل التراب والرمل واخرون يسهرون في حرق الاتون وغيرهم ينقلون
الحجارة ومع ذلك جميعه لم يكن لهم اجرة اخرى عن مشقاتهم هذه الكثيرة سوى الضرب والجلد واذ ضربوا
ظلما ضد العدل فلم يكونوا يستطيعون ان يمضوا للمحاكمة ويطلبون انتصافا اي تصير لهم فيها معيرة
ومحقرة اوفر وما عدا ذلك كله فقد بذل اهل مصر كل مجهودهم في قطع ذريتهم وابادتها بالكلية ولان
[illegible] عند المصريين كان [illegible] فحكم على اطفالهم ان يموتوا غريقا في نهر النيل ليصيروا
فريسة للتماسيح [illegible] هذه الانتهابات والنوايب المرتكبة بالعبرانيين الذين كانوا
[illegible] الامة المختارة والمحبوبة لديه تعالى [illegible]
[illegible] قلوبهم [illegible] مصر [illegible] الخروج منها
دعاهم [illegible] الارض [illegible] الصنيع يستعمل [illegible] زمانا
[illegible] في هذه الحيوة [illegible]
[illegible] مكدرة ومحزنة
وساير اصناف [illegible] والبلايا الشدايد
[illegible] الحوادث [illegible] تعلى

قوليس

237

قد ذلك تزداد علينا الاهوال والاحباليات وذلك جميعه لما لا يشوق علينا الخروج من هذا العالم
وكان تحل بنفوسنا كل وقت على لسان ايوب النبي قوموا فانطلقوا فليست لكم هاهنا راحة واما
نحن المساكين فاننا الان قد اصلنا على الطول [illegible] لكن حالما ننصر من بعد ملامات الرحلة
المحتومة علينا مضطرب افكارنا [illegible] في مناصلنا وترتعد فرايصنا ونلتجي الى السما
سايلين ان يفسح باجلنا سنين اخر ولو كنا قد طعنا في ايامنا وقد ابيضت شعورنا وكلت قوانا
وما هو هذا السقوط تحت ذلك التوبيخ المر الذي وبخ الله به بسط افرايم الشقي لما سماه حمامة
غبية عديمة المشورة حمامة خالية من الحكمة قايلا وصار افرايم كحمامة جاهلة ليس لها قلب وان
سالتم ما هو جهل الحمامة هذا المذموم اجبتكم انه هو محبتها الوافرة للبرج المستوطنة فيه لانه وان
حدث لها كل يوم اهانات واهوال عديدة ويخطف منها افراخها احيانا او قلت رفقتها اوقات ويكسر
بيضها مرارا شتى ولانه يهرب من برجها لكنها تعود اليه راجعة وتجعل فيه عشها فما لهذا النمط
نصنع نحن ايضا فاننا نرى مقاصدنا ورغباتنا تتعكس ههنا في الارض ونعاين انفسنا مقتدرين
مضطهدين ومن الخصما محسودين ومن الاثمة مبغوضين ومن الاعدا مكمن علينا ومطرودين والارض
ذلك فهو هذا اي ان تخطف منا الاشيا الاعز علينا في العالم ومع ذلك جميعه نحب هذه الارض الخاينة
ونتعلق قلوبنا بها ثمارا لنا ونستوطنها بفرح وسرور كانه لم يعد لنا في العالم الاخر مخادع ابهى واحسن واغنى
واكبر من هذه المنازل الحرجة الضيقة الفقرية التي هي لنا في هذه الارض المظلمة

العدد ٤

ولكن ولو افترضنا معكم اننا نعيش ههنا عيشة رحبة سعيدة لذيذة فمن ذا يعلم ان كانت طولة العمر
هي عيدة ان نزيد على نفوسنا اثما يحسب الله تعالى لنا اكثر من قصر العمر قد اثبت المورخون
عن بمبايوس الملك قايلين لو كان مات قبل مماته بعشرة سنين لكان صار في العالم صيتا في السعادة
والبسالة اكثر من جميع الملوك سلفايه وكذلك نيرون الملك لو مات قبل وفاته بسنين قليلة لكان حسب اوفر
الناس حلما واكثرهم رحمة وكذلك غلبا الملك لو سبق الموت عليه قبل زمن وفاته لكان صار بعد موته عند
جميع الحكام نموذجا صالحا في تدبير الانام ولكن لاجل ان هولاء الملوك الرومانيين المذكورين طال عمرهم اضحوا
جهلا عند اخر حياتهم وابدلت اوصافهم الحميدة القديمة وماتوا بعار وفضيحة وحصلوا على صيت
ردي مذموم عند جميع اهل الارض وبعكس ذلك ما احسن الحظ الذي حظي به الاسكندر الكبير ملك
المقدونيين ولكن هل حسن حظه كان انتصاره على دار يوس ملك الفرس وظفره ببيروس ملك [illegible]
وافتراضه الشرايع والسنن على الهنود وشعوب البربر ايضا كلا بل ان حظه الاعظم كان هلاك اي وفاته

شابا لان لسان الحق عند المؤرخين كافة انه لو طالت حياته مدة سنين اخر لكان خسر عزمه ومجده
والاسم الاعظم الذي هو لاسكندر الكبير والملك المعظمين وذلك لان الغرب كله كان قد تحزب عليه واستعد
على محاربته وادماره بقوة عظيمة الا ان ميتته المبكرة خلصته من هذه المعركة وحفظت له الصيت
العظيم في الارض فعلى هذا النحو نقول ما اكثر الذين لو ماتوا قبل وفاتهم ببعض سنين وكانوا الان في الملكوت
قد يسبحون متنعمين مع استحقاقهم ولكن لانهم عاشوا حيوة اطول ها هوذا الان يتعذبون وينوحون
مع الشياطين في جهنم فما بالنا اذًا خايفون من الموت حتى ولو وافانا سريعًا في زمن شبابنا
اذ صار سببا لخلاصنا انني اراكم اذا افتقدتم فعلمتم بعين الحكمة انها القريبة ان توافي على زرعكم وكرومكم
زوبعة او داهية اخرى ردية فتسرعون وتحصدون باكرا الزروع ولو لم يبيض كله وتقطفون الكروم
والاثمار قبل ان تنضج وتحلى جيدا وبالنتيجة قبل ان يبلغ اوان قطفها الطبيعي فلماذا اذًا نشق
علينا حينما يشا الله جلت احكامه ان يقتطفنا باكرا من هذه الحيوة الشقية قبل اوان الشيخوخة
راحما ايانا بتلك الرحمة عينها التي ترحمون انتم بها زروعكم وكرومكم واثماركم خوفا من ان يصيبها
شدة ردية وتبيدها اسمعوا ما هي العلامة التي اوردها الحكيم في نفس الصديق المحبوبة من الله قايلا
وكانت نفسه مرضية للرب اعني ان الباري تعالى جل ثناؤه احب ذلك الصديق ولما وافى عليه خطر الهلاك
ولهذا لماذا فعل فبادر ونقله من هذه الحيوة لا قصاصا له كما يصنع مع الذين انعطفوا الى الاثم لكن
لاجل صيانته من الخطا كما اردف الحكيم قايلا ولذلك بادر ان يصرفه من وسط الشر لئلا تغير الرذيلة فهمه
او يطغى الغش نفسه

العدد

اخبروني صادقين ايها السامعون من
منا يعيش في هذه الارض ولا يكون حاصلا في اخطار كثيرة من الخطايا اولا وبالتالي حاصلا ايضا
في خطر الهلاك الابدي قد سيل يوما احد الفلاسفة المدعو استيسيكورس اي نوع من السفن
هو الامين مثلا هل المراكب ام الغلايين ام الشيطية ام الشنبر ام القياسة ام جفنة اخرى تسير في البحر
اما ذاك فاجاب حالا بحذاقة وقال ان السفينة الامين هي التي وصلت الى البر او غير ذلك اي ان كل
سفينة طالما هي في البحر سايرة هي في خطر الغرق دايما ولو مهما كانت وهكذا نستطيع ان نقول في كل انسان
ما يت فانه طالما هو حي اي ما دام سايرا في بحر هذا العمر فهو على الدوام في خطر الغرق بالخطايا ومن ثم
اي شي يجب علينا ان نشتهيه ونطلبه باوفر حرارة سوى ان نصل عاجلا الى الساحل ما اكثر مخاطر الغرق
والمضار والزوابع المحدقة بنا ما دمنا على وجه هذا البحر المزعج وفي هذا الصدد قال القديس كبريانوس هكذا
ان حربنا هي مع [illegible] البخل والزنى والغضب ومحبة التقدم ومع الرذايل اللحمية والملاهي العالمية

فان

238

فان كسرنا البخل فتنهض الشهوة اللحمية واذا روضنا الشهوة اللحمية والملاهي العالمية فيعقبها
الطمع واذا قهرنا الطمع فالغضب يتصلب والعجرفة تنفخ والسكر يتملق والحسد يفرق المحبة و
الغيرة تقطع المحبة انتهى وفضلا عن ذلك جميعه اما ينبغي لنا ان نتحارب دايما مع اللصوص البحريين
اعني الشياطين الذين يطوفون بحر هذا العالم الليل مع النهار سايرين نحو اثرنا ليقتنصونا فحقا اذًا لما
قاله ايوب الصديق ان حيوة الانسان جهاد على الارض فلنبادر اذًا مسرعين ايها السامعون
الى الميناء ولنحقق التحقيق الكلي لانه لا امان ولا سلام لنا الا فيه ولهذا فلنطلع بتلوع فتحة الريح
التي تحملنا اليه ولا نبالي بترك هذا الجسد المحبوب لدينا قد رايتم النوتية المطرودين من القرصان
المغاوين انهم لا يطلبون شيا اخر سوى نجاة نفوسهم ولذلك اذا ما وصلوا بعد تعب وكد جزيل
الى البر فلا يلتفتون الى سفينتهم ولا يفتكرون في حال انها تتوخذ من البربر ام هل يعطبونها ام هل
يحرقونها ام يسيفها البحر فليستلم اذًا الجسد بالاعى من اراده ليشبع صورته وليقس عليه كيفما اراح
لسرج فماذا يعنينا ذلك اذا انتقلت النفس ناجية وحاملة بضاعات جليلة الى الملكوت لتستريح
هناك راحة دايمة الى الابد

العدد ٦

ثم انني اظن انكم تجيبوني قايلين انه هذه
هي بغيتنا يا ابانا وهذه هي اشواقنا ان ننتقل ونستريح في الملكوت لاننا اذا علمنا اننا نحظى بهذا
الانتقال السعيد فنحن نقبل الموت فرحين مبتهجين لكن من هو الذي يوكد لنا ذلك على ان السبب
الذي يصير لنا الموت بغيضا انما هو خوفنا من شر اعظم وعلمنا ان الموت هو نظرا الى الكثيرين انتقال
من البلايا الزمنية الى البلايا الدهرية مهلا الى لقد فهمت مضمون كلامكم لكن اذ كنت امام الغلط
فتكونون انتم قد فهمتم خطابي بغير حق اما قلت لكم منذ ابتدأت ان خطابي هذه المرة ليس هو مع الخطاة
المستفحلي السيرة المستغرقين في كل نوع من الرذايل اولئك الذين يظهرون عن نفوسهم انهم
طالبون الهلاك نظرا لتمردهم في الخطايا وعدم ندامتهم عليها فهولاء الاشقيا الذين لم اشا ان اوجه
اليهم خطابي هذا ليس لهم ان يخافوا فقط بل لا ينبغي ان يجزعوا ويرتعدوا اذا ما تذكروا الجحيم والم[illegible]
الخبيرين هذه الحيوة ومن ثم اكرر عليكم كلامي قايلا ان خطابي هذا انما هو مع اولئك المعتنين في
امر خلاصهم اعتناء تاما واذا سقطوا فيعودوا وينهضوا في وقت موافق واذا اخطاوا فينتبهوا على نفوسهم
واظن ان غالبكم من هذا الصنف ولذلك اقول لكم انه ينبغي ان تتقوا الله عز وجل فانكم بدون ذلك
السيد المسيح الذي يفسر هذا الاسم اي عمري في زمان الاحزان كما جاء في سفر الزبور المقدس
انه لا يتخلى عن احد في حين الاحتياج اذا استغاث به من جوارح قلبه ومن [illegible]

بين يديه كل يوم نفوسكم لكي يعينكم في انتقالكم الاخير من هذا العالم هاتفين نحوه من صميم قلبكم بهذه
النوافذ الخشوعية لا تذكر لي مخافة انت رجائي في يوم البلا او هذه خلصني من يد الاشرار او التي
تلو ذلك انقذني من يد الجبابرة او هذه التي هي من سفر الزبور لا تهملني عند فنا قوتي واذا رغبتم
عن المذكورات نوعًا ما فاجعلكم ان تحضوا في ان الموت ينقلكم الى الملكوت فاصغوا هذا الذي
وعظكم به من ايوب كثيرًا اي اقبلوا الموت اختياريًا من تلقا نفوسكم ان الكتاب المقدس يخبرنا عن
ذلك النبي الذي ارسل باجتهاد عظيم الى يربعام المنافق وتعدى وصية الله تعالى في انه لا يقبل في
الطريق ضيافة احد كاينًا من كان ولا ياكل ولا يشرب عند احد البتة ولا ياوي بيتًا ما اصلا ثم تبين
ان اسدًا ماردًا اقتحم عليه عند عودته وقتله لمخالفته وصية الله ثم يخبرنا ان ذلك الاسد نفسه بعد ان
قتله ليس انه تجاسر على ان لا ياكله او لا يمزقه لكنه جلس فوق جثته يحرسها من سائر الوحوش الى ان اقبل
بعض انفار وحملوها ودفنوها باكرام انني اسالكم الان فجيبوني هل ان هذا النبي كان خاطيًا ام قديسًا
فان قلتم انه كان قديسًا فاسالكم لماذا اساء له الاسد وهو حي وان قلتم انه كان خاطيًا فلما حرسه وهو ميت
اجيبوني على سوالي فان اعفيتم من رد الجواب لعجزكم فيجيب عنكم القديس غريغوريوس الحبر الاعظم قايلا
ان النبي قد كان خاطيًا حقًا حينما زار عليه الاسد ليفترسه لكنه لما قبل الموت طوعًا واختياريًا قصاصًا عن
خطيته المرتكبة منه بمخالفته وصية الله فاضحى حالا قديسًا ومن ثم لما اهين اولا كانه خاطي كمثل سائر الناس
فتكرم وتوقر بعد موته كرجل بار قديس فلا تعجبوا يا اولادي من ذلك لانه ان كان المطابقة مع مشية
الله تعالى في كل صنف من الشدايد ولو كانت خفيفة تحسب فعلا حميدًا جليلا من افعال المحبة لله فكم بالحري
المطابقة مع مشيته الالهية في قضية الموت الذي يشمل منطبعًا اكثر تميزًا من بقية النوايب و
الاهوال المخيفة فاذًا ان كنتم تبتغون ان يكون الموت لكم مبدأ اكيدًا للسعادة التي ذكرتها لكم فاصلحوا
طبعكم واغلبوه وتقووا في اقتبال الموت طوعًا باختياركم متحققين ان هذه المطابقة مع مشيته المقدسة
هي الفعل الاكمل الممكن ان تمارسوه في حياتكم اسمعوا القديس اغوستينوس المعظم شاهدًا لكم بذلك وقايلا
هكذا قد يوجد بعض يقولون انهم لا يحبون ان يموتوا ليكملوا والحال انه كما انهم موسس على هذا اي
على ان يقبلوا الموت باختيارهم ولهذا فليقبلوا ما لا يحبونه لكيما يكملوا لانهم بهذا القبول يصيرون
كاملين فكانه يقول ان الذي يحب ان يحيى حيوة مستطيلة ليحصل على كمال البر فليستعد ان يموت طوعًا
واختياريًا فيحصل على الكمال المطلوب منه ◌ وقد توجد اسباب اخر جليلة وقوية تدعو
[illegible] الى قبول الموت بفرح وسرور ولكي نبتدي بايرادها راجعين الى ما كنا في صدده فاقول انني

العدد ١

ارغب

ارغب ان تتاملوا في فرح الذي يحصل عليه الانسان البار الذي يبلغ بواسطة الموت الى ان
يعرف معرفة اكيدة بنفسه انه حاصل على حال النعمة ما اعظم ما يكون ح السرور ما اكثر الجذل والتهليل
فاننا نفرح حينئذ فرحًا لم نفرح بمثله قط في حياتنا كلها ان المراة التي تحب جدًا ان تتظاهر قدام
الناس بكمال الجمال لم ليس لها موضع اشتهته المحبوبة منها اشي اخر تتالم من فقده لانها تستر منها
زينة او جمالا او بهاء كلا بل لانها بواسطتها تتحقق حسنها على انها وان كانت حسنة بديعة تقدر
ما تتا اي حمرة اللون او شعر اكيما احبت فمع ذلك لا تسر نفسها ولا ترتضي مقتنعة ما لم تشهد لها
مراتها بحسنها وجمالها فهذه تريدها ان تكون حاكمة على زينتها فلها تصدق ومنها تستشير ولا
تصدق كثيرًا خادماتها اللواتي تشهدن لها بحسنها ومن ثم ان لم تتبصر بالمراة فتشك دايمًا في انها
غير مهندمة حسنًا وتخاف ليلا يكون شعرها غير مجعد كما يليق ووجهها غير ممسوح كالواجب و
عنقها غير محوض جيدًا والحلق غير منوط حسنًا والازار غير معدل حسبما تشا فعلى هذا النحو
بل بنوع اكمل نقول ان النفس الصالحة لا تحب ولا تطلب شيئًا اخر اكثر من الحسن ولكن لا الحسن الجسد
الخارج بل حسن القلب الباطن فهذه هي اشواقها المضطرمة فيها على الدوام اي ان تظهر حسنة جميلة
بازا اعين ربها وترضيه وتقول له كلام يعقوب البار الحار حسبي ما اجده من المودة عندك يا سيدي
ومن اجل ذلك تباشر الصوم كثيرًا لتنهك جسدها وتسهر كثيرًا لتهزله وتجلده لتنزف فلان هذا هو
الصقال الذي به تصير حسنة موموقة عند الله تعالى الا انه مع ذلك جميعه فليس لها في مراة في
العالم تتخذ منها المشورة لكي تتحقق حصولها على مرامها المطلوب جدًا نعم ان لها كثيرين الذين تحركو
من الشفقة عليها ولكن اما يتقصدون خداعها او انهم يحابون معها محاباة الخادمات مع سيداتهن
ويشيرون عليها بان تكف من قهر جسدها وانه يكفي لانها قد تنقت من جميع العيوب وان جميع اعمالها
مستقيمة وسلوكها مرتب محمود الا ان تلك الانفس البارة لا تستطيع ان تستريح بواسطة شاهد
بشرية لكنها تخاف ليلا يكون تشبيها النبي او غيرهما من الحرص قايلا يا شعبي ان الذين يطوبونكم فهم
يضلونكم ومن قبل ذلك يعتريها الوهم والشك في كل فعل من افعالها ولو كان يسيرًا نظير ايوب الفاضل
كنت اخاف من جميع اعمالي وكمثل داود ايضًا الذي كان يخاف من كل وهم ولو كان خفيًا وذلك لما قال
طهرني يا رب من خفياتي ومن ثم تضطر ان تهتف مكتئبة مع بولس الرسول قايلة انني لست اعرف
شيئًا في نيتي لكن بهذا ليس تبررت فكانه يقول انه ليس في ضميري شي من الخطا [illegible] لكن مع ذلك
لست استطيع ان ازكي نفسي فما اعظم اذًا ما يكون فرح تلك الانفس البارة في ذلك اليوم الذي فيه الموت

ن

يقدرهما ان اعينهما اللتين النقية الصافية اي براءة دينونة الله الخصوصية التي اذا تفرست بهما تستطيع
ان تحكم حكماً قليلاً انني اي نقية طاهرة ناجية من الذنوب والعيوب ومأوى الشرور والعذوبة اللذان
يشتملانهما الى ذلك الحين لانهما اي بالموت تتحققان انهما من الله محبوبتان ومنتخبتان الى المجد وناجيتان
بالكلية
انني لعالم انه ولو لهما ما كشف عليهما الموت وقيد من الحقايق
عند المذكورة فلا تسرهما ولا تذلهما بمقدار الحقيقة المذكورة اي علمهما اليقيني بانهما مطهرتان من كل
خطا ومحبوبتان من الله تعالى وناجيتان حقاً لكن مع ذلك تأملوا ايضاً ماذا يصير بالنفس لما يرفع عن
اعينها النقاب وتكشف لها موضوعات اخر جديدة عجيبة مختلفة لم تكن سابقاً خطرت على بالهما
البتة انني قد سمعت بان الموت يدعا غالباً رقاداً لكن اذا تكلمنا بالحق فلا ينبغي ان نلقب هذا الهاجس
بل ندعوه انتباهاً وعلماً للنفس بانها قد دخلت الى ذلك الحين وفي هذا المعنى قال ايوب الصديق ان
الانسان يذهب الى القبر ويسهر على روابي الموت يا ايها العالم ما هو الذي نعرف فيه ما دمنا هنا اي قد من
اننا نرفع لحظنا الى الكواكب والنجوم ولكن من ذا يعلم محققاً من اية مادة مركبة هذه النيران البهية
وكم هو عظمها وكم هو عدد حركاتها وما هي تاثيراتها وكيف هو نظام السيارة منها ومن ذا يعلم كم هي
الافلاك وهل هي من جوهر فاسد ام غير فاسد ومن ذا يعلم ايضاً هل الشمس حقاً تطبخ الذهب والقمر
الفضة او ما هي علة الرياح وما هو الذي يحركها ويسكنها وكيف ثبات السحابات في الجو مع انها مثقلة
من المياه المحتبسة في جوفها وما هي النار التي تفعل بالصواعق مفعولات عجيبة تسمو على الادراك
وما هي علة بياض الثلج وما هو الذي يجمد البرد ويصلبه ومن اين تصدر الوان قوس قزح المختلفة
البهية والذي قلته انا عن هذه التاثيرات العجيبة قيسوا عليه ايضاً ساير معجزات الطبيعة التي تقصر
عقول الناس عن ادراكها كقول العيون التي تنبع في رؤوس الجبال الشامخة والبحر المحجوز بالرمل الضعيف
والمعادن المطبوخة في قلب الصخور وكيفية ايناع النبات وتصور البهايم والبشر وماهية طبيعة
الملايكة المبتعدة عنا فلا ريب اننا نعرف اليوم قليلاً من هذه الاشيا كقول بولص الرسول الالهي انه انما نعلم
قليلاً من كثير غير ان هذا عينه هو القصاص المحكوم به علينا ههنا اي معرفة القليل فقط لانه لو لم نعرف
شيئاً اصلاً لم نكن نشعر بهذا العقاب لكن من حيث اننا نعرف ما بمقدار ما يكفي لاضطرام اشواقنا
لادراك تباعها فهذا نفسه يزيدنا عذاباً فلم يكن اذاً سرورنا حينما نتحرر من ظلام هذا الجسد المادي
المظلم ونفتح نواظرنا وتحدق حدقاتنا ونرى الكل ونحصل بدقيقة على حكمة وعلم ومعرفة نسمو
بها على كل العلماء الذين ظهروا في العالم منذ تاسيسه الى انقضايه فما هو اذاً فوكم وما هو اذاً كم اما بان

لكم

العدد ٨

240

لكم الموت مرغوباً لحصولكم على هذا كله خبرنا سينكا عن فيلسوف يقال له سغايوس دويتوس انه لما حكم
عليه بالموت فرح جداً لانتقاله النوعي عن قرب ليطلع على حقيقة الراي الذي كانت مدارس العلما
تتحاور فيه كثيراً في ذلك الزمان اعني في عدم ميتوتة النفس وقد ذكر عن اوميروس الشاعر
انه مات قنقاً لكونه لم يقدر ان يحل مشكلاً ما اعترضه به بعض الصيادين ومثله فيلتاس مات
تحسراً لانه ما عرف ينقد قياساً سفسطياً نظمه له بعض من الفلاسفة الذين ربما كانوا اقل علماً
منه وقيل ايضاً عن ارسطو انه لما عجز عن معرفة علة جزر البحر ومده القى نفسه فيه يأساً ومات
غريقاً فانتجوا من هذه الاخبار وغيرها كيف ان عدم الاطلاع على حقيقة واحدة استبان لدى
الناس اصعب من الموت جداً فلماذا اذاً لا نستطيب الموت لدينا مجيئاً اشتياقاً بمقدار ما لنا
بواسطته نكتسب معرفة لا حقيقة واحدة لكن حقايق كثيرة لا تحصى وهي حقايق غامضة وغريبة
غير انني لست احسب ان تكون
وجليلة وسامية بنوع يفوق الان على ادراكنا
هذه الموضوعات المذكورة اسباباً تحركنا الان بشدة حتى ان نتحل من هذه الاغلال الجسدية كلا بل
ارغب ان تكون رغبتنا غاية لنا الشوق الى مشاهدة الله عز وجل فيا معشر المسيحيين احباي من ذا
الذي يصدق ان الله تقدس اسمه جالس على عرش مجده ينتظرنا ليكشف لنا بمجده ووجهه الكلي
البهاء ويشركنا بافراحه ويمتعنا بامتلاك كنوزه السماوية ونحن نستطيع ان نفوز سريعاً بهذا الخير
الوسيم ومع ذلك نطلبه متمهلاً فيا لغباوتنا الكثيفة ويا لضعفنا وذلنا ما اتعسها لقد كان موسى النبي
يتقد بشوق مضطرم الى مشاهدة وجه ربه ولهذا لما وافته في احدى الايام فرصة مناسبة لمناجاة
تعالى بالدالة فتشجع وتقدم لهذه الطلبة بمحبة حارة قايلاً ارني وجهك واظن انه قد كان
فاز باشواقه سريعاً جداً غير انه لما سمع من الله سبحانه الجواب هكذا لا يراني انسان فيحيى فتفتر
للوقت وجمدت حرارة قلبه ولم يعد يجسر على ان يكرر على الله تعالى التوسل اما القديس اغوستينوس
لما تامل جمود حرارة موسى هذه وتبهتر احتار واخذه العجب منه ولذلك ما استطاع ان يمسك نفسه
عن ان يهتف قايلاً انه اذ كان اشتغال موسى لا يراني انسان فيحيى فما هي الصعوبة التي اسكته
عن القول سيدي هكذا هو ذا انا يا رب اموت لادرك فليتم بي ما تشاه وان كنت لا تطلب مني شرطاً اخر
سوى الموت فانا الضمن بروحي قابلاً خسارة مشاهدة الشمس هي خسارة وجيزة فلتغمض عيني عن
روية كل موضوع زايل او دعك ايتها الغابات والبساتين والاودية والجبال والبحار على انه ليت
ابالي بعدم مشاهدة محاسنك ايضاً لا اشاهد منذ ابدعك واعطاك هذه المحاسن لانه ليس لي ارب

العدد ٩

تد

احد اخر سوا انك احب ان اتي اليك واكون معك وان كانت هذه الاغلال الجسدية هي العايق عن الوصول
اليك فاحب انا ان احل منها فخلصني منها سريعًا لاني لست اطيقها ايضًا وليس في الموت شي اخر يولمني
سوى العاقة اقبض الان روحي لا حسبني ان اراك يا الهي وخالقي فيه هكذا هتف وقال القديس
اغوستينوس الذي فهم وادرك ما هي مشاهدة وجه الله عز وجل ونحن ماذا نقول احبوني يا ايها
المسيحيين اما نريد ما قد كان اغوستينوس يطلبه اعني به سرعة الموت ليحظى بمشاهدة الله ولكن
ما بالي قد قلت ما قد كان اغوستينوس يطلبه والحال اني مستعد لاخبر واورد لكم شيئًا يضطرنا بان نرفع
وجوهنا بردا الحيا وهو انه يذكر عن رجل وثني اسمه شرسيد انه كان يشتهي الموت ويطلبه من
غير صبر وذلك لهذا السبب فقط وهو لكي يبلغ حالا ويعاين مواجهة ثلثة انفس كانوا مشهورين
عند الحنفا اعني بهم اكاتيون المورخ واوميروس الشاعر وفيتاغوروس الفيلسوف فيا لعظم خجلنا نحن
الذين لا نشتهي ان نموت لنعاين الله خالقنا وغايتنا القصوى بل نكره الموت ونبغضه حتى لا اقول
قولا اخر قد يصعب عليكم تصديقه مع انه حق وهو انه يوجد بعض انفار ورهبان واحد منهم حاضر
الان في هذا الجمع المبارك الذي اذا اراد الله تعالى ان يتركهم في الارض على الحال العايشين فيها الى يوم يفوزون
لما الملكوت الحجيم الدهور اليس ان هذا الامر يدل على غباوتنا وضعف ايماننا فيا لعظم شقاوتنا ترى ماذا كنا
نفعل لو لم نكن الشعب المحبوب من الله والمستخير منه من بين كل الشعوب والمنصوب في بيعته المقدسة
والمرتضع بدمه الكريم والمقوت بجسده الطاهر والمنعم عليه بهذا المقدار من عطايا محبته بل كنا من عدد
اوليك الذين ليس لهم رجا قد لحظنا لا شك غير انه ايحل لنا الان نايس اما ان الله سبحانه مستعد الان
يعطلنا ويصفح عنا اذا اتينا اليه كونوا متيقنين نفوسكم ان بجد مولنا ان نا ان رجاه فنحن اولاد القديسين
كقول طوبيا البار وما احسن تعزيتنا هذه نحن اولاد القديسين وننتظر الحيوة التي يعطيها الله
للذين لا يغيرون امانته ابدًا فطيبوا نفسًا وقروا عينًا يا معشر المسيحيين تشجعوا ولتقو قلوبكم من ذا
الذي يذهب كارهًا الى اقتبال الاجرة بعد التعب والاكليل بعد المعركة والصولجان بعد الانتصار اليس
اننا نطلب نحن كل يوم بالصلوات الربانية ان ياتينا مسرعًا ملكوت السما قايلين ليات ملكوتك فكيف
اذا نغضب بجن الارض حبًا هذا المقدار ام انا نرى الانهر لا تستريح حتى تبلغ البحر وتمتزج به حتى ولو كانت
الغياض والاودية والبساتين الجارية عليها زاهرة ومحروثة فمع ذلك لا تنعاق بها الكثيبان كانها
تشكو وتقول دايمًا بلسان الحال اريد البحر اريد البحر وكذلك الارياح لا تستريح حتى تبلغ وتنحتو من
اجيابها في جوف الارض والنار لا تهدي ولا تسكن الى ان تبلغ كرتها التي فوق كرة الهوا واما نحن

فما

فما بالنا نخاف من الذهاب الى الله تعالى مكرزا النتحد به فهلم اذًا نستعد ايها المسيحيون الى
الموت القتع مع مشيئة ربنا في كل شي بطويّة حسنة وايمان ثابت وفضيلة راهنة حسبما قال القديس
كبريانوس ولنترك عن نفوسنا الخوف من الموت ونتهيى الى ابديتنا ولنظهر عن نفوسنا انا حقًا من
المومنين المتمسكين بالايمان المفتخرين به واذ اما وافانا ذاك اليوم الذي فيه الله تعالى يدعونا فلنتجه
بسرعة ونشاط قايلين ها نحن ذا نحن مستعدون يا رب لكي ما ننا مشيتك الصالحة ولا تكن يا احباي
من عدد اوليك المساكين الضعفا الذين ليس يحسر احد ان ينبيهم بالموت الموافي عليهم حينما يكونون
مرضى على الاسرة حذرًا ان يحزنهم فلنقتبل الينا الرهبان ليقبلوا بدعواتهم والخوارنة ليسلحونا
بالاسرار ولا يشملنا الوهم منهم ولنتذكرن ايها المومنون احباي ونتامل اننا قد كفرنا بهذا العالم
الزايل حينما اعتمدنا ولذلك ليس نحن فيه مقيمين بل سايرون بحسب نص مار بولص الرسول القايل
ليس لنا ههنا مدينة تبقى انما نطلب العتيدة ولنقتبل بفرح وحبور ذاك المبشر اعني الموت يدعونا الى
الوطن الذي هو باق الى الابد والى الملك الذي من اجله تملكنا والى السما الذي من اجلها وضعنا
في هذا العالم على اننا ما دمنا ههنا فنحن عن الرب غربا فهو الذي لا يسرع ليصل من بلاد المنفى الى
وطننا ومن كان مسافرًا في البحر ولا يحب الرياح الموافقة الشديدة القاذفة الدايم والسير السريع
لتبلغ السفينة الى الميناء عاجلا ان الفردوس هو بلدنا واباونا اوليك ايها القديسين والانبيا
والشهدا والرسل فكيف يمكن اذًا ان لا نحب الوصول عاجلا الى حيث هم قاطنون ما اكثر اصدقانا
الذين ينتظرونا هناك على انه ما اكثر الاقارب الذين يتوقعون مرافقتنا فهم الان متحققون ومؤكدون
بغير شك مثوبتهم السعيدة ومتلهفون الى خلاصنا فهلم اذًا ولنتق الى احتضانهم والتنعم برويتهم
واستماع اصواتهم والاشتراك بسعادتهم الدايمة سعيد هو الموت الذي يستطيع بمفرده ان يجلب
لنا هذا الخير الجسيم وسعيد من يعتبره وسعيد من يشتاق اليه ومن ثم يجب على كل منا الان يقول مع
حبقوق النبي لتدخل العفونة في عظامي ومن تحتي تنبع ليختلج جسدي كله بالدود ولينتن
وليهترى لاستريح في يوم البلا اي يوم الموت لاصعد الى شعبنا الشهيد والمستعد الى ملاقاتنا
الطوبى والسعادة لي في اليوم الذي يتم فيه هذا

القسم الثاني

سبيلي ان اظن ان العظة التي سمعتموها اليوم خففت عنكم الخوف العظيم الذي كان مستحوذًا عليكم العدد
من ذكر الموت ومن ههنا فما هو اذًا الذي ينقصه الان منكم سوى هذا وهو اولا انكم لا تكرهون البتة تلك

العبادات التي يذكرها الموت وتحتسبوها كانها عبادات بطالة لا ينتج منها سوى النحس كما يفعل
البعض لكني ارغب اليكم ان تحبوا المواظبة عليها سيما اذا رأيتم انها مناسبة لتعليمكم النوع الذي
تصيرون به ذكر الموت صالحاً ثانياً اريد منكم ان تصنعوا من الان فصاعداً دالة عظيمة مع الموت
وتتذاكروا معه فيه وتستشيروه في جميع افعالكم اي انكم لما تعزمون على فعل ما باحفظ فاتذكروا
قبلاً هل تسرون عند مشا الموت فاذا استبان لكم انكم تسرون به افعلوه والا فلا قال الروح القدس
يا بني لا تتقدم على امر ابداً حتى تستشير فان فعلت لا تندم ولكن كيف يمكن ان يكون حداً انا مشير
امين لنستشيره على الدوام وفي كل وقت متى ما اشتهينا لعمري ان المشير انما هو الموت فاستشيروه
لانه جا في كتاب الله هكذا يا ايها الموت حسن هو قضاؤك اي نعم لا شي في العالم قضاوه احسن
واوفق واحق واحكم من قضا الموت ولذلك ان سلكنا بموجبه لا يمكن ان نضل ولا نندم ان فعلنا انا عارف
بان جميعكم رايتم كثيرين يموتون في ايامكم فمنكم من دفن امه واخر زوجته وغيركم لحد اباه ولعلكم ما رصدتم
فقط كيف كانت في تلك الساعة اقوالهم وعواطفهم باي شي كانوا يسرون ومن اي شي يحزنون واي شي
كانوا يحمدون واي شي يثلبون فان كنتم رصدتم جيداً فلا ريب في انكم علمتم عند نزاعهم ان الجميع يحكمون
حكماً مختلفاً جداً عن الحكم الذي كانوا يحكمون به وهم اصحا متعافون لانه يبان لي انه يجري على المسجونين
مثل الخلد الذي يقضي حياته كلها بالعمى ولا يفتح عينيه الا عندما موته فقط كما اخبر الطبيعيون ليت شعري
من لا يعجب اذا نظر كيف تتبدل حينئذ الالفاظ وتتغير الافكار وتختلف الاسواق على ان الشي الذي كان يحزن
سابقاً فيه يفرح والذي كان قبلاً يفرح فيه يحزن ومن كان سابقاً يطرد الفقرا البايسين فحينئذ يتفضل
عليهم والذي كان يزدري بالكنيسة فهو يدعو اليه الذي كان يتهاون بالاسرار ففي تلك الساعة يطلبها
والذي كان سابقاً يمل من استماع الوعظ والكلام الروحي فحينئذ يستلذ منه وكل انسان يشتهي ويتمنى
ان يكون قد احتمل الشدايد بالصبر وان يكون قد مارس الصوم والتقشف والتوبة فهذه هي الفوايد
الروحية التي تتصل الى من يتخذ الموت مشيراً لنفسه تاملوا ما هو الذي يشتهيه الكثيرون وهم مزمعون ان يكونوا
قد مارسوه فمارسوه انتم مادمتم حاصلين على الصحة والعافية ولاجل ختام العظة حسن لدي ان اورد
لكم الان خبر رجل عظيم جداً لانه ربما يستفيدون من مثاله اعظم افادة من كون اكثركم اماثل شرفاً وذوي
حسب ونسب جليل وهو خبر لودوويكوس السادس ملك فرنسا

العدد

على ان هذا الملك قد كان ممدوحاً في مبتداه لاجل حسن اوصافه ومناقبه غير انه انقلب فيما بعد الى امن
فورق الفضيلة المختصة بالانام الذين ينتسبون الانهماك بالحروب دايماً اما من قبل الطمع في الحطام الدنيوي

بانظ

فاخذ يضطهد بعضاً من الاساقفة الصالحين حتى انه تحرم من جرى ذلك توبيخاً شديداً من البابا القديس
برنردوس الذي كان معاصراً له فلما مرض ودنا من الموت رام ان يتوب لكي يعتقبه تعليماً في الامر الذي تعتبر
ايضاً الحكام عند مشا الموت لانه لما اشتد عليه المرض طلب اولاً كما اخبر عنه سوجاريوس انه يبدل الجوانه
الملوكي بالثوب الرهباني وليه ذا عزم على نفسه انه ان عوفي من مرضه يدخل رهبنة القديس مار مبارك التي كانت
في ذلك الزمن منهلا للملوك والاعيان التايبين ولكن اذ كان هذا قصاص الجميع غالباً اي ان الخير الذي يعمله
الانسان عند ما يستطيع فعله فيعجز عن افتعال ما يشتهي فمن ثم لما ابصر الملك ان مرضه تمادى على
الازدياد اجتهد على احتماله والصبر عليه بطوية حسنة وقد طال كثيراً وكانت رغبته فيه المداومة
على الاعتراف والصلوات واخيراً لما حان وقت تناوله الزوادة المقدسة الاخيرة فنهض بنشاط من الفراش
خلافاً لما كان يرجوه الجميع لان جسمه قد كان انحل وقواه ذبلت لطولة المرض وتردى بالزي الملوكي
وخرج للقا القربان المقدس بورع وخشوع اذهل كل القيام هناك وكانت جميع اكابر المملكة حاضرين ومعهم
ابنه لودويكوس فلما ابصر ابنه هناك التفت اليه بعين شجيعة وقلب خاشع وشرع يخاطبه هكذا
انظر يا بني الى اين ينتهي اخيراً الملوك ايضاً لقد عشت انا سنين كثيرة واقتحمت حروباً كثيرة وربحت
غنايم وخزاين وافرة وما هو الذي بقي لي الان من هذه العظايم اعلم متيقناً انني لقد كنت الان حصلت
على راحة وفرح اعظم لو تركت ملكي كما كنت ابتغي قبل ان يتركني هو الان تعلم انت قلما يكون من ابيك
ان لا تنشغف فيه بمحبة مفرطة فانا اتنزل لك به الان لا قاصداً ان اشرفك به لكن لاطرح عني هذا
الحمل الثقيل لكن ان كان تنزلي لك بهذا الذي فعلته قبل الوقت يستحق ان تصنع معي معروفاً فانوا اطلب
منك هذا المعروف وهو ان تجتهد بتقدمة تدبيرك المملكة ان تمحي عن خطايا ابيك وتجاهد عن
البيعة وتود الفقرا وتعضد الايتام فانا مستعد الان اصرف ما بقي لي من الحيوة بالتوبة والدموع طالباً
من الله تعالى المسامحة عن سو الخدمة التي خدمتها بها الى الان وامنك الغفران عن المثال الردي
الذي قد مثلتك به اني والدك ومن الرعية الغفران ايضاً عن المواضي الذي فرط مني بتدبيري اياها
اني ملكتها فلما انتهى الى هنا لم تستطيع القيام ان يضبطوا انفوسهم عن البكا حينما استمعوا كلامه هذا
الاخير لانه هو استمر بمفرده غير متزعزع ثم نزع الخاتم من اصبعه وناوله لابنه الذي كان قد جمد من ذهلا
من مشاهدته ولاستماعه هذه الالفاظ والاعمال المعزية ومن شدة رقة قلبه وطفق ينوح باكياً على ابيه
اما الملك بعد هذا فاوهب بحضور الجميع كلما كان يمتلكه لنفسه الى البيعة والكنايس ووزع عليها
جميع الاواني الثمينة المقدسة التي كان حاويها واعطى الانبا سوجاريوس المذكور الذي كان حاضراً حين

كرعامن يا قوت فاين الثمن ليزين به الكليل سيدنا يسوع المسيح الشوكي وما عدا ذلك امر ان تنزع عن
مخادعه الملوكية الايقونات والزينات والفرش وغيرها من الاثاث وتباع ويعطى ثمنها للمساكين و
بلغ من ذلك الى انه ما اراد ان يبقي الثياب الملوكية التي كان لابسها بل نزعها عنه بيده ووهبها
ووزعها على المساكين وحفظ له القميص فقط واراد في حياته كلها ما لا تشعر بفرح يضاهي ذلك الفرح
الذي اعتراه حينما شاهد ذاته عريانا فقيرا حافيا من اجل ربه ثم بعد هذا كله خر ساجدا على الارض بتواضع
عميق واخذ صورة الايمان الكاثوليكي المقدس وعقيب ذلك تناول القربان المقدس ولذلك عاد الى مخدعه
ماشيا بنشاط ومن ذلك الحين مقت كل العز العالمي مقتا كليا حتى اضحى لديه كالزبل وقضى باقي مرضه راقدا
على جلد بزي راهب فقير وقال الانبا سوجاريوس عن نفسه اني لما ابصرت الملك بحال هذا الحال تخشعت
واجهشت بالبكا من جوارح قلبي فالتفت الي وقال لي لا تبكي علي يا ابانا وصديقي الحبيب بل بالاجدر بك
ان تفرح بي من اجل ان رحمة الله عضدتني على الانطلاق الى مواجهته بهذه الحال التي تراها قال هذا واستمر
عائشا ايضا بتقدم الاختياري المشروح انفا مدة زمنية مضنوكا من مرض مستطيل واليم حتى لما عرف اخيرا
ان انتقاله من هذه الحيوة قريب استدعى بعضا من اصحابه الاخص واوعز اليهم ان يفرشوا على الارض بساطا
ويضعون عليه رمادا بشكل صليب ثم امرهم ان يحملوه ويرقدوه عليه وفيما هو على هذا الحال وارباب
الدولة يبكون عليه ولكنهم يصلون عليه سلم روحه بيد خالقه مخاطبا المصلوب بمخاطبات ودادية
وانتقل كما نرجو اذ ذلك الى الحيوة الابدية التي لا تحول افراحها ولا تزول لذاتها وذلك في اليوم الاول من
شهر اب وكان له من العمر ستون سنة وفي ملكه ٣٠ عاما

العدد ١٢

انني اريد لكي اختم عظتي هذه ايها السامعون سادتي لئلا تملوا من اسهاب الكلام مخاطبا اياكم هكذا
ارايتم في شخص هذا الملك ماهو الذي ثبت لي انكم تنازعون ان يكونوا قد فعلوه في حياتهم ارايتم ما هو
الشي الذي تحتقرونه وتحبونه وما الذي تظنون انه لعتيد ان يحل بكم انتم ايضا اتظنون انكم انتم
فقط لعتيدون ان تحكموا في تلك الساعة خلافا لما حكم به الاخرون كلا بل انكم ح تفرحون اذا كنتم
في حياتكم او صوامكم فلماذا اذا الان تكثرون الشرح تسرون اذا واظبتم الكنايس واوقفتم فيها الصلوات
فما بالكم الان تتواظون على الاجتماعات العالمية السفيهة ح تبتهجون اذا مارستم الانفراد والاختلا
فما بالكم الان تطلبون الانشراح الباطل والحرية الخطرة حينيذ تجدلون اذا احتضنتم الاسكيم
الرهباني فلماذا اذا الان تبلغون حتى الى الاستهزا بالرهبنا قد تعلمون حسنا بانكم ح تفتقرون
من مجد العالي الذي تمارسونه الملابس فلماذا لا تقتصرون الان عنه وتعلمون انكم سوف

تحزنون

تحزنون من اطلاق النظر الشهواني فلماذا لا تكفونه الان وتعلمون انكم ستندمون عن السلوك
بالكبريا والعظمة فلماذا لا تتضعون الان وتعلمون انكم سوف تندمون عن السفاحة فلماذا
لا ترجعون عنها الان وتحزنون من قبل الحقد والبغض والغش والدغل فلماذا لا تتوبون عنها
الان وها انا امنعكم هذه النصيحة قايلا اتخذوا معكم الى منازلكم هذا المشير الامين الصادق الذي
انا اسلمه اليكم وهو ان كلا منكم يفكر فيما تنتهي عنده شاموته ان يكون قد مارسه في حياته ومارس
الان ما دمتم اصحا وقادرين على ذلك متذكرين ما هو الحكيم قايلا ايها الموت حسن هو قضاؤك
والمجد لله دايما

العظة التاسعة والعشرون

تتضمن اقناع الحزانى وتعزيتهم في ان الشدايد
في الجمعة بعد الاحد الرابع من الصوم المقدس
المرسلة من الله تعالى ليست هي شيا اخر سوى حب خالص متشكل بالبغض يا سيدها

هوذا الذي تحبه مريض هكذا حرر داري يوحنا الانجيلي في فصل من خادته

العدد

لا ريب في انه صعب على الانسان ان يخفي في قلبه كل عاطفة اذا كانت شديدة قوية اما المحبة
فعلى ما يلوح لي انه لا يستطيع احد ان يخفيها فان اردتم ان تروا البغض مخفيا تحت وجه
باشر انيس فتاملوا قاين لما دعا اخوه هابيل الى التنزه في الغياض وان شيتم ان تبصروا الحزن
مخفيا تحت زينة فاخرة كانها عيد بهيج فتاملوا ازابال وهي تنتظر ياهو من الطاقة وان
اردتم ان تشاهدوا الحسد والبغض والحقد والمكر مخفيا تحت شكل الورع والتقوى فاذكروا هيرودس
واستخباره من المجوس اين يوجد المسيح كانه قاصد ان يذهب ويسجد له معهم اما المحبة فمن تراه
استطاع ان يخفيها ويستبين عدوا مع كونه محبا فلا تعجبوا من ذلك لان الرجل البالغ السن
اذا اراد ان يخفي نفسه عن مضطهديه فيعرف ان يحتال ويعرف ان يغير اسمه ويبدل سحنة وجهه
ويفتش على مهارب كما صنع داود حينما كان هاربا من شاول الملك اما الغلام الغير البالغ السن
فلا يستطيع ان يتصنع بشي من ذلك لانه ليس لا يعرف ان يخفي نفسه فقط لكنه ايضا يكون الاولى في
ملاقاة من يطلبه فعلى هذا النسق هي المحبة فانه من المعلوم انها هي بمنزلة طفل ولكن لا مطلقا بل
بصورة طفل حامل بيده سراجا كما جاء في سفر النشيد حيث يقال ان سراجها نار ولهيب قيل و
لهيب ليعني بذلك ان سراج المحبة ليست هي سراج نار فقط يمكن ان تطمر تحت الرماد بل هي سراج
لهيب فانتجوا من ذلك هل يستطيع ان يختفي من يسلك في ضو متقد وان شيتم ان تعلموا ما هي

الغاية المقصودة مني بهذه المقدمة ايها الاخوة السامعون فاصغوا اسماعكم نحوي لكي اوضحها
لكم انه لقد استبان ان سيدنا يسوع المسيح رام ان يخفي حبوًّا ونور المحبة التي كان يحب بها
لعازر ولكن سمح بانه يمرض ويثقل ويشرف على الموت ولكن اتظنون انه استطاع ان ينال مرامه لا البتة
لكن مع انه تعالى اظهر انه ترك لعازر ونسيه في مرضه فمع ذلك شعرت الاختان الحكيمتان انه لم يقل محبة
يسوع لاخيهما ولو صنع هكذا ولهذا استجمعتا لكي تشكا حينما ارسلتا تقولان له تعالى ان الذي تحبه
مريض ولم تقولا الذي احببته مريض لكن الذي تحبه وقد شوهد ذلك عيناً لكن المسيح لما وصل الى
قبر حبيبه بعد ان مات ما استطاع ان يمسك الدموع من عينيه المقدستين بل انما تنهد واجهش
باكيًا عليه حتى ان القيام هناك اتفقوا براي واحد في التعجب من فرط حبه له فماذا تقولون الان
في هذه الاية ايها المحبوبون ايمكن ان لا تشعروا انتم وحدكم في حين تجاربكم بالحب الخالص الذي
يحبكم به ربكم لعمري ان الله جلت رحمته لا يحبكم اقل من غيركم من اجل هذا السبب اي لانه سمح بتجاربكم
وبلاياكم لكي تحققوا انه يحبكم اكثر حبًّا من غيركم من اجل هذا السبب عينه ولو كنتم انتم لا تشعرون
بمحبته هذه فمن ثم ارتضوا في استماع ما اعظكم به اليوم وهو ان تحتملوا صابرين الشدايد والتجارب
الواردة عليكم منه تعالى بل اشكروه بسببها او بسبوغ انعام المحسن اليكم فانصتوا اذًا ايها المجربون و
المحزونون الى خطابي لتجتنوا منه التعزية والفايدة لانفسكم

العدد

ولكي اورد لكم اسباب التعزية من ابواب اعلى ركني فاقول انه وان كانت الشدايد التي يرسلها الله تعالى
لكم لم يرسل منه نحوكم لكن من اجل ترهتته فمع ذلك لكم سبب التعزية بها وهو التامل في ان الذي يرسلها
لكم هو الله نفسه كما كان يتامل ذلك ايوب الصديق قايلاً كما حسن عند الرب كذلك كان واية
بلية تصير عنده مقبولة لما تاتي هذه اليد المقدسة الرؤوفة لست ادري هل رصدتم ما قد
جرى في البلاد البارحة في ايام الانشراح واللعب والفرح لاسيما في ايام المرافع التي هي عند العالميين
افرح ايام السنة قد يتفق ان شابًّا جليلاً يمر باحدى الشوارع لابسًا ملابس حسانًا وتوجيهًا نحوه
وجه خلو امن بعض لحظًا الى ان قضى اغراضه غير انه متبجح في نفسه ومفتخر بحسن ثيابه الفاخرة
المعتبرة لديه ناقلاً رجلاً فرجلاً ومتبختراً كالوزة فهذا الشخص اذا رشق بغتة بطابة من ثلج
من ورا ايدي وتمرغ من ظهره الى راسه حتى شرع الناظرون يضحكون منه ويشمتون به فمن يدرك
مقدار ما يحمى غيظًا وينتفخ غضبًا من هذه الفضيحة الصادرة له ومن اجل انه لا يدري من اين اتته
فيزداد سخطًا ويتقد وجهه غيظًا حتى يزيغ نظره ويضع يده على السيف المتقلد به ويتهدد بالانتقام

ممن

ممن يظن انه هو علة فضيحته هذه ولكن اذا رفع طرفه وابصر كوى شرفة تلك اليد التي ضربته
بطابة الثلج ايثاراً للمزاح واللعب من قبل المحبة اي يد رجل نبيل جليل القدر في المدينة فمن ساعته
ليس يروق خاطره فقط لكنه يظهر البشاشة بوجهه ويتبسم تبسمًا رقيقًا ويحني راسه ويضع
يده على صدره ويحييه بازكى السلام والتحية ثم يرجع في الغد ويجوز من تلك الطريق ايضًا لعلّ
ذلك الشباك في تلك الساعة عينها التي يكون جاز فيها بالامس راجيًا بانه يتشرف ايضًا كما مضى
فهاانا اقول لماذا انني لست اعلم ايها السامعون لماذا الانقدام لله تعالى ذاك الاكرام الذي تقدم الى
رجل عالي الجلالة لمقامه الشريف فانتم تحزنون لانكم تحسون برشقة اتتكم من العلا تميزاً لبطابة
ثلج جافة قاسية ضربتكم ضربة مؤلمة ثم غيّرتكم على بال الهوا اما انه مات لكم ولدًا او لانكم خسرتم بالمتاجر
او انه سلبت منكم وظيفة سامية او لانه اعتراكم خجل ما ظاهر وما ماثل ذلك من الشدايد ولكن ارفعوا
عيونكم وانظروا ما هو الذي ضربكم اليس هو الله ربكم عز اسمه اي نعم الله هو الذي يامر الثلج فينزل كما
شهد بذلك ايوب الصديق ذاك الذي قد اخبره بنفسه فليسكن اذًا غيظكم وليروق خاطركم لانه
اذا لحظتم جيدًا كل قصاص ياتي من هذه اليد فهو خير ونعمة كقول القديس اغوسطينوس في تفسير
المزمور الثامن

العدد ٢

ولا شك في انكم تضلون ضلالاً عظيمًا اذا
توهمتم ان الله سبحانه يقصد نزهته ولذته بضرباتنا فالله تبارك وتعالى لا يشا هلاكنا وهذا هو من
حقايق الايمان لانه مكتوب في سفر طوبيا البار فتيقنوا اذًا اليقين الكلي انه ليس لسبب اخر هو يمتحننا
وان كان هو تعالى الضارب ما في ذلك فانما هو ارب صديق وواد اي يروم ان يحثنا الان تذكره ونلتجي اليه
ونرفع احيانًا عيوننا وننظر اليه ولكن ربما تقولون كيف يمكن ذلك اي كيف يمكن ان تكون الشدة
عملاً ملايمًا للتمليق ولاجتذاب والحال ان قوة العصا على اماتة الحية والدخان على تنفير النحل و
لهيبة النار على هرب الاسد لا توازي ما للشدة من القوة على ان تبعد الانسان المنعطف طبعًا الى
اللذة عن الله تعالى فاذًا ان كان الله جل شانه يحب ان يجتذبنا اليه فليسعدنا ولا يضربنا وليتملقنا تمليقًا
ولا يرهبنا فهاانا اجيبكم قايلاً ضللتم ايها الاخوة ان قصدتم ان تطيعوا الله وتعرضوا عليه ناموسًا
اسمعوا ما قاله على لسان ارميا اعطي خشيتي في قلوبهم ليلا يميلوا اي كانه يقول انه لكيلا يميل
الناس عني ماذا افعل احسن اليهم واتملقهم واسعدهم في هذه الارض كلا فانهم حينئذ يتنعمون و
يبطرون ويولون عني مدبرين غير عارفين حسن المعروف معي فماذا اصنع اذًا لكيلا يميلوا عني فاني
اعطي خشيتي في قلوبهم لانهم وان خافوا مني وانذروا الهرب لينجوا فالى من يستطيعون الهرب

العدد ٤

الى التي فنى ضيقتهم باكرا يباكرون الى وبالحقيقة لو كان كل نوي يجري ان
حسب رغبتنا من غير ان يحدث لنا ما يكدرنا او يغمنا لكنا ننسى خالقنا المحسن الينا واثباتا
لذلك تذكروا ما فعل تلاميذ الرب لما صعدوا معه للسفينة في احد الايام وطالما استمر البحر ساكنا
هاديا والريح صوافقا والسير سهلا عذبا فلم يكترثوا به تعالى لكنهم اشتغلوا بالمسامرة فيما بينهم وتركوه
وحده حتى انه نعس ونام في موخر السفينة ولكن متى قطعوا بحره واستغاثوا اليه وازدحموا عليه
بنشاط وحرارة ومحبة وافر العجز لم يفعلوا ذلك الا حينما ابتدا الاضطراب العظيم في البحر لانهم حالما
ابصروا الامواج تتلاطم والجو اظلم والشمس انحجبت من الغيوم والرياح تصفر والرعود تهدر و
المطر يهطل والبحر يكبر حتى ان السفينة ما امكنها ان تجري بل جنحت الى الغرق وحينيذ طفقوا يصرخون
ويطلبون المعونة قايلين يا رب خلصنا فقد هلكنا فمن ثم يجب عليكم انتم ايها الاخوة ان تعتقدوا
هذه الحقيقة وهي انه هكذا يجري كل يوم فينا نحن المسيحيين ولهذا قال القديس اغوستينوس
المعظم انه لو لم يزعج الله سبحانه المرازات بسعادتنا بهذا العالم لكنا ننساه ومن ثم ما هو
الذي يضطرنا على ان نذكره تعالى ونستغيث به لعمري انما هو مثلا الريح المضاد والخطر و
الشدة او تجربة اخرى تضغطنا وقد قال في هذا الصدد ايضا القديس المغبوط المقدم ذكره
انه حينما اضطربت الامواج امواج النفس فينتبه الايمان الذي كان راقدا وان كان احد يشك
بصدق ما تقدم تقريره فاني اثبته مما يجري فيكم ولا حاجة لي ان ابتعد عنكم اخبروني اذا قصدتم
زيارة دير او زيارة كنيسة عجايبية بعيدة متى يكون ذلك اليس لما تكونون معتقين وتطلبون
من السماء ولدا واذا اعطيتم صدقة ولقمة للمحتاجين ففي اي وقت تمنحونهم ذلك اليس حينما
تكونون طريحي الفراش وتطلبون من السماء النجاة من الموت واذا صليتم بحرارة بالغة وخشوع
غير اعتيادي بكم ففي اي وقت تصلون اما تفعلون ذلك في اليوم الذي تهتمون به فتطلبون
صيانة صيتكم ومن ثم اقول الذي يجري فينا نظرا الى هذا الامر كما يتفق للماء تري كم يلزمنا من استعمال
الهندسة ليحصل يعلو مرتفعا نحو السما العليا نتركه يجري على مداه بالبقاع المزهرة ام ندعه
يسيل على هواه ام نوسع من قدامه لا لعمري لاننا اذا ما عاملناه هكذا فيطلب دايما ان ينحدر
الى اسفل او ينحصر حيزا في مكان وينتن فيه او يتبدد في الارض جاريا ويدرس من الحيوانات فلا
ريب اذا في اننا ان اردنا ان يعلو الى نحو السما فينبغي لنا ان نحصره ونضايقه ونحبسه رغما عن
طبعه في قنى ضيقة وحينيذ يثب بعزم قوي الى العلا كما نشاهد ذلك عيانا في النوفرات فعلى

مثال

245

مثال ذلك يصنع الله معنا على انه اذا كانت الاشيا تاتينا بحسب مرامنا فلا نعمل شيا اخر سوى اننا
ندب في الارض بغار وذل كقول الكتاب المقدس القايل انما هو مثل الما تسيل على وجه الارض
ونتهاون بعمل الخير ونتن في الشر ومن ثم لا نعلو بعواطفنا وحركاتنا نحو السما بعزم شديد من الحرارة
القلبية الا حينما ننضغط ونحصر بضيقة ما هكذا اشهد اشعيا النبي عن شعبه اي عن بني اسرايل
قايلا يا رب انهم في الضيقة طلبوك ولكن ما لي اوردت نموذج الما فقط ولي الان نموذجات كثيرة
لاثبات ما تقدم تقريره نموذجات كثيرة من الاشيا الطبيعية ايضا وذلك كمثل اوتار الالة الموسيقية
لانه لكي تعطي هذه الاوتار صوتا بهيجا عذبا اليس انه ينبغي لنا ان نضغطها بالشد واللف واما اذا
تركناها مرتخية فتبدي صوتا انزازا وكرمة ايضا تحمل عناقيد كبيرة متى اثقفتها بالتكسيح بالمنجل فاذا
تركناها تنمو وتكبر وتمتد باغصانها واوراقها فتقضي غير مثمرة وحبوب الكوكلان لكي تبعث ازكى رايحة
يجب ان تلقى في النار لانه اذا ابقيناها صحيحة فتكون رايحتها اقل وعلى هذا النحو يجري في الحيوانات
والبهايم ايضا لاننا نشاهدها انه متى ما اشتد عليها الجوع فتخف للطيران باعظم سهولة كالنسور او
تسرع للركض باكثر اسراعا كالغزلان او تجد للصيد بانشطية كالذياب فاذا امكان استخدام
كونه رب الطبيعة بمثل هذا من المخلوقات الغير الناطقة كما فعلنا بحقوها اولوها فليس اخذ
بعجب ان كان يستعمل النعمة بالاكثر من ذلك من الانسان الناطق وعلى الحقيقة انه اصاب المرتل بقوله
في سفر المزامير انك يا السيط تكسر الشعوب لان معنى ذلك هو ما اورده القديس اغوستينوس قايلا
انك يا الهي تضرب الجميع بالبلايا حتى اذا ضاقت انفسهم بها يكسرون قساوة قلوبهم ويحنونها ويلجون
اليك انتهى وحقا ايها الاخوة الاعزا القد كان يطول بي الشرح جدا لو

العدد ٥

اقصدان اورد على سماعكم جميع الذين ارتدوا الى الله تعالى بطريق الشدايد او ليك الذين قال عنهم داود
النبي لما قتلهم اسرع طلبوه غير انني لكي اعطيكم برهانا جزيا في الكثير فاقول هل تظنون ان ذلك الابن
الشقي اي الابن الشاطر كان يرجع الى ابيه تايبا وباكيا لو لم تحرجه الضيقة التي احدقت به في المكان
عريانا جايعا متروكا ومضطرا الى رعاية البهايم الدنسة بل الى البهايم الحقيرة فقط لكن الى ان تخلى
نتيجة ما رغبها الذي التجأت به قال اني ههنا اهلك جوعا فهذا كان السبب الذي جعله ان
يفهم ذلك العزم الصالح ويقول اقوم واذهب الى ابي وقد نعلم ايضا ان منسى الملك الذي ارتد
من ضلال عظيم الى التمسك بسنة الله الحقيقي وجد بنا المنافع المنقضة ثمار المستفاد هذا كله
من الغليل الذي اعتراه من ربط القيود الحديد في الحبس وهكذا انيتخوس الملك ذلك الذي هو

عنقه بعد التمرد القوي وطلب من الاله الحقيقي السلام وعزم على نفسه انه سينشر بعظايمه
تمجده وتسابيحه في اقطار الارض كافة لم يفعل ذلك الا السبب الدود القبيح الذي كان ياكل لحمه
وهو حي وداود الملك الصالح اما اقرانه ما عرك الى ان يطلب الله ويستنجده الا في حين حلول الشدايد
عليه وذلك بقوله في يوم حزني التمست الله اما في ايام الفرح والراحة فقد كان يتنعم بالعز بين
بيتشباع من سطح بلاطه الملوكي فاذا لا نستطيع ان ننكر ان التجربة لا تفيد بنا الا التجا الى استكمال
الاحدر ان نقول مع القديس غريغوريوس الكبير ليس انها اعني التجربة تفيدنا الالتجا فقط بل
تضطرنا وتلزمنا ايضا بالالتجا اليه حقا وقد قال ايضا القديس المذكور ان الشرور التي تضغطنا هنا تلزمنا
ان نذهب الى الله عز شانه

وليس لنا ان نتعجب مما قلناه لاننا نرى
ان التجربة هي التي بحسب شهادة ابن سيراخ تجعلنا عالمين بالقضا الحكم وبالكلام اوضح وبالسلوك
اتقن لان انتقال السقام الشديد يجعل النفس عفيفة لقد قيل عن البازي انه يفوق كبرا وعجرفة
على ساير الطيور الخطافة السايرة في الجو ومع ذلك تراه يخضع طايعا للصياد طاعة هذا مقدارها
حتى انه متى ما صفر له فيطير نحوه ويطير على كتفيه ويثب على يديه واحيانا ايضا اذا ما دنا ان
ياخذ القنيص باظفاره فيتركه من دون ان يمسه لئلا يخالف الصياد الذي ينتهره ليرجع الى
الوري اني اسال مستفهما من اين يمكن لطير متكبر كذا وغيور رفض ان يخضع طايعا انيسا ووديعا
بهذا المقدار وما هي الصناعة التي تبدل طبعه هذا الابتدال الغريب فيجيبنا البانوس احد
العلما الطبيعيين قايلا ان الواسطة الاسهل لترويض طيور البازي وامثاله فهي هذه اي ان
يحبس عدة ايام في قفص الحداد الفحم دخانا فانه هناك اذ ما نظر لهيب النار وحس باججها
وسمع طرق المطارق وصلبتها على السندان فيعتريه باطنا خوف شديد ينزع عنه تكبره وغيرضه
فانا لست اعلم ايها الاخوة بالاختبار هل هذه الواسطة في ترويض هذا الطير هي صحيحة ام لا
غير انني اعلم انه لكي تخضع النفس المتكبرة المتمردة وتنتهي وتصير طايعة ووديعة فالواسطة الاقرب
والاسهل هي هذه اي ان تحبس في قفص التجربة وفي اتون البلايا كما قال ابن سيراخ الحكيم فدعوها
تسمع صوت المطارق وللهيب المزعج وتشعر بحر نار التجربة يسيرا وتتعمق فهما في انها ترفض
سريعا علوها اشعيا النبي هكذا قال ان الشدة تفهم السماع لاجل ذلك فان كبريا البشر بلغت بهم
مرارا شتى الى صيرورتهم بلا حظ من الخوف والهذيان المضحك وكيف لا وان الحال انه قد ذكر عن
حيثيات الملك فاز انه لم يعتبر نفسه لفرط كبريائه بهذا المقدار حتى توهم انه يجعل البحر ناشفا ويغلقه

ولكن

ولكن لما انتهى من البحر انه استهان بجلال الملك لانه هدم بامواجه جسرا كان ابتناه عند
شاطي بلاد السبنطوس فامر الجلاد ان يضربه بالعصي جلدات اقتصاصا عن جرمه ثم تهدده انه
سيصنع معه شرا لهذا ابلغ من ذلك ان لم يحترس فيما سياتي كولاه وملكه وكليادوس حاكم هرقليا
اراد ان يحمل امامه دايما نظير المشتري اله الوثنيين نسرا من ذهب بنبال لتهيبة وانتيغونوس ملك
المكدونيين احب ان تقدم بارادته دايما دالية ملبسة بالورق والترابين الخضر وذلك نظير بكوس
الصنم وما الذي اقوله عن تعظم اليوغابلوس الملك الذي كان يحمل الاسود بجرم كبنته لكي تقدم له
وهو راكب الاكرام الذي كان يهدى لكيباليس ام الالهة عند الوثنيين اما غايوس كاليغولا قيصر رومية
فتسامى على الجميع بمثل هذه الخرافات الباطلة لكونه ما اكتفى بان يلبس تارة بزي هرقل وتارة
بزي ابولون واوقات شبيهة بالاديس واحيانا شكل ساتورنوس وتيقيل وهو لابس هذا الوشاح التغيير
من الكهنة وقدامه توضع روس جميع الاصنام التي كانت تكرم في هياكل رومية وامر بان توضع على
كل صنم وجهه وكان يبرق ويرعد ويحدث صواعق من بعض الات صنعت بامره لهذه الغاية
وظن بنفسه مع انه كان غشيما غبيا انه يستطيع ان يحكم على النجوم ولهذا في ذات يوم تهدد
المشتري الاله الاكبر فانه ينفيه من المدينة ويعدمه الاكرام والسجود لانه تجاسر ورفع واحده
على ان يطيل عيده الاحتفالي بالمطر الذي هطل في ذلك اليوم ولكن قولوا لي ايها السامعون في اي
وقت اظهر هولاء الناس المصابون لمثل هذه الفنون من الخرافات ذات الجنون هل في وقت التجارب
والبلايا والمضادات التي كانت تحيق بهم كلا بل في العيش الذي كانوا يظنون انهم بلغوا اوج العظمة
والسعادة اما في ايام المحن والشدايد فلا ترى حتى ولا واحدا من الناس الذي لم ينزع عن نفسه الافكار
بهذه الاباطيل اي اباطيل الكبريا وهذا يوكده لنا الاسكندر الكبير الذي لما انجرح في الحرب فعرف انه
انسان مايت اي عند ما ابصر الدم يسيل في عروقه بوجع والم لا يطاق وقبله هيرودس لما ضربه من
الملاك ففي ذلك الحين اقر ظاهرا بانه انسان ضعيف اي حينما شعر بالدود يرتع في احشاه ويفترس
جسده كما كتب عنه يوسيفوس المورخ فاذا ان كانت التجربة كبحت تكبر اناس جهلة مستعظمين
هكذا بنفوسهم ومتشامخين ومهوبين عند الانام فماذا تفعل في النجاح في اناس قابلين الارشاد ذوي
طبع اكثر انسا واقل هذيانا من المذكورين انه لمن المؤكد ان داود النبي والملك القديس لما اشتهى ان يبصر
قوما متجمعين عن تعظيمهم الغير المحتمل كان يلتمس متضرعا من الله تعالى وقايلا هكذا اقم عليهم يارب
واضع ناموس لتعلم الامم انهم بشر وما هو هذا الملك بواضع ناموس الذي يعلم الامم هذه الحقيقة المتوفنه

منهم المستصعبون فهمها اي انهم بشر قال القديس المعظم ايرونيموس مع النصيحة الكلدانية ان
واضع الناموس لم يعلمنا الشدة بل الخوف من الشدة فقط وقد زاد على هذا المعنى القديس يوحنا فم
الذهب وقال ان الشدة هي المعلم الذي يعلمنا حسن السلوك ويرتب الفاظنا ويلجم افكارنا وان
اردتم تتحققوا حقيقة كلامه هذا فتصوروا المثل الذي هو اورده بفصاحة بليغة في احدى
عظاته التي خاطب بها الشعب اي العظة ٦٦ فقال

العدد ٧

لنفترض ان شابا شريف النسب عقد خطبة كان قد رغبها والتمسها من مدة زمنية لوفور الفايدة
التي تتصل اليه منها وكانت تلك الخطبة مع بنت شريفة وجميلة ايضا وذات ثروة وغناء جزيل فلما
حان وقت الزواج ارسل واتى بها الى داره باحتفال وطرب عظيم ودعا الى العرس اهله واقاربه وجيرانه
واصدقاه وشرعوا جميعا يمرحون ويلتهون بالمتنزهات المبهجة المالوفة في ايام العرس سيما عند
الاعيان ثم قال الذهبي فمه فلندخل ونرى هذه الدار السعيدة فليت شعري ما الذي نبصر هناك
لعمري اننا نبصر ضحكا غير مرتب وحديثا وحركات ذات خلاعة سفيهة وقوما منهم انكربت بطونهم
لفرط الشرب والاكل واخرين زاغت عيونهم وتصدعت روسهم من السكر ونبصر ايضا الاباطيل في
الملبس وتبجحا في الذهب والجواهر وفخرا بالزينات ولعبا بالورق ودقا وغناء ورقصا وعهارة
وحالات مونثة وبليلة وعدم النظام الكلي ولا نسمع ما بين هذا المقدار من الاصوات صوتا يكون
فيه قليل من الرصانة والحشمة ولكن اذا افترضنا انه بعد قليل من الزمن انحدر عارض ما بغتة على
العروسة وماتت في حال افراحهما هذه فلا شك في ان تلك الدار من جرى ذلك تستحيل الى دار العزا
والماتم بعد ان كانت ماوى التهليل والانشراح فلنعد اليها ولندخلها زايرين ولكن ما اغرب الاختلاف
الذي نراه كاينا فيها على اننا اذا دنونا من الباب فلا نسمع ايضا جلبة ما ولا صوتا اصلا بل هدوا وسكوتا
عظيما واذا صعدنا الدرج نشاهد الخدام اتين الى استقبالنا بثياب مدلسة وراس منحني وقدم
هادي وصوت منخفض واذا دخلنا معهم المخادع فنرى الحيطان عينها عارية من كل زينة فاخرة تبدي
لمعاينيها امارات السكون والاحتشام ونرى ايضا المكنبات صامتة والصنابر متبكمة وموايد اللعب
منقلبة لا يلتفت احد اليها واي فم نراه يضحك او يتبسم قليلا لعمري لا نرى ولا فما واحدا على حال
التبسم بل اذا كان احد يتكلم فلا ينطق بالفاظ الا تكون رصينة وعبارات ذات حكمة وامثال مرتبة تحرك
الى الورع والزهد بالعالم وليس الرجال الطاعنون بالسن فقط لكن النساء والخدام ايضا نراهم اصبحوا بغتةً
حكماء وفلاسفة يتفوهون فيما بينهم في الاحوال الراهنة تذهل السامعين فمنهم من يقول ان حيوة الانسان

ليت

ليست هي شيئا اخر سوى حلم ولعبة صبيان وبنية من خارج واخرون يتعجبون قايلين كيف
تتعلق قلوب الناس بمحال فارغ لا يبقى ولا شيئا من المباهي سوى انتانة تظهر البرق وقوم يقولون
انه ينبغي لنا ان نتوقع الموت في كل حين ساهرين لانه لا يتوقع شرور النسل ولا فخر الغنا ولا زهر الشبوبية
وعلى هذا النسق يقول الذهبي الفم ترى كل انسان منهم لا ينطق بالحديث الا الحاوي النفع والنجاح
الروحي والديانة المسيحية فمن اذا هو مصدر هذا التغيير العجيب الحادث في تلك الدار من هو
الذي ادخل هذه المخاطبات الصالحة ذات الحكمة الكلية السمو ومن هو الذي علمهم هذه الخصال المرتبة
الممدوحة الا تتعجبوا من ذلك ايها الاخوة السامعون ثم يجيب القديس المغبوط المتقدم ذكره قايلا
انه لقد دخل ذلك المعلم النبيل الذي نحن في صدده اعني به الشدة فهذه هي الشدة بمقالة واحدة
لا غير تلتها في تلك الدار وهي ان صحوة الانسان زايلة كالهبا استطاعت ان تزيح منها كل الرعانة وتضمحل
كل الاباطيل وتعلم علوما هكذا مقدسة حتى اننا نستطيع ان نختم مع الذهبي الفم قايلين ان الشدة هي
بالحقيقة المعلم الذي يعلمنا حسن السلوك ويرتب الفاظنا ويلجم افكارنا او كما قال في موضع اخر
ان التجربة تسبب حكمة كثيرة فلنعد اذا راجعين الى ما كنا في صدده منتقين وقايلين فلا تتعجب
اذا ان كان داود النبي كان يطلب من الله سبحانه الى الذين لم يتعلموا بعد كيفية حسن السلوك ان
يضع لهم معلما واضع ناموس ليتعلم الامم انهم بشر لان التجربة هي التي تجعل المتعظمين بنفوسهم
يتواضعون والمطلوقين العنان يرتدون لله والمتجسرين يسكتون والقاسين يلينون والجهال
اقول العاصين على الله يرجعون اليه خاشعين فهذا التعليم كله انما اجتنيته من كلام القديس
يوحنا الذهبي الفم فها انا اقول الان انه بعد ان تقرر ذلك

العدد ٨

جميعه اما بان لكم ايها السامعون انا نصير لله مديونين كثيرا من قبل الشدايد التي يضربنا بها العلي
انها جميعها نعمة جزيلة من حسنة الالهية ومحبة الابوية فها هوذا قد توكدون كلماته في الحسنة
التي تفوه بها على لسان ارميا النبي وان احببتم ان تعرفوها فاصغوا اسماعكم لتسمعوها لانها
في التعقيب الالهية وهي قوله هذا اجلب عليكم شرا ايمكن ان تسمعوا كلمات اعذب من هذه ان الباري
تعالى لما يضربنا بالشدايد والتجارب يبان انه يصنع معنا شرا لكن ليس هو هكذا بل هو نعما يجلبه
او يحمل علينا شرا وبالحقيقة انه لا يصنع معنا في الارض نعما اعظم من التي يصنعها معنا حينما
يوهلنا بالتجارب ما اغزر هذه النعمة وما اجلها ولهذا السبب قال ماري يعقوب الرسول احسبوا
كل سرور يا اخوتي اذا ما وقعتم في تجارب مختلفة واية نعمة اعظم من هذه اي التي تلزمنا اضطرارا

بان نصير صالحين متادبين متورعين ومتساهلين اخيراً الفوز بالمجد السرمدي بدعوة لما طلب منذ تقاً
دفعات شتى بصلواتنا ان يلين قلبنا الصخري ويجتذب اليه ارادتنا وعواطفنا المتعلقة دائماً على
الارضيات وهذا هو ما يصنعه معنا حينما يرسل لنا التجاريب فما بالنا الآن نتردد عند حلولها علينا
ونتذمر ونطلب ابتعادها منا اعتقدوا ان هذه الحقيقة الجزيلة الاعتبار اعني ان الطريق التي تؤدي الى
السماء هي الابتلاء والاحتمال وهذا هو طبق ما قاله الحكيم ضرب الحيوة توبيخ الادب غير اني لست انكر
انها هي الطريق الاوفر مشقة وصعوبة وتعباً الا انها الطريق الامين

العدد

ان جمهور الحكماء ذهب الى هذا الرأي وهو انه اذا ما استطاع المرء ان يصل الى بلد بعيد من طريقين
اي بطريق البحر او بطريق البر فالاجدر به ان يتخذ له طريق البر غير اني اسال مستفهماً اما ان
طريق البحر هو اوفر راحة فيجيب هنا التلميذ برزدوس نعم لانه اذا اردتم ان تسافروا بالبحر
فتركبوا سفينة مذهبة مع رفقة اناس يقضون السفر باللعب والمزاح تاكلون وتشربون معهم
متنعمين وتدقون وتغنون وتلعبون وتمرحون على حسب مرادكم من دون ان تخسروا دقيقة
واحدة من السفر فتسافرون ان كنتم جالسين او نايمين وان كنتم متكيين او مستندين وما اكثر ما
تنجحون بالسير بزمان يسير اذا حظيتم بريح هادية رايقة فتفرحون وتضحكون مع الملاحين الذين
وان كانوا ملهوفين ومنهمكين باشغالهم في السفينة فمع ذلك لا يكفون من ان يقدموا لكم حيناً فحيناً
اسباباً للانبساط واللهو وما عدا ذلك فلا شي من تاثيرات السما تنكد عليكم على انه اذا حدث
مطر فتلتجون تحت السقف وان البحت فتجلسون نحو النار تصطلون عليها وان اشتد الحر فتعلون
المراوح تنسمون بها على وجوهكم تحت ظل القلوع والاعجب من ذلك جميعه هو هذا وهو انكم بنفقة
قليلة تصلون الى بلدان شاسعة اما السفر بالبر فما اكثر النفقة التي تلزم له وما اوفر التعب والبلا
في مباشرته على انه في الشتا يحدث وحل كثير تغوصون فيه وفي الصيف يثور الغبار الوافر فيكاد ان
يخنقكم وقد توجد في الطريق اكام عسرة جداً واودية منخفضة كثيراً وبقعات غارقة من المياه
المتزايدة لا تستطيعون ان تستمدوا الراحة في النهار ولا ان ترقدوا في الليل ويكون المركوب متعباً
والخيل تقطع اكبادكم من جري جريها وتصادفون فنادق حرجة وخيمات غير مهندمة واربابها
جفاة قليلي الواجب فهذه المشقات وغيرها كثيرة ايضاً عدلت عن ذكرها يجب على المرء ان يعانيها
في الطريق بالبر الا انه مع ذلك جميعه انا الذي اختبرت السفر بهاتين الطريقتين فافضل راي العامة
السديد الذي يامرنا بان نمدح البحر ونتمسك بالبر ولاي سبب فالسبب هو الذي ذكره القديس

برزدوس

برزدوس اي لان الطريق بالبر اعني واسلم ولو كانت اوفر تعباً ومشقة انه لا شك في ان طريق
البر تقتضي كلفاً ومشقات ومدة اطول كما تقدمنا فقلنا غير ان السفر فيها هو على اليبس الوطيد
الاكيد الثابت والسائرون فيه لا يحسبون حدوث الموت في كل قدم كما في البحر حيث كلما علت
الامواج وتغيرت الريح واضطرب البحر فيتوهم المسافرون فيه انهم اشرفوا على الغرق والموت
فعلى هذا النمط نقدر ان نماثل حال سفرنا الى الوطن السموي على انه لا يمكننا ان نبلغ اليه بطريقين
لا محالة اي بطريق التنعم وطريق الضيق والتجربة فطريق التنعم هو اسهل معاً الا ان طريق التجربة آمن
وهي الطريق التي سلكها الطوباويون الذين هم الآن في السما خاصة وقد شهدت بذلك يهوديت
البارة قايلة جميع من ارتضى الله بهم فهم امتحنوا ببلايا كثيرة وهم امنا وهذه قد كانت طريق
الآباء والانبيا وطريق الرسل والشهدا والمعترفين وجميع من ارتضى بهم اما اوليك الذين سلكوا
الطريق الاخرى اي طريق الشهوات لفقدانهم واخيراً الان يغرقوا بغمر ما او يتوجهوا بتيه ما
او يغرقوا وقد اكد ذلك سليمن بخبرة هذا لنفسه فقال ان اختصاب الجاهلين يهلكهم

العدد ١٠

انني اتكلم الحق ايها السامعون فاقول انني استشعر بان دمعي يجاهد في مناصلي الى ان اتلو الجوابات الحكمة
في الكتاب المقدس التي بها خاطب الملاك طوبيا الشيخ قايلاً له لاجل انك مقبول
لله مصلحة كانت التجربة تستحنك فكانه يقول له من اجل انك كنت تمارس افعال التقوى
كثيراً وتقطع الخبز عن فمك لتقيت به غيرك اي الفقرا وتحسر عن جفنيك النعاس لتدفن الموتى
وبالاجمال اقول لانك كنت مرضياً وعند الله مقبولاً لزم ان التجربة تستحنك اي ان تفقد
نظرك بالعمى وتفتقر وتبلغ الى الضيق عظيم وذلك لاجل انك مقبول لله مصلحة كانت التجربة
تستحنك قلت استشعر بان دمعي يجاهد في مناصلي لما اتلو هذه الرواية ولكن ليس ذلك فقط
لكن لما اعتبرها جيداً فانتهد قايلاً ترى ماذا اذاً يكون مني انا الخاطي اذ كانت ايام حياتي سعيدة
مخصبة وكل شي ياتي حسب مسرة قلبي واسفاه على انه ما دام الله تعالى لا يشرعن ساعدي و
يضربني فاخشى بالحق والصواب ان اكون لديه غير مقبول كثيراً لانه جاء في الامثال الالهية
من يشفق على عصاه يمقت ابنه لعمري انها الكثيرة وظاهرة جداً في الكتاب المقدس تلك الشواهد
التي اعلمني استحقاقها ان العلامة في قبولي عند الله هي التجربة التي تدهمني فان سالت عنها كاتب
سفر المكابيين فيجيبني قايلاً لو لم يتركوا الخطاة يعملوا زماناً طويلاً بحسب رايهم بل ان ينتقم منهم
في الوقت فهو علامة احسان عظيم وان سالت عنها الحكيم فيشهد لها قايلاً الرب يؤدب من يحبه

وان سالت الرسول فيثبت لي ايضاً قايلاً من رسالته لاهل العبرانيين ص١٢ ع٦ من يحبه الرب
يوديه وان سالت ايوب فيقول لي طوبى لرجل يوديه الله وان سالت عنها كتاب اعمال الرسل في
الابركسيس ص١٤ ع٢٢ فيجيبوني ايضاً بصوت واحد قايلين انه بشدايد كثيرة ينبغي لنا ان ندخل
ملكوت الله فاذاً لما تغلبني وتقلقلني وتقنعني فتجلني هذه الشهادات القوية فيعتريني خوف
عظيم اذا رايت انسر اخيالي النجاح من غير ان يخزني بالشوك ويضربني ايضاً يقني بل يتركني انشرح
وامرح على هواي فان كنتم انتم غير موديين اسمعوا ما ارهب وارعب القضا الذي انذر به الرسول
جميع اوليك الذين كانوا يتعمون في شدايدهم وبلاياهم فقال ان انتم لم تكونوا موديين بالادب الذي
كانوا اشركا به كل احد اجمعون وما هي النتيجة التي استنتجها من ذلك فهي هذه الرعبة فصرتم من
الزنا لا ابنا   اهاً يا سيدي الغير المتناهي صلاحه ويا خيري الوحيد انني اريد على ساير الوجوه
ان اكون من بنيك الشرعيين وذلك اطلبه من صميم قلبي ولهذا ها انا احني باختيار ظهري هذا
للجلد قايلاً مع نبيك هوذا انا للضرب مستعد فاضربه بالالة التي انت تهواها لانه ليس لي ان
اعينها لك بل انما اقول لك فقط انني للضرب مستعد ثم انني لعالم ان حسي العاصي يخاف من الافتكار
بالكلوم التي انت عتيد ان تفتحها في جسمي وبالامراض التي تريد ان تقوليها بدني وبالعار الذي
تستطيع ان تخفض به شاني وبالمرارة التي بها يمكنك ان تمرمر كل لذة علولدي لكن ليس لي ان ابالي
منه لانه اما يكفيني للتعزية دايماً نظري اليك معلقاً عرياناً فوق الخشبة تموت من اجلي ما هي كاس
المرارة الواجب علي ان اشربها من غير ان تكون انت قبلاً قد امتصيت عنو اكثرها وامرها فانت احتملت
من اجلي الفقر والتيه من مكان الى مكان انت حقرت وتهمت بسبب اجل اعمال الديانة انت
اخنت من اصدقايك واضطهدت من مبغضيك انت وشي بك الى المحكمة كصانع الاثام وحكم
عليك ظلماً وهزي بك من الجهلة والحمقا وقسي عليك من اعدايك الظلمة والقساة انت قبلت
الجلد والضرب والكلوم في جسمك والحزن والكآبة والحسرات في نفسك انت اذنت للموت
في عنفوان شبابك من دون حجة تستوجب القتل وصلبت عرياناً ما بين لصين فاذاً ان انا عدمت
كل اسباب التعزية في حين تجاريبي وشدايدي اما يكون هذا بمفرده سبباً كافياً لتعزيتي اي
نظري اليك يا حبيب نفسي متكبداً الاهوال المرقومة ومع ذلك جميعه انا عالم انك تعاملني
برحمة لا توصف لانك ان قدمت كاسك لتسقيني فلا شك انك لا تريد ان اشربها كلها نعم انك
في احدى الايام خاطبتنا مشيراً لنا كانك تريد ان تخيفنا فقلت اتستطيعون ان تشربوا الكاس

التي

التي انا اشربها لكن عن اذنك يا سيدي لقد كان الاحسن ان تقول ان تشربوا من الكاس لا ان
تشربوا الكاس لانه من ذا الذي شرب كاسك كلها فانت تشربها كلها وهيهات ان تبقي لحواناً
لغيرك نقطة واحدة فانا عالم محققاً بنفسي ان التجاريب والشدايد التي ترسلها الي جميعها
هي على قدر ضعف قواي وبالتالي هي باسرها صغيرة وقليلة ومكتالة بالكيل كما قال المرتل
تسقيني الدموع بالكيل فلتكن انت اذاً الى الدهر مباركاً في كلما تدبره لي لانه اي شي ياتي منك
ولا يكون خيراً ونعمة فلم يعد يمكنك ان تظهر لي بالتجربة كانك تبغضني لقد عرفت وتحققت
طويتك لان التجاريب والشدايد التي ترسلها علينا ليست هي في حقيقة الامر شياً اخر سوى
حب خالص متشكل بالبغض

القسم الثاني

العدد

قد رايت امراً موافقاً الان ان احامي بهذا القسم الثاني من عظتي هذه عن دعوى جليلة جداً وهي
دعوى مختصة بالله جل ذكره اي ان افند الشكاوات التي يوردها كثيرون من الناس بتذمرهم عليه
تعالى وذلك بقولهم ان يسعد الخطاة في هذه الارض ويعطيهم خيرات وراحة فاقول انه ان كان على
ما قلناه وبرهناه انفاً هو ان التجربة هي خير يصنعه الله سبحانه مع محبيه ويصنعه مع مختاريه
ويصنعه مع الذين اعدهم الى المجد فليت شعري هل هو امر عجيب ان كان يعامل الخطاة بالعكس اي انه
يحسن اليهم ويسعدهم في هذه الحيوة ان السبب في ذلك هو واضح وهو هذا لانه تعالى لا يحبهم و
لذلكم السبب قال الملك والنبي الاثيم اسخط الرب مثل كثرة سخطه لا يفحص ولكن لكي اقول الحق انا
تاملت تاملاً عميقاً في ذلك ورايت واضحاً ان العالم يدمر باطلاً وعبثاً لانه اذا ما فتشنا وفحصنا بابلغ
الاجتهاد واعظم التدقيق فاظن انه لا يمكننا ان نجد خاطياً سعيداً على الحقيقة نعم اني اسلم انه يمكن
ايجاد خاطياً حاصلاً على غنى كثير وفايض عليه مشرف بوظايف جليلة سامية ومكرم من الشعوب
والعبيد يحكم ويتنعم ويبذخ ويفني ايامه بالتنعم حسب قول ايوب الصديق ولكن مع ذلك
جميعه لا يستطيع ان يكون سعيداً على الحقيقة وذلك لان الخاطي لا يعوزه سوى شي قليل جداً
ليصير شقياً اي بكيفية كونه خاطياً وان كنتم لا تصدقون ذلك فاصغوا لما اريد ان اورده على مسامعكم
وارجعه جلياً لكم فاقول هل تعلمون ان تجيبوني ما هي اعظم الشدايد كافةً على الخطاة ان سالت الشيوخ
المهرمين فيقولون لي لا محالة ان الموت هو اعظم الشدايد وذلك لانهم اضحوا يسمعون الموت
من قريب يقرع بالحاجة باب بيوتهم ولا يعرفون كيف يصرفونه ليبعد عنهم بالسلام وان سالت

لمن كنتم من الاعيان فيقولون لك ان اكبر الشدايد هي الحقارة وانخفاض الشان وان سالت النسا فيجبن ان
اكبرها هي الغيرة وان سالت ارباب الصنايع والفعلة والاجرا فيجيبونك ان اكبرها هو التعب النهار كله
والغدر بالاجرة وان سالت اهل الدولة فيجيبون ان الحسد وان سالت الخدام والعبيد فيقولون
انها الخدمة وعلى هذا النحو كل انسان يحتسب اعظم الشرور والبلايا ذاك الشي الذي يتجرب هو به
والسبب في ذلك هو هذا لاننا ليس لنا في اوجاع غيرنا واسقامهم الا المعرفة المجردة النظرية بالعقل فقط
اما اوجاعنا فلنا بها معرفة حسية ونختبرها بالفعل غير انه اذا تجردنا بالحقيقة عن راي نفوسنا الخصوصي
واردنا ان نزن ثقل الدواهي والتجاريب الانسانية بميزان العقل السديد الحق لا بميزان العواطف
الطبيعية الخادعة فنتحقق لا ريب صدق ما تكلم القديس اغوسطينوس في تفسير سفر الزبور قايلاً
ليس شدة في شدايد النفس الانسانية اعظم من تعب الضمير المنجس من ثقل الخطايا وهذا يتبرهن
لنا من عكسه لانه اذا جربتم ولقيتم الانسان المتصف بضمير نقي في الاهوال المقدم ذكرها التي
تحتسبونها انتم اعظم الشدايد كلها فترونه يحتملها بصبر عظيم واحياناً يفرح ويتهلل بها بل اذا
وضعتموه حذا الموت فترونه يطلبه ويدعوه بقلب فرح ووجه باش مقتدياً بالقديس اندراوس
كورسيني الذي حينما بشر بدنو الموت عليه فرح فرحاً هذا اعظم مقداره حتى انه لما كان جسمه
ذابلاً ونحيلاً ومهدوداً بكثرة الصرامة والتقشف المديدين والمرض العضال الطويل فاشتدت اعصابه
واعتدل لونه وعادت اليه العافية بالخبر عينه الذي يرعب الاخرين ويمرضهم واذا جربتموه بالحقارة
فيفعل مثل كرلومنوس الذي فرح وتهلل في وجهه لما لطمه احد خدام المطبخ العديم الادب
واذا امتحنتموه بالغيرة فيصنع كالامرأة الصالحة كدوليفا التي خدمت بمنزلة جارية لمسكات
زوجها الفاسق واذا احوجتموه الى الفقر فيماثل ذاك الفقير الذي اخبر عنه اغوسطينوس المغبوط
متعجباً من صبره في الفقر لانه كان يفرح ويتهلل بالخرق المهلهلة التي كان يستتر بها واذا نصبتم
مقابله خصماً يضايقه بالكرامة والوظايف فيتنزل له بهما من تلقا نفسه كما تنزل في دولة فرنسا
القديس لاجيريوس لرجل اخر اسمه ايرونيوس واذا الزمتموه بخدمة مولى ظالم عديم الادراك
فيطيعه اكمل طاعة كطاعة القديس باوكنوس لوغوتيار الفطلي في بلاد افريقيا وعلى
الاطلاق اقول القول ان الانسان المتصف بضمير نقي في جميع المحن التي تشاؤونها حتى في جهنم ايضاً
فيجد هناك نوعاً يعزيه وهو ذلك الامن الذي يعلي الى الابرار كل افسنتينهم اعني بر المطابقة مع
مشيئة ربهم وفي هذا قال ايضاً القديس برنردوس لا شي اعذب ولا شي اثمن من الضمير النقي الصالح

على

على اندوان التقي الحسد في العذاب وانهمك بالاصوام وتهشم بالجلد وانبسط الى القطع ونخس
بالحراب وتالم بالتمشيط باظفار من حديد فلا يبالي من هذا كله اذ كان ضميره نقياً سالماً امينا
انتهى اما اذا كان الامر بالعكس اعني اذا كان الانسان متصفاً بضمير شرير مثقل بوقر الخطية فاين
يستطيع ان يجد راحة وسلاماً ولو شاء واحد على اندوان ان يشرح بالبساتين الخضلة الظليلة و
وذهب الى سماع الالات المطربة وولج المواخير الملذذة ليجلي عن صدره الصدا المقيم الكايب
اجملها اقول الى اينما طاف وفي اي شي اراد يلتهي فيحمل في قلبه دايماً تلك الحكمة المرعبة التي تقضي عليه بانه
عاص على مولاه الكلي العظمة والقدرة ومن ثم كيف يمكنه ان يتصنع لئلا يضطرب بنفسه متاسفاً
على خسارة مجد لا يزول وخايفاً من عذاب مؤبد لا يحول مستعد له قال اشعيا النبي هاتفاً في
هذا الشان هكذا المنافق كبحر متموج ليس يستطيع ان يهدا فاضطرابهم هذا الباطن هو
عظيم بهذا المقدار حتى انهم اذا قصدوا ان يسكنوه ليس لهم سبيل اخر غير هذا وهو ان يغصبوا
عقولهم على مقاومة الحقايق المعلومة عندهم وبالتالي لهم ان يجحدوا الايمان ويكفروا بابدية
النفس وينكروا وجود جهنم ويكذبوا حقيقة نعيم الفردوس ويحصر الكلام ان يقنعوا نفوسهم
انه ليس اله كما قيل عن مماثليهم في سفر المزامير ولكن يا لعظم شقا هولاء المساكين فانهم بهذا الاغتصاب
نفسه يستشعرون بعذاب شديد هذا اعظم مقداره حتى انه يكفي وحده ليصير لهم اشقى الانام
واردلهم على انهم اذ يظنون في ذواتهم قد استراحوا قليلاً من الاضطراب الباطن المذكور في الانتباه
فيهم حقايق الدين والديانة نظير انتباه الكلاب المكلبة من وسن خفيف وتهجم معاً على قلوبهم ولو
كانت متصلبة لكثرة الخطايا وتلزمهم بان يقروا بانه يوجد في العالم ذاك الاله العظيم القدير الذي
يشتهون عدمه ومن هنا تتولد المناظر الليلية والخيالات المرهبة والاحلام المريعة التي تقلق راحتهم
حتى في الوسن الذي هو دوا الهموم والاتعاب وبهذا يتم ما قد قاله ايوب الصديق بشخص الخاطي
المسكين هكذا ان قلت انني اتعزى بفراشي قد قلقتني بالاحلام وبالرويا ارهبتني لانه ان ظننتم
ايها الاخوة السامعون ان هذه المناظر الليلية والخيالات المرعبة المذكورة تصعد من البلغم وتظهر
بصور مشاعل متقدة او بافاعي ملتفة لتعذب المنافقين وترهبهم وتبجس راحتهم فانتم مغرورون
لان خطيتهم وضميرهم هو المعاقب الجلاد الذي يعذبهم ويجعلهم مضطربين فالخيالات المحزنة والتهديدات
العميقة والارتعاشات الفجايية هذه هي الاشباح والخيالات الليلية التي ترعب المنافقين وتقلقهم
ولذلكم السبب من اين يستطيعون ان يجدوا الذي راحة وراحة كاملة في ايامهم نعم انهم ينفون

أيامهم بالتنعم حسب قول أيوب الصديق أي يفنونها بالولايم والرقص وبغير هولاء من الملاهي الباطلة
ولكن أما تعلمون أنه يوجد اختلاف عظيم ما بين افناء الايام بالتنعم وافنائها بالسعادة والفرح نعم ان
المنافقين يفنون أيامهم بالتنعم لكن لا يمكن أن يفنوا أياماً سعيدة أياماً بهجة على أن السعادة الحقيقية
لا توجد في الخطاة واذا استبان لنا أنهم بالظاهر حاصلون على سعادة ما فسعادتهم هذه كاذبة
وتشبه امرأة قبيحة المنظر غير أنها متزينة فمثل هذه ينبغي أن ترى من بعيد لتستبين حسنة لانكم
اذا ما عاينتموها من قرب فتذعركم قبح شناعتها وتشمئزون من رويتها فلنختصر اذاً خطابنا ولنقل
هكذا أن جميع الخطاة لهم أيضاً تجاريب وشدايد وهي أعظم من تجاريب الاتقيا أحياناً الا أن الفرق
الكاين بينهم هو هذا وهو أن تجاريب الاتقيا هي لهم عربون المجازاة الصالحة الابدية وتجاريب
الخطاة هي لهم عربون العذاب المؤبد المهيأ لهم وقد يتفق لهولاء مثلما اتفق لاهل سادوم الدنسين
حيث ان الحريق الذي قاسوه في هذا العالم لم يفدهم لينجوا من حريق العالم الاخير لكن صار لهم مبدأ
والى الابد كلياً

العظة الثامنة والعشرون

في الاحد الخامس من الصوم المقدس   تتضمن في انه يجب ان يبكي وينوح على قباحة جنون
من يستطيع ان يفرح ويضحك وهو في حال الخطا المميت   من منكم يوبخني على خطية
هكذا كتب ماري يوحنا في ص ٨ من بشارته   انه في عهد كرلوس السابع ملك فرنسا قد

العدد

حدثت حرب عظيمة شديدة ما بين الفرنساويين والانكليز ولما ابصر الفرنساويون انهم قد ضعفوا
في البدء واضحوا تحت خطر الانكسار الكلي انفذوا واحداً من اركان قواد الجيش الى كرلوس الملك
المذكور لكي يحرضه على ارسال النجدة التي قد كانوا التمسوها قبل ذلك الوقت ويفهمه مشافهة ضيق
العسكر وخسارة القلاع والمخاطر الثقيلة المواقعة على العسكر كله فوصل القايد بنشاط وسرعة
الى الدولة فابصر الملك وقتيذٍ يلعب فرحاً ضاحكاً مع اعيانه ولهذا التزم ان يصبر كثيراً الى ان
يتسهل له الدخول الى مناجاته فالاخير امر الملك ان يحضر لديه واذ دخل استقبله بكل كرامة ثم اخذه
بيده بمحبة وافرة وادخله الى مخادعه المملوة من صنوف الات اللعب وطفق يخبره بالاستعدادات التي
كان وقتيذٍ يهتم بها العمل الملاعب والميادين وساير انواع الملاعب لاجل انشراح الشعب وتنزهه فالتزم
القايد الحكيم وهو ناصت بصبر مستطيل وصاغياً الى هذه الخبريات حتى سأله الملك حسب مألوف العادة
كيف رأيه في محافل اللعب هذه القريبة ان تصير فالتزم حينيذٍ القايد ان يفتح فاه ويتكلم واجاب الملك

مظهراً

251

مظهراً تعجباً وذهولاً منه وقايلاً انني أرى يا مولاي انه ليصعب علينا اليوم ان يوجد في العالم كله
انسان يخسر مقتناه بمقدار هكذا من الفرح كمثلما يصنع سلطانكم الملوكي فادرك الملك معنى الجواب
الدقيق ومن عتبه عاد الى نفسه وغير الحديث وسال القايد عن احوال الحرب والعسكر وطلب الخبر
بالتفصيل عن ضعف جيشه ونجاح الاعدا في الوقت الى التدابير الاوفق والاقوى حسبما كانت تقتضي
الحال لاغاثة الجيش وثبوته في الميدان أي من المعلوم المحقق من قواعد الايمان ايها السامعون ان
خسارة المدن والقلاع والممالك واية خسارة اخرى ولو مهما كانت لا توازي اصلاً تلك الخسارة التي
يخسرها المسيحيون حينما يخسرون بخطية واحدة مميتة وبدقيقة من الزمن نعمة ربهم وخالقهم
ومع ذلك لا يبالون بما يصنعون أولاء يا ليتني كنت أستطيع ان ادخل بيوت مثل هولاء واجولها لكنت
بلاشك ارى في حين خسارتهم هذه عينها قوماً منهم جالسين يلعبون بالسطرنج وغيرهم يمزحون
في السهرات واخرين يرقصون في التعليلة وبعضاً يقهقهون ضاحكين على اللعب واخرين
جالسين يتوازرون على الوليمة او التنزيهة المفتكرين بهما الى الغد العلكم ايها الخطاة المساكين
اذا خسرتم امتعتكم تسرون فرحين ضاحكين هكذا العمري لو انكم تختلون بنفوسكم وتتاملون شقاكم
تاملاً دقيقاً ذاك الوقت عينه الذي فيه انتم تفرحون وتتهللون بهذا المقدار من السلامة لما كنتم تماثلون
الملك المذكور القليل الحكمة بل كنتم تحزنون وتذرفون دموعاً سخينة من اعينكم باكين على سو حالكم
ولكنتم حالاً تلقون عنكم في الارض ذاك الزار والورق المحبوب لديكم وتعدلون عن الدخول في تلك المحافل
وتبتعدون من مرافقة قرنايكم اوليك الذين يلهونكم وتلجون منفردين وحدكم في اعمق مخادعكم و
هناك تبكون وتنوحون من غير انقطاع حتى تتحققوا انكم عوضتم خسارتكم غير ان هذه الخسارة
هي مخفية عن بصايركم ولاي سبب فالسبب هو لانكم انتم لا تتفكرون بها البتة ولا تهتمون ان يخاطبكم
بها احد وذلك لانه يشق عليكم جداً ان تطلبوا احداً يخبركم بها او تقصدوا واعظاً يقلع غروراً او راهباً
صالحاً ليسالوهم قايلين من منكم يوبخني على خطية واذاً من حيث انني رأيت انكم لا تبالون كثيراً بخسا
رتكم
هذه العظيمة المذكورة فلهذا تجددت الان وقصدت ان اوضح لكم كعبد امين ماهية حالتكم فاذا
استبانت لكم اهلاً للضحك فاستمروا على ما انتم عليه من الضحك فرحين بقدر ما تحبون لانكم انتم
المتولون على انفسكم لكن ان عرفتم وتوكدتم وفور شقاكم فارغب اليكم ان تجيبوني هل يمكن ان يرى في العالم
منظر عجيب هكذا أي انه من احدى الجهات نادر جداً ومن جهة اخرى دارج كثيراً وهذا على حسب
ظني هو الخاطي الذي يفرح ويضحك وهو في حال الخطية المميتة

العدد ٣

لا ريب في انكم كنتم قبلما تخطيون خطاءً مميتاً ما الكيف مقاما شريفاً جليلاً بهذا المقدار حتى انكم لم
تكونوا عبيداً لله تعالى مشرفين مكرمين فقط بل كنتم اصدقاه الكلي العز وبنيه تعالى محبوبين اياه لانه جل
ذكره كان اذخركم بنيناً ورفعكم بالنعمة لتشتركوا معه باوصافه عينها وكنوزه وخيراته الالهية
واقول بحصر الكلام مع القديس بطرس الهامة لتكونوا اشركا الطبع الالهي اما انتم فلقد سقطتم بخطيتكم
من هذا المقام الشريف والله لا يحتسبكم الان بمنزلة اولاده بل ولا بمنزلة اصدقاه ولا بمنزلة عبيده
لكن يقول لكم ظاهراً انني لست اعرفكم واذا كان ذلك كذلك اتقدرون انتم ان تمرحوا وتضحكوا
وحيث ان العيس المنكود الحظ لما ابصر انه اعدم من ابيه حقوق البكورية الجليلة التي انتقلت
بقوة البركة الابوية الى شخص يعقوب فمن الحزن والكابة باهظ هذا اعظم مقدار حتى انه طفق للوقت
في ذلك البيت يعج ويهدر كالاسد لما يضرب بغتةً من جنب الى جنب بسهم اليم كما شهد عنه الكتاب
الالهي قايلاً فلما سمع عيسو كلام ابيه عج بصوت عظيم وتوجع بقلبه فيا ايها الخطاة اخوتي
اعلموا يقيناً انه لقد كان شراً قليلاً لو اعدمكم الله تعالى الحقوق الشريفة فقط تلك التي تخص البكورية
على انه كان يبقى لكم ايضاً بركة اخرى ايضاً تتعزون بها كتلك التي طلبها عيسو من ابيه ونالها اما
انتم فقد عدمتم ذخيرة البنوة كلياً ولم يبق لكم بركتها اصلاً بل انما بقيت لكم تلك اللعنة التي ينطق بها
يسوع الديان على مسامع الهالكين بقوله على لسان ابن سيراخ انكم ان متم يكون في اللعنة نصيبكم
واما انتم فليس انكم لا تتعجون كالعيس المعدوم البركة والميراث بل تجدلون وتهللون كيعقوب المستغني
ببركة ابيه الجليلة ووراثته المخصصة

العدد

وان قلتم كيف يتم فينا ذلك فاجيبكم
قايلاً اما تعلمون ان الله في هذه الحال لا يكون حالاً في قلوبكم ولا انتم حالون فيه لانه قد انفصم اشتراك
المحبة ذلك العجيب الذي كان ما بينكم وبينه تعالى فانى لعالم ان الله تعالى سبحانه بما انه غير محدود يملا
الكل ويحل في الكل اكثر جداً من الشمس لكنه في قلب البار يستوطن كعضو جليل واخص اكثر جداً ولهذا ما استطاع
الملاك ان يشرف جدعون المظفر ولا مريم البتول لما سلم عليهما شرفاً ابلغ من الشرف الذي شرفهما به
لما اعلم لكل منهما ان الله عز اسمه معهما وذلك بقوله لجدعون الرب معك وللعذرا الطوباوية وكرر
الله ذكرها الرب معك ولكن من منكم ايها الخطاة المساكين هو فايز الان بهذا الشرف الجسيم لقد شهد
الكتاب المقدس قايلاً الرب يبتعد بعداً عن المنافقين فالله يتبعد عنكم اكثر ابتعاداً من ابتعاد الشمال
عن اليمين ولعمري انه لا يسهل ان يسكن الباشق والحمامة معاً بالمحبة في عش واحد والذيب والخروف
في مغارة واحدة فمن ان تسكن الخطية والله معاً في قلب واحد فكيف اذاً تستطيعون ان تجدوا راحة

وفرحة

252

وفرحاً فيه واحدة فقط اذ يكون الله جل شانه مبتعداً عنكم واذا كان هو تعالى حاضراً معكم ما اكثر وما
اعظم الخير الذي لكم ان ترجوه اتلوا الاسفار المقدسة كلها فاقروا انه بقوة هذا الحضور الالهي فقط كان
الله فيما يعزي كل بار ويقويه على مباشرة اشيا عظيمة فمنها ما قاله عز شانه بفمه الالهي لاسحق انا
اكون معك وذلك لما اراد ان يشجعه على ان لا يخاف مكامن الفلسطينيين وقال ايضاً ليعقوب
انا معك وذلك حينما اراد ان يقويه ليرجع لوطنه وقال ايضاً لموسى اني معك لما اراد ان يرسله ليخلص
شعب اسرائيل من عبودية مصر وقال ايضاً ليشوع بن نون صنعت اني معك حينما اراد ان
ينشطه لكي يتقلد وظيفة شعب اسرائيل بعد وفاة موسى وقال ايضاً لارميا اني معك لما اراد ان
يضرمه بالغيرة ليتنبا وينذر بالحق على شعب اليهود العاصي اما الذي يتخلى الله عنه فليت شعري ما
هو الخير الذي يبقى له ان يرجوه ولهذا قال الله على لسان هوشع النبي ويل لهم اذا انصرفت عنهم اليس
ان شمشون اضاع القوة بخسارته الله تعالى ومنسا خسر الحرية بخسارته الله تعالى عز اسمه وشاول
خسر الملك بخسارته الله تعالى جل شانه وكذلك عالي خسر الكهنوت بخسارته الله تعالى تقدس اسمه وعزيا
خسر الصحة بخسارته الله ايضاً وسليمان خسر الغنى بخسارته الله تعالى وشعب اسرائيل خسر كل الخيرات
بخسارته الله تعالى سبحانه وهذا هو الاله [illegible] الذي خسرتموه انتم ايها الخطاة وليس غيره ومع ذلك
كيف لا تبالون بهذه الخسارة العظيمة ولا تحزنون عليها

العدد ٤

ترى ما هو الخير الذي تخسرونه بخسارتكم اياه تعالى انه لمن الحقوق المؤكد انكم ان كنتم لم تخسروا شيئاً آخر
فقلما يكون قد خسرتم استحقاقات سيرتكم الصالحة الماضية جميعها ولهذا كلما مارستم عملاً ما من الاعمال
الصالحة ذات الفضيلة والتقوى والديانة المسيحية فيحسب كلا شي اسمعوا كيف حقق الله تعالى
وذلك بفم حزقيال النبي قايلاً ان كان ارتد البار عن بره وعمل الاثم مثل جميع الرجس التي يعمل المنافق
افيعيش كلا لا يعيش افهموا ايها السامعون قوله هذا اعني لا يعيش ثم بين ماذا يحل به قايلاً
فلا تذكر له جميع عدالاته التي قد عملها ففي المعاصية التي عصى بها وفي خطيته التي اخطا يموت
فيها فيا لها من الفاظ مرهبة قد يخصها ان ترعب الجميع حتى النفس القاسية ايضاً فافهموا منها
جيداً ايها السامعون ان جميع الافعال الصالحة التي فعلها فيما سلف تنتسي نسياناً هذا مقداره
حتى انه اذا جاكم الموت ونقلكم من هذا العالم بغتةً فلا يكون لكم تعزية ولا مجازاة ما اصلاً عن
افعالكم الماضية بل انما تحملون فقط القصاص والعذاب عن اثم الحاضر العاجل هذه الخسارة هي يسيرة
يا ايها الخطاة الساهون فاذاً ان كان احد منكم اقتدى بالقديس عبد الاحد مار تقشف الجسد

بلغ من اصناف التقشف حتى انه اذبل في مداومة الصوم كل يوم وخدش بالمسوح وقرح بالجلدات
وهشم بضرب السلاسل الحديدية ومات الان بغتة لسوء حظه بالخطية التي يسقط بها فهل
يستفيد من هذه التقشفات شيئاً كلا اولا اذا كان واحد منكم وزع كمثل القديسة ملانيا الرومانية
على الفقراء والمساكين جميع الدوثرونة حتى انه كان على الدوام يكسو العراة ويفتدي الاسرى و
يخدم المرضى ويعيل الايتام ومات الان بالجرم المميت الذي ارتكبه مرة واحدة فقط افلا تنفع جميع
صدقاته لا البتة اذ كنتم انتم جميعاً ايها السامعون رددتم الى ايمان المسيح شعوباً متعددة كالقديس
فرنسيس سافيريوس رسول الهند او كنتم في صيانة الايمان القديم كتباً تنيف على كتب مار توما
امام اللاهوتيين او احتملتم اضطهادات عن بيعة الله اكثر واشد مما احتمل القديس اثناسيوس الاسكندري
او عانيتم عذابات وتقطيع الاعضاء من اجل المسيح اكثر مما عانى القديس اكليمنضوس الانكري او اذا
تساميتم على القديس الكسيوس باحتقار العالم وعلى القديس فرنسيس الكبير بشدة الفقر او اذا غارتم
اقدس رهبان مار انطونيوس بالسكنى في البرية واصرم سواح تيبايس بالانفراد في المغر واعجب من
السريان العاموديين بالثبوت فوق الاعمدة ومتم بعد هذا جميعه بالنفاق الذي انتم به الان مدنسون
العل هذه الفضايل السالفة الكثيرة وهذه الاستحقاقات الوافرة وهذه القداسة السامية تفيدكم
لا لعمري فهذه كلها تتلاشى وتضمحل كلياً ولا تربحون منها شيئاً البتة لانه قد قال الله تعالى كما
ذكرنا اني فلا اذكر له جميع عدالاته التي قد عملها فيا لخسارة باهظة ويا لشقا عظيم يجب ان يبكى
عليها بدموع دموية وانتم بعد هذه الخسارة المريعة هل لكم قلب ان تضحكوا او ان تفرحوا وتبتهجوا
ايضاً مثلما يبتهج الغالبون اذا اخذوا الغنيمة حين يقسمون السلب انو لعالم انكم انتم ما جمعتم
راس مال من الاستحقاقات وافراً فانا ايضاً كراس المال الذي اوردناه انفاً لكن مع هذا اعتبروا قليلاً ما الكم
عند اني اخبو خزاين من الاصوام الكثيرة التي مارستموها في حياتكم كلها والعظات العديدة التي سمعتموها
والصدقات الوافرة التي تصدقتم بها والمسابح المتعددة التي تلوتموها والصلوات والمزامير التي
قراتموها والقداسات اليومية التي حضرتموها والاعترافات والتناولات المتواترة التي باشرتموها ايرجى
الان فلا تذكر فيا لعظم مسكنتكم وسوء حظكم لكونها لا تذكر وانتم مع ذلك فرحين بحيث عوضاً
عن انكم تذوبون بكاءً وتتمزقون تحسراً وتبرزون اعجب العجيب واغربه

العدد

اذا افترضنا ان فلاحاً مسكيناً غرس في بستان ابيه بتعب جزيل ونفقة وافرة اشجاراً كثيرة مثمرة غريبة وثمينة
ومختلفة الاشكال جداً حتى انه لم يوجد مثلها او غيرها في البساتين الافرنجية ولا في بساتين الكيكيوس

اوانتنس او سيواميدس ثم لما حملت الاغصان وبلغ اوان قطف الثمار هبت في الليل عاصفة بغتة
فتنثرت الثمار واسقطتها كلها على الارض فحدث سوء متوديد ليت شعري كم يغتم ذلك المسكين اذا
دخل ذلك البستان وابصره قد حصل على هذه الحال المتوقعة لا ريب في انه يصفق او يقرع يداً على
يد ويبتدي يندب ويصيح كالمصاب والمجنون غير ان هذه لا توازي الاضرار التي سببتها الخطية
لنفوسكم لانها اعظم من تلك كثيراً جداً اذ انها ما اعدمتكم فقط ثماراً اجل واشرف بعد ان كانت حملت
وبلغت الى اوان القطف بل انها اقتلعت اشجاركم عينها من الاصل وطرحتها الى الارض اعني تقول هذا
انها استاصلت من قلوبكم ملكات الفضايل المسيحية المسكوبة حتى انكم اضحيتم الان عاجزين عن
ايناع ثمرة واحدة فتستحق الجموع الابدية على انه تعالى قال عن الخطاة اصلهم يتجفف وماذا ينتج
عن هذه المباينة الشريفة فينتج هذا ان يفعلوا ثمراً وهذا هو الجفاف والخراب الذي عبر عنه الروح
القدس لما ماثل نفس الخاطي الشقية تارةً بكرم مهدومة مفسودة من الخنازير البرية كما رتل داود
في المزمور ٧٩ وتارةً ببيت مهدوم مسروق من لصوص الليل كما ندبها انا ارميا النبي في ص ٤٩ وتارةً
بمدينة مهدومة قد نهبها وخربها ظلمة وهو محروق كما جاء في الاصحاح ١٥ من سفر ايوب وانتم
مع ذلك ايها الخطاة اتقدرون ان تفرحوا وتجدلوا اضاحيك وان كنتم الان تتاملون باعين
ناشفة انفسكم الحاصلة في هذا الحال اي حال اعظم الشقاء من غير ان تذرفوا عليها دمعة واحدة
فليت شعري الى متى تبقون دموعكم قد خبرنا القديس ايرونيموس

العدد ٦

عن اليهود انهم عدموا مدينة اورشليم وصارت تحت ولاية الرومانيين الذين انتصروا عليها كانوا
يجتمعون جملة من البلدان القريبة في يوم معلوم من السنة ليبكوا معاً على تعاستهم وكانوا في بكاهم
هذا يصنعون طقساً اظنه غريباً لم يسمع انه جرى مثله في احدى الملل التي اصابها في القديم مصيبة
ما فاسمعوا كيف كان يصير لانه اهل الان يعرف فاعلموا انه قد كان منكراً على اليهود في عهد مار ايرونيموس
ان يدخلوا مدينة اورشليم عدا اليوم المدعو يوم المناحة الذي كان يتفق في السنة مرة واحدة وهو
اليوم الذي فيه فتحت جيوش رومية اورشليم وخربوها واستاسروا جميع الشعب اليهودي ولكن مع
هذا كله لم يكن يؤذن لليهود ان يدخلوا المدينة حتى ولا في يوم المناحة المشار اليه مجاناً بل كانوا يدفعون
قبلاً مبلغاً جزيلاً من الفضة ومع هذا فقد كنتم ترون هولاء المساكين الاشقياء يدفعون الفضة بقلب
طيب ولم يردوا منها شيئاً وذلك كله ليعطوا زماناً يبكون فيه وينوحون بحسب هواهم وانما دبر عدل
الله هكذا لكيما يشتروا دموعهم بالفضة التي بها اشتروا دم يسوع ابن الله هكذا كما لحظ القديس

المقدم ذكره فلما كان يبلغ اليوم المعلوم كانوا يقبلون من كل جهة احزاباً احزاباً رجالاً ونساءً شيوخ
واطفال ارامل وعذارى والجميع لابسين ثياب الحداد الحزينة وناثرين عليها الرماد وشعورهم منحدرة
على وجوههم وعيونهم منخفضة ووجوههم مبرقعة بالاصفرار دلالة حزينة واصواتهم منبحة
من الصراخ والتنهيد وكانوا بهذه الحال الحزينة يشيرون علانيةً الى غضب الله تعالى الهاطل عليهم فعند
وصولهم الى باب المدينة فكان الجميع يجتمعون محفلاً واحداً ويصنعون في الحين معاً مناحة
عظيمة فقوماً كانوا يقرعوا صدورهم واخرون كانوا ينتفون شعورهم وقوم يلطمون وجوههم
واخرون يصفقون كفاً على كف وعلى هذا المنوال كانوا يدخلون من باب المدينة نايحين صارخين
وحالما كانوا يبصرون الاسواق وطرقوا البيوت مع انها لم تكن تلك البيوت التي كان يسكنها اجدادهم
فكانوا يجددون المناحة والتنهيق ثم كانوا للوقت بهذه الرتبة الحزينة يجولون طايفين باجتهاد
هيكلهم حيث كانوا يطلبون وجوده ولما لم يكونوا يجدوا فيه سوى الخراب والرجاسة فههنا كانت
تتوافر مناحتهم غير انهم كانوا يطوفون من مكان الى مكان ويولولون ويترغون على ترابه وحجارته
المهدومة ويتمزقون غيظاً على المذبح المنقوض وعلى الابراج والمقادس والاروقة الصايرة بقاعاً
وكانت تزيد على كآبتهم هذه المناحة اوفر تلك الالات الموسيقية التي كانت تسمع حيناً فحيناً مجاوبة
بنغمة شجية على اصوات البكا لانهم كانوا يحملون معهم في هذه المرتبة الابواق والقيثارات وما
اشبهها ويضربون بها لا للتعزية والفرح كما كانت قديماً بل لتحريك البكا والحزن باشد حال
وذلك لكي يصح بهم ان القيثارات استحالت لهم الى النوح والابواق الى الحزن وكل صوت فرح
الى صوت البكا والحزن كما لحظ ايضاً القديس ايرونيموس فعلى هذه الصيغة كان هولاء الاشقيا
ينوحون ويولولون ساعات كثيرة محتفة بهم من كل جانب الجنود وكانوا يعسكرون هناك
ليصونوا المدينة من البعض الممكن حدوثه في مثل هذه الاحتفالات من شعبها او من شعب غريب
فلما كان يدنو الوقت لينصرفوا لم يكونوا يطيقوا فراق تلك الاسوار ولاجل ذلك لما كان الجنود
يلزمونهم بالانصراف فكانوا يتضرعون ملتمسين منهم ان يمهلوهم مدة اخرى من الزمن ليشفوا
غليلهم من البكا اما الجنود فكانوا طمعاً بالفضة يجيبونهم قايلين ان اردتم ان تبكوا اكثر فادفعوا
فضة اكثر فيا للعجب لكون هذا الامر ايضاً كان الجنود ينالونه منهم اي ان كثيرين مع كونهم فقرا
او بخلا فكانوا يخرجون المال المطلوب منهم مرضياً لهم ثانيةً ويدفعونه لهم مرة اخرى عوض
دموع جديدة كانت الدموع السالفة لم تروِ غليلهم ان القديس ايرونيموس لحظها تامل هذه المراية

كلها

كلها احدثت في قلبه ارتعاشاً واندهاشاً بهذا المقدار حتى انه لم يرَ لذلك اليوم اي يوم مماثلة
اليهود المذكور يوماً اخر شبيهه سوى يوم الدينونة العامة ومن ثم ختم هذه الخبرية بهذا
القول سايلاً اترى يستطيع من يبصر هذا اليوم ان يشك مرتاباً ايضاً بيوم الشدة و
الضيق يوم البلا والشقا يوم الظلمة والقتام يوم الغيوم والعواصف يوم البوق والصافور
اي يوم الدينونة العامة انتهى هلم هنا ايها المسيحيون احبائي واسمعوني هل انني لم اورد على
سماعكم هذه الخبرية المذكورة بهذا التدقيق لا ادري هل يمكنني ان اخشعكم واقنعكم بالمثال
لعمري انه لامر غريب وهو ان اليهود القساة يشعرون من جرى خسارة مدينة وهيكل في الارض
بحسرة وحزن هذا اعظم مقدارها حتى انهم كانوا يسيرون في ابتياعهم بثمن وافر الزمان ليبكوا
عليها خلوا من ان يبالوا من تطويع نفوسهم بهذا الطقس الباطل الى شماتة الامم اعداييهم والى
استهزا الجنود الظلمة الفجار وضحك جمع غفير من الناس وتحيف الذين كانوا يلتامون هناك في المدينة
بازدحام بليغ ليتفرجوا ويهزوا ضاحكاً على ذلك الشعب يجب عليه الرحمة لكنه غير مرحوم اما انتم
وانتم عارفون انكم خسرتم لا مدينة الله وهيكله لكن الشي الذي هو اكثر اعتباراً منهما بلا قياس
اعني السما المدينة والهيكل كل ذلك ومع ذلك لا تحزنون ولا تغتمون بل بعكس ذلك تصرفون ايامكم
بالضحك والرقص والخلاعة حتى في الحين الذي تدعون به الى البكا والمناحة على خسارتكم
هذه العظيمة الباهظة فها انا اسالكم لتتمهوا وفي متى تجمعون افكاركم وتتاملون في نفوسكم
وتطالبون بحسن مارحوا من هولاء الدربكم وفي اي زمان تفكرون انه ان لم تبكوا الان ما دمتم
خسارتكم هذه فسوف تبكون عليها بكاءً لا فايدة فيه لقد تنقضي الايام وتنتهي الاشهر وتبلغ
السنة منذ اخطاتم وخسرتم استحقاق العالم تخاطبون انفسكم وتقولون في ذواتكم لقد تمت
اليوم او السنة منذ انتقمت من عدوي او منذ دنست عفتي او منذ عملت بحسب شهوتي ومع هذا
هوذا الواعظون يدعونكم ومعلموا الاعتراف ينتظرونكم لكي يسعفونكم بالبكا والتاسف على شقاكم
هذا الجسيم وانتم لا تزالون متمردين في شركم وضاحكين وتتهللين في انفسكم وليس انكم لا تطلبون
ان تبكوا فقط بل انكم لا تبكون لما يطلب منكم البكا ليت شعري من يعطيني ان ابتلج بروحي عوضاً
عنكم في قلوبكم وابكي هناك بدلاً منكم فكنت حرّ اسال حزيناً كايباً قايلاً اين هو الامكم اين ذهب
بجموع تلك الفضايل الجليلة التي كانت سابقاً مستقرة في هذا القلب اين هي تلك الاستحقاقات
الوافرة وتلك النعم الزاخرة التي كانت هنا مستوطنة بالغنى والغنى مع سلامة كثيرة صحية

البهيه تاهامنك ايتها الخطية اللص الجهنمي انت لا محالة قد استلبت من هذا القلب المسكين جميع خيره لقد انتزعت منه كلما كان فيه من الحسن وما هو معتبر وكريم وصيرتيه خرابًا ولذلك طفيت فيه المحبة وامت الايمان واذبلت الرجا واظلمت الفطنة وقهقرت الشجاعة وهدمت القناعة واهنت العدل والذي يحوي كل الخسارات بخسارة واحدة فهو هذا اي ان هذا القلب لقد خسر استحقاقًا لقدامه العدو بدم الى جميع مشتهاته

العدد

لقد خسرتم اذًا ايها الخطاة الله ربكم بالخطية ولكن يا لسعادتكم لو كانت شقاوتكم تنتهي ههنا فقط لان الشقا الاعظم ليس هو على حسب ظني خسارة محبته تعالى فقط بل هو سقوطكم تحت غضبه عز وجل فاذ كان ذلك كذلك فكيف تجسرون ايها المساكين على ان تفرحوا وتضحكوا مع كون الله سبحانه غضبانًا عليكم قد ذكر عن احد الرومانيين القدما الذي كان اذنب ودعي الى محفل المشايخ ليفحص عن سلوكه انه لما بلغه ان توليوس شيشرون الذي كان في ذلك العهد يرهب الجميع بفصاحته الغريبة هو الذي اقيم ليخاصمه في تلك الدعوة فخاف وحزن بهذا المقدار حتى انه قطع رجاه وقتل نفسه قبل ولوجه المحفل اما انتم ايها الخطاة افلا يعنيكم كون الله جلت قدرته هو خصمكم في تلك الدعوة الثقيلة التي تصير بها الفحص عن حيوة النفس لا عن حيوة الجسد ويكون بها الحكم اما باستحقاقكم بان تفوزوا بالنعيم الدايم صحبة الملايكة والقديسين واما بان تنوحوا نوحًا مؤبدًا مع الابالسة والهالكين ولكن ان اردنا ان نقر الحق فنقول ان هذه الدعوة الرهيبة قد ثبتت ايها الاشقيا وانتهت لانه من حيث انكم خطاتم قد خرج للوقت القضا المرهوب عليكم بانكم استحققتم الهلاك المؤبد ولهذا افتتحت حالًا جهنم فاها لتبتلعكم حسب نص اشعيا النبي القايل او سعت الجحيم نفسها وشياطينها ينتظرونكم بلجاجة ونيرانها تايقة اليكم لتصير والها غذا وتنانينها ناهضة رؤسها وفاتحة افواهها متوقعة فقط ان تنزل احدى ارجلكم تلك التي هي واقفة على فم الهاوية وها هوذا انتم مع ذلك بامر تقضون اوقاتكم وانتم ضاحكين هازئين لاعبين بفرح وتهليل على فم هذه الهاوية المرعبة فيا لسوء حالكم ايها الاشقيا ترى من هو الماسك بيدكم ليلا تتهوروا بها من ذا الذي طمنكم وجعلكم ان تنزعوا من قلوبكم جميع الخوف العلكم انتم تستطيعون ان تحفظوا نفوسكم وتوقفوها من التهور متى اردتم وكيفما شيتم

العدد

واما الشر الاعظم ايها الخطاة احباي فهو هذا اي ان جميع المخلوقات قد صارت ضدكم ومعاندة لكم لسبب عصيانكم انتم على ربكم ومن ثم من يعلم ان كانت احداهن لا تدفعكم الى التهور بدلًا من

تصونكم

تصونكم منه قد لحظ هنا حسنًا اغوستينوس المعلم السامي فقال انه اذا ما اهان عبد واحد لسيده فينهض ضده جميع اصحاب عبيد سيده ويصيرون خصماه وقد نرى ذلك اتفق في شمعي ذالك الفاجر الذي شتم عن بغض لداود الملك وشمت به ورشقه بالحجارة فاحتد عليه جميع عبيد الملك وقدم كل منهم نفسه بالمسابقة ليذهب اليه ويجز راسه قايلًا امضي واخذ راسه فمن لا يعلم اذًا ان عبيد الله تعالى هم جميع البرايا ناطقة كانت او عادمة النطق حسية او متحسسة او غير حسيًا ولاجل هذا قال القديس المتقدم ذكره ان جميعها تطلب على قدر استطاعتها ان تاخذ الثار عن ربها من الخاطي الخاين ومن ثم تصرخ الارض مثلًا امضي واهبطه في جوفي والمياه تصرخ امضي ولنغرقه في قاعي والريح تهتف امضي ولنفرقه بعواصفي والنار تصرخ امضي ولنذيبه حيًا باجيجي وعلى هذه الصيغة السحابات والعواصف والزوابع والطيور والوحوش متقدمة نفسها الى اخذ الثار من الخاطي ولا تظنوا ان الذي قلناه هو عبارات ناتجة من الفصاحة وشقشقة اللسان بل عبارات حقيقية على انه من المحقق ان المبروات باسرها لها قدرة على اذية الخاطي اعظم جدًا مما لها على اذية البار وكيف لا والحال انه من المعلوم عندكم ان الانسان الاول اي ادم ما دام كان صالحًا فنظام ما استطاعت خليقة ما من الخلايق ان توذيه لكونه كان متسلطًا عليها ولقد اثبت لنا القديس امبروسيوس انه لو دام في حال بره الانسان كان خاليًا من الشوك والحسك كانت ناجية من المياه المسمة والحيات من السم وقد وجد معلمون اخرون الذين لما ارادوا ان يوردوا السبب في ان الشيطان لما اخذ شبه الحية حينما اراد ان يخاطب حوا لتخدعها لا شبه حيوان اخر كقولنا الاسد والذيب او النمر وما شاكل ذلك فقالوا ان هذا اتفق لان الحيوة لو فور حكمتها كانت قديمًا للمراة حيوانًا انيسًا واحب من ساير الحيوانات حتى انها اي المراة كانت معتادة ان تحملها في حضنها وتلاعبها اكثر مما تصنع الان في اليوم ايتها النسا الشريفات مع كلابكن الصغار الاغرالذيكين فصح اذًا ان الانسان البار لم يكن يخشى اسية حيوان ما البتة غير انه لما عصى الانسان على ربه فجميع الحيوانات تسلحت ضده ومن ثم ان كان لها ان توذي الان احدًا فلها غالبًا ان توذي الانسان الخاطي اكثر من الانسان البار وهذا هو طبق قول الكتاب المقدس وهو انيا بالسباع والعقارب والحيات لهلاك المنافقين فماذا اذًا يصيبكم ايها الخطاة اذ كان في خالكم هذه الشقية اي حينما تكونون بعد ملتصقين بتلك العشرة الشريرة او ما الكينة مال غيركم بالحرام او انكم حاقدين على غريمكم وناكرين السلام والصلح معه او مستصعبين ان تبيضوا صيت ذلك الذي سودتموه ففي احد هذه الحالات ترى ماذا يصيبكم ان استمدت خليقة ما من الله

تقام الآن لا تكون خفية على حياتكم في حالكم هذه الشقية ماذا يحل بكم ان سمح الله ولدغكم حيوان سم
من دون ان تشعروا به ماذا تفعلون اذ كانوا وانتم جايزون في نهر ما تحصلون على خطر الغرق ماذا
يتم بكم اذا انقضت عليكم صاعقة وقتلتكم بغتةً ماذا تصنعون اذا سقط عليكم جدار وطمركم تحت
ردمه اليس انكم تخسرون نفوسكم الى الابد فاذاً كيف تستطيعون ان تضحكوا وتفرحوا بهذه المخاطر
العظيمة وها انا اورد لاثبات تعليمي ما نطق به الذهبي الفم قايلاً ايمكن ان توجد لذة وتنعم حيث
يكون الخوف حيث يكون الخطر حيث يجب ان يتوقى من الشرور حيث تنتصب المنابر للديونة حيث
تكون الشكوات حيث يخشى من سخط الديان حيث يكون قد تهيا الجلاد والسيف حيث تكون الهاوية
فاتحة فاها والخدام مستعدين لاتمام خدمتهم بها انتهى

العدد ٩

اعساكم تثقون بالملايكة المتوكلين على حراستكم وترجون منهم ان يصونوكم من هذه الاخطار لا ريب ان هذا
الامل خايب لان هولاء انما يحرسون بفرح واجتهاد الانام الصالحين ويسهرون ويسعون ويركضون
ويتنازلون معهم الى ان يتخذوا متكلفات لاجل خيرهم خلواً من تعب وكرم كما صنعوا مع اوراليوس ذاك
الذي كانوا ينظفون له مخدعه وفراشه بمنزلة الخدام والاجرا ومع كريستينا التي كانوا يداوون جراحاتها
كالاطبا ومع انطونينوس الذي كانوا ياتون له بالرسايل كالسعاة ومع ايسيدوروس الذي كانوا يحرثون
معه الارض بوظيفة الاكارين ومع باسيليدوس الذي كانوا يديرون سفينته بمنزلة الملاحين ومع
لندرادة التي كانوا ينظفون قبرها بمقام الاهل ومع وندرجيسيلوس الذي كانوا ينفضون ثيابه من
الغبرة ويرحضونها من الوسخ نظير الجواري اما الناس الاشرار فيستصعبون جداً ان يغيثوهم او
يقدموا اليهم خدمة ما ولين كانت زهيدة لانهم من حيث انهم يبصرونهم اعدا ربهم وسيدهم فمن ثم
لا ينعطفون نحوهم بمحبة قلبية ولا يمكنهم ان يدنوا منهم برغبة كلية غير اني لا اريد ان تستدلوا من كلامي
هذا ايها الخطاة ان ملايكتكم يغادرونكم كلياً لانه لمن المعلوم انهم يتبعونكم ايضاً الى حيثما تتوجهون
ويتصلون معكم الى محافل اللعب الغير المهذبة والى منازل الخلاعة والسفاهة والى اماكن السهرانات
النجسة ولكن لعلكم تظنون انهم يدخلون معكم داخلاً فانا ازعم انهم يقفون خارجاً ويتفرسون بكم
من الباب باكين وبمقدار ما انتم تزدادون سروراً وتمتعاً بمقدار ذلك يزدادون هم بكاءً ونوحاً عليكم وهذا
نستفهمه من الكتاب الالهي نفسه حيث قيل ها ان الناظرين يصرخون من خارج ملايكة السلام يبكون
بكاءً مراً فكيف اذاً ترجون ان يغيثكم ويحرسكم بمحبة واجتهاد اوليك الذين تسببون لهم حزناً وغيظاً
هذا اعظم مقدارها واذا غادرتكم الملايكة الموكلون على حراستكم بالخصوص فليت شعري من ذا الذي يحرسكم

من

256

من المخاطر الزمنية والابدية المحدقة بكم في كل وقت تصوروا كيف يكون حال السفينة ما بين العواصف
وهي خالية من المدبر وماذا تكون حال العجلة ما بين الصخور من غير سايس يسوسها وما هي حال الغنم
ما بين الغابات خلواً من راع والاعمى ما بين الحفرات بدون القايد والطفل ما بين الظلمات من غير
المهدي هكذا هي حال اوليك الذين اغاظوا ملاكهم الحارس وطردوه عنهم وقلما يكون ابعدوه عنهم
لعلة خطاياهم كما لحظ حسناً هنا القديس باسيليوس المعظم وقد ايد كلامنا هذا داود النبي ايضاً لما

العدد ١٠

قال بعيداً الخلاص من الخطاة ولعمري ان الصلوات لا تفيدكم
ايضاً اذا التجاتم اليها في هذه المخاطر لانه لما تعلمون انكم ما دمتم في هذه الحال الردية الخطية لا تقبل صلواتكم
لهذه الغاية فقط اسمعوا كيف ينذركم الله تعالى بهذا في فصل من نبوة اشعيا النبي قايلاً وان التزمتم
الطلب فلا استجيب لكم وقد اختبر ذلك بنفسه انطيوخوس الملك المنافق وذلك لما اعتراه المرض العضال
المولم على انه استغاث لوقته بالله بحرارة عظيمة وزفرات حزينة ولكن عبثاً كانت استغاثته كما شهد
عنه سفر المكابيين الثاني قايلاً وكان يصلي هذا المجرم الى الرب اذ لم يكن ان يظفر منه بالرحمة نعم ان
طلبات الخطاة تستجاب ولكن في وقت واحد فقط وهو هذا اي حينما يستعطفون من الله حالة مرحمة
غفران خطاياهم اما في الاوقات الاخر اذا صلوا لاجل غاية اخرى غير غفران خطاياهم فليس من شان الله
تعالى ان يستجيب لهم ومن اجل هذا السبب لم ينل انطيوخوس من الله الرحمة لانه كان يطلب الشفا من امراضه
لا غفران اثامه فاذاً ان كانت صلواتكم لا تقبل من الله عز اسمه ما دمتم منعطفين نحو الخطية بل انما
هي مرذولة منه ومكروهة لديه حسبما قيل في الامثال الالهية المرهبة هكذا من يميل اذنيه ليلا يسمع
الشريعة فذلك تسترذل صلاته ايمكن ان يوجد حال انكد واشقى من حالكم الان تستطيعون ان
تتجهوا لتستمدوا معونة في اهوالكم وتعزية في احزانكم ونجاحاً في اشغالكم وحماية في اخطاركم
اعساكم تتابرون مع داود التسبيح والتمجيد لله ولكن اما سمعتم انه لا يرضى بان تكونوا في جوق
المرتلين معه لانه ليس الحمد حسناً في فم الخاطي ومن اجل ذلك قد لحظ القديس يوحنا فم الذهب بحذاقة
عقل جزيلة فقال ان داود المرتل المعظم دعا في مزموره الى تسبيح الله تعالى معه جميع المخلوقات حتى الاعظم
رهبة ايضاً كالعقارب والحيات والتنانين اما الخطاة فلم يدعهم اصلاً لانه قال سبحوا الرب من
الارض ايها التنانين ولم يقل قط سبحوا الرب ايها الخطاة ومن ذلك نستدل على ان التسابيح ايضاً التي
يقدمها الخطاة لله تعالى هي عنده مرذولة ومكروهة اسمعوا ما قاله الذهبي الفم في هذا الصدد اذ انه قوي
المعفو فقال ان العقارب والحيات والتنانين قد انتدبت الى تسبيح الله اما الخاطي فمردود الخاطي

وحده الخاطي فقط استثنى من حقوق المسيحيين هذا القديس انتهى فماذا تصنعون اذاً ايها المساكين
العاكفون تعطون الفقرا صدقات غزيرة الا انكم تقتاتون في هذا الحال ذهبكم ام هل تزورون الاماكن
المقدسة الشاسعة نحو ان الله سبحانه يرذل في هذا الحال زياراتكم ام تمارسون اصناف التقشفات الصارمة
ولكن تقدر ان هذا ليس في هذه الحال باصوامكم فاقول اذاً بعصر الكلام انه وان فعلتم كلما تزعبونه من الخير
وانتم في حال الخطية فليس لافعالكم استحقاق لان الله عز شانه قال للخطاة وبخور انتم هو رذالة عندي
وبعد هذا قال ايضاً رؤوس شهوركم واعيادكم بغضتها نفسي وصارت لي ثقلاً لست منذ الان احتمل ومن
ثم ليس لكم استحقاق بحضور القداس ولا باستماع الوعظ ولا باكساء العراة ولا بخدمة المرضى ولا باضافة
الغربا ولا بمباشرتكم فعلاً اخر من افعال الرحمة والديانة المسيحية ولكن فهو لفحوى كلامي الذي اوردته
لكم الان فيتم جلياً فاقول لكم انه وان كان حسناً ان تمارسوا مثل هذه الافعال ولو كنتم في حال الخطية ايضاً
ولا تتقادروها لان الله جلت مراحمه لو فودر لفتية تحرك غالباً من قبل نظرم ايها (كما تعلم اللاهوتيون)
الى ان يحتملكم باطول اناه فمع هذا جميعه ينبغي ان نوضح الحق ونقول ان هذه الافعال كلها هي ميتة
فاذاً لم يبق لكم ايها الخطاة احباي في هذه الحال سوى ان تتغربوا على ساتكم جميع البرايا الارض والسموات
والمياه والنار والنباتات والحيوانات وتستمد الشياطين ايضاً من ستحق ذلك الهلاك التابيقي اليهم دائماً
الى ان يعتذبوا الروح من احشايكم وكل منهم يخاطب رفيقه بما قد جاء في الزبور الالهي قايلاً ان الله قد
اهمله اطلبوه فخذوه لانه ليس له منقذ هو ذا هذا قد صار لنا ومكانا وعبدنا فهلموا لنا مباطين عن اخذه
الى بلادنا اما انتم مع هذا الشر باسره فلا تنزعجون بل تسرون وتتهللون عوضاً عن ان تشكوا وتحزنوا
فيا لهذه الغباوة الجزيلة ما اشنعها ويا لهذا الجنون كيف ما اغربه قد ذكر الطبيعيون عن الكلب البحري
انه يسر في حين اضطراب البحر وفي ذلك الحين نفسه يرقد ويقوى اذا عذبه ويستريح براحة اعظم من غير قلق
ولكن لسنا نعجب من ذلك لان هذا الحيوان يورد ذكره في الكتب عبارة عن الضمير الصالح المستكن
الذي قيل عنه ذلك المقال المدون في سفر ايوب يعني به تستريح وليس من يوقظك فلو قد ذكر يسحونا
في حبس اورشليم ولتتم بولس مقلولاً في فيلبسيا وليس في ذلك عجب لان ضميرهما صالح نقي طاهر اما العجب
العظيم فهو هذا انه يوجد خطاة كثيرين مختفين بمخاطر اكثر جداً وشدايد مهيلة لا توصف ومع
ذلك يبرزون امارات الفرح والحبور كانهم ابرار منزهون عن الخطا فهذا ما نراه في العالم وهو مطابق
ما قاله سليمن الحكيم بسفر الجامعة الالهي وهو هذا يوجد منافقون مطمانين كانهم صنعوا صنايع
الصديقين فانا لعمري ما عرفت لطمانينة مثل هولاء سبباً اخر سوى عدم معرفتهم بشرورهم وعدم

العدد ١١

اعتبارهم

اعتبارهم لها اما انتم التي سمعتوها مني فارغب اليكم ان تقروا الدعي بالحق واضحاً اليس ان مشاهدة خاطي
يفرح ويضحك في حال الخطية امراً عجيباً غريباً

القسم الثاني

العدد ١٢

ليت شعري من منكم يخبرني لاي سبب تعتبر الناس الشر الذي تسببه الخطية في النفس اعتباراً يسيراً مع كونه
شر عظيم جداً بل الشر الاعظم فان قلتم انكم لا تعرفونه فها انا اجيبكم قايلاً ان السبب هو هذا لا غير
اي لان الخطية تسبب شرها هذا العظيم في النفس لا في الجسد فلو كل مرة تتفوه احد بالتجديف يتورم
لسانه حالاً او لو انه كل مرة يسرق تشل يده او لو على كل خيانة ينصرع عقله او لو على كل فعل من افعال الشهوة
اللحمية يضرب جسده بانتشاع البرص فهل تظنون انه كان يوجد في العالم هذا المقدار من المجدفين والخائنين
واللصوص والشهوانيين لا حقاً لكن من اجل ان الشر الذي تسببه الخطية هو في النفس وهو باطن غير
منظور فمن ثم لا يخشاه الناس الا قليلاً ان المفعولات التي تفعلها الصاعقة هي غريبة وعجيبة جداً
على انه احياناً تنحدر منقضة على صندوق مملوء ذهباً فتحرق الذهب وتصيره رماداً او تلاشيه ومع ذلك
تدع الصندوق صحيحاً من خارج حتى ان من يبصره يظن انه لم يتاثر اصلاً مع انه يكون قد ادركته التلاشي اساساً
الكلي هكذا تفعل الخطية اي تفعل مثل مفعولات الصاعقة فانها توصل الانسان ولو كان ملكاً نظير
داود الى التلاشي والرذل الكلي لكنها تتركه كلما يخص خارجاً على حاله فتدع مثلاً الصولجان
بيده والتاج على راسه والطوق في عنقه والاحجار على منكبيه ومع ذلك لا ينفطن ولا يعلم بسوء حاله
المرثي له كقول النبي المذكور انا مرذول ولم اعلم فاذاً يجب ان يصنع معه ليفطن بسوء حاله هذا الكلي
الشقا فيجب ان يصدم نبي من الانبياء نظير ناثان ليذكره به ويكشفه له وهذا هو ما قد صنعته انا معكم
ايها المسيحيين السامعين اي اظهرت لكم سوء حال من هو حاصل بالخطية ولذلك لست اشك
في انكم ما اقتنعتم اقتناعاً كلياً ان الشقا الحاصل فيه الخطاة هو عظيم جداً بل اعظم الشرور كلها ولي
كان مخفياً لا يشعرون به الان ومن هنا ليس بقي للانسان سبب للفرح والضحك بعد الخطية بل يجب
ان كل شي يحركه الى الحزن والبكا

العدد ١٣

ولكن فلندع الان جانباً جميع
هذه الاسباب التي اوردناها ولا نبالي بها ولنفرض ان الخطية لا تسبب لكم شراً ما البتة بل فلنحسب
انها تولد لكم خيرات وسعادات في الارض فمع هذا كله اخبروني كيف تقدرون ان تضحكوا فرحين مع
معرفتكم انكم بخطيتكم اساتم الى ذلك الاله الذي خولكم كل الخير ومن تعوم امرمرتم كما جاء في نبوة بانوخ
امرمرتم الذي صنعكم الاله السرمدي ولكن ما هو الشر الذي صنعه معكم يا ايها الخطاة احباي حتى انكم

يلذ لكم ان تمرمروه فلو كان هو عدوكم ومبغضكم ولكن حاقدًا على حياتكم دائمًا لكنت اسلم لكم ان لكم شبه
سبب لتفرحوا او تلتذوا باهانته وتمرمروه لكن اذا كان هو بعكس ذلك اعظم المتفضلين عليكم لانه
صنعكم فكيف اذًا تفرحون ضاحكين في اسخاطه واغاظته عوضًا عن انكم تحزنون وتبكون قد ذكر عن
اسقف زمننا الجليل وخليفة الرسل المجيد العظيم القديس بوليكربوس انه كان شيخًا قديمًا مسنًا ثم وشى
به الى محكمة الوالي انه مسيحي ورئيس النصارى وكان صيت عفافه الذائع في كل الامصار وهيبة شيبته
الموقرة يرعبان له عند الوثنيين الكفرة اعداه محبة واحترامًا ايضًا ولاجل ذلك حاول ما قدر الوالي
نفسه الذي احضره اولًا ليقتله كالمجرم حسب مرامه ان يعفو عنه كالبري ولكن لما لم ينل منه ان يكفر بايمان
المسيح ولا بالطلب ولا بالتهديد ولا بالتخويف فاعرض عليه اخيرًا هذا الشرط وهو ان يجدف مرة واحدة
فقط على اسم المسيح قلما يكون باللسان ان لم يرد بالقلب واوعده انه ان تمم ذلك فيرده الى شيبته بكرام
ومال جزيل فاضطرم الشيخ المكرم من هذا الاعراض الجهنمي اضطرامًا مقدسًا ثم رفع ناظريه الى السما
وتنهد قايلًا لي الان ثمانون وثمانون سنة وانا اعبد يسوع سيدي الجليل ولم يأت الي بهذه السنين
كلها بشيء ما فكيف تقولون لي انتم الان ان اغيظ سيدًا هكذا صالحًا قال هذا ولم يتقهقر اصلًا
عن شجاعته بل انه استعد الى الاستشهاد ذبحًا بيسوع ربه ولذلك تقدم باختياره وخلع خفيه
من رجليه ونزع عنه ثوبه بغاية النار المعدة هناك لاحراقه ودخلها فرحًا مسرورًا لا عن زلة الذنب
الذي يلقى في النار لتفنى حياته لكن بمنزلة طير العنقا الذي يدخل النار ليلتقي عندها بما يجدد
شبابه الخ وفيها المسيحيون اعزائي متى استحق هذا الاله نفسه اذ يهانكم بهذا المقدار من اللذة
والفرح حتى انه اضطر الى ان يشكو منكم على فم يوئيل النبي بانكم تظهرون له انكم تريدون ان تنتقموا
ايضًا منه بقوله هل انكم تردون علي انتقامًا افحصوا واحكموا هل استحق منكم هذه المعاملة الظالمة
لان كثيرين منكم قد ابتدات وجوههم ان تتجعد وشعورهم اضحت بيضا كالثلج من كثرة السنين
فهل تراهم يستطيعون ان يقولوا انه قد اتصلت اليهم منه محنة في هذه السنين كلها ليستاهل [illegible]
علانية ولا تخشون باي شي اغاظكم في هذه السنين الماضية كلها حتى انكم تريدون ان تكافوه
بالشرور وتنتقموا عليه كما قال ايضًا في النص المذكور العله استحق هذا الانتقام منكم لما اخذكم
من العدم الى الوجود ليشرككم بالتمتع في هذه الارض وهذا الهوا وهذا النور هل استحقه لانه ارتضى
ان تتولدوا من والدين مسيحيين ونسل شريف نبيل مكرم هل استحقه لانه سمح بان غيركم يولد
في البراري او في الجزائر المقفرة او في بلدان البربر وانتم تولدون في بلدة مخصبة مباركة نظير ما هي

بلدتكم

258

بلدتكم هذه العله استحق ذلك لانه خولكم مناصب جليلة حميدة او لانه منحكم وظايف ومناصب ذات
اكرام او لاجل انه اوعبكم غناء وثروة جزيلة او لانه منحكم فرحًا بخصب واوفر من البنين اخبروني
اذًا متى استحق ان تنتقموا عليه بخطاياكم وتمرمروه وتاسوا اليه لاني انا لست اعلم من اي سبب تسرون
انتم وتلتذون باهانته ومخاطة قد يمكن تعالى ولا محالة انه عز اسمه المكم واحزنكم فيما مضى
احيانًا بمرض او بتجربة ما الا انه اذا احزنكم بهذا فاعلموا وتيقنوا اليقين الكلي انه لم يحزنكم ببغضه
فيكم حاشاه من ذلك لكنه احزنكم من اجل خيركم الاعظم الروحي او الجسدي كما تفهمون ذلك مما
قالته يهوديت الحكيمة هكذا ان الرب يودبنا بالبلايا كاننا نحن عبيده للادب ولا لنخطر
انها علينا للاهلاك فاذًا متى استحق هذا السيد الودود ان تكافوه ايها الخطاة بالشرور والاهانة
حتى انه يلزمنا ان نقول مع يهوديت ايضًا اننا نتوق الى الانتقام من اجل هذه البلايا لانها
قالت هكذا فنحن الان فلا ننتقم لانفسنا عن بلايانا هذه اه ثم اه لقد اظن انني علمت متى
استحق ذلك لما ارتضى ان يتبجن على الخشبة عريانًا من اجلكم كرجل صانع الاثم والعار ولما
ارتضى ان ينخس راسه بالشوك ويجذب مفاصله بالحبال ويسلخ جسده بالجلد وتثقب
يداه ورجلاه بالمسامير نعم في هذه الاوقات استحق منكم الاساءه والانتقام اليس ان ذلك
حق واذا كان ذلك كذلك فلا تبرحوا اذًا حتى تاخذوا الثار منه وانتم فرحين مسرورين عن هذه
الاسوا التي صنعها معكم انتقموا انتقموا الحق معكم انتقموا على الرب فانا لست اريد اعدمكم فرحكم
هذا ولا اخيبكم من سعادتكم هذه الوافرة اذهبوا فدوسوا ذلك الدم الكريم الذي افتداكم من
جهنم اشتموا ذلك الاسم القدوس الذي اعطاكم الخلاص عيروا واحتقروا الشبع ذلك السيد العطوف
الذي صار عنكم رذالة للناس وهزوًا للقبايل انتم تشاهدون التابوت الموضوع فوق هذا المذبح
ففيه مختف ذلك الذي اسا اليكم فانتقموا اذًا انتقموا عليه انتقموا من ذلك الجسد الطاهر
الذي تجرح وتقرح كله من اجلكم ومن ذلك الراس الشريف الذي ثقب بالشوك فداء عنكم
ومن ذلك الوجه اللطيف المبلل بالدم عنكم ومن ذلك الجنب الذي طعن بالحربة حبًا بكم فان
كان المسيح اسا اليكم باحتماله هذا المقدار من العذابات القادحة من اجل خلاصكم فقط فلكم
حق ان تاخذوا منه الثار والانتقام بسوء معاملتكم اياه انتقموا انتقموا فيها انا اعيد واكرر عليكم
هذا القول انتقموا على الرب ولكن ان كان من هذا الوجه نفسه تلتزمون ان تكرموه تعالى وتحبوه
اكثر جدًا من وجه اخر فما هو اذًا معنى استلذاذكم هذا الكثير وفرحكم الجزيل ما سخاطه واحنقه

يا ايها الخطاة الاعزا ماذا تجيبوني اليوم احتجاجا عن نفوسكم انستطيعون ان تبرحوا من هذه
الكنيسة خلوا من ان تتاسفوا على خطاياكم تاسفا اليما يوازي كمية الفرح واللذة اللذين شعرتم
بهما بارتكابكم اياها فانشدتكم اذا حبا بالاله الرووف المسخوط والمهان منكم ان تعدلوا من الان
فصاعدا عن الخطا ولنخلص هنا الحد الاخير لشهواتنا الماضية وان كنا فيما سلف اعتذرنا عن
خطايانا ونسبنا علتها الى الجهل الصبياني وفورة الشبوبية او الى ضعف القوة البشرية او الى
انصباب الطبيعة وفسادها او الى شدة تجربة العدو فلنتب عن ذلك كله ولا نجعل فيما بعد
لذتنا وانشراحنا في اهانات الهنا يكفينا ما قد مضى من الزمن هكذا اختم نصيحتي لكم بالفاظ ماري
بطرس الخشعة والقوية يكفي ما قد مضى من الزمان لكمال هوى الامم لاولئك الذين سلكوا في
العهارات والشهوات والسكر بانواع كثيرة والمواكيل والشرب ولنزد معه ايضا قايلين والنجاسات
من عبادة الاوثان على ان كل خطية هي على الحقيقة نوع من عبادة مخفية للاوثان

وان كان قوم منكم لا تتحرك قلوبهم مما قلناه الى الان بل يريدون ان يتعبوا ويغيظوا ربهم لاجل
استلذاذهم وانشراحهم بقدر ما يستطيعون فاسالكم جاثيا على ركبتي ان تتمنوا على نعمة واحدة
ينبغي لكم على ساير الوجوه ان لا تمسكوها عني مجازاة للتعب الذي اتعبه منكم والذي انا مستعد
ان اتعبه معكم ايضا فيما سياتي وهي ان شيتم بارادتكم المنحرفة ان تخطوا وتغيظوا ربكم فليكن
ذلك خفية قلما يكون في مكان حيث مشاهدتكم انعامه تعالى لا توبخكم على انكار المعروف معه ولكن
اين يمكنكم ان تختفوا في الكروم التي اغناها الله جلت مكارمه بهذا المقدار من الثمار من اجلكم ام
هل في البساتين التي البسها تعالى بهذا المقدار من الازهار المتلونة من اجلكم ام عساكم تختفون في
الجبال التي اودعها عزت قدرته جواهر كثيرة من اجلكم ام هل في الحقول التي اخصبها تعالى تقدس
اسمه بهذا المقدار من الغلات ام لعل في الفيافي التي املاها عز اسمه [illegible] نافعة لكم ام في البحار
التي افعمها تقدست اسماؤه من اجلكم انواعا لا تحصى كثرتها من الحيتان وغيرها من انواع الصيد
فاين لا تختفون حيث لا تعاينون الشمس تضي لكم باشعتها الساطعة اذ الافلاك تسير بغير تعب من
اجلكم واذا طلبتم الظلمات ففيها ايضا ذلك النسيم الحلو الذي بفضله تعالى تستنشقونه وهذا
وحده هو كاف لان يشجبكم اذا اخطاتم بعدم معروف لحسانات ربكم فاذا اينما ذهبتم والى
اي موضع اختفيتم فتبصرون حقيقة ما قاله النبي والملك اذ من رحمة الرب امتلات الارض
والمراد بهذا كله انه ليس في العالم كله مكان يمكن الخطا فيه يفرح ولذة ما خلا اذا بلغتم الى حد

العدد ٤٠

الحد من قساوة القلب اي ان تجعلوا نعمكم في ان تغيظوا في كل مكان من جعل نعمه في ان يحسن
اليكم في كل مكان والمجد له سرمديا

العظة التاسعة والعشرون

في الاثنين بعد الاحد الخامس من الصوم تشتمل على انقاذ الصالحين من المضادات
الواردة عليهم كل يوم من الاشرار بايضاح انه لولا الاشرار انهم اغبيا غير معذورين ان كان
من كونهم اشرارا لا يطيقون غيرهم ان يكونوا صالحين ارسل روسا الفريسيين شرطا
ليمسكوا يسوع هكذا لحرف ماري يوحنا في فصل ٧ من بشارته

العدد
مات

لماذا سالتموني ايها السامعون المكرمون قايلين ما هو المانع الاقوى الذي يعرض لكل من يريد
ان يسلك بنشاط في سبل الفضيلة فاجيبكم حالا واظهر لكم قايلا انها هي المضادات والمقاو
الواردة من قباحة الانام الاقل صلاحا ثم اقول ايضا انه لا محالة لقد يضل ضلالا باهظا ذاك
الذي يظن انه ليمكن ان يوجد في العالم اسحق من دون اسماعيل ويعقوب من دون العيسو
وحنه من غير وجود فننه وداود من غير شمعي ومردخاي من دون هامان وارميا من غير فشحور
وايليا بلا ازبل وان سالتموني عن معنى كلامي هذا فاقول انه لقد يضل كثيرا اذا ظن احد انه لممكن
ان يوجد في العالم انسان تقي صالح من دون انسان اخر طالح يضطهده من تراه قد استحق اوجب
في العالم اكثر من سيدنا يسوع المسيح وها هو ذا يوضح لكم ذلك وانتم عارفون منه ان يسوع لم يكن
يزرع في الشعوب شيا اخر سوى انعام واحسانات ليت شعري ما الكثر الغشما الذين علمهم والمرضى
الذين ابراهم والموتى الذين احياهم والمعتريين الذين ابراهم وابرى من بياتهم من جميع السقومين
بساير اصناف الاسقام ومع ذلك باسرها ما ترك ليعيش درهة قليلة من الزمن بالراحة والسلام
ولكن ما بالي قلت بالراحة والسلام والحال الان ما عدا ذلك فقد تهم وجرح جهورصد واضطهد
ولانه لم يرد ان يكف باختياره من عمل الحسنات والايات لفايدة لجميع الشعب فقد ارسل اليوم جنود
وجيوش شريفة لكي يعدل بالعنف ودعما عنه وذلك بشدة بالحبال كما جاء في الانجيل الطاهر بقوله
ارسل الروسا والفريسيون شرطا ليمسكوا يسوع فهذا هو الحد الذي يتصل اليه بغض الاشرار
الذين من كونهم اشرارا يمقتون الفضيلة والبر في الاخرين فمن هنا انا الست اتعجب من قلة وجود من
يجتهد في هذا الزمن من المسيحيين الجهد الكلي لينجح في الكمال لان ليس للجميع يطيقون كيسوع
المسيح ان يستمروا ثابتين غير متزعزعين في كل صنف من اقتحامات الاشرار عليهم بل الاكثرون يختفون

الافضل لهم ان يتمسكوا بالطريق الرحبة مسترعين مع ان هذه الطريق تودي اخيرًا الى الهلاك
لاان يعاينوا كل يوم المضادات والمناقصات بسلوكهم الطريقة الضيقة التي تودي الى الخلاص
فماذا اذًا يجب لي ان اصنع انا اليوم لاتمم بهذه الفرصة ايضًا واجبات وظيفتي اترك الابرار
المساكين تحت سلطة اعدايهم هولا الكثيرين الذين يقاتلونهم ويشتمونهم كاني خايف
الخروج الى الميدان لاجاهد عنهم واحميهم كلا. بل ان كان الله يهبني فصاحة وقوة تساويان الغيرة
المقدسة التي تتقد بي اليوم فسانجدهم واجاهد من حولهم هولا الاعدا المكثرين والمضادين وان
شيتم ان تعلموا من هم الذين قصدت في هذا الصباح ان اوجه خطابي ضدهم فاعلموا انهم هم اوليك
الذين لاجل انهم لا يحبون ان يصنعوا خيرًا لانفسهم لا يطيقون ان يصنعه الاخرون ولذلك السبب
يتعبون كل قريب يبصرونه انه منطلق بطريقة اخص سبيل العبادة ويحسدونه ويضادونه ويكرهونه
ولا يرتجعون عنه حتى يمسكونه اعني حتى يجذبونه الى ان يستمر على مثالهم فانتم معاينون ايها
الاحبا السامعون ان ابليس في عصرنا هذا كمادة ينبغي التكلم بها الكثير هذه المادة التي قصدت اليوم
ان اخاطبكم بها الان ما هي الفايدة اذا تعبت انا بانواع مختلفة من الوعظ لكي احرك الجميع الى محبة
الفضيلة والسلوك بها للنجاح وكان بعد انحداري من على المنبر يجد ويكد ليبعدهم عنها ويهدم
ما قد تعبت انا في ابتنايه واحد يبني واخر يخرب ماذا ينتفعان بذلك غير التعب الباطل على
ما قال ابن سيراخ فمن ثم احسنوا الاصغا الى هذه الخطبة وتضرعوا الى الله تعالى ليايدني اليوم بنعمته
تاييدًا خصوصيًا

العدد ٢

ولكن ما هو المنوال الذي يجب
على ان استعمله اليوم بهذه المعركة المتعبة على انني تاملت مدققًا ثقل الحرب الذي استعد ان
اقدم فلست ارى انه يجوز لي ان اخاطبكم بهذه المرة بالفاظ لينة عذبة حسب ما الوف عادتي بل ينبغي
لي ان ازعج منذ الابتدا الزمام الى الغيظ المقدس واشرع للوقت في تخجيلكم وتعنيفكم بالصراخ و
الانتهار ولكن كلما تشاهدوا وتعيانا انني لست اصعد الى هذا المنبر رغبة في التحفي والتحلي ايثارًا
لايضاح الفصاحة والادعا بالغيرة الباطلة بل ايثارًا للافادة بالطريقة التي احتجبها اوفق لنجاحكم
الروحي فانني اعدل عن كل طريقة توضحني قاسيًا في الخطاب واريد ان اقتدي بالاطبا الروحيين الذين
لا يشتمون بالعليل من اجل الاسباب التي بها اوجب لنفسه علته ولا يوبخونه ولا يحزنونه لكنهم يهتمون
فقط بمداواته بالادوية الاقل صرامة التي يستطيعون ان يبروا بها علته حسب قوانين صناعتهم
وهذا هو ايضًا ما يعلمنا ابن سيراخ الحكيم بقوله ان كان لسانًا للشفا فهو فايض للتليين والرحمة

فهيهات

260

فهيهات ان اخاطبكم يا ايها الخطاة احبايي بالفاظ لينة وعبارات عذبة واسالكم ان تجيبوني
ما هو الدا الردي الذي لا يدعكم ان تحتملوا في غيركم ذاك الورع وذاك الكمال وتلك التقوى
المسيحية التي انتم منها خاليون اكشفوا لي قلبكم ببساطة ولا ترهبوا فانه وان كانت القروح التي
فيه هي مكروهة ومتقززة فمع ذلك انا الجسها واعالجها من غير ان اشمأز منها وان كنتم لستم تريدون
ان توضحوا الحق على جليته فيكون ان الخطية قد صيرتكم شبه القيقان التي لها هذه الخاصة
الفريدة حقًا اي انها تسمن من رايحة القروح ونتانة المطاليس وتغشى من روايح العطور الذكية
هكذا اقول عنكم ان كنتم لا تطيقون ان تستنشقوا الرايحة الذكية التي تنبعث عن فضيلة الصالحين
اوليك الذين يسوغ لهم ان يقولوا مع الرسول الالهي ان رايحتهم مع انها ذكية تفعل مفعولات مختلفة
تمنح منها حيوة وتمنح قومًا اخرين الموت فاننا نحن حسب كلام الرسول الالهي رايحة المسيح الطيبة
لله عند الذين يخلصون بهذه الرايحة وعند الذين يهلكون ومن ثم ينتج قايلًا ولهولا رايحة موت
للموت ولاوليك رايحة حيوة للحيوة وان كنتم يا ايها الخطاة تشرعون في اضطهادهم فكان رايحة
فضيلتهم تستبين لكم رايحة كريهة مميتة فمن يماري في ذلك ويتوكد فيكم من الحسد اما انا وان كنت

العدد ٣

استطيع ان اعذركم عن كل نوع من الحسد اما هذا النوع فلا اقدر بوجه ان اعذركم به لان الشكل
من الحسد هو ممقوت ومعاب بهذا المقدار حتى انه بحسب تعليم مار اغوسطينوس لا يمكن وجود
حسد اردى منه ولتحققوا ذلك اسمعوا القياس الحسن الذي اورده هذا المعلم الجليل في هذا الصدد
فقال في تفسير المزمور ٣٣ ان حسدتم انتم انسانًا غنيًا على كثرة ماله فلستم اعجب من ذلك لانه
اذا اردتم ان تجمعوا كنوزًا تساوي كنوزه فليس ذلك في مكنتكم وهكذا اقول ايضًا اذا حسدتم احدًا على
صحة بدنه واخر على جماله واخر على حذاقة عقله واخر على شهامته واخر على وظايفه فهذه
جميعها خيرات غير متعلقة باختيارنا ولهذا لا عجب اذا تولد فيكم حصر وحسد من مشاهدتكم في
غيركم ما لم تعطوه انتم لكن ان حسدتم البار على بره فما هي حجتكم اذ ان الحصول على مثل بره
هو في استطاعتكم واختياركم لكون التقوى والاحتشام والمحبة والقناعة والطهارة والصمت و
الخشوع وما شاكل ذلك من ساير الفضايل المقدسة هي باسرها خيرات وكل فقير هو حاصل على ثمن
كاف ليبتاعها ويحصل عليها الان يكفي لذلك العزم الثابت او الارادة الحقيقية فقط على مثابرتها
فاذا ما ايكون فيكم جنون ردي اذ تحسدون غيركم على الشي الذي لا يصدكم احد عن امتلاكه لقد
وجد في الارض زوجان اخوة شهيرين جدًا فاولهما اما اسست مدينة الله اي كنيسته وهو قاين

وهابيل وثانيهما تاسست مدينة العالم اى رومية وهو روملوس وريموس والذى هو اعجب من
ذلك هو اننا نستطيع ان نقول على الحقيقة عن المدينتين المؤسستين منهما حسب قول لوكانوس
الشاعر فى كتابه ان اسوارها الاولى تبللت بدم الاخوة لانه اتفق قتل هابيل فى ابتداء تاسيس المدينة
الاولى واتفق قتل ريموس فى اول تاسيس المدينة الثانية فلنضع الان الاخوين القاتلين مقابل بعضهما
بعض ولنتهم قايين من الجهة الواحدة وروملوس من الجهة الاخرى ولنعتبر الان ايها السامعون كيف
حالتيهما على انه لا شك فى ان كليهما هبطا حالا بعد وفاتهما الى بحر جهنم الابدى لتتخذ اجزا جسديهما
وفيه يتعذبان الان ويتوجعان ويولولان مغللين بالكبول ومدفونين بالنار غير انهما لم يعاقبا كليهما فى
هذه الحيوة عقابا واحدا نظير ما عوقبا فى جهنم لكون قايين بعد الخطية قد تاه هاربا تايها البرارى سنين عديدة
وكان يرتجف خوفا وجزعا عند مشاهدته كل حيوان ويصفر لونه رهبة ايضا من كل حركة فى الشجر
ويرتعب فى الاودية والغابات من بكاه وعجيجه وكان يتوهم ان كل نهر يتهدده ليبتلعه فى جوفه وكل واد
يوتزن يواريه فى قلعه حتى ان النور كان لديه مبغوضا والظلمة مكربة والنوم مخيفا والسهر سجنا
وكان كانه يستشعر على الدوام بجنن تلحقه من ورايه لتضربه ولذلك كان يهرب متلهفا على
الدوام من جبل الى جبل ومن واد الى واد اخرها نقا داخل قلبه المرتجف والحزين بذلك الصوت
المدون فى الكتاب المقدس الذى كان دليلا على قطع رجاه اى كل من وجدنى فليقتلنى اما روملوس
فعاش بخلاف ذلك لانه استحق الحمد بطول اناه وقضى حياته بالفرح والنجاح وحارب وظفر
باعدايه وقاوم خصماه واجتذب الى محبته الشعوب الغريبة وكان كل يوم يعلا اليه كلل من
الغنايم ويرفع على جبل الكابيتوليوم بيارق الاعدا التى كان يسلبها بالحروب فمن اين صدر هذا
الاختلاف ما بين قايين وروملوس اليس ان كلاهما فتك باخيه البرى بل قتله بطريقة فظيعة ممقوتة
اى بالخيانة نعم ولكن كل منهما قتل اخاه بالنوع المختلف المشار اليه منى انفا لكون روملوس حقا قد
بغض اخاه الا انه بغضه لكان معذورا اكثر من بغض قايين لهابيل لانه بغض روملوس صدر من
حسده لاخيه على قدرته واما بغض قايين لاخيه فكان متولدا من حسده له على بره فروملوس
ما استطاع ان يحصل على قدرة اخيه خلافا من ان يقتله ويعدمه اياها اما قايين فكان يستطيع الحصول
على بر اخيه من غير ان يقتله ويعدمه اياه ولاجل ذلك كان اثم قايين اعظم شرا من اثم روملوس ومن
هنا عوقب بعقاب اصعب لانه اما كان قايين يستطيع ان يكون بارا مع كون هابيل بارا اما كان
يستطيع ان يقدم مثله ابكار حقله كما كان قدم اخوه ابكار رعيته اما كان يستطيع ان يقدم

قربانه

قربانه بطلب طاهر نظير هابيل اخيه اى نعم كان يستطيع على ذلك كله لكن هذا الشقى الحسود احب
ان يرفع عن اخيه الصفة التى كان هو منزها منها ما احب ان يربح مالان اخوه متصف به فاذا لم
يستحق قايين الرحمة التى حتى ولا فى هذه الحيوة ولا استاهل ان يعيش براحة وسلام بل انه
استحق ان يصير فى العالم نموذج السخط الالهى الذى يدرك كل من يحسد الصديق على بره حسدا
رديا فاذا كان ذلك كذلك فكيف لا ترجعون انتم ايها الخطاة حينما تتاملون ان الحسد المستكن
فيكم هو على هذه الصيغة فاذا اثرتم اما تستطيعون انتم ايضا ان تصيروا اتقيا نظير مثل قربانكم
اما تستطيعون ان تلتحقوا برداء الاحتشام نظيرهم اما تستطيعون ان تصلوا بالمداومة نظيرهم
اما تستطيعون ان تواظبوا على سر الاعتراف والتناول بمواظبة ولحده نظيرهم بالحقيقة ان هذا كله
قادرون عليه وتحت اختياركم فلماذا اذا تحزنون ان كان الاخرون يصنعون خيرا اكثر مما انتم تصنعون
ومن ذلك تتميزون بهم وتتجسسونهم وتقلقونهم انه لما رجع اليهود من جلا بابل اتفقوا جميعا على
ابتنا اسوار اورشليم مدينتهم الجوهرية التى كان نبوخذنصر هدمها فعارضتهم الشعوب اللاتى ذو ذويهم
واثروا ان يمنعوهم لانهم لم يطيقوا حسدا لهم ان يشاهدوا مدينة اورشليم عامرة ولذلك كانوا
ياتون الى البنايين ويقلقونهم ويطردونهم ولما لم يكن يمكنهم منعهم كانوا يقفون تجاههم ويعيرونهم
ويشتمونهم ولاجل هذا اسمعوا كيف دعى نحميا على اوليك المنافقين الجايرين فقال لا تستر
يا رب على ذنوبهم ما اصعب هذه الالفاظ لا تستر يا رب على ذنوبهم وزاد على ذلك قايلا وخطيتهم
قدامك لا تمحى ولاى سبب دعى نحميا عليهم هذه الدواعى الثقيلة فالسبب هو لانهم استهزوا بالبنايين
كقول الكتاب المقدس ايضا قليل هو هذا السبب لانهم استهزوا بالبنايين وهذه الخطية اوجبت
اللعنة والدعا عليهم ان لا تمحى ولا تغفر فمن هنا استنتجوا انتم هكذا اذا انه ان كان بحسب حسدا
سمجا وغير محتمل منع بنا مادى لا يمكن كل وقت ان يقوم مثله بكم يكون ان الحسد اسمج واقبح منع
البنا الروحى الذى قد يستطيع كل انسان بان يقيمه ويشيده اخر مثله اذا اراد وفى اى وقت شاء
ولكن ما بالى قد شردت عن المعنى سامحونى لانى الان فطنت انى قد تكلمت حتى الان لساذج وغشيم العادد
اذ انى ظننت انكم لا تستطيعون ان تعملوا الى قرنايكم برهم من قبل الحسد والبغض ولعمرى انى
شرفتكم بظنى هذا لانه لو ان الحسد سببا لذلك لكان هذا دليل على انكم تعتبرون الفضيلة اعتبارا
ما اذ انه لا يوجد احد يحسد غيره امرا مزدون ان يعتبره ولكن على التحقيق ليس هو هذا السبب الذى
يحرضكم على مضادة قرنايكم الصالحين بل انما هو اشيا قليلة لا تختلف ما بين الخليقة اعنى انكم انتم

تشتهون ان تعيشوا عيشةً واسعة رحبة ولكن من حيث ان هذه العيشة هي عار عليكم بالنظر
الى ورع غيركم فمن ثم تتمنون ان كل انسان يقتدي بكم ولاجل هذا تجدون مجتهدين لتصيروا لكم رفقا
وتشتهون ان تطلقوا العنان لشهواتكم السيئة ومن قبيل ذلك تثقل عليكم طهارة غيركم انتم تبغضون
ان تتصدقوا على البايسين لانكم تحبون جمع الفضة بافراط ولهذا السبب تحزنون من قبل جود
الاخرين انتم تحبون الخلاعة والعهارة ومن ثم تبغضون احتشام قرنايكم واحتشامهم ولكن ماذا
تظنون انتم لعلكم تظنون ان كثرة القرنا في الخطا تخفف جرم خطاياكم امام الله تعالى وتجعلها اقل
جرمًا وشناعة وقباحة لقد ضللتم   وقد قال في هذا الصدد القديس اوكاريوس مخاطبًا ماذا
تنفع الكثرة حيث يدان كل انسان بمفرده ان المنافق لا يستطيع اصلاً ان يعتذر اعتذارًا شرعيًا
بقوله انني لست في الخطا وحدي وكم بالحري لا يستطيع ان يعتذر هكذا اذا كان قرناه في الخطا
قد طغوا منه وحملهم الى ارتكاب الاثم اترجون اذًا انتم ان يخف جرمكم في الخطا اذا تشارك معكم
بر غيركم العمل المطعون يجب ان يعتذر ويرجح الكثرة ان ليس هو وحده اضحى مطعونًا في البلاد بل
قد اشترك بدايه اناس كثيرين وذلك بتردده المطلق معهم وما عدا ذلك فاعتبروا جيدًا ما انصفه
لكم من البرهان فاقول انتم تظنون انكم تسلمون في خطيتكم اذا شاعت ما بين كثيرين وانا اقول لكم
بعكس ذلك انكم في ذلك الحين نفسه تشارفون التلف والهلاك الكلي وتحقيقًا لذلك اقول قد
سمعتم مرارًا عديدة من المثل الوارد في الانجيل من سيدنا يسوع المسيح ان الزوان كان ينمو في حقل
رب البيت اعني انه نما واعتلا وقرب من ان يخنق الحنطة الجيدة المختارة تاملوا هنا ما اغرب غباوة
هذا الزوان فكان يطلب ان يمتلك الحقل كله ويمتص جميع رطوبة الارض ولم يعلم ان هذا الذي
كان يطلبه ويتوق اليه كان عتيدًا ان يسبب له اعظم التلف والهلاك الكلي ليت شعري لو كان
قابلاً التهذيب والاقتناع بالحق لكنت خاطبته موبخًا اياه وقايلاً له هكذا ما اكثر جنونك ايها الزوان
الغبي اما تعلم انه لولا هذا القمح الجيد الذي تتلاشى بحسده وتشتريه لكنت منذ زمن قد توصلت والقيت
في النار كم من مرة كان الحصادون وضعوا ايديهم على المنجل وقطعوا من استئصالك الردي لقد كنت
الان ايها الردي المسكين قد صرت رمادًا لان كثيرين هم اوليك العبيد الذين يصرخون على الدوام
ضدك الى سيدهم قايلين اتريد ان نذهب فنجمعه ونشده حزمًا ونلقيه في النار وانت مع ذلك تطلب
ان تنمو وتسمو على الحنطة الحافظة اياك انت واكبر ايها الغبي فسياتي زمان فيه تبصر عاقبة غباوتك
وضلالك فعلى هذا النسق كنت اشتهي ان اخاطبه صارخًا في وسط ذلك الحقل الواسع لو لم

اعلم

اعلم ان صراخي ليس فيه فايدة لانه صراخ على القفر ولكن القول خطابي لا يايثر في من يسمعني فلما
يكون فيكم اذا حولته اليكم لاجل خيركم فاقول اذًا ماذا تصنعون ايها الخطاة المساكين ماذا
تصنعون حينما تطلبون ان يكون لكم رفقا متشبهين بكم كثيرين فانتم ترغبون كالزوان الردي
ان تفسدوا ايضًا تلك الحنطة القليلة الباقية في حقل البيعة ولكن لا تعلمون انكم بذلك
تسببون لنفوسكم الدمار والهلاك الكلي الا تعلمون ماهي الاصوات التي تصرخ وتجلب
في كل حين الى منبر الله تعالى على خراب المسكونة باسرها انني اشتهي ان اقص قليلاً من جهاتها لعلها
واجعلكم ترقبونها لكيما تعاينوا ما يوجد حول المنبر الالهي لعمري انكم تشاهدون جمًا غفيرًا
رهيبًا من جميع تلك المبروات التي هي في كل وقت متسلحة للانتقام من اعداء الله تعالى كقول سفر
الحكمة ولكنتم ترونها جميعها تعرض نفسها نظير عبيد رب البيت الانجيلي المقدم ذكرهم لتصنع
الانتقام باوفر سرعة هاتفة وقايلة اتريد ان نذهب فنجمعهم فالصواعق تصرخ اتريد ان
نذهب وننقض بعزم سريع ونهدم تلك الموايد التي عليها يهان اسمك القدوس جهارًا
وتداس عزتك الالهية والرياح تهتف اتريد ان نذهب فننحصر في حشا الارض ثم نبرز زلازل
مرعبة ونخرب تلك القصور التي فيها يختفي الدنس والمياه تصرخ اتريد ان نذهب فنفيض
من حدودنا ونجري على الارض ونغرق تلك الاملاك القايمة باود هذا المقدار من المنافقين
بالظلم ونجعلها بورًا والنار تهتف اتريد ان اذهب وادب في الشوارع باجيجي واحرق تلك
الحوانيت التي بها تعقد عهود الربا والظلم وعلى الاطلاق اقول هكذا تصرخ جميع الاعوان
الذين يد الله تعالى اضابطتهم فوق السحاب وهي النار والبرد والثلج والجليد والرياح العاصفة
الصانعة كلمته وتقول لله اتريد ان نذهب فنجاهد عنك ونقيم كرامتك ونهلك اعداك
اخترمنا امتحب هاهوذا لديكم الرعود والصواعق والبرد والعواصف والسموم فانها تسرع
بنشاط وتجمعهم وتلقيهم في النار ومع هذا جميعه يصدها الله جلت مراحمه ويجيبها قايلاً
لا ويحتمل هذا المقدار من الشرور والاهانات ولكن لاي سبب يحتمل هذه كلها اجيبوني ايها
السامعون لاي سبب فالسبب هو لانه لا يشا ان ياسي الى الصالحين بجريرة الطالحين
ولهذا يقول للعبيد لا لئلا حينما تقلعون الزوان تستاصلون معه الحنطة ايضًا وقد
اثبت ذلك الذهبي فمه ايضًا في خطبته الرابعة على سفر التكوين بقوله ان هذا هو مالوف
عادة الله الرحيم انه يعطي عبيده الصالحين هذا الاكرام وهو ان يخلص غيرهم بسببهم

فلنتيقن من ذلك قايلين فكم وكم اذاً نكون نحن ساهين القلب وضعيفي العقل ايها الخطاة
رفقاءي ونحن بنفوس ناحية فانكون اجتذبنا الجميع الى ان نستير ونظلم سيرتنا الرديه
ما اعظم جهلنا اذ نصير خيراً لنا اذ نرفع من بيننا اوليك الصالحين القليلين الموجودين
معنا غير فاهمين ان هولاء هم الذين يدافعون عنا واذا ما ارتفعوا عنا فنسقط حالاً تحت
سخط الله الرهيب ان الملك والنبي داود مع انه كان صديقاً وقديساً فمع ذلك كان يخاف لعدم
وجود صديقين معه ولم يكن يطمان وحده ولذلك كان يتضرع الى الله قايلاً خلصني
يا رب فان البار قد فني ومن اين نصدر احترق صادوم وعامورة الا من عدم وجود عشرة
ابرار كما اظهر الله ذلك لابراهيم ومن اين نتج خراب اورشليم سوى من عدم ايجاد انسان امين
كما اوصى الله سبحانه لارميا واذا ما اعتبرنا الامر بعكس ذلك فنرى تلك السفينة التي كان مسافراً
بها بولص الرسول مع انها كانت مملوة اشراراً وخطاة وقد صارت ملعبة الامواج ونشارفت
الغرق والدمار وتكسرت ايضاً وغرقت اخيراً تجاه جزيرة مالطا فمع ذلك لم يغرق احداً من
ركابها الاشرار ويختنق مع انهم كانوا كثيري العدد يبلغون نحو من ثلثماية نفراً وذلك لان الله
اوهب ذلك القديس الذي كان برفقتهم حياتهم كلهم حسب شهادة الابركسيس القايلة
لا تخف يا بولص هوذا المقلعون كلهم قد وهبهم الله لك فمن ذا اذاً لا يري انه ان لا يكون
للاشرار يشتهوا اكثر من هذا وهو ان يكون في العالم ابرار كثيرون دايماً العمري انه ينبغي لهم ان
يبتاعوا هولاء باغلى ثمن ويحفظوهم باوفر اجتهاد ويحترسوا عليهم باعظم ويحبوا صلاحهم
وبرهم بقدر ما يحبون راحتهم وسعادتهم والا فيكذبون سليمن الحكيم القايل اذا تكاثر المقسطون
فالشعب يسر ولكن اتري يوجد في ايامنا هذه من يصنع خلافاً لذلك اي يسعى في استيصال
اوليك المقسطين العايشين بينكم بدلاً من انه يغار من اجلهم ويفرغ مجهوده في حفظهم ما
هذا الجنون ما هذه الغباوة وخساقة العقل افهموا اذاً ايها الاشرار واحفظوا في ذكركم كيف
انا اعكس بسبب غباوتكم الشنعة انتم لستم تطيقون ان يكون غيركم صالحاً باراً لانكم اشرار
وانا اقول لكم انكم لاجل هذا السبب نفسه يلزمكم ان تشتهوا بل تسعوا ان يكون غيركم صالحاً اي لكونكم
اشراراً

العدد

انني في كلما اوردته سابقاً لم اورد لكم يا معشر المسيحيين ما هو الافضل
اما الان فاسالكم قايلاً اخبروني عما في ضميركم لانه اما انكم قاصدون ان تدمنوا الخطايا وتستمروا اشراراً
ما انتم الان اما انكم تحسبون انه يأتي يوم وتنتبهون لنفوسكم تايبين وتبتديون ان تحبوا

ذلك

ذلك البري الذي تضطهدونه اليوم فان قلتم انكم قاصدون ان تستمروا اشراراً دايماً غير تايبين
فاجيبكم لاذاً ليس لي كلام معكم ماذا تصنعون هنا انهضوا واخرجوا من هذا الجمع المبارك القايم
ههنا لان هذا ليس هو مكان الذين عاهدوا الشيطان بالطاعة والعبودية كدوماً اما انتم
ههنا معنا فعلينا خطر ان نهلك بجريرتكم ولكن ان علمتم ما هو الاقرب للتصديق اي انه لم يتهور
احد منكم بعد في شر وشقاء هذا اعظم مقدارها حتى انه عزم على مقاومة الخطا بل ان جميعكم قد

صدون

قصدتم واحداً ان تصلحوا سيرتكم الشريرة وتتوبوا اقلما يكون عند بلوغكم الشيخوخة فاجيبكم
قايلاً فكيف اذاً يمكنكم ان تتوقعوا الايد الخصوصي من الله تعالى لهذا الغرض الباهظ الثقيل اي
التوبة واصلاح السيرة من بعد ان تضيفوا الى الان وتستهينون بحلاوته الالهية بهذا المقدار
احسنوا الاصغا الى استماع هذا البرهان فاقول ان الحية من حيث انها خدمت الشيطان بمنزلة
الة في الفردوس الارضي لانخداع حوا سقطت للوقت تحت مقت الله وسخطه بهذا المقدار
حتى انه تعالى نطق عليها اول قضية القصاص التي نطقها على خليقته مايته ولعنها من بين جميع
الحيوانات الكاينة في الارض وحكم عليها بمنزلة احقر الجميع ان تسكن تحت الارض وتلحس
التراب وتزحف ببطنها على الارض بعار ابدي انني اسالكم فاجيبوني اي ذنب اذنبت الحية
المسكينة باستخدام الشيطان اياها بمنزلة الة افحصوا وايتوني بالجواب لعلها تحركت تعمداً
الى هذه الخدمة بارادتها واختيارها كلا بل انما اضطرت ان تنغلب لقوة اعظم من قوتها كثيراً
اي قوة الشيطان الذي غصبها ان تفتح فاها وتحرك لسانها وتلفظ الفاظاً لم تكن تفهمها فاذاً
مع انها كانت بريئة من الذنب فما عفيت من اللعنة والقصاص ولاي سبب فيجيب هنا القديس يوحنا
الذهبي الفم قايلاً ان السبب هو هذا اي لان الله تعالى صنع صنيع الاب الوالد اما رايتم ابا الوالد
عزيزان وقد قتلا من عدوه فهذا لا يكفيه ان يغتاظ ويتمرمر ويسخط على العدو القاتل فقط
لكنه يحول سخطه ايضاً على السكين التي استخدمت الة لقتل ابنه ويلقيها على الارض ويدوسها
برجليه ويكسرها ويلعنها وينظر اليها بعين شرسة كانها هي مذنبة ايضاً بذنب واحد مع القاتل
هكذا صنع الله مع الحية كما لحظ ايضاً الذهبي فمه المذكور في المقالة ١٧ على سفر التكوين قايلاً
انه لاجل ان الحية استخدمت لشر الشيطان بمقام السيف فقد عوقبت بعقاب مؤبد فاسمعوا
اذاً كيف استنتج من هذه الاية النتيجة ضدكم قايلاً ان كان الذي خدم الشيطان
في تجربته الابرار مع انه خدمه بمنزلة غير معقود بل مغصوب على الفعل وهو غير فاهم ما كانت

صانعه فلم يمكن أن تفلت من الانتقام الصارم الشديد واضحت امام الله ممقوتة ومبغوضة شقية بمد المتقدك فاخبروني قليلاً (وسامحوني على الجاسرة التي بها اكلمكم) فماذا يحل بكم انتم الذين بارادتكم وبمعرفتكم واختياركم تخدمون الشيطان بالاعمال القبيحة لتربحوا له اتباعاً وتصيروا له تابعين اترجون بعد ذلك ان تجدوا امام الله عز وجل رحمة وغفراناً وتنالون منه انعاماً ما ملعون هو الذي يقوم بمقام الحية ولفظ لعنته اضعافاً كثيرة من هذا الوجه اي لانه يقوم مقامها بعقل ومعرفة وتعمد نعم انه ملعون بل مثلث اللعنة كل من ينوب عن الشيطان كقول الذهبي فمه في مضرة الانفس فاذهبوا اذاً واطلبوا الاجرة والثواب من ذلك الشيطان الذي تخدمونه خدمة هكذا امينة لانه ليس لكم ان ترجوا من الله شيئاً اخر الا بغضاً وقصاصاً وهلاكاً

ليت شعري هل عاد يوجد لكم طريقة اخرى تشهرون بها على نفوسكم انكم لستم تريدون المحبة مع الله كما اوضح من هذا اي ان تتحدوا مع عدوه ومالي قلت ان تتحدوا مع عدوه والحال انكم تصنعون شراً من ذلك لانكم تقدمون لعدوه السلاح الاقوى الممكن ان يعطى ليصنع حرباً مع الله لا ريب ان الشيطان يضعف وتوجد استطاعته اذا هجم علينا وحده قال ماري يعقوب قاموا ابليس فيهرب منكم ونحو هذا كلامه انا اذا قاومنا الشيطان ليس ينصرف عنا فقط لكنه يهرب وينهزم منعدماً اعتبروا كم هو جبان وفزع وقد ذا انا غير انه يصير قوياً ومخيفاً حينما يكون له رجل او امراة ما يستنجدها الغرضه لانه بما هو خاين فيقوى على الكثير اذا صار له في الارض رداً يستقيم كما كتب عن ايوب الصديق في سفره قايلاً من كشف او جه لبوسه على انه يعرف حسناً كيف يلبسه هكذا نرى صبر ايوب لم يتزعزع لما كان هذا العدو بعزة الله يستاصل وحده املاكه او يضرب مواشيه او ينقض قصوره او يقتل اولاده او يقرح جسده لكنه كاد يتزعزع لما جربه بواسطة اصدقايه وذلك بالقنوط والياس ولان شيتم ان اتي لكم باخبار قريبة العهد منا فاقول اذكروا كيف ان الذين سقطوا في الخطا من ابرار وقديسين كيعقوب في براري فلسطين ومكاريوس في مجالس سوريا ويوحنا في تخوم منفردات فهولا لم يسقطوا حينما كان الشيطان يحاربهم وحده محاربة ظاهرة بضربه اياهم تارةً بالاعصاب البقرية وتارةً بالعصي الجافية ولم يسقطوا ايضاً لما كان يسمعهم جعير الثيران البرية وصفير الحيات وقعقعة الخنازير وزير السباع وصهيل البغال وتوعوع الذياب وعجيج الذيب وساير الوحوش الضارية لكنهم سقطوا لما ارسل عليهم نساء عاهرات مزخرفات ومزينات ليجربنهم فاعتبروا اذاً ايها السامعون ما انا اضيفه الى خطابي هذا فاقول

العدد ٦

انه

انه خير للابرار ان يفتح الله بحوره اللجج السفلية ويحل عن الابالسة القيود والكبول ويصرخ نحوهم قايلاً اخرجوا ياولاة الظلمة كلكم واذهبوا بشخصكم وذواتكم وحربوا الابرار فاني راضٍ بذلك وانما قلت انه خير للابرار ان يصنع الله هكذا لان الابرار اذا ما ابصروا الابالسة ظاهرين اليهم بصورهم الشنعة فلا ريب في انهم يخافون منهم ويستطيعون ان ينجوا من تجاريبهم بهربهم للكنايس او برسمهم اشارة الصليب المكرم او باحتمايهم تحت يدي احد الكهنة المقدستين الذي ينضح عليهم ماءً مباركاً او يجعلهم مطمانين بقوة سلطانه المرهوب على الابالسة ولكن ان كنتم انتم تجربون الاطهار الودعا بالخطية وتجذبونهم اليها متشكلين بوجه المحبة الكاذبة فالوالي يمكن لهولاء المساكين ان يذهبوا ليخلصوا من بغيكم واي مكان مقدس ويكم ترهبونه ولا تجسرون على ان تدخلوه لتكمنوا فيه ايضاً على الطاهرين واية اشارة صليب قاهر تستطيع ان تهزمكم واي تقسيم يزجركم ويكبحكم واذا تممتم هكذا وظيفة الشيطان نيابةً عنه باكمل حال مما هو يستطيع ان يتممها ايمكن ان ترجوا من الله الغفران مثلما ترجونه عن ساير خطاياكم التي تفرط منكم من الضعف والعجز البشري لا ترجوا ذلك ايها الاشقيا لا ترجوه لانه ان كان لا يستطيع الانسان ان يصنع لله تقدمة او قرباناً من سعيه بخلاص الانفس فهذا دليل على انه لا يستطيع ان يصنع له عز وجل اهانة تسخطه وتحزنه اكثر من اشتياقه للانفس الحالمه بالهلاك لان المدارس تعلم ان النتيجة من النقيض الى نقيضه فالحجة ومن ثم ان كان من رد خاطياً واحداً الى التوبة هو محسوب عند الجميع اكمل الافعال الالهية فاذا اخدع نفس واحدة فقط يجب ان يعتبرون الجميع ايضاً اشر الافعال الشيطانية وما هو الحاصل لكم من هذا جميعه سوى ان تحصوا في عدد اوليك الصيادين المنافقين الذي تشكا الله سبحانه منهم متوجعاً كثيراً على فم ارميا النبي لما قال وجد في شعبي منافقون راصدين مثل الصيادين ينصبون الفخاخ والاشراك ليشبكوا الناس اها منكم ايها الصيادون الشيطانيون اها منكم اعذروني اذا لقبتكم باسمكم كيف يمكن ان لا تفهموا او نوقح قباحة صنيعكم هذا ان ساير الصيادين يصيدون الجو مقفراً اما انتم فتجعلون السما مقفرة لكونكم تعدمون المليكة الاصحاب والقديسين الاقران والقديسات الرفيقات والمسيح النفوس وانتم مع هذا الجرم الثقيل لا ترهبون ولا ترتجفون فرقاً لكنكم تحسبون انكم لستم عاملين شيئاً قبيحاً ما اعظم اثمكم ما اغربه حقاً انه لا يمكن ان يبرهن بالكفاية

ولاثبات ذلك اخبروني اما يمكن ان نوا احداً من الذين خادعوا انكم يدفعوا انفسهم من الهلاك بسببكم واذا هلك فهذا الذي عاد الى المسيح هذه النفس المنكود حظها من ذا الذي يرد هالذه هل لكم ثمن كاف

كين

العدد ٧

تقدمونه لله تعالى لكي تفوزوا عوضاً عنها فان كان لكم هذا الثمن اين هو واخرجوه خارجاً احصوه و
احسبوه او قلما يكون اظهروا لنا جزاً منه اما تعلمون كم تكلفت تلك النفس على يسوع ابن الله البري
وكم احتمل وكم تعذب وكم اعطى ليبتاعها لله الاب وا اسفاه على اتعابك يا يسوع مخلصي الحزين
ليت شعري ما هي الفايدة من نزولك بذاتك من السما الى الارض واتشاحك جسداً حقيراً قابل
التالم واحتمالك الجوع والعطش والبرد والحر والوثاق بالحبال والضرب بالسلاسل واللطم والرفس
والجلد والصلب عرياناً وتنقب يديك ورجليك على الصليب لكي تخلص نفوساً قلت ما هي الفايدة
من هذا جميعه اذ نحن دود الارض نتعارض لك ونمنع مفعولات افتدايك الخلاصي ونسعى ان تقدم
الى الشيطان وجهنم الانفس المبتاعة منك باقوالنا السفيهة واعتشارنا الردي وعملنا المذموم
المشكك فيا ايتها السموات انحدري علينا الصواعق لانما هذا ليس هولاً يحتمل ويصمت عنه ههنا
يحب ان تتحول الينا جميع عواصف الخوف وتدفق علينا زوابع الانتقام باسرها لكوننا مستحقون ذلك
ايمكن ان يخطر على الفكر اثم اشنع وقساوة افظع وظلم اغرب ونفاق اقبح من هذا اي اختلاس نفس من
المسيح نفس مبتاعة منه بدم عينه وتقديمها هبة للشيطان اذا افترضنا ايها السامعون
انكم ابصرتم انساناً داخل الكنيسة نهار عيد الفصح المبهج وصعد الى الهيكل هاجماً عليه حينما يكون
مزيناً مصموداً باحسن التحف لينهبه ويخربه وقد ابتدأ ان يشق الستور ويقطع الاوجه ويسرق
الصواني ويخطف الكووس فماذا كنتم تصنعون اما كنتم تبادرون اليه صارخين وطالبين منه
ان يعدل عن فعله هذا بل اما كنتم تهجمون عليه وتمسكونه وتطرحونه الى الارض وتضربونه بايديكم
وترفسونه بارجلكم تاييقين الى ان تمزقوه ارباً ارباً لافراط الغيظ والحمو عليه اما انا فاقول لكم اذهبوا
فانزعوا عن الهيكل الالهي جميع الامتعة التي ترونها حوله بل احتموا غيظاً وانقضوا المذابح واحرقوها
واحرقوها واجعلوها رميماً لانه لا يصعب ان يخسر هذه كلها بمقدار ما يصعب عليه تعالى ان يخسر
عبداً واحداً فقط اذ ان ابن الله لم ينقذ الحجارة بدمه الكريم ولا الملابس ولا الامتعة والذهب لكن
الانفس ولهذا قيل في سفر الرويا اشتريتنا لله بدمك قال اشتريتنا ولم يقل اشتريت امتعتنا ومن
ثم العلكم تظنون ان من يختلس من الله نفساً واحدة يغضب تعالى اقل غضباً ممن يختلس منه الكاس
اي التي على المذبح قد قلت لكم منذ ابتدا خطابي انني لست اروم ان استعمل ضد هولا الانفار الفايق
نفاقهم العبارات القاسية ولا الالفاظ الشديدة التي كنت استطيع استعمالها اما الان فاقر لكم
افصح قرار انني ما استعملتها الا لانني لم اجد الفاظاً وعبارات مطابقة لنفاقهم على انني ان دعوتهم

كلبي

كلبي النفاق والاثم فهذا قليل وان سميتهم مختلسي حقوق الله او سالبي الالهيات فهذا ايضاً لا يكون فاذاً
ينبغي ان نخترع لفظة نفاقهم عبارات والفاظاً لم يسمع بمثلها قط وهذا كيف نقدر عليه فهذا
هو قمة الشرور التي انتهينا اليها الان في هذا الزمن وهي ان الاثام التي ترتكب صارت اعظم واقبح
من العبارات التي بها يمكن ان تبرهن

القسم الثاني

العدد ٨

انني اسالكم يا معشر السامعين فاجيبوني جواباً صادقاً اما استبان لكم مما قلناه الى الان ان الاثم
الذي تكلمنا فيه هو عظيم جداً حتى انه لا يمكن ان يوجد لسان فصيح يستطيع ان يصف عظم قباحته
بالكفاية فتجيبوني قايلين اي نعم ولكن هذا الاثم لا يذكر بيننا لانه من نادر تصدر طهارة غيره او
يكمن على عفتنا او يختطف من يسوع تابعيه فنحن مسيحيون ولسنا باعداء المسيح ومضطهديه
فعن ذلك اجيبكم قايلاً لا تضطربوا ايها السامعون بل تمهلوا قليلاً فها انا ارى انكم قاصدون
بجوابكم هذا ان تضايقوني وتلزموني اما ان اغيظكم علانية واما ان اوربان كل الكلام الذي كلمتكم
به حتى الان هو باطل فاذاً ان انتم ما توردون حجة اخرى لتبرركم سوى قولكم انكم مسيحيون
فاعلموا يقيناً ان هذا لا يبرركم لكن يزيدكم مذمة لانه صعب الاضطهادات التي تقوم ضد
يسوع في ايامنا هذه هي من المسيحيين اسمعوا كيف ابتدى القديس برنردوس منذ عصر اذ نرى
هذا الامر باكياً وقايلاً ان احباءك يا رب واقرباءك دنوا ووقفوا مقابلك لقد استبان ان جماعة
الشعب المسيحي من كبيرهم حتى صغيرهم تحزبوا عليك ليس شيئاً البتة من موطى القدم الى قمة
الراس لان الذين هم في بيعتك مقدمون وللسياسة مقلدون هم في اضطهادك الاولون انتهى
ولكن انا عارف ان كلام هذا القديس المغبوط لا يسوغ لنا ان نتلفظه على مدينتكم هذه لكون
المتقدمين فيها من اولي الدرجات والوظايف لا يزالون مجتهدين على استيصال الرذايل بغيرتهم
الحارة وغرس الفضايل بعلمهم الصالح ولكن مع ذلك جميعه اخبروني قليلاً انتم المجتمعون هنا
من الشعب لتسمعوني اما لدغكم ضميركم اصلاً انكم هزاتم وازدراتم باحد قربانكم من اجل انه مع كونه
حدث السن وطري الجسم يظهر على ذاته انه يروم الامتثال بارسانيوس الشيخ ويكرم جميعا تكم
ولا يبالي بملاعبتكم بل انما يتبين منه انه جاعل نزهته كلها اما بالتردد مع الله تعالى في الكنايس واما
بالتكلم في الله عز اسمه في الاديرة فاسرعوا وجيبوني ايضاً هل هو محقق عندكم انه ما من احد تغاضى
قتلاً بسببكم عن تناول الاسرار المقدسة باوفر تواتر ام من حضور القداس باعظم خشوع ام من

حضور مجامع التوبة السرية أم من استماع الوعظ وعمل الرسالة أم من اشتراك بشركة الوردية
المقدسة والموتة الصالحة وغيرها من رياضات النفس التي كان منعطفاً اليها بالسهولة من قبل
التربية الصالحة او من قبل انصباب الارادة الحميدة اما انا فانني اظن فيكم كل خير ولكن لا يسع الا بان
تكونوا انتم ايضاً من عدد اوليك الرفقا المتوح عنهم حسناً في سفر الحكمة الذين اذا شاهدوا جهة
احداث اتقيا مهذبين ومودبين وملتهبين معاً بخشية الله فيشعرون للوقت ويقولون لهم ما
هذا الحصر المستحوذ عليكم ما هذه العيشة السايرين فيها هلم بنا وتعالوا نستمد تلك الملذات
والملاهي التي تجرنا اليها الطبيعة اذا ما وخطها الشيب فهلم اذا نتمتع بالخيرات الموجودة ما دام
لنا زمن الشبوبية فنمتلي من الخمرة الفايقة والطيوب العطرة ولا يفوتنا نسيم زهرة الزمان
نتكلل بنفتاح الورد قبل ذبوله ولا يكون مرج الا ويجوز عليه تنعمنا ونخلف في كل صقع سيمات الفرح
وليكن لجميعنا مسرة واحدة ونقضي ايام الشبوبية المفرحة بالولايم اللذيذة والضحك واللعب
والمعاشرة المطربة ولا نبالي من انا نعرف شيئاً من ذلك العالم الاخر الذي ما رجع احد منه قط
ليخبرنا كيف هو من الجحيم لم يعرف قط برجل انه رجع فلا يسع الا ان اكرر كلامي عليكم قايلاً لا يسع
الا الشكر بانكم انتم تعطون ايضاً للشباب الذين هم في الرذيلة بعد احداث كمثل هذه المشورات
الشيطانية واخشى من انكم تستدعونهم لمثل ذلك القصد الى المحافل السفيهة والسهرات العديمة
الادب ولئلا تضاحكوا عليهم حينما تبصرونهم حاملين بايديهم كتباً روحية تحرض عن التورع و
تقدموا لهم عوضاً عن هذه كتب اميتا ومو كتب يلنكوس وحكايات كليلية العاهرة الرعنة وعلى
هذا المنوال تقدمون لهم البوكيل ملفوفاً بما فتذهر شهوة النظر الذي يلدغهم لدغاً غير محسوس
ويضحي فيما بعد لدغاً مسماً قاتلاً وانبا انا لما قلته اما ترون انتم انه اذا ابتدا كاهن غيور يعظ
باصلاح رذيلة انبثت في الرعية او يوصي النسا بان يسلكن بادب واحتشام او ينبه الولاة ان
يسهروا على رعاياهم ويقطعوا عنهم اسباب الخطا الظاهر او ينهي الشعب عن التظاهر في الكنايس
بنحو الثواب الباطلة او عن الحديث والضحك والنظر المذموم والاصطحاب الدنس فيها وما شاكل
ذلك فينهض اناس ويتسلحون ضده ويعتذرون عن تلك الخصال الذميمة ويجاهدون عن تلك
العوايد المحرمة ويتحزبون عليه لانه يروم اصلاح الرعية وينجاحها قايلين الكلام المكتوب في سفر الحكمة
ايضاً هلموا نكمن للعادل فانه مقاوم اعمالنا ويعيرنا بمعاصينا الشريعة ويشرح جرايم
سيرتنا وقد صار لنا تعييراً لخواطرنا اما يوجد في ايامنا هذه كثيرون يتصلون الى هذا الحد من

النفاق

النفاق حتى انهم يعيرون الفضيلة بالفاظ الهزو والاحتقار ويسمون مثلاً الاحتشام معاداً والطهارة
برودة والاتضاع ذلاً والقناعة فاقة والصبر جبانة وبالنتيجة انهم يقولون الخير شراً والشر خيراً
ما اكثر الذين اذا ابصروا داود مستعداً ان يصنع رحمة مع شاول عدوه فيقاومونه ويناشدونه
ان ينتقم منه ما اكثر الذين اذا شاهدوا احشويرش مغضباً ظالماً على واشتي يحابونه معه ويشيرون
عليه ان يطردها من عنده واخرون اذا راوا امنون هايماً بالعشق الدنس نحو تامر يحمدونه ويعلمونه
كيف يصنع ليصل اليها وما الذي اقوله عن اوليك الذين بالعسف الظاهر او بالمكر الخفي يصدون
غيرهم عن الدخول في الرهبنة التي يدعوهم الله تعالى اليها ولكيما يعقوهم الى لذة العالم ويطلبون لهم
العنان اذ هم بعد احداث وبحجة تجربة دعوتهم ليروا هل هي من الله وثابتة يتملقونهم بحسن الملا
ويخدعونهم بمواعيد كثيرة ويذمون حال الرهبنة باسفه الالفاظ التي تاتي على السنتهم اتستطيعون
انتم ان تفتخروا في انه لا يوجد فيكم احد من مثل هولا الناس وانه لا يوجد احد منهم في هذه المدينة المباركة
حتى ولا في هذا المحفل التقي الحاضر الان في الكنيسة لاستماع وعظي ويا حبذا ان كان كلامهم صادقاً
وانا مستعد حقاً ان اسفك دمي كله باختياري ليتم ذلك اي ليكون كلامكم صادقاً لكن ان كان
الامر ليس هو كما تقولون فلماذا لا تاذنون لي ان انطق متكلماً بمقدار ما اريد بل تطلبون ان تسدوا
فاي كان كلامي عبثاً وليس لي سبب داع الى ان اعظ ما انا واعظه وابكت صارخاً كما بكت لعمري
اني بكت وسوف ابكت ما دمت حياً على هذا الاثم الجسيم واناديه على الجميع بالحق الصريح من غير
محاباه فعلى هذا ابكي واولول مقتدياً بميخا النبي اسيراً متشلحاً وعرياناً انا ابكي بكاءً كالتنانين
ونوحاً كالنعام لانني لا استطيع ان اصدق انه يوجد انسان يجتهد جداً باستيصال الفضيلة
مقاوماً بذلك سنة الله تعالى والطبيعة التي تامرنا ان نسعى ونبذل مجهودنا كله في ان نوسس
الفضيلة وننميها ولعمري انكم اذا رايتم عدوكم نفسه الباغي عليكم حاصلاً في خطر الهلاك فتلزمون
ان تنسوا للوقت كل اهانة وتنزعوا عنكم كل بغض وتسعوا في ان تردوه الى طريق الخلاص وذلك ليلا تحط
بانقص من الحمار الذي تمدون ايديكم وتردونه عن الحفرة اذا رايتموه قادماً ان يسقط فيها واما انتم
فبعكس ذلك ومن اجل هذا عينه اي لان غيركم هو سالك في طريق الخلاص تحبون ان تعاملوه بتمام
العدو وتكمنوا عليه وتخدعوه وتضطهدوه حتى تبصروه تثبت في منهج الهلاك اي نعم هكذا
يجري عند الاشرار المنافقين الذين لا يطيقون غيرهم ان يكون صالحاً لانه قد قال الحكيم الانسان
الشرير يتملق صاحبه ويسوقه الى طريق ليس صالحاً فلو قال يتملق عدوه ويسوقه لكان الامر اقل استغراباً

طلقة

ملوك

لكن يسوع صاحبه الى طريق ليس صالحة هذا لعمري امر شنيع قبيح يفوق الوصف كيف يمكن ايها
المسيحيون ان تبلغوا الى هذا الحد من النفاق حتى انكم ان لم تعدلوا عنه خوفا على ذمتكم لا
يردكم عنه كونكم بشرًا لا بهايم حقا انني استحي من ان اتكلم هكذا لكن ينبغي لي مع ذلك جميعه
ان اكلمكم بالفاظ هكذا غريبة واختم معكم الخطاب قايلا اخبروني اما نريد نحن ان نخدم الله
فلا نخدمه اما نبالي بالملكوت فلا نبالي به بل فلنعدل عنه اما تخيفنا جهنم فلنتهور فيها ا نريد
نهلك على كذا الحالات فلنهلك ما الذي ننتظره اذًا فانفتحي ايتها الارض وابتلعي في جوفك الانفس
التي هي لك لكن اقول لكم باكيا مع القديس غريغوريوس فلنكتفِ قلما يكون بهلاك نفوسنا فقط ولا
نطلب هلاك غيرنا معنا اترى اي شي يمكنني ان اطلب منكم اقل من ذلك ايها المومنون الاعزا لست
اطلب منكم ان تكونوا متورعين صبورين عفيفين روحيين نظير غيركم كثيرين لكن اطلب منكم فقط ان
تدعوا رفيقكم ذلك ان يسير في طريق الورع فهذا الراي اقصده من غير مانع لتكفوا عن اثامكم يا بيت
اسرايل وهل كثير هذا عليكم حتى اننا لا نستطيع ان نستمد منكم الا بالتوسل والبكا ولكن ما بالي زغت
عن الصواب واهنت قدركم وجلالكم بهذه العبارات والطلبات فالاولى بي ان اذا ومل منكم انكم لستم
تسمحون فقط ان يسلك في سبيل العبادة كل من ابتغاه لكن تصيرون ايضا على مثالهم تشتهونها
وتحبونها وتعلنون بذلك على نفوسكم انه ان كان بدا منكم فيما سلف شي مخالف فهذا انما فرط
منكم سرعةً من عدم رصد العقل لا تعمدًا او من شر الارادة وخبثها والسبح لله دايمًا

العظة الثلثون

في الثلثا بعد الاحد الخامس من الصوم المقدس — تتضمن اقتناع العالميين ان العالم
خاين بل اشر الخاينين اجمع

انني اشهد على العالم ان اعماله شريرة هي هكذا اخبر ماري
يوحنا في فصل ٧ من بشارته

العدد ١

لا ريب في انه ان وجد اناس يستحقون عند
عند ارباب الولايات الوظيفة السلمية جايزة ومعروفا حسنا وثناءً جزيلًا انما هم اوليك الذين
يظهرون لهم الخاين واثباتًا لذلك اذكروا احشويرش ملك اسيا ذلك العظيم الذي امتدت
ولايته على مايه وسبعة وعشرين مدينة كيف انه رقي الى اكرام ملوكي مردخاي العبراني
لانه اظهر له المكيدة التي كان دسها عليه بغتان وتارش حافظا البلاط الملوكي وكيف ان
طيباريوس قيصر جازى حسنًا انطونينا زوجة دروسوس لانها اعلمته بخيانة سيانوس الشيخ

عدوه وان بيروس جازى ايضا بمجازاة حسنة فينوا امراة ساسون لانها اظهرت له
خيانة نيوبتوليموس وان ماكريسوس فصنع تمثالا ذهبيا لاحدى احقر امات سيرينوس اقامه في
هيكل صنم داغون تذكارًا للمعروف لها وذلك لانها اطلعته على المكايد التي كانت تدبرها
عليه خالته الخاينة اي امراة ابنه فاذًا سبيلي ان ارجو اليوم مجازاة حسنة جزيلة منكم جميعًا
انتم الذين اجتمعتم في هذه الكنيسة لتستمعوني لاني قد اتيت في هذا الصباح وليس لي
قصد سوى ان اوضح لكم واحدًا من الخاينين العظام ولكن من هو ترى هذا الخاين الشرير
لكوننا نعفو عنه كاينًا من كان فلنعلن عنه حالًا وليشهر ولينادَ به علانيةً فها انا ساوضحه لكم
لكني اخاف ليلا احسب غير مصدق عندكم انتم ايضا لكونه محبوبًا من غالبكم محبةً هذا مقدارها
حتى انكم تستعدون الى معاملته والجهاد عنه ان انبته لكم وتحكمون انني انا المفتري والمتجني
عليه فهذا الذي اخاف منه عوضًا عن ان ارجو شكرًا واحظى بالمجازاة الحسنة ولكن في الحقيقة
ليس هو هكذا بل انما هو خاين وخاين تظاهر علانيةً لان فيه جميع علامات الخيانة والوبال
لكل من لا يريد يحذر منه وهذا الخاين هو العالم وان كنتم مرتابين باصابة كلامي هذا فليتكلم
عني يسوع مخلصنا الذي انحدر الى الارض ليظهر هذه الحقيقة الصايبة والمفيدة وليظهر لنا
من هو الخاين في الارض فيقول عن قولنا انا اشهد على العالم ان اعماله شريرة هي ولكن ما هو
احتياجنا الى شهادة يسوع هذه العظيمة بقوله انا اشهد اذا كان شر هذه الاعمال ظاهرًا بينًا اي
نعم انها ظاهرة لكن مع ذلك كثيرون هم بل لا يحصى عددهم ايضا اوليك الذين لا يعلمونها ولا
يقرون انها شريرة ولكن يصدقون العالم تصديقًا عظيمًا ويسجدون له ويلتصقون به ويريدون
بجهدهم كله ان يمتعوا بخدمته كل يوم اوفر اهتمامًا اترى تحبون انتم ان تكونوا من عدد هولا ليت شعري
لو انني اعرف اليوم ان اخبركم برذايله جميعها وكيف هي واريكم اصناف خدايعه وخياناته لكان
كل منكم بلا شك يعتبر العالم بذلك الاعتبار الذي كان بولص الرسول يعتبره على ان هذا الرسول
المغبوط كان يقول انه هو من نفسه لم يكن يعتبر العالم الا بالاعتبار الذي يصدر من الناس
لمذنب معلق على مشنقة وذلك في رسالته الى اهل غلاطيه لما قال العالم مصلوب لي ولكن ان
كنتم انتم لا تعرفون ان تبلغوا الى هذا الحد من الكمال فاكتفوا قلما يكون بان لا تحبوه ولا تطابقوا
معه ولا تركنوا اليه وهذا هو ما اطلبه انا منكم اليوم بعظتي هذه ولكن تروا عيانًا ان الحق معي فانا
التمس منكم ان تحسنوا الاصغا والنشاط لاستماع كلامي

العدد ٢

اخبروني قبل كل شي يا ايها السامعون فانتم تشعرون بنفوسكم انها منعطفة جداً لخدمة العالم
اما ان هذا صحيح فتمهلوا قليلاً لنفحص ما هي الامنية التي تغريكم على انتخاب خدمة العالم تلك
المواعيد الوافرة العظيمة التي يعدكم بها في ارضا هواكم واغراضكم وهي هذه على ما اظن فالعالم
يعد باللذات والغنا والكرامة وهذه هي اصناف الخيرات الثلثة التي ينصب اليها الناس طبعاً اكثر
مما تميل الدبيب الى العسل والايلة الى الماء والفراشة الساذجة الى ضو المصباح ولهذا لا عجب اذ
كنتم انتم ايضاً تنخدعون بسهولة وتميلون اذانكم اليه ولكن يا لعظم غروركم وحمقكم كيف يمكن ان
لا تطلعوا حالاً على خداعه على ان هذا التنازل نفسه الذي يستعمله العالم معكم هو هو عينه يجب ان
يكون لكم اكبر العلامات واوضحها لتطلعوا منها على انه خاين لانه من عادة جميع الخاينين ان يدخلوا على
المرء القاصدين خداعه بوعد ما مطابق للحس فقاين خان هابيل اخاه اليس بعزيمته له الى التنزه
بالغياض قايلاً له لنخرج خارجاً ويشالوم اما خان امنون اخاه باستدعايه له الى وليمة فاخرة
ويابيل الميست خانت سيسرا بعزيمتها له الى النوم ودليلا اما خانت شمشون بعزيمتها له الى التنعم
بالنوم في حضنها وتريفون اما خان يوناثان المكابي بتكليفه الى التنزه في بلدته وعلى هذا النسق
نستطيع ان ناتي بذكر اناس اخرين لا يحصى عددهم وهذا هو طبق ما لحظه الذهبي فمه في الخطبة
١٦ لما قال هكذا هذه هي حيلة الخاينين خاصةً اي ان يقدموا اولاً ما هو عذب لينتجوا منه فيما هو مر
ومحزن فاذاً ان كان العالم يطابق هواكم ويتنازل معكم بالمواعيد الموافقة لاشواقكم المفسودة و
الملتوية فاعلموا ان هذا دليل واضح على انه يقصد خيانتكم وافتراسكم وبهذا يتمثل بتلك الاشباح
التي قيل عنها انها كانت تظهر بصورة نسا جميلات المنظر عند الوثنيين كاشفات ثداهن مشيرات
الى كل من كان يريهن بان يدنو اليهن ويذوق من حليبهن وفي غضون ذلك يفترسه يا بني اسمعوا
ما يعرفكل منكم سليمن الحكيم قايلاً يا ابني ان تملقك الخطاة لا تسمع لهم

العدد ٣

ليت شعري اما تاملتم قط تاملاً مدققاً رصيناً ما هي الهدايا التي يقدمها لكم العالم بسخاوة وافر فانتم لا شك
تظنونها هدايا راهنة جزيلة الاعتبار وهي على الحقيقة هدايا كاذبة هدايا خادعة هدايا تبان
بظاهرها هدايا وهي مضرات ورزايا ولذا لكم السبب قد شبهها كثيرون بثمرة ادم وغيرهم بثمرة افدكسيا
الملكة واخرون مثلوها بثمرة باريدس وهذه الثمرات قد كانت هدايا اجتلبت الموت اما انا فانني
اشبهها تشبيهاً وربما هو افضل الا في مثلها بهدية اخرى التي من قبلها حصل على خاينه شقيه كاميتوس
ملك سكوتيا وهذه قد كانت ايضاً هدية ثمرة الا انها ثمرة قتالة فهذا الملك دخل يوماً ما ليتنزه في

بستان بهج فابصر هناك صدفة واتفاقاً صنماً ما جميلاً من جملة الاصنام التي راها وكان هذا
الصنم حاملاً بيده ثمرة ذهبية وقايماً بحال من يناولها للذي يدنو منه فتعجب الملك من هذه الصناعة
وسر بها ولم يكن مرتاباً ولا هو خايف من خيانة مخفية تحت هذه الصناعة فتقدم وبسط
يده ليتناولها من الصنم الحجري ولكن اواه كم تكلفت عليه هذه الثمرة لعمري انها تكلفت عليه حياته
ذاتها وذلك لان الثمرة فقست بغتةً فخرج منها سهم مسنون كان ذلك الشخص واسكنه في معدة
دايماً لهذه الغاية بيد الاخرى وضرب الملك ضربة مميتة ليجازيه من الضربة او ليتقدم
وينتبه لها حالاً فعلى هذه الصفة هي الهدايا التي يقتبلها من العالم خدامه وهذا هو طبق ما قاله
ايضاً ماري يوحنا الدمشقي في كتاب برلام ويوصف حيث قال هكذا هو تنعم العالم هكذا هي هدايا العالم
اي منفعة مكايد وخيانات للذين يتبعون شهواته وملذاته على ان تابعي العالم لهم لذات يتضوقون
بها شهواتهم بلا لجام فما احسن هذه الثمرة لكن هذه اللذة تلحقها اسقام مولمة كالبنة كالجرب
والبرص والحمى المتاذية وقروح ودمامل ونقرس بالارجل والايدي وما شاكلها من ساير اصناف الامراض
التي تنكد على ابدانهم وتستعبدهم للاطبا وعلاجاتهم وهذا هو السهم المسنون ولهم ايضاً
تابعوا العالم اموال يستطيعون ان ينفقوها في طلب الراحة والترهف وما احسن هذه الثمرة غير ان
هذه الاموال تعقبها حسرات وهموم في المتاجرات والعهود والدعاوي والكسرات التي
تلقيهم دايماً في الحركة والقلق وهذا ايضاً هو السهم المسنون ولهم ايضاً مجد يستطيعون به
ان يعظموا اسماهم ويذيعوها ما احسن هذه الثمرة ولكن هذا المجد هو مقترن بحسد الاقران
الذين يطلبون دايماً ان يختلسوا منهم مجدهم او ينزلوهم عنه او يتقدمون عليهم ويلزمونهم هكذا ان
يقضوا ايامهم بالحرب او بالحذر منهم دايماً وهذا هو ايضاً السهم المسنون واقول قولاً مجملاً
مع يوحنا الحبيب ان العالم كله منصوب في حظ الشرير مضمون ذلك انه حسبما فسر ذلك القديس
كبريانوس يضحك لكي تمسوا ويتملق لكي يخدع ويعد لكي يقتل اما انتم ايها السامعون اتراكم حتى
الان مشككين مرتابين في العالم وتطلبون قياسات وبراهين جديدة اقوى لتتحققوا خيانته وما
هي الفايدة اذا جاد عليكم والقى في حضنكم خيراته بامرها وكانت هذه ايضاً خيرات متعبة خيرات
موذية خيرات خاوية فارغة ليس لها شي من الخير سوى الخارج خيرات قد دعيت في سفر الحكمة
رغوة البحر لفرط مرارتها خيرات قد سماها يعقوب الرسول بخار البهو لكونها سلمتها لا اعتبار لها
خيرات قد شبهها داود النبي في المزمور ٣٦ ع ٢ بالعشب الذي يجف سريعاً لكونها فارغة

يا بسط خيرات قد نعتها سليمن الحكيم نفسه بعد ان ذاقها جميعها ودعاها لا باطلة فقط وباطلة
الاباطيل بل بضاية الروح وحزن القلب ايضاً. اما انتم ايها السامعون الاحبا اتريدون ان تسلكوا
طريق الجهلة الجهال وتخدموا العالم وتحبوه لانه يعدكم كثيراً بهذه الخيرات الكاذبة يا لهذه
الخفة والسذاجة الشنيعة ويا لهذا الجهل القبيح اليس ان اشعيا النبي قد اصاب حينما سالكم
قايلاً لماذا تزنون الفضة بغير خبز وتعبكم بغير شبع

العدد ٤

وسبيلكم ان تفهموا قوة هذه اللفظة اعني بغير شبع لان معناها دقيق ومتسع ولنوضح ذلك
فنقول لنفترض ان الخيرات المتقدم ذكرها انما هي ذات حرية بالاعتبار وتستحق ان تطلب مع
انها في الحقيقة خيرات كاذبة خادعة اما انتم فما الذي ترجونه اترجون ان العالم يعطيكم منها بكمية
وافرة تكفي لان تشبعكم لا ترجوا منه ذلك لانه يعطيكموها كما كان يعطي المآء لاهل بيت فالو في
زمن الحصار اي انه يعطيكم منها بمكيال مزيف وناقص واذا فرضنا انه يعطيكم منها بكمية وافرة اما
انه يعود ويستلبها منكم سريعاً وههنا ينبغي لكم ان تعلموا ان العالم يبدي لجهله وجده بمنزلة
التاجر الحكيم في ان يحفظ عنده قيمته وجاهه ويجعلنا ان نعتبره اعتباراً فايقاً وهو مع ذلك
كالتاجر المكسور الذي لا يوجد عنده من المال ما يكفي ان يفي جميع غرماه الكثيري العدد ومن ثم
كيف يصنع هذا الخاين فيصنع هكذا اي انه يختلس من هذا ليعطي ذاك الاخر الذي يطالبه
بالحاجة واذا فحصنا وتاملنا جيداً فلا نرى انه اغنى احداً الا بخسارة اخر ولا رفع هذا الا
بانخفاض غيره ان شمشون لما اضطر ان يفي للثلاثين خلعة التي كان وعد بها المدعوين
الى عرسه اذا فسروا امثاله المشهورة ليت شعري ماذا صنع ليجدها فنزل الى عسقلان المدينة
وقتل هناك ثلثين رجلاً ونزع عنهم ثيابهم ثم حملها وقدمها للمدعوين حسب شهادة الكتاب
المقدس القايل هكذا ونزل شمشون الى عسقلان وضرب هناك ثلثين رجلاً واخذ ثيابهم
اعطا للذين فسروا مسالته هكذا يصنع العالم اذا اراد يكسو احداً فليس له واسطة اخرى
اسرع من تعرية الاخر لقد اعطى مردخاي التقدم في دولة احشويرش الفخيمة غير انه استلبه اولاً من
هامان ثم اعطاه اياه واوهب صيبا املاكاً وخيرات غزيرة لكن اختلسها من مفيبشث ثم اوهبه
اياها واعطى صادوق شرف الكهنوت لكن لم يعطه اياه الا بعد ان نزعه عن ابيثار وعلى هذا
النحو اذا جلتم متفتشين اخبار غيرهم فتروه صنع ويصنع كحراث البساتين الذين يقتلعون و
يكسحون اشجاراً وازهاراً ليعطوا خاصيتها وغذاها لغيرها فكيف اذاً تستطيعون ان تثقوا بالعالم

مع

مع كونه ينقصكم في الاوقات التي تكونون بها غير منتبهين وينقصكم مرات كثيرة لا تحصى و
يستلب منكم ما هو لكم ليعطيه لواحد اخر اقل استحقاقاً منكم اي لمن يكون اما مساقاً كذاباً
او وقاحاً او منافقاً او غيره من الذين يسعون ان يتقدموا عليكم بوسايط مرذولة معوجة
محرمة وهي في العالم احياناً عديدة تقود الى نيل المآرب الشريرة
ولننضف الى ذلك قايلين انه لو كان العالم يهبكم تماماً الاسباب التي تفتكرون ان يسببها لكم وربما

العدد

لكان يمتنع ان تعتذروا كما كنتم الاثر ما قلناه هو هذا اي لانه يكون خايناً حقاً فيسر لما يضربكم بغتة
وينقصكم في عنفوان نجاحكم ونعيمكم لقد كان النبي جالساً تحت ظل عاشقة مخضلة وقد كانت
نمت وكبرت قليلاً فقليلاً فوق راسه وصارت له بمنزلة خيمة ظليلة لذيذة في البقاع فكفت
عنه حرارة الشمس ولكن ماذا صار حينما كان هذا المسكين يفكر متعزياً بنفسه انه سيستريح
بقدر ما شا تحت ظلها ولهذا قال السفر المقدس انه فرح بالعاشقة فرحاً جداً واذا بريح
السموم هبت بغتة وجففت للوقت العاشقة بل يبستها كلياً واضطر يونان ان يحتمل
لذع الشمس وحرارتها اواه يا ليتني كنت استطيع ان اورد لكم اسما جميع اولئك الذين هذا العالم
المحتال بهم واحداً فواحداً انظروا ما فعل بيونان ترى ما اكثر ما كنت اريكم من العاشقات الفاجرات
اللاتي جففت بغتة فوق روسهم وقد كانوا ملوكاً وتكللوا بورق الانتصار بالحروب لقد كان
شلسوس جندياً حقيراً في عسكر الرومانيين في افريقية وانتدبه الجيش حالاً ملكاً بسعي اثنين من
اكابر قواد الجيش كان اسم [illegible] هما موفينانوس والاخر بسيانوس ولكن ما هو ظنكم لعله طال
ملكاً سنين عديدة [illegible] لبث عليه النوايب في اليوم ٧ من تملكه وقتل حالاً من ذينك اللذين
زيناه الى تملك الصولجان ولم يكن لذنب صدر منه بل لكونه صدق محبة الجيش جداً وانعطف
هو الى محبتهم كثيراً وهكذا اتفق ايضاً لهولاء الملوك اعني بهم غلبا واوتون وبيتلوس وبيليانوس
وبرتينكوس وفلوريانوس وتاسيتوس وتوريانوس فجميعهم لم يتموا سنة واحدة من تمتعهم
بالقضيب الملوكي الذي سقط من ايديهم بعار عظيم حينما كانوا يظنون انهم قابضون عليه
اشد قبضاً ويا للعظم النحس الذي اصاب بوفنيانوس فهذا الحبر كان اوفر حظاً من اكثر
المعاصرين له ولحكمهم وعدلهم ومع ذلك لما انه انتدب من الشعب ملكاً توجه حالاً الى القسطنطينية
ليلبس التاج الملوكي جهاراً وباحتفال فبات ليلة في الطريق في بيت مكلس حديثاً وهذا الامر
وحده كفى لان يميته في تلك الليلة مخنوقاً من ابخرة الفحم الكثير الذي حضر مع ذلك النهار كله

لتخفيف البيت من الرطوبة الموذية وقد ملك والريانوس زمانا اكثر من الملوك المقدم
ذكرهم فلكن ماذا انتفع من تملكه حينما حصل بعد ذلك اسيراً بيد سابور ملك الفرس وكان
يستخدمه بمنزلة مسطبة كل مرة كان يريد ان يركب جواده متعظماً وقد ملك ايضاً وفر
امتداداً من اوليك الملوك الاربعة الذين ما وجدت احد من المورخين يعرف بعض اساميهم
غير انهم بما استفادوا من امتداد تملكهم من بعد ان اسروا من سيسرا ملك مصر واضطرهم
ان يخدموه بدلاً من الخيل وذلك بجرهم المركبة التي كان يركبها ويظهر متبججاً في اسواق
المدينة فمن هذه الاخبار انتجوا انه ما من احد من سعدا الارض قضى اياماً سالماً من نوايب
الدهر المضغطة وماذا نقول عن كاسيميروس الثاني بهذا الاسم سلطان بولونيا فهذا دعا
في احد الايام الى ضيافة فاخرة كل ارباب مملكته ولما كان يسمع منهم التشايد والاثنية عنه
والدعا الكثير بطولة حياته طلب كاس خمر ليشربها محبة فيهم ويبدي بهم الشكر الا انما قدم شفتيه
الى الكاس سقط على الارض ميتاً بموت فجايي واضحى نعام بطول حياته كاذباً بدقيقة و
احدة وما بالي اسهبت الكلام في ايراد اخبار الناس العالي استطيع ان اجمع هنا اخبار جميع اوليك
الذين ابصروا نفوسهم خايبين وهم العالم بهم بغتة اذ كانوا في عز السعادة اعني الذي كانوا هم
ايضاً يرجون نظيرنا يوناناً فرحاً عظيماً فعلى الحقيقة ان الكتب والاسفار هي مفعمة اخبار نظير
اخبار هولاء الذين خدعهم العالم حتى انه لما تامل القديس يوحنا فم الذهب خداعه هتف في ميمر
الثاني و ٤ على سفر التكوين قايلاً ان فرح العالم ليس فيه شي راهن ثابت لكنه زايل ويشبه
النهر الذي يجري عند انهطال الامطار على الاودية فيظن من يراه انه نهر ثابت يستقيم وهو
على الحقيقة نهر مستعار المياه وينتهي بغتة مع انتها المطر ومن ثم جميع الذين
انخدعوا من اوهان العالم لقد استطاعوا ان يقولوا معاً ما قاله النبي زخوبا السلام فان الاضطراب
قلت انه وان كانت الاخبار التي يمكنا ان نوردها بهذا الشان هي كثيرة جداً ويطول بنا الشرح اذا رمنا
ان ناتي بذكرها كلها الا انه مع ذلك لست اظن ان يوجد خبر اوضح واغرب من خبر لاديزلاوس
ملك بوهيميا الذي قصدت ان اورده على مسامعكم وان كنتم بعد استماعكم اياه لا تستبينون
لكم سعادة الارض انها خايبة فاحكموا علي باني دجال وغير صادق فهذا المذكور كان ابن
١٨ سنة فاشتاق وخطب ابنة كرلوس ٧ سلطان فرنسا ولما رام ان يتزوج بها فاستعد الى
عمل العرس استعداداً عظيماً فاولاً سمح رعاياه بالخروج المعتاد ان يجعه كل سنة منهم وقسم

270

الوظايف على من اختارهم ورتب المملكة كلها لاتمام العرس ثم ارسل اولدادريكوس الاسقف الذي
على بادوا قاصداً الى بهرين ليباشر بالخطبة وقد تم ذلك باحتفال وعز ليس فقط بمثلها
في اوروبا كلها لانه ذهب برفقته مايتان نفر من اشراف مملكة بوهيميا ومايتان من ستريا ومايتان
من المجر وكانوا جميعهم معتبرين مهابين بالطلعة وبالملابس وبالقامة وبالخصال والسلوك
والخدام بهذا المقدار حتى انهم لو لم يظهروا في فرنسا بهذه الكثرة لكان الناظر اليهم جميعهم
ملوكاً ثم ارسل معهم من اجل خدمة العروس اربعماية امراة من اكابر النسا وكل واحدة منهن معها
جواريها وفضلاً عن المركبات الكثيرة العدد المرصعة بالفضة والذهب ارسل ثمانين جواداً من
خاص خيل المملكة غريبة الهيئة ومزينة بعدد بهية بديعة بهذا المقدار حتى انها اذهلت ابصار
الجميع وذلك لاجل سحب مركبة العروسة وحواشيها ولقد يعجز لساني عن وصف الاواني الفضية
والذهبية والامتعة والاثاث وساير فنون الزينة التي اعدت لتهاد العرس عند وصول العروسة
ثم ارسل قصاداً آخرين الى قيصر ملك النمسا ليدعوه ويأتي الى العرس مع امراته الملكة اليونورا و
قصاداً آخرين ليدعوا ملك بولونيا وغيرهم ليدعوا مشايخ بيبالا وغيرهم ليدعوا مشايخ سكسونيا
وآخرين ليدعوا امرا براندبورك واعد ايضاً اخشاباً لا تحصى بعددها لعمل ملاعب فاخرة واروقة
كثيرة لعمل الميدان وعمر ايضاً اخرجات الفرج تفوق الوصف ونصب في الشوارع اقواساً وقناطر عظيمة
وزين الاسواق والازقة باقمشة وقصور وتماثيل بديعة غريبة حتى غدت مدينة كرغ دوسن
ارضي او جنة الفرح وعدن الافراح وبعد ان تم هذا الاستعداد العجيب كله كانوا ينتظرون وصول
الملكة العروسة يوماً فيوماً وفيما كانت الامور على هذه الاحوال واذا الملك لاديزلاوس استشعر في
ليلة ما بالم وجيز في معدته فاضطرب منه الا انه لئلا يظن به احد انه حصل على دا ما تجلد وجلس
على المايدة مع رعاياه يتعشى وانشرح معهم وقضى ساعات كثيرة من الليل في مسامرتهم ولما اقترب
انتصاف الليل احتجب في مخدعه السري ونام في تلك الليلة قلقاً ثم قام غلساً ودعا الاطبا فاتوا
اليه مسرعين ولكن بلا منفعة لان ذلك العارض رعب القلوب لانهم حالما دخلوا عليه ابصروه قد مات وما فاتت
٣٦ ساعة الا وقد اضحى الملك محمولاً في النعش وشوهدت الجماهير تسير الى المقبرة ليدفنوه تحت الثرى وح
تبدلت الافراح بالاتراح واضطرت زعما المملكة ان ينفذوا سعاة من عندهم او فرسانا ليردوا الى اوطانهم الملوك
والولاة من نصف الطريق بعد ان كانوا توجهوا ليحضروا عرسه وتبددت مطربات العرس
وانقلبت الى الماتم كل شي واستحالت الى المناحة والعزا وقد كانت العروس اقتربت ان تدخل مدينته

تبدلت الافراح بالاتراح

برائعا وحالما بلغهما الخبر السوء لبست السواد واثواب الحداد وعادة الى الوراء لا عروسة بل ارملة
قبل ان تشاهد العروس ختنها فاهو ذا يكم هنا المهذ ايها السامعون اما بيان لكم انني تكلمت
الخ حيثما اثبت لكم ان العالم يغتالكم ويعكر بكم في زهرة افراحكم وفي عنفوان عزكم ويجدكم قبالها
من غشوش وخدايع وخيانات غريبة ترجف الفرايص فاذ كان سلوك العالم ليس هو سلوك اشر
الخاينين فليت شعري اذا ماذا ندعوه فعلى ظني ان صنيعه هذا انما هو كصنيع جبل واسوبيوس
الذي تخرج منه النار على انكم اذا اردتم ان تعرفوا تلال هذا الجبل فينعم غلات طيبة ويبقى
كلم دبيقا دايما بعشبه الاخضر وحرينا متصلا بفاكهته الناضجة ولكن هل تعلمون ماذا يتفق لكم فيه كذا
يتم وهو ان تكونون مطمانين بنفوسكم وتترجعون الغفلة القريبة غير مفتكرين باسيتما ففي ذلك
الوقت عينه يدفق خارجا من جوفه نهر كبير من نفط ودماد وحجارة عظيمة بهذا المقدار حتى انه
يغمركم بساعة واحدة اكثر حالا مما يكون بحكم بتعب سنين عديدة وهذا هو طبق ما جاء في سفر
ابن سيراخ بقوله شرعنا ينسى الشوق الشديد وهل تحبون انتم ان تجعلوا سكناكم على ظهر
هذا الجبل الخاين وتقصدون عليه راحتكم ونزهتكم ان اشعيا النبي بعدما تكلم عن شرور بابل
قال ان العرب لا يعودون ايضا ينصبون فيها اخبيتهم بقوله لا يخيم هناك عربي وان الرعاة
لا يعودون ويرعون فيها مواشيهم والحراثين لا يرجعون الى العمل والفلاحة بها اما انتم ايها البشر
لستم تكتفون بان تنصبون فيها الخيام فقط بل تبنون سرايات فاهربوا اهربوا هكذا اقول لكم
اهربوا كقول ارميا النبي اهربوا من وسط بابل ولينجلص كل واحد نفسه لان هذه الدنيا ليست
هي بدنيا الاصحاب كما تظنون لكنها بلاد اللصوص

العدد ٦

انني عارف جيدا ان العالم يجاهد عن نفسه ويبعد عنه شايبة الخيانة بقوله ان الحوادث
الضغطة المشار اليها انفا وما ماثلها من الممكنة ان تحدث ايضا كل يوم لم تصدر من خيانته ولا
من اغتياله لكنها تصدر من ذنب الذي تعتريه مثلا كقولنا مات ذلك الشاب الذي نعم كرمان
لانه افعم معدته اكلا وشربا او لانه ابى ان ياخذ ذلك المنضج وذلك الاخر سقط من النعمة
التي كان حاصلا عليها ولكن لانه كان لا يضبط لسانه ولا يوزن كلامه وذاك الاخر افتقر من الغنا
الذي كان فايزا به نعم اصابه ذلك ولكن بما انه جاهل وما عرف كيف يدبر حاله وذاك الاخر خسر
محبة اصدقايه وذلك من اجل شراهة الطباع وهكذا يعلل العالم الحوادث الضغطة ولا
يعلم ابدا انها تصدر من خيانته لتابعيه وقلة امانته معهم لكنه يثبت ويقول انها تتعلل

من ذنبهم وقلة انتباههم لنفوسهم لكونهم جهلة غير حكماء ولكن ولو احتج العالم عن نفسه
هكذا فما ترون ايها الاخوة السامعون ان احتجاجه هذا هو عين خيانته العظيمة جملة لان
الخاينين لا يطلبون شيئا باجتهاد اعظم من اخفا مكرهم فهم يحتالون ان يعملوا صناعتهم كلها هاهنا
يصرفون كل تعبهم لانهم اذا اقروا بالمضرة التي اوصلوها الى احد فلا يعود احد يصدقهم ولا
يامن لهم وقليلون هم الذين يصنعون نظير ما صنع يواب قايد جيش داود الملك فهذا بعد ان
قتل غيلة بقبيحة شنعة رجلين صنديدين شهيرين اي ابنير وعماشا افتخر بنفاقه هذا افتخارا
عظيما حتى انه صبغ متبجحا من دمهما منطقته وخفيه حسبما اخبر عنه الكتاب المقدس
قايلا هكذا جعل دم الحرب في هميانه الذي على وسطه وفي خفه الذي برجليه ليس يفعل
هكذا الاكثرون بل يرشقون النبل ثم يختفون واذا سيلوا فينكرون واذا انغلبوا فيختشون واذا
اتفق انهم لا يستطيعون ان يخفوا صنيعهم فيحتالون ويوردون الف حجة ولهذا ما احسن
ما قاله سليمان الحكيم بامثاله في هذا الشان لانه قال هكذا الرجل الذي بالمكر يضر صديقه
واذا انكشف قال انني فعلته بلعب ومن ثم ليس بعجب ان كان العالم يعجز عن ايراد الاحتجاجات
ليستر بها خياناته ولكنها هي احتجاجات لا اسباب لها متقنعة ولهذا اكرر عليكم النصح
قايلا لا تامنوه بل امقتوه وابغضوه ولا ترجوا انه سيعاملكم احسن معاملة من غيركم اذا
خدمتوه بامانة وحفظتم شرايعه بالتدقيق وسلكتم على هواه ومرامه من غير زيغان
فلا ترجون ذلك بل بعكسه ومن ثم ان اردتم ان العالم يكرمكم فينبغي لكم ان لا تقتربوه بل ازدروا
به وتوطوه ثم يجب عليكم ان لا تكترثوا بتقدماته ونعمه لان كل من يتبعه بنهم وشوق فلا
ينال منه اخيرا الا العار والفضيحة ويرى بنفسه فيما بعد متحققا عيانا صدق ما نطق به يوحنا
الدمشقي قايلا ان العالم عدو لمن يحبه ويعتبره

العدد ٧

لعمري ان هذا الذي قلناه قد يبان غريبا للتصديق ومع ذلك فهو محقق ومؤكد لا يعتريه
غلط واثباتا لكلامنا هذا فنقول تاملوا اذا ان وجد اناس احتقروا العالم وبغضوه في حياتهم
فليس هم سوى الناس القديسين فهولاء حقا قد رذلوه ونبذوه بالصوت وقد قوه بالكتابة وازدروا
بكلما كان يقدمه لهم من الملذات والمال والمجد وما ضاهى ذلك من السعادات الارضية
ومع ذلك جميعه فهولاء الذين حفظ لهم حتى الان ذكرا صالحا حميدا بموجب شهادة
الكتاب المقدس القايل ذكر الصديق بمدح واثباتا لذلك هوذا ترى العالم يذكر كل يوم الكبير

مع ان هذا المغبوط سخر به سخرية باهظة شايعة منذ الف سنة وينيف وذلك بهيرودس وبيت
والديس وترك عروسته في ليلة العرس بينها ويذكر ايضا برزدوس الذي مابالى ايضا بملذاته
ويذكر ايضا فرنسيس الذي رفض حطامه وقناياه ويذكر وما الدوس الذي اختفى باختياره
مدة مستطيلة في بيوت غير مؤمن بجدوى وكرامات الزايلين فيلاحظ هولا منذ جلا محتسبهم
اناسا فايقين على مرتبة البشر وحالتهم ويكرمهم ويثني عنهم ويسجد لهم بل يعني ركبه ساجدا
لاجداثهم ايضا فصح اذا ان ذكر الصديق يمدح ومن لا يبصر ذلك ولا يشهد به اما اوليك
الذين احبوه واعتبروه في الذي صنعه بهم فيجب الحكيم في النص المذكور من سفر امثاله قايلا
واسم المنافقين يخمد ونحو ذلك اذ العالم يبلغ احيانا كثيرة الى ان يهم ضاحكا كاناس
دعنيين طالبين الاباطيل وكاناس طامعين شهوانيين متكبرين يجرون بلا لجام ووادين الانغماس
بالادناس فاسم المنافقين اذا يخمد عند العالم سيما بعد وفاتهم. لقد نصب بختنصر كما هو
معلوم عند الجميع شخصا من ذهب تمثالا لصورته الملوكية ذات العز وامر ان تجتمع حوله
جميع زعما مملكته العظيمة وينتظروا قرع الابواق والشبابات والقيثارات وغيرها من الات
الطرب. لكي يخروا ركبهم حالا عند استماعهم اصوات الالات ويسجدوا مقدمين له اكراما الهيا
ففي غضون ذلك ما وجد من الشعب كلما احد يحتقر امر الملك ويخالفه الا الفتية الثلثة
فرذلوا بصوت واحد ظاهر هذه الرتبة وذموا هذا السجود ومقتوه ولذلك احبوا ان
يلقوا في اتون النار المتقد نظير جميع السفلة الكثيرات يطاوعوا الملك قايلين له اعلم
ايها الملك اننا لسنا نعبد الهتك والصنم الذهبي الذي نصبته لا نسجد له ومع هذا
جميعه من هم الذين تكرموا فيما بعد من بختنصر نفسه من هم الذين تقدموا عنده بالشرف
والوظايف العلى اوليك الذين طاعوا له حالا وخروا ساجدين لتمثاله لا لعمري بل اوليك الفتية
الثلثة الذين ازدروا به لان هولاء بعد ان حفظوا من الله سالمين من النار واعتبرهم الملك
لذلك اناسا محبوبين من الله واعز لديه رقاهم بامر جليل الى مراتب سامية جليلة بهذا
المقدار حتى انه من قبلها اضحوا محسودين من ساير زعما الملك وقد رقاهم اليها وشرفهم
لا لسبب اخر كالحظ الذي يوجها الذهبي الفم بل لانهم احتقروه وازدروا به وهذا هو
طبق ما نراه يصنعه العالم كل يوم على ان اوليك الذين يسجدون مسرعين لصنمه وتمثاله
فيتركهم اخيرا ويعليهم اما الذين بدلا من السجود له يحبون ان يلجوا اتون شدة الفقر

والذل

والذل والاحتقار والتالم وما اشبه ذلك فيصير لهم عنده مقام وكرامة ومجد عظيم ومن ثم
لقد ضللتم ايها السامعون اذ ظننتم بنفوسكم ان العالم يصير لكم مديونا ويصنع معكم المعروف
ويشكركم في وقت ما عن الاكرام الذي اظهرتموه له والخدمة التي خدمتموه بها فلا تتوقعوا
منه ذلك لانه سيكون لكم على الدوام خاينا ومنافقا وعديم المعروف بل ناكر الاحسان
واية خدمة قدمتموها له ولو كانت اتعب الخدمات واذلها فيرفضها وينساها لانها
خدمة متقدمة لخاين ودجال

ثم اسمعوا قياسا اخر اظنه مقنعا ايضا وكافيا بمفرده ان يخصكم في خدمة العالم ويقربكم الى
خدمة يسوع ربكم حقا انني اشفق عليكم كثيرا اذا عزمتم على خدمة العالم بكل القلب على انه
ان كان هذا عزمكم ترى ما اصعب الوصايا التي يجب عليكم ان تمارسوها وما اثقل الاوساق
التي ينبغي ان تحملوها العمري هي اثقل جدا من التي يحملكموها السيد المسيح اذا خدمتموه ومن ثم
اقول مشفقا عليكم مع ارميا النبي انتم حطمتم سلاسل من عود وتصنعون بدلا منها
سلاسل من حديد احسنوا الاصغا واسمعوا ان قولي هو حق لان هذه المادة لا تحوزات
تهمل بلا برهان وبعد ذلك تفصل الدعوى نعم ان السيد المسيح يفرض على خدامه وصايا
ثقيلة لا محالة كقولنا الصفح عن العدو والقناعة والعفة والاتضاع والطاعة والاماتة
وما اشبه هذه فحقا ان هذه هي اوساق ثقيلة لست انكر ذلك غير انه لمن المحقق عندنا ان
الهنا اذ ما طلب منا فعلا من الافعال المذكورة يمنحنا نعمة وتاييدا لنستطيع ان نمارسها
بالعمل وفي هذا قال ماري بولص الرسول ان الله امين لا يهملكم ان تتجربوا باكثر مما تطيقوا فانه
يعضدنا كما عضد استفانوس وهو تحت رجم الحجارة ويايدنا كما ايد انطونيوس الاسلم
لجيش من الشياطين فريسة ولذلك لا يسوغ لنا ان نشكو منه تعالى لانه قال حسنا ماري لاون
ان الذي يتقدم بتقديم المعونة لاخوان يفرض ويوصي بهما اشاء اما العالم فليس يصنع هكذا
مع خدامه لانه يقول هل نالك يا هذا اهانة وتعيير فان كنت اذا لا انثنا ان تستر معيرا ولا يهزوا
بك فينبغي لك ان تاخذ ثارك لانه هكذا هي سنتي وعلى هذا النسق يعلم العالم سننه لخدامه
ويوصيهم بحفظها الا انه لا يتقدم لتقديم المعونة لهم لانه لا يعطيك قوة وعونا يكفيان لاخذ
الثار ولا يتقدم لك فضة لتكثر معاضديك للانتقام او لتكثر العبيد لاسعافك لنيل اربك الردي
ولهذا اذا كنت فقيرا فيلزمك ان تفقر ذاتك وتخرب بيتك وتبيع كل شي تملكه لتحصل على

مقصدك الشرير وان كان ليس لك ايضاً مقدرة على ذلك فينبغي لك ان تذوب غيظاً وتحترق
حسداً لعجزك عن اخذ الثار فالعالم اذاً هو قاسي كما هتف ارميا النبي . ثم العالم يقول اشرير
انت فاذاً يسوغ لك ان تسلك سلوك العظما وتقتني خيلاً وتاثث سرايتك وتكثر العبيد
وتفتح منازل نيعام ويوصي هكذا لكنه لا يقدم لك عوناً لانه لا يعطيك املاكاً تكفي لهذا
العالم تقول انا جرانت فاذاً لا بد لك ان تربي لك صيتاً وقيمة وتستقرض اموالاً وتستاجر عقاراً
وتضمن حقولاً وتكثر الشركا والمعاملات فهكذا يعلم ويوصي غير انه لا يقدم لك ابداً لانه لا يعطيك
راس مال يكفي لهذا جميعه فاذاً ان فحصنا سلوك العالم وكيفية تصرفه مع تباعه نراه يعاملهم
كما كان فرعون الملك يعامل العبرانيين في مصر لما بلغوا الى قمة شقا العبودية فكان هذا العالم يريد
منهم ان يقدموا له كل يوم خدمة اتعب الخدم اعني يبنون له حمامات ويشيدوا له ابراجاً واهراماً
ويعمروا مدناً وقرى ومع هذا جميعه لم يكن يقدم لهم لهذا العمل حتى ولا التبن كما جاء في السفر
المقدس بقوله هذا ما يقول فرعون لا اعطيكم تبناً اذهبوا انتم واجمعوا من حيث وجدتم
ولا ينقص عمل من عملكم ففرعون يريد الخدمة والتعب ولا يعطي تبناً يريد الشغل والكد ولا
يعطي تبناً فعلى هذا النحو يصنع العالم يامر ويوصي لكن لا يسعف ولا يعين وانتم ايها المسيحيون
اراكم جهلاً وساهين عقلاً بهذا المقدار حتى انكم تريدون ان تعطوا قلوبكم لمولى هكذا
قاسٍ وظالم وقليل الامانة بل خاين غشاش والاسف علينا ان آكم نحن عمي البصاير واغبيا واشقيا
لاننا نحن نحب ان نحمل على مناكبنا نيراً ظالماً ثقيلاً اي نير العالم الخاين الماكر لا نير يسوع الذي
شهد هو نفسه فيه شهادة لا ارتياب فيها وقال ان نيري طيب وحملي خفيف فلا يسمح الله بان
يتم ذلك بنا لكن من كان منا يستطيع ان ينبذ العالم بالكلية فلينبذه عاجلاً ويهرب منه ويلتجي
الى يسوع الذي يفتح له الفادي ليستامن فيه بمنزلة ابراج الامان والاطمينان وليعتبر ان له
اعطي خاصة ذاك المشور الحسن المدون في سفر حكمة ابن سيراخ قايلاً انطلقوا الى نواحي
الدهر المقدس ولا يعجبي في ايضاً العالم مخدوعاً كمثل اوليك المساكين الذين كما ناح عليهم ارميا
النبي قايلاً تمسكوا بالباطل ولم يريدوا ان يرجعوا اي كانهم تزوجوا بالباطل وارتبطوا معه
رباطاً ملزماً شديداً بهذا المقدار حتى انهم لا يعرفون ايضاً ان ينكفوا منه وليعرف ايضاً ابناء
العالم متاملاً في خاطره ومن حيث انه معتوق حتى الان ولديه استطاعة على الخلاص فلا يربط نفسه
به ولا يخضعها تحت عبودية الشقية الظالمة حسب نصيحة سليمن الحكيم في سفر امثاله القايل

هكذا

هكذا لا تدفع كرامتك الى غيرك وعمرك الى القاسي

العدد ٩

القسم الثاني

انيهانلي كانكم تريدون ان تقولوا لي لقد قصدت يا ابانا بعظتك هذه ان تفرغ العالم من
الناس وترسل الشعب كله ليتوحد في الصوامع وفي القفار وفي الاديرة متبعدين عن مشاركة العالم .
فاجيب على ذلك قايلاً يا السادة لو كان يمكن ان انال ذلك منكم ولكن لست ارجو لانه
ليس لي الهام الله تعالى واستحقاق استحقه غير انه سبيلكم ان تعلموا ايها السامعون الاحباء انه
الحقيقة فهي التي جعلت في كل حين جماً غفيراً من الناس انه يمقتوا العالم ويهربوا منه انه خاين
هذه هي التي ملات الديارة من الرهبان والمغاير والمقفرة من العباد والسواح لانه استبان لهم
بانه جنون ان يصدقوا مواعيد من هو معروف انه قد اغتال واحتال على الجميع ومع ان الحكيم ابن
سيراخ يقول الكذاب كيف يصدق ولكن مع ذلك جميعه لا تفتكروا اني لست اعلم ان غالبكم قد
عجزوا الان عن ترك العالم وذلك اما السبب العمر واما السبب الحال الذي قسم لهم فهولا ماذا ينبغي
لهم ان يفعلوا افهل لهم ان يحزنوا ام يياسوا كلا بل يجب عليهم ان يصنعوا ما انا عتيد ان اقول
لهم اي بشرط ان يمكثوا في العالم كحال الطيور ما كنت على الارض وكانها ليست هي على الارض لقد رايتم
الطيور كيف انها تنزل احياناً في بعض الحقول لتلتقط بعض حبوب لاجل قوتها او تنزل على قنا
لتستقي ماء ولكن لا تتعلم ان هذه هي بلاد ليست لها فيها امان حيث انه ينصب لها فيها الاشراك كا
ويرصد لها بالبارود فمن ثم لا تستدعي فيها استقرة اكثر مما يلزمها من الزمان لتلتقط بسرعة وتنهم
قوتها وفي زمن استقرارها هذا عينه لا تخلوا من الخوف والحذر ولذلك ترونها مستيقظة دايماً
وتجيل نظرها هنا وهناك وحالما التقطت بمقدارها وحملت قليلاً من الحبوب فتطير وتصعد
الى الجو فهكذا يجب لكم ان تصنعوا انتم اي تتمتعوا بهذه الدنيا كوصية الرسول الالهي كانكم
لا تتمتعون والمفهوم من ذلك ان لا تضعوا فيه قلوبكم ولا تعطفوا اليه ولا تتمسكوا به ولا
تصدقوه البتة متذكرين كلام المخلص الذي افتتحت به العظة ان اعماله شريرة واقول قولاً
مهملاً انه ينبغي لكم ان تتصرفوا في العالم نظير من يعرف انه متصرف مع خاين اي بكل الحذر والانتباه
ما احسن هذه القاعدة ايها السامعون المكرمين وما انفعها وما اكثر فوايدها ولاجل ذلك
اني احب من جميعكم ان تمارسوها بالعمل فيها انا اشرحها لكم ابلغ شرحاً بايرادي ما اتفق
للطوباوي عافرنكوس نحو رهبنة مار عبد الاحد تلك التي ليست اعلم هل خرج منها علما المدارس

العدد ١١

الكومن القديم يخف للسماء ام بالعكس
فقد كان هذا الطوباوي مسافرًا من بلد الى بلد في النمسا او التيرول يجوز في غاب مملوء ليس
من الديب والخنازير البرية الوحشية فقط بل مشحونًا من اللصوص الذين كانوا مختفيين فيه
للسلب والقتل فلما كان سائرًا فيه وحده عند غروب الشمس واذا بلص طويل القامة ورهيب
الوجه والهيئة تقدم قدامه متقلدًا بسيف على فخذه وحربة في يده فتفرس فيه محدقًا ثم قال له
قف عندك يا ابانا فان هيئتك هيئة رجل صالح ولهذا اريد ان اعترف لديك فلما سمع ازريكوس
الراهب كلامه متوهمًا انه يطلب منه استماع اعترافه ليستاقه بهذه الحجة الى مكان اكثر انفرادًا
ليقتله هناك سرًا ويشلحه من غير ان يدري عنه خبر ومن قبل ذلك اضطربت فيه الافكار
واحتار كيف يصنع لكون السير معه جزيل الخطر والهرب باطل والصراخ وقاحة ففي هذا
الاضطراب ابصر انه التجا الى الله تعالى من جوارح قلبه ومطاوعة اللص هو الطريق الامين فذهب معه
وعند وصولهما الى كهف جبل شرع اللص يعترف قايلاً سبيلك ان تعلم يا ابانا اني لي زمانًا
مديدًا وانا عايش في هذا الوعر وهذا هو كاري اي سلب امتعة كل من يمر من هنا ثم اقتلهم والقي
جثثهم فريسة للذياب فافتكروا كم يكون ارتاع قلب ازريكوس حينما سمع ذلك غير انه شجع
نفسه قليلاً ليلا يبان على طلعته الخوف فقال اللص اعترف يا ابني فقال ذلك انظر يا ابانا الى
تلك العفصة قد قتلت تحتها في احد الايام رجلاً وتلك السنديانة ذبحت تحتها امراة وههنا
حيث نحن واقفون (وكانا واقفين على كهف جبل عالي شاهق يجري من اسفله نهر الدنوب
الموصوف في بلاد النمسا) صادفت كاهنًا مكرمًا نظيرك واعترفت لديه مثل اعترافي هذا
امامك ثم بعد ان عزمت ان انبذ هذا الكار السيء واتوب ونلت منه الحل بعد ذلك اعتراني
بغتة وهم ان لا يوشي بي ذلك الكاهن الى الحاكم ويرسل فيقبضني ولهذا لكي انجو سالمًا احتجت
الا وفوق لي ان احتز راسه بهذا السيف المناط على جنبي فذبحته والقيته في هذا النهر فههنا
كاد ازريكوس المذكور ان يموت رعبة اي عندما سمع ما صنعه اللص مع ذلك الكاهن وكان
حينًا فحينًا يتفرس هل يدنو بيده الى السيف لينتضيه ويضربه ولما لم يكن ان يقف على رجليه
لتفاقم الرعب وصار عرقه باردًا وذبلت عيناه واصفر لونه فظهرت فيه امارات واضحة من خوفه
بهذا المقدار حتى انه لقد كان ذلك اللص قساوة وجفاوة لو لم يكن قلبه مسطوعًا من ابتهاج
وموركًا للخشوع والندامة جدًا من غير تحيل وتصنع ومن ثم بعد ان تم اعترافه باحسن ما يكون

شكر

274

شكر جميل ازريكوس وقام وعانقه واكرمه وطلب منه الصلوة واصرفه بالسلامة. ارايتم ايها
السامعون من هذا الخبر كيف هو حال من يضطر ان يعاشر لصًا ويلتجي الى الله سبحانه ملتمسًا منه
ان يصونه ويحميه ويخاف دايمًا في حين معاشرته له ويشك ليلا يفاجيه خديعة ما بغتة فلو
من اين يفطن بها قبلاً فهكذا يجب عليكم انتم ان تسلكوا مع العالم هذا الذي اذا اراد ان يعترف
لكم اعترافًا عامًا عن نفسه فيلتزم ان يقر بانه لص رديء لم يصنع في وعر هذا العالم العظيم شيًا
اخر سوى تعرية الناس وافتراسهم فيلتزم ان يقر لكم مثلاً انه هو الذي تملق قديمًا شابًا جاهلاً
وكان ذلك ابيشالوم بامل الحصول على التاج والصولجان الملوكي ثم خانه حتى انه وصل به
الى انه ميته معلقًا على شجرة بشعر راسه ومطعونًا بثلث حربات في قلبه وكان يلتزم ان يقر
لكم انه امات ايضًا مشنوقًا على شجرة رجلاً اخر وهو احيتوفال الزعيم مشيري داود الملك بعد ان
خدعه ليعصي داود مولاه بامل انه سيحظى بشرف اعظم عند ملك اخر وكان يلتزم ايضًا بان يقر
لكم انه هو الذي سبب لهامان زعيم احشويرش الملك انه يموت مشنوقًا في خشبة حينما
اجتذبه الى ان يذم خصمه مردخاي ليظهر قوة اعظم وكان يلتزم ايضًا بان يقر لكم انه مكر مكر
عظيم جدًا بابن يري المذكور في سفر المكابيين الاول لانه اقنعه بان يطلب الزواج وانتظر الى
انه ياتي بالعروسة من مدينة قريبة الى بيته باحتفال بهيج ولما كان في عنفوان افراحهم عليه
في الوعر وسلمه بايديهم غير من اعدايه فقتلوه وعروه وتركوه ميتًا عريانًا في قارعة الطريق
فهذه وغيرها كثير من انواع الخيانات التي جرت في انفار يساهمونكم بالحال والمرتبة يلتزم العالم
ان يعترف بها واحدة فواحدة اذا اراد ان يعترف لكم اعترافًا صحيحًا نظير اللص المقدم ذكره ومن
هنا تاملوا كيف ينبغي لكم ان تتصرفوا معه حسب وصية الرسول الالهي القايل انظروا يا اخوة
كيف تسعوا باحتراس ولا تصدقوا تمليقاته ومواعيده ولا تقبلوا ما يقدمه لكم فانه هو ذلك العدو
الكبير المذكور في حكمة ابن سيراخ الذي نصحنا بان لا نصدقه ابدًا بقوله لا تصدقن عدوك
ولا تنفروا به اذا رايتموه يتصنع ويتخابث قدامكم مظهرًا ودادًا او اذا شاهدتموه يتواضع و
ينحني لكم لانه تعالى اردف في السفر المقدس المذكور وقال منبهًا ايانا هكذا وان كان اي عدو يخاضعًا
احذروا اشد الحذر ولا تدنسه منك اسمعتم قوله عز وجل فلا تركنوا اليه ان اظهر لكم امارات
الخضوع والاكرام او اذا نظر اليكم بنظرات ودادية او اذا تبسم لكم او اثنى عليكم الجميل او كالكم
كلامًا يسركم فلا تركنوا اليه بل في هذه الاوقات عينها ينبغي لكم ان تفتحوا بصايركم وتحذروه اشد الحذر

لانه بشفقته يتعالى وفي قلبه يهيم بطرحكم الى الجحيم وان كنتم الان صرتم في حال العجز عن ترك
العالم والتهرب منه كليًا فلا تطلبوا ان تعقلوا معه مصاحبة تامة كما اوصاكم يوحنا الحبيب قايلاً
لا تحبوا العالم لا تحبوه لانه خاين وليس هو خاينًا بنوع ما من الانواع بل هو خاين عظيم وردي حتى
انه يتوق الى ان يجلب علينا اكبر الشرور واقبحها لقد خانت دليلا شمشون لكي تسلمه بايدي
الفلسطانيين ودواغ خان اخيملك لكي يدفعه بيد شاول ويوضاس خان السيد المسيح
ليسلمه بايدي كهنة الهيكل اما الاعدا الذين يطلب العالم ان يسلمنا بايديهم فهم اشر من
المذكورين جدًا لانهم ولاة الجحيم الكلبيو الظلم ونحن نحبه مع ذلك فيالدين امر غريب جدًا
وهو ان الخاين الغاش يلذ الناس اوليك الذين يعرفونه انه خاين لعمري انه ما دام هذا الامر
كذا فالواجب اما ان لا نوجب الملامة والمذمة على العالم الذي يخون بل على الذي يحب ان
يخان منه والمجد لله دايمًا

العظة الحادية والثلاثون

مضمونها انه يجب على المسيحيين في حالة الاضطراب الذي يضرمه في القلوب امر رهوب
اعني به الانتخاب الى المجد ان يلقوا مراسيهم في هذا المينا اي انه لا يهلك احدًا الا الذي
يريد هلاكه باختياره

وانا اعطيها حيوة الابد هكذا حرر يوحنا الانجيلي في فصل
من بشارته

العدد

ليت شعري متى تكيف عن ان تقلقيني يا افكاري
التي تزعجني جدًا المقدار من الضيقات والشكوك التي تلقيها في قلبي بخصوص قضية انتخابي
الى المجد لقد صار قلبي كسفينة سريعة العطب قد داهمها في ليلة مقتمة اضطراب عظيم وزلزل
الخطر في البحر ولا تعرف اية موجة تطيع بمنزلة الصديقة واية موجة تخافها بمنزلة
العدوة لانه اذا ما اتتها موجة وغرقتها الى العلا فيبان انها تتهددها بانها توارثها في اسفل
اللجة فعلى هذا النحو يختلج في عقلي احيانًا فكر يصعدني الى رجا سام ويقول لي انني من
مصاف المختارين واحيانًا اخر يتحرك بي فكر اخر يخطفني الى خوف عظيم ويقول لي انني من عدد
الهالكين المرذولين ولكن سكني روعك يا نفسي المضطربة واعطي ذاتك السلام لانني اليوم
قد اصبت مينا هاديًا التي فيه راحتك وان بذلت كل جهدي وجدي في البحث فلا اظن انه
يمكني ان اصيب مينا ايمن منه في ظلمة هذه الليلة المقتمة وفي هذا التيه الجزيل الاخطار
فاذهبوا الان وابعدوا عني يا ايها اللاهوتيون ولا تعودوا تبلبلوا عقلي بصعوباتكم المشككة والاكم

المشككة

المشككة المسجسة ماذا تقصدون ان تعترضوا ابدًا علي اتعترضون انني لست اعلم هل انتخاب
البشر الى المجد هو لاحق مشاهدة استحقاقهم او متقدم عليها نعم انني لست اعلم ذلك امهل
تعترضون انني لا افهم كيف ان الرسوم الالهية لا تغصب حرية الانسان مع انها رسوم غير
متغيرة اي نعم لست افهم ذلك. امهل تعترضون انني لا ادرك كيف علم الله وهو غير كاذب لا
ينافي الحدث ولا يجعل صدوره لازمًا على ساير الوجوه اي نعم لست ادرك ذلك ولكن ما هي
النتيجة من هذا كله سوى هذه النتيجة وهي ان عدم ادراكي جميع ما ذكرتموه انما يصدر من
قصور عقلي الضعيف العاجز الذي لا يبلغ الى ان يفهم حتى ولا اسرارًا اخر اقل صعوبة من
المنوه عنها وهي كقولنا اسرار الطبيعة نفسها ولكن مع ذلك جميعه فلا يمكن ان يوجد في العالم
انسان يستطيع ان يمنعني انني لا اهلك ما لم اردِ انا الهلاك لنفسي فما بالنا اذًا طالبون ارضًا
اثبت واصلد من هذه لنضع فيها ارجلنا. انني استدعيكم جميعًا ان تسترعوا ههنا قليلاً يا من
تطوفون هذا البحر الواسع من غير دفة وخلوًا من مجاديف ومن غير صاري وخلوًا من قلوع ان تلقوا
هنا مراسيكم فاعلموا بتحقيق انكم ستهلكون سريعًا وذلك لانكم اما انكم تضربون بصخر خفي مع
الغير المومنين وتنكسرون اما انكم تنشفون في شاط خالٍ من الماء مع العشما الغير العارفين ان
يدبروا سفينتكم ولكيما تعاينوا انني بحق وصواب اعدكم هنا براحة وسلامة ما فاصغوا اليوم
حسنًا الى خطابي افضل مما فعلتم فيما مضى وتفهموا مضامينه جيدًا فانني انا العتيد ان اوضح
لكم صريحًا ان الله تعالى هو مستعد من ذاته الاستعداد الكلي ان يخلص جميع الناس على انه قال
وانا اعطيها حيوة الابد ومن ثم تستبين جسارة وقحة اوليك الاشقيا الذين ليس انهم لا يكتفون
فقط من اغاظتهم للصالح بهذا المقدار لكنهم يرومون ان ينسبوا اليه عز وجل علة هلاكهم اذ انهم
يشكون منه كانه ظالم وغير عادل عوضًا عن ان يشكوا من نفوسهم ويقروا باثمهم انه لهم وصادر منهم
باختيارهم

العدد

فلنبتدي اذًا قايلين انه لاثبات هذه الحقيقة الباهظة
تكفي الشواهد الكثيرة التي شهد الله بها مصرحًا في اسفاره المقدسة انه اذا هلكنا فهلاكنا يكون
منا كما جاء ذلك في سفر نبوة هوشع تهولكم هلاكك منك يا اسرائيل ومن ثم ولو كان هذا كذبًا
لكان الله اكبر الكذابين الذين وجدوا في العالم على انه ليس كان غشنا فقط في امر عظيم باهظ
جزيل الاعتبار ولكنه كان غشاشًا كاذبًا كذبات متكاثرة واي نفع ياتيه من هذا الكذب اذا افترضنا
الذي هو من المستحيل انه قادر عليه كما يكذب المذنب خوفًا من الحاكم او التلميذ خوفًا من معلمه او الصبي

خوفاً من والديه والعبد خوفاً من مولاه اما الذي لا يخاف من احد غيره فيقر ويجاهد بالحق من غير محاباه وقد نتج افلاطون المذكور من ذلك قايلاً ان الله لا يمكن ان يكذب البتة لانه لا يخاف احداً اصلاً . فاذ قد تقرر ذلك فنقول من يخاف ان يجل الله اذا اعلن مصرحاً انه يخلص من يشا من غير ان يلاحظ قبلاً الاستحقاق ويهلك من اراد ان كان يصنع هكذا حقاً العلة ذي كان نخشى من عوليتنا امهل كانت لحسنة تستجس من تجديفنا ام هل كان يصير عليه خطر في ان يخسر صولجانه من معصيتنا عليه حاشا وكلا على ان الحكيم قال أمن ذا يشكوك من الامم الضايعة التي خلقتها لانه ليس الهاً سواك ولا ملك ولا ظالم يستفهم امامك عن الذين اهلكتهم فاذا عصونا على الله نقدر ماننشا فلا يبالي بضجيجنا وصياحنا عليه نظير الشمس التي لا تكترث باوليك الشعوب الخسيسي العقل التي حالما تشرق في الافق يشتمونها واحياناً يرشقون عليها النبال قاصدين تجريحها فاذاً من حيث انه اشهر واعلن بثبات وتصريح في اسفاره المقدسة انه يتوق من ذاته الى ان يخلص جميع الناس كما جاء في رسايل مار بولص بقوله انه يجب ان يخلص جميع الناس ويريد ان لا يهلك احد كما قال في الانجيل الطاهر ليس هي مشية ابيكم الذي في السموات ان يهلك واحد ولا يأتي بن الانسان ليهلك النفوس وانه لا يريد موت الخاطي لكن توبته وحياته كما جاء في نبوة حزقيال فيجب ان نقول ونعترف ان الامر هكذا لا محالة ولكيما تزدادوا اقتناعاً فيما قلناه هات نثبته ببراهين وحجج عقلية ايضاً

انتم عارفون ايها السامعون ان الله سبحانه بما انه علة جميع العلل الاكبر وبما انه العلة الاولى كما تقول اهل المدارس فيجب بمقتضى الضرورة انه يعمل ايضاً مفعولات جميع ساير العلل التي تسمى علل مطلقة او علل ثانية . بل يعمل مفعولات ساير العلل اكثر مما هي تفعلها حسبما اثبت ذلك مار توما العلامة ومن ثم لتنقطع مثلاً جزيئ في انبات الحشيش اكثر مما للارض ولذا فاعلية في طبخ المعادن اكثر مما للكواكب وله تأثير في تنفيس الحيوانات اكثر من الهوا وله فاعلية في تكوين الثمر اكثر من الشجر وهكذا ينبغي ان نقيس في ساير التاثيرات الطبيعية وان كان هذا يصدق في رتبة الطبيعيات فمن باب اولى يصدق نظراً الى الانسان الذي له الله في تكوينه وتركيبه جزاً عظيم دايماً لانه ليس يفعل ذلك من كونه علة الاشيا كلها الاكبر والاشرف والاخص فقط ولكن لاننا نحن لانستمد من والدينا الطبيعيين سوى الجسد فقط الذي هو الجزء الادنى فينا اما الجزء الافضل وهو النفس فنعطاها من الله تعالى وحده من غير واسطة احد ولذلك السبب نحن اولاد الله بوجه اخص مما نحن اولاد ابائنا وامهاتنا الارضيين لاننا نستمد من الله تعالى وحده

كل

كل شيء هو خاص بنا وهذا هو ما اشار اليه السيد المسيح حسبما اري لما قال لا تدعوا لكم اباً على الارض لان اباكم واحد الذي في السموات وماذا ينتج من هذه العلة فينتج هذا وهو ان الله تعالى اسمه القدوس لا يريد من ذاته ان يهلكنا حسبما جاء نظراً الى هذا الشان في سفر الحكمة بقوله ما يطرب الله بهلاك الاحيا اخبروني انتم يا ايها الاباء والامهات اتحبون ان تشاهدوا بنيكم يحترقوا باختياركم في نار جهنم حاشا وكلا فاذاً كيف يمكن ان تصدقوا ان الله جلت رحمته يريد لكم العذاب في جهنم والحال انه ابوكم اكثر مما انتم ابا لاولادكم فلو يريد لكم ذلك لكان الاب الارضي خيراً للولد من الاب السموي الذي اعطانا اكثر ولنقول بهذا كفر صريح انظروا الى الدجاجة تاملوها كم تشقى وتتعب من اجل الولد المولود منها على انها ان اشتغلت فتشتغل به وان تكلمت فتتكلم من اجله وان نامت فتنام به ولا تستطيع ان ترفع عينيها عنه واذا شعرت بهبوب ريح شمالي بارد قليه تنتفض حالاً وتحضن لقد شملوا من البرد والزلازل وقد دخل البلد صنف من الاسقام الخطرة التي تعدي فتندب ابنها حالاً وتغافل لا انه تعدي وبحصر الكلام نقول انه ليس هو امراً غير ممكن فقط ان يمضي ابنها وهلاكه بل انها تبالي من شقايها وضرها بشرط ان تزيد ابنها سعادة وخيراً ولكن ما بالي تكلمت بالامهات ذوات المعرفة والنطق والحال اننا ان لاحظنا الحيوانات نفسها نرى ونتحقق كم تحب اولادها وبكم من الاجتهاد تدبرها وتربيها وبكم من الصبر ترضعها وتحتفي بها تاملوا البرلوحة فبهذه لئن كانت لا تجد في الحقل ظلاً تستظل تحته فراخها الصغار فتبسط هي فوقها جناحيها وتظلل عليها وتحتمل حرارة اشعة الشمس المحرقة عنها ولاحظوا ايضاً النسر فاذا ما اضطر لسبب ما داعي ان ينقل فراخه الى مكان آخر فيحملهم على ظهره حتى اذا ضرب من الارض سهم ما يستقبله هو قبلاً فداءً عن فراخه بل نرى ايضاً ان الاعمال الغير الحساسة التي نحن نصطنعها بايدينا كالصور والكتب والتماثيل هي لدينا عزيزة ومحبوبة جداً لاحظوا تلك الست وتاملوا كم مقدار ما تحب ذلك الثوب الحسن الذي وشته هي بذاتها وذلك لانه عمل اصابعها فانها تغضب اذا شاهدت قليلاً من الغبرة سقط عليه والويل للاولاد ان المسوه والويل للجواري اذا لطخنه بادنى دنس وتلفه داخل مناديل نظاف وتخبيه في الصندوق وتستوثق عليه بالغلاق من حديد وبالاجمال اقول تحترص عليه وتحفظه كانه كنز عظيم ولا يوجد سبب لهذه المذكورات سوى هذا وهو لانه مغروس في كل علة ان تحب معلولاتها سواء كانوا ناطقين او بهيمين وسواء كانوا احيا او عديمي الحس وبعد هذا جميعه ايمكن ان تشكوا

بالسحلت مراحمه انه يجب ان يشاهد احدًا منا يحترق في اتون النار المؤبدة او يصر باسنانه وصارخًا
في غيوم الجحيم او يتمزق غيظًا وتحسرًا في حبس مرعب مملو عذابات قاسية بهذا المقدار
والحال انه حقًا علينا جميعنا اما كبو وابونا باخص وجه من آبايينا الارضيين لعمري ان ذلك ضرب
من المحال لان الكتاب المقدس قال ان الله لا يطرب بهلاك الاحيا فلو يجب انه حقًا ان
يعذب بالعذابات المقدم ذكرها لكان حلت مراحمه اقسى من البشر بل اردى من البهايم
فحاشاه من ذلك وان كنا نحن نلزمه بزلاتنا ان يستعمل وظيفة القاضي من بعد ان كان استعمل
معنا وظيفة الاب وذهب باطلًا فينبري الحق يحكم علينا بالهلاك (كما صنع ايضًا مع
اولادهم الاشرار الذين استحقوا الموت بزلاتهم الوالدون الاتي ذكرهم اعني بهم ابيوندس و
تركواتوس وبيومانوس وبيو دمانوس وغيرهم) وقد مدحوا على ذلك لانه كان اذ لم يزل
عدلًا يدبر جميع البرايا متوسطًا لكن اذا لاحظنا طبعه ومشيته الذاتية فلنكن على ايقان وامانة انه
لا يريد لنا شيًا من المضرة اصلًا لان الحكيم قد قال حسنًا ايضًا ان الله يحتسب امرًا غريبًا من
قدرته ان يدين من لا يجب عليه العقاب ليس هي هذه مسرته وليس هو هذه لذته اي دينونتنا
وعقابنا بل يحب لا محالة بالاكثر ان يستعمل معنا وظيفة الاب لا وظيفة القاضي والمعلم لا المتصرف
بابية محبته يبسط يديه ويوسع حشاه ويفتح صدره ويقدم حضنه ويبسط ذيله ليظهر
لنا بهذا الوداد العظيم انه اب حنون ولا يحب ان يتقلد وظيفة السيد والحاكم بمقدار ما يحب
استعمال وظيفة الاب ويطلب الينا بالرافة ان نرتد اليه لكيلا ينتقم منا بحسب العدل الصارم كما قال
القديس بطرس الذهبي اللسان في الخطبة ١٠٨ من خطباته

العدد ٤

وفي التحقيق اقول متعجبًا كيف يجوز لاحد ان يحكم عليه تعالى انه يريد ان يهلكنا ما ليسعى سعيًا عظيمًا
دايمًا لكي يخلصنا لان اي حكيم يستعمل وسايط قوية لاقتبار غاية ما ويقصد في وقت واحد
عكس الغاية مثلًا من هو الذي يزرع الحقل يقصد ان لا ينغل ومن ذا الذي يسقي الشجرة قاصدًا
الا تزهر وتثمر او من يشعل نارًا ولا يريد ان تضطرم بها او من يعلم التلميذ ومع ذلك يطلب الا يتعلم
او من يرفس الفرس ويقصد الا تجري لعمري ان هذا جميعه هو جنون وهذيان لان كل من يستعمل
الواسطة يطلب ان يحصل على تلك الغاية التي تقود تلك الواسطة اليها فاذًا لكون الله حكيمًا
بل كلي الحكمة فمن ثم لا يستطيع ان يستعمل هذا المقدار من الوسايط لكي يخلص الجميع ويقصد
معًا ان لا يخلص احدًا ما بهذه الوسايط تصوروا في اذهانكم صيادًا راكضًا بتلهف خزل في

طلب

277

طلب وحشًا ما وهو يضغطه في الاودية ويلحقه في السهل ويفتش عليه في الغور وقد يبسط
لدى احدى الجهات الاشراك ويرصد عليه من جهة اخرى الكلاب يصرخ عليه احيانًا لكي يرعبه
ويصمت عنه احيانًا اخر لكي يطمنه واوقات اخر يرقبه لكي يضربه وينحل جسده كله بالعرق ولا
يبرح ساعيًا وراه ويتجرح بالشوك والعليق ولا يبالي بذلك فبعد ان تصورتم بهذه الحال
هل تظنون بهذا الصياد انه لا يحب ان يصطاد فيتعب ويجاهد بهذا المقدار لا يقصد
مسك الوحش بل يقصد عدم مسكه لانه لو لم يرد مسكه لما كان خرج من بيته بل كان قد لبث
مستريحًا ومتوضعًا في روضته وراقدًا متنعمًا على فراشه من غير ان يخرج من الصبح الى الغاب
ويحتمل الصقيع الشديد والتهتك ما بين الصخور والشوك اعلموا الان متيقنين هكذا يقول
يوحنا فم الذهب ذلك المضبوط في عظته ٨٣ من تفسيره بشارة متى ان الله عز وجل لكي
يرجعنا معه الى الملكوت يصنع كاوليك الصيادين الذين يطلبون صيد الوحش بطرق كثيرة
مختلفة اذا ما عجزوا عنه بطريقة واحدة بل لم يكتف بهذا فقط لكنه تعذب وتهشم وتجرح
ليمتلكنا ليت شعري اما ان هذه علامة ظاهرة على انه يريد ان نكون عنده خالصين ولو
كان لا يعنيه امر خلاصنا لكان استمر في السما ولم يلزم ان ينحدر الى الارض فاي شي احوجه
الى احتمال هذا المقدار من المشقات والجوع والعطش والبرد والحر والعري وتعب الطريق
وعذاب الشوك والجلد وثقب المسامير على الخشبة اما كان يستطيع ان يوفر عليه هذه
الضغطات والاوجاع وان قلتم انه احتمل هذا كله لاجل الذين كانوا عتيدين ان يخلصوا
فقط لا من اجل الذين هم عتيدون ان يهلكوا فاجيبكم ان التلفظ بهذا القول هو تجديف
مريع وقد انحرم ايضًا في هذه الايام الاخيرة من البيعة المقدسة الارثوذكسية بمنزلة راي
اراتيكي كلي النفاق مضاد لصلاح الله الاعظم وفي هذا قال الرسول معلم الامم مصرحًا هكذا الوسيط
بين الله والناس واحد انسان يسوع المسيح هذا الذي بذل نفسه فداء عن جميع الناس المسيح
مات حقًا عن جميع الناس ابرارًا كانوا ام خطاة مختارين او مرذولين ومن اجل ذلك قد لقب
دفعات كثيرة في الاسفار الالهية بالشمس بل بشمس البر اي بشمس عام للجميع كما شهد بذلك
مار ابروسيوس فضلًا عن غيره من الاباء القديسين بقوله في العظة ٨ هكذا ان سيدنا
يسوع المسيح قد اشرق بمنزلة شمس للبر على الارض للجميع واتى من اجل الجميع وتالم من اجل الجميع
ولذلك فتح من ذاته ابواب السما للجميع الذين يريدونها واغلق ابواب الجحيم بازا جميع الذين

لا يريدونها وقد استحق من الآب لجميع معونات كافية لخلاص الجميع فان ارادته ارادة مطلقة
فعالة كما اوعز الى ذلك موضحًا مار يوحنا الحبيب لما قال ومن امتلايه نحن باجمعنا اخذنا
وليس يمكن ان لا تتوزع هذه المعونات باما انه عظيمة للجميع وذلك لسببين اولًا لان الآب
السموي لا يستطيع ان يمسك عنا الذي قد استحقه لنا ابنه المتجسد بالثمن الفايق عن دمه
ثانيًا لانه لو كان كل فرد منا يخلو من المعونات الكافية للخلاص لنتج لا محالة (كما لحظ مار توما
العلامة) ان ساير الموجودات حتى الغير الحساسة ايضًا ترتبت الى غايتها احسن ترتيبًا مما ترتب
الانسان الى غايته القصوى طوفوا باعينكم واعتبروا المخلوقات باسرها فلا تنظروا مخلوقًا منها اعدمه
الله الوسايط المناسبة للحصول على الغاية المفروضة عليه على انه لمن المعلوم ان الغاية المفروضة
على الافلاك هي ان تتحرك حركة دايمة لتعطي الارض تاثيراتها ومن ثم لكونها خالية من نفس
حية تحركها نظير نفسنا فقد عين لها الله تعالى قوة من القوات الملايكية لكي تويدها وتحركها
على الدوام وهكذا النجوم فان غايتها هي ان تجلو سواد الليل المقتم المريع ولكن بما انه ليس لها
في ذاتها نور كاف لهذه الغاية فمن اجل ذلك صير تعالى الشمس ان تفتقدها بنورها الدايم الازلي
الذاتي واما الارض فغايتها ان تشبع شهوات الحراثين حتى المكثرين شرهًا ايضًا غير انه ليس لها في
جوفها رطوبة تكفي لهذا ومن قبل ذلك فرض على المياه ان ترطبها دايمًا بسيرها في العشاب
المنخفضة تحت الارض واذا اعتبرنا البهايم الفاقدة الصناعة فلكي تتدبر ضرورياتها كالثياب
لتردعنها البرد والاسلحة لتدفع عنها اعداها القاصدون مضرتها فنرى العناية الالهية
تهبها هذا كله منذ ايلادها لانها تكسو بعضًا منها صوفًا وبعضًا جلدًا لحافًا وبعضها ريشًا
وبعضًا منها خرشفًا اوقشرًا وتسلحها ايضًا ضد اعداها اما بالاظفار واما بالبراثن واما بالمناقير
او بالنياب او بالشوك وهكذا الصدف والبواق والبطلينس والتوتيا التي تعيش ملتصقة
بالصخور اذ ليس لها ارجل تمشي لتحصل على قوتها فمن ثم دبرها تعالى خالق الطبيعة فجعل
الصخر نفسه الملتصقة به ان يرعى لها القوت الضروري واما النقمة وهي حوت عظيم كانه
سفينة حية لو تسير وحدها في البحر لخاطرت بنفسها ان تتورط حيث الماء هو قليل وتربض على
اليبس وتموت ولذلك لها سمكة صغيرة تسير امامها بمقام القايد وهكذا السلوى وهو
طير ضعيف وجبان جدًا ولذلك لو يطير وحده في الجو لسقط دفعات كثيرة فريسة للطيور
الكاسرة فمن ثم عينت لها العناية الالهية طيورًا اخر تقوده دايمًا وتتقدم اليه حينما يمضي وان

جلتم

جلتم على هذه النسق المسكونة كلها فترون انه لا توجد خليقة ولو مهما كانت دنية واهية التي
اذا عجزت لضعفها عن تحصيل غايتها الا وتكون مويدة من واسطة اخرى مستعارة لتساعدها
على تحصيل اربها اخبروني الان ايها السامعون المكرمون اتظنون ان الله عز اسمه اعتنى بالحيوانات
التي هي خادمة الانسان احسن اعتنايه اعتنى بالانسان سيدها ولعمري انني لو لم اكن صادقًا بما قد
قصدت بيانه لكم لكان الله سبحانه وتعالى على الطبيعة اي الانسان اكرم من الحيوانات لان غاية
الانسان هي سعادة السما الفايقة الطبيعة وهذه لا يستطيع ان ينالها بقوته الطبيعية فاذًا لا
بد من القول ان الله تباركت عنايته الوافرة دبر له وسايط اخر محققة وكافية لتحصيل غايته هذه
العظيمة وضيفوا الى ذلك انه تعالى يلزمنا بوصايا صارمة وتحت عقوبات فادحة وان نسعى
مع عنايته ايانا سعيًا حقيقيًا وسندرك غايتنا لا محالة كما اوصانا على فم رسوله مار بولص
قايلًا لكي ما ادركت الحيوة الابدية فكانه تعالى يقول وان استبان لك ان الحيوة الابدية تمر بـ
منك فاجر في اثرها والحقها لتحظى بها فاذًا ينبغي ان يعطينا ايضًا المويدات التي تساعدنا
على وفا التزاماتنا بها والا فما يكون نجل اسمه اقسى ظلمة الارض فاي حكم تحكمون في الله لو يامرنا
بان نطير كالعصافير ولم يقدم لنا الاجنحة او يامرنا بالنظر اذا عدمنا العينين او يامرنا بالنطق و
يستلب منا اللسان واعلموا انه لا اصعب علينا اقتباس السعادة الابدية بقوتنا الطبيعية وحدها
من النظر بلا عينين والتكلم من غير لسان والطيران بلا اجنحة وبعد هذا اتظنون ان الباري
تعالى يمسك عنا المعونات الكافية لمعاضدة قوانا الطبيعية والحال انه اذا امرنا بما هو ليس في
طاقتنا ويكون ذلك صنفًا من اكبر الظلم واشنعه انه حينما ارتضى شاول بان داود يحارب
جليات الجبار الفلسطيني اما قدم له السلاح ولما ارسل اليشع جحزي تلميذه ليقيم ابن الارملة الميت اما
اعطاه عصاه ولما اراد موسى ان هرون يعم ارض مصر من البرغش اليس انه سلمه قضيبه فكيف اذًا
لا يصنع الله هكذا مع الانسان ليس لما يريد ان يسعى لملك الملكوت فقط بل لما يامره بذلك ايضًا
بقوله تعالى ادرك الحيوة الابدية فاذًا لا يمكن ان يمسك الله سبحانه المويدات الضرورية لهذه
الغاية العظيمة عن احد اصلًا وان كان الانسان خاليًا من هذه المويدات فيستطيع ان يحصل
عليها حالًا اذا طلبها كما علم ذلك المجمع التريدنتيني المقدس نقلًا عن القديس اغوستينوس ايضًا
في ٦ من الجلسة ٦ هكذا ان الله لا يوصي بما يفوق على الطاقة والاستطاعة واذا اوصى
بشي فيقصد اما انك تفعل بما تقدر عليه او تطلب ما لا تقدر عليه ولهذا لكي يا من يستطيع ان يعمل

عدها

العدد

ان شاء واحب وبالتالي تستطيع جميع الناس ان يخلصوا على حدٍ سوى اذا ارادوا فلنعد اذاً
راجعين الى مقصودنا الاول ولنقل انه لا يمكن ان ينسب لله هلاك احد لان ايوب الصديق
قال ان الله لا يحكم باطلاً بل يريد من ذاته ارادة حقيقية مطلقة فعالة ان يخلص جميع الناس
حسب شهادة رسوله بولس ٭

العلاج

غير انكم تعترضون عليَّ قايلين قف عندك يا ابانا وتمهل قليلاً قد تكلمت الذي عندك والان
دعنا ان نتكلم نحن بما عندنا قل لنا ان كان جميع الناس لهم معونات كافية للخلاص اليس هو من
المعلوم المحقق ايضاً ان بعضهم لهم معونات اكثر واقوى وبعضهم معونات اقل واضعف فاجيبكم
قايلاً اي نعم هذا حق وهذا هو السبب الذي من اجله لا انسى نحو السما وممجدها باستقامة كلية
وان حاورتموني قايلين لا تهرب يا ابانا من هذا المشكل لكن ينبغي لك ان تحله وهو لو يعطينا الله
تلك المعونات القوية الوافرة التي يعطيها لغيرنا لما افضل منا لكنا نصير قديسين بل لكنا نضحو
كاملين بالقداسة لكنه يضيق كفه معنا ويفتحها باوفر سخا مع غيرنا ومن ثم ليس يجب ان
هلكنا لا يسمح الله بذلك اذ انه يعطينا نحن ما يكفينا فقط واما غيرنا فيعطيه ما يفضل عنه ايضاً
فاجيبكم قايلاً انكم بهذا الاعتراض الواهي تحركوني الى ان اتقد غضباً وغيظاً وان لم تصمتوا فاهتف
عليكم موبخاً مع معلمي بولس قايلاً من انت ايها الانسان حتى تجاوب الله من انت يا هذا حتى
تلوم ربك على انه ان كان يعطيكم مسرعاً وبالكفاية كل شي يلتزم ببرِّ فمن اي شي تشكون ولماذا
تتذمرون ولاي سبب تحردون اتروموا من قبل ذلك ان تكتبوا علينا انتم هلاككم فهذا ضرب من
المحال اليس له ان يصنع مع هذا محبة او رحلوا من ان يظلم الاخر لعمري انكم تطلبون امراً غريباً
اذا اثرتم ان تمنعوا الله سبحانه بان لا يعمل واجباً اكبر مع احد اصدقايه بعد منحه لكل احد
ما هو ملتزم باعطايه ولعمري انه في البشر يستطيع كل انسان ان يظهر محبة اعظم او سخاءً
اوفر مع اي من شاء من غير ان يغتاظ او ينظلم اما برهنت لكم انفاً ان الله عز اسمه يقدم لكم
مقداراً ما يكفيكم كفاية وافرة فامضوا اذاً بالسلام راضين شاكرين ثم اقول باي وجه تسمون
التخسيس الانعام نحو شخصكم كانكم غربا عن هذه المدينة وعن هذه الكنيسة وكانكم لستم
مشاهدين هذه الازمنة التي هي ازمنة الرحمة والنعمة فاذاً ان كنتم انتم تتذمرون هكذا فماذا
تقول البرابرة الذين لسوء حظهم تولدوا في شواطي البحور المتفرقة او في جزر او امصار شاسعة
ولم يبلغ اليهم حتى الان خبر الايمان الصحيح ولا ارتفع عندهم سناجق الغالبة ومع ذلك

فانه

فانه ان المحقق ان هولا ايضاً لا يستطيعون ان يحتجوا او يتبرروا عند هلاكهم لان الحكيم قال
ثم ولا يجب لهم المغفرة ولاي سبب فالسبب قد اورده هو ايضاً قايلاً لان من جسامة
المريات والبرايا يشاهد صانع كونها بمعنى القياس معنى ذلك ان الشعوب المنوه عنها
لا يجب لهم الاعتذار ولا المغفرة ايضاً عند هلاكهم لانهم استطاعوا من مشاهدتهم المخلوقات
ان يصعدوا وكمثل السلم درجة فدرجة الى معرفة خالقها وهكذا يعبدونه حسب النور الطبيعي
الذي يبرق على عقولهم فاذاً ماذا تقولون انتم ايها الكهان تشكوا من قلة المعونات والمعونات
التي لكم للخلاص انتم المولودون في وسط الديانة النصرانية وفي مدينة مختارة وفي جيل مسيحيين
علماً وكثيرون منكم مولودون ايضاً من عيلة شريفة مباركة ما اوضح المعرفة التي اعطاكم الله
في ذاته وهو واضحة بهذا المقدار من الكتب المقدسة والالهية وبهذا المقدار من الفرايض
الرسوم في الجامع المسكونية العامة اما قضى الاكثرون منكم حياتهم الاكثر خطراً تحت لوى اهلهم
واقاربهم الذين قد اجتهدوا في خيرهم وتحت ارشادهم وارشاد معلمين معتنين جداً بتعليمهم
ونجاحهم ولما بلغتم السن الكامل ما اكثر الاسباب التي تقدمت لكم لافتعال الخير بواسطة
معلمين روحيين كاملين كثيرين ماهرين في تدبير النفس جداً او بواسطة هذا المقدار من الواعظين
النبيين القادرين على ان يضرموا برودتكم بحرارة تقوى الله وبواسطة هذا المقدار من الكتب الروحية
الملايمة الى ارشادكم للعبادة والصلاح وبواسطة هذا المقدار من الناس الابرار المتشوقين الى نفعكم و
خلاصكم اليس لكم محكمات للحل اذا اردتم ان تلقوا عن نفوسكم وقر ذنوبكم اما لكم اديرة للانفراد اذا
ابتغيتم ان تبعدوا انفسكم عن اسجاس العالم وماذا تفعل الملايكة الحراس الواقفون دايماً عن يمينكم
اما ينبهونكم على الدوام ان تتجنبوا تارةً تلك الرذيلة وطوراً ان تمارسوا تلك الفضيلة واحياناً ان
تقاوموا تلك التجربة واوقات اخر ان تقتدوا بذلك النموذج الصالح والله نفسه كم يجد بتنويراته
الباطنة ان يسهل لكم الخلاص لعله يترك واسطة مفيدة لكم من غير ان يستعملها معكم فانه احياناً
يتملقكم بالمواعيد واحياناً يرهبكم بالتهديد واحياناً ينخسكم بالتوبيخ واحياناً يطعمكم بالسعادة
والخيرات واحياناً يجتذبكم بالضربات والشدايد كما قال المغبوط اغوستينوس في تفسير المزمور
١٠٣ وبعد هذا جميعه اتتمتمون عليه تعالى فليكن كما قلتم اي انه يعطي الاخرين معونات اكثر مما
يقدم لكم ولنحسب ايضاً انه يريد ان يخلصهم رغماً عنهم كما صنع مع شاول ذلك الذي نبهه الرب
يسوع بعبارة المهماز المرفوس تقول له انه لصعب عليك ان ترفس المهماز ولكن هل تستطيعون

مع ذلك ان تتمموا عليه عز وجل مع انه يقدم لكم مقداراً عظيماً من المعونات التي ليست
هي بكافية لكم فقط بل فايضة

العدد ٧

ولكن دعوني ان اتقدم الى ما قدام ايضاً واشمر عن زند الجهد لاسد افواه الجميع بجواب
راهن وعام عند اللاهوتيين فاقول اخبروني من اين عرفتم انتم ان لكم من الله معونات
ومويدات لعمل الخير اقل مما هي لمن هم افضل واقدس منكم ولا بالحري اكثر منهم او قلما يكون
باسويتهم من اين عرفتم ذلك العلكم عرفتم من هذا اعني لانكم تستشعرون بنفوسكم انكم
اخطى من غيركم ومن ثم تظنون انكم مويدون بانعام وبمعونات اقل واضعف منهم
والحال ان هذا دليل كاذب وتغلطون غلطاً عظيماً اذا استندتم عليه لانه ليس كل من
يصنع اقل خيراً ينتج ان له اقل نعمة ولا كل من له اوفر نعمة ينتج انه يصنع اكثر خيراً الا تنظروا
هذا ايها السامعون اذ انه قد يستطيع اثنان مويدان بنعمة متساوية ان يعملا اعمالاً مختلفة
بهذا المقدار حتى ان البعض منها تستحق اجراً عظيماً وغيرها لا تستحق شيئاً من الاجر والحال
ان النقص في هذا لا يصدر من النعمة لانها متساوية بل من افعال الانسان مع النعمة لانه
مختلف فان كنتم لا تصدقون كلامي هذا فاسمعوه من القديس مار توما المعلم الملايكي الذي
قال في المسالة ٣ من الجزء ٢ من العدد ٨ رداً على العدد ٣ هكذا انه وان كان بعض المعتمدين
يعطون احياناً نعمة متساوية فليس يتصرفون بها على حد سوى بل الواحد ينجح بها بابلغ
اجتهاد والاخر يتهاون بها فتبطل انتهى اما تشاهدون الشمس فهي واحدة ومع ذلك
يذوب من قبلها الثلج والشمع ويجف الطين في زمن واحد فعلى هذا النحو قال مار ايرونيموس
في الرسالة المشهورة التي انفذها الى ديمترياس انه بنعمة واحدة يلين قلب واحد ويقسو قلب اخر
اما ترون كيف انه بواسطة سحابة واحدة ينبت حقل واحد زهراً واخر قرطباً فعلى هذا
المثال قال اوريجانس في كتابه الملقب برياركون انه بنعمة واحدة يثمر قلب واحد وييبس قلب
اخر واما القديس اغوستينوس المعظم فقد علم هذا الراي المعتبر المشكوك فيه باوضح بيان لكونه
اثبت في فصل ٦ من الكتاب ٢ في مدينة الله انه ليتفق احياناً ان شخصين متصفين بمزاج واحد
ومتويدين بمعونات ونعم واحدة ينظران بوجه امراة واحدة ومع ذلك ينقاد احدهما
بشهوة دنسة ويسقط والاخر يحفظ نفسه طاهرة عفيفة ولا يوجد لذلك سبب اخر سوى
لانهما يستعملان حريتهما استعمالاً مختلفاً حسب هواهما وقد اثبت ايضاً هذه الحقيقة

نفسها

280

هب

نفسها القديس غريغوريوس النيقاوي في عظته على الموعوظين والقديس يوحنا فم الذهب
في تفسيره رسالة الرومانيين والقديس كيرللس الاسكندري في تفسيره بشارة يوحنا واخيراً
القديس بوناونتورا في المطلب الاول في السفر الرابع في القضايا اللاهوتية حيث قال علانية
هكذا ان من نعمة واحدة تبرز احياناً حركتها او حرارة واحياناً اخرى حرارة اقل حسب اختلاف
عمل الارادة المطلقة فكيف اذاً تتجاسرون انتم على القول بانكم لا تعطون من الله تعالى مقداراً من
المويدات لتصنعوا الخير نظير ما يعطى احد اخر غيركم من قال لكم هذا ما هي العلامة التي لكم
ما هو الاساس والبرهان اللذان تستندون عليهما فان قلتم ان النعمة التي هي معكم قد بان
لكم انها غير فعالة فيكم بل باطلة وغير مثمرة فيكون قولكم هذا حقاً ولكن من هو الذي عليه الجناح
سوى عليكم انتم لانكم عوضاً عن ان تستفيدوا من النعمة السموية بذلك النشاط الذي كان
يطلبه الرسول من تيموثاوس تلميذه قايلاً له لا تتهاون بالنعمة التي اوتيتها تتكاسلون بها
وتصنعون نظير الملاحين المتوانين القليلي الخبرة اوليك الذين يتاخرون بسفينتهم في البحر
عقيب الاخرين وذلك لا لانهم غير فايزين بريح واحدة كمثل رفقايهم بل لانهم لا يعرفون تسخير

موذه

اذا ما هبت فاعدلوا اذاً عن التمم على ربكم ولا تنسبوا الى كرمه العظيم الخساسة الصادرة من
اثمكم وعدم استعمالكم حريتكم المعتوقة حسب الواجب لانه ليس هو من المحقق فقط انه يريدكم
خالصين ولهذا يمنحكم معونات فايضة لا كافية فقط لتربحوا خلاصكم. بل قد يمكن ايضاً انه
يقدم لكم منها بمقدار اغزر مما يقدمها للاخرين الفايقين عليكم بالامور الروحية والقداسة
وان كان يقدم لكم ايضاً تلك المعونات التي يعلم بمعرفة سابقة بما انه كلي المعرفة انكم لا
تطاوعونها بالعمل فهذا انه يصدر من ذنبكم حيث انكم لا تريدون ان تستفيدوا منها فعلى
هذا دل ايوب البار لما قال عن الخطاة انهم كانوا ماردين في النور معنى ذلك ان سبب عدم
اطلاعهم على الحق ليس كان لان الله مسك النور الموضح لهم الحق لكنهم طمسوا عيونهم ليلا
يبصروه وقال ايضاً في موضع اخر عن الخطاة انهم يقولون لله ابعد عنا فان نعرف طرايقك
فاننا لا نشتهي وقال في موضع اخر انهم قصداً ارتدوا عنه ولم يفهموا جميع طرايقه ومن
ثم اذ عليكم يا معشر السامعين ان تعتادوا وتشتكوا وتلوموا على نفوسكم فقط من اجل اثامكم
وشروركم هلاكك منك يا اسرايل قولوا لله من صميم قلوبكم مع باروخ النبي نحن اخطانا وعملنا
بالنفاق نحن فعلنا سوءاً يارب الهنا في جميع عدلاتك وقولوا ايضاً مع ارميا النبي في مراثيه

لمن اعطانا اليد واللاثوريين لنشبع خبزاً اى انتم تعمداً واختيارياً تذهبون لتبيعوا انفسكم
عبيداً للعدو كم من اجل ربح قليل زايل وتزولوا عن نفوسكم انكم بهواكم تتنازلون مع التجربة ومن
تلقا نفوسكم تسقطون وهذا هو حق ولاى سبب فالسبب هو لانكم انتم تهوون هكذا و
هكذا تحبون فتهوون الى الانغلاب وتحبون السقوط وليس لذلك سبب اخر وقد اثبته وحققه
يوحنا الحبيب فى رسالته قايلاً نحن نضل نفوسنا انظروا ما اكثر قوة الشياطين اذا ما اجتمعوا
معاً ومع ذلك لا يستطيعون ان يربنا لوامتكم شيئاً ما اصلاً ان لم تمنحوه انتم برضاكم واختياركم
لا محالة انهم يستطيعون ان يجربوكم ويغروكم على الخطا غير انهم لا يقدرون ان يضطروكم اليه
يقولون لنفس كل منكم (درادى تعتبروا هذا الكلام جيداً وتفهموا معناه حسناً لانه منتزع من
اشعيا النبى لهذا الصدد الذى نحن فيه) فيقولون لنفس كل منكم انحنى حتى نعبر اسمعتم كيف
انهم لا يتجاسرون على ان يضعوا اقدامهم على ظهركم ويدوسوكم لكن يستميلوكم ان تنطرحوا على
الارض ليجوزوا ويدوسوكم قايلين انحنوا انحنوا ومن ثم اذا غلبوكم احياناً كثيرة وداسوكم وفضحوكم
فمن اين ذلك الا من قبلكم اى لانكم لا تحفظون قيمتكم وكرامتكم بل تتنازلون بعار عظيم وترتضون
ان تحنوا نفوسكم تحت ارجلهم المنتنة الشنعة فاذاً يقولون لكل واحد منكم انحنى حتى نعبر
وجعلت جسدك كتراب وكانه طريق للجايزين هذا ما قاله اشعيا النبى يا ايها المسيحيون
احبائى احتفظوا حسناً بحريتكم المعتوقة ولا تخافوا من شى اصلاً فانكم ستخلصون لا محالة اى نعم
ستخلصون لان الشيطان الجهنمى لا يستطيع ان يلمس حريتكم الجميلة اعنى بها انفسكم
الشريفة ثبتت مستقيمة وصاينه ذاتها غير انه يقدر ان يسعى فقط بان يستمد منكم المطاوعة
لشهواته باختياركم اما انتم فاتركوه يعمل ما يهواه ولا جناح عليكم البتة بذلك اتجنبوا انتم بجهدكم
كله لاسباب الخطا واستعملوا الوسايط التى قدمها لكم للخلاص اعترفوا بتواتر ولازموا تناول
القربان المقدس بتكاثر وصلوا وتضرعوا الى الله فى كل حين ليعضدكم ويوقيكم مما يأسى الى خلاصكم
فان فعلتم هذا فانا اعدكم انكم ستخلصون انتم ايضاً نظير الذين خلصوا وفازوا حالاً بالسعادة
الابدية ولكن اما تعلمون ما هى العلة التى

العدد ٨

تجعلكم تستصعبون الخلاص فان كنتم تجهلونها فانا اوضحها لكم علانية وهى هذه انكم تحبون
ان تتنعموا فى الارض اكثر مما يليق بحالكم ورتبتكم ثم تختلسون السما اختلاساً تحبون ان تحيوا حيوة
على هوى نفوسكم الحسية وتعطوا شهواتكم ما تطلبه وتطاوعوا الامكم المنعطفة الى الشر وبعد

ذلك

281

ذلك تحبون ان تنتقلوا الى السما خلواً من تعب او من غير ان تكونوا جاهدتم وتممتم ما كان عليكم
بل تحبون ان ينحدر الفردوس لعندكم حيث انتم مقيمون لئلا تتكلفوا او تتعبوا انتم فى طلبه
لكن هذا لا يمكن ان يتفق لكم فاننا نقرا فى الاسفار المقدسة ان السما نزلت مرة واحدة فقط (وذلك
بنعمة خصوصية الى عند واحد لا غير وكان هذا الواحد مارى يوحنا الحبيب حسبما قال فى
سفر جليانه هكذا وانا يوحنا رايت المدينة المقدسة اورشليم السماوية الجديدة منحدرة من
السما ولكن اين انحدرت هذه المرة الواحدة اين اتت اما رصدتم المكان الذى نزلت اليه وذكره
مارى يوحنا بعد قليل فى الاصحاح المقدم ذكره فى العدد العاشر فكان هذا جبلاً عالياً جبلاً ليتعب
الصاعد اليه فقال واخذنى الى جبل كبير عال واراني المدينة المقدسة اورشليم نازلة من السما وما
هو سبب ذلك اى لماذا حينما ارادت هذه المدينة المقدسة ان تنزل لم تنزل الى البقاع و
السهل وتعفو من تعب الصعود الى الجبل يوحنا الرسول المضنوك من الشيخوخة والهرم فلم
تنزل الى البقاع بل الى جبل عال لان السما لا تعطى للمتوانين الكسلين (وهذا هو معنى سر نزولها
الى الجبل) اى نعم ان السما لا تعطى للمتكاسلين فيجب عليه ان يزيح من عقله على ساير الوجوه
نعم ان الله تعالى يريد يعطينا مجد السما لا شك لكن يشا ان يعطيناه بتمام الاجر فهو
ما قوله لكم بتمام الاجر والثواب ولذلك يلزمنا ان نتعب ونجاهد حسبما نستطيع لنحصل عليه
قال الرسول الالهى انه لم يجعلنا للسخط هذا حق لا يشوبه افك فاذاً لاى شى جعلنا العله
جعلنا للخلاص كلا بل لاقتنا الخلاص كما اردف الرسول وقال ان الله يريد ان نربحه لنا ربحاً ونريد
انه فى هذا العالم يكون لنا سبب لا للبطالة الكثيرة ولا للعجرفة المفرطة ولا للطمع الزايد
ومن ثم اذا فعل فقد دبر لنا اشيا نحو المجيب مقدس وعقد لاجزيل جداً وذلك حتى لا يكون
ربح خلاصنا الابدى كله عملنا فقط ولا عمله تعالى فقط فلا يكون عملنا فقط وذلك لكى نحفظ
نفوسنا متضعة ولا عمله تعالى فقط لئلا نضحى رخوين السيرة مطمانين فيه بطمع مفرط وهذا
هو الذى علمه القديس يوحنا الذهبى الفم ايضاً فى عظته الـ ٦ الى الشعب قايلاً ان الله لا يريد انا
ان نتهامل فنرقد ومن اجل ذلك لا يفعل هو بمفرده الكل ولا يريد ان نكون متكبرين متعجرفين
وليهذا ما ترك لنا وحدنا الكل اما نحن فيجب انه هو يفعل الكل وحده ونحن لا نتعب بشى فهذا لا
نعطاه فهو تعالى يخصه ان يدعونا ونحن يخصنا ان نطاوعه فلنتحقق هذا ولنا خمن ان نتبعه
وفى هذا قال ايوب نحو الله تدعونى فانا اجيبك بل يحثنا ويجذبنا ويعضدنا ايضاً كما استدرك

ايوب قوله المذكور وقال والى عمل يديك تمتد يمينك لكي نصعد حتى قمة الجبل ولو كان علينا ان نجد المدينة الحسنة اورشليم ولكن لا يسوغ لنا ان نقاومه ونخالفه في اوايل الخطوات و الا فان لم ننل الخلاص المطلوب منا فيكون الاثم علينا لا عليه لان الكتاب قال هلاكك منك يا اسرايل

القسم الثاني

العدد ٩

فلنات الان الى ذكر اعتذار اخر يا قوا الخطاة وهو زعم ظنهم ان الله جل ذكره يطلب منهم للخلاص ان يتعبوا تعبا جزيلا ويحملوا مشقة عظيمة باهظة لانه اذا حسبنا انه سبحانه يطلب منهم ذلك فبان انهم كانوا يستطيعون ان ينسبوا الذنب من ذنوبهم اذا هلكوا غير انني اقول متى طلب الله تعالى من الخطاة ليخلصوا اعتذار ما يشاهدهم يحتملون من المشقات ليهلكوا نفوسهم اسمعوا ما كان ارميا يقوله عن الخطاة فقال تعبوا ليعملوا الشر اتظنون انتم ان اكثرهم لم يتكلف عليهم عمل الشر كثيرا اتعبوا تعبوا لعمري انه يفوق الوصف التعب الذي تعبوه والجهاد الذي جاهدوه والعذاب والمشقة الذين تكبدوهما ليعملوا الشر ويهلكوا تعبوا ليعملوا بالشر ولتحقيق ذلك اخبروني قليلا يا معشر السامعين هل سنة المسيح صعبة فتجيبوني اي نعم يا ابانا هي صعبة ففي اي شي هي صعبة العلها هي في هذا اي لانها تعلمنا ان نقهر الجسد و ننقيه ليلا يتمرد على الروح ولكن اخبروني الحق كم تقهرونه انتم ايضا وتتعبونه في المتاجرات حتى المحرمة ايضا اما تتعبون فيها باحتمالكم البرد والحر والاهوية ام هل سنة المسيح هي صعبة لانها توصينا ان نخضع ارادتنا ونكسرها ليلا نقاوم الصواب ولكن اما تخضعونها انتم ايضا وتذلونها حينما تطلبون الارتقا الى جاه او وظيفة ما اما تتعبون باتضاعكم وخضوعكم لارباب الدولة واصحاب الوظايف وخدام الحكام قال هنا القديس اغوستينوس ان كان المريحتمل عذابا كثيرا ليمتلك شيا باتيه من هلاكه اما يلتزم ان يحتمل اكثر من ذلك لينقذ نفسه من الهلاك ام هل سنة الله هي عسرة ثقيلة لانها توصينا لا نعتبر شيا من متعة الارض لنستطيع ان نخلص نفوسنا اعني لا الغنى ولا الوطن ولا الاقارب ولا العافية حتى ولا الحيوة ايضا اذا الجات الضرورة الا انكم من مرة تضعون انتم حياتكم ذاتها تحت خطر الموت من اجل حفظ قليل من الحطام العالمي واذا تقدم عليكم احد او اذا قاومكم او اذا شتمكم واسى اليكم اليس انكم تستوفون حقكم منه مرارا بالسيف والنار وعلى ذلك لا تبالون بالمال و العيال والدم والجسد حتى ولا بالنفس ايضا لكن تخسرون الكل لتاخذوا الثار وذلك يتفق حينما

282

تعلمون بنفوسكم ايضا انكم اضعف قوة من غريمكم واقل سنا منه ففي هذا جميعه تعرضون ذواتكم لد قبلا وانتم تدعونه الى المصارعة وتقدمون له بالاقتحام والنتيجة انكم تتعبون انتم قبلا تعبا جزيلا لتضعوا نفوسكم تحت ضرب سيفه قولوا لي في اي وقت تصير لكم فرصة ان تتعبوا وتكابدوا كل هذا من اجل ربكم اترى يطلب منكم ليعطيكم السما اكثر ما تصنعون لتشتروا لكم جهنما يا لهامن غماوة قلب داستها الكزها بالدم من جنون شنيع ما اقبحه ومن ثم اضطررت ان اهتف مع الطوباني سلبيانوس الاسقف واقول لكم تتعبون وتشقون ايها البشر الجهملة لتصيروا نفوسكم شقية الى الابد ما اقل التعب ما اخف الجهاد الذي تستطيعون به ان تسعدوا الى الابد انتهى احيبوني يا معشر السامعين واعتذروا بقدر ما تشاون فبالحقيقة انكم عاجزون عن الجواب المقنع ولو كنتم عدة مرات الطاقة على احتمال جميع المشقات التي بها تبتاعون جهنم لكنه بسهولة تقنعون ان ليس لكم طاقة ايضا على احتمال المشقات التي تلتزمون بها ان تربحوا الملكوت لكن ان كان لكم طاقة لتصنعوا الشر كيف تعتذرون ان ليس لكم طاقة لتصنعوا الخير وفضلا عن ذلك ما اكثر ما لي ايضا ان اقوله في هذا الشان اذا انه من المحقق ان الخطاة ليس يتعبون فقط ليذهبوا الى جهنم كما سمعتم من نص ارميا النبي لكن يعيشون ايضا حسبما اورد نعما عنهم وهم في العذاب قايلين عيينا في طرق الاثم والمهالك وسلكنا طرقا صعبة انني لم اذكر اتعاب الجندية ولا مخاوف الحرب ولا اسجان الدعاوى ولا حصرات طلب التقدم ولا هموم الطمع ولا امراض الشراهة والنهمة في الماكل والمشرب ولا الهموم والمناقضات والمحاورات الباطنة الناتجة من الم العشق الدنس ولا الدموع التي تذرف بسببها ولا الخدم التي تخدم ولا الغيرة التي تحتمل ولا الفضيحة التي تجرح ولا المخاطر التي يتطوح بها ولا رقاد النوم الذي يعدم ولا الفضة التي تنفق ولا الكراهة التي تحتقر ولا الامراض التي يعترى بها بسبب هذا الاثم الدنس لعله لا يوجد كل يوم اناس ينهزلون ويمرضون ويذوبون من صباح الى صباح من محبتهم تامر وهذه ثم اقول ان فعلتم ايها الشباب مع الله جزا يسيرا من الكثير الذي تفعلونه مع معشوقتكم تلك الحقيرة اما انتم تصيرون خاصته حتى لا اقول قد كنتم تحصلون من اعظم القد الا انني سامع واحدا من اهل العالم يعترضني قايلا انت يا ابانا اليس لك خبرة في العالميات لا تفهم الا في رهبانيتك وقد لك نعم ان هذه الاشيا التي ذكرتها هي مشقات وحصرات لا محالة غير انها حلوة لذيذة ولذلك سبيلك ان تعلم ان الشر شيا يسمى بها حلوة مرة لانها ملايمة للطبع ومناسبة لهوى النفس وهي مختلفة عن تلك التي نكابدها لاجل حفظ السنة الانجيلية

ى

بين

العدد

التي هي كريهة على الطبيعة وغير موموقة فعن ذلك اجيب قايلاً اهذا هو كلامكم يا معشر
المسيحيين حقاً انني لم اكن اظن انه يوجد اختلاف هكذا عظيم فيها انا اشكر فضلكم على انكم
اطلعتموني عليه في اوان مناسب لانه من كلامكم هذا اتخذ لي سنداً لاثبت قياسي او برهاناً
فاقول ترى ما هو سبب هذا الاختلاف العظيم لعلنا اذا تاملنا المشقات بحسب ما هي في حقيقتها
فتختلف طبعاً كلا وذلك لان الجوع مثلاً او العطش او المضادة او القلق من النوم وما اشبه ذلك
من المشقات والاتعاب التي تحتمل من اجل الاخرين فهذه نقول ينبغي ان تحتمل من اجل الله لا غيرها
ولكن ما هو السبب في ان احتمالها من اجل الاخرين هو لذيذ عذب سهل موموق وحلو كما قيل
اما من اجل الله تعالى فليس هو حلواً بل مراً وان كان الامر هو هكذا فقد يجب علينا ان نسلم للخطاة و
نقر لهم بانهم غلبونا فيما نحن نحاورهم بل انتصروا علينا اي انهم كانوا لا يخلصون فلهم حجج واعتذار
تبررهم وهو ان التعب والاحتمال من اجل الله هو مر اما من اجل غيره فهو لذيذ مقبول ما بالنا اذاً نحن
متعوبين في ايراد هذا المقدار من البراهين ومجتهدين في اختراع هذه الصنوف من القياسات
والسندات القوية لاقناعهم والحال ان لهم جواباً واحداً يفندها كلها فاذاً ماذا ننتظر فلتاتي
الملايكة ولياتِ القديسون ولتاتِ الابالسة ولتاتِ السما ولتاتِ الارض وليسمعوني جميعاً اسمعوا
هذا يا معشر الامم وانصتوا يا جميع قاطني المسكونة ان المسيحيين الخطاة هم معذورون على
على عدم خلاصهم اي نعم هم معذورون ومن اي وجه العل ذلك من قبل الله لانه لم يشا ان يكونوا
خالصين في ملكوته حاشا وكلا لانه تعالى بما انه ابوهم بل اب ارحم من ابايهم الارضيين فهو مستعد
ومتشوق في ان يخلصهم دايماً امهل لان ليس لهم معونات كافية تبلغ بهم الى النعيم اذا ارادوا لا
اصلاً لانه ليس احد عمل حملاً او يفرض عليه وصية فوق قدرته او لعلهم خالون من معونات
قلما يكون فايضة لا البشر لكونهم حصلوا على اسعد حظ ببلادهم حيث توجد هذه المعونات
بوفر فيهم ايضاً ما لهم معونات مساوية لمعونات الاخرين الذين يخلصون لا حقاً لانه ليس
هي سنة مصدقة دايماً ان الذي يصنع خيراً اكثر صارت له معونات ومويدات اكثر او لعلهم غير
معتادين على ان يحتملوا من اجل شي اخر اتعاباً ومشقات بمقدار ما تلزم للخلاص لا البشر لانهم يحتملون
منها اكثر ايضاً من اجل ربح ما او رغبة في الحصول على وظيفة ما او من اجل اخذ ثار او من اجل اتمام هوى
النفس واحياناً كثيرة اكراماً لمرتبة دنية رديئة ويبلغون بذلك الى الحد الحد من الجهل حتى
انهم حسبما قال فيهم ارميا النبي يعبدون في فرح جزيل الالهة الغريبة نهاراً وليلاً وهم لا

283

موت

يعطونهم راحة فلماذا اذاً يعتذرون عن عدم خلاصهم من اجل هذا السبب اي لانهم يلتزمون
ان يحتملوا المشقات من اجل الله وها انا اكرر كلامي اسمعوه جيداً لانهم يلتزمون ان يحتملوا
المشقات من اجل الله فهكذا هو اعتذارهم كله لانهم يلتزمون ان يحتملوها من اجل ربهم ماذا
تقولون على هذا ايها المسيحيون الخاطيون هل ترتضون انتم بهذا الاعتذار فاذا احببتم
ان يقبل ويبرركم انهضوا وقولوا للمسيح بشجاعة وصوت عال ليسمعكم الجميع قايلين يا يسوع
انه اذا اضطررنا بان نحتمل من اجل الاخرين ما يجب علينا ان نحتمله من اجلك فلا يصعب
علينا ذلك بل يكون مراداً اشتى لذيذاً لدنيا ومطابقاً لهوى النفس ومناسباً لميل الطبيعة
حتى انه يكون اهلاً لان يسمى حلواً مراً اما الاحتمال من اجلك فيعسر علينا وهو لا يحلو اصلاً
فيا له من عار فظيع اتتجاسرون على ان تتكلموا هكذا تجاه يسوع المسيح ربكم كانه لا يسمعكم من
كونه محجوباً ههنا ومغطى اهذا هو احترامكم لدمه الكريم المسفوك من اجلكم اهذه هي معرفة الجميل
نحو جسده الطاهر الذي تجرح وانسلخ حباً بكم اتقولون ان المقاساة من اجل الله عز وجل
ليست هي عذبة فهذا دليل على انكم ما ذقتم ذلك قط فاذاً ان استصوبتم هذا الاعتذار فاتبعوا
هواكم وعيشوا على ما يلوح لسركم لانني انا استحي ان اكلمكم فيه واوضحه ولكن اذا علمتم انه قبيح
جميع الاعتذارات التي اوردتموها فليت شعري ما هو الاعتذار الباقي لكم لتتمسكوا
به وعلى اي شي تستندون وماذا تجيبون فلنقتنع اذاً كلنا ان ليس
لنا ولا عذر واحد وبالنتيجة هذا هو الراي الانسب لنا اي ان
نبتدي من هذا الان ان نصلح سيرتنا حسب الواجب لكي
نستطيع بهذا المنوال ان ننجو من الهلاك الابدي
الذي اذا انجينا فيه لا يسمح الله لا نقدر ان
نشكو من احد اصلاً الا من نفوسنا الان
الله تعالى قال هلاكك
منك يا اسرايل
نسال الله تعالى
يخلصنا
امين

العظة الثانية والثلثون

في الخميس الذي بعد الاحد الخامس من الصوم المقدس تتضمن اثبات هذه الحقيقة الجزيلة الاعتبار لمن يرغب انه ينهض مع المجدلية من الخطية وهي ان كل انسان ولو مهما كان خاطيًا عظيمًا فيستطيع ان يصير للوقت قديسًا عظيمًا ان شاء ذلك قال لها مغفورة لكِ خطاياكِ اذهبي بسلام هكذا كتب ماري لوقا في فصل من بشارته

لقد سعدت المجدلية لا محالة لانه تقول لها اذ اغضبت بخطاياها ربًا ودودًا اوفا يرتضي بفعل واحد من الاتضاع امامه ويميل منعطفًا بذرفة واحدة من الدمع اترى لو اغضبت الفريسي الذي دخلت اليوم بيته كما اغضبت يسوع اتظنون انه كان اقبلها بالمحبة والرافة نظير ما قبلها يسوع لعمري انها لو كانت ذهبت اليه حاملة الطيوب ووجهها مشوها من البكا ومع ذلك راها دخلت بيت الوليمة بغتةً لتدنو من قدميه خاوية من ان ترسل قبلاً وتستاذنه بالدخول لعمري انه كان اتقد بنار الغضب ونهض واقفًا بسخط وتعظم لئلا تلمسه وقال بصوتٍ عالٍ ماذا تطلبين هنا ايتها المراة السمجة ما اكثر سوء ادبكِ ما اقل حياكِ من اعطاكِ الاذن ان تلجي هذا المنزل وتظهري تجاه هولا الانفار الشرفا ان بيتي هذا ليس هو ماخوراً ولا يدخله شي دنس ايحل لكِ اذًا ان تلجيه وتظهري امام هذا المحفل الجليل اخرجي اعتزلي من هنا ايتها الوقحة لئلا تنسدي هوانا هذا بنتانة رجسانكِ الكريهة على ان طيوبكِ وعطوركِ لا تكفي لتعطر ولا تصلح ما تدنسينه احفظي لكِ دموعكِ هذه السريعة الذرف التي لكِ ومن عادتكِ ان تخدعي بها عشاقكِ ماهو املكِ اترجين ان اصدق انا اشراككِ وتستميل الى زفراتكِ فهذه لا تفيدكِ شيًا اخر سوى انها تقطع املكِ عن وضع الرجل اعتاب منزلي كليًا ومنذ الان هل لي طاقة على ان ارتضي بان تقبليني حتى لا اقول ان تكلميني فهذا هو الترحيب الذي كان فعله الفريسي معها (كما هو قريب للتصديق) لو الجتها الضرورة ان تستغيث به وتستعطف خاطره وترضيه وهذا هو راي اغوستينوس المعظم لا اقول مخترع مني لانه يقول مصرحًا في العظة ٢٣ هكذا لو تقدمت المجدلية الى اقدام ذلك الفريسي لكان انتهرها قايلاً امضي عني انتهى ولاثبات ذلك هو اننا نرى في الانجيل المقدس ان هذا الفريسي تشكك جدًا عند مشاهدته فرط رافة يسوع نحوها مع انه لم يكن له سبب لان

العدد

284

يغتاظ منها اصلاً ولا يخصه شي ما من امرها البتة فمع ذلك اضطرب من يسوع وما عرف كيف يبرره من الخطا المبعد فرايًا ه بانه غشيم قايلاً لو كان هذا نبيًا لعلم ما هذه المراة التي لمسته اما يسوع اذ كان غير مكترث بهذا التهمة فلم يعدل عن وداعته الطبيعية بل قبل المراة الخاطية بمحبة وافرة وناضل عنها بقياسات متينة وحلها من خطاياها بسهولة بالغة خالية من ان يفرض عليها ولا اخف القوانين ولم يكتف بهذا فقط لكنه اقتبلها في خدمته حالاً وضمها الى محبته بدرجة سامية بهذا المقدار حتى انه ما اصبح احد النسا في الارض بعد مريم والدته بمقدار ما احب مريم المجدلية الخاطية فرحمة يسوع هذه التي لم يسمع بمثلها قط قد اضطرتني اليوم ان اترك جانبًا كل نوع من الصرامة واجعل عظتي هذه عظة مفعمة بشجاعة وتعزية للخطاة غير انني لست اتكلم الان مع نوع الخطاة الاشقيا الذين تصلبوا في الشر وعزموا على نفوسهم بالذهاب الى جهنم رغمًا عن الجودة الالهية لست اريد ان اتعب نفسي مع هولا بل قصدت ان اشجع جميع اوليك الذين يقولون انهم يريدون حقًا ان يعطوا نفوسهم كلها لله وهذا هو ما يشتهونه ويطلبونه ويعتبرونه ولكن بما انهم متوغلون بالخطايا كثيرًا لا يرجون ان يبلغوا الى ان يصيروا قديسين الا وا اسفاه على مثل هولا انه ينبغي لهم ان لا يخشوا ولا ييأسوا هكذا بل فليسمعوني جميعًا وينصتوا الى كلامي فانني مستعد الان اثبت لهم ان ذلك سهل عليهم جدًا

في العدد ٢

ولئلا يظن ظان ان قصدي اتكلم في اشيا خيالية او غير راهنة لا في اشيا تجري بالعمل والحقيقة باصغاء حسن لانني قد اثبت لكم ان انتم المجتمعون ههنا امامي تستطيعون ان تنالوا بسرعة لا غفران ذنوبكم فقط بل تبلغون ايضًا ان اردتم الى الحظوة بانعام وافر في الارض وبدرجة سامية من المجد في السما حتى انه لا يبقى لكم سبب ان تحسدوا من كان اقل منكم خطاة ولو كنتم الان معرقلين باشراك العشق الدنس او مصادين من البغض والحقد نحو قريبكم او مستعبدين عن قريب ان تنغمسوا به او مستغرقين في محبة العالم وكراماته او مظلومين من الم البخل او هايمين من الم الحسد او ملطخين بالادناس الحسية ولكن احذروا لئلا تفهموا كلامي من غير معناه وتضلوا على انني انا لست اقول لكم انكم تستطيعون ان تبلغوا الى هذا كله بقوة حرنيكم المصنوعة او بقوى طبيعتكم فقط فبالعظم مسكنتكم ان اردتم ان تجاهدوا ورجاكم واملكم على ذاتكم وحدها ولا ريب انكم تهلكون الى الابد لا محالة لانكم حالا تعجزون فقط

عن الارتقا الى قمة القداسة التي ذكرتها لكم لا تقدرون ايضاً على ان تقوموا من لجة الخطايا بل
المستغرقين فيها غير انى اقول لكم ايها الخطاة الاحباء قروا عيناً وطيبوا انفساً فانكم لا تتركون
وحدكم في السعي بما قلته لكم لكن انتم مع الله والله معكم والذي لا تقدرون عليه انتم تقووا
عليه بذراع ذلك الاله القادر على كل شي لان القديس زينون قال في الخطبة الثانية
على التوبة (وقد اختبر ذلك بنفسه) ان الذي تعجز عنه قوة الطبيعة فيصير بنعمة الله
ممكناً بل سهلاً ولاثبات ذلك اخبروني لو كان يذهب احد الى مريم المصرية حينما كانت في
عنفوان حسنها وزهرة اباطيلها صنماً في الاسكندرية للعشاق وقال لها بروح النبوة ايتها
الامراة الجاهلة الغبية اسمعي فاني اريد انبيك عما سوف تصنعينه فيما بعد اعلمي انه سوف
ياتي حوف وقت ليس تنبذين فيه اباطيلك هذه وتجردين قلبك من محبة الراحة والتنعم
والملاهي فقط بل انك ستختلين في اوعر الغابات وتقضين باقي مالك من العمر على المنوال
الذي اخبرك به اي انك تستترين في الغابات المقفرة ٤٧ سنة لا تنظرين وجه انسان حي بل
تحتاط بك الذياب والدواب والفورة والاسود وتلذذك بمجاورتها اكثر لذة من اعتشارك
الان مع الشباب ومرافقتك اياهم ستاخذين معك الى البرية ثلثة ارغفة فقط من الخبز
وهي ايضاً تجف وتعفن من طولة الزمن فتقتاتين منها قوتاً كافياً لحفظ حياتك ١٦ سنة
واذا ما نفد هذا القوت ستاكلين كشبه الوحوش للعشب والحشيش وتشربين ما الخنادق
المنتنة حتى تبلغي الى ان تحيي من غير قوت البتة ولانه لا يكون لك سقف ياويك ولا ثوب
يسترك تتعذبين من البرد والجليد عريانة في الشتا وتحترقين في الصيف من حرارة اشعة
الشمس المتقدة وبالسوء حظ عينيك اذ انك ستقسين عليهما بهذا المقدار حتى انك لكي
تمنحيهما ساعة واحدة من الراحة تلزمينهما بان يبكيا من الصبح الى المسا عن الاباطيل والاثام
التي رتعت بها انت الان وبعد هذا ما هو الرقاد الذي تعطينهما اياه فهو القليل والشاق الذي
ترحيهنك عند قساوتك هذه اي على الصخور المعرقبة او على الاشواك المسنونة وترضيض
صدرك بالطلاق بالحجارة وتمزيق طهرك بالاشواك والجلد بالمقارع فهذا جميعه سيكون
لديك بمنزلة ترفه جسدك وهذا هو ما انبيك به وصدقيني بانك سوف تمارسينه
كله في اوانه اخبروني بما ايها السامعون لو ذهب احد الى مريم المصرية كما قلنا وكلمها هكذا العلها
كانت صدقت كلامه ان انها ستبدل بهذا النوع الغريب وتنتقل من حال الاستغراق في لجة

285

الفواحش والادناس والملذات الى صنوف التقشف والقداسة المشار اليها الم تكن تهزو ضاحكة
على من زعم ان يقنعها بهذا وانها لعتيدة ان تمارسه لا شك في انها كانت اجابته قايلة
ما هذه النبوة المضحكة التي تتنبا علي بها انا اخبس في الاحراش والحال انه اذا فاتني يوم
ولا ارى عشاقي واحبائي تعتريني الغشوة من الحزن والحصر انا احتمل هذه العذابات التي
ذكرتها لي والحال انه اذا غستني ابرة ما كدت اموت وجعاً انا لا اكل ولا اشرب ولا ارقد
انا لا اتكلم ولا اضحك ولا انعم بمدى ٤٧ سنة ان هذا الضرب من المحال لكون قوتي ليست
هي قوة الصخور الصلدة ولا جسدي هو من نحاس فهنا انا اختار ان اموت قبل ان اختار
لنفسي هذا المنوال من السيرة القشفة ومع ذلك جميعه فانه من المعلوم الواضح انها فيما
بعد اختارت السيرة المذكورة القشفة وقد استبانت لها بقوة النعمة الالهية ليست غير
ممكنة او صعبة فقط بل سهلة ولذيذة كما اقرت بفمها للانبا سوزيموس الذي لما اعلنت له
سر قلبها عند دنو اجلها استطاعت ان تبدل مع ايوب لغتها وتقول هذا يكون عزاي
ان يضيقني بضيقة ولا يصفح عني فما بالكم اذاً ماذا تقولون لي ايها السامعون انه يبان
عسراً عليكم البلوغ الى اوج القداسة التي ذكرتها لكم فانتم حقاً ضالون انتم مغرورون
وذلك من اجل هذا السبب لا غير وهو لانكم لا تستطيعون وانتم في حال خطاياكم ان تحكموا
على ما انتم عتيدون ان تصبحوا فيه في حال الكاملين ولكن لا عجب في ذلك لان العليل
لا يظن بانه يستطيع ان يحمل الاشيا الثقيلة الباهظة التي تباشرها الاصحا كالجري
والطفر والمصارعة والحرب وحمل الاوساق ومع ذلك اذا ما تعافى فيفعل كل هذا لا تقدر
الان تتبعني هكذا قال يسوع لبطرس في احد الايام لما كان ضعيفاً بعد لا تقدر الان تتبعني
لكن ما الذي اردفه بعد قوله هذا فقال له غب قوله ستتبعني اخيراً معنى كلامه هذا
كما ترجمه حسناً المغبوط اغوستينوس انك ستتبعني اذا ما عوفيت لعمري انكم ح تعطون
قوة غير قوتكم الان وروح اخر وشجاعة اخرى حينما تتفاض على قلوبكم التعزيات الالهية
حينما تدركون ماهية اباطيل العالم الزايلة ودوام خيرات السما الابدية ادراكاً اصرحاً واوضحاً
لا ادراكاً عاماً مبهماً كمثل الان حينما يبعد الشيطان عن تجربتكم ولا يعود يجسر ان يدنو منكم حينما
تقف الملائكة لحراستكم حينما تعتني السما كلها وتجد لتنعم عليكم واقول بجملة حينما تضحي خدمة
الله لديكم عذبة سهلة حتى كانها نظراً اليكم طبيعية

العدد ٣

من منكم لا يتعجب حينما يشاهد الظبي يجري في الصعود بخفة عظمى بهذا المقدار حتى انه لا يدع
اثراً لخطواته على الرمل او لما يشاهد الحجل يطير في الجو بسرعة بهذا المقدار حتى لا يمكن ان
يدركه السهم المرشوق من القوس ففي اول مشاهدتكم خفة هذه الحيوانات يخال لكم انهما
عند نهاية جريهما او طيرانهما تستحم جملتها من العرق وتعيي من التعب والحال ان الامر ليس هو
كذلك لان الركض بهذه الخفة هو طبيعي في الظبي والطيران كما ذكر هو طبيعي في الحجل واقول
ايضاً من منا لا يعجب ولا يبهت اذا قطن تحت الارض ومع ذلك فلان هذا هو طبيعي للخلد
فمن ثم يعيش ويقتات خلواً من ضرر تحت الارض ومن منا لا يختنق اذا استقر تحت الماء
ومع ذلك فالسمك يعيش تحته لان هذا طبيعي له ومن ذا لا يصير رماداً اذا القي على النار
ومع ذلك فالسلمندر (وهو نوع من السمك الصغير) يسر بالنار ويحيى فيها لان ذلك
مطابق لطبيعته والنتيجة ان كل مخلوق حي يسهل عليه ما هو لطبيعي ويلذ به كما قال ارسطو
الفيلسوف فاذا لو تبلغون انتم لهذه الحال اي حتى يكون التقشف والدموع والصلوة
نظراً اليكم كانها طبيعية فيكم لقد كنتم تستسهلونها بل تستعذبونها ايضاً الى نعم ولعلموا
ان المعونة التي تعطيكموها النعمة هي اعظم واقوى جداً من الطبيعة لانكم اذا قابلتم القوى
التي تصدر من الطبيعة وحدها فترونها ناقصة وواهية جداً حتى انها تضعف اخيراً بتكرار
استعمالها نظير ما يضعف الحجل بمداومة الطيران كثيراً ويعجز الظبي بكثرة الجري اما النعمة
الالهية فليست على هذه الحال انها ليست لا تعجز فقط بكثرة الممارسة حسبما قال اشعيا النبي
عن الابرار انهم يجرون ولا يتعبون يمشون ولا يضعفون لكنها تزداد قوة وبسالة
لانها تنمو وتكثر يوماً فيوماً حتى ان الانسان المؤيد بها يزداد حسناً بالسهولة والعذوبة
وطرق خدمة الله تعالى على مقدار ما يجري ويتعب بل اسمعوا ما اثبته القديس ابروسيوس
في كتابه المعروف بالابولوجية الداودية فقال ان الفضيلة تصير سهلة بمرور الزمان
بهذا المقدار حتى ان عمل الشر يعود اصعب من عمل الخير ويحصل من ذلك ان التقاعد عن
الصلوات مثلاً يصير عند الانسان اصعب من ممارستها ساعات كثيرة ويعسر عليه ترك
التقشفات اكثر جداً من ملازمتها بصرامة جزيلة ولنورد لاثبات ذلك نكتة عذبة
لحظها بعض العلماء المترجمين للكتاب المقدس في شخص ابراهيم البار وتناسب المعنى الذي
عن باشارة جيداً وهي هذه انه لكي يسرع الى تقدمة ابنه فكفى لذلك ان الله عز اسمه يامره

امثال

امراً خفيفاً فقط حسبما نرى الكتاب الالهي يقول امتحن الله ابراهيم وقال له ابراهيم
ابراهيم واما حينما شاء ان يردعه عن التقدمة التي استعد ان يقدمه بها رافعاً يده ليذبح
ابنه فما كفى ان يكلمه الله تعالى ويامره امراً خفيفاً ليكف عنها بل التزم ان يخاطبه بصوت عال
لان الكتاب الالهي يخبر انه ناداه من السماء وذلك بقوله فناداه ملاك الرب ناداه من السماء
ابراهيم ابراهيم لا تمد يدك على الغلام فهذا برهان واضح على انه يقتضي تعب في رد
البار الحقيقي عن ممارسة الخير اكثر جداً مما يقتضي في حثه واجتذابه اليه انتهى نص مترجمي الكتاب
المقدس المنوه عنهم فما بالكم اذاً ايسون يا معشر المسيحيين عن البلوغ الى العلا درجة القداسة
والحال انه ليس نزر الطبيعة الضعيفة العاجزة هي التي يلزم ان تحملكم اليها بل قوة النعمة
القوية التي لا تكل ولا تتعب انه لا محالة ينبغي لكم ان تصعدوا مع ايليا الى اعلا راس جبل حوريب
ولكن بواسطة ذلك الخبز المقيت الذي به تسري القوة داخل اعضائكم نعم انه ينبغي لكم ان
تجوزوا مع اليشع باقدام غير مبتلة نهر الاردن الخاطف لكن بقوة ذلك الاسم المكرم الذي
ينفتح لكم السبيل في وسط المياه وحقاً ينبغي لكم ابلغ من ذلك اي ان تصعدوا الى كذا
الكمالات سلماً طويلاً عالياً نظير الذي رآه يعقوب في بيت ايل لكن لا يسوغ لكم ان ترهبوا وتايسوا
لان الله تعالى ذاته الثابت على راس السلم يمسككم بيديه المقدستين ليلا تهوروا اتظنون ان
احد القديسين حصل على كمال القداسة بقوته الذاتية فيجيب داود النبي قايلاً كلا ذراعهم
لم تخلصهم لان جميعهم كانوا عن هذا عاجزين مثلنا ومجبولين من الطين مثلنا ولابسين جسداً
واهياً مثلنا انما النعمة الالهية صيرتهم ابطالاً كما شهد الزبور الالهي بقوله يمين الرب صنعت
القوة ومن جرى ذلك تشجعوا بانها النعمة العطاة لحبائكم تشجعوا وتقووا لانكم ان اردتم ان تعزموا
اليوم على نفوسكم عزماً مكيناً حقيقياً فتصيروا انتم قديسين لان النبي والمرتل قال بالله نصنع
القوة وهو يرذل اعداءنا ولكن ربما تعترضوني

العدد ٤

قايلين لقد نبهتنا وصدقنا كلما قلته يا ابانا ورحمته لنا ولكن من اين نعرف ان الله يمنحنا هذه النعمة
القوية الجزيلة الفاعلية التي ذكرتها فاجيبكم اتسالونني من اين تعرفون اهكذا لعلكم ما كنتم
تفوهتم بهذا الكلام الكثير الجهل لانكم ربما تغضبون الله تعالى باللكم هذا الكثير الكفر لما تفسحون
بسياتكم الماضية لماذا تتوهمون بانه ليس هو مستعداً لان يكتسبكم من علة حيلة الجبوبين
لهذا اذا شيتم انتم ان تحصوا معهم العلة ما سفك دمه كلا بسخاء وافرز لاجلكم فقط ما

سفكه من اجل كل واحد من احبايه العظام اما تكلف عليكم بقدر ما تكلف على بيلاجيا ثم على
تاييس وعلى غوليالموس وعلى اغوستينوس الذين كانوا سابقاً خطاة مشهورين ثم صاروا
من عظما القديسين بالحقيقة انه ما تعب ولا احتمل من اجلهم اكثر مما احتمل من اجلكم لقد افتكر
فيكم يوم حين خاض في الحزن الذي كان يعرق دماً في البستان وتذكركم لما كان ينازع لشدة اوجاعه
معلقاً على الصليب تذكركم لما كان يتنهد ويصعد الزفرات ويذرف الدموع مقرونة بالطلبات
والتضرعات بعواز شديد ودموع فايضة كقول الرسول اي يقرب عنكم هذه ايضاً فلماذا لا تتذكرون
فانه لا يفتقدكم بنعمة غير كم مع انه بعد ما تقدم عنكم ايضاً ثمناً واحداً فانا عالم انكم كافيتموه فيما
بعد مكافاة رديئة عن جميع المشقات والعذابات التي قاساها من اجلكم قلت انني عالم بهذا واو
رفع له باكياً ولكن اقول ايضاً ما بالكم خايفين العلكم اساتم اليه اكثر اساءة من بطرس هامة رسله
الذي كفر به ومع ذلك لقد تعلمون كم اضحى لديه عزيزاً فيما بعد ام هل اغضبتموه اكثر من شاول
الذي اضطهده علانية ومع هذا فانتم عارفون كم احبه بعد ذلك حتى ولو احتسبنا انكم
اغضبتموه اكثر من هذين الرسولين فالطوبى لكم من حيث ان معاملتكم هي مع الله لا مع الناس
اسمعوا ما يخاطبنا به تعالى نفسه بفم هوشع النبي قايلاً لا اصنع رجز غضبي ولا عن سبب فيورد
السبب بكلامه الثاني قايلاً لانني انا الله لا انسان فاذا علمتم انكم اساتم الى احد الناس لا تركنون
له كلياً ولا تامنوا منه بطمانينة كاملة ولو تصالحتم واستبريتم الذمة ولو كتبتم شروط الصلح
فيما بينكم ولو اشتهرت السلامة بشهود فلنا اقر لديكم بالحق انني اعذركم في عدم اركانكم له لانه
كما ان الحديد ولو جلي فهو قابل الصدا كحالته السابقة وكما ان الفحم ولو طفي فهو قابل النار ايضاً
والبحر ولو هدي فهو معد لان يعود الى الاضطراب هكذا العدو ولو تصالح فانه قريب الى ان
يعود راجعاً الى حقده القديم وقد نرى برهان ذلك في امر داود فانه اذ كان شاباً لطيفاً وديعاً
صفح مرات شتى بجرأة عظيمة عن شاول الملك الذي كان يضطهده حتى القتل فصفح عنه في
المغارة لما استطاع ان يجز بيده طرف رداه وصفح عنه في الخبا لما استطاع ان يضربه وهو راقد
ومع ذلك جميعه لم يامن من ان يضع نفسه بين يديه مع انه كان يظهر له انه قد رق قلبه
عليه وتاب بل كان يحقق له ذلك بدموع ذارفة من عينيه ويعده بقول ملوكي انه لا يسطو عليه
فيما بعد فمن هنا يتم ما قاله اغوستينوس الجليل في فصل ١٢ من كتابه في محبة الله انه لا تعد
سلامة كاملة اصلاً تلك التي تعقد ما بين الناس واترى يجري هكذا في معاملتنا مع الله

فيجيب

287

فيجيب القديس اغوستينوس قايلاً كلا لان الله يغفر غفراناً كاملاً حتى انه لا يعود ايضاً ينتقم
ويجزي ويهلك ولاجل ذلك نستطيع ان نذكر ان الله وحده لا انه لا ينسا من السيات الماضية
ولا يذكرها بل من السيات الحاضرة فقط لعمري انني تلوت الانجيل كله بوجه بليغ ومطالعة مراراً
عدة فلم اجد فيه قط ان سيدنا يسوع المسيح ذكر احداً بذنوبه الماضية حتى ولا من بعيد فلم
يذكر المجدلية باخطايها ولا متى بربواته ولا ذكر بغضاً المرة ولا بطرس بجحوده ولا توما بقلة امانته
ولما اضطر بان يبكت مرة واحدة لاورشليم الغير المومنة من جرايرها القديمة القبيحة قال
احد المعلمين الروحيين تاملوا ما الطف العبارة التي استعملها رمزاً في ذلك الحين لانه قال
يا اورشليم يا اورشليم يا قاتلة الانبيا وراجمة المرسلين اليها مع ان اورشليم كانت قتلت
فيما مضى ورجمت انبيا اكثر من الذين كانت ترجمهم وتقتلهم في عهد يسوع المخلص نعم ومع
ذلك لم يخاطبها بصيغة الفعل الدال على الزمن الماضي اعني لم يقل لها يا اورشليم يا اورشليم التي
قتلت ورجمت بل خاطبها على زمن الحال قايلاً يا قاتلة ويا راجمة وذلك لان الهنا لا يلتفت
الى الذنوب الماضية المغفورة لكنه يلاحظ الذنوب الحاضرة الغير المغفورة على انه لا يمكن
ان تبطل وتحجب الوليمة العظيمة الباهظة التي اوعدنا بها على افواه انبيايه في انه
يلقي خطايانا في عمق البحر كشبه حجر ثقيل الذي لا يعود ان يرى طافياً اصلاً على المياه كما جا في
نبوة ميخا القايل يطرح الى عمق البحر خطايانا وتارة انه يضمحلها كالسحابات وذلك كقوله في
اشعيا اضمحلت كسحاب اثامك وتارة يفنيها كما تحل الضباب كما قال في اشعيا ايضاً اضمحلت مثل ضباب
خطاياك وتارة بعبارة اوضح من ذلك انه يصيرها كانها لم تكن مثلما نطق ذلك في زخريا
النبي بقوله هكذا وارحمهم لاني رحمتهم ويكونون كما قد كانوا اذ ما لم اكن اطرحتهم اترى البشر
يسلكون هكذا فيما بينهم كلا بل ان الصبي يحفظ لعظم حياته ذلك الامر الذي يثبت في طاقته على
الدوام ويستعمل صرامته وقساوته نحو انسه الاخر الغليظ العنق والحاكم ينعم اكثر انعاماً على العبيد
الذين حفظوا له الخضوع دايماً ويتعطف اولئك الذين كانوا نحوه اقل انعطافاً فقد يد العيش
يظهر وداً اوفر للجنود الذين اطاعوه وكانوا له امناً دايماً ويبين جفاء وقلة اعتبار لاولئك الذين
كانوا بسجيف اما الله تعالى حسب قول القديس غريغوريوس الجليل المعظم فليس هو
بهذه الصفة فاننا كنا فيما مضى عصاة عليه وخالفناه واحنطناه فهو لا يغيس اعتباره
لنا ولا محبته نحونا ولا ينقل عطاياه انعامه اذا اتيناه واستغفرناه العفو لكن اذا احببناه جحودنا اياه

هذه بعد ادم ما بحيرا البار فيصير هو ايضا عجبا بعد ان يحبته للبار لان القديس غريغوريوس المذكور
يقول ان الله يقبل التايبين كما قبل الصديقين ما اكثر ما يعزي هذا الكلام الخطاة ويحثهم
للتوبة والرجوع اليه تعالى ولاثبات ذلك بابين ايضاح ها انا
اذكر لكم اعتبارا اخر جليلا وقد تاملته تاملا عديدة في نفسي وهو هذا ان الله جلت حكمته
ما صنع انعاما او علو عجيبة نحو الناس المتفاضلين بالبر والقداسة الا وقد صنع ذلك ايضا مع
اوليك الذين كانوا سابقا مغضوبين كثيرا بخطاياهم ثم تابوا وبدلوا انفسهم لخدمته من صميم قلوبهم
فلا تشيقوا ان تدعنوا لمقالي واسمعوا برهانه صاغين خشعا واوملوا انكم تتعزون جدا فاقول لقد
تفتخر جماعة الابرار بيشوع بن نون على انه استطاع ان يوقف بحسب انشاء الشمس عن سيرها حتى
ان الله تبارك وتعالى اطاع صوت رجل كقول الكتاب المقدس ولكن اما فاز بهذه الاستطاعة موسى
الطوباوي ايضا الذي كان سابقا لصا قاسيا وحشيا ثم تاب واضحى اكثر وداعة من جميع سكان
الدنيا بل الاعجب من ذلك هو ان الغاية في افتعال هذه الاية مختلفة جدا ما بين يشوع وموسى
وذلك لان يشوع اوقف الشمس لاجل سبب ثقيل جزيل الاعتبار وهو الانتصار على خمس ملوك في
يوم واحد اما موسى فنال ذلك لاجل سبب خفيف جدا وكان ليبلغ قبل ولوج الليل
الى المكان المرسل اليه ولننتقل الى ذكر ايات اخر فنقول ان ايليا البار امر السما وامطرت بحسب جوابه و
اليس قد نال ذلك ايضا مابين التايبين يعقوب السايح ذاك الذي اقتص يمينا ثم قتلها و
دانيال البار اكرمته الوحوش ولم توذه وقد حظي بذلك ايضا مابين التايبين غوليالموس
المكويتاني ذاك الذي كان سابقا يهين بيعة الله ويضطهدها ثم تاب وجاهد عنها وان كان
الاطفال الثلثة لم يحترقوا بسعير النار فهكذا لم تحترق ايضا افرا الطوباوية تلك التي كانت قديما
زانية ثم غدت مراة العفة والزيت المغلي لم يأس القديس يوحنا الانجيلي البار وهذا
معلوم محقق ومع ذلك اعلموا ان الزفت المغلي لم يوذ ايضا القديس بونيفاسيوس التايب
وماذا اقول في مريم المصرية التي اتيت بذكرها انفا في هذه العظة اما مشت فوق الماء اعدم
نظير يهوذا [illegible] الذي هو اخطا قط واليس انها عاشت سنين متعددة من غير
اكل بشبه كاترينا السيانية التي استمرت بتولا على الدوام وان كان الملك الجابر اخرج من السجن
ابن ربقي العذرا البارة فكذلك اخرج من السجن حين انه الدوس الاسقف التايب من ملاك كما الجابر
وان كانت سكولاستيكا البارة ترات شبه حمامة للقديس مار عي مبارك اخيها اما ظهرت ايضا مريم

العدد ٥

المصرية

288

المصرية التايبة بشكل حمامة نقية للانبا ابراهيم عمها ولقد ارضعت الغزلان بلبنها
اجيديوس وقربت الذياب لاغابيتوس لتورنوتوس هولا الذين كانوا جميعا اطهارا لم
يدنسوا عفتهم بعيب ما ولكن اذا افتخر الابرار هولا فالخطاة التايبون لهم ان يفتخروا مثلهم
ايضا بثاودورا التايبة من الفسق الذي سقطت به لانه خدمها التمساح زمانا مديدا وقد
يطول بي الشرح جدا ان رمت ان اسهب واورد بالتفصيل كيما ان الله جلت رحمته كان دوما اراد
ان تنفصل القديسون الابرار على القديسين التايبين بنعمة اصلا ولكن فليكفكم هذا القليل الذي
ذكرته لتفهموا متيقنين ان السيآت السالفة لا تذكر عند الله تعالى البتة كل مرة تلاشيها الندامة
الكاملة نظير ما تلاشي النار للشوك وتنضف منه الحقل حتى لا يبقى له اثر واذ كان ذلك كذلك
فما لكم ايها التايبون ايها الخطاة اعزاعي ومن اي شي تخافون فانا لم تعتقدوا ان ربكم يقبلكم
ويحضنكم ويحبكم ليس باقل من البار فباطلا يكون قوله تعالى بفم حزقيال النبي نفاق المنافق
لا يضره في اي يوم يتوب لانه اذ صرح تعالى جهرا عن ان تصيروا من عظما القديسين من حيث
انكم كنتم من اعظم الخطاة سابقا فيكون نفاقكم الماضي قد اضربكم وهذا لا يجوز لنا ان نتلفظه
لانه مخالف لشهادة الله تعالى المذكورة فتعزوا اذا وتشجعوا فان لكم مكانا محفوظا مابين اعظم
القديسين اذا قصدتم ان تندرجوا في عددهم

ى

وما عدا ذلك وحيد اسمعوا كيف اتكلم انا خلافا لما تتكلمون انتم . انتم تتيهون من كونكم وكنتم
خطاة عظاما ان الله يستثنيكم من عدد جماهير القديسين اما انا فانتج من ذلك خلافا انه يجعلكم
وهو انه سبحانه وتعالى يحب ان ينظمكم في عددهم واصغوا بعقلكم الى القياسات التي حددتها وردها
على مسامعكم لاثباتات نتيجتي هذه فاقول اليس كم تنيف عديدة وانتم عايشون في الخطا فانا
لست اعتقد فيكم ذلك وان كان كذا فلنحتسبه صحيحا اخبروني الان من اجل ماذا تظنون
انتم ان الله تعالى احتمل منكم الى الان بصبر مستطيل هذا المقدار من الخطايا التي ارتكبتموها منذ
كنتم تجدفون على اسمه القدوس في حين لعنكم الحلفانات الكاذبة وفي حين عهودكم
بالبيع والشرى وقلة الوقار في الكنايس والقساوة على المساكين والهزو بالكهنة والرهبان
الى حين [illegible] شخصه الالهي [illegible] بتنجيسكم اكثر من ساير انواع الخطايا [illegible] مستطيع
ان [illegible] ويميتكم [illegible] الخطية [illegible] صبيانا [illegible] تقدم [illegible] كل يوم
ليمهلكم [illegible] تتوبوا [illegible] تنصرون في [illegible]

العدد ٦

تموتون بغصة بانواع اخر كثيرة ومع ذلك لم يفعل معكم من ذلك شيئا لكنه اطال عليكم اناته
بل اسعدكم ايضا بخيرات جمة فاعلموا ان العلامة في ذلك انما هو هذه اي انكم رجعوا منكم شيئا
عظيما مجازاة لاناته وحنوه عليكم ولا ريب في انه حافظكم في حال الحيوة بهذا المقدار من
الكلفة عليه لا لكيما تتبعوا سياتكم وتغتبطوا بها فلا يقدر لكم من اجل هذه الغاية الغلات
في الحقول لاجل اغتذائكم والثمار في البساتين لاجل ملذاتكم والمياه في الجداول واعطاكم
والنسيم الرطب في الظلال لا لارتياحكم من التعب بل انما يقصد بهذا جميعه لكي يلزمكم ان
تفهموا جودته العظيمة وتردوا اليه طوعا منكم او اضطرارا وتبدلوا نفوسكم لخدمته بتلك
الحرارة والرغبة اللتين كنتم بهما تصرفون ايامكم في الخطايا فما بالكم اذا لا تتلون خطاياكم
الكثيرة التي سلفت منكم وهي التي تحملكم الان ان تشكوا اهل ربكم لم يحسن امركم لانه لو لم يعتني
امركم حق الاعتنا كنتم حتى الان قياما ههنا بل كنتم منذ زمن مديد تولولون في جهنم الى كيف
وتعذبون مع الشياطين ولم يكن هو دعا الحق لكم ايضا الى هذا الصباح لتسمعوا هذه العظة
ليفتحكم هل يستطيع ان يدعوكم

ثم اقول ايضا اما سمعتم قط ان اكثر الخطاة هم
اتعبهم هم اولئك الذين تيسر بصيدهم اكثر سرورا اما سمعتم قوله تعالى ان ابن الانسان جاء
ليطلب من كان ضالا ان الصياد الماهر يحب اكثر جدا ان يجاهد مع كلابه حيث يكون الوحش
عنيفا انظر حمايته وهكذا ايضا الطبيب البارع يسر ان يستعمل خبرته حيث يكون الداء عضالا
والملاح تفتخر بمهارة صناعته في تدبير السفينة حيث الرياح تضاد اقوى مضادة والوكيل
في الحكمة يجد في بيان علمه حيث تكون الدعوى تحت ارتياب والمكار ذو الخبرة في الحراثة
يحب ان يبصر في علمه في ارض يابسة الغير مثمرة ومن ثم يسوغ لنا ان نقول انكم لا تقصد
رحمة الله العظيمة بل بالحري تضرم فيها الشوق الى ان تعمل فيكم مفعولات محبتها وقد تمم ما قد
نطق به الرسول حيث اسفا يلا حيث كثرت الخطية فهناك تفضل النعمة ولكن شرط ان
ترضوا انتم وتخطوا وتفتحوا قلوبكم لقبولها فالفيض الزاخر المستعد بذاته يدوم ان يسكبها
عليكم

العدد

[illegible] لعلها ستلزمكم ان
تتعبوا انتم ايضا تعبا ما خاصة في المبادي لكي تتجردوا من تلك العيوب السالفة والعشرة الطويلة
وتلك الشهوة الدنسة وذلك التلعب وتلك المباح والملاهي العالمية التي صارت فيكم من
[illegible] فكانها كانها ملكة لكن تتعبوا واتبعوا فان هذا جميعه يكون الله مهيئا ان يقبلكم

بالم

289

باعظم وداد وبهاء اعلمكم بالغ جودته ان الابن الشاطر المسكين ذلك الذي انفرز من محبة العشيرة
وتصور بعقله انه يعيش متمتعا عن ابيه هذا مضيعا من كل الخيرات وبقيت اواسع كلها بالفقر
والولايم والمعاشرات والسعادات دايما لقد رايناه اخيرا الان من املد هذا لم يبق له على الحقيقة
سوى البلغة من البلوط فمن هنا حزن وذل بنفسه جدا وعزم على الرجوع الى بيت ابيه كما انهم
عارفون وانطرح تحت اقدامه مستغفرا منه فقال اقوم واذهب الى ابي ولعلمه انه لم يعز بهذا
العزم المفتقد من اجل محبته لابيه او من جرى اشتياقه الى رويته واستعطاف رضاه كلا لكنه عزم
اضطرارا وطمعا في المصالحة لكون الجوع والعري والانهزال والغم وسائر انواع الشقا التي كان
محفوفا بها هي التي قد ساقته الى ابيه حسب نص القديس بطرس الذهبي اللسان القايل في الخطاب
الثاني في الابن الشاطر هكذا ان الجوع ردهم كان طرده الشبع ومع ذلك انتم تعلمون بكم من المحبة
قد اقبله ابوه واعتنقه فانه على ما يبان لقد كان الوجب على ابيه ان يتهم ويخاطبه هكذا يا لك
من ابن تعيس ومنكود الحظ الان تاتي الي حين لم يبق لك من يغنيك ويعتني بك وصرت خزي الجميع
مبغوضا اين هو السلام الذي ذكرت ان ترسله الي لما كنت غايبا مسرورا مع عشراك واحبابك
بالبذخ واللذات بالحقيقة انك لمستحق ان اطلقك لتمد جوعك بنفقة الذين اسرفت مالك
بعشرتهم تستحق ان تغلق في وجهك الباب واطردك من امامي ولا اعرفك بانك ابني هكذا يبان انه
كان يجب على هذا الاب الصالح ان يكلم ابنه المبذر ويعنفه فلما يكون تاديبا له ومع ذلك
فلم يفه بكلمة واحدة من ذلك بل اخذ يموج الرافة من البحر الذي لا يستكفى من الانهار المرتدة
اليه بعد ان تذهب عنه هاربة ولا يدعها تنتظر وتطلب بلسان الحال بل يفتح لوقته حضنه
ويقتبلها كالسابق ويشركها بكنوزه هكذا الاب الصالح المختار مد حاله الابنه الضال ذراعيه على
عنقه واعتنقه وقبله ونضحه بدموعه وامر العبيد ان ياتوا عاجلا بافخر الملابس ويعدوا
وليمة عظيمة ويستدعوا اضاربي الات الطرب ليفرحوا جميعا بتوبته وقدومه واما الاعجب من هذا
هو انه وضع في اصبعه خاتما حسب نص الانجيل الشريف الذي قد ذكر هذا الظرف ايضا في ارباب
القبايل واعطوه خاتما باصبعه وكان وضع الخاتم في تلك الازمنة ما يبين علامة المحبة
والكرامة الكاملة ومن ثم يسوغ لي ان اقول من باب النتيجة هكذا ان كان الله تعالى يقبل بمثل
المقدار من المحبة والود لعمنا ابنا بهذه الصفة اعني انسانا يعود اليه راجعا لاجل سبب صالح
بل لانه كاد ان يموت لشدة البرد والجوع والفقر والقلة فكم بالحري يقبلكم انتم ايها الخطاة اذا

ب

تى

بهم تعالى وتركوا له فلماذا لا تتوبون اذا تخافون حتى انكم تستصعبون ان تسلموا النفس كهؤلاء تتركوا
معترفين انه ولئن كنتم الان من اعظم الخطاة فتستطيعون ايضاً ان تصيروا من اعظم القديسين
ليت شعري ما كان احسن حظكم لو عرفتم ان تجتنوا من شقائكم نفسه سبباً محركاً الى التقدم
بالجد فانا ارى في الاسفار المقدسة سراً رهيباً وهو ان اعظم القديسين يرون نفوسهم حسناً في
الغاية وهو هذا ان حظ الاولاد المولودين من بطون امهاتهم بعد البنين الابكار اضحى غالباً
اسعد من حظ الابكار وعلى انه قابيل كان البكر ومع ذلك انعم على هابيل الكرامة واسماعيل كان
البكر ومع ذلك اخذ اسحق الشرف والعيسو كان البكر وتقدم عليه يعقوب وروبين كان البكر
وجاز يهوذا او فرع النعام ومنسى كان البكر وتفضل عليه افرايم واليآب كان البكر ومع ذلك اختير
داود وفاز بانعام وشرف عظيم اكثر منه ومثلهم كثيرون واما نحن فيجب ان نفهم باسم الابكار هم
جماعة الابرار وهكذا فهم ترتوليانوس وثاوفيلكتوس والقديس كيرلس ولكن مع ذلك جميعهم لم
يتشرفوا من نعمة الله اكثر شرفاً من اخوتهم الصغار اعني بهم التائبين بل بيان لي بالحري انهم
حازوا اقل شرفاً من اخوتهم الصغار ولاثبات ذلك هوذا برهانه في البيعة المقدسة لم تكرم ما
هذان البديعان في البر والطهارة اعني بهما يوحنا المعمدان ويوحنا الانجيلي حتى انه رئيساها وقد
تكرم بهذا الاكرام بطرس الذي جحد سيده وبولس الذي اضطهده وهو اقدم قديسيه ولدى
سبب ذلك فالسبب هو لانا ايس نحن ونتهم بعد فنستليف اذا تاملنا بالحجة الاثم التي نهضنا منها
بل نتشجع مع ذلك متحققين اننا نستطيع ان نرتفع نحن ايضاً الى فوق بشرط ان نريد من
كل عزائم القلب ونتحقق انه ليمكننا بسهولة ان نفعل ايضاً على الابرار قدراً وشرفاً ونصير قديسين
اكبر منهم كما صارت مريم المجدلية التجيبة ولو كنا الان حاصلين في شقا الخطايا ولئن سالتم ماذا
ينبغي لنا ان نفعله لنبلغ الى هذه القداسة فها انا اورده على سماعكم في هذا الكلام التالي

القسم الثاني

العدد ٨

العدد ٩

ان الذي يتامل مدققاً بطريقة حسنة البراهين التي اوردتها الى الان لتعزية الخطاة وتشجيعهم
يرى انني لم اوردها بقصد ان يحمل احدهم الياقوت سماناً قطعاً اي يستنتج منها اسباباً للطمع برحمته
العظيمة لئلا يكون مصراً على خطاياه لا اسباباً تجعله يرجو بها ليقوم من خطاياه تائباً فان وجد
هذا الجنون الغبي لو فرضنا ايد الشنيع فانه اشتهر ان اتب عليه اسرع من النهر ولصرخ عليه

اذا رجعتم اليه في الحين الذي انتم فيه فما ترون بغير ريب كثيرة وراحة مال لوازم وحاصلون على
فضائلنا فتصيرون مكرمين محبوبين متى تصفى اما يسرّكم اعظم سروراً اما يصنع معكم محبة وكرامة
بالكرم حقاً لانه يمنحكم بفرح عظيم جميع ما هو ضروري لكم لتبلغوا درجة القداسة التي تطلبونها
اذا انه يمنحكم قلما يكون دموع الندامة الكاملة على ذنوبكم فتعزون بها دائماً على انه ما رغبنا
الكرم فيه لقد تبعت السيد المسيح وما هو سبب ذلك فالسبب هو لانه ابلها طرد جهاراً من البيت
بالعصا لكثرة شرورها ومع ذلك لم يستكف عنها المسيح مع انها كانت خاطئة مشهورة بالمدينة
وقد قبلها في عدد اعز اصفيائه وبولس السعي البسيط بدل نفسه للمسيح ايضاً ولاي سبب
فعل ذلك فهو لانه ابصر امراته عشقت شاباً غيره ومع ذلك قبله السيد المسيح ورفعه الى درجات
النعم كالكبر القديسين وغيرهما قد رموا ذواتهم باستكمال خوفاً من خطر ما عرض لهم نظراً الى الجسد كافنيع
ارسانيوس الروماني لما شعر بانه ازكادبوس الملك مكمن على حياته ونظير افرام السرياني لما بيع
في الحبس ومثله موسى الحبشي لما احاطت به اعداه ونظير جراردس لما جرح في الحرب ومثله
روما الدوس حينما بلغه ان اعوان الحكمة يطلبونه ليقبضوا عليه ومع هذه الاسباب الواهية التي
حملتهم الى خدمة الله تعالى عز اسمه وانعم عليهم بامارات المحبة الوافرة وصيرهم قديسين مشهورين
في العالم فماذا يصنع معكم انتم المعروفين الابرار المتعافون السعداء اذا عزمتم على نفوسكم ان تتوبوا
عن سياتكم وتتبعوه تعالى الذي قبل افتقاركم الى سقف يأويكم لانكم ذوو منازل وسراوات مرتبة منتظمة
ولا احتياجكم الى الخبز والقوت لان لكم املاكاً كثيرة ولا الى خطر الفضيحة الوافية اليكم لان صيتكم
الصالح ذائع عند العالم والدون ولا خوفاً من الاعداء ولا رهبة من الموت ولا لسبب شدة اخرى فاجأتكم
بغتة لانكم بنعمة الله محبوبون ومكرمون ومتقوون بل لانكم تريدون اختياراً ان تفضلوا خدمة
ربكم على الاباطيل الزائلة وتقشفون اجسادكم وتقهرون ذواتكم وتجعلوا انتم ايضاً ان تتم
في البيعة بشخصكم تلك الاية العجيبة الغريبة في الاتضاع التي تنبا عنها اشعيا النبي قائلاً والاسد
مثل الثور يأكل التبن التي معناها انه ستاتي ايام ترى في كنيسة الله الاسود تترك شراستها وتكره
اللحوم وتتغذى كالثيران المروضة الذليلة فتاكل التبن مرتبطة على المذاود فهل عاد يسوغ لكم بعد
هذا ان تعتقدوا في ان الله سيطردكم عنه وانه لا يلتفت نحوكم ولا يبالي بكم وان لا يشفق ويودكم
وينعم عليكم فاحكموا انتم من نفوسكم لانني انا لست احكم بهذا وان كنتم تحكمون ان ذلك لممكن
فاذا ايها ... ترفعوا عن الله بحاسد املكم وتبتعدوا عنه ولكن لا يكان جميع الاسباب تشجعكم ان ترجعوا

صرانا عظيما حتى نفهم ان هذا نفسه هو الدليل الذي به يتميز المنتخبون من المرذولين لكون
المنتخبين يتخذون لهم من رحمة الله الجسيمة سببا يحركهم الى البكا والتاسف على خطاياهم
والمرذولين يتخذون سببا ليضاعفوا الخطايا فاعلموا يا معشر المسيحيين ان الاستغنا بدرجة
السبعد الخطاة ثم والخطاة تحت امل الاستغاثة بها هو شي اخر فالذي يصنع الامر الاول الثاني
فيريد منها ان تحميه عن عدل الله ليقدر ان يزيد ذنوبه على هواه ولكن من حيث انني لا اظن انه
يوجد في جميع هولاء السامعين غير محتوين على الصفة المذكورة فاعود راجعا اليكم انتم الذين
تعبتم من مداومة الخطا وقصدتم ان ترجعوا الى ربكم تكونوا له فيما سياتي امينين بمقدار ما كنتم
له فيما سلف خاينين فكيف اذا ينبغي لكم ان تعملوا التصعد والى قمة القداسة السامية بعد ان كنتم
منخفضين في اسفل اعماق الاثم ولكن ربما تظنون انني قاصد ان اقول لكم ان تبتديوا في ان تصعدوا
خطوة فخطوة او درجة فدرجة اي ان تنبذوا اليوم صنفا من اللهو وغدا صنفا اخر وتتجنبوا
اليوم عثرة واحدة وغدا عثرة اخرى وهكذا وعلى هذا النسق تتجاوزون ويتدرج ويتقدم مسيركم
الى الكمال والتقدم بمسير غير محسوس بهما غير انني اسالكم ان تسامحوني لكوني شان ان استاقكم بطريقة
اخرى غير هذه على انكم ما دمتم تتكلمون هكذا وتسيرون نحو القداسة بهذه الخطوات القليلة
الخفيفة ولا تكونون متكلين جدا بالكفاية على تاييد النعمة الالهية ولا متذكرين ان اجنحتها هي
التي ينبغي لها ان تحملكم الى علو القداسة لا ارجلكم الضعيفة ومن ثم اقول لكم انكم ان اردتم بالحقيقة
ان تصيروا قديسين يلزمكم عزم اخر اشد واقوى من هذا لان المتعوقين في الخطا كانوا لا يصعدون
هذه الطلعة المرتفعة عاجلا وبنشاط جزيل فيرجعوا الى اسفل عاجلا ومن اجل ذلك ان اردتم
ان تمعنوا النظر في اوليك الذين صعدوا من اسافل الشر الى راس الديانة فترونهم قد ارتقوا بطفرة
واحدة التي ابرزوها بنشاط عظيم منذ ابتدا ان نظروا بيلاجيا تلك الخاطية الشهيرة في انطاكية
كيف صنعت فهذه حالما سطع ان دجلت راحم قلبها عند استماعها وعظ نونس الاسقف عزمت على
المفاوضة معه ولما لم ياذن لها ان تناجيه بالخلوة فذهبت اليه صحيفا كاذبة مفعا العقد بمجمع من
الكهنة فدخلت بجمعهم هذا المحتفل وارتمت على قدمي الاسقف القديس تجاه ذلك الجمع الملتيم
من انفاركذا بجليلين وطلبت بدموع ذارفة من عينيها غفران خطاياها غير مكترثة بتضاحك الناس
عليها ولا بغيظ احبايها ولا بازدرا عشاقها بها العلكم تظنون انها استرجت مدة ما حتى غادرت
المعاشرات السمجة والملاهي الملذة وانفردت في القفر لتصنع توبة عن خطاياها كلا بل انها حالما اصبح

اليوم

اليوم الثالث فتصدقت بما جمعت كل ما تملكه من الاثاث والامتعة الثمينة كالثياب والمصاغ
والحجارة الثمينة والذهب والفضة فارسلتها الى قدمي الاسقف القديس ليوزعها على
الفقرا والمساكين كما يشا ويحب ثم اعتقت الخدمة جميعها واعتقت جميع العبيد والجواري
الذين كانوا لها لخدمتها ثم بعد ثمانية ايام لبست مسحا [illegible] على جسدها
مسحا شعريا مشوكا وتوجهت الى القدس الشريف متنكرة [illegible] وزارت اولا الاماكن
المقدسة جميعها باورشليم ثم خرجت من القدس وحبست نفسها في قلاية ضيقة ولم
تخرج منها حتى انتقلت بعد وفاتها الى السما
وماذا اقول في تاييد المصرية تلك التي لست اعلم هل الذهب الذي [illegible] لطالعيها
كان اكثر ام [illegible] طلبت من [illegible] النعمة [illegible]
ثلث ساعات فقط [illegible] في [illegible] الرهبان المتوحدات [illegible]
[illegible] هذه [illegible]
[illegible] الى ساحة المدينة [illegible]
[illegible]
[illegible]
ذلك [illegible]
الفضيلة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الناس [illegible]
بعد [illegible]
[illegible]
[illegible]
على [illegible]
[illegible]
[illegible]
ان [illegible]

العدد ٢٠

مفعولات جسام   واحذروا بالاحرى كيما التوهم انكم لستم
تحفظون نفوسكم ثابتين حتى الممات في سبيل السيرة الخشيعة الحارة التي تحالونها الان لانه كان
الشروع بها هو في مكنتكم بهذه العزائم المقدسة التي تتفضل الله بها عليكم الان هكذا سيكون تداومها
في مكنتكم ايضا وما عدا ذلك ايسوغ لكم ان تخافوا من ان الله يتخلى عنكم من بعد ان تكونوا عزمتم من
اجل محبته عزما كذا جليلا وانه كان هو تعالى متقبلكم وانتم الان خطاة ايطردكم عنه وانتم تائبون
ها هو ذا يقول في انجيله المقدس بفمه الصادق من يقبل الي لا اخرجه خارجا ليت شعري من ذا
الذي يقتني حقلا ولا يحرث بعد ذلك مسرورا ومن ينصب كرمة ولا يسقيها فرحا او يغرس دوحا
ولا يستوطن بيتها بهجا ارتقبوا صاحب البستان الذي طعم تلك الشجرة البرية وجعلها تزهر
بتصبر جزيل فتروه يعتني بها وحدها اكثر من سائر الاشجار البلدية المخضرة في بستانه
من ذاتها على انه يفتقدها كل وقت ويحرسها باجتهاد ويسخي عليها بالارتوى من الماء ويعتني
بتحسينها مدققا واذا ما دخل ناس غربا بستانه فيريهم اياها جميعا كأنه لا يبالي بسائر
اشجاره فمن هنا اتخذوا لكم مثلا كيف الله سبحانه يعاملكم ايضا اترى تظنون انه لا يعاملكم
ويصنع معكم هكذا بعد ان تكلفتم عليه كثيرا من الاجتهادات والاتعاب والاختراعات
ليربحكم له   اقول لكم انه ان لم يحب فيكم شيئا اخر فسيحب قلما يكون فيكم اتعابه وبالنتيجة
نقول مع المعلم ترتليانوس الذي كتب في هذا الصدد هكذا يسر بكم وفي ربحكم اعظم سرور
لانكم غنيمة مكتسبة بتصبر جزيل فتشجعوا اذا يا معشر الخطاة احبائي وقووا قلوبكم
فاني انا والقديس غريغوريوس النازينزي نضمن لكم رحمة الله وجوده وان كنتم لا تجسرون
ان تدنوا مع المجدلية الى قدمي يسوع وتغسلوها بدموعكم وتطلبوا المسامحة والعفو
بقبلاتكم   فانا اتقدم اليه معكم واخاطبه قائلا انني لعالم يا سيدي ان كثيرين يطمعون
برحمتك وانت مع ذلك تحتملهم احيانا صابرا عليهم اما هذا الشعب الساجد الان لجلالك
فلا ريب انه يكون من عدد اولئك غير انه يسالك انما اذ كنت انت تحتمل احيانا من يطمع
برحمتك ليسخطك اكثر سخطا فلا تستنكف من الذين يستشفعون برحمتك لكي يرتدوا اليك
واذا الشيطان لكي خاطيا جدا وطالما منك رافة عظيمة عاقبتي انا عنه لانني انا هو ذاك
الذي من غيرة او نيهم بكلمة واحدة عن اثامهم لم اصنع اليوم شيئا اخر سوى ان اشجعه
واحضه ليقبل اليك وهل لا يجب لي انا اشجعه بهذا فيا الوفور رحمتك العجيبة ويا الكرم

ورافتك

292

وداعتك للانوثة انظر كم من القليل احفظنا من زجرك مع انني اقربها انا علانية امام هذا
الشعب كلمة انني انا ايضا عصيتك وتجاسرت على ان اهين جلالتك العظمى وطاردت على
كرامتك بالمعية اغرطات عملت بالنفاق فعلت سوايا برفق وانما في جميع عدالاتك ومع ذلك
ليس انك اطلقت روحك علي فقط بل منحتني ايضا نعمة لان انتبه على نفسي وادخلتني في
جملة عبيدك ونظمتني في سلك كهنتك واحصيتني في عدد اولئك الحماة عن عظيك وان
كنت بهذه الحال الكافيك ايضا سوا فالذنب انما هو باسره صادرا من قود شري الغريب
لا من حلمك الغير المتناهي وهل ترضى بعد هذا باني لا اشجع كل انسان ليأتي اليك تائبا انه
كان لا وجب لي ان لا تقلدني وظيفة الوعظ لو كنت لا تشا ان اكرز مناديا برحمتك على رؤوس الملا
بفم مفتوح فاذا لست اكفل لهم الغفران الكامل عن جميع الخطايا فقط لكل من يطلبه منك لكني
اضمن واكفل ايضا انك ستعامله كصديقك مثلما يحب ويشا اكفل انك قد تريك تتصدم في
تجاربه اكفل انك تعزيه في ضيقاته اكفل انك تحميه في مخاطره اكفل انك تؤيده في مخاوفه
واكفل اخيرا انك تمنحه قوة ليثبت في منهج التوبة ليس باقل من التي تعطيها الان لينهض من
مدافن خطاياه هذا هو يا ايها المسيحيون الذي اكفله لكم اليوم من هذا المنبر ويضمني عن
الفاظ بولس رسول الله قايلا لكم ان الذي ابتدا فيكم العمل الصالح هو يتممه فتشجعوا اذا
بهذا الضمان متيقنين انكم تستطيعون ان تعملوا اشيا كثيرة حبا بيسوع هذا المصلوب الذي
لا يزال من هذا الصليب يتالم ويذوب وجعا حبا بكم   والمجد لله دايما

العظة الثالثة والثلثون

في الجمعة التي بعد الاحد الخامس من الصوم المقدس   تتضمن برهانا داحضا لنجل حكما
العالم الذين يفسدون في ايامنا هذه عقولا كثيرة وفي الشي الذي ليس هو صالحا لا فايدة
عنه اصلا ومن ثم سيستبين ضلال من يعتبر ان النفاق يفيد المرء لينجح سعيدا في هذا
العالم   خير ان يموت رجل واحد بدل الشعب هكذا امر يوحنا الانجيلي
في ص ١٨ من بشارته   ها هو خير اذا يا قيافا لانه يموت يسوع المسيح بدل   العدد ١
اورشليم فيا لك من مشير غبي احمق ما اقبح مشورتك هذه ما افظعها انني لا اشا ان تقول
هذا الكلام الان فقط بل تعود فتقوله حينما تستنهض حقولكم من الاسلحة والجنود السالبين فترى

بعينيك النسور الرومانية تعشش داخل اسواركم وحالما تتقلص فيها تشيد مذابحها
ومخاليبها وتهجم على القرابين وحينما تسمع باذنيك جلبة الطبول والابواق العظيمة و
صريف المجانيق والنبال المريع وصراخ الجرحى وانين المنازعين الكئيب فهل اريدك
تقول خير هو حينما تعاين الدم المتدفق كالسواقي وتتراكم جثث القتلى كالتلال وحالما تسقط
قصوركم مهدومة وتشقق اقداسكم وحالما تقع بازاء اعينكم نساكم مذبوحة وحينما ترى اقسامكم
تشتد حيثما تحول نظرك المنخفض والحزن يسود والموت يمتلك في كل مكان من قراكم و
مدنكم لعمري انك لا تقول خير ان يموت رجل واحد اوليك الاطفال الذين سوف يصيرون
غذاء لامهاتهم الجايعات ولا يقول كذا اوليك الشباب الذين سيبلعون كل —— نفر
بنفضة واحدة ولا يقول كذا اوليك الرجال المسنون الذين صلب منهم على الصلبان
٥٠٠ نفراً في يوم واحد ليس هو خيراً اذاً يا ايها الغبي الشقي ليس هو خيراً ليس هو خيراً للهيكل
الذي يتدنس من رجاساتكم بهذه ولا للهيكل الذي سيهبط الى الارض من نار رهيبة ولا
للمذبح الذي يذبح عليه رجال ونساء بدل الحملان والثيران ليس هو خيراً ايضاً للبركة الصافية
التي ستفرغ من الما ليجري فيها الدم وليس هو خيراً لجبل الزيتون الذي اضحى سيقفر
من الشجر لكي يقدم منه خشب يكفي للخوازيق والصلبان لتعليق الشعب وليس هو خيراً
للجمهورية التي تعدم سلطانها ولا للمملكة التي تخسر ولايتها ولا لعلما الناموس الذين
يخسرون ولا يستطيعون النطق ولا للانبيا الذين تبطل روياتهم ولا للسنة الموسوية
التي تبقى كجثة ميتة بلا روح ولا قوة ولا كرامة ولا اتباع ولا تستطيع ايضاً ان تفتخر بطقوسها
ولا تتخلص من يحفظها الا ان الله جل شانه حي في السما غير مايت يهزأ جميع اوليك
الذين يعتبرون تدبير الحكمة العالمية الشريرة اكثر اعتباراً من حقوق العدل الحقيقة الغير
الكاذبة ويعلن من ذلك للذكر المخلد انه صادق ما كتب في سفر الامثال بقوله ليس حكمة
ولا فطنة ولا مشورة ضد الرب ها هوذا نشاهد ذلك تم واتفق في حكمة قيافا ورؤسا
امة اليهود لانهم عزموا على قتل يسوع ليلا يملك الرومانيون اورشليم ومع ذلك امتلكوها
لانهم اي اليهود قتلوا يسوع وبذلك اتضح انه لا صحة لما استحلت قدرته ان يعكس
المشورات ذات النفاق ويعلن ان الحكمة التي تتاسس على اغراض الطمع لا على قواعد
العدل والبر هي صناعة نفاقية مكروهة ولا فايدة منها اصلاً وتخرب الممالك بدلاً من ان

تعمرها

تعمرها وتهمل العيال بدلاً من ان تغنيها وتشقي الانسان ولا تسعده هذه هي الحقيقة الباهرة
التي عزمت اليوم ان اشهرها لاجل افادة الجميع مثبتاً ان الشي الذي ليس هو صالحاً لا فايدة
منه اصلاً ولذلك لا يظن احد ان النفاق يفيد للنجاح والسعادة في هذا العالم ؛

العدد ٢

انه قبل كل شي انني اقرر لديكم يا معشر السامعين بانني اخجل من الجدال في هذا الموضوع من على
هذا المنبر كان المسيحيين مرتابون بما كان عند الحنفا معلوماً محققاً اما الحد شيشرون
الفصيح مغضباً ضد اوليك الذين يتجاسرون على ان يزرعوا قبل الجميع في العالم هذا التعليم
الفاسد اي ان الشي الذي ليس هو جايزاً لا يمكن ان يجنى منه نفع اما سماهم مسيحي السلامة
فاسخي الحجبة هادمي الولايات مستاصلي الفضايل مقلقي العالم ثم ذكر لهم خبراً من شانه
ان يخجلنا عن اعظم خجلاً وهو هذا الذي اورده على مسامعكم فقال قد كان تميستوكلس
قايد جيش اثينيا يتكلم يوماً ما في محفل مشيخة هذه المدينة فاخبرهم ان عنده شوراً مفيداً
جداً للعامة الا انه لا يريد ان يشهره للكل ولذلك فلينتخبوا واحداً حكيماً ليورده له سراً
فعينوا له اريستيدس ليسمعه فاظهره لديه بالتفصيل وكان ذلك الشور نوعاً من المكر
ليستطيعون به ان يحرقوا بالبخت والغش سفن السبرتا الذين كانوا لهم اعدا غير انهم
كانوا وقتيذ مصطلحين معهم فلما سمع ذلك اريستيدس عاد الى محفل الشيوخ الذين
كانوا جالسين ينتظرونه وقال لهم بوجه عام خلواً من ان يظهر لهم شيئاً مما سمعه بالافراد
ان شور تميستوكلس مفيد جداً للعامة الا انه ليس هو جايزاً فاجاب الجميع صارخين بفم
واحد فقالوا ان كان الشور ليس هو جايزاً فليس هو مفيداً ايضاً لان الشي الذي لا يحل فهو
ياسي وبهذا انتهى المحفل وانصرف كل واحد الى منزله ورذلوا جميعاً ذلك الشور حتى انهم
لم يعودوا ارتضوا ان يسمعوه اصلاً وقد ختم شيشرون هذه الخبر متقايلاً هذا هو الراي
الذي كان معروساً في عقول اوليك الشيوخ الحكما اي ان الشي الذي ليس هو باراً وعادلاً
لا يحسب مفيداً نافعاً وقد اصابوا بذلك حداً فلنستنتج نحن المسيحيون من هنا قايلين
انه اذا كانت هذه الحقيقة معلومة محققة في عقول الوثنيين فكيف يمكن ان لا نقتنع
بها نحن الذين لنا فيها اثبات ايضاً من شهادة الحق الاعظم الغير الكاذب اوليك المساكين
لم يكونوا يعرفون ان حظوظ الناس جميعهم معلقة بيد الله واحد فقط بل كانوا جاعلين لهم
الهة كثيرين ويخالف احدهم الاخر ومن قبل ذلك لم يكن امراً بديعاً غريباً ان يوجد ما بينهم

خلف وهنا قضيه واذا حامى احدهم عن صاحب الفضيلة يغتاظ منه الاخر ويحامى عن صاحب
الرذيلة وليس ذلك فقط بل كان لكل نوع من المآثم اله في السما محاميًا فكان المشتري
ابًا محاميًا للفسقة والمريخ ابًا للصوص وزحل ابًا للسافكين الدما وبعكس شفيعًا للسكيرين
وبلتون خليلاً للبخلا وزهرة امًا للزناة ومن هنا لقد كان الساجدين لهم ربما يعتذرون
بوجه ما لو احتسبوا ان الفاسق يحصل منه نجاح حيثما كان لكل نوع منه الهًا ساترًا بل
محاميًا له فاما نحن النصارى العارفون انه يوجد اله واحد فقط في العالم وهو محب للفضيلة
وعدو قوي للرذيلة فكيف يسوغ لنا ان نرجو ان نستميله تبارك اسمه هل انه يرحمنه الى ان
يكون لنا مسعدًا لكي ننعم في هذا العالم البراني بنجاحنا كله هو متعلق بيده سواء كان قليلاً او
كثيرًا حتى انه خلوًا من ارادته لا يهب الجونيسم ولا تبيض في الكور سنبلة واحدة وهذا
هو محقق لا ريب فيه اصلاً لكون الحكيم ابن سيراخ قال بيد الرب فلاح الانسان وقال ايضًا في
موضع اخر الخير والشر والحيوة والموت والفقر والغنى هن من لدن الله فما هي اذًا هذه الحكمة وهي
اننا لكي نحصل على نجاح فلنحفظ من يعطيه ولكي نربح انعامًا فلنحتقر من يتفضل بها الينا
هذه الوسايط

ولكن ربما تعترضوني قايلين ان
هذا القياس لا يصح في الله تعالى عز اسمه بما انه يحتقر الخيرات الارضية ليس بعجب اذ قسمها
للخطاة الذين لا يستحقونها ايضًا ولربما يترك تدبير هذه الخيرات للعلل التي نسميها عللاً
ثانية وهذه تعطيها بلا تمييز او وجودة للذين يستعملون وسايط طبيعية اقوى لربحها
فاجيبكم لا تسرعوا بالاجوبة لان قياسكم هذا عند ارسطو موافق للخطاة يعتقدون ذلك وهو كاذب
غاش ولذلك اضطررت ان اعلن لكم كذبه لادفع عنكم الغش اخيرًا وهو قليلاً اما احتقر الله ذاته
الخيرات الارضية على حد سوى اتجيبوني اي نعم ولذلك اما تستخدم على الدوام العلل الثانية
في توزيعها بنوع واحد فتجيبوني ايضًا نعم فهذا اسلم لكم به لانه محقق لاجل ذلك فيه ولكن
مع ذلك ها انا اعلن ان الفاسق قد افاد احدًا قط فافلح وسعد به حتى ولا في هذه الارض الزايلة
وبعكس ذلك قد افادة الديانة كثيرين فرادى شتى وربما تستغربون هذه القضية ايها
السامعون التي لو يسمح لي الوقت فكنت يمكنني ان اثبت لكم حقيقتها باخبار جميع الانفار المعروفة
اسماوهم الذين ازهروا ونجحوا وسعدوا في الارض من ابتدا تاسيس العالم حتى زماننا هذا غير انني
ان اخذت باثبات ذلك فيلزمني ان اوسع موضوع العظة واسهبه جدًا فانحصر اذًا في

بعض

بعض العدود قايلين اجيبوني يا معشر المسيحيين حينما احوج الامر ان تنجو من الغرق العمومي
بواسطة امواه الطوفان العرم عيلة ما من بين عيلات البشر جميعهم فاية عيلة نجت
هل عيلة المنافقين ام البار وكذلك لما لزم ان تنقذ من حريق صادوم وعامورة عيلة اخرى
من جملة عيال كثيرة الهم الله عليها بالانقاذ اعيلة الشهوانيين ام عيلة العفيف ومن ترى قد حول
في ذلك الزمان على نعمة ربنا الكرمة ابراهيم واسحق ويعقوب ويوسف الذين كانوا ابا
قد يوسف ولما يوسف هذا فليته واسطة رقيته الى ضبط زمام ولاية مصر هل واسطة
الاثم ام واسطة العفة التي اظن انه لو كان حاضرًا معهما احد حكمًا ايا من هذين العاملين لما كان
يقاوم بتغلب شجيع طاهر هواجس سيدته ومواجهتها لانه كان ينبغي له قايلاً انظر يا يوسف
ما تصنعه انني لا اعلم بانه يليق بك ان تخالف سيدتك والحال انها سيدة ذات مال هذا
تدارك سيدة وارادة لك سيدة ذات قدرة كلية هالان بطشها غاضب والخداع سريع في
ذا يطلع على ما تصنعه لا كما لك حياسًا خفية لا تعلم ما امر عواقب كسر خاطرها التي بها انتهامي
ذلك طبعها سريعة في كل عواطفها لا تعرف ان تحب ولا تبغض احدًا الا بالافراط قلت
لو اشار عليه هكذا فهل كان يمكن ان يوجد شور يرضى نجاح يوسف اكثر منه نعم بلا شك
ان محافظة يوسف حيا سيدته بلغت به الى السجن والاغلال ولكن اما تعرفون المعلوم
ان السجن ادخله البلاط الملوكي والاغلال نظمت له التاج فلنتقدم الى ما قدام ونقول ايضًا
لو اقتبل يوسف في حال حداثته التاج الذي وضعه فرعون على راسه كما يشهد بذلك فيلون
العبراني ولو مكث في دولته وطال سلطانه بها الى العهد كان استحق ان يختير قايد الشعب ابيه
النيل ويصير حاكمًا فيها انه هذا الملك القدير نزع السطوة العظيمة ولقد اعطي ايضًا ان يستبقي
لابنته الملكة اما الله تعالى فقد جعله الداعي لفرعون حسب قوله الالهي واما غيرانه ارض
الميعاد التي كان اسم عز اسمه وعد بها كثيرًا منذ سنين عديدة فليت شعري من هم الذين
حظوا بها اهل ميجوس الشعب ام هل الساجدون للعجل ام هل المتعدون وصلبا الرقاب
فانهم ولا واحد اصلاً وضع رجله في الارض الموعود بها مع انهم كانوا بالعدد ستماية الف
ونيف ومن ذا الذي هدم الابراج الحصينة وهزم العساكر الكثيرة واستلب غنايم لا
تعد في عهد قضاة اسرايل الا يشوع وكالب وما اشبهما ونحوهم فمن هم نظيرهم
بالديانة والفضيلة فهولاء جميعهم سعدوا وعظموا في الارض كثيرًا من قبل الله وذلك لاجل ما

ابن سيراخ لكي يعرف الجميع ان حسننا هو اطاعة الله القدوس واذا لاحظنا زمن الملوك فهل
يمكننا ان نرى من قد استفاد من اثمه ولم يؤذه لعمري انكم لا تستطيعون ان تاتوني بذكر
واحد منهم على ان شاول قد كان الصولجان لاجل بره وصلاحه اليس خسره فيما بعد لاجل
اثمه وداود قد شقي والتجى بضغطات كثيرة اما كان ذلك فقط لانه تعدى سنة الله وكم
استفاد سليمن من انتخابه الحكمة بدلاً عن الايسار والمتاع كما يذكر عنه في سفر الايام الثاني
وجيداً ما نعلم اذ لم يستدع الى الاستشارة واحداً من حكما العالم المدبرين الولايات الذين في
صددهم من قبل ان يعمل احداً شي ينتصب لا ذو نظر متوكلاً ان جميعهم قد كانوا اشاروا عليه
قايلين يا ايها الملك الجليل القدر الفهم وافكر جيداً ولا تسرع بالانتخاب والطلبة لئلا تخسر صفقتك
ماذا تفيدك الحكمة الكثيرة اليوم كي في المملكة حكما ومطلوبين ليفحصوا عن الدعاوي ويثبتوا
الشريعة كل يوم تاتيهم الفروض على انه ليس الحكمة هي التي تجعل الحاكم معروفاً ومكرماً بل ينبغي لك
من كونك ملكاً ان توسع الاملاك وتكثر المداخيل وتملا الخزينة والاهرا ولذلك اعداوك اذا ما
ابصروك غنياً بالكتب وفقيراً بالمال سخياً بالملاذ وبخيلاً بالذهب خير لك اذاً ان تطلب الايسار
والمتاع ودع الحكمة جانباً لغيرك هذا هو المشورة بحسب فلسفة الزمن قد كان قد ورد له هولا الحكما العالميون
لكن كم اضحى سعيداً سليمن من حيث انه وافق قول عبد البر الحقيقة لا هو لجنس الطمع ومحبة المقتنى على انه
وان كانت سعادته ابتدات فيما بعد ان تخس وثروته تنقص ولكن متى صار ذلك الا حينما
ابتدا ان ينفصل عن طريق وصايا ربه ثم انتقلوا بتمهل الى سلك تواريخ ملوك يهوذا وخلفايه
فترون ان الذين انتعشوا وسعدوا اكثر من الجميع قد كانوا حزقيا ويوثام ويوشافاط ويوشيا الذين
كانوا ابر من الجميع فهولا فازوا بعمر اطول وهولا ابتنوا وشيدوا مدناً وقلاعاً جديدة وهولا
جمعوا خزانات وافرة وهولا حازوا انتصارات معجزة على الاعدا وقد اختلف سياق السعادة
في اخرين حسب اختلاف سلوكهم مع استقدس اسمه اعني انهم كانوا يحفظون ذويهم في
التعبد لله وكانت الخيرات تتدفق عليهم مدراراً ولما كانوا يحيدون عن ناموس ربهم فكانت الشقاوة
تتراكم عليهم كما يرى ذلك في لحمنا ويواس وعوزيا ومنسى اما الباقون ومثلهم ملوك السامرة جميع
فقد شقيوا دايماً لانهم كانوا منافقين على الدوام ولهذا كانت الشعوب تتصادم وكانت
الكوارث تاتي عليهم والشدايد والحروب والمخاوف تحيق بهم لكن ما بالنا مسهبون الشرح في
انبا الماضين في ايامنا والحال انه لنا شهادة الروح القدس مصرحة وواضحة في الكتاب الالهي

اقراوا

اقراوا الاصحاح ٥ من سفر يهوديت والعدد ٢١ فترونه مكتوباً فيه هكذا ومدة ما كانوا بحيث لا يخطون
امام الههم كانت الخيرات شاملتهم وحينما دخلوا فالههم حارب عنهم ونصرهم من غير قوس
ومن غير سهام ومن غير ترس ومن غير سيف ولم يكن من يسخر بهذا الشعب الا عندما تركوا
عبادة الرب الههم لاحظوا معنى هذا الكلام الاخير جيداً ثم انني اريد الان ان تخبروني ايها
السامعون الاعزا ما ظنكم الان الله يدبر العالم اليوم ايضاً على المنوال الذي كان يدبره اخبروني
اتراه غير من ذلك الحين الى الان الاحكام في عقله والعواطف في قلبه اعساه اضحى الان يحب
الرذيلة بعد ان كان يبغضها قديماً امهل الان يلبس هو الذي يدبر ويسوس العالم بل ترك
الزمان للصدفة وللفلك ولنوايب الدهر او لعقل اخر خبيث شرير او قلما يكون دخل مكانه في السياسة
احد اولئك الالهة الكذبة الهة الامم الذين كانوا يحوفون بالمسابقة الناس الاشرار ما هو الذي جد
في الطبيعة ما هو لعمري انه الارتياب فقط في هذا الذي قلته هو تجديف عظيم لم يسمع بمثله فكيف
اذاً التفوه به لان السيد جلاله قال في الكتاب المقدس اني انا الرب ولا اتغير وبالتالي هو الان
مثلما كان قديماً ومنذ الازل وهو لم يتغير واذا كان ذلك كذلك فكيف نستطيع ان نرجو الفلاح و
السعادة في الارض بطريقة الاثم والخطا اما هو جنون عظيم لعل داود النبي لم يقصدنا نحن ايضاً
لما قال وجه الرب على صانعي الاثم لا ليغنيهم ويرفعهم ويكرمهم لكن ليمحو ذكرهم من الارض
ويصرمهم جميعاً ولئلا تظنوا انني لاثبات مقصودي
اتيت ببراهين من شعب واحد فقط الذي كان مدبراً من الله بتدبير خصوصي فها انا اتي بغيرها
من البراهين فيا لاضعوا انتم من جانب واحداً هيرودس الملك المنافق ذلك الذي سمي كبيراً الموضع
فضله من اجل القدمية وانا اضع مقابله من جانب اخر قسطنطين التقي الذي سمي كبيراً لموضع
فضله على انه لما اتفق ان عرض لهما ان يسفكا دم الاطفال فهيرودس لكي يحفظ لنفسه الحكم
لانه خاف اذ سمع من المجوس انه ولد ملك اخر وهذا اعني قسطنطين لكي يغتسل بدمهم
ويطهر من برصه ويحفظ حياته فهيرودس اوعز قايلاً لتقتل الاطفال بحيث لا اعدم انا الحكم
اما قسطنطين فاجاب وقال اخير لي ان اموت ولا القتل الاطفال من اجلي فاقضوا انتم الان بالحق
لاني اترك قضاه من من هذين الملكين استفاد من قبل صنيعه الان هيرودس من قساوته
والثم ام قسطنطين من عدله ورافته ان ايتم عن القضا فاسمعوني مخبراً ان قسطنطين
لانه عفا عن قتلة الاطفال برى من دايه الذي كان غير قابل الشفا من الاطبا وتشرف بالحكم

العدد ٧

عديدة براحة وسلامة اما هيرودس الذي امر بتلك المقتلة فعدم بعد قليل من الزمن الحكم لانه اعتراه داء اخر اشنع من داء قسطنطين حتى ان نهاية ايامه كانت اشنع من ذلك وذلك لانه طلب سكينًا ليقتل بها نفسه ومات سريعًا لان لحمه يتناثر ساقطًا على الارض من الدود وحاصلًا من قبل ذلك على اوجاع المفاصل المتصلة ومعذبًا من النتانة الكريهة المنبعثة من اعضائه التي غدت اعضا جثة ميت وهو في الحيوة وما عدا ذلك ايضًا فنحن نعلم ان قسطنطين وان كان تعب ايضًا لمعاندة الشعوب له غير انه استراح فيما بعد براحة لذيذة حال اما هيرودس فكان سابقًا متمتعًا بسلامة وفرح ولكنه تعب فيما بعد من مقاومة الشعوب له وكان من جملتهم ابنه انتيباترس الذي تحذب عليه ولم ان يقتله مسمومًا ومن ثم لقد استطاع قسطنطين ان يقيم اولاده في حياته ملوكًا ويقسم لهم الممالك اما هيرودس فقد اضطر ان يسجنهم وما الى قتلت يبعنهم اما صار هذا مثلًا مشهورًا في ايامه وهو انه خير ان حال الخنازير في بيت هيرودس من حال الابن والابن بسبب صار هذا المثل لانه قتل اثنين من اولاده خوفًا منهما من بعد انه كان يعف عن قتل الخنازير فان كان الحظوة بمحبة الناس تحسب جزءًا كبيرًا من السعادة البشرية و الوقوع تحت بغضهم يحسب بعكس ذلك جزءًا باهظًا من الشقاوة البشرية فكم قد اختلف حال الملكين المذكورين بهذا الوجه ايضًا لانه من ذا يستطيع ان يحصي التماثيل ولا يقونات والديورم وساير درايات النصر التي اشادها الشعوب لقسطنطين من عظم محبتهم له اما هيرودس بخلاف ذلك لانه كان قد اقام تذكرًا له نسرًا ذهبيًا ثم بعد عدة سنين هاج العبيد عليه لبغضهم له وانتزعوا ذلك النسر الذهبي وطرحوه في الارض وصيروه اثارًا باعار عظيم للذي اقامه تذكارًا لاسمه وقد نتج من ذلك ما قد دونه يوسيفوس العبراني كاتب التواريخ اليهودية بالتدقيق وذلك بقوله لم يكن شيء عند هيرودس الشافي بمقدار ما كان يبرم علمه ان شعبه ورعيته كانوا ينزجرون زجاجًا ولكن شديدًا ولهذا احتال حيلة سرية وقبض على زعماء المملكة وسجنهم قبل مماته ثم ارشى اعوانه وامرهم ان يقتلوهم بالسيف جميعًا حينما يرونه قد دنا من انفصال الروح في حال نزاعه وذلك لكي يبكوا عليه فيا ترى قد شر اوليك الذين لا يتركون الى البكا من المحبة نحو من فقدوه اياه او اخبرونني الان يا معشر السامعين اسياد عراي شرطوا هذه الحتم تحتسب الا نسب للفلاح والسعادة حتى في الارض ايضًا هل تلك التي استعملها هيرودس بقتل هذا المقدار من الاطفال ام تلك التي استعملها قسطنطين لما عوض قتلهم لعرى انه يجب علينا ان

نقول

نقول ان الذي لا يعلم هذه الحقيقة هو غبي وان لم يقتنع بها مسلمًا فهو مناقض لانها حقيقة واضحة باهضة كانها تلمس بالايدي غير ان جميع ما ذكرناه العدد الى الان هو قليل لانه من المعلوم الواضح ان التواريخ البيعية باسرها تنبي لنا باتفاق واحد ايضًا ان السلوك بالبر والديانة هو واسطة اقوى للحصول على المناصب السامية الشريفة من السلوك الملتوي بالخبث والاثم اعتبروا اخوتي ثلث ملوك شهيرين في العالم الاني دومتيانوس وولانتيانوس ووالنس ولاحظوا باية طريق بلغ هولا الثلثة الى السدة الملوكية فتروا انهم لم يبلغوها الا بتلك الطرق التي تعتبرها الحكمة العالمية انها بعيدة اكثر جدًا على ان هولاء المذكورين قد كانوا من رهبا الجيش الاصغر وتركوا الخدمة يوليانوس العاصي لئلا يلتزموا بامتثال اوامر ذات النفاق والظلم ومع ذلك ما مضى مدة من الزمان الا وقد عادوا ملوكًا الى تلك الدولة التي كانوا اخرجوا منها منفيين واية حكمة عالمية كانت اثبتت الى ثاوذوسيوس الملك هذا النظام الحسن الذي كان به يدبر المملكة على ان هذا الملك كان كل مرة تحرك عليه البربر للحرب ويشاهد سيوفهم الاعدا الكثيرة محدقة بمملكته كذا كان يفعل اي انه من ساعته يقيم حربًا على الاراتقة وهذا الحرب المذكور الذي كان يبان انها تضعف مملكته فكانت تقويها او تعضدها ليت شعري من كان يصدق ان تدبير هذا كان يصلح المملكة لا ريب في انه لو احضر اليه الحكما اهل الشور العالمي واستشارهم لكانوا قالوا له هكذا ما هي حكمتك هذه ايها الملك اما يكفي القسطنطيون والشعوب الشماليون قد ملاوا اسبانيا وقادمون على ان يخربوها ويخربوا باقي المملكة ويجعلوها قفرًا وانت تهيج عليك من افريقية ايضًا تباع دوناتوس المبتدع الم ترى انه ينبغي لنا ان نعمل الان معهم صلحًا ومحبة لينجدونا عند الضيق ضد البربر فما بالك اذًا تسخطهم وتحركهم عليك مع انهم هادون لا يعادونك وان كانوا يا سوف الايمان وبه يسنون الكنيسة فلتحتملهم الان حتى ترتب مصالح المملكة ولا تسقط المملكة ولا يثبت الايمان في هذه الضغطات الكثيرة الصادرة من حرب البربر لنا هكذا لو جب لا محالة ان يكلمه المشيرون ذوو الحكمة العالمية ولكن ما اجمل هذه الحكمة لانه استعمل علن بحوادث متعددة ان المملكة لم تكن هي تتوطد اعظم توطيدًا الا لما كان ثاوذوسيوس يخاطر بها لاجل حماية الايمان ضد الاراتقة لان محاربة الاراتقة كانت تعضيدًا لها اكثر من محاربة البربر المقتحمين على المملكة وكان يستحق مع ذلك ان الرب يجاهد عنه وكيف لا والحال انه كان يحارب عنه باسلحته فيغير منظورة وقتل

من القوطيين وساير الشعوب الشمالية مايتين الف جندي للذين كانوا يتجندون تحت راية
رداغوس الملك وليس ذلك فقط بل انه عز وجل اباد له في سنة واحدة سبعة ملوك
ظلمة وقد تجنوا عليه في المملكة اعني بهم الريكوس وقسطنطين ويكيموس وجوبينس
وسيبستيانوس وسترويس وغيرهم نظيرهم الذين اقتحموا على افتراسه كالكلاب الكلبة حتى
انه شاع وقتيذ في العالم هذا المقال الجليل اي انه حادث مغاير ما بين استعداد الله وبين
انوريوس فانوريوس لم يملك اعدا الله والله لم يملك اعدا انوريوس ثم انه اخيرا قويت البرابرة
في ايام ملكهم واحد منهم بوارويت ولكن انما حدث ذلك حينما انغلب الحاجة من عابدي الاوثان
للحنفا ولما انتهت الى زمن محدود ان ينتصروا ظاهرا بطقوس مذاهبهم المرذولة نفي ذلك الحين
غادت رومية الوقت غنيمة لسخط القوطيين وهم احرقوا بالنار قصورها ونقضوا براجها
واستولى عليها ذلك الخراب المشهور الذي بكى عليه مار يرونيموس بدموع ذارفة لما كتب في
رسالته الاولى الى اليودوسيوس هكذا قايلا اذ من اجل اثامنا اضحت البرابرة اقويا وقد يتضح جليا
صدق ذلك من هذا الدليل وهو انه حالما انتبه انوريوس لنفسه واصلح غلطه وابطل الاوهام
النفاقية التي كان ناديها واجتهد في ان يضحي المذاهب الوثنية والاسرار الكاذبة وينتصر
للدين الحقيقي في الحال ابتدا كل شي وما تقدم اكمل اعدا رايه واضحى يجاهد عن رومية القوطيون
انفسهم اولئك الذين كانوا يقاومونها قبلا ليتني كنت استطيع ان اطوف فاتلو تواريخ ساير
الحكام والملوك المعروفين عندي واتيكم بذكرهم واحدا فواحدا كي اريكم ما هو موكد عندي
وهو انكم لا تستطيعون ان تنسبوا النجاح للاثم ولا من خبر واحد من اخبارهم بل كنتم ترون
من اختلاف احوال الملكية ثاودوسيوس الكبير والصغير واركاديوس ويوستينوس ويوستينيانوس
وموريكيوس وهرقل وغيرهم كثيرين ان هولا سعدوا وافلحوا لما استخدموا امورهم للايمان
وشقوا وتعبوا وخسروا لما استخدموا الايمان لمصالحهم الا انه ما بالنا نتعب نفوسنا باسهاب
الشرح متوليين شواهد الناس والحال ان لنا شواهد الله ذاته ناديا بان اعيننا اخبرونا قايلا
اليس ان الشقا قد دخل العالم من قبل الخطية فيجيب ابن سيراخ الحكيم قايلا الموت والدم
والخصومة والسيف والظلم والجوع والسحق والضربات على الاشرار خلقت ومن اجلهم
كان الطوفان فمن اجل الخطية غمرت هذه الشدايد العالم من اجل الخطية استولت الحروب على
الارض من اجل الخطية وجد الفقر من اجل الخطية حدث الطاعون من اجل الخطية صار الغلا من

اجل الخطية وجد العار من اجل الخطية حدث الموت فاذا كيف يحل لنا ان نعتبر الخطية واسطة
ملايمة للنجاة من الشقا ولا بالحري واسطة تلقينا فيه اذ انها هي كانت له العلة الاولى والينبوع
احد المنافقين وافلح من قبل اثمه وحصل على مجد وعظمة ما فهذا انما يتفق له صدفة واتفاقا
اما الشي المدايم المفروض من الله تعالى والطبيعة فهو ان يجري بخلاف ذلك ومنهم من تراه لا
يبصر ان ما هو فرض يحدث غالب الاحيان واما ما هو صدفة واتفاقا فيحدث نادرا جدا

العدد ٦

ولكن ربما تعترضون ايضا قايلين ان كلامك هذا يا ابانا غير صادق ويتكذب مما نراه بعيوننا
ونسمعه باذاننا الا من لا يعلم ان الدنيا هي دايما ممتلية من الخطاة السعدا وهذا هو الذي
جعل اناسا كثيرين يكتبون ويتكلمون ضد العناية الالهية اي مشاهدتهم الاشرار كونهم يسعدون
في الارض ومن شاء ان ينكر ذلك ينبغي له ان يحرق تواريخ الشعوب ويكذب اقوال الفصحاء ويبطل
كتب الشعرا بل يكذب شكوى الانبيا ايضا الذين صرخوا قايلين لما ينجح طريق المنافقين فاجيبكم
لا تفتخروا يا اعتراضكم هذا الذي تظنون انكم تفحموني به وتقنعوني فانكم لا تثبتون به شيا
ضدي فلو قلت ان الدنيا امتلات على الدوام الخطاة السعدا والحال ان هذا اعني انكم هو كذب
لان عدد الخطاة الاشقيا زاد على الخطاة السعدا اكثر جدا بلا قياس غير ان النجاح قد استبان
في الخطاة اكثر بيانا من شقايهم لان النجاح فيهم بمنزلة الشي الغريب الغير المناسب وهذا شانه
ان يظهر ويعلن اكثر من الشي المالوف الموافق ومع ذلك جميعه هل تريدون ان اسلم لكم اعتراضكم
بانه صحيح غير مكذب فليكن لكم كما تريدون ولكن ما الذي تستنتجونه من ذلك ضد خطابي
العلكم تستنتجون ان الرذيلة نافعة والاثم مفيد اعساكم تستنتجون انه يفيد الانسان ان يكون
منافقا لكي ينجح ويسعد في الدنيا وهي القضية التي حاولتم بها اما انا فانكر نتيجتكم هذه لانها
كاذبة وان كنتم لا تعلمون بانكم ضالون فيها انا اوضح لكم قايلا انكم ضالون لظنكم بان
هولا الناس سعدوا وقد افلحوا من قبل الاثم والحال انهم انما يكونون نجحوا وسعدوا لاجل الفعل
ما صالح قد مارسوه سواء كان فعلا مسيحيا او طبيعيا او ادبيا لان سفر الامثال الالهي يقول
من يزرع البر فله اجر امين ومن ثم نقول من حيث ان الباري عز وجل لا يترك بلا مجازاة صالحة
فعلا ما صالحا ولو بعد ... وبعكس ذلك لا يهمل فعلا واحدا طالحا بلا اقتصاص فلهذا
قد شاء عز اسمه ان يكافي بتلك السعادة الزمنية القصيرة اولئك الذين كانت مع ذلك
معدة لهم عقوبات ابدية لقد كان القوطيون قساة غير انهم كانوا مع ذلك يعادون ...

الزناو النسلويون كانوا وحشيين الا انهم كانوا يكرهون اللذة ولقد كان الوانداليون
خطفين ولكنهم مع ذلك كانوا يتغاررون في تبطيل عبادة الاوثان والرومانيون مع كونهم
متولعين بعبادة المنحوتات جهلاً فمع ذلك لا يمكننا ان نصف كم كانوا عادلين صادقين اسخيا
امينين عفيفين شجاعاً ووادين الشعوب الخاضعين لهم اما الهماجريون فموصوفون
بالطاعة لمشايخهم وهذا الذي ذكرته انا عن هولاء الشعوب بوجه العموم قولوه لهم
انتم نظراً الى انفار كثيرين بوجه الافراد ومنهم كان نارون وبيسيستراتوس وديونيسيوس
وفاريدس وبرياندريس وماريوس وسيلا وغيرهم الذين محوا زماناً ما بالاثم
فهولاء جميعهم كانوا اشراراً لا ريب ولكن قد استبانت في كل منهم صحة القول العام وهو ان
اعظم فضايل تقترن احساناً مع اجسم اثام ولذلك فان الله المجازي العادل الذي كان عتيداً
ان يعاقب سياتهم عقاباً ابدياً شاء ان يكافيهم عن فضايلهم اولاً مكافاة حسنة زمنية
وذلك بمنحه لهم قضبان الملك او تيجان الحكم او الانتصارات على الشعوب او الغنا
والكنوز او العز والفخر وغيرها من انواع الخيرات الزمنية التي هي بمقام الفتات من مايدته
والغبار من تحت قدميه والتصيف من جدران قصوره فمن منكم لا يرى مما اوردته ان
هذا كله لديه حقير وهو المقصود مني لكن يثبته اشد ثباتاً لاننا اذا لاحظنا جيداً فنشاهد
ان النجاح وجد عند الوثنيين ايضاً كما برهن اغوسطينوس العظيم في كتاب مدينة الله كثير
وجوداً حيث وجدت فيهم فضايل اعظم التي وان لم تكن فضايل راهنة حقيقية
فقلما يكون كانت متشابهة ومساهمة الفضايل الراهنة الحقيقية
واننى لعالم جيداً مع ذلك ايها السامعون ان الله تعالى يسمح احياناً للاشرار ان يبلغوا بطرايق
مذمومة محرمة الى اقتباس وظيفة ما جليلة او الى الحصول على مال وثروة جزيلة وما اشبه
ذلك فهذا انا عارف به ولست انكره ولكن اسمعوا وتحققوا ما اقوله لكم انه ولا في هذه
الحوادث يجوز ان نسمي الاثم مفيداً وذلك لان الشر الذي يصدر منه هو غالباً اكثر من
الخير الناتج منه ولنا في ذلك برهان جلي من سفر الامثال الالهي حيث قال هكذا اغتصاب
الجاهلين يهلكهم قال يهلكهم بصيغة المستقبل لان اغتصابهم هذا لا ينفعل مفعولاته
الرديئة سريعاً دائماً لكن يفعلها رويداً رويداً تمهلوا قليلاً ايها المسيحيون فان صبرتم
فترون كيف ينتهي ذلك المنصب الذي ربح بالتجبر على الابريا وذلك الذهب الذي جمع بالحيل

العدد ٩

الحمالة

298

الحمالة على الفقراء والمساكين اما قرأتم في سفر ايوب ان الله يتضاحك ويهزأ بالناس احياناً او
لذلك يريد اصحاب المشورة بالسفه في النهاية قيل في النهاية حسب النسخة اللاتينية
ولم يقل في الابتداء لانه تعالى يسمح لهم ان ينجحوا بالعظيم لكن يجعل فيما بعد ان يتشتتوا
مخزيين يسمح لهم ان يبنوا ابراجاً سيلوحها الحسنة لكن يجعل فيما بعد ان يندفنوا تحت
ردمها هذا هو الضلال الذي يصير اناساً كثيرين يعتبرون احياناً الاثم سعيداً وقد
استعاق الانبيا ايضاً الى ان يشكو شكوى ودايماً من قبل الله سبحانه وعنايته فالناس الاغنيا
نظروا الى الابتداء لكن لم يلاحظوا مع داود النبي اخرتهم وذلك بقوله في المزمور ٧٢ والعدد
١٧ وافهم اخرتهم وفحوى ذلك انهم توقفوا وتفرسوا بالراس الذهبي الحسن راس التمثال
البابلي الرفيع القامة وانذهلوا وحاروا في جسامته وحسنه ما خفضوا نواظرهم ليرقبوا قدميه
اللتين من خزف اسمعوا واذعنوا للحق
انه ولو كان بعد تجسد الكلمة صار اناس في العالم نالوا مناصب عالية بطرايق محرمة نفاقية فلا
شك في انهم كانوا ملوك الروم ولا اصح ان نسميهم ظلام الروم لكن مع هذا جميعه اخبروني
هل وجدت ممالك في الارض حدث فيها اختلافات ومصايب وضغطة اكثر من ممالكهم
على ان نيكيفورس الاول بهذا الاسم قد بلغ بالخيانة والخبث على زمان الملك وطرد منه
ايريني الملكة الشرعية ولكن كيف انتهى امره اعلموا انه فيما بعد من جرى نكباته المتصلة وزوال
ومقوتاً عند نفسه بنفسه بهذا المقدار حتى كان يتلقب بفرعون الثاني تعسفاً في
الضربات الحالة عليه واخيراً انكسر في الحرب وقتل من البلغاريين واعطى سبباً لاعدايه
حتى جعلوا جمجمته سكرجة يشرب فيها جميع روسا الجيش ولكن لا ادري هل فعلوا ذلك
من اجل الفرح بقتله او شماتة به ام من اجل بغضهم له والحقد عليه وثيودوسيوس قد بلغ
ايضاً بوجه محرم ولاون الارمني بمعاصيه على مواليه الى ان صار كل منهما ملكاً ولكن ما مضيت
مدة ما من الزمن الموقد قتلا كلاهما من جرى السبب الذي اوردناه فاحدهما قتل في الحرب والاخر
قدام المذبح وميخايل بلعبوس انتقل ايضاً بتجديد المعروف السمين الى السدة الملوكية وجعل
الرعية تسجد له وهو لذلك حامل السلاسل في عنقه والقيود في رجليه ولكن لما اتفق بحيث هذا
على ان غضب لنفسه عذراً فذورس الله عصا لاسكان بلا ان كلا دنيا وتهدد الوقت عسكر
ولا ينتبه على نفسه من هذه الضغطة فقضى حياته مذلاً بسبب ذلك كبر بيجرم ونا وفيا في الايام

العدد ٨

حزنًا على الايقونات المقدسة من اجل مصالح مملكته لكنه مات بعد قليل حزنًا وتحسرًا لاجل الكرم
الباهظة التي حدثت له من السراكسة ويغلب الثالث بهذا الاسم الذي شبه بنيرون
لاجل شهواته السمجة ومظالمه الوافرة فهذا اهلك زعماه المدبرين للمملكة بحسن شوراتهم
ونفى والدته ليستطيع ان يحكم معتوقًا بحسب هواه لكنه جلب على نفسه بذلك بغض
الشعب وعصبة الجيوش وهكذا باد اخيرًا اذ كان غارقًا في سبات النوم وسكرانًا من
الخمر اما الكسندر فاستطاع ان يعري الهياكل والكنايس المقدسة من امتعتها واوانيها ليغض
خزينته المانة جنه حالًا وما كمل سنة واحدة من ملكه الا وقد تقا نفسه من الدم وماذا اقول
عن رومانوس الاول فهذا قد استمد بحيلة خبيثة ان يقيم على الكرسي القسطنطيني
البطريركي واحدًا من اولاده صغيرًا في السن جدًا وعزل البطريرك الشرعي لكنه طرد من
ملكه حالًا في تلك السنة عينها بامر ابن آخر من اولاده وبعث به منفيًا الى جزيرة تنفرم
شاقه وقتله رومانوس الثاني اسقى اباه سمًا واما تنطعًا في ان يملك مكانه الا انه قتل
ايضًا مسمومًا بعد زمن يسير وبنيفور البفلاغوني استولى المملكة بطرايق بغيضة نفاقًا لكنه
اعتراه الشيطان حالًا وما امكنه ان ينجو منه حتى امات لا بالتقسيم ولا بالصدقات وبخايل
كالفيانوس نال من امه في ان تنفى من المملكة الملكة ليملك وحده الا ان الشعب نهض ضده
وقبضوا عليه وبعوم وقلعوا عينيه وجروه حيًا في شوارع المدينة بمنزلة كلب وثلثه قضبا
لجلبها ديوجانس واندرونيكوس وكان احدهما قد ارتقى الى السدة الملوكية بالعشق الدنس و
ثانيهما بالخيانة الظالمة البربرية فاجيبوني الآن ايها السامعون هل يعني لكم ان يحل انتفع سعادة
الاثام التي تبع بها هولاء الملوك المذكورين اخبروني هل تحبون انتم ان تتنعموا في نجاحهم هذا
وتحصلوا على عزهم اذا اضطررتم ان تحملوا مصايبهم في الاخرة ليت شعري اي مصاب واحق
يحسد نصيبهم فتحققوا الان يا اخوتي المسيحيين انه هكذا انتهت غالبًا اجال جميع الذين
طلبوا النجاح في هذا العالم بطرايق ذات خطا واثم لانه هكذا قال النبي قوله اختصاب الجاهلين
يهلكهم اي نعم ايها السامعون سادلو اختصاب الجاهلين يهلكهم فلا تتعبن اذًا يا اخوتي
بالبحث عن الامثال والاخبار لتفهم هذه الحقيقة هوذا تصرخ كل الكتب وتهتف جميع الاجيال
وتقتضي جميع الممالك في شان الفضيلة قايلة مع الكتاب الالهي العدل يرفع الامة اعتبروا هل يمكن
ان يورد قول ملايم لما نحن في صدده اعظم من هذا الذي كتبه سليمن المذكور وقال هكذا ايضًا

الخطية تشقي القبايل وقال في موضع آخر الاشرار يسقطون في رصدهم وقال في موضع
آخر لا يتقوى الانسان من قبل النفاق وقال في موضع آخر المنافق يسقط في نفاقه وقال
في موضع آخر من يزرع الاثم يحصد الشرور وقد طابق الحكمة هذا المعنى لانها قالت في
سفرها هكذا افتعال الشر يقلب كراسي المقتدرين في ص ٥ ع ٢٤ وكذلك ليس هو مختلفًا عن
هذا ما حرره ابن سيراخ في ص ١٠ ع ٨ الذي كتب لنا هذه النصيحة الجزيلة الاعتبار وابان
لنا انها سبب تشتيت الولايات غالبًا هناك وهنا بقوله ينزع الملك من قوم ثم يرد على
كلامه هذا قايلًا ويدفع الى غيرهم من اجل الجور والاسراف والتجري واعمال المكر فماذا
تقول اذًا يا معشر السامعين اتعمون ان تنخدعوا من مواعيد الاثم الغاشة اذ تنظرون
الى رتفعاتهم ولا تتاملون بعد هفتاتهم او انخفاضه فاتركوا اذًا طرايقه واكفروا بمسا يعه
وحيله واياكم ان تكترثوا بما يعلمكم اهل العالم الاغبيا بكتبهم الملتوية الشريرة بل اعلموا انه
لا شي مفيد ونافع سوى التقوى لان اشعيا النبي قال في هولا المعلمين الخبثا المنافقين
نسجوا العنكبوت نسجوا اعمالهم اعمال ليس فيها منفعة افكارهم افكار غير نافعة فليحفظوا
لنفوسهم شور ديدرس اليهودا الملعون الذي افتتحت به هذه العظة اي خير هو لنا ونحن
خير لنا ان نختتم مع متاتيا الى المكابيين الابطال قايلين ليتحنن علينا الله ليس منفعة
لنا ان نترك الشريعة وحقوق الله فليعدنا الاثم بقدر ما يشا من النجاح والسعادة الارضية
فلا نصدقه لانه لا منفعة لنا ان نترك الصواب من اجل الشهوة والديانة من اجل الطمع والناموس
ومن اجل عواطف الجسد والله تعالى من اجل احد ليس منفعة لنا ان نترك الشريعة وحقوق
الله لانه وما هو الذي ينفعنا سوى التقوى حسب قول الرسول الشاهد بقوله تدرب بالتقوى
ربح في كل شي لان هذه هي التي وعدت بالنجاح والنعمة لا في الحيوة العتيدة فقط حيث هي
اجرة المسيحيين الحقيقية بل في هذه الحيوة الحاضرة ايضًا حسبما زاد الرسول قايلًا ان
للتقوى ميعاد الحيوة في هذا الزمان وفي العتيد

القسم الثاني

قد خاطبتكم الى الان كانه ليس لنا حيوة اخرى سوى هذه التي نحيى بها في الارض والحال انه العدد
توجد جنة يا سادتي الاعزا وتوجد جهنم فان كنا نحن ينبغي لنا ان نترجى وجودهما فاذًا ولو انتهينا

ماذا اسلم بيران الرذيلة تسعدنا في العالم غالباً ولكن هل هذا كافٍ لان نقول عنها انها نافعة
اما العظم مسكنتنا نحن الذين نفكر فيما هو زمني ولا نعتبر ما هو ابدي اما قال عز قوله ماذا
ينفع الانسان لو ربح العالم وخسر نفسه يا للدمن قول اهل الاذن يكرم دائماً بصوت عظيم فوق
كل المنابر بل هو اهل الان ينقش باحرف كبيرة في اجدرة جميع المساكن والمخادع لكيلا يتوارى
اصلاً عن الابصار فاذاً ولو حصلنا ايها السامعون الاحبا على مرادنا في هذه الحيوة ماذا
ينفعنا ذلك بعدها نعم اننا نكون ربحنا بعض الشيء من الفرح غير اننا بهذا نكون خاطرنا
في ابديتنا او يا ليتني كنت استطيع ان افتح في هذا الصباح بازاء اعينكم باب الجحيم و
اريكم تلك المغاير مغاير المخاوف الجهنمية وتلك السجون التي هي سجون العذابات كنت حينئذٍ
انادي واحداً فواحداً من جميع اولئك الذين ماعرفوا وهم احيا في الارض الهاً اخر سوى رغبات
قلوبهم الملتوية وغصبهم بالتقسيمات القوية اذ دنوا كيما هي الان مسرتهم بايامهم السعيدة
التي مضت اين انت يا بوردهام ويا تيباريوس ويا توليانوس ويا اتريكوس وغيرهم مما هم على
نسقهم تعالوا هنا ولو كنتم متجلببين ناراً ومحفوفين بالحيات وموثوقين بالسلاسل فان
مشاهدتنا اياكم بهذه الحال تفيدنا جداً ماذا تقولون لقد تمتعتم في حياتكم كلما كان يحرضكم عليه
هواكم الردي قايلين في نفوسكم لتكن قوتنا شريعة العدل اليس ذلك صحيحاً اليس انكم
ما خشيتم الناس ولا اكرمتم الله لكنكم اعتنيتم فقط في مصالحكم ومنافعكم وسعيكم بهما
بالظلم على الفقرا والافترا على الابرار والمكر في الصدقات وخراب معانديكم وبدم العبيد
وتبلبل المسكونة ولكن ماذا تستفيدون الان من تذكركم بملذاتكم الماضية هل يخفف عنكم
شدة الزمهرير ويضعف حرارة الجحيم الناري هل تذكرون كم من العبيد كانوا يسجدون
لكم وانتم على كراسيكم الملوكية وكم كان يصحبكم من الاعوان في الشوارع وكم كان يقرظكم
من الشعوب في ايام عزكم صارخين بالظفر والغلبة للملك وكان اخرون يرسمون في قسمة الثمينة
صوركم واخرون ينقشونها حفراً في حجارة الرخام الصلدة وكانت تتقدم لاجل سعادتكم كل
يوم جيوش الشعوب في الحروب وربما كانت اكثر عدداً التي تتقدم على المذابح فماذا تنفعكم الان
هذه السعادة الماضية اخبروني ماذا تنفعكم لو كنتم تقدرون الان ان ترجعوا الى العالم وتلبسون
اجسادكم ثانيةً وتحيون حيوة جديدة فما هي العيشة التي تختارونها العلكم كنتم ايضاً تلجون
قصوركم الملوكية وتصعدون على المنابر الجليلة اه واأسفاه على اذني سامع باذني تقلبي هولا

300

المساكين يجدفون ويبرزون قولولاً بدل الاصوات ونحيباً عوض الالفاظ صارخين وهاتفين
ماهي القصور وماهي المنابر لتكن ملعونة الساعة التي بها صعدنا اليها ملعونين العبيد
الذين اطاعونا ملعون الفلك الذي رفعنا ياليتها كان يؤذن لنا الان نرجع الى العالم ايضاً لكنا
بلا محالة نجري ونسجن ذواتنا في القفار والثغور والكهوف والقبور والاوعار فهكذا يجيبني
متاسفين هولاء المساكين ولعمري انه يليق بهم ان يتحسروا ويتاسفوا لانهم يقيناً اقتنوا الكذب
بالباطل الذي لم ينفعهم كما قال فيهم ارميا النبي فيالهم من مساكين ومنكودي الحظ اما كان
احسن لهم جميعاً ان يكونوا عبيداً او اسارى لا اسياداً ولا حكاماً اين هم روسا الامم هكذا
هتف باروخ النبي قايلاً اين هم هولاء الحكام والملوك الذين ذكرناهم الذين يتسلطون
على الوحوش يعني الذين يربون هذا المقدار من الخيول ليركبوها ولتجر مركباتهم والذين يلعبون
بطيور السما اي الذين يربون مبلغاً كثيراً من الكلاب للاغوا والذين يخزنون الفضة والذهب
الذي يتوكل عليه الناس وليس انتها لاكتسابهم اي الذين لا يخافون من ان يجعلوا المدن
والبلدان تبكي من جرى الفاقة والفقر لكيما يغنوا لهم بيوتهم اين هم هولا اين هم فيجيب النبي
مردفاً وقايلاً استوصلوا واأسفاه عليهم استوصلوا تضمحلوا وبادوا ولكن كيف قال استوصلوا
مع ان هذا البلا هو قليل بالاشيء اما الذي هو اشر من الاستيصال فهو هذا اي انهم انحدروا
الى الجحيم وقام اخرون مكانهم كما ختم النبي كلامه فيهم فقال تركوا الفضة والذهب لفقرايهم
وهم ذهبوا ليسكنوا في وسط النيران هكذا تنتهي حياة جميع الذين لم يعيشوا بحسب
الشرايع الصالحة المحقة فيا لوفور سعادتنا اذا استفدنا من امثالهم اما نحن الجهلة فنحسدهم
على فلاحهم القديم غير متاملين شقاهم الحاضر ماذا ينفع الانسان ثم اقول ماذا ينفع الانسان اذا
ربح العالم باسره وخسر نفسه اما هذه هي قاعدة دينية وهو انه ان ربح الانسان بقدر ما
يشا من البرافير والارجوانات والصولجانات والاكلة الملوكية والتيجان الكماليسية وغيرها
من والكنوز الارضية فهو ما بالنسبة الى خسارة النفس اقل اعتباراً بلا قياس من ربح حقل صغير
بوراً بالنسبة الى خسارة مملكة مخصبة نظير التي حظي بها اغوستوس قيصر فاذاً كيف نعتبر
سعيداً ذاك الاثم الذي تعقبه الخسارة الكلية
الا انكم ربما تقولون عني باني لم اصنع في هذا الصباح شيئاً اخر سوى انني قد تكلمت في حكام و العبيد
حكامات وغالبكم المحتاجون الى الاستماع وعظي لستم من هولاء المذكورين ولذلك لستم انتم خاضعين

تحت هذه المخاطر العظيمة ومن ثم أن النصيحة مجتهدين بمصالحكم الدنيوية فلا تبلغ مساعيكم
الى اكثر من هذا اى الى أن تتقدموا على غيركم في تلك الدولة أو أن تزيدوا ربحًا على شريككم
في تلك المضاربة وما أشبه ذلك وتنتجون من هذا انه ليس لكم أن تخافوا من أن ينوبكم
هذا المقدار من البلوات الزمنية والابدية من اجل ارباحكم هذه الطفيفة أهذا كلامكم ولكن
ياليت نتيجتكم هذه تصح غير ان هذا هو العكس لاعظم أيها السامعون هذا هو الاثم الاشنع
اى انه من اجل اشياء يسيرة دنية نغيظ الله تعالى اسمه ونتعدى وصاياه ونطارده الكريم فلو اننا
نغيظه تعالى طمعًا في ارباح عظيمة باهرة لكنا اخطأنا لا محالة خطأ ثقيلاً ولكن اذا اغظناه
طمعا في خير يسير زهيد انما نخطي خطأ يشير الى جنوننا أوضح اشارة اما هذه هي الشكوى التي
ابانها الله على فم حزقيال النبي وذلك بقوله كانوا ينجسوني لقبضة من شعير ولكسرة خبز فكانه
تعالى شاء ان يقول بهذا الكلام الوجيز هكذا اسمعي ايتها السموات وانصتي ايتها الارض وياجميع
من فيهما ان شعبي هذا المحبوب والعزيز لدي الذي تفضلت عليه بانعام وافرة وانقذته من
اسر ضيق شاق ورفعته بالعز والقوة على سائر الامم قد اغاظني ونجسني ناكر الجميل ولكن لاي
سبب اغاظني هل تظنون انه فعل ذلك لكي يخصص لنفسه غنائم الجيوش المتكرمة كما صنع شاول
على انه لو كانت هذه بغيته لكنت اغتاظ منه كثيرا انما هل لكي يتخذ لنفسه الملك كما فعلت
عتليا فلو كان هذا السبب لكنت ايضا احتملته ام ليختلس احد املاك الناس نظير ما فعل اخاب
فلو فعل وقصد هذا لكنت جعلت له اقل خجلا أم هل طمعا في الذهب الكثير كما صنع جحزي لا
بل بهذا الصنيع كان ينجسني اخف تنجيسا ايضا فاذا من اجل اي شيء اغاظني وتعدى وصاياي
واحتقرني لقبضة من شعير ولاجل كسرة خبز اي نعم لهذا السبب اغاظني اي لقبضة من شعير
ولكسرة خبز فلاجل هذا الربح اليسير قد حول عبيدي ظهورهم عني ناكرين احساني وكذبوا اكاذيب
شنيعة واخوا اخترعوا تهمات بهيجة ودرسوا غشوشا ومكايد فاللة فكيف اذا استطيع ان احتملهم
بعد هذا فعلى هذا النحو كان الله تبارك وتقدس اسمه يشكو في الازمنة القديمة يا ايها السامعون
الاعزاء وهل تعرفون كيف يشكو في ايامنا هذه فان اردتم ان تعرفوا ذلك فيكفيكم ان تطوفوا شوارع
المدينة التي تجتمع فيها الخلق وتلجوا الفنادق المشتغلة وتفحصوا الحوانيت وترقبوا الدواوين و
تتاملوا ما يوجد هناك اعني كيف انه من اجل مصالح يسيرة وارباح حقيرة ترتكب آثام ثقيلة مميتة
ايضا ما اكثر الكذبات والخصومات التي تسمع هناك ما ابلغ المظالم والخيانات الخفية هناك فهناك

يوجد

يوجد اعظم الشرور فمن يستطيع ابدا ان يحصر [illegible] هناك ان يتمم هذه الجرائم المبرحة التي بها
تهان عزة ذات الله العلي الجبروت من اجل شيء يسير [illegible] تجازي بتقاص
صارم من يختلس طمعا في خزنته من المال ما يقاصص باعظم قصاص من يختلس بربح فضة واحدة
أن الخطأ لا يجوز ابدا لكن اذا كان الطمع المحرك الى هذا الخطأ اقل اعتبارا اشترط ان تكون ظروف
الخطية متساوية فالخطأ يعظم ويكبر لان الانسان وقتئذ يفضل على اكرام الله خيرا طفيفا
خيرا دنيا خيرا حقيرا متمتعا [illegible] فيتأسف المعذبون في جهنم
اولئك الذين يرون نفوسهم قد خسروا الله تعالى جاهدين احيانا في التملك على بلاد او على ممالك من
ممالكات الارض فليت شعري ماذا يصير بأولئك المنكودي الحظ الذين يخسرون هذه الخسارة
عينها ايضا ولكن لا لسبب جزيل بل من اجل قليل من الربا او من المضاربة بفضة يسيرة او من
اجل الطمع بارباح اخرى زهيدة تفهمونها انتم احسن مني اما ان هؤلاء الاشقياء العتيدون ان يرجعوا
ويعجبوا اكثر من العيس وليس [illegible] الذين باع احدهما بكوريته بثمن دنئ والاخر باع
مملكته بثمن حقير فهذه هي الخسارات التي يوصل اليها الطمع النفاقي في العلميات اذا تملك
في قلب الانسان ويوصل اليها الجميع احيانا كانوا او دونيا
او مرؤسين فاعتبروا الان انتم هل يوجد خير زهيد
يساوي هذه الخسارة العظيمة الباهرة ثم
اقضوا هل ينتفع الانسان من
انفاق الكمال يلح وينجح
في هذه الدنيا
امين
م

العظة الرابعة والثلاثون

تشتمل على اثبات انه لقد يطابق السيد المسيح احسن المطابقة التسمية التي اتخذ اليوم
في نصرته اي تسمية الملك المتواضع ثم ننتقل في اخر العظة الى ان ننتج من ذلك
نتيجة غير مالوفة من السامعين وهي ان الخطية ترجيهم   قولوا لابنة صهيون
ها هوذا ملكك ياتيك وديعا هكذا ذكر ورود متى الانجيلي في ص ٢١ من بشارته

العدد

لعمري انه لا يوجد شي يستبين به جهل الناس الباطل الواضح ظهورا من التسميات الفاخرة التي
يلقبون بها ذواتهم الكوني سابور سلطان العجم لما كتب رسالة الى قسطنطين الملك ما ارتاب
في انه يكني نفسه بها اخا الشمس وسليمن ملكي الاسلام كان يسمي ذاته تارة خاقان العالم
وتارة مالك الارض وسلمنذ ورس ملك مصر كان يدعو نفسه رب الجحيم وصاحب النعيم
وماذا اقول في ملك برتاغا وهو من احدى مملكات الهند الغير المعروفة فهذا حتى يومنا هذا
لم يتنازل عن تكبره الباطل بل انما ينسب لذاته اسما لا يمكننا ان نسمعهما من غير ضحك وهو انه
يلقب نفسه رب الحظ السعيد الملك صار العظيمة المظفر بكلما يراه والمرشد كل جاهل و
الغالب كل قوي ابو الفوارس الذي لا بد له سيد الشرق والمغرب والشمال واليمين ورب
جميع البحار الذي تهابه اقطار المسكونة الثمانية لعمري ان هذه القاب واهية وان جهالة
بهذا المقدار حتى انه بالنسبة اليها تستبين مهذبة محتشمة تلك الالقاب التي استعملها
غيره من الملوك كالملك اتيلا الذي كان يتلقب بصوت الله وديمتريوس الذي احب ان
يلقب بهادم المدن وغايوس قيصر الذي اراد ان يعبد كاله للجيوش الا انكم اذا لاحظتم جيدا ايها
السامعون فترون بمعرفة افتخار اشراحيت اختلاف القاب الترهيب اعظم حسنا كان يخدم كل
قايم في ان يخضعوا ويملكوا ويحزنوا ويهدموا   اما مسيحنا فالذي صنعه اليوم عند دخوله
منتصرا مدينة اورشليم فقد شاء واراد ايضا ان يسمي باسم خاص له كساير الملوك ولكن فلنفحص
قليلا لنرى ما هو هذه التسمية فنقول العله تعالى اتخذ له اسم الملك المهيب ام اسم الرب العزيز
اها ما اكرم ما افضل لنا اخطر ان ذلك في بالنا لعمري انه الاسم الذي استحبه لذاته فمختار هو هذا
نعني الملك الوديع حسبما ذكر عنه الانجيلي المتقدم ذكره بقوله قولوا لابنة صهيون
ها هوذا ملكك ياتيك وديعا ولذلك اخبروا كيف انه تعالى لم يرد ان يظهر في نصرته هذه

جالسا

302

جالسا على مركبة تسحبها النمور كالملك كاليغولاس او اسودا نظير قيصر انطونيوس او الفيلة
كمثل بمبيوس او الغزلان على شبه اوريليانوس لكنه راكبا على جحش ذليل ولم يرد ايضا ان تحمل
له سناجق المدن المذكورة ولا يتبعه من وراه جماعة الشعوب المستاسرين واذا اراد هو
ايضا بان تحمل امامه اشارات الظفر فعوضا عن اغصان النخل احب ان تظفر اغصان الزيتون فاذا
كان ذلك كذلك فينبغي لكم معشر المسيحيين ان تتاملوا كون مسيحنا هذا ليس هو الها شرسا
مخيفا كما يتصوره كثيرون بل انما هو بجملته تواضع ووداعة وحلم وبالتالي هو كله محبوب
ومن ثم املي ان يكون نصبي اليوم لديكم مبتدا لا باطلا اذا طاوعت هوى المسيح واثبت لكم انما
تطابقه هذه التسمية احسن المطابقة اي تسمية الوديع هوذا ملكك ياتيك وديعا والمفهوم
من ذلك هو انه بتقدير يحب ان يصبر اكثر مما يحب ان يزجر ويسر بان ينعم اكثر مما يسر بان
يوذي واقول ايضا انه مايل طبعا الى الرحمة والرافة اكثر مما هو مايل الى التاديب والمقاصصة وذلك
لكي ننتج من ثم من هذه الوداعة نتيجة تستبين للسامعين غريبة غير انها صادقة ومفيدة
جدا لمن يريد ان يعتبرها جيدا   ولكي نجعل الخطاب سالكا

العدد ٢

بسبيل مستقيم نقول ترى ما هي القاعدة التي تظنون انتم انني اثرت قبل كل شي ان اثبتها لكم
والحقيقة المقصودة مني لعمري انها هي تلك التي ربما انكم تستغربونها وتعتبرونها غير مناسبة
لهذا اي لقدرة الله الكلية اما تسلمون لي انتم بسهولة جزيلة ان الباري تعالى هو رب عظيم
بهذا المقدار حتى انه اذا سار ماشيا يجعل قواعد الجبال ترتجف جميعها من تحت قدميه واذا
نظر الى الشمس تعليل من الشراسة فللوقت يقتم لونها خوفا واذا اوحى مشيرا الى البحر فيسلك
يرتد الى الوراء احتراما لمولاه الوحيد واما تسلمون لي ايضا بان الرياح هي القصاد الذين يخدمونه
يرسل الى العالم مراسيمه اذ والرعود هي اصواته والبروق هي المبشرة بها وان له تحت علمه جنودا
السحابات والبرد والثلوج والزوابع والعواصف فيهلم اذا استبشر ولو حيى لكوني ابشركم بشارة
مفرحة وهي ان الغضب والمقاصصة مكروهان من طبيعة الالهية مع كونه غير وحل هو هكذا دايما
حسبما سلمتم لي وها انا اورد لسماعكم برهانا على ذلك قايلا لقد علم ارسطو وصعب ونوكروس
وسينكا الفلاسفة البارعون في الالهيات ان سهولة الغضب في الانسان تصدر من الضعف
لكون الضعفاء اسرع الى التغافل بانهم يحتقرون اذا صفحوا ويتوهمون ان عدم الانتقام يجب
عليهم جبانة لا حلما وضرورة لا اختيارا من تلقا نفوسهم ومن ثم تشاهدون المراة غضوبة جدا

من عيوب طبعها حسب نص الكتاب الالهي القايل ليس غيظ على غيظ المراة وذلك لان المراة
من ذات طبعها ضعيفة جدًا ولهذا السبب نرى الناس المرضى اسرع الى الغضب من الاصحا و
الشيوخ اسرع من الشباب والفقرا اسرع من الاغنيا الموسرين حتى وفي الحيوانات ايضًا هو من
المعلوم ان التي تسرع اكثر سرعة للدغ من يمسها هي الزنابير والافاعي والجرذان اما الحيوانات
الاقوى فلا يصنع هكذا على ان الذي هو قوي وقدير يعلم ان الانتقام هو تحت مكنته كل مرة
يشاه ولاجل ذلك يمهله مرارًا شتى ودفعات اخر يعرض عنه ولا يعتبر المعركة مع اناس ادنا
منه مجدًا لنفسه وهذا هو ما قد رام ادريانوس قيصر ان يشير اليه لما التقى برجل كان قد
اغاظه قبل ان يصير ملكًا لانه لم ينتقم منه وقيل في تاريخ البشر انما قال له هاتين الكلمتين فقط
قد خلصت مني يا انسان فكانه يريد بقوله له انني انا اليوم ملك عظيم ولذلك لا يليق بي ان
انتقم من رجل دني الحسب مثلك ولهذا بحق من حرري هذا جميعه طوبوا قاله القديس
امبروسيوس ايضًا هكذا هذه هي سنن الطبيعة وهي مطبوعة في ام بداخلنا مكتوبة في
الاحرف اي ان الذين هم متخولون سلطة اعظم هم ارحم في المقاصة ومن شان الاسد الضرغام
بان لا يكترث بنبح كلب صغير وقد يعلم كل انسان ان الافلاك العلى هي اصحى من الافلاك
المنخفضة وان بعاد الاعمق هي اقل اضطرابًا فلنا تين الان الى انتاج مطلوبنا اما سلمتم لي ان الله هو
اقدر من الكل فاذًا يجب ان يكون مايلاً الى استعمال الرافة اكثر من الكل وبالتالي هي مكروهة على
طبعه الالهي الاساة والمقاصة بل انما هي مطابقة له الرحمة والمسامحة لعمري ان هذه عبارة
جزيلة ايها السامعون وان شيتم ان اوضح لكم جليًا ممن استفدتها فاعلموا انني قد استفدتها
من الاصحاح ١١ ص و ٢٤ ع من كتاب سفر الحكمة حيث يقول متكلمًا عن الله هكذا ترحم الكل يا رب
اي انك انت اللهم وديع وحليم ورؤوف على الكل وما هو السبب لذلك فهو لانك قادر على كل
شي وقال لانك قادر على كل شي ولم يقل لانك تحب الكل فاذًا قدرته الكلية هي سبب رافته و
اناة روحه لا محبته فقط ولعمري انا حينما نستميح منه الغفران عن خطايانا في سر الاعتراف
المقدس لا نلاحظ باعترافنا له كونه صالحًا حليمًا ورؤوفًا لكن لكونه قادرًا على كل شي فلذلك بمقدمة
الاعتراف ونحن جاثيون تحت قدمي الكاهن اننا نعترف لله القادر على كل شي وذلك لهذا السبب
اي لكي نلتزمه بالغفران مذكرين عظمته الالهية ان الصواعق ليست هي من شيم القدرة العظيمة
ومن ثم اذا عاملنا انسان فلذلك فيتم بنا ما قاله ايوب الصديق اعني انه يدوس الورق اليابس ويطرد

القش

العدد ٣

فقد ثبت اذًا ثباتًا واضحًا جدًا ان المقاصة
القش اليابس
ليست هي بحسب مسرة الله وعلى الحقيقة لا يسوغ الواحد ان يرتاب بهذا المقال بعد ان
شهد به اشعيا النبي بالفاظ بينة وواضحة مصرحة بهذا المقدار حتى انها لا تقبل تحريفًا
ولا تفسيرًا البتة على ان هذا النبي زعيم الانبيا قد رتبه مشيرًا الى ان الله يغضب اخيرًا على شعبه
قايلاً يغضب الرب الاله بعد ما نطق بهذا في الاية موضحًا ان غضبه هذا هو خلاف
طبعه الالهي وهو عمل غريب عنه لا يبدو منه الا كرهًا عنه وذلك بقوله يغضب الرب ليصنع
عمله غريبًا عمله غريبًا عنه فهذا هو بلا ارتياب يشوبه اصلاً كما فسر هذه الاية مار
ايرونيموس قايلاً اي انه ليس هو عمل الرب ان يهلك من خلقهم ويقاص الخاطيين هذا العمل
هو غريب ومكروه عنده فهو الخلاص انتهى اليس ان الله خالق فاذًا الاخص له ان يسرع عوضًا
الذين خلقهم والعمل ليس هو الخلاص فاذًا لا يستطيع ان يشا هلاك الذين يلتزم بخلاصهم

العدد ٤

ثم انني ابتغي ان اضيف على شهادة النبي براهين عقلية ولكن احسنوا الاصغا اليها فانها ربما
تلذذكم فنقول من اين نستدل على ان الملك يهدم القلعة المحاصرة منه ويهدمها دكًا دكًا
رغمًا عنه اليس من مشاهدتنا اياه طالبها اولاً بالصلح والتسليم وقد امتنعت عن ذلك
ومن اين نتنج ان الجرايحي يستعمل كرهًا عنه النار والحديد مع العليل اليس من معاينتنا انه
قد جرب اولاً في علاجه الادوية اللذيذة ولم يبرا ومن اين نعلم ان الاكار يستقضي قهرًا عنه
بالنشر والقطع على الشجرة المغروسة في بستانه الا من كوننا نتحقق اولاً انه لا يستطيع ان يجددها
بالتطعيم ويجعلها مخصبة ولم يستطع ذلك وعلى هذا النمط نقول ان كلمن يتحقق اولاً
ويستعمل الادوية الشافية لخلاص الرب يبين واضحًا انه نذعنا وكرهًا غصبًا ياتي فيها ابعاد بالمقاصات
اخبروني الان حتمًا بايمانكم اية انواع توجد من الاسباب العذبة لتهذيب قلوبنا وتربيتها ولم
يصنعها الله جلت مراحمه معنا قبل ان يخرج العصا ويشهر الزند اينا نعمة لم يفعلها
معنا اية تمليقات لم يتملقنا بها اية الهامات لم يرسلها لنا اية امثال صالحة لم يقدمها لنا
اية دعوات قوية لم يدعونا بها قال الملك والنبي صالح ومستقيم هو الرب فلم لم يقل مستقيم
وصالح هو الرب بل قال صالح ومستقيم وذلك لان الله يصنع معنا الصلاح والرافة قبل استعماله
الصرامة انني ارى اختلافًا حسنًا في مهنتين مع انهما متشابهتان الا وهما ولحد اعضهما الصيد
في البحر والقنص في البرية فغاية هاتين المهنتين هو الصيد لكنهما تختلفان بالوسايط لان

الصياد في البحر يجتهد في ان يخدع الاسماك باشيا حلوة والطعمة لذيذة محبوبة ويحتال كثيرا لئلا
يخيفها ولذلك خوفا من انها تشعر به وتجفل فيقصد صيدها بالمكر في ظلام الليل فيخفي
الشباك ويغطي السنارات صامتا متدلسا قاصدا بذلك ان يجعلها ان تبادر اليه من قبل
ذاتها وبالنتيجة اذ يخدعها بنوع ما حتى يصطادها ويمسكها وهي لا تعلم اما القانص
بالبرية فلا يصنع هكذا بل يخرج الى البقاع بجلبة وضوضا بالخيل والكلاب والسلاح ويهتف
بالبوق كانه يريد يحارب الغابات ويدعو الدباب لكي تخرج من اوكارها والخنازير من كهوفها
ويهيج السباع ويعد الرماح ويتعارضها بالتفنكات واذا ما خافت تلك الوحوش واخذت
تهرب فيسبق ويقف لها عند المنفذ وهناك يهجم عليها ويرشقها بالرصاص ويطعنها
بالرماح ويوقفها ويهشمها حتى انه ولا شي تلطخ يداه وثيابه من دمها فمن ثم ان لاحظنا
جيدا فنرى انه يوجد هذا الاختلاف ما بين الصياد في البحر والقانص في البر وهو ان احدهما
يطلب صيده بالمحبة والتمليق والاخر يطلبه بالعسف والقهر فلنتامل الان ان الله جل ثناوه يستعمل
معنا هذين النوعين من الصيد ليصطادنا ويكتسبنا له ولكن ما هو النوع الذي يستعمله تعالى
معنا قبلا فهو الذي يستعمله الصياد في البحر لانه يجتهد اولا ان يجذبنا اليه بالهدايا و
المواعيد وبطعم انعامه اللذيذة واذا ابصر انه لا ينجح بهذا فانه يستعمل معنا اخيرا نوع الصيد
الاخر الذي يستعمله من يقتنص في البر وحينئذ يهتف علينا ويقتدي بتخيفنا ويقيم علينا حربا دموية
ليصطادنا ويملكنا بها وان كنتم لا تصدقوني فاسمعوا ما يقوله تعالى نفسه وصدقوه ان احببتم
لقد قال عز قوله بفم ارميا النبي هكذا ها انذا ارسل صيادين ويصطادونهم وبعدها ارسل قناصين
ويقتنصونهم لاحظوا هذه الكلمة الوجيزة ولا تعبروها وهي قوله وبعدها على ان الله تعالى
قال انه يرسل اولا صيادين اي يستعمل الصيد والمراد بالصيد انه يعاملنا قبلا بالتمليق ويستعمل
معنا ما هو لذيذ وحلو لانه صالح هو الرب   ثم اذا ما ابصر انه لم ينجح بهذه الطرايق فيستعمل
بعدها التقنص لانه بما انه مستقيم يغضب ويأتينا بالمر والقهر ليصطادنا لا تزال ابوابه ان اخذتوا
بايديكم الاسفار المقدسة واتلوها فتتحققوا ذلك ها هوذا قد ارسل اولا الى ارض مصر والحسني الرخا
المشهورة السبع وبعدها جعل تعقبها سني الغلا السبع ولقد اعطى داود الملك اولا ملكا
مخصبا بشعب لا يحصى عدده   ثم عرّبه بالطاعون واعطى بيت حزقيا خزينة وافرة اولا ثم بددها
بالنهب ومنح بيت اخاب ملك اسرايل بنين كثيرين اولا ثم خربه بقتلهم وهكذا لقد انتقم ابيا اولا

منذ

304

منذ الابتدا ان يصطاد ابوينا الاولين بالطعم الحلو اي بالثمار الكثيرة الطيبة التي قدمها لهما
للتمتع في الفردوس الارضي واوعبهما ملذات وملاهما معرفة ووعدهما بعدم الميتوتة اولا ثم
لما ابصر انه لم يصيدهما بهذه الطريقة استعمل معهما الاقتناص وطردهما من الفردوس وسلط
عليهما كلبين قاسيين يعضدانهما دايما وهما التعب والوجع وبهذا المنوال اصطادهما ولكن
ما بالنا موردين اخبارا كثيرة لبيان مقصودنا والحال ان جميع الخطاة اذا ارادوا ان يقروا
الحق يقولون ان الله سبحانه يعاملهم اولا بالرحمة ثم ياتيهم بالصرامة فلا ريب اذا في ان
استعمال القصاص والصرامة ليس هو عنده محبوبا مرغوبا ولذلك هو مستعد دايما الى
الاحسان اكثر من استعداده الى المقاصصة والمفهوم بهذا انه يميل بطبعه العظيم نحو الصيد
بالمحبة والتلطف اكثر مما يميل الى استعمال القنص بالقهر والعنف ومن ثم كل مرة تذكر في الاسفار
المقدسة هاتان اللفظتان معا اي الرحمة والعدل فتذكر الرحمة قبل العدل دايما كما جا في
سفر الزبور الالهي في مواضع شتى وذلك بقوله ارسل الله رحمته وحقه   ورحمته وحقه
من يفحص رحمة وحكما اسبحك يا رب واوضح من ذلك قال ايضا هكذا اصلح هو التعبير
بالغداة برحمتك وبحقك في كل ليلة قاصدا بذلك اعلامنا انه اذا حلت علينا قصاصات
من الله فتاتينا عند المسا اما النعم فهي التي تنهمر علينا في الميدان قبلها في الغداة
فلنتقدم الى ما قدام ولنقل ان الانسان يرغب عملا ما لا يصده عن اتمامه اي غرض كان لكن   العدد
يقاوم كل ضد ويغلب كل صعوبة اما الله تعالى فمن شي قليل وحين يعرض عن مقاصصتنا
وادنى حجة تكفيه لان يرضى واخف سبب يقدم له يقنعه ويرده عما هو فاعله بنا من
الشر فلنات على اثبات قولنا هذا ببرهان واحد جليل فاصغوا لاستماعه ان احسنتم الراي
لقد كان الله جل ثناوه عزم مرارا عدة في البرية على اهلاك شعبه الذي اسخطه وصار لديه
غير محتمل من قبل الجرايم التي كان كل يوم يجترمها كالتذمر والسجود والكفر والتجديف و
الغش وغيرها الا ان موسى قد اعترضه على الدوام وصده عن اتمام عزمه ولكن ما هي الحجة
التي اوردها لله تعالى فهي هذه لا يقل اهل مصر انه اخرجهم بمكر ليقتلهم بين الجبال ويبيدهم
عن وجه الارض فكانه يريد يقول لئلا يقول المصريون اذا سمعوا ذلك يثلبون
عظمتك الالهية قايلين ان اله العبرانيين اخرجهم بمكر من المدن الى ليبيا في وسط القرى
الى البرية ليقتلهم هناك فما ايها النبي النبيل فقد فطنتها وعرفت ماذا تتكلم لانه كيف

قد استبانت لك هذه حجة معقولة صوابية حجة اهل التعرض لا لمن ذي عقل كلي الحكمة والجلالة ماذا تظن ايسوغ للعاقل ان يعدل عن تكميل وظيفته خوفاً من ان يذمه غيره باطلاً فان تاكد ذلك ينتج انه يجوز للحاكم ان يعدل عن تاديب العصاة والقاضي عن مقاصة المذنبين وقايد الجيش عن كبح المستجيف فليذمهم اي من اراد وليتشكك بقدر ما يشا فان هذه شكوك باطلة واهية والذي يتوهم عليه منها فلن يصنع خيراً ابداً فيخالف وظيفته ومع ذلك جميعه فلا تصدقوا ان هذه الحجة الضعيفة الركيكة اي حجة موسى قد كفت لان تخمد رجز الله في كل وقت لان الله لا يبالي بمثل هذه الاقوال والمذمات الواهية البتة فقد تذمر كثيرون على يسوع مخلصنا لابرائه المستوبين في يوم السبت ولكن العلي تعالى ما عدل عن ذلك لتشفيهم وتحققوا عليه ايضاً لمعاشرته العشارين ليجتذبهم الى التوبة فهل تراه كف عن التردد معهم وتشكوا منه لانه قبل المجدلية برحمة ووداد ولكن هل طردها عنه مغضباً حاشا وكلا لاحظوا هذه العبارة التي اقولها لكم لانها اهل للاعتبار ان الله رحمة كفت لان تمسك الله عز وجل عن المقاصة لا لتمسكه عن الاحسان فمن ذا الذي لا يرى ان ذلك لا يصدر الا من كونه تعالى بمقدار ما يميل ذاتاً وطبعاً الى الرافة والاحسان بمقدار ذلك هو مبتعد عن الصرامة واجرا العقوبات

ولكن ما الذي قلته والحال انه لقليل هو اذ كان الله يعدل عن مقاصتنا من اسباب ضعيفة وحجج ركيكة على ان الابلغ من ذلك هو هذا اي انه جلت رحمته يطلب هو بذاته متشوقاً من تقدم ما له ليصده عن التاديب الذي يكون فاعله ومن ثم قال على فم حزقيال طلبت رجلاً يتوسط بالسياج ولما لم يجد فما اكثر ما يتالم ما اكثر ما يحزن وذلك طبق ما حرره اشعيا النبي قايلاً هكذا وراى انه ليس رجل ولكن ماذا صنع عز اسمه فتحير من اجل انه ليس احد يتوسط متشفعاً كما يوجد في النسخة السبعينية فاقضوا من هنا ايها السامعون هل ربكم يحب القساوة ويسر بها انه اذا كان الرجل مغضباً كثيراً فلا نستطيع ان نصنع معه عملاً يزيده غيظاً وكيداً الا بالتوسط والتعارض له حينما يكون متقداً سخطاً ومتحمساً على الانتقام لاننا اذا اثرنا ان ننزع من يده وقيتذا السلاح او نمسك ذراعه فلا نبالي من ذلك شيئاً اخر سوى تطويح نفوسنا في خطر الضرب المعد لغيرنا والذي يحقق كلامنا هذا فهو يوناثان ابن شاول فهذا الشاب كان محباً لداود جداً كما هو معلوم عند الجميع وذلك

لما

العدد ٣

٧ بلا وفي النسخة الاصلية ليس احد يصلي كما انتقل ينتفي اوفي احد انه ليس احد يصلي مع

لما ابصر اباه شاول مغضباً على داود حبيبه احتسب نفسه ملتزماً ان يتوسط ما بينهما وان يصالح اباه معه ولكونه كان حكيماً اتخذ فرصة مناسبة ووقتاً ملايماً عند جلوسهما على المايدة ليكلمه بشجاعة في شان حبيبه فقال هاتين الكلمتين على ماذا يموت داود ماذا صنع فلم يتم كلامه هذا الا وقد كان ان يقتل من اجله ومع انه كان الابن المحبوب والخليفة والوريث فلم تفده هذه المذكورات شيئاً ولا صدت اباه عن رفع الحربة في الحين ليرميه عليه وبقتله بل رفع شاول على يوناثان الحربة ليطعنه ومثل هذا وجدت ايضاً في التواريخ ان البيسيفطين قتلوا لقساوة غريبة اناولوس ملكهم لانه اثر ان يمنعهم عن محاربة الرومانيين وكذلك الدانيون قتلوا ظلماً ازيكوس ملكهم لانه كان يسعى بان يحفظ السلام ما بينهم وبين الونذ اليين الذين كان اوليك يبغضون بمعاداتهم وهذا نفسه قد اتفق لغيرهم كثيرين ايضاً الذين يمكنني ان اورد لكم اخبارهم فلا تتعجبوا من ذلك اذ انه لا بد لكم ان تكون درايتم نهراً ملتهباً قتاماً من جبل عالٍ كانه يتهدد بجلبة عظيمة حتى من البعد على الحقول بالخراب وعلى الحروض والزراعات بالاستيصال وعلى المواشي بالغرق فان الذي يختبر قبل الجميع ثباره سواء كان صخراً او غيره مما يلتقي به فعليه يطلق مياهه وعليه يزبد وله يلطم وعليه يقسو ويصوب نحوه كل قوته وغزايمه ولا يرتد عنه حتى انه يزحزحه ويقلبه ليتبع مسيره ويعاود على الحقول القاصد غرقها واتلافها كانه مدعي ان يكون جارياً قبلاً باخف عزم ليقتحم بالحرب عليها فيصير بعد تلك المقاومة اشد هجوماً واعظم قساوة وبانتصاره يكثر الخراب والدثار فعلى هذا النمط يجري فيما نحن في اثاره على ان الذي هو متقد بالغضب جداً فلا شي يزيده سخطاً بمقدار من يقصد ان يمانعه فلا يحتمل ويقبل الوسايط فاذا نقول لذا ان الهنا الذي ليس هو رقيقاً بان يوجد من يتوسط ما بينه وبيننا ويهديه عن اجراً جرمه علينا بل يطلبه متشوقاً ايضاً هوذا سمعتم ما قال بلسان حزقيال النبي طلبت رجلاً يتوسط بالسياج ويقاومني عن الارض لئلا اخربها ولم اجد ايسوغ لنا بعد ذلك ان نقول انه يحب ان يقاصصنا ويفرح ان يضربنا ويلذ له عذابنا لا لعمري لا نشا ذلك اصلاً لكن بالاولى نقول انه جلت رحمته لا يمكن ان يغضب الا مضطراً مقصوباً الا انه فهذا الشان هتف حزقيال النبي قايلاً عن لسانه تعالى العل مرضاتي هو موت المنافقين يقول الرب الاله اظن انكم تعترضون عليّ قايلين لقد تكلمت حسناً

العدد ٢

يا ابانا ولكن ان كانت كلماتك صادقة فلماذا اذاً قد تصور الله سبحانه في اسفار المقدسة بعبارات
مخيفة وامثال مهيلة تشير الى الشراسة والصرامة التي يبان انها تتعدى حدود اللياقة
وكيف لا والحال انه لا يوجد وحش اقسى من الدبة اذا ارتبت هايمة في كهفها طالبة
اجريتها المسروقين منها ومع ذلك فقد مُثل الله عز اسمه بها في هوشع النبي بقوله الاقيم كدبّة
اذ سرقة جراها او هل يوجد شي ارعب من الاسد اذا هم زايراً على الفريسة وقد عبر عنه
تعالى بها ايضاً في اشعيا بقوله كما يزار الاسد على فريسته هكذا ينحدر رب الجنود او هل يوجد
شي ارهب من النار اذا علقت بالغابة وقد شبه الله عز اسمه بها في ناحوم اذ قال سخطه فاض
مثل النار واي شي ارعب من الزوبعة اذا تعالت في الجو وتهددت في الخراب وقد قيس ايضاً
بها في اشعيا النبي اذ قال ها هوذا ججوج الرب جز خارجاً عاصفاً هاجماً فكيف اذاً لا يكره
الله المقاصة والحال انه قد استعمل لتعريف طبعه عبارات وتشابيه كذا شرسة يرجعه اجيبكم
ان هذه العبارات عينها تبرهن اوضح برهاناً بانه يكره المقاصة غير انني اسالكم ان لا تملوا من
الاصغا الى كلامي فاقول اخبروني اذا كان لكم عدوان ايهما تظنون انه طالب مساءتكم اعظم طلباً هل
الذي يكمن على حياتكم متزيناً بالتبسيم في فمه والطلاوة على وجهه والعسل على شفتيه ويدعوكم
مثل قايين الى النزهة بالحقول قايلاً لنخرج الى الحقل ام ذلك الذي يوضح لكم او قت عبوسة وجهه
ويريكم السلاح مشيراً لكم على الضربة ويتوعدكم من البعد بضجة عظيمة وتنمر بليغ لا ريب
انكم تجيبون قايلين انه الاول وهذا هو راي القديس لاون الكبير في الخطاب ٩ الذي قاله في صوم
الاربعين حيث قال هكذا ان الخطر من العدو الخفي لاعظم من خطر العدو المبين ان العدو الذي
يتهدد لا يستطيع الا على اقل مضرة وذلك اما لانكم تقدرون على ان تهربوا منه او لانكم تقدرون
على ان تستلقوه بالضرب او تسبقوه بالمصافة او قلما يكون الا انكم تقدرون على ان تهادنوه
وتصالحوه في اوان مناسب لكن العدو الخفي بخلاف ذلك فانه يود حقداً ويرغب بهذا المقدار
حتى انه يضرم في قلبه خطير النار تحت الرماد ليحفظ حياً ولا يطفى فاذ كان ذلك كذلك
فليتجلب الله باشباح مرعبة هايلة بمقدار ما يشا وان كانت لا تكفي تلك الامثال المذكورة
انفاً اعني بها اشباح الدبة والاسد والنار والعواصف فليزد غيرها تلك التي ذكرها داود
النبي في مزموره اذ ابى ليركب فوق مركبة الكثيفة السحابات التي تحجب عن العالم الشمس وليرعد
بغتة من العلا مرجفاً الجبال وليوتر القوس ويضع عليه النبل ولكي يزيد الرعبة في قلوبنا

ليقم

ليقم في الحين يوم ان يرشقها التكن حولنا مستعدة الى امتثال اوامره الوفاً من الصواعق
ولتاعقد موافقة مهيبة سائر الضربات المخيفة اي الحرب الاستيصال الحقول والفقر الخراب
القبايل والحروب لتبديد المدن والطاعون لقطع الممالك ولكن ترى ما هو صنيع الله
تعالى بهذه الاشباح المفزعة فاذ كنتم لا تعلمون ما هو صنيعه فيجيبكم داود النبي والملك
القديس قايلاً انه يعطي بها للذين يتقونه علامة مضمونة انه ينبهنا لنحذر ونتحول
ويعلمنا ان نتخذ سلاح الصلوات ونلبس خوذة الاسرار ونجتهد ان ننال في رضاه تقليل
من الرضوخ والاتضاع امامه والتيجي ثانية بالهداية الينا لكي يرددنا وينبهنا لكي يصلحنا و
يقدم لنا مقاصاته لكي يصفح عنا كما قد احسن ها هنا القديس امبروسيوس فلا ريب اذاً في انه
تعالى ليس لمقصد الانتقام لان الذي يحب الانتقام عن جد لا يتوعد به سلفاً وذلك يطابق
راي القديس اغوسطينوس الذي زعم وقال ان الذي يريد ان يجرح لا ينبه قايلاً احذر
تاملوا كيف يصنع جنود الجيش الذين يقصدون ان ينتقموا عن جد من تلك القلعة
المضادة لهم فيبيدوها بالحديد والنار على حين بغتة يختفون حذراً من اهلها خاشيين سراً في الغاية
الكثيفة ويحفرون سبلاً مخيفة تحت الارض ويفتحون لغماً الثرى ويختارون الكنف
ظلام الليل ليهجموا عليها ولانهم لا يامنون عليها كلياً فيسترون الاسلحة خوفاً من ان
يكشفها ضوء النجوم اما الله عز وجل فلا يصنع هكذا على انه حقاً المحتم انه ياخذ قلعة
اريحا ويخربها فماذا ترى يصنع فهكذا صنع وهو انه جعل عسكر العبرانيين يطوفون حول
اسوارها في الظهيرة وينشر البيارق ويهتف بالابواق ويجلب جلبة عظيمة بساير الالات
الحربية حتى وبالصياح ايضاً لعمري ان السبب في ذلك ليس هو الا انه لا يحب ان يدرك
الخاطي بغتة وقد شهد على ذلك حسناً القديس باسيليوس في شرحه سفر اشعيا النبي
قايلاً هكذا ان هذه هي خاصة حلم الله نحو البشر لانه لا يميز المقاصات سراً او صامتاً
لكنه ينذر بها قبلاً بالتوعيدات وبهذا الاسلوب يدعو الخطاة الى التوبة انتهى فاذاً
تمهد بذلك الله دليل واضح في انه يقاصص كرهاً وزعماً عنه لا بفرح وطيبة نفس
وكيف لا تقتنع بهذا اقتناعاً كلياً ونكف عن طلب برهان لذلك ابلغ والحال اننا نرى ان الله العادل ٨
سبحانه قبح يعاقب القصاص بعد ان يكون توعد به ايضاً ويتباطا عن اجرايه زمناً مديداً
فاحكموا اذاً هل يلذ له عقابنا الذي يمطله بهذا المقدار ام لمن الواضح البين انه ما السامعون

انا نحن نصرف زمانًا كثيرًا في بنيان برج شامخ جليل الاثر ولزومنا الاً زمان كثير في تاسيسه ثم
في تاسيسه ثم الى اشادته ثم في تسقيفه وتزيينه وتكميله ولكن اذا اردنا ان نهدمه فنصنع
خرابه عاجلاً لاننا بتعب يسير وزمن قليل نلقيه على الارض دكًّا دكًّا وعساكم تظنون ان
هذا يتم في الله عز اسمه ايضًا فيجيب الذهبي فمه قايلاً كلا كلا بل ان الامر يجري بخلاف لانه تعالى
اذا اراد ان يبني فيبني عاجلاً واذا اراد ان يخرب فيخرب متباطيًا فاذًا نحن نتماهل بالابتنا ونسرع
بالخراب والله جلت مراحمه يسرع بالابتنا ويتباطى بالخراب وان كنتم تطلبون لهذا قياسًا جليًا
وبرهانًا فلست اتعب بتقديمه لكم ها هو بين ايديكم فاخبروني بكم من الايام اكمل ايجاد البنا
العظيم السمي العالم لعمري انه لا يجهل احد ذلك اي انه اوجده بستة ايام واما هينا اراد ان
يخرب مدينة واحدة لا العالم وقد كانت مدينة صغيرة لا من كبار مدن الارض فاصرف في ذلك
سبعة ايام وهي مدينة اريحا التي اتينا بذكرها انفًا فقد امر ايشوع قايد الجيش قايلاً اذهبوا
وحوطوا بالمدينة سبعة ايام فاني اعدكم ان ستسقط اسوارها في اليوم ٧ . اي في اليوم السابع
تسقط يا الهي هذه المدينة الحقيرة اين هي ههنا قدرتك يا رب هكذا يهتف الذهبي فمه قايلاً
اين هو جبروتك اين ذراعك القوي العزيز لقد نظمت العالم باسره بستة ايام وتخرب مدينة
واحدة بسبعة ايام افليس انت بذاتك الذي بستة ايام فقط انشأت هذا العالم المتسع و
اقمت الجبال الشامخة التي يبان كانها تساوي بارتفاعها علو السما وحفرت الاودية التي
يبان انها تخفي بجوفها اللجج العميقة اما هو انت الذي بزمان قليل وضعت حدودًا للبحر
وفتحت مجاري للمياه وانبتت المروج وغرست البراري واغنيت السما ورصعتها بالنجوم
فان كنت اذًا صرفت ستة ايام لا غير بانتظام العالم كله وترتيبه فكيف تصرف سبعة ايام
في نقض مدينة واحدة فلا تتعجبوا من هذا ايها السامعون لكونه تبارك وتعالى اراد ان
يحقق لنا ما قد تقدمنا فقلناه اي انه يسرع بالابتنا ويبطي بالخراب فنحن نتعب بالبنيان
اكثر تعبًا من النقض والله يتعب بالنقض اكثر تعبًا من الابتنا لان النقض هو عمل الانتقام سجل
تناوله المقت والنقصانات ولذلكم السبب يتباطى ويتمهل ويسير اسمعوا كيف يتكلم بفم اشعيا
اه اني اتعزا على اعداي وانتقم من المضادين فكانه يقول العلي اسر بفعل ثقيل علي جدًا
اي بقتل اعداي فالاولى بان اتسع معهم اكثر زمانًا لانه يعلم انه كان لا يتوبوا ويرجعوا
الحق فيما بعد من يعلم انه كان لا يأتي وقت فيه ينتهون لسياتهم ويبكون عليها متاسفين

فاذا

307

فاذا يا الحليم ايها الغير المتناهي [illegible] عساكم ما تيقنتم ايها السامعون ان انفاذ المقاصات هو
مكروه من طبعه وهواه الالهي بل انما هو تعالى كله بجملته رحمة وحلم وبشاشة وودادة
وبالتالي يطابقه الاسم الذي اتخذه لما اليوم اي اسم الملك الوديع قولوا لابنة صهيون
هوذا ملكك ياتيك وديعًا اني اسالكم بان لا يخرج احد منكم من الكنيسة بل استمروا جميعًا
لتستمعوا القسم [illegible] من العظة لاني عالم جيدًا انكم ما قلته الى الان ربما لكم غير مفيد بل ربما
موذيًا ايضًا ولكن امهلوني لاستريح قليلاً ثم تروني ما اعزز الفايدة الواجب ان نجتنيها
من هذا الذي يستبين لكم مضرًا او قلما يكون غير مفيد

القسم الثاني

العدد ٩

هلم الان واسمعوا ما هي الفايدة التي ينبغي لنا ان نجتنيها مما قدم شرحه قلنا ان الله تعالى اسمه
القدوس لا يهوى ان يقاص من حلم طبعه الالهي وهذا الحق لا ريب فيه ولكن ربما انتم تجيبون
انتم قايلين فهل اذًا نستطيع نحن ان نخطي بامان وطمانينة فالجواب ان هذه النتيجة كاذبة
ومنتم لا تعرفون ما هي النتيجة الصادقة التي انتجها انا خلافًا للتي نتجتم المذكورة وهي هذه
اي ان الخطا الشر جسيم باحفظ جدًا لانه مع ان الله عز اسمه يستصعب المقاصة جدًا
كما برهنا فيما تقدم من الخطاب على انه ملك وديع ومع ذلك يضطر من اجل خطا عرضي
ايضًا ان يرسل مقاصات مريعة ظاهرة ومتواترة فهذا نفس برهان اكيد وواضح على ان
الخطا شر لاحقاق شرًا اعظم مما يستطيع العقل البشري ان يدركه

العدد ١٠

وفي التحقيق انه لا يستطيع احد ان يحصي كثرة المقاصات التي اوقعها الله تعالى لا ينتقص
ذنوب بالكاد حسبت ذنوبًا قلنا ثم نكتفي بذكر بعضها قايلين لقد كان تابوت العهد العتيق
جايزًا محمولاً يومًا اما في ارض اهل بيت شمس ومن حيث انه صيته كان ذايعًا في تلك المصاف
من اجل الايات الغريبة والعجايب الباهرة التي كانت تصير به خرج اوليك الشعوب سريعين
ليعاينوا ما به وهو غير مغطى وقد فعلوا بذلك السنة التي كانت تامر ان لا احد من الشعب
عدا الاحبار ينظر به الا ولا الكهنة قبلما يغطى حسبما ذكر في سفر العدد ومع ذلك هل تصدقون
انه لاجل هذا الذنب الطفيف مات بضربة الله سبعون نفرًا من اعيان الشعب وخمسون الفًا
من العامة وكذلك ذنبًا خفيفًا ذنب ناداب وابيهو ابني هارون للتجاسر وامر قبل عدم رصد

العقل الا من الوقاحة فوضعا في المجمرة نارًا غير مقدسة فمن اجل هذا خرجت نار من المذبح و
احرقتهما فماتا حالًا وقد كانا ايضًا جرمًا طفيفًا اجرم موسى وهارون حينما اسرعا للعلة تصديقهما
وصبرهما وطلبا من الصخرة ماء لم يكن الشعب يستحقه ومن اجل هذا الفعل عوقبا بعدم
الدخول الى ارض الميعاد وماذا اقول في عزا الشهود في الاحبار اليس انه مات بغتة لانه
بسط يديه بقليل من الوقار ليسند التابوت عن السقوط وداود الملك بنوع يسير من
الخفة والجسارة اوعز الى يوآب قايد جيشه ان يحصي شعبه فبهذا الذنب الخفيف
كفوا ان يجعله يبصر بعينيه شعبه يخسر ويدمر بايدي طاعون عام وحزقيا الملك اظهر
يسيرًا من الكبرياء والافتخار للبابليين خزانة الملوكية فتوعد بذلك ان تسلب منه قلما يكون بعد
وفاته فمثل هذه الاخبار ممتلية منها ليس الاسفار المقدسة فقط بل التواريخ البيعية ايضًا حتى ان
التخبير بها باكثار ليس هو ضروري الا للذي يجب ان يظهر عن نفسه بانه عالم علمًا معروفًا عند
كل احد ايضًا فلنستنتج الان من هذه الجملة قايلين من اين يصدر ان الله عز اسمه يقاصص عن ذنوب
كذا طفيفة بقصاصات صارمة ثقيلة العمل من كونه قاسيًا طبعًا او منعطف الى الافتخار بالصرامة
في استعمال التاديب حاشاه تعالى من ذلك لانه دلنا او تحققنا خلافه فاذًا ينبغي ان يكون صارمًا
من سمو قبح الخطية ودونكم الفايدة الواجب علينا ان نقتطفها من عظة هذا النهار يا ايها السامعون
سادتي المكرمون اي اعتبار الخطية كما يجب ويليق ولا نحسبها لعبًا ومزحًا ونصرًا وكيف
لا والحال اننا نستحق الكلي الوداعة والمشابه يضطرب بهذا المقدار من الخطية وتتصل
من جراها الى ان يبيد داخل البروايات التي يتوعد بها بيده كافة ويكسف الشمس ويخسف القمر
ويظلم النجوم وينزل من السما سحبًا من نار تحرق المسكونة كالعشب ويجعل الحقول قفارًا و
يجفف العيون وينشف الينابيع ويقلب الجبال ويحرق الكنوز ويخسف المدن ويستاصل الامم
حتى انه لا يعفو عن كنايسه وهياكله ايضًا فنحن الجانين نمزح بالخطية بل نعتبرها لنا لذة
ولهوًا بل فخرًا [illegible] قد لاحظ القديس بوناونتورا بحكمة العدد ١١
فقال ان لا يوجد احد من الولاة يلاشي املاكه بغضًا في اعدايه لكن املاكهم فقط فانه
يحول عليها السيف والنار ويدفق فيها غضبه وغيظه كله اما الله سبحانه فلا يفعل هكذا
بل يخرب ارضه بغضًا في اعدايه كما زاد القديس المذكور قايلًا لان الله يبغض الخطاة بغضًا هذا
عظم مقداره حتى انه يبلغ الى ان يخرب بسببهم ويحرق اراضيه واملاكه اعني بها مقادسه ومذابحه

وهياكله

وهياكله ويبعد وسماواته فما اعظم اذًا شر الخطية
ومع ذلك جميعه يا لوفور نفاقنا ما اغربه لكوننا لا نخجل ان نسمع ونقتنع بعظم قبح الخطية و العدد ١٢
شرها ومن ثم ليس بعجيب ان كانت رحمة الله لنا لا تحركنا الى مقت اثامنا واجتنابها من بعد
ان صرامته لا تخيفنا ولا تردنا اليه فالى متى نتاخر ايها السامعون عن الرجوع الى نفوسنا فلنفهم
اننا قد صرنا الان غير محتملين حتى من الذي يقال عنه انه نفسه الكلي الوداعة والرافة بما انه الملك الوديع
على ان يحتملنا فانه كما يصرخ نحونا ويحضنا ونحن صم لا نسمع يتهددنا ونحن لا نخشى يضربنا
ونحن نقسو فماذا اذًا يحدث من ذلك العله لا ياتي يوم ننقلب فيه ونسلم قهرًا عنا الذي
نخاصمه الان ولا نريد ان نرضخ له ونطيعه حبًا واختيارًا امنا
انني كلما قرات ما هو محرر في الكتاب المقدس عن بختنصر الملك فاعاين مطبوعًا فيه كعظمنا الباطل العدد ١٣
وعدم حسنا المريع اتعجب جدًا واتحير لاجل ختام العظة ولا تضجروا من الاطالة فاقول لقد
ظهر دانيال النبي امام حضرة الملك المتكبر المذكور وحالًا قرر له جليًا حكمًا مخيفًا بالسلطة التي
كانت له من قبل قدسيرته واشتهار حكمته الدايم سيطها واخبره بانه وان كان ملكًا على
شعوب وامم كثيرة فهو عتيد عن قريب ان يطرد من المملكة هاربًا وتايهًا في البرية وينبذ كالحيوان
ولذلك يضطر بان يذهب كحالة حيوان الى الغابة ويرعى ويعيش كحالة الحيوان ايضًا
حتى ينزع من قلبه التعظم المتزايد ويقر متضعًا ان العلي سلطان هو في السما ثم اردف النبي
كلامه قايلًا له فلاجل هذا يا ايها الملك ارتضي بمشورتي وافتدِ خطاياك بالصدقات
واثامك بالرحمة على الفقرا لعله يغفر ذنوبك لقد اعتبر بختنصر كلام دانيال وعرفانه
تلقنه من الله بما انه كان اختبره دفعات اخر وتيقن انه بمعرفته كيده في العتيدات
ولذلك كان سابقًا اثر ان يقدم له تقدمات ويضحي له ضحايا بمنزلة البر رضي فما هو اذًا
الامر الذي كان ينبغي لبختنصر ان يصنعه بعد استماعه هذه المناداة الرهيبة لا جرم انه
لقد كان يجب عليه ان ينزل لساعته من السدة الملوكية منطرحًا تحت قدمي المتيم السموي
وتقدم له بكل خشوع جميع خزناته ليوزعها لجماعاته ويتقدم من القصاص الذي تقدم فاعلمه
بر ولقد يمكنكم ان تقولوا بان هذا قليل بل كان يجب ان لا يكتفي بهذا فقط لكنه يبدل ايضًا
الارجوان بالمسح والتاج بالرماد والعظمة بالاتضاع اي نعم هذا هو ما كان يلتزم بان
يصنعه ولكن اواه كم تضلون اذا ظننتم انه يصنعه على انه المرجو بالخلاف لان

ثاودوريطوس اثبت في تفسيره سفر دانيال ان بختنصر المتكبر ليس انه لم يتخشع بل لم يخف
مما سمع بانه لعتيد ان يرد عليه ولذلك شرع يستتم سيرة اشر من الاولى فاهمل كامل مدة سنة
كاملة لعله يتنبه ويتوب غير انه كقول ثاودوريطوس المقدم ذكره تصرف بالزمان المحتوم تصرفاً
رديّاً ولكن ماذا حدث بعد هذا لعمري انه كان يوماً يتمشى في ساحة بلاطه متبجحاً ويتامل عظمته
ومجده ومجد مدينته مسروراً فسمع صوتاً من السماء يهتف هكذا يقال لك بختنصر الملك يكون مسكنك
مع البهايم والوحوش فحالما سمع هذا الصوت استشعر بنفسه انه تغير حالاً بالوجه والارادة والخصال
وشق ثيابه المتسربل بها واخذ يبعج عوضاً من الصوت البشري عجيجاً حيوانياً عالياً وظهر مكتسياً بصوف
متلبد وتكتنف جلده وطالت اظفاره وكثر شعر بدنه وشرع للوقت يمشي منكساً كالحيوان بأربع
قوايمه وينفرون لعتثار الناس فطرده اعيان ذلك من السرايا وذهب هارباً باستقامة الى
القفار وكان هناك يرعى حشيش الحقول ويشرب من ما الحياض ولانه لم يكن له سقف يقيه من
عوارض فصول السنة فكان مبيته تحت الضباب والندا والمطر والثلج والبرد وحر الشمس و
شدة حرقتها على حد سوى   لقد قلت لكم انفاً ان دانيال تقدم فاخبره انه كان عتيداً ان
يستقيم على هذا المنوال من العيشة البهيمية الى ان يعرف ويتحقق انه يوجد في السما سلطان
اعلامنه بقوله له حتى تعلم ان العلي هو المسلط ومن هنا يستنتج برأي صايب بعض
المفسرين ككرنيليوس الحجري ومالدوناتوس ان بختنصر لم ينزع منه الحس البشري كلياً بل ترك
له جزء من الحدس العقلي معتوقاً بقدر ما كان يكفي ليفهم ابتذال حالته ويقتنع بمقاصة ذنوبه
ليقدر من ذلك ان يتضع قدام الله كما قد صنع فيما بعد غير انه كم من الزمان تظنون انتم
انه مكث الى ان ادرك سوء حالته واتضع العلكم تظنون انه استمر شهراً واحداً ام شهرين ام سنة
لعمري انه قد مكث في هذا الحال مدة سبع سنين فيا له من عناد شديد ويا له من كفر شنيع
ويا لها من قساوة قلب عظيمة جداً من كان يمكنه ان يصدق بان الانسان المتكبر يدوم عاصياً
على استحقاقه هذا المقدار من السنين لقد اشتدت يد الله العزيزة على هذا الملك وضربته هذه
الضربة الغريبة المذهلة ومع ذلك مكث سبع سنين حتى صرخ قايلاً فالان انا بختنصر
امدح واعظم وامجد ملك السما   اما بان لكم ذلك ايها السامعون ان هذا هو امر غريب من
انواع عناد العقل وصلابة القلب اي نعم لكن مع هذا جميعه انا ارى حالتنا اشر من حالة
بختنصر نعم انه قد تباطا هذا الملك لا شك عن ادراك قباحة ذنوبه والارتداد الى الله عز اسمه

الا انه قد كان عدم كثيراً من القصود العقلي وضعفت حواسه كحواس البهايم اكثر من ان تكون بشرية
اما نحن فماذا نقول اذ اننا نفتخر باننا حكماء ونتزين بحسن المعرفة والتعقل ومع ذلك نبطو
كثيراً عن التوجع والانتباه على نفوسنا مع شاهدتنا الضربات والشرور التي لحقتنا ولكن
ترى ما هي غاية هذه الضربات والشرور التي تمطر في كل حين فوق رؤوسنا سوى هذه اي لكي تلزمنا
ان نقر ان في السما الاهاً ونعلم ان العلي هو المسلط هذا هو ما تنذر لنا به تلك الحروب ذات
الكيد العنيد التي هرقت اشرف دما بلادنا هذا هو ما تعلنه لنا المظالم التي تنوح منها المدن
هذا هو ما تنادي به احوال الفقر والقلة المضنوكة بها العيال هذا هو ما تحققه لنا الزلازل
المرعبة التي جعلت الارض تبتلع الحصون وجماً غفيراً من الشعوب كالغول الجايع هذا هو ما
يثبته لنا الغلا المتزايد والفنا الكثير وساير ضروب الموت المتعددة الواردة على الجميع ومع هذه
المقاصات كلها من منا قد تخشع ورجع الى نفسه ليستعد من تثقل العقاب على ثقل الذنب
لعمري انني استطيع ان اقول مع ارميا باكياً ونايحاً هكذا اصغيت وسمعت وليس احد يتوب
من خطيته قايلاً اه ما فعلت   فافهموا اذاً يا ايها الخطاة

العدد ١٤

الغير المرتضين ان العلي هو المسلط فمن ثم افعلوا ما شيتم فانه ليس لكم خلاص ولا مناص حتى
تذعنوا راضخين لهذه الحقيقة   اين انت ايها الشيخ والحي الطفس اتحب ان تعرف الى متى
تدوم تلك الحمى الدقيقة التي تفني حياتك بالعذاب قليلاً فقليلاً فاعلم انها تدوم الى ان تعلم
بان العلي هو المسلط وتتحقق انه يريدك شدة وعذاباً ان لم تصلح سيرتك   اين انت يا محب
المجد الفارغ والطالب التقدم على ساير اقرانك اتحب تعرف متى يكف عنك تقذف تلك الالسن
السيئة التي استلبت صيتك وهدمت شانك لعمري انها تكف متى علمت ان العلي هو المسلط
وانه سوف يعريك اشد من ذلك ان لم تتضع امامه   اين انت ايها التاجر الشقي اين انت
اتريد ان تعرف الى كم من الزمان تدوم افتكاراتك فارغة وحساباتك كاذبة واشغالك
نحسة غير ناجحة فانا اقول لك حتى تعلم ان العلي هو المسلط وتقتنع انك ستتهافت
من عكس الى عكس اشر ان لم تصر لله اكثر تورعاً ونحو الفقرا اكثر رحمة وعلى الرهبان اكثر سخاء فماذا
اذاً يجب علينا ان نصنع فهذا هو اي ان نتضع لديك يا الهنا ونفهم عيوبنا ونجد لعدلك
ونسالك تجاه عظمتك الالهية سائلين خاصتاً بهذا المقدار حتى تعاملنا من الان فصاعداً
حسب ودعة شيمك الطبيعية المحبوبة لكونك انت الملك الوديع لا بحسب السخط الذي

تحركهم نك اثامنا القبيحة ثم البركة عليكم ثانيًا وثالثًا

العظة الخامسة والثلثون

في يوم الجمعة المقدسة العظيمة

مضمونها انه لم يوجد احد في الارض عانا اوجاعًا تشابه اوجاع السيد المسيح والقصد
بهذا هو انه لكي يتحرك السامعون الى اعتبار لائق ومناسب لما احتمله تعالى لاجلنا
وحبًا بنا. لكم يا جميع عابري الطريق تاملوا وانظروا هل يكون وجع مثل وجعي
هكذا قال ارميا النبي في صدر مراثيه

العدد ١

ازحموا وابتهجوا يا ايها الخطاة في هذا النهار الحزين ايضًا لانكم قد غلبتم رتلوا تراتيل الانتصار
وهللوا وافتخروا وتعظموا على انه تم اربكم حسبما هو في خاطركم. انتم قد بذلتم مجهودكم كله
في اثامكم المصرين عليها لترفعوا من العالم ابن الله تعالى البري وتضنكوه وتهشموه وبالنتيجة
لتميتوه وهذا قد تم لان اشعيا النبي قال بروح النبوة عنه تعالى انه انقطع من ارض الاحيا
اعتبروا ما تضمنه لفظة انقطع لتفهموا انه مات قهرًا واغتصابًا هوذا انا نازل الان من
الجلجلة منذرًا لكم بهذه البشارة الموفوقة لديكم واعلمكم محققًا لديكم انه سلم على الصليب
الروح بعد ثلث ساعات في حال اضيق النزاع عريانًا متروكًا مشتومًا مدبرًا تجاه جم غفير من
الخلايق لا يحصى هل لتذذتم بهذه البشارة ايها القساة هل فرحتم بها مسرورين ماذا
تطلبون الان اكثر من ذلك لعلكم تطلبون ان تصعدوا انتم بنفوسكم الى الجبل لتشبعوا
من هذا المنظر المشتهى لفرح نفوسكم وتبصروا باعينكم الجراحات التي اثخنتم بها جسده
ولو كانت عن يد غيركم وتتاملوا كيف هو فتعاينوا جسده معلقًا مهشمًا مقطعًا من جرح
شهواتكم من راسه منحدرًا موجعًا من نجسات كبريائكم وشفتيه مرمرتين من سم السنتكم الجاذفة
هلم بنا وتعالوا فاني اعمل مسرتكم واصعدكم حتى الى هناك فوقًا تعالوا لنصعد الى جبل الرب
الا اني لا اظن انه يمكنكم بعد وصولكم الى هناك ان تمسكوا نفوسكم عن البكا. لقد اخبرنا
المورخون عن سلاوكوس الملك انه لما طرد من مملكته وجلس غريبًا عريانًا على شاطي البحر
الذي قذفته اليه الامواج ذهب اليه مبغضوه المتمردين فرحين متهللين ليتعلوا من معاينتهم
اياه جالسًا في تلك الحال المرثي لها غير انهم حالما شاهدوه على الرمل مهملًا من جميع مصاحبيه

عريانًا جايعًا مرتعشًا من البرد وعادمًا كل صنف من الاستغاثة فرقت له قلوبهم رغمًا عنهم
وترافوا عليه بهذا المقدار حتى انهم انقلبوا عما كانوا عليه واقاموه من الارض وردوه الى
سدته الملوكية وبصنيعهم هذا بانوا واضحًا ان الانسان لا يمكن ان يمتنع عن ارتكاب
بعض صنوف من القساوة لو يتقدم ويعقلها جيدًا قبل ان يرتكبها. ومن ثم اظن انكم هكذا
تصنعون انتم في هذا الصباح مع ملككم السموي اذ كان بعد قليلا لا يثان يغات لكن
واحسرتاه على الحال الحاصل عليها الان انه تعالى ليس هو يتخبط وينازع في عرا اوجاعه العظيم
فقط بل هو غايص وغارق بها حتى انه لم يبق فيه سوى جسد ميت ولهذا وان كنتم ذوي
قلوب صلدة متحجرة جدًا فمع ذلك لستم تقدرون على ان تبخلوا عليه قلما يكون بقطرة من
احد من دموعكم صادرة عن قلب جريح متاسف لما تعلمون يقينًا ان مبغضيه اعني الجلادين
انفسهم اوليك الذين بايديهم فتحوا عروقه ومزقوا جثمانه وخلعوا عظامه كانوا ينحدرون
من الجبل رووسهم منحنية قارعين صدورهم كحال اناس خجلين او متخشعين كقول الانجيل رجعوا
وهم يدقون على صدورهم فكيف اذًا يمكن ان لا تتخشعوا انتم ايضًا والحال انكم انتم لستم بذوي
قلوب وحشية بهذا المقدار ها انني ارى قد استبانت على عيونكم قطرات وجيزة من
الدمع دالة على الزفرات والعبرات الوافرة القريبة ان تبرز منكم فاطلقوا لها العنان ولا تمسكوها
لانه ليس لكم سبب للبكا في وقت اخر بقدر ما هو لكم الان. فمن تظنون يا ايها الخطاة
القاسيون ويا ايتها الخاطيات القاسيات هذا الذي قتلتموه بجرايركم واثامكم من تظنونه
فان قلت لكم انه هو واحد من الاحداث بديع الحسن لم يظهر مثله في العالم حسبما جاء عنه
في سفر الزبور الالهي بما هي في الحسن افضل من بني البشر انه هو شخص قد كانت البهية
والجلالة متلالية في وجهه من غير تشامخ شخص كانت العذوبة تقطر من شفتيه من غير
ازدرا شخص كان يجتذب الانام اليه لحسن اخلاقه بهذا المقدار حتى ان الصناع منهم
كانوا يغلقون حوانيتهم لكي يتبعوه الى البراري والتجار يغادرون مخازنهم والنسوة
ينسين التعب ولم يكن احد يذكر القوت هو شخص ولد ليعطي كثيرين الخلاص ولا يهلك
احد شخص لم يعرف الحمية ولا يضنك احد. والنتيجة ان قلت لكم انه انما هو انسان
محبوب وكله شهي حسبما قيل في سفر النشيد فليت شعري هل كنتم تستشعرون في
باطنكم بحركة التحسر عليه حتى ولو لم يخصكم منه شي بوجه من الوجوه اصلا اي لا من حيث

القرابة ولا من جهة الصداقة ولا من وجه حسنات تلزمكم بحسن المعروف نحوه ولكن لانه
الاسقاه ليس هو شخصاً من هذا المقام الذي بل انما هو ابوكم وخالقكم وحافظكم و
اختصاراً اقول انه هو الهكم ذاك الذي من جملة افضاله قد منحنا هذا الهوا الذي
نستنشقه وهذه الشمس التي تضي لنا وهذه الارض التي تقيتنا وهذه النفس التي
تسوسنا ومن ثم اليس لكم سبب شرعي يلزمكم بالبكا عندما تتذكرون بانكم كافيتموه بالالام
حتى الموت نفسه واضيف على ذلك قايلاً انني قد كنت اسمح لكم ان لا ترحموه لو كانت وفاته
قلما تكون كوفات كثيرين من عامة الانام لكنها كانت اقسى من جميع المميتات التي تكبدها
من مات في العالم بالالام وقد كانت الارهب والاكثر رعباً وعاراً وانتم الا تبكون من جراها
لعمري ان جميع الجراحات التي في جسد المخلص الممزق هي كلها افواه يصرخ بها وهو ميت
ايضاً قايلاً نحونا يا جميع عابري الطريق تاملوا وانظروا هل يكون وجع مثل وجعي فكانه
يقول لماذا تجوزون ايها القساة خلواً من ان تنحوا علي بالمحبة واحدة ودادية الشفقة قليلاً
حباً بي وتاملوني واذا وجدتم على الارض انساناً مرتاسياً او جلعاً مثل اوجاعي فانا راضي
بان تذهبوا جايزين من غير ان تتركوا لي عبرةً واحدة عربوناً اخيراً لودكم لي مع انكم تذرفون
كل يوم دموعاً كثيرة بتبذير وتزيد تارةً على اعناق عشاقكم الكذبة وحيناً على لحود اسيادكم
المايتين ولكن اذا رايتم الامر عظيمة لا تدانيها ولا تثيل فكيف يمكن ان لا تبقوا لي انا ايضاً عندكم
عبرةً واحدة فيا معشر المسيحيين احباي هذا هو الذي انما حضرت اليوم لكي التمسه منكم
باسم يسوع مخلصكم وهو ان تبقوا زوارتكم الى بعد قليل من الزمن حتى نفحص ونرى هل
وجد في العالم انسان اهلاً لان يماثل السيد المسيح نظراً الى اوجاعه الكثيرة فان وجد
فانا راضي بان لا تظهروا علامة واحدة من الشفقة على المسيح وان كان لا يوجد فلا تقولون
فيما بعد مع داود انكم تريدون ان تسكبوا الدموع بالكيل حسبما قال سقيتنا الدموع بالكيل
لان هذا البخل في البكا ليس هو لايقاً لانها تشهد ان عظم مقدارها فليبكى بالكيل على موت الاولاد
ولو كانوا وحيدين وعلى الاهل ولو كانوا اعزو وعلى الاحبا ولو كانوا فايقين اما البكا على الهي
ميت ومقتول فينبغي ان يكون بلا كيل لكن اذا كان هذا هو نوع البكا اللايق عليه فيا حسره
فليت شعري ما هو القضيب الذي يجدد اليوم المعجزات في البرية ويستطيع ان يخرج من
الصخور الصلدة اي القلوب البشرية القاسية ماءً فايضاً بهذا المقدار فليس لنا سواكِ انتِ

ايتها

311

ايتها الخشبة الشريفة خشبة الصليب المكرم ولهذا قبل ان نشرع بالخطاب فلنرفع اليكِ
جميعاً حدقاتنا وقلوبنا ونقدم لكِ طلباتنا وتضرعاتنا لكونكِ انتِ اقدر من قضيب موسى
وتستطيعين ان تليني قلوبنا من بعد لاعني بحضورك فقط من غير ان تمسيها ولذلك اسالكِ
ان ترتضي بان استغيث بكِ في هذا الصباح نيابة عن جميع هولا السامعين ملتمساً منكِ
ماءً قليلاً اعطينا ماءً ولكن ترى اي ماء ترى اي ما اطلبه منكِ سوى الماء الممكن ان يخرج من
القلب المتوجع انه قديماً قد اعطوا العبرانيين من قضيب موسى الذي كان عبارة عنكِ
ماءً حلواً مثل العسل حسب قول المزمور اشبعتهم من الصخرة الصلدة عسلاً اما نحن
فنطلبه مراً نظير تلك المرارة الكريهة التي سقيتها اليوم الاله المتعطش لكون هذا النهار
ليس هو لنا سوى للحزن والتوجع والتمرمر ولذلك اقول ما قد قيل عبارة عنه قديماً كل نفس
لا تحزن متواضعة في هذا اليوم تهلك تلك النفس من شعبها فاهلينا اذاً الان نذوب
جميعاً اليوم تحسراً وبكاءً متاسفين على ما اصاب معبودنا المتوجع وهو معلق عليكِ هذا هو
ما نسالكِ متضرعين وساجدين امامكِ باعمق الاتضاع يا من انتِ ختام خلاصنا

القسم الثاني

العدد

تاملوا يا جميع عابري الطريق وانظروا هل يكون وجع مثل وجعي انني لعالم جيداً ايها
السامعون ان كثيرين من الناس احتملوا في هذا العالم الاماً موجعة جداً غير انها اذا كانت
بالجسد فلم تكن بالنفس واذا كانت بالنفس فلم تكن بالجسد اما المسيح مخلصنا فانه تالم بالنفس
والجسد على حد سوى حتى انه بلغ بهما الى ان يسمى رجل الاوجاع لاننا اذا تاملنا نفسه القدوسة
الهو لحسرتاه كم نرى من المخاوف والاضطرابات والهموم والحسرات والاحزان والضيقات
قد اتجهت نحوها لكي تنهشها بمنزلة الكلاب الكلبة واذا لاحظنا الجسد فلا نستطيع ان نجد
جزءاً من اجزايه خالياً من عذاب يخصه وهذا هو ما قد صرح اشعيا النبي اذ يوضحه لنا بكلمة و
احدة ذات معنى قوي اي بكلمة سحق وذلك بقوله عنه سحق لاجل ربصاتنا فعيناه ترضضتا
من اللكم وخداه ازرقا من اللطم وحلقه يبس من العطش وشفتاه تمرمرتا من المر واستعمل
اعداه الشوك المسنون لكي ينفذ صدغيه ويداه ورجلاه تثقب بالمسامير وتمدد ذراعاه
وربطت مفاصله بحبال بندية وعنقه انسلخ من الحبال التي سحب بها على الارض زماناً تسيه

احدى الحيوانات المرذولة وبكتفاه عييا من حمل الصليب الثقيل وعروقه تمزقت من
الجذب الشديد عند الصليب وحقواه وساقاه وبطنه وصدره لم يسلمن من نوع العذاب
المريع الذي اصابهن من الاعوان الظلمة حتى ان صورة جسده الطاهر تغيرت واضحى كله
جرحا واحدا ولذلك قال اشعيا النبي لما تامله في هذه الحال رايناه ولم يكن له منظر
ولكن لا تظنوا ايها السامعون انني مستند كثيرا على هذه العذابات العامة لاريكم تفاقم
الام يسوع منفردكم على انني لعارف ان كثيرين غيره قد عانوا وجلدا كثيرة وقادحة كالمقدم
شرحها الان لاجسادهم لم تكن تشعر بها بالموجع بمقدار اشعار يسوع لان راي جمهور العلما
اتفق على هذا وهو ان جسده المقدس كان اكثر لطافة من جميع اجساد البشر وبالتالي كان
حساسا بالوجع اكثر منها كافة وذلك من قبل كمال تركيبه الفريد على ان جميع الاشيا التي تصدر
من الله تعالى بفعل عجيب فهي كاملة بل كلية الكمال في نوعها اكثر والمن الذي اعطيه العبرانيون
في البرية كم كان دسما والخمر المحول في عرس قانا كم كان لذيذا ولو انه صدقنا المفسرين فنقول ان
ذلك الخبز ايضا الذي اشبع الجموع في القفر بالاية المدونة في سفر الانجيل الشريف كان
شهيا في الغاية فاذا ان كان الله جل ثناوه اوجد كمالا هذا مقداره في هذه الافعال الدنية
جدا وذلك لانها كانت افعالا برزت من يديه الشريفتين بغير واسطة فهل يمكن ان لا يكون
اوجد كمالا اعظم كثيرا بلا قياس في جسد سيدنا يسوع المسيح الذي هو بذاته جبله في
مستودع مريم البكر الطاهر ليتحد معه نفسا اجمل واجل واكمل من جميع النفوس التي حتم منذ
الازل ان يبتدعها اي نعم هكذا يقول مار توما المعلم الملايكي ينبغي لنا ان نقر ونعترف ان
هذا الجسد الاقدس الذي تركب بفعل يسمو على قوة الطبيعة كان اكمل جدا بلا حد من
جميع الاجساد التي تتصور بفعل طبيعي لان الاشيا التي تمت بالاية المعجزة كانت اكمل من
غيرها ومن هنا اعتبروا كم كان كل حس من حواسه المقدسة تحسيا في خواصه مثلا كم كان
الحس فيه لطيفا في الاشعار بالضرب وكم كان الذوق حادا في استحساس بالمرارة وكم
كان الشم سهلا للتطلب النافذ وضيفوا الى الزيادة اثبات ذلك اعتبارا اخر عظيما اهلا
لان يلاحظ قد اثبته وحققه انفا جليانوس بالعلم والقداسة جدا وهو هذا اعني ان
جسد السيد المسيح خلق لجبل [illegible] على ان اجسادنا لم تخلق لهذه الغاية لانه
واذ كنا ضعيف الان الى نوع كثير ولا نتعدد من الاوجاع والنكبات والميتة الا اننا لم

نبدع

نُبدع لهما منذ البدء بل بعكس القضية اي لنا استحقاقا لكي يحيينا من هذه الويلات المتلونه
جميعها التي تالم الطبيعة البشرية كان اعد لكل منا في الفردوس عن ارضي نخفا من القوت
اللذيذ والمناخ المعتدل وتاثير الافلاك الشافي وترتيب فصول السنة المنتظم وكان
ذلك جليلا بهذا المقدار حتى انه كان يجعلنا غير متالمين ونموت الى الموت وذلك مطابق
ما تقوم به الحكيم قايلا ان الله خلق الانسان في عدم البلى ولهذا لان فتشنا وفحصنا بكل
التدقيق لا في السما فقط بل في الدركات السفلية ايضا ما بين الشياطين والهالكين فلا نجد
خليقة ابتدعها الله معدا للتالم والعذاب سوى جسد المسيح فقط الذي تجسد لهذه
الغاية اي لكي يموت من اجلنا حسبما هو ذاته قال عن نفسه ان ابن الانسان اتى ليبذل نفسه
خلاصا عن كثيرين فهذا الجسد لا محالة هو الذي تركب لكي تسكب فيه كانها بحر متسع من
الاوجاع والنكبات والعذابات كافية لان تتخطى احزان جميع اجناس البشر ولذلك لم يعفر فيه
اعطي اعظم الاشعار والحس بالتالم الممكن ان يصدر اما من رقة الدم اما من لطافة الارواح او
لدونة اللحم ولين الاثباتات ذلك ما اوضح المعنى بابلغ التوضيح شهادة الاسفار الالهية لانها
المرتل لما تكلم عن لسان السيد المسيح هتف قايلا ذبيحة وقربانا لم تشا بل كملت
مسامعي وبكلامه هذا قصد ان يعلن لنا الطاعة الكاملة التي بها اقتبل المسيح الالام
والرسول قد تكلم ايضا عن لسان المسيح بقوله ذبيحة وقربانا لم تشا بل هيأت لي جسدا
وذلك ليفهمنا استعداد جسد المخلص الى التالم الفايق فتولى لحواذا ايتها الاعضا اللطيفة
الشريفة اعضا يسوع مخلصي كم كان وجعك لما انهمل عليك في وقت واحد سحاب العذابات
المدرار حتى انه لم يسلم ولا ادق جزء منك من الضرب او من التعذيب او من الكلوم والجروح
وان كان شوكة واحدة فقط انغرست اتفاقا في موطى الرجل قد جعلت تصيح من شدة الوجع
ليس الاحداث والنسا المرفهات فقط بل وجعلت السباع الضاريات ايضا تطوف الغابات
والصحارى تهدر وتنوح متوجعة فليت شعري من يستطيع ان يدرك شدة الوجع الذي
شعرت به انت يا سيدي من انغراس ٧٢ شوكة لا في الرجل المتصلب جلدها بل في هامتك
بل في صدغيك بل في دماغك بحيث كل سنة تصير قلما ومزيدا تفاقم الوجع الذي
بريد بيه [illegible] من دق المسامير التي مزقت فيك بادق العروق ولطف العصب والوجع الذي لم
يكن من الجلد الذي حصل من اعمق عظامك فان سلمنا الان ان قد طالت الاوجاع في اناس اخرين

ت

أكثر زمانًا مما اذا يكون ذلك اذا كانت لم تبلغ في احد شدة او جلاء المسيح وصعوبتها ؟
ولكن ما لي قلت انها طالت في ايام حزين اكثر زمانًا العمر قد طالت بقولي هذا فلا يظن
احد الحال بان الام سيدنا يسوع المسيح قد كانت فقط في ذلك الزمن اليسير الذي استقام فيه
تحت جور الاعوان كلا بل يجب ان نقول انها قد استمرت لانه بلا شك قد ابتدأت الامه
تقامعًا مع حياته اذ انها حينًا انتصبت بازايه من اول دقيقة الحبل به جملة بحسب قوله تعالى
على لسان النبي وجعي مقابلي في كل حين فلم يتصورها بوهم عام غير صحيح نظير ما نتصور
نحن بعقلنا الاشيا المستقبلة لكنه تميزها بابلغ التصريح والتدقيق فعلى هذا كم كان عتيدًا
ان يقبل من الجلد وكم كان يحتمل من اللطم وكم كان يقاسي من الجذب وكم كان يناله من
الانتهار والرفس وممن كان عتيدًا ان يقبلها وعلى ايضًا كم شوكة كانت عتيدة ان تشبكه
وكم تفلة كانت تدنس وجهه الطاهر وكم كان عتيدًا ان يجيء فيه من ابر وينال من القساوة
ومن ثم كانت لديه معاينة هذه الصنوف من الاوجاع والالام بعذابها كحال نشاهدتها نحن
ايها قد ادركتنا بل كانت لديه اكثر من ذلك لاننا اذا كنا نحن مثلًا مسجونين من الحاكم لاجل
اثم ثقيل حتى ولو تسجل علينا بالحق الشرعي فلا بد من ان يبقى لنا دائمًا قليلًا من الرجا بالنجاة
والخلاص لما بالفرار واما بافتدا نفوسنا بالفضة ولنا ايضًا ان نثق بحماية احد الاكابر لكنه اقوى ما
متوجهين ان يتكلم ويشفع بنا كما تكلم ساقي فرعون الملك في شان يوسف المسجون في اظلم
السجون ولا اقل ما نستطيع ان نتعزى قليلًا بالتفكر انه يمكن لنا ان نحمل الحاكم بالتضرع و
الاجلاد بالارتشا ان يصنع لنا مضارعة ما اكثر في تخفيف التعذيب اما يسوع مخلصنا فكان
عارفًا ومتحققًا كلما كان مزمعًا عليه بالتدقيق كما شهد عنه يوحنا قايلًا وكان يسوع عالمًا
بكل ما كان آتيًا عليه ومن جرى ذلك كان اكتيابه بالغًا فايقًا في كل حين على انا نعلم من
الاخبار متحققين ان من الناس من غشي عليه اغشاء وابيض شعره عند استماعه واشعاره بخروج
قضية الموت عليه واخرون غشيوا وقوم اخرون سقطوا على الارض امواتًا وغيرهم حاقت
بهم امراض خطرة بغتة بما ان علموا ان الناسهم كاينون بعد تصور الشر المقبل فعلًا قويًا ولهذا ما ثالث
العجب من كون يسوع في مدة حياته كلها لم يشاهد ان يضحك لانه حقًا قد قال عن نفسه
حق القول عن داود النبي هكذا اليوم كله مشيت عابسًا او كما يقرا في موضع اخر ها هوذا فرح حياتي
قد فنيت بالاوجاع وعمري بالتنهد فافتكروا يا معشر السامعين اي فرح كان يمكن ان يحصل

عليه

313

عليه بلتشاصر الملك في زمن حياته ذاك الذي تمرد واذ بان بالسكاكين وهو متضجع على
سرير الملوك من غير ان يعلم لو كان يعلم من منذ حداثته تلك السكاكين التي كانت
عتيدة ان تطعن قلبه بادية بازاء عينيه مجردة امامه على الدوام ويا لشقاوة سيسرا الشقي
لو كان يشاهد منتصبًا امام عينيه دايمًا ذاك الوتد الذي كان عتيدًا ان ينفذ دماغه
جد او ادي قيشون ويا لتعس ابيمالك لو كان يستحضر بازاء عينيه في جميع ايامه كسارة
حجارة الرحا التي كانت عتيدة ان تلقى عليه من فوق برج تاباص وتهشم دماغه اما السيد
المسيح فيقول ان حياتي كانت بهذه الصفة اي ان وجعي مقابلي في كل حين ان استيقظت
او رقدت او جلست او مشيت فكانت الامي واوجاعي مستحضرة مقابلي في كل ساعة وفي
كل وقت ولاجل ذلك قد ذكر داود كثيرة اقواله المتضمنة احزانه تلك المحزنة في سفر المزامير
وهي قوله وطيني اعداي طول النهار احاطوا بي طول النهار النهار كله عيرني اعداي كل يوم كانوا
يرفضون اقوالي وكذلك كلامًا اخر وهو هذا صرت مضروبًا طول النهار ليت شعري ولم يشير
قصد عن نفسه باقواله هذه غير ان يعلن لنا انه كان يقاسي كل يوم من حياته بروحه في وقت واحد
تلك الالام القادحة التي تكبدها في مثل هذا النهار وحده نوحًا ومن ثم ذهب كثيرون من العلما
الى ان تلك الاحزان والكربات والرجفات والغشوات والاضطرابات الباطنة التي احتملها حة
يسوع في البستان لم تكن عليه جديدة ومحدثة بل كانت معتادة ومالوفة بل شديدة وزايد
بهذا المقدار حتى انها كانت صيرته يعرق دمًا كل عشا لو كان يطلق لها العنان غير انه كان يمنعها
من اجل التسلط السامي الذي كان له على اضطراباتها واخمادها لصبحانيته امسك تفاقمها او
ذلك لم تستطع ان تدوم فيه حياته كلها من غير ان تميته قبل الوقت المحدد عليه الموت فيها
هو ذا القديس [illegible] ان هذا الذي اوردناه كان نوعًا من الاستشهاد والموت
مديدًا لهذا اي انه مستمر ٣٣ سنة في انتظار الاستشهاد والموت ومع هذا جميعه فاعلم
انني لم اقل شيًا عن تلك الكابة المتفاقمة التي حاقت به في مدة ٣٣ سنة ايضًا تلك التي كانت
تنشو تارة من مشاهدته خطايا البشر الكثيرة التي كانت تضرم فيه الغيظ والغيرة وتارة من عليه
بلا ايمان المتزايد التي كانت تحركه اليه الشفقة والحنو عليهم لقد انتخبوا من جميع الناس فرح واحد
لينجوا من الطوفان العمومي وكلهما فلكًا يرده العطب ويطوف على ذلك الغمر العظيم للكون
لانه ميازيب السما المتفتحة وينابيع الارض انحدارها المنحي فقط لكن من دموع البشر الغزيرة اللاذعة

من أعينهم كالعيون الا التوراة تشهد لنا أن الله عز اسمه هو الذي أغلق عليه كوة السفينة
وذلك بقولها فأطبق عليه الرب من خارج وأما السبب في ذلك فيورده القديس يوحنا الذهبي فمه
في عظته ٢٥ قائلاً لئلا يزداد حزن نوح المحتبس داخلاً من معاينته الناس يموتون غرقى بلا عدد
أما يسوع فهو بمفرده وجد في العالم من قد تفتحت له أبواب النفس كلها وانغلقت طاقاتها بأسرها الى أن
قبل الوقت شدايد أعزا احبايه ولا يستطيع أن يميل بنظره الى فيئتها ولا يبصر ههنا بكاءً و
ههنا دماً وههنا موتاً وهناك شروراً وبلايا أمر من الموت عينه فمن ثم نقول إذا كان عند مشاهدته
لجد لعازر أظهر امارات اضطراب وحزن عظيم حتى أنه لم يبلغ الى أن يتنهد ويردد الزفرات فقط
بل الى أن يبكي ويذرف دمعاً أذهل به الناظرين فليت شعري كم يكون اعتراه من الحزن والتألم عند
ما كانت تنتصب أمام عينيه المقدستين الكوارث التي حاقت بهذا المقدار من الشهداء الذين
قوم منهم ذبحوا وآخرون تقطعوا وآخرون احترقوا بالنار وما أشبه ذلك ومثلها مشاهدته
صرامة تقشف هذا المقدار من الرهبان والسواح وكآبة هذا المقدار من المحزونين وفاقة هذا المقدار
من البايسين وخراب المؤمنين الناشي من الارتدادات واضطهاد الأشرار للصالحين والذي يفوق
ذلك كله معاينته تعالى العذابات الفائقة التي كانت عتيدة أن تتعذب بها في جهنم الى الأبد
ربوات من النفوس وكانت تلك النفوس عينها التي كان قادماً على أن يسفك دمه ويحتمل
الصلب من أجلها نظير ما احتمله من أجل النفس المختارة ومن ثم نستطيع أن نقول نحو القول أنه
ليس وجع مثل وجعه لكونه حمل بنفسه ليس أوجاعه فقط لكن أوجاعنا أيضاً التي كانت لاجله
لفرط حبه نحونا مولمة قادحة نظير أوجاعه وذلك بموجب شهادة زعيم الأنبياء القائل عنه ١
تعالى أنه يقيناً احتمل أمراضنا وأوجاعنا هو حملها

فلندع الآن جانباً الأمور هذه الخفية التي عاناها في حياته كلها ولنحصر الخطاب في الأمور تلك الظاهرة (العدد ٤)
التي كابدها في مثل هذا النهار فنقول أخبروني يا معشر السامعين هل وجدتم في العالم انساناً
قط تحزب عليه باتفاق واحد أنفار من مراتب مختلفة ومسالم أحدهم الآخر بالاتفاق مع اختلافهم
بالدرجات على أننا نعلم أنه إذا اضطهد أحد من الاكليريكس مثلاً فيناضل عنه العالميون وإذا
اضطهد غيره من العوام يجاهد عنه الاكليريكيون وإذا ثار الشعب على أحد يحامي عنه الحكام وإذا
نفي شخص ما من أهل بلد ما فيقبله الغرباء وعلى هذا النحو هي حال الناس غالباً حين يظلم من
الناس يجد الرحمة من آخرين يرثون له ويغيثونه من أجل أنه مظلوم أما اضطهاد إيليا النبي

من

314

من اضاب الملك الغضوب الا أنه حظي بامرأة أرملة في ذلك الوقت آوته عندها وعالته وداود
كان ملكه يكمن عليه ليمسكه ويقتله غير أن ملكاً آخر غريباً انتصر له وبفناء شيء من أخوته فاجتمع
اليه أناس بطالون سارقون وخرجوا بعده وأدوبيا النبي استهين به من أهل بلدته فهرب الى رجل
حبشي رحمه وأغاثه وهكذا سوسنا العفيفة شيء بها من شيخين وهما اللذان اتهماها زوراً
نجيت بدانيال النبي من ردها وجاهد عنها وعلى هذا النمط نستطيع أن نأتي بذكر آخرين
لا يحصى عددهم أما المسيح بمفرده فخابت به هذه العادة المألوفة عند الناس كافة لأنه
اتفق على اضطهاده وقتله برأي واحد الحنفا واليهود الروميون والبربر العامة والأعيان الكهنة
والعوام القضاة والجنود الشيوخ والأحداث الخبثا والسذج الحكماء والعاميون وهذا الأمر عينه قد ٥
تقدم هو تعالى فأخبر به عن نفسه على فم الملك والمرتل وذلك لما أثبت أنه قد تقاوم على اضطهاده
الكلاب والثيران التي هي حيوانات يختلف نوع أحدها عن الآخر وذلك بقوله أحاط بي كلاب
كثيرة وثيران سمان اكتنفتني ليت شعري كم كان وجع يسوع لما عاين ذاته أنه سقط تحت
بغض الجميع بهذا المقدار حتى أن قتلته تم برأي شعب مختلف الحال والمراتب والحال أنه لو وجد
في العالم كله انسان واحد فقط يبغض يسوع لكان واجب أن يحسب ذلك أمراً غريباً وشنيعاً
جداً لأنه من ذا الذي كان يجوز له أن يبغضه أو يستطيع على أن يبغضه حتى ولو أراد ذلك
أيضاً العل الملوك كان يحملهم أن يبغضوه والحال أنه تعالى قد أظهر لهم الوقار على الدوام اذ أنه
جلت قدرته كان أحياناً يوصي العبيد باكرامهم وأحياناً يثبت حقهم في أخذ الجزية وطوراً
يشير عليهم أن يحفظوا الآداب والصلح والسلامة وجميع الأعمال الصالحة التي تصدر عنها الأمان
والراحة في الولايات أم لعل الكهنة وهؤلاء أيضاً لم يكن لهم سبب لأن يبغضوه على أنه تعالى قد
كان يخرق حرمتهم وينتصر لسلطانهم المطاوع لعل الفريسيون لا لعمري لكونه تعالى كان ينادي
بوجوب الطاعة لرؤسائهم أم لعل المشارعون كلا لأنه بين منهم لم يكن يعلم لم كان يبشر لهم في
جهتهم ويناضل عنهم مع أنه كان يتصل اليهم من ذلك دم مقت واحتقار ومثلهم ما كان يسوغ للشعب
أن يبغضه على أنه جلت عظمته كان يقضي أيامه بالإحسان اليهم اذ أنه يغزو ويجول وكان أحياناً يعلم
الضعف منهم وتارة يشفي العليلين وطوراً يبري الخطاة وأوقات يبرئ المقعدين وأحياناً يغذي
الجياع وهكذا أيضاً أحياناً فعلها الشعب لم يكن ممكناً لهم أن يبغضوه لا شيئاً الا الحلال الا أنه
لم يكن يرغب بأموالهم ولا أرباب الدولة لأنه لم يكن يحسدهم على كراماتهم وتقدماتهم ولا أهل العلم

وارباب المدارس من حيث انه لم يكن يضاد اثنيتهم ومعابدهم وحينما احضرت قدامه امراة
قد وجدت في زنا اما وجد لسلطته سبيلا عجيبا انقذها به ولما انطرحت بجاه قدميه
زانية اخرى باكية اليس انه غفر لها ملحًّا وعلى الاطلاق اقول لقد كان يسوع لحقًّا ان
يفتخر باحتوى صبره من ايوب بانه كان دايمًا للعرج قدمًا وللعمي عينًا وللتايهين مقيدًا وللجياع
وللايتام ابًا وللاموات حيوة فنحو هذا نقول انه لقد كان امرًا غريبًا وقبيحًا جدًّا لو وجد انسان واحد
فقط يبغضه ولهذا قال على فم النبي فلنقف معًا ولنرى من هو يخالفني فليتقدم الى
فانبجوا اذًا من ذلك كم ينبغي ان يتوازم الاستغراب والعجب اذ قد وجد الوف من كل جنس وحال
ورتبة وسنة من خالفوه وبغضوه حتى انهم كثروا اكثر من شعر راسه كما تقدم فانبا في كتاب الزبور
قايلًا كثروا اكثر من شعر راسي الذين يبغضونني مجانًا فيا للعجب الغريب انه اذا احتم بطريقة الشرع
على قتل المذنبين وان كانوا اتوا زلات عظام فيقتولهم مرارًا شتى انه يتعذر وجود سياف
ليتم بالحكم القتل المحتوم عليهم حتى ولو بالاجرة ايضًا لان الجميع يكرهون مباشرة هذه الخدمة التي
تقتضي قساوة القلب لاسيما اذا اضطر ان يباشرها في الظهيرة وفي ساحة مشاعة ويحجة الخلق
ومع ذلك جميعه تسابقوا على تعذيب يسوع المسيح وقتله فقد تقدم الى هذه الخدمة متجلدين
واعوان كثيرو العدد جدًّا حتى انهم بلغوا حسب رويا مكتيلدا الطوباوية الى ٥٠٠ نفرًا و
كان جميعهم يسابقوا احدهم صاحبه وكانوا شريرين وذوي قساوة قلب بهيمية الى مقدار حتى انه
كان بيانا ان كلا منهم كان يخاف لئلا يسبقه اخر ويعدمه المجد الذي كان كل منهم يتوخاه
من كونه هو الذي قتل المسيح لعمري انكم لقد اندهلتم لما سمعتم منذ سنين قليلة انه وجد عبيد
جسورين اتفقوا على قتل كرلوس سلطانهم ٣٤ في ساحة لوندرا المدينة الكبيرة لقد اصبتم
بتعجبكم هذا لكن مع هذا جميعه فهولا العبيد المذكورين يتنكرون ويستروا وجوههم بما ينعل
الساخر لئلا يعرفوا وذلك لعلمهم بعظم العار والخزي الذين سيردان عليهم من مباشرة قتل
الملك اما الناس الذين قتلوا المسيح ففعلوا خلافًا لما ذكرنا لان اولئك العبيد لانهم افتخروا حينيذ
بالتشكل شبه اعظم الوقاحة كما تشير الى ذلك نغم الملك والنبي قايلًا رفع مبغضوك روسهم
بل الاجدر ان نقول انهم التمسوا ان يخلف الفعا وتلا الا انهم حفظوا بخطيهم وتفرسهم و
اشاراتهم واصواتهم فيتبين لنا انه بعضهم كان يهيج بعضًا ليتظاهر بالتشيطن لدى اتيان
قايلين ما هو مكتوب في سفر الامثال لنبتلعه كالهاوية حيًا وانه مكربًا انه كان ايضًا فيهم كثيرون

من

315

من اوليك الذين كان يسوع صنع معهم سابقًا الحسنات اي ربما كان منهم من نالوا منه شفا
ايديهم العسم ومع ذلك فكانوا وقت الالام يشتغلون بها بنتف شعره واخرون استعادوا
منه شفا ارجلهم اليابسة وكانوا مع ذلك يستعملونها ليلطموه ويرفسوه بها واخرون
كانوا يعيرونه ويجدفون عليه بذلك اللسان الذي كان سابقًا اخرس واطلقه واخرون
كان فتح اعينهم وكانوا مع ذلك يغطون وجهه ليشتموا ويتفرجوا والبعض كانوا من نالوا
منه العيون وكانوا وقت الالام يجرونه الى الجبل ليصلبوه وعلى الاطلاق اقول انهم تعدوا اقصى
حدود انكار الجميل وكل واحد منهم كان يستخدم ضد المسيح الاحسانات التي حازها من جهته
الالهية هكذا لحظ القديسون معبرين ان هذا هو الذي قد كان يشكو امنا السيد المسيح
قايلا على فم داود الملك جازوني بدل الخير شرًّا وبغضًا بدل حبي لهم واما انا فانطق بالحق
قايلًا انني لقد كنت استصعب ان اتبع هذا الرأي مع انه الرأي الغالب لو لم ار ان واحدًا
من اعز تلاميذه واخص اصدقاه ونفس هو الذي ابتدا ان يحمل هذه الالام القادحة و
اجتذب اليه الاخرين ورفع عليه عقبه فيا لعظم مذلتك ومسكنتك يا سيدي ومخلصي ثم
ويا هل ترى الم يكن هذا فقط سببًا كافيًا ليجعل يسوع مستحقًا لعظم الشفقة نعم ان اناسًا   العدد
اخرين قد اصابتهم هذه الشدة ايضًا فمنهم قيصر اصيب من بروتوس وزردان من ادخشاد
ولنداوس من جيحس وكان اوليك الخاينين لهم محبين ومعتبرين من ملوكهم المذكورين
اكثر من ساير اهل الدولة واصحابهم ولكن من من هولاء الملوك كان رفع خاينه الى مقام جليل او الى درجة
النعمة كما كان يسوع رفع يوداس الغاش على انه تعالى قد كان انتخبه من جملة معلمي الناس واقامه
من طالب الدينية الفقرية ونظمه في عدد اوليك الاثني عشر تلميذًا الذين كانوا عتيدين ان يلبسوا
بالعمل ويسوسوا بالشرف المملكة العظمى في العالم وكان اعد لخضوع الامم واكرام الكهنة واشادة
الكنايس وابتنا المذابح لاكرامه وكان وهبه سلطانًا مطلقًا على الطبيعة وخوله القدرة على
ابرا السقما واقامة الموتى واجتراح غيرها من العجايب ثم انه تعالى كان اخضع تحت امره قوات
الجحيم وجعلها ترتجف من تهديده ولئلا يترك دليلا اخر من دلايل الاعتبار والمودة الخالصة
نحوه فقد كان اتمنه وحده على صندوق النفقة الذي كان حاويا في فقره الاختياري وليس ذلك
فقط بل انه حتى عندما انحنى عند رجلي امام تلاميذه وغسلهما وقبلهما متواضعًا ولانه كان
صديقه فلم يشبع من اظهار المحبة بل بلغ في اختراع عجيبة الان يتحد معه باطنًا كشي واحد

وبتركيبه جسده ودمه نفسه ولاهوته المسجود له فمن من الملوك المتقدم ذكرهم أو غيرهم كان
أكرم خاينه ورقاه إلى هذه العظمة ومع ذلك اعتبروا مآل الأمر بالحفظ وهو هذا انه ما من أحد من
هولاء أخيف إلى الضعفاء في نحيره العظيم لكونه برّ وتوبيخ ثم انه خان قيصر لكن فعل ذلك تحت امل ان
يرث الروم ميراث الحرية التي كانت قيصر ابعدهما ابيلها وان يغتصب ادحقاً خان نردان ولكن ليختطف
مملكة الماديين وجبحس انما خان كنداولس ليختلي ولاية ليديا اما يهوذا فمن ترى ما هو السبب
الذي من اجله خان سيده ولاي قصد وغرض فعل ذلك سدوا آذانكم ايها المؤمنون لئلا تسمعوا
السبب الوحيد انما صنع ذلك طمعاً بثلثين من الفضة أي نعم هذا هو السبب الذي لاجله خان
معلمه ودفعه إلى اعدائه حسبما اخبر البشير متى قايلاً وأقاموا له ثلثين من الفضة غير انني
اكثرت بتسميتي ٣٠ من الفضة على ان هذا الخاين الشرير ما طلب هذا المبلغ لانه من
المعلوم انه ذهب إلى اليهود وقدم لهم معلمه معرضاً عليه وذلك بقوله ذلك المنافق المعلوم قايلاً
ماذا تعطوني وانا اسلمه اليكم ثم عندما قدموا له في اول دفعة فقط هذا الثمن الحقير اي ٣٠
فضة فحالاً ارتضى مع انه كان محباً للفضة جداً كما هو عندكم معلوم ولم يماحك ولا قاوم ولا
حرد على خساسة الثمن والحال انه كان يستطيع ان يبرهن لهم ان معلمه يستحق ثمناً ابلغ
مما جرى في السامرة في ايام الملك يورام حيثما أبيع راس الحمار المذبوح بثمن اوفر من ذلك جداً
لكنه ارتضى في الحين مسروراً بالبيع علماً ان تعمل الصلاة واظهر بسرعة رضاه وهذا انه لو كان
عقد بيع معلمه ايضاً ولو تعهدت تحت ادنى من المذكور وانه كان يحتسب دفع الخمس الاثني عشر للاتبياع
ربحاً له اعظم من مكسب الفضة وذلك خلافاً للعادة البايعين ليت شعري وهل وجد في العالم
شي ما أبيع بشروط عديمة الحظ مثل هذه ترى اي فدان أو اي حمار لا يصنع في بيعه ما أكرم اكثر
والعبارات اوفر اولة فتى رايتنا او سمعنا ان البايع يسرع في دفع متعته اكثر مما يستعجل الشاري
في دفع الثمن حتى اننا نرى كل يوم جماهير الناس يتنازعون بعضهم بعضاً في الساحات عند بيع
الشعير والتبن والقش وذلك ليربحوا فلساً واحداً اكثر من مثل هذه العهود الحقيرة فلنزد
المثقال (هكذا كانت تقول الطماعين في الارباح منذ ايام معاصري النبي) فلنزد المثقال ونظلم
بميزان الغش فنقول ماذا هذه الخيانات وعلوا الاثمان انما هو لكي يربحوا بالبيع شيئاً اخرهم سبباً لدينوا
قليلاً ونبيع قمامة القمح اعتبروا من هنا ما اكثر ما تطلب التجار الربح في البيع اما السيد المسيح فبعكس
ذلك لقد بيع وابتيع باول دفعة في الثمن وهي ٣٠ فضة فقط لعمري انه يستحق منها انه

إنما

إنما ابيع بغضاً وعدواناً
ولكن ما لي وهذا القول يا ليهي اسمعوا يا ايها الاخوة الاحبا ما هو ابلغ من هذا واردى لان
بيع المسيح كان غريباً ولم يعرف في العالم مثله اصلاً على انني وان تذكرت ان يوسف ابيع ايضاً من
اخوته الخاينين بغضاً وحسداً الا انني اجد الفرق عظيماً جداً فلتصورون أن يوسف فتى حقل
دوثايم مرفوعاً بحبال طويلة من الجب ليدفع بايدي التجار الاسماعيليين ولتتصوروا موثوقاً كعبد
مملوك صغير وهو لا يفتر من البكا والتضرع قد حمل على مناكب اسرع الهجن وتوارى عن اخوته
وحصل في ارض مصر وا اسفاه عليك يا ايها الشاب الحدث المسكين ماذا صنعت من الشر لاخوتك
الظلمة حتى انهم جازوك بهذه المجازاة الوحشية لعمري انك لم تصنع معهم شيئاً من المضرة
لكن مع هذا جميعه ينبغي لك ان تتعزى في شدتك هذه لانه وان كنت قد صرت موضوع البيع
والاشتراء الا ان سبب ذلك انما هو لئلا تموت لان يهوذا اخاك وود ان يحكم قايلاً خير له
ان يباع والنتيجة ان بيعك قد تم ليكون لك خير لانه بهذا انصبغ ثوبك بدم الخروف الذي
ذبح عنك بدل ان يصبغ بدمك المتعاظم كم كنت شقيت لو تبتاع لكي تموت الا ان هذه المهانة
الغريبة الظالمة ما ختمت بك بل خففت لواحد اخر من جميع الجنس البشري ذلك الذي
كان عتيداً ان يسمى بابن الانسان كما جاء في سفر الانجيل الطاهر بقوله وابن الانسان يسلم ليصلب
اليس هذا حقاً ايها السامعون على انني ارى جميع الناس الذين يبيعوا حتى في الحروب انما
قد ابيعوا ليسلموا من الموت وهكذا ابيع يوسف ايضاً اما يسوع المسيح فليس الامر فيه هكذا
لانه هو الانسان الوحيد الذي ابيع لاخرين بمنزلة حيوان للذبح ونحن فلماذا لا تتحرك جوانحنا
حتى ان اسفاً من جري هذه المهانة العظيمة آه منك يا يهوذا آه منك ايها الخاين المنكوس
الشقا لعمري انك غير عالم الان ما هو فحوى بيع المسيح لاجل هذه الغاية الشيطانية لكن اذا
ما انفتحت عيناك وفهمت ذلك ترى ماذا يصير منك ما اكثر ما تحزن وتتزمر وما اكثر ما تتاسف
وتتقطع غيظاً وسخطاً على نفسك انه لا شك انك حتى تطلب وتتمنى ان تحظى بجلاد لتقدم
له جميع الفضة التي جمعتها لما تصنع معك رحمة وتميتك قبل معلمك غير انك لم تحظ بمن
لانك انت سوف تصير جلاداً لنفسك بالحبل المنكود الحظ فلا تحزن ان كنت لا تحظى بمن لاجلك
لا تستطيع ان تجد جلاداً آخر انسب لشنقك من نفسك فهلم الى الشنق اذ ليس لك منه مناص
ولا خلاص لان هذا هو العقاب اللايق لمن هو نظيرك منافق اسمعوا يا معشر المسيحيين ما يتهدده

تقابلهم عاموص النبي قايلاً هكذا يقول الرب على ثلثة آثام اسرايل وعلى اربعة لا ارجعه من
اجل انه باع الصديق اما انتم فماذا تقولون ايها السامعون اما يتبين لكم ان يسوع هذا البار عومل
بارديء المعاملات جميعها فباي هذه المظالم الفظيعة ما اغربها بل باي هذه الاثام الشنيعة
ما اقبحها

العدد ٧

ومع ذلك جميعه لا تظنوا انه الى ههنا انتهى الم العار العظيم الذي احتمله يسوع في هذه الخيانة
بل حصل على الم وعار اخر ولقد اظن انه قد المه وعره اكثر جداً مع انكم انتم ربما تعتبرونه وكأن اقل
اعتباراً وما هو هذا العار فهو على حسب ظني ورايي ذلك الذي ورد عليه من قبل كيفية الشخص
الذي خانه وسلمه وكيف لا والحال انه كان تلميذاً له ودرّسه يسوع في مدرسته الشريفة وانضوى
تحت لواء تعليمه الجليل وتدبيره العجيب ومن ثم كان يحق للناظر ان يرجو من هذا الابن المجتبى بانه
لعتيد ان يضحي رجلاً كاملاً في القداسة وعمل الرسالة ومع ذلك اما انه بعد مدة ثلث سنين
وتعاليمه المفعمة صلاحاً وكلاً الاستبان لصاً ومحب الفضة وخايناً اهذه هي الفايدة التي اجتناها
من مدرسة معلمه بعد ٣ سنين نعم اننا تكلمنا انفاً عن الملوك الذين اتينا بذكرهم انهم اخينوا
ايضاً بعار عظيم ولكن ما ابعد الفرق الذي بينهم وبين يسوع لان اوليك خانهم اناس من رعاياهم
او عبيدهم او اصدقايهم اما يسوع فان الذي خانه هو تلميذه الذي ادخله في مدرسته وقد كان
تلميذاً محبوباً منه وقد منحه دالته دون غيره لعمري ان الذي يبتلي بشر هذه الخيانة يحصل
على عار وافتضاح عظيم بل تكون حالته شقية جداً لانه لا يقدر ان يرجو به ولا الاشفاق
عليها الذي قد كان له ان يرجوها لو خانه احد اخر اجنبي سيما عند الشعب الذي من شانه ان
يحكم غالباً حكماً كثيفاً معوجاً على ان الشر الذي يستبين في احد التلاميذ لسوء طباعه وعدم
تهذيب ارادته مع انه يكون قد حصل له تعليم وارشاد جيد ينسب من العام للمعلم زاعمين
بانه لا يصلح لحسن التهذيب ولا يعرف ان يفيد تلاميذه روحاً مستقيماً او ينسب الى تعليمه
كانه ملتوٍ او الى تهاونه في التاديب الواجب ومن ثم عدم نجاح تلميذ واحد يخفض شان المدرسة
كلها فاذاً الشكوك الواهية التي القاها يوداس في قلوب الصالحين ايضاً بخيانته الفظيعة التي
لم تكن تخطر لاحد على بال الظن بانها هي النبل الذي جرح صيت يسوع المعلم اعظم جرحاً وحس
قلبه الالهي بحزن حساً لا يوصف ولذلك لهذا السبب قال القديس ايلاريون ان سيدنا يسوع المسيح اقر
ان حزنه بلغ الى الغاية ولهذا قال ان نفسي حزينة حتى الموت وذلك من قوله اثم يوداس العظيم

وخيانته

وخيانته الغريبة لانه لمن المحقق قلما يكون ان يسوع المعلم السموي لما اراد ان يبتدي ويتكلم
بتسليم يوداس له تقلق واضطرب بجملته حسب شهادة الانجيل القايل قلق يسوع بالروح ثم تزكى
وبرر ذاته تجاه تلاميذه من خطية مسلمه وشهد حسب نص الانجيل انه ليس عليه اللوم من
هلاك مسلمه المنافق الذي هو اراد هلاكه من تلقاء نفسه لانه اى يسوع حسبما فسر المعلم لوديتوس
شهد بانه صنع كلما كان موافقاً لتهذيب تلميذه وبهذه الشكوك الصادرة من صنيع يوداس التي
قد جردت واطلقت اكثر من كل شيء السن مبغضيه ليتكلموا على يسوع بحسب هواهم وقد جعلت
اعداءه يشمتون به متبجحين بهذه ونزعت السلاح عن المجاهدين عنه وفرقت اتباعه وبددتهم
لانه ان كان هذا هو الاعتبار القليل اليسير الذي اظهره نحو المسيح احد الرسل المحبوبين لديه
والذي عامله نظير نفسه كقول داود النبي وكان اطلعه بمعرفته كلية على اياته المعجزة وتحقق
قد استنبوا واختبر حكمته السموية فليت شعري اي اعتبار صار له من الذين كانوا لهم فيه اقل معرفة
وماذا صنعوا ماذا صنعوا اسالكم ايها السامعون الاحباء لا تحوجوني ان اخبركم به وان اردتم
مع ذلك ان اخبركم بما صنعوه فاسمعوا لي قليلاً قليلاً لاني الان احتاج لكي اتم الخطاب مع محبتكم
والا فانني اعجز عن وصف ما هو باقي لي ان اذكره من الام يسوع مخلصنا قبل ان نبلغ الى الجلجلة

القسم الثاني

العدد ٨

فان رغبتم اذاً ان تسمعوا كيف كان قيمة يسوع سيدنا عند اوليك الذين كانوا يعرفونه اقل معرفة
من يوداس فلنذكرن اولاً المشقة المريعة التي صارت له في تلك المحكمات الشنيعة التي كانت
ايضاً تتلقب بمحكمة الشرع والقضا لكن باطلاً دعيت بهذا اللقب ولنتتبع من قبح المعاملة
خساسة اعتبارهم له تعالى فنقول هل رايتم يا معشر المسيحيين او سمعتم قط ان الشرع وضع يده
على انسان معتبر او فرد من كرام الشعب لسمو حسن صيت قد حبسه عند العال والدون قبل ان يسوغ
فيشك فيه او يشان بتهمة باهظة في اثم ثقيل نعم ان يوسف القي في السجن ظلماً وافتراءً لكن رداه
وجد بيد سيدته التي ارته لرجلها عندما رجع الى بيته لتثبت له التهمة عياناً ومنهم كان
ذاع عنه الخبر في الخفا وتقدمت الى الحكمة الشكاوات عليه اللازمة للفحص الشرعي لكي يكون السلوك
في حبسه بحسب قواعد الشريعة اما السيد المسيح لما تواردت القضاة على حبسه فليت شعري
ما هي الدعوى وما هي التهمة وما هو شبه الزلات التي قبض عليه والحال ان حالة كانت بعكس ذلك

لانه كان حاصلاً على صيت البر والقداسة افضل مما مضى وكيف لا والحال انه قبل بيومين كان
نودي به علانية انه نبي من السما وهو مثل الحق وكانت الجموع قد خرجوا من تلقا ذواتهم الى ملاقاته
ليقتبلوه داخلاً المدينة باغصان الزيتون ويباركونه بالحان النصر ويقدسونه باصوات
الديانة والاكرام الفريد قايلين مبارك الاتي باسم الرب الخ فكيف اذاً وهو حاصل في غاية هذه
المحامد استحق ان ترسل القضاة جنوداً ويطلبونه بمنزلة لص وكان له الصيت الشهير في قدوسيته
كاملاً وكذا من الدلايل في نفاقهم هاهوذا العالم قد تبعه فبهذا هو ما نطق به الفريسيون اخر كل كلامهم
وهذا هو الحكم الاخير الذي اوجب مسكه اي لان العالم كله كان يتبعه لمشاهدته براهينه واياته
المعجبة

العدد ٣

ومع هذا جميعه اسمعوا اما
اغرب قباحة النوع الذي استعمل في حين مسكه على ان الجند الذين ذهبوا الى البستان لهذا
الغرض لو كانوا ذهبوا ليمسكوا مجرماً لم تتوكد تهمته بعد ولكن لصاً قد حكم عليه بالقتل شرعاً
اعساهم كانوا استطاعوا ان يعاملوه اردى معاملة من معاملتهم المسيح لعمري انه لم يكن جايز
لهم بوجه وظيفتهم سوى ان يستاقوه باماناً الى المحكمة وهذا حق غير منكر فلماذا اذاً يجرونه
على الارض كحال حيوان مساق للذبح حسبما تنبى عنه زعيم الانبيا قايلاً مثل ضان الى الذبح يساق
لماذا يرضضونه باللطم ويدفعونه بالرفس ويدقونه بالنخر ويضربونه بالعصي فبهذا اختلسوا
وظيفة الجلادين وخالفوا وظيفتهم المليقة لاتمامها اي استياقه الى المحكمة بامان وسلام
فقط فاية شريعة اظلم من هذه لانه لئن كان الناموس المدني يقتضي ان يصير اولاً الفحص عن دعوى
المذنب ثم يوتى بالعذاب فاي ناموس حكم بان يعذب يسوع قبل فحص دعواه لكن ما بالي قلت قبل
فحص دعواه اولا لقد يسوغ لي ان اهتف مع اشعيا قايلاً اصبر حتى يصنعوا انصافاً و
صنعوا اثماً وان يصنعوا عدلاً فاذا صراخ العري انه لم يحفظ ناموس في الحكم على يسوع سوى
الحسد والبغض والرجز ولتحقيق ذلك ان الخصم هو الشاهد ولمن الحق انه لا تقبل في ساير المحكمات
غالباً الشهادة ان لم تتسجل باسم صاحبها وتثبت بيمين ظاهر شرعي بفحوص غب غاية التدقيق
اما في هذه المحكمة فقد قبل عقام وهان شرعي كل صوت ملتو وصدق احقر الشعب البايس المتغرض
الحانث القليل الديانة والعديم الشان وبالنتيجة المنفي عن الاشهاد في الشرع من كل النواميس
وبهذا تم كلام يسوع الناطق به بفم داود النبي قاموا علي شهود ظالمة

العدد ٤

وبالتهم منعوا يسوع اخذاً الا ان يجيب عن نفسه ويبررها او يجاحد عنها او يقدم احتجاجاً واعتذاراً ما

نعم

نعم انه سُيل ان يعطي حساباً عن تعليمه وتلاميذه الا انه عندما فتح فاه ليجيب عن السوال
مع انه تكلم باحتشام ووجيز من الكلام فحالاً لطم على خده من احد الجند لطمة قوية فماله
من شرع ملتوٍ وما اظلمه اما ترون نفاقهم على انهم ان كانوا لم يريدوا ان يسمعوا منه فما بالهم سالوه
واذ سالوه فلماذا لم يريدوا ان يسمعوا له انحدروا ايها السموات وانصتي ما بين ملكك وعدالة
هاهوذا قد انحطوا ليس من بعض اصغر القضاة فقط لكن من اصغر اعوانهم ايضاً على انما نحن لا
نطلب خلاصه من ايديهم لان هذا الامر لم نعد نرجوه لكن بعد ان حكم عليه بالعذاب والقتل على
مثل هذه الحالات فلنطلب ان يعامل بالترفق الذي لا ينكر عن القتلة والزناة واللصوص ولعمري انه
ما من احد من هولا سُكِت عنه قط هذه النعمة اي ان يتكلم كلمة ما ويحتج في هل الناموس يدين احداً
الا حتى يسمع منه اولاً بل اوليك قد اعطوا الاذن جميعاً وعلى الدوام ان يتهموا ويتشكروا وينصوا
ذواتهم ويأتوا لهم بوكلا يناضلون عنهم اما يسوع فقد حُرِّم عليه ليس ان لا يتكلم فقط بقدر
ما يشا بل لا يجيب ايضاً عما سُيل عنه فاذاً وجب عليه ان يصنع مع قضاته هكذا الظالمين لقد
اوجب عليه ان يصمت ساكتاً حتى وان سُيل مرة اخرى يصمت مثل انسان ليس في فمه تبكيت فليكن
ذلك ولكن والاسفاه اسمعوا يا معشر المسيحيين ما اغرب هذا الشقا فان يسوع قد صمت ولم
يتكلم غير انه اعتقد لذلك مجنوناً وحسب سكوته هذا اصماً ذلاً امام سمو العقل امام عناد الراي
امام خيانة القلب وقد وجد منهم ايضاً اي من اعاديه من احتسب سكوته تحقيراً بهذا الوقت
اقراراً مضمراً بالسيات المتهوم بها ليت شعري ماذا ينبغي لنا ان نحكم بهذه الشريعة التي
يحرم بها الجواب ويقاصص عن السكوت على حد سوى اخبروني ايها السامعون انتم الذين
لكم خبرة ما بالتواريخ ايخطر لكم على بال ان احداً المذنبين حوكم على منوال غريب وظالم في محكمة ما
مثل ما اصاب يسوع انني لعالم ان اوليك الملاحين الذين كانوا سايرين بيونان في سفينتهم لما تحققوا
من القرعة انه هو بمفرده كان سبب اضطراب البحر ومن اجله كانوا اشارفوا على الغرق و
الموت فلم يسرعوا بطرحه في البحر قبل ان يسمعوا منه لكنهم طالبوه اولاً ان يجاهد عن نفسه
واوقفوا الحكم واقاموا عليه الدعوى وفحصوا قضيته فحصاً مدققاً وكانهم كانوا في سكون وهدو عظيم
غير خايفين سالوه بتمهل وتانٍ قايلين اخبرنا لاي سبب اصابنا هذا الشر اي عملك اي
بلدك والى حيث تذهب ومن اي شعب انت واخيراً لما التزموا بالقضا عليه لم يأتوه بقضية
الموت حتى اعترف بنفسه بجرمه واقر قايلاً انه لاجلي اصابكم هذا الموج العظيم وقد نطق الذهبي

اللهم في تفسير هذه الاية في العظة ٦ في التوبة قايلا ها هو البر دونهم احتسبوا تعدي
فرايض الشريعة المستقيمة المدققة تماما فطفقا غريبا مع ان السما كانت ترعد ضدهم رعودا
مزعجا وتنصب عليهم الرياح الزعازع وتزيد المياه واشرفت سفينتهم على الانكسار بموجب
شهادة السفر المقدس ودنوا جميعهم من الغرق فاذا اي اثم عظيم صنع يسوع فادينا الالهي حتى
انه لم يحسب خطاه اهلا لهذا الشرف اي ان يسمع منه ولا بل مع انه لم تات للقضاة
فايدة ما البتة مع السرعة في اجرا القضا عليه ولا كانوا حصلوا على مضرة ما اصلا من العاقة
فحكم عليه ان لا يحظى حتى من الحقوق الشرعية التي حازها الانبيا المخالفون العصاة حتى في
حين اشتداد امواج البحر واضطرابه العظيم ولا اعطي الاذن ان يجيب عن نفسه بل حسب
سكوته اثما عليه لعمري انه تكلم المصاب لحاقال بفم ايوب الصديق الم اسكت ولم اهدا ولم استرح
ومع ذلك اتى علي الغضب

العدد ١١

غير انني حتى الان لم اذكر اعظم الاهانات التي اصابته عز اسمه وهي الاسلوب الذي استعملوه في
القضا عليه اني لعارف يا معشر المسيحيين ان كثيرين من الابرار حكم عليهم ظلما بقصاصات
مختلفة كالنفي وضبط اموالهم وقنياتهم او الحبوس او بالشنق او بالتسميم وكان صدور
قصاصاتهم هذه لا من غلط الولاة الظلمة المعذور بل من سوء ارادتهم تهورا فعلى
هذا النحو المذكور قد حكم جورا وظلما على سقراط وارسطو من اللاتينيين وعلى كاميللوس
وشيبيون من الرومانيين وعلى مرياس من هيرودس وعلى تراسيا من نيرون وعلى
ميتيوس من ديوكليتيانوس وعلى بوليسيوس من ثاودوريكوس ولكن ما اعظم الاختلاف
ما بين اسلوب القضا على هولاء وبين القضا على يسوع فادينا لانه وان كان المذكورون
مع كونهم ابريا حكم عليهم ظلما الا انه لم يحكم على احد منهم بالقصاص كبرى ومنزه من شايبة
التهمة اما هذا النوع من الظلم الغير المسموع بمثله ولم يكن احد يتصوره قد حفظ لعلو
تفاقم الرذالة التي بلغت اليها اليهود يسوع مخلصنا الذي صير عارا في الناس الذين كان لهم
بحثا لانه ان كان الانسان من عين طبعه يكره قتل الحيوانات الحقيرة التي لا تؤذي احدا بل هي
انيسة عفيفة ويرغب ايضا بامساكه عن قتلها ان يبعد ذاته عن شايبة الظلم والقساوة
فكيف اذا استطاع بيلاطس ان يعتقد حيوة المسيح حقيرة مرذولة بهذا المقدار حتى انه بعد
ان شهد تجاه جمع غفير من شعب لا يحصى انه لا يستطيع ان يقتله بحسب العدل والانصاف

فمع

319

فمع ذلك يريد يقتله شرعا ولتاكيد ما قلته اسمعوا شهادته الشرعية التي نادى بها جهارا
وبالفاظ صريحة واضحة والذي هو الاعجب من ذلك هو انه نادى بها وهو جالس على المنبر
حسب نص الانجيل قايلا لم اجد في هذا الانسان علة ما فان كان لم يجد في هذا الانسان
علة ما فليحل اذا من الحبال ولينطلق سبيله ليعود الى بيته ويقضي باقي حياته براحة وسلامة
لكون هذا نتيجة عدم وجود علة فيه تستحق الموت ولكن يا للدهر بجور في قلب خلع الحيا
وتهور من قواعد العدل لقد اختلفت نتيجة بيلاطس الاختلاف الكلي لانها كانت هذه
فليسلم اذا بايدي الجلادين فليساق الى الجلجلة فليصلب اذا وبالنتيجة اقول انه قد حكم بان
تكون طلبتهم فاية دعة الان استطاع يسوع الحزين ان يجد في محكمة لم ينتفع فيها من كونه
بارا في نفسه وصديقا بل اعيف كثيرا من التظاهر بالبر انني عميا قد سكوت انفا من كونه لم يكن
لتخفا وكيل امين يحاج عنه ويحميه من افترا الظالمين لانه لو قام من مدافعي رومية اورتنسيو
وتوليوس افصح علما اللاتينيين ومن مدافعي اثينا سقراط وداستينوس ابرع فصحا اليونانيين
وحضروا في هذه المحكمة فالذي كانوا استطاعوا ان يصنعوه احتجاجا عنه انه لا شك في
انهم قد كانوا اثبتوا برهم ثباتا بينا فهولا الذين قد كانوا استطاعوا عليهم او غيرهم من ابرع
فصحا العالم والعالم الاقدم هذا قد كان معروفا معرفة واضحة من القاضي نفسه لانه كان
عالما انهم اسلموه حسدا وكان اقر واثبت تجاه الجميع انه بري صديق وليس ذلك مرة واحدة
فقط بل مرارا شتى وذلك بقوله لم اجد في هذا الانسان علة ما ثم عاد ايضا وقال في
محل اخر لم اجد في هذا الانسان علة مما تقرفونه به ثم قال اي اصنع هذا من البري ومع ذلك
جميعه لم يكن برهذا كافيا ليتحرر وينجو من الموت وهذا امر لم يسمع بمثله قط

العدد ١٢

غير انه من تلقا نفسه قد صار سببا ليقضي عليه باقسى الميتات لا لسبب اخر ولاثبات ذلك
اسمعوا هذه العبارات فانها عجيبة مذهلة بلا شك الا انها حقيقية غير كاذبة فاقول انه لو قضي
على يسوع مخلصنا بمنزلة المذنب لكان تادب تاديبا مطابقا لكيفية ذنبه وذلك بحسب نص
الناموس الذي اوصى قايلا على قياس الذنب يكون ايضا نوع الجلد وبالتالي لكان استوجب الرجم
نظير نابوت لو ثبت عليه انه جدف او الذبح نظير يواب لو ثبت عليه انه قتل قتيلا او قطع الراس
على شبه سيبا لو ثبت عليه انه مارد عاص وما ماثل ذلك بحسب اختلاف انواع الذنوب
واعلموا انه لم يكن مباحا لاحد ان يبدل هذه العقوبات بعقاب اخر من تلقا نفسه لانه كان عند الجميع

معلوماً ان الناموس كان فرض لكل نوع من الذنب نوعاً مخصصاً من القصاص اما يسوع فلانه
لم يثبت عليه ذنب واحد فمن ثم حسب جائزاً ان لا يحفظ في تعذيبه حداً ولا ناموساً لكنهم يؤذن
بان يعذب مطلقاً اي بالضرب والجلد والتكليل بالشوك والصلب والتعيير والتعيير و
الاستهانة به وسقايته الخل والمر والافسنتين وسائر انواع اعظم وافظع العذابات حتى
انه كان يستطيع اي جلاد كان ان يكثرها عليه ويزيدها عليه ويعذبه بها كما يلوح له فهل
سمعتم قط عن احد المذنبين انه اسلم بايدي الاعوان لكي يعذبوه حسبما يشاؤون فما هو
الذنب الحديث الفريد الغريب الذي تعين لاجله قصاص هكذا مستهجن لم يحد قط ولا
ناموس اذن به وفي اي بلاد وفي اي زمن وممن من الناس اصابه هكذا غير يسوع المسيح بعزرته
قد تم فيه هذا الحظ وهو ان يعطى في تعذيبه السلطان المطلق اعني ان يكون بحسب هوى الاعوان
والجلادين وقد يتأكد ذلك من شهادة الانجيل المقدس الذي قال اما يسوع فاسلمه الى ارادتهم
ليت شعري هل حظي يسوع باعوان ذوي قلوب بشرية ليلطفوا شراسة القضاء العديم الجواز
وذلك بقبولهم اياه برحمة ورأفة لا لعمري لم يحظ بذلك ومع ان مثل هولا لهم من عادتهم
على ما يخصهم ان يظهروا نحو ابناء امارات الرحمة والشفقة على المجرمين المحكوم عليهم بالعذاب
ومن ثم يستغفرون اولاً منهم على امتثال الحكم بتعذيبهم معتذرين بانهم مأمورون به رغماً
عنهم ولا يمكن ان يتقلوا باختيارهم كيفية العذاب المقضي به عليهم ولاجل ذلك يسنون
السيف لكي يجزوا باسرع ما يكون ويدهنون الحبال ليتمموا القضاء باخف عذاب اما الاعوان
المنافقون الذين تسلموا يسوع اية رحمة استعملوا معه انصتوا ايها المؤمنون وارتدعوا
فلعلموا ان الناموس العتيق لم ياذن حقاً بجلد المذنب باكثر من ٤٠ جلدة حسبما جاء في سفر
تثنية الاشتراع بقوله لا يزاد الجلد على ٤٠ واذا اتفق لاحد وجلد جلداً ينيف عن
الاربعين جلدة فكان يعاب ويعدم استحقاق اية كرامة كانت ويضحوا عاجزاً عن جميع الوظايف
ولاجل ذلك حينما كان اليهود يغضبون على بولس الرسول ويجلدونه واتفق ذلك قلما يكون خمس
مرات ففي كل مرة كانوا يحذرون من ان ينقصوا عنه جلدة واحدة عن الاربعين قاصدين بهذا ان
يتملقوه ليرجع اليهم تابعاً ناموسهم الموسوي طمعاً بوظيفة ما جليلة يرجوها في امتهم ومع ذلك
جميعه فان الجلاد الذي امسكوا به يسوع ليس انه بلغ عدد الاربعين جلدة فقط الذي كان
كافياً لان يعاب ويفضح عند امة اليهود لكنه زاد على الالوف ايضاً وذلك لكي يصير كلي العار والفضيحة

العدد ١٤

ويعدم

ويعدم شانه بالكلية وحالما يتعين اولاً من القاضي نوع الجلد الذي سلم اليه ولا تحدد عدد
الجلادين الذين اعطوا الاذن في جلده ولا تاجر الزمان الموجب ان يستطيل فيه الجلد بل ترك
كل شي لمشيئة الاعوان وخاطرهم لانه اسلم لارادتهم حسبما قلنا من نص الانجيل فالذي
صنع اوليك الوقحون فكان بعضهم ينوب بعضاً بنوبات متلاحقة بعدد الجلد المديد بانه
بعصي وحيناً باعصاب وطوراً بحبال ووقتاً باوكر [illegible] بسلاسل حديدية فمزقوا عروقه
وجردوا عظامه وهشموا اعضاه بقساوة هذا عظم مقدارها حتى انهم لما لم يعدوا لها
ايضاً محلاً يجلدونه فعلى جرح جرحاً زادوا وكانوا يحدثون جروحاً على جرحهم الجراحات ت
ويجرحوا القروح لعلهم يتصلوا الى تقطيع الامعاء ليت شعري ترى من اي جنس كان اوليك
الجنود ومن اي صخر صلد تلدوا وباي وحش ارضعهم ودرّبهم كيف امكن ان لا تسقط المقارع
من ايديهم حالاً عند معاينتهم جسداً كهذا للنقاوة والطهارة قائماً عرياناً بازايهم كيف امكن ان
لا تضعف قواهم وتبطل كل حركة فيهم ويعدموا كل حس فلو كان المسيح سابداً الا الهاً عظيماً
ايضاً كما كان حقاً ما كان يكون ان يلين قلوبهم طبعاً ويميلها الى الشفقة وحسنه ذلك الفا يق
الذي لم يبدع بمثله في العالم ومع ذلك جميعه فانه لمن المعلوم المحقق انهم لم ينعطفوا الى
الرحمة مما ذكرناه اصلاً بل كما ان حسن الزهر وحسن الثمر لا يستطيع على ان يصد السحاب بات
ليلا تمطر بسخط عظيم وتهطل البرد على الحقول وعلى البساتين هكذا لم يقدر حسن يسوع
الالهي اوليك الغليظي القلب ليمسكوا عن قساوتهم الوحشية ومن ثم لما ابصروا راسه
المقدس فقط سالم من التشديخ في هذا الطوفان من الضرب والدم اجالوا عليه جميعاً سخطهم
فح (تاملوا معي تعديهم النظام على رسوم جميع الشرايع) نهضوا بسلطانهم الذاتي و
باختراع نفوسهم خلوا من ان يعرضوا آرائهم على القاضي ويستشيروه قبلاً فظفروا اكليلاً
من شوك مسنون والبسوه اياه على صدغيه كان غابات بلدهم الفلسطينية كانت خالية
جميعها من اكليل احرى اشرف من هذا مناسبة له ثم غطوا عينيه بمنزلة ملك خيالي لعل اليهود
وازدحموا حوله وشرع بعضهم يتفل على وجهه وبعضاً يلطمه على خديه وبعضهم ينتف
شعر لحيته باحتقار يفوق الوصف ثم انه من عادة سائر الاعوان حتى الاعظم قساوة ان يخففوا عن حطه
المذنبين الالات الثقيلة عند ان يعاقبوهم بها ليت شعري هل استعمل الاعوان اليهود هذه الملاطفة
الرأوفة مع يسوع المنقاد الى البتر اما ترون انهم كلفوه ان يحمل على كتفيه ايضاً الخشبة الثقيلة

ان يُصلب عليها ثم ان اسحق حمل ايضاً الحطب الذي كان يتجهز ان يضحى فوقه غير ان ذلك
كان عند الصبح وفي طريق منفردة عن العالم حيث لم يكن احد من الغربا يراه ويهزو
به اما يسوع فحمل خشبته في الظهيرة وفي وسط اورشليم وكانت الابواق تهتف امامه و
الطبول تضرب من جوانبيه وخلق كثير يسير وراه ومعه ولما وصلوا به الى الجلجلة ما
اكتفوا ان يبسطوه على الخشبة لانها قبلته بل لكي تكثر فضيحته ويزيد خجله نزعوا عنه
اثوابه وتعددت بهذا جراحاته التي كانت ثيابه الخشنة لاصقة بها ثم انهم وهو عرياناً القوه
فوق الخشبة كانه على وسادة وبسطوه عليها وجذبوه ودقوا المسامير في يديه ورجليه
فلا تتعجبوا مني يا اخوتي لاستماعكم اياي مستعجلاً بهذا التعبير لانني اخشى من تمزيق
قلوبكم حسرة ان لم اسرع بها ثم رفعوا اصواتهم باتفاق واحد وضجوا ضجيجاً عظيماً بهذا
المقدار حتى انهم جعلوا الشمس تهرب بغتة من العالم خوفاً وارتعاباً ورفعوا الوقت بسرعة و
تهليل ملك المجد وارزه الجميع معلقاً ومسمراً على الخشبة وذلك في يوم العيد الحافل اكثر من
باقي اعياد السنة وفي مكان احقر من سائر الاماكن وفي موضع يسمو عالي على المواضع وبنوع
معذب اوفر من كل الانواع لان الشريعة كانت تحتم ان يعلقوا على الصليب المذنبون مربوطين
بحبال فقط اما يسوع فاستعملوا في تعليقه المسامير وكانت هذه كما كتب كثيرون ليس غلاظاً
فقط بل مربعة الاجناب ايضاً وذلك لكي تمزق عروقه باعظم الم فيا لهم من جلادين قساه
لم يخلو في العالم مثلهم فليتمموا سيء اغراضهم في هذا المذنب الكلي الصلاح وليتشبعوا
من تعذيبه وليدفقوا عليه سم قلوبهم لكن لماذا يصلبونه ما بين لصين لعمري ان هذا لم يكن
من امر القاضي لكنه كان اختراعاً من اليهود او حسيب الذي بسلطانهم التلفيق عملوا بكلما ارادوا
اما السبب الذي حركهم لهولا الظالمين على ان يصلبوه ما بين لصين فانا اخبركم به فاسمعوه
على ان هولا البهيميين ذكروا ان يسوع المسيح ما اشتكى اصلاً من جميع الاهانات والعذابات
التي انزلوها به الا اذ ذهبوا اليه مسكوه في البستان بعصي وارماح وسيوف وعاملوه بذلك
كاللص حسب قوله تعالى كمثل الى لص خرجتم بسيوف وعصي لتاخذوني فقالوا من خاف بينهم
انه هل علي ما رايتنا ننكاد منا لما اجد من معاملتنا اياه بمنزلة لص فلنعامله اذاً كاللص ومن ثم
لم يكتفوا ان يفضلوا عليه لصاً وذلك لما احبوا ان يطلقوا باربان وطلبوا صلبه فجعلوا اللصين
بل اقترنه الى الجلجلة وصلبوه فيما بينهما ايضاً قايلين ما جاء عنهم في سفر الحكمة لنحكمن عليه بموت

شنع

321

شنع اعتبروا كم كانت اشواقهم متزايدة في ان يحرموه حيث يتالم اشد ما لا وقد راموا بلا
شك ان يُحسب عند الجميع بهذه الموتة ملكاً ولكن ملك اللصوص انه لمن المعلوم ان الصليب
كان قديماً عاراً وخزياً عند جميع قبايل الارض ولهذا اسماه ترتليانوس وشيشرون الفصيح
عوداً مفضوحاً وسماه كانه بعود النحس وليبسيوس دعاه ايضاً خشبة العار والهوان
والخزي مع ان هولا كانوا وثنيين ثم قال القديس اغوسطينوس في الكتاب الرابع من المقالة ٣٦
من تفسيره بشارة يوحنا انه لا موت اشنع من الموت على الصليب فاذاً كيف كانت حال يسوع
معلقاً عليه مع هذا المقدار من انواع الحتم والعار التي زادوها عليه كيف كان هذا المتقدس الالهي
منوطاً بحناً على صليبه تجاه جمهور لا يحد في مكان عالي شامخ ولذلك اظن ان الخزي المتحوذ
عليه كان لديه اشد الالام اوجاع ومن ذا ينكر ذلك ولهذا قال الذهبي فم انا نقل جميع
العذابات هو الخجل ومن هنا نرى ان الرسول قد جاء بذكر هذا فقط لما كتب وقال ان يسوع بري
ايماننا اذ كان موضوعاً اماما السرور (الا انه ما الى بير) احتمل الصلب واهان الخزي ليت
شعري لماذا يهين باهوال اخر ليتضع الصليب اي ذم قد يهين بالاحزان والجلدات والجلاد والتعيير
اهين بالتعليات والمزاوف والتزاعات لكن هذه جميعها لم تكن اعظم انتصار له بل اهين
اكثر من كل شي بالخزي ومن ثم كما اننا ملزومون ان نمدح احتماله الانتصر على الجد الكثيرين بوقت واحد
كما صنع داود نكتفي بذكر العدو الاكبر قايلين انه انتصر على الجبار هكذا ينبغي في المسيح انه مات
على الصليب واهان الخزي كانه واضعه امام عينيه دايماً كان هذا كان الالم الاكبر الذي كان يهمه
من اجله ويتصعب الانتصار عليه حسبما قال على لسان الملك والنبي خجلي بين يدي النهار
كله بهذا العار ذكره في مواضع كثيرة الابيها السموي شاكياً منه بقوله انقطع املي كما جا في المزمور
ارميا فصل ١٥ بقوله اعلم انني احتملت لاجلك العار والعار كلاه هذا عينه في المزمور
قايلاً واحتملت من اجلك العار وغطا الحيا وجهي وقال ايضاً خزي وجهي قد غطاني
وقد اعلن ايضاً ان خزيه هذا لا يفهمه احد بحسب الواجب الا ابوه السموي بمفرده لانه
تفوه بمثل ما سمع في المزمور قايلاً انت تعرف عاري وخزي وخجلي واقول بحصر الكلام انه
هذا النوع من الالم كان عظيماً اوفر عند يسوع بهذا المقدار حتى ان ارميا النبي ما جزع من ان يحقق
لنا بكل شجاعة انه سوف ياتي يوم ويبلغ فيه المسيح الى ان يشبع منه اي من العار المذكور
قايلاً يشبع من العار فلم يقل انه يشبع من الاوجاع او من الجراحات او من الجلاد لانه يحسب راى

الجميع ان سيدنا يسوع المسيح مات متعطشًا ايضًا الى هذه الالهام لانه مات مثل من هو عايم في
بحر الدم مستنيدًا على قوله وهو على الصليب انا عطشان والغايبان فقط انه مات
شبعانًا من العار حسب قول النبي يشبع من العار وذلك دلالة على ان عاره تعاظم بالغًا الى
الغاية

العدد ١٤

فاذا هل تستطيعون يا ايها المسيحيون
احبايي ان تاتوني بذكر انسان اخر سوى يسوع لم تكن الاسعفه وجد ترحمة ولا هو اقل احتمالًا من التي
عاناها الاهم كما لم يكن انه لا يعلمكم ذلك ولو قراتم تواريخ انترويو فلغوس او طواير لستريفونوس
بامرها ولكن انا عارف بانني ان ذهبت اليوم واوردت هذا الخطاب على غيركم ولست اقول على
النموره والافاعي بل على الاخشاب والصخور لكنت جعلتها تتشفق توجعًا وما الى اقول هكذا والحال
ان التشفق في مثل هذه الحال ليس هو منها امرًا بديعًا جديدًا لكونها تصدعت نهار صلب
المسيح ومع ذلك جميعه كم ترى يوجد فيكم من الذين يمكنني ان اقول عنهم انني ما استطعت ان
اسكب من عيونهم حتى الان دمعة واحدة ان كنتم حاسبين تسمعون العظة جميعها بقلب يابس
وبوجه صاح وباعين جامدة كانني كلما قلته الان لكم ليس هو بكاف لان ينفذ داخل فوادكم
ولا تظنوا انني تعجب من هذا لانني كنت منتظره وهذا هو الشي الذي يختم اوجاع يسوع
سيدي التي لا مثيل لها واهاناته التي تفوق الوصف وعاره الذي لم يسمع بمثله اي عدم وجود
من يحزن ويشفق عليه في يومنا هذا عند تذكر ما قد احتمله لاجلنا وها هو ذا نفسه حقًا قد تقدم
فقال مشتكيًا من هذا على لسان الملك والنبي انتظرت من يحزن معي فلم اجد ومعزين فلم
اصب لقد حظي ايوب على مزبلته بثلث اصدقاء مزقوا ثيابهم لشدة التاسف على مصابه وعربده
وتبتوا معه بعد ايام وسبعة ليال جاثين بكماء على الحضيض وساهرين وباكين وذارين على
روسهم لشدة الحزن الرماد وحكا زكيمنا سبع كاتون الصغير بامر قيصر من المنبر الشهير حيث كان
يخطب على الشعب ليوخذ الى السجن خرجت معه برفقته كل مشايخ رومية حزينين مغتمين
ومتشوهة وجوههم من البكاء على بلوتس وانهم ايضًا ديونيسيوس الظالم من الملك واضطر
تيمولعوس بان يضع بلاده فاسرع جميع اهل مدينة كورنثيوس التي مضى اليها وخرجوا الى لقايه
لينظروه ناعيين متحيرين من بليته اما انت يا يسوع منقذي فمن هو الذي اصبته قد رق قلبه
عليك وكلمك كلمة واحدة من التعزية واعطاك عربونًا في محبته لك وحسرته اني يستبين
لي انك تتفرس حولك هيهنا وهنا في جميع اشد اوجاعك وتخاطبني قايلا نظرت حولي ولم ارى

322

معين فان لحظت تلاميذك الاعزا انفسهم فاري البعض منهم قد خانك والبعض كفر بك و
البعض هرب واما ابوك السموي فاظهر عن ذاتنا انه تركك كالاجنبي تحت سلطة معذبيك
وان كانت والدتك الكلية الحزن وغيرها من بعض النسا التقيات والاميات عليك تجعنك
لكن اهًا وا اسفاه ما الذي استطعن اوليك المسكينات ان يصنعن معك من الاعانة اذ كن
هن نسوة وكن ينظرن ايضًا من بعيد في وسط خدام المحكمة الكبرى العدد الذين كانوا يعذبونك
وفي وسط الجمع الغفير الذي كان يهزا بك والجلادين الذين كانوا يشدخونك والجنود الذين
كانوا يشتمون بك والكهنة والكتبة والفريسيين الذين كانوا باصوات عالية يشتمونك ويجدفون
عليك كما كتب وكانوا المجتازون يجدفون عليه هازين روسهم

العدد ١٥

الا انني اعجب ايها السامعون في عدم اشفاق اوليك القساة على يسوع وهو حي بعد معاينتي
قساوتهم العظيمة عليه وهو ميت لانه وجد من جار حتى على جسده الميت ايضًا وجار
عليه بازلعيني والدته فاي ظلم اغرب من هذا ان كاتون الكبير قد بكى لما عاين جثث الرومانيين
الذين كانوا قتلوا منه بمحاربتهم اياهم وتيطس بكى عندما شاهد جثث اليهود مع انه هو كان قتلهم
واسكندر العظيم ذلك الذي جاد بنفقات كثيرة واتعاب بليغة واحتياجات عديدة ليرفع
من العالم داريوس ملك الفرس فمع ذلك جميعه لما عاين جسد الميت المقتول طريحًا ما بين جثث
الجند ما استطاع ان يمسك ادراف الدمع من عينيه بل نزع عن عاتقه ارجوانه حالًا ولف بها خفطاه
برحتى وضع في لحد ولا تو تشانه الملوكي اما جسد مسيحي الحبيب مع انه ميت ومذبوح ومسجوح
كلب بجملته فتسل عليه الحربات ليشق بها جنبه بحربة يا للدمن جور عظيم ما اغربه يا للدمن جور
غريب ما اشنعه يا للبهائم قساوة وحشية ما ادايكم فيها قال الذهبي يوحنا الذهبي فمه في العظة ٨٤
فسر لهذه الاية هكذا ان تعذيب الميت هو نوع من الظلم الرديء قيا حسرتاه الصليب على الصليب الذي
لم يبق له نسمة فالى استطاعتي يمكنني بها ان اصف هذه القساوة الغريبة المذهلة فبها انا اسالك
ايتها الشمس ان ترثي لمصابه تخفا بحجبك انوارك وانت ايتها الصخور تتصدعين وانت ايتها القفار
تتزلزلين وانت ايتها البحار تهدرين وانت ايتها الانهار تخنفين وانت ايتها المخلوقات الغير
الحساسة بنواحك وصياحك وتبلبلك فان كنتن انتن لا تبكين فلا ادري ما حيلته دموع اقدمها
اليوم على قبر سيدي وسيدكم المقتول المايت العلول دموع الارامل ليبكين ولكن تصدر بنات
الهيكل قد حضرن ذوات النفوس لبعوليهن الذين احببنهم كثيرًا اكثر من جميع خيرات الدنيا امهات الدموع كن الصبايا

ليبكين لا انهن يخسرن لحقايلات انهن او عدمن بصيراتهن عشاقهن الذين قدمن لهم
عواطف قلوبهن بقسم. وهولاء الامهات المكتئبات يعترفن لحالهن الديم قبل آن
يذرفن الدموع من عيونهن الا على قبور اولادهن المفقودين منهن ومن ثم بقي البكا عليكن
انت ايتها القفار والكهوف والصخور اذ كنت لا تشين ان تستر جنازة يسوع ربنا فاقدم كليا
الاكرام المالوف في تدبير الموتى الذي يظن بالتاسف عليهم مع انني قد بينت بيانا واضحا ان
الاستقدن الحمد وموته لم يوجد له مماثل في العالم كله البتة اذ انه بلا شك ليس وجع مثل وجع
يسوع

القسم الثالث

العدد ١٦

انني لست احسب ان تكون الفايدة التي يجب اجتناها من خبرة الم المسيح الحزنية هي التاسف
واذراف الدموع الخارجية فقط لان هذا يمكن صدوره من الاشفاق الطبيعي الذي يشعر به الانسان
على مصايب كل بار وكوارثه. فاذاً ليس على هذا الاسلوب يجب ان يكون بكانا على الاله المصلوب
اعني كما نبكي على شخص جليل وديع لكن ينبغي لنا ان ننتج لاجل الفايدة اسبابا قوية تحركنا الى الندامة
والخجل على اننا منا متاليف قباحة عدم معروفنا جميعا من احتمال هذه الالام الشاقة من اجلنا اذ ان
بولص الرسول نطق في رسالته الى الروميين قضية تتضمن في نحوها صعوبة عظيمة وها انا اريد
الان افسرها لكم لانها تستطيع ان تفيدكم كثيرا لقد قال الرسول المذكور ان الاب الازلي وضع في العالم
ابنه المتجسد غفرانا بالايمان في دمه ليتبين عدله لمغفرة الخطايا السابقة انني لعالم بانه لا شك
في ان المسيح المخلص بموته في وقت واحد عدله ورحمته وذلك لانه اظهر عدله بوفور الثمن
الذي دفعه لافتدا العبد ولا سيما اعني به الانسان وقد اظهر ايضا رحمته بتفاقم الحب الذي
بهما قدم نفسه ليموت عمن كان بعدُ كل عاصيا وهو الانسان ايضا. فهذا جميعه نفهمه بغير انه اذ قال
الرسول ان المسيح مات لمغفرة الخطايا السابقة العلمانيين لم يقل انه على الصليب قدم مكافية لان
تفي عن جميع خطايا البشر حتى ولو كان عددهم غير متناه او كان العالم ابديا غير زايل غير ذي حد هو
حق لا ريب فيه فكيف ان الرسول لم يستعمل الفاظا ذات معنى اوسع تضم الزمان المستقبل والممكن
ايضا بل انما استعمل لفظة دالة على الزمن الماضي فقط بقوله لمغفرة الخطايا السابقة ولم يقل
المستقبلة فيجيب على هذا المشكل العلامة برادي مفسرا هذه الاية تفسيرا حرفيا يسمو على ساير
التفاسير وفقا لانه من حيث انه يستحيل بحسب قوة الطبيعة ان المعلول يتقدم على علته الفاعلة

اي

323

اي بتقدمية الزمن لم يكن العقل البشري الطبيعي يستطيع ان يفهم كيفية قد غفرت بها الخطايا التي
صدرت من البشر قبل ورود المسيح بقوة دمه الكريم الذي لم يهرق بعد وان نويت ثمنه لم
يكن قدم ومن ثم فلان الرسول الالهي اراد ان يزرع في عقول الحنفا حقايق الايمان الاوفر عسرا
ان اراد ان يذكر على الخصوص تلك الخطايا التي كان غفرانها اما غير معروف او انه غير مفهوم وهي
الخطايا السابقة على موت المسيح المخلص الا انه فضلا عن هذا التفسير الذي هو حرفي وحسبما قلت
فاني اورد لكم تفسيرا اخر ادبيا وروحيا مثبوتا من مفسرين ماهرين في العلم فاقول ان مار بولص ذكر
مغفرة الخطايا السابقة خاصة لا الخطايا المستقبلة لانه ما صدق ولا تصور انه يمكن صدور الخطايا
بعد صلب المسيح وموته وذلك لان هذا الرسول الالهي لكون قلبه كان مضطرما بمحبة يسوع
ومتصفا باحترام يليق لالامه واتعابه وفاق الوصف لدمه الزكي فلم يكن يستطيع ان يبلغ بعقله مع
كونه ثاقبا حاذقا الى ان يفهم ان الانسان يجتري على الخطا بعد علمه بانه اهرق هذا الدم الثمين
واحتمل هذه الالام الفادحة بسبب الخطية ولذلك قال في نفسه يكفي ان اكتب عن الخطايا
السابقة لانه باطل هو ان اكتب عن الخطايا المستقبلة

العدد ١٧

ولعمري من تراه كان يصدق لو لم ير ذلك عيانا انه يمكن وجود اناس قساة القلوب وشرسي الطباع
يعرفون بايمان اكيد ان الخطية اتصلت الى ان تميت الهنا ويهوون مع ذلك ان يأووها
داخل منازلهم ويضيفوها في قلوبهم ويودوها متنعمين بها من بعد ان صارت جلادا لا صارما
لمن افتداهم بثمن دمه الكريم هذا لعمري هو اية من الشراسة الوحشية غريبة مستبهة بجنسها هذا
المقدار حتى انها لو لم ترى جهارا لكانت لتحسب ضربا من المحال الغير الممكن ومع ذلك يا حسرتاه
والاسفاه على انني احس بقلبي انه ينفطر توجعا عند تذكري ما انا مستعد لان اقوله لكم
اي انه يوجد اناس لا يحصى عددهم متصفين بهذه الخلة المذكورة فتراهم ليس يسرون و
يتنعمون بالخطايا ضد ربهم فقط بل يتماتون فيها وعليها يوطدون خاصة الثروة التي بها
هم عايشون اخبرونا من اين يعيش هذا المقدار من المترخين بالمغاني الدنسة وعاملي المراسح
الطفسة ومن الكتبة الخائنين واللصوص والقتلة الظالمين ومن الزواني الطفسات والقوادات
للنجاسات افلا يعيش هولا واخرون نظيرهم من الاثام التي تصير ضد ربهم ويتم فيهم كلام الله
على فم هوشع النبي انهم يأكلون خطايا شعبي فهذه هي مداخيلهم هذه هي رأس اموالهم هذه
هي املاكهم هذه هي غلاتهم وعلاتهم وبالتالي لو بطل من العالم من يجب ان يخطي لكان هولا

ينتقرون سريعاً ويلتزمون بان يتسولوا ثم اخرجوا الى الشوارع الشاسعة واخبروني على اسم
من الاسما الذي يعلن في كل وقت وفي كل حاجة غير اسم الله القدوس اذا ارادوا كثيرون ان
يظهروا فورة غضبهم لتغير المرتب فيحيلون على الله غرضهم او اذا ارادوا ان يحققوا كلمة
كاذبة فيطلبون الشهادة عليها من الله واذا احبوا ان يمزحوا ويلعبوا ويضحكوا وينشرحوا
فيكون الله موضوع مزاحهم غالباً وبالاجمال القول لقد صارت اليوم البهجة اي نقص الكلام
تفهماً والهزء مكرماً مضحكاً والتمسخر بارذل ممقوتاً ان لم تتزوق فيه جلالة الله الرهيبة وهكذا يضادم
يسوع المخلص الذي هو ثمن افتدا العالم اما تصير اذن تفاوتة كل زاوية لانه ليس الا الكسد والموسوف
وحدكم يدوسونه لكن ادعا الناس وادنياهم ايضاً هذا هو الاسم الذي يجدونه عليهم من الملاحين
في السفن ومن الحراثين في الحقول ومن التجار في الحوانيت ومن سايسي الخيل في الاسطبلات
ومن الاجراء في الدكاكين ومن السكيرين في الخانات حتى اننا لا نستطيع اليوم ان نسير في الطرق
والساحات من غير ان نمتلي مستوعبين حزناً وغيظاً لمشاهدتنا عدم اعتبار الجميع لدم
يسوع ربهم الاكرم بل ينجسونه ويتوطاونه كان المسيح اهرقه وجعله يسيل على الثرى
بفيض وافر ليصير طيناً مداساً في الشوارع

العدد ١٨

يا يسوع الالهي كيف احتملت ان تصلب عن كذا اناس منافقين عديمي المعروف وظلمتكم سامحني
اذا اتهجمت عليك هكذا لان غيرة مجدك الجئتني لهذا الكلام ان كنت انت ابن انزل عن الصليب
ان كنت انت ابن الله انزل عن الصليب ماذا تصنع على هذا الصليب ماذا تصنع يا ابن الله
الهالك تهرق ذلك الدم الاقدس بهذا الفيضان الكثير ليقل اعتباره وتخسر قيمته ما الفايدة بهذا ما النجاح
ما المنفعة اولا انزل اي نعم اي نعم انزل عن الصليب لانك ماذا تؤمل من البشر الهالك تؤمل بانك
تعرفهم احسانك ويقدمون لك اكراماً ما في هذا العالم لمشاهدتهم اياك بادلاً نفسك عنهم
لقد جحدوا الجميل اذ انهم يفضلون عليك هوى ما من اهوية نفوسهم الرخصة وربحاً يسيراً
من حطام الدنيا وكرامة قليلة من كرامات العالم الفارغة الباطلة واذا ارادوا ان يصنعوا معك
معروفاً ويساووك باحد فلا تعلم يا الهي من يساووك فيساوونك بواحد (ولكن لست
اريد ان اسميه لئلا القيك في اعظم العار والخزي تجاه الخلق) فلا تنخدعن اذاً يا سيدي بامالك
فيهم لانك تغتر بهم لقد ابعت قديماً بثلثين فضة اما اليوم فبلغت النصارى الذين يبيعونك
باقل من ثلثين فضة لان شأنك قد انخفض جداً حتى اني لست اركن ان اقتادك الى السوق واقيمك

مقابل

324

مقابل ادنى البضاعات التي تباع هناك على انه بحق عندي انه سيكون ثمنك احقر من ثمنها و
نحسر ان اقيمك مثلاً مقابل الخمر او مقابل الزيت بل نحسر ايضاً ولو اقمتك بسعر ادنى العنب الذي
يباع في الاسواق ولا يفيدك تشكوك وتاملك ان تاسفت واوردت ما قلته قديماً بافواه
انبيائك ان شعوبك يحبون حتى اليوم حفنة العنب اكثر منك فيدعونك تشكو او تتالم
بقدر ما تشاء غير مكترثين بك بل لكي يرجعوا اكثر وجعاً يهزاون بك (افهم يا سيدي المحبوب
ما اقوله لك) يهزاون بك مجتمعين وانت مع ذلك لم تزل معلقاً على الصليب من اجلهم
انزل انزل اذ كنت انت ابن الله انزل عن الصليب لانه يمكن ان الانسان يجتري على الموت
لاجل الصالح كما قال رسولك اما الكافر الطالح الناكر الاحسان فمن ذا يجتري على الموت من
اجله ولكن من هو الذي اخاطبه انا هكذا فهو الاله العارف بهذا كله ويحتمله ويقبل العذاب
لاجل نفس اوليك الذين لا يصبرون جميله لانه لم يمت لاجل مغفرة الخطايا السابقة فقط اي
تلك التي تقدمت على الامه وموته لكنه مات بنوع اعجب وبرحمة اعظم من اجل مغفرة الخطايا
المستقبلة ايضاً ومن ثم ان كان هو ساكتاً فيكم فاريد انا قلما يكون احتاج عنه لديكم والتمس
منكم متضرعاً نيابة عنه ان تشبعوا من الاهانات التي اسلفتموها اياه حتى الان وتتحولوا
عنها قلما يكون من هذه الساعة فصاعداً

العدد ١٩

ولكن باية واسطة يمكنني انا الانسان ان استمد منكم هذه التوبة النصوحة الكاملة سوى
هذه الواسطة اي ان انصب بازا اعينكم المنظر المهيب الذي جعل السما في مثل هذا النهار
نفسه تجزع وترتهب والارض ترتجف والطبيعة كلها تخجل هلم هنا اذاً ايها المسيحيون
شعب الله المحبوب وان كنتم لا تصدقوا ان يسوع مخلصكم قد قاسى حباً بكم جميع صنوف
العذابات والاهوال التي ذكرتها لكم فانظروه باعينكم (حاشية) وهنا فليزح الواعظ الستر
عن صورة يسوع المصلوب المهشم ثم يهتف قايلاً اما يتبين لكم ان انسب لكم بلغ بحبه
المضطرم نحوكم الى الغاية ها هو ذا حياتكم ليس كما لقد قد انكم كما تقدم فقيل لكم منذ اجيال
كثيرة لكن عاينتموه حقاً ومن ثم اخبروني ماذا تطلبون اكثر من الصليب عنكم من الدم نعم لاجلكم من
البهر اوتوه سحابكم اخبروني هل عاين احد يصنع معكم محبة اكثر من هذه وان كنتم لا تعرفون
ان تنتبهوا منه اكثر من هذه انا اذ ندنكم اسا ان تصطبروا قليلاً وتسمعوا شكواه منكم الكلية
العدل والصواب هو ذا يسالكم مستفهماً بكلمات ترزد من حبيبه قايلاً يا شعبي اي شيء عملته

سبب سروركم في خدمة عدوكم وعدوي اكثر من خدمتكم لي انا الذي ابدعتكم مثلما ابدعتكم انا الحل
حفظكم كما حفظتكم انا الى الساعة اذ انكم قد الفتم المقدار من السنين مثلي وان كان هذه الانعام
تستبقي لكم قليلة العمر وانا افتديتكم ليس بذلك من ذا الذي اعطاكم خيرًا كله هل انا ام
الرجيم ... الشيطان ام انا اليس ذلك لكن انا خلصتكم اني لعالم مقدار ما تكلفت على
نفوسكم انا عارف كم تعبت كم جاهدت كم احتملت كم انفقت من مالي وحياتي حبًا بكم لاجل
العمل هذا بانكم قليلاً ايضًا فلنحسب ذلك كما تقولون قليلاً فاني مسلمكم ذلك مدعيًا غير
انني اسالكم ان تجيبوني اترى اتصل عدوكم الى ان يصنع معكم هذا العمل او نظيره فلئن كان صنع
فيما انا ارجو ان تحولوا الظهر عني كليًا وتتبعوه ولكنا نذكر ان ذاك ما طلب الليل والنهار شيًا الا هوى
هلاككم ودماركم فاهو الا سبب انعطافكم الى خدمته اكثر مني فليسمح لنا ان استطاع الطرق
التي سلكتها لاجل اسعافكم وليعدد لنا الليالي التي سهرها في تعليمكم وليذكر لنا المشقات التي
تكبدها حبًا بكم وليخبرنا بالاهانات التي احتملها لاجل خيركم وليرنا راسه المشدخ واعضاه
المهشمة ويديه المسمرتين وجنبه المطعون لاجلكم كلا ايها العمر انه ليس ذلك لكن انا
قد افتديتكم غير انني عارف بانه شي واحد خالفت العادة المالوفة في العالم وهو ان سائر الناس
يسالون اولاً المرء هل يريد ان يصير لهم عبدًا ثم ان رضي فيشترونه من يد الظلمة الطالبين
قتله اما انا فاشتريتكم قبلاً ثم اطلب منكم ان تصيروا لي عبيدًا فارجعوا الان الي فاني فديتكم يا معشر
المسيحيين اما تترك اين رايتم عندما سمعتكم فلاصكم بمطلبكم موعدًا كذا بالحقيقة انكم
تستحقون منه ان يطردكم من هنا غضبًا ويترككم وحسبك عنكم غفران تلك الخطايا التي
ارتكبتموها حاضرًا بعد مشاهدتكم اياه ايضًا معلقًا على خشبة الصليب لكن بحر محبته لا يقاس
ولا حد له ولذلك هو مستعد في كل حين ان يغفر جميع خطاياكم سواء كانت سابقة او لاحقة
لان هذه هي الطلبة التي طلبها على جبل الجلجلة من ابيه السموي قايلاً يا ابتِ اغفر لهم ولم يستثني
احدًا بل قال مطلقًا اغفر لهم

تقدموا اذًا يا ايها الخطاة جميعًا من اي صنف كنتم وارجوا منه غفران خطاياكم ولو كانت كثيرة و
عظيمة لانه مستعد ان يغفرها لكم ولكن بشرط ان تندموا انتم عليها ارجوا الغفران عن
تجاديفكم الكفرية ايها اللاهيون ارجوا الغفران عن اقسامكم الكاذبة ايها التجار ارجوا الغفران
عن قبايحكم الدنسة ايها الصاخبون وانتم يا ايها الظالمون والحقودون والدمويون لا تخشوا فان

ذنوبكم

325

ذنوبكم تغفر ايضًا برحمة عظيمة ولكن ما بالي قلت تغفر لقد غلطت نعم قد غلطت لاني اتكلم
هكذا ليس هو بحسب عبارتها الحقيقية فمن هو اذًا الذي تكلم في هذه المادة بعبارة حقيقية
مطابقة لعمري انه هو ناثان النبي فهذا الملاعين داود الملك قد انتبه لنفسه واظهر من جوارح
قلبه ندامته قايلاً اخطات للرب فاجابه حالاً والد الثوم واخبره ان الرب قد نقل عنك خطيتك
وربما تقولون لقد كان يجب عليه ان يقول له قد غفر لك الرب خطيتك او محاها او صفح عنها نعم
انه لم يستعمل لفظة غفر بل قال حق القول واصدق العبارة قد نقل وذلك لان خطايا البشر
قد نقلت عن ظهورهم من اجل هذا السبب عينه اي لكي توضع على منكبي المسيح جميعها
حسبما قال اشعيا النبي وضع الرب الاله عليك اثم جميعنا فيا ايها الشعب المسيحي
العزيز الرب نقل عنك خطيتك افرح وتهلل ولو كان هذا النهار نهار البكاء لا الفرح لان
خطاياك صارت موضوعة على منكب سيدك هذا الصالح لقد رضي لوفور محبته لك ان
يحملها هو قد شاء ان يحتمل من اجلك لقد اراد ان يتعذب عنك ولاجل ذلك ان كان
لك استطاعة على ان تضحك ما بين اوجاعه فافعل ذلك ولكن من هو الذي يمكنه ان
يبلغ الى هذه القساوة معاذ الله من ذلك الموت قبل الخطية الموت قبل الخطية انصرفوا
عني فاني ابكي بكاءً مرًا لا تجتهدوا ان تعزوني فانا من جهتي لا اهوى يا سيدي ان احيى
الا لكي احبك على ان محبة المسيح تضطرنا كما قال مار بولص الرسول لكي لا يحيى الاحيا بعد
لانفسهم بل للذي مات عنهم فهل لي اذًا ان اريد الحيوة بعد لنفسي ام لعدوي الرجيم ام
لشهواتي ام لاغراضي حاشا وكلا فاريد اما ان اموت واما ان كنت لم اموت فاريد ان احيى
للذي مات عني فقط واتعب من اجله واحتمل عنه واصرف كل وزناتي لاجل خدمته نفسي
لن تحيى اما انتم ايها المسيحيون الاعزاء انكم تريدون ان تحيوا للمسيح ايضًا فهلم بنا
اذًا ماذا تنتظرون تعالوا كلكم والقوا نفوسكم بتحسر وندم امام سيد موت هذا اليابس لتروا
له بذلك استميحوا الغفران طالبوه بالرحمة او ادعوه اطلب الندامة نيابة عن الجميع قايلاً
هكذا يا ايها السيد الكلي الجلال والعظمة ها نحن
نعترف لديك جميعًا ونقر انا اذنبنا فسببنا موتك ولكن ماذا نستطيع الان على ان نقوله
لك فالذنب هو لنا لا شك بذلك لكن الاثر حولك ايضًا لان محبتك هي على الخصوص
التي علقتك على هذه الخشبة القاسية اليابسة لانه لو كانت محبتك تحتمل ان تتركنا

ان يهلكك في اسافل الجحيم كما كانت تقتضي فرايض العدل باسرها لما كنت تعزيت ولا جلدت
ولا ربطت ولا عيرت ولا ضربت بل قد كنت استويت على عرش مجدك السرمدي اترى
فيما خلاصنا نحن البشر الاشقيا العاصين الجاحدين انعامك كانت لديك عزيز عظيمة
بهذا المقدار حتى انك احببت ان تبتاع بهذا الثمن الفايق الوصف اي بثمن دمك
الاكرم بالنهاية من محبة غير متناهية بالنهاية من رافة لا تدرك ليها لعمري لو كانت الملايكة توجد
اليوم حديثا في العالم غير ان يعرفوك ولا يعرفونا معرفة حسنة لكانوا لا محالة انفسهم
بك لانهم كانوا ظنوا ايضا اننا نسمو اعليك قيمة وشرفا اذ انك مت من اجلنا فانتم اذا
يا سيدنا الحبيب انك افديك من القلب عن تفريطك هذا الغريب بالمحبة نحونا فليمت
قاسي القلب فليهلك من لا يحبك من لا يحب الرب يسوع ليكن محروما واكرر كلامي واقول
ايضا عالي مستعذب هذه الالفاظ من لا يحب الرب يسوع ليكن محروما ليكن منفيا من
شركة الناس من لا يحبك وليذهب ويقطن بين الوحوش البرية اوليهبط ويحترق مع الجن
لانه لا يليق ان يحيى بين الناس اوليك الذين مت عنهم وذلك الذي ما عرف
اليوم على ان يحبك فليت شعري ماذا ينتظر ان الذي ما عزم على
ذلك حتى الان فليعزم عليه من غير عاقة والذي عزم عليه فليثبته
ايضا ويستقيم عليه دايما اما انت يا الهنا فاجعلنا اهلا الان
لبركتك المرغوبة التي اطلبها انا منك واعطيها
انا بنيابتي عنك للجميع على حد سوى كي يكونوا سعدا
في الحيوة الجديدة التي قصد الجميع ان يتبدوا
بها من هذه الساعة فصاعدا حاليه وهنا
فليرفع الواعظ الصليب ويبارك به
الشعب قايلا باسم الاب الذي نساله
ان يقوينا والابن الذي نساله
ان ينيرنا والروح القدس
الذي نساله
يضرمنا

عظة ٣٦

326

العظة السادسة والثلثون

في احد القيامة العظيم

تشتمل على بيان انه لواجب جدا ان يتمتع الجسد مع النفس في الملكوت والقصد
بذلك هو هذا اي لكي يتقوى ويتوازر رجا كل من السامعين بالقيامة السعيدة
ينبغي لهذا الفاسد ان يلبس ما لا يفسد وهذا المايت ان يلبس عدم الموت هكذا
كتب مار بولص في رسالته الاولى الى اهل قورنتيه في صـ ١٥

العدد ١

انه لمن المعلوم الواضح ان جميع المذاهب التي ظهرت في العالم من قديم الزمن او من حديثه
لم تعلم اماتة الجسد اصلا بل سمحت له بجميع الملذات الجايزة وكثير منها اذنت له المحرمة
ايضا ما خلا ديانتنا المسيحية فهذه وحدها اظهرت نحوه دايما صرامة وجفا وعنفا
بهذا المقدار حتى انه يسهل الظن بها انها ظهرت في المسكونة لكي تضطهده على انها
حالما دخلت العالم جردت سيفا مسنونا ونادت بالحرب قايلة هذه هي التي اتيت لالقيها
في الشعوب من اراد انه يتبعني لا يذكر التنعم والترفه والراحة والدلال لانه اقر علانية
بانه ليست هي غايتي ما جيت لالقي سلامة على الارض لكن سيفا ثم انكم صرفتم رفضا بالهم
صريح او ترهيبا او خاطبت الذين تزوجوا بعدهن من النسا فايلة لهم انني لست اذن
لكم ان تتخذوا سوى امراة واحدة فقط والبقية فطلقوهن والتي تتخذونها يجب ان تتخذوها

موها

لغاية التاليد فقط لا للذة ودفع الشهوة واذا تصيتم ان تكونوا الذين بمقام اعلى لا تستقلوا
حفظ عفتكم دايما والتزموا من حقكم الممنوح لكم من الطبيعة في تخليد ذكركم بنسلكم ابذلوا
اختياريا كل لذة حسية واذا حاربتكم الشهوة متمردة عليكم اسمعوا ما اقول لكم ابذلوا عنكم
التنعم بالفقر الاختياري وخففوا القوت بالتقشف المتواتر وقاوموا النوم بالسهر المديد
وان كان ذلك لا يكفي لكبحها اكسروا شوكتها بجلد اجسادكم حتى يسيل الدم منها ايضا
اما توجد غابات مرتعة في مصر اسرعوا فرحين بشوق ولختبيوا فيها فانكم تصيرون
اغزل عند ما اركم اتخذتم لنفوسكم الكهوف والمقابر لديكم بيوتا فهنالك لتقدم لكم الوحوش
الضارية بمجاورتكم والحشايش المرة لقوتكم والمياه التفهة لشربكم وورق النخل لجسد لبوسكم
والبلاط الجاف لرقدكم ولعلي اليقين فانه سوف تقوم عليكم اعدا يقصدون ان يكلفوكم بالابتعاد

عني مع الطلاسم الكلي على ربكم وفضلكم افهم ولحيد الذي اريد ان اهل منكم فتضطربون قلقين من
طلبهم او وعدهم ولذلما خاطبكم [illegible] بالتمسك بر فقدموا الذ
حالا بدل الجواب لحمكم للتجريد واعضاكم للتعذيب وعظامكم للتنشر واضراسكم للتقلع وعيونكم
لتتقور واعناقكم لتجز وان اوقدوا لكم اتاتين مرعبة فارتضوا انتم ان تدخلوها وان اقتادوكم
الى بحيرات بجلادة فاقبلوا انتم ان تدفنوا بها لا تخيفكم الوهدات المقتمة التي يلقونكم بها
ولا المهاوي المسنونة ولا الوحوش الكواسر التي يسلمونكم اليها لتفترسكم ولا العجلات
المرهفة التي يقطعونكم بها ولا الصفايح المحمية التي يشوونكم عليها اياكم وجحود عقيدة واحدة
من العقايد التي اعلمكم ها خوفا من الكوارث المشار اليها هذه هي المناداة التي نادت بها
ستنتان زلول ظهورها في العالم على تابعيها لا تخافوا ممن يقتل الجسد اما انتم فماذا تقولون
يا ايها السامعون الاحباء اتستطيعون ان تمتثلوا كل هذا هو ذا تبين لي انكم اضطربتم لا
ستماعكم هذه المناداة وسكتم ولا تجترون على فتح الفم لنوافز الخوف في قلوبكم لكن اوجوا
فتسلوا لا تجزعوا لان الجرح يعقبه الضماد سريعا ⊙ يخرج من الارض عينها التي منها يخرج
السم اي السنة المسيحية نفسها التي توصينا ان نبغض الجسد ونضطهده ونتهكه
وتعلمنا ايضا ان اللحم الضروري على صليب قاس مع جسد يسوع مخلصنا فهي هي التي
تعدنا ايضا ان ترد لنا الجسد كما ارتد ليسوع بجسده اليوم كاملا بعد التهشم وصحيحا
بعد المرض ونضا بعد الانهزال ومنورا بعد القتام وقويا بعد التعب وغير مايت بعد
الموت وغير متالم بعد التالم لان حبة الحنطة المطمورة في الارض نعم انها تموت ولكن لكي
تعود وتحيى وحقا انها تهترى ولكن لكي تزهر ايضا وبلا شك تفسد ولكن لكي تحصد
وقت الغلة باضعاف كثيرة من الحسن والخصب انه ينبغي لهذا الفاسد ان يلبس ما لا يفسد
وهذا المايت ان يلبس عدم الموت فالمطلوب الآن مني اليوم ان ابين لكم باختصار كم هو
واجب ان يعطى جزا من سعادة الملكوت ايضا ذاك الجسد الذي عمل هذا المقدار من النسك
في الارض والقصد بذلك هو لكي تتحققوا انكم لعتيدون ان تتنعموا وتتمتعوا الى الابد
ممجدين في اجسادكم ايضا ان كنتم ضيقتموها في هذا الصوم الاربعيني المقدس بالصوم
والجلد والقهر وغير ذلك من صنوف التقشف والاماتة

العدد ٢

خبرونا عن بيروس احد قواد الجيوش الابطال انه لما سمع جنوده يوما ما يثنون عنه كثيرا

⊙ وهذا الضماد هو علم الشريعة

ويلقبونه

327

العظة ٣٦

ويلقبونه باسم النسر من قبل السرعة التي كان بها كان يطير ويحارب ويدرك كل عدو وينقض
اجابهم قايلا نعم انني نسر لكن انتم يا اعواني هم الجناح التي تحملني فهكذا عينه تستطيع النفس
ان تقول للجسد اي لجميع اعضايه حولها كالجنود لديه تاييدهم والمراد بهذا انهما
هي الجناح التي بها تتحرك وتفعل دايما وفي التحقيق لا يوجد فعل ولو كان اصغر الافعال
جميعها تستطيع النفس ان تباشره الا ان خلوا من الجسد اي نعم انها لا تستطيع ان تلفظ
كلمة واحدة ولا تصطر قد فما ولا تحد ولا تركب فكرا واحدا خلوا من الحس علي انها اذا حصلت في
احزان وارادت ان تبرهنها فلابد لها ان تستعير من الجسد الدموع والعبرات واذا كانت
فرحة وطلبت ان تظهر فرحها فيجب على الجسد ايضا ان يقدم لها التبسم والتهليل
عينا ويا ظالا تقضي لها الكواكب من جلد السما اذا امسك الجسد عنها الاعين لترمقها اليس
منذ تتصل اليها الاطعمة التي تشعر بها من الماكل ومن تنال الطرب الذي تبتهج بها من الالات
الموسيقية ومنها استنشاق الروايح الزكية التي تنبعث لها من الزهور والطيوب ومنه
الانشراح الذي تستمد من الملعب ومنها الراحة التي تقتبس بها من الرقاد واقول مجملا ان كل الذي
وخير يخصها انه هو من الجسد وبواسطة الجسد فانتجوا من هذا كم يكون نصيبنا فيها نحو
بالجنة ميربطا عند ما تشاهده بهنيهة قليلة من الزمن يخذ بها اهل الخدمة الحسنة اليهما
تتخاوى معه خوفا مرتبطة به ذا لما ارحلوا انها لا تعود تخاف اساة ما في العالم بقصد اساته
ولا تتمنى خيرا اخر اكبر من خيره ومن ثم كما كانت تتصعب ان تلقى تحت الكوارث المزعجة
والضغطات والشدايد التي تعلمها انه يعتنا او توصي بها او تشير اليها او لم تعلم انه
لعتيد هو ايضا ان يجني منها نفعا ما في الحيوة الاخرى انه هو اذ ذاك مثل القايد الصنديد
الشجيع وانتم عارفون انه لا يكتفي ان يجازى وحده لاجل النصرة التي حازها باجتياحه
لكنه يحاول ان توزع الجوايز على روسا المياة الذين رتبوا البيارق وعلى الجواسيس الذين
قادوا الجيش والكشافة الذين حفروا اللغوم واوليك الذين طرحوا نفوسهم اذ هجموا على
الاسوار حتى وعلى اوليك البيارق الصغار الذين لبثوا بطالين واقيموا على حراسة الاسوار تحت
الخيام مثلما صنع بالحقيقة داود الملك فانه لما اصغى انه فقد ضيع في احد الايام بستماية
جندي ليطرد جيشا من العمالقة الذين احرقوا الارض التي لجا اليها واتلفوا الزروع ونهبوا المواشي
ونصفوا النسا واطفالهن فلما بلغوا الى الوادي ما تعب بنيهم مايتان وجلسوا عند شاطي الوادي

وابوا ان يقطعوا مع اصحابهم واما الذين تجاوزوا متحمسين وادركوا نفقة العدو المقتنيات
بالنهيبة المذكورة فحاربوهم وغالبوهم وهزموا بعضًا وقتلوا بعضًا ونكلوا بالجميع وسلبوا
منهم غنايم كثيرة ثم طلبوا ان يقسموها فيما بينهم فقط اما داود فصاح بهم قايلًا كم انتم راغبين
ان تاخذوا لكم حصة كبيرة توازي استحقاقكم لكن اين هو نصيب ارفاقكم الذين مكثوا متخلفين
عند الوادي لحاجتهم وقالوا ماذا عسى ان يكون نصيب اوليك الجبناء الذين تتهمتم وافشلين
وتركونا وحدنا لا نلاقي جهادًا وجهادًا معًا انما انصرفوا متحمسين تحت ظل الاشجار وترطبوا برطوبة
المياه البادرة ونحن حملنا الحر وخطر المعركة وتعب الاجتياح قال داود ولا يكون مثلما انتم تريدون
بل مثلما اريد انا ونادى منذ ذلك الحين بالامر الذي فيما بعد صار عند اليهود كرسم من رسوم الناموس
وهو هذا ان نصيب الذي ينحدر الى القتال يكون مثل نصيب الذي يحفظ الامتعة قلت ترى من
هنا قايلين انه كان هو من الواجب ان يعطى جزء من المجازاة لذلك الذي لم يصنع شيًا اخر في
الحرب سوى انه يحرس مواضع الخيام الرداء لانه يصعب بنا القول انه المعاد بنوع مطلق الظفر الذين بالاحرى
من باب اولى ان يجازي ذلك الذي انجرح وذلك الذي سفك دمًا وذلك الذي انقطع له عضو
وذلك الذي بذل حياته ايضًا وقتل وهذه هي اعضا الجسد في المعركات الشديدة التي نعانيها
من اجل الايمان او من اجل البر لانه من المعلوم ان تلك الجراحات المتعددة وطعن الحراب تلم بالجسد
لا بالنفس ولقد يخص الجسد ايضًا سفك الدم الذي يجري على الارض والجسد ايضًا تلك
الاعضا التي تفترسها الوحوش والجسد هي الحياة التي تتقدم للموت وبعد ذلك جميعه
ايليق ان يستمر الجسد خلوًا من مجازاة لعمري لو كان ذلك كذلك لما كانت النفس تجتري على ان
تكلف الجسد وتطلب منه كل هذا وبالتالي لكان قل من يناضل عن ايماننا في محكمات المضطهدين
او من يثبت صدقه بالجوع او من يترك راحته وقنيانه ويختار الفقر والتعب ليطلب ... و
يجاهد دايمًا فاذًا بالعدل والصواب قد حكم استحقاقًا بان الجسد يتمتع تمتعًا ابديًا ايضًا مع النفس
في الملكوت وذلك لكيلا يعدم المجازاة من كان شريكًا بالتعب انه لا محالة ينبغي ان يلبس هذا الفاسد
ما لا يفسد وهذا المايت ان يلبس عدم الموت وهذا هو طبق ما قاله ايضًا غريغوريوس
النازينزي في الخطبة التي فيها مدحًا في كيساريوس اخيه هكذا قال انه لواجب ان النفس كما جاهدت
معه في الحروب السموية للجسد الذي اتخذته رفيقًا لها وشركه بروضتها هكذا ينبغي ان تصير
شريكًا معها في التمجيد فمن هنا ايتقدم ... قد انما ... اخر فيما سلمت اخر افضل ما اوردته على

هذا

العدد ٣

فمن هنا اقول لقد تعلمون ايها السامعون انه
هذه الصيغة كلكتم التعلق الذي لنا بالحواس تتحرك من الموضوعات الحسية والهيولية اعظم تحركًا مما تتحرك
من الموضوعات الروحية والمجردة عن الهيولى لعمري ان غالب الناس حتى الاكثر حكمة منهم
فتروا انهم لا يفهمون غالبًا الواسطة التي بها يستطيع الانسان ان يجلس في الذرى لذة هذا
مقدارها حتى يضاد المهو ويكره النزهات ويتناسى الاكل ولا يذكر الشرب ويحب ان يسجن
في مخدع خفي في تلاويس الموقع ويسكن بينهم بغض التراية والذرى فاذا تقرر ذلك فنقول كيف
استطيع ان اسجل شانه ان نقال من جهة كثير المقدار من اناس ماديين حسيين فيليق العقل ان ينبذوا
سرورهم ويرتضيا به هذا المقدار من الخيرات الجسدية لو كان يعدهم مكافاة لهم بشكل من المجازاة
سامحني ما الذي عن تجاسري
لا تدرك بالحواس اصلًا ولو كانت من اشرف الانواع واجلها
هذا بهذا التكلم فانا عارف ان السعادة الحقيقية التي تتبع نفس المختارين في السما انما هي شاهدة
وجه ملك الالهي عيانًا من غير حجاب والاطلاع الكامل على اسراره الغامضة ليت شعري اذا
منحت حينئذ هذه الاسرار ربما تكون ابيانًا بحسب حولها فيها يسوغ لي ان اعود واطلب خيرًا
اخر لا ريب في انه يعقل ح بعض صحة الا في جوهر ذلك الغير المتناهية المتبع جلاله وحينما اجد
فيه لا شاطيًا اخرج اليه ولا عمقًا اصل اليه فاحسب انه امكنني ان اتوغل الى الماهية بعمق لتوغل هذا الذ

يذ ٣

وان تاملت فقه تثليث الاقانيم ذلك الغير الموصوف الذي هو تركيب عدد قليل ولا يكثر الذات وانهم كثرة
تلك الاضافات العجيبة التي تتليث احدها خاضعة للاخرى ولا اصغر منها ولا ادرك ماهية
اختلاف تلك الاسما الكثيرة المنزهة عن ان تناقض احدها للاخر واري ميلًا ثانيًا وبعد ذلك
ليس وجوده هو قبله واري ثانيًا صادرًا من اول وبعد ذلك هو توام بذا انتصير تشاوي له واري
ثالثًا يستمد كنهه مع الثاني من الاول ومع ذلك لا هو اخير الثاني ولا ابن الاول واسمه كيف يمكن
ان يوجد خصب في ابن دايم ومع ذلك لا يستطيع ان يلد المغير ابن واحد وكيف يمكن فيه ايضًا
فصاحة كلية الكمال ومع ذلك لا يستطيع ان ينطق سوى كلمة واحدة ثم اذكر جميع ما قرأته
عنه في الاسفار المقدسة واتعلم مثلًا كيف هو يندم خلوًا من ان تتغير ارادته وكيف يحزن من
غير ان يشعر بالم وكيف يغضب وليس فيه كدر ولا اضطراب وكيف ينتقل ولا يتغير مكانه
وكيف هو حامل باصبع واحدة الكون كله ولا يشعر بالثقل وكيف يصنع الجميع ولا يشعر بالملل
وكيف هو جواد ويفيض كل الخيرات دايمًا من غير ان يفرغ كنوزه وكيف هو حر معتوق بلا تغيير

ولا تبديل وكيف هو فهيم من غير اشباح وكيف هو حاضر من غير مكان وكيف هو قديم من
غير زمان وكيف هو حديث من غير ابتدا هذا هو الاجر الاعظم الذي يجعلني سعيداً الى
الابد اذا فزت به ولست انكر ذلك ولكن ما هو الرأي الذي استفدتموه منى ايها الاخوة
السامعون من استماعكم هذا ها هوذا على هناك واحداً نايماً واحد اخر هناك يبكي وتوجد
من هولاء النسا الصالحات السامعات خطابي واحدة قد دهشت وتتعاطى شيئاً قايلة انه
لقد دق فوق الصغر وعلاه عن طبقة افهامنا ثم ان اراكم اخوتي لست اعجب من ذلك لكونني انا
ايضاً لا افهم هذا الخير الذي ذكرته لكم قد اشفقت كالطفل ودهشت العبارات التي عبرت ما هي عجيبة
لنا قصة احدها الاخرى بمقدار ذلك يعجز على فهمها العقل ويحولها فانتجوا اذاً انه لو لم يعد
استحقاقكم بوجود سعادة اخرى في النعيم غير هذه التي عين لم تنظرها واذن لم تسمعها
فربما كان الاكثرون تنزلون عنها قليلين لذكرهم انفسها هذا القوت الخفيف وبالنتيجة لكانوا
على مثال العبرانيين طلبوا السلوى والثوم بدل المن معنى ذلك لقد كانوا احبوا الخيرات
المحسوسة الملموسة اكثر من هذه الخيور السماوية الجيدة الفايقة على ادراك العقل ومن ثم ماذا صنع
الله الرحوم في احتمال النقص البشري فقد طاقتنا وطبعنا هذا الضعيف واعد لنا في
عدن الملكوت خيرات اخر ليست هي قايمة بمقام الخيرات الجسدية فقط لكن شبيهة بها
في كيفيتها ايضاً حتى يكون بالحقيقة لهذه الاعين ايضاً ولهذه الاذان وهذه المناظر وهذا
الذوق وهذه الاعضا لذة خصوصية تستطيع تتمتع بها شهواتها الطبيعية فينبغي اذاً لا شك
ينبغي لهذا الفاسد ان يلبس عدم الفساد وهذا المايت ان يلبس عدم الموت وهذا هو ما قد
اثبته ايضاً القديس لورنسيوس يوستينيانوس بطريرك البندقية في الكتاب الذي صنفه في
التهذيب والكمال الرهباني حيث قال هكذا ان الجسد ولو صار في السما متروحاً فيكون له
انواع كثيرة من اللذات يتمتع بها بجميع حواسه

العدد ٤

ولعمري انه لتتعاظم صنيعه هذا مصير جميع المتهاونين بخلاصهم بنوع عديم العذر يا ليت
شعري ما هي الحجج التي يمكنكم ان توردوها ايها المسيحيون حينما استدعيكم امام منبر الله في
[?] قطع تلك اللذات التي قد تتمتعون بها بعد موتكم خلواً من نظام ثم ان لقد كان
ان تبين لكم صعباً جداً لصد ذاتكم عن التلذذ بتلك الاصوات الرخيمة اللينة التي تسمعونها
احياناً كثيرة من المغنيين والمغنيات في حضراتكم وسهراتكم لو كنتم لا ترجون لذة اخرى مثلها

اصلاً

اصلاً ولكن حينما اوكد لكم انكم لعتيدون ان تحظوا بهذا التمتع بعينه ويكون بنوع اكمل واطرب
والذ كثيراً جداً وليس ذلك الى زمن يسير ولكن الى الابدية كلها ويكون كل شي تحت امركم اي
يكون الموسيقيون لكم خاضعين والضاربون بالالات لرايكم منتظرين ولسمعكم او لتلذذكم و
لديكم حاضرين فلماذا تستصعبون الان الامتناع عنها اما خبرتم مراراً كثيرة ان اول نحبة بالكمنجة
من يد ملاك كفت لان تغرق نفس مار فرنسيس وهو يصلي في غرفة العذوبة عظيمة بهذا
المقدار حتى جاز حدوده وفاض على جسده فيضاً بهذا المقدار حتى اوشك ان يغشى في الحين رغمه
وضعفه ولو جلسوا مع انها كانت قد طالت وتحققت فهم فبهذه اللذة عينها سوف تقع اذانكم
اذانكم لهذه وليس تكون لذة وقتية زايلة كما كانت لذة القديس المذكور لكن دايمة ابدية
فهل يعسر عليكم اذاً ان تفادوا بكل طرب باطل في حياتكم لتحظوا بذلك المدح اني لست
اريد منكم ايها الشرهون ان تصدعوا انفسكم الى الابد تلك المذاقة الزكية التي تشعرون بها
الان من المغذية والمشاري المختلفة الفن بل اريد ان تتمهلوا الان قليلاً لان تحظوا بتلك
المايدة السموية التي لما ذاق منها المغبوط سلبوس وهو مختطف في احد الايام فاضحى يضجر الغذية
الارضية دايماً كسموم تورثه ولست اريد منكم ايها الاحداث العاهرون ان تتفرغوا الى
الابد من تلك البهجة التي تستمدونها الان من النظر الى المحاسن الملاقية بل ارغب اليكم ان تصبروا
قليلاً حتى تلجوا تلك المسارات العلية التي لما اشترك بها المغبوط سيلوانوس باحد عبيدها وانسه
فقدوا فيما بعد يكرم النظر في وجه البشر كانها اطلعات ابليسية فالذي يعجبوني بذا على
هذا العالم يريد انا منكم شيئاً اخر غير ما انتم راضين بان تقبلوه اعني ذاك الشي الذي انتم
مثله تنوون فتطلبونه وتنعطفون اليه بانصباب كلي فيها انتم تتوقون بان تشبعوا من اللذات
الجسدية الدنسة هذا صحيح فقط وانا اريد ايضاً ان تشبعوا منها لكن بهذا الفرق فقط وهو
انكم انتم تطلبونها دنسة وانا اقدمها لكم طاهرة انتم تريدونها ناقصة وانا اريدها لكم كاملة
انتم تبتغونها زايلة وانا ارغبها لكم ابدية فهذا فقط الشي العادم فيه الخلاف ما بين
وبينكم اي انتم تطلبون ما هو اقل وانا اقدم لكم ما هو اكثر وما هو ردي لكم في هذه القضية هل تابون
لكم مكروهنا يسوغ لكم ان تترذلوها

العدد

لا ريب في انه ينبغي لكم ان تتمهلوا قليلاً ايضاً لتحصلوا على اللذات التي وعدكم بها كما اوصاكم
بها الرسول قايلاً ينبغي لكم الصبر لتستحقوا الموعد ولكن اذ قد كان التعويض عظيماً كثيراً او اوفر

جدًّا فمن ذا الذي لا يتبلبل ولا يشتاق زمانًا ما وهاءنا أوردكم مثلاً على ذلك فأقول إن رأيتم كرامًا
ابتدأ يتقطف كرمه في شهر تموز حينما يكون العنب بعد حصرمًا لكونه لا عجول أيسر من المسطار
عاجلاً ولأجل ذلك استدعى القطافين ووزع عليهم المناجل وقطع العناقيد وجعل منها الزنابيل
وفرغها في المعصرة وشرع بالعصر فماذا تقولون في عمل هذا الحاكم تحمدون سرعته هذه وذلك
العمل وشرهه هذا الغير المنظوم كلا بل توبخونه قائلين أمسك يدك أيها الغبي المفرط بالرزق
أما هو خير لك أن تصبر الى أن ينضج العنب ويحلو حتى تعصره ليدوم لك خلوًّا من فساد مزاج
تعجل الى تعليقه وقطفه حصرمًا فيفسد ويتخمر لقلة اهمالك وهكذا أيضًا تذمون كل
البستاني إذا رأيتموه يقطف أثمار بستانه قبل أن يبلغ أوانها وصاحب الزرع إذا أتى حصاد زرعه
قبل أن يبيض وهكذا أنا لا أستطيع أن أذمكم إذا رأيتكم جميعًا تطلبون بخسارة عظيمة نفوسكم التمتع
سلفًا في هذه الحياة وذلك بتلك الملذات التي يجب عليكم أن تصبروا لتجتنوها في الحياة المقبلة بأضعاف
كثيرة والحال أن ملذات هذه الحياة الحاضرة كما قال بحذاقة تعقل فيلون العبراني في نفسه ليست
هي شيئًا آخر سوى اختلاسات ملذات الحياة المستقبلة وإذا كان ذلك كذلك فاصبروا إذًا
أيها المسيحيون أحبائي الى أن الله تقدست أسماؤه قد رفع عن الجسد كل أعتاب (؟) الى أن يأتي
عن أن يخضع للروح ويذعن للصواب ويهابه حينئذ المسيح ما أعده لدى المجد مكافأة للحياة
الحزينة التي هي أشبه كثيرًا بالمجد الذي أعطي في هذا اليوم لجسد يسوع بل أقول لكم أيضًا إنه
رفع بذلك كل حجة عن جميع من يخشون الإماتة والتقشف ولا يثبتون على أعظم المرغوبات
الشيء الذي كان يسمى قديمًا خاتمة المرهبات أعني به الموت ولكن أعلمي بأنه إذا دعيت القلوع
منفتحة للخطاب هذه المرة فأدم بشاشة الطلع في النسيم الجيد الذي يهب لي برحمتكم الوافر
أيها السامعون فتمهلوا قليلاً الى أن تلقينا المراسي ولو كنا الآن متوهمين في وسط البحر الواسع
فنصطاد للفقراء صدقة قليلاً ثم بعد ذلك نصل الى البر حالاً

حاشية فليوصي الواعظ بجمع الصدقة للفقراء ويتمهل حتى ينتهي جمعها ثم يبدئ

القسم الثاني

العدد

لقد اتضح جليًّا أنه لا يستحق أن يعذر من يعلم أنه سيحيا بنفسه مع الخلاص بحياة
أفضل ومع ذلك الذين يخاف الإماتة والموت [illegible] وقد ذكر عن كاتون القوي أنه لما أبصر أن

قد

قد دنت رومية من أن تعدم حريتها القديمة كليًّا عزم في نفسه على أن يفني حياته قبل أن
يشاهد بعينيه مدينته هذه المحبوبة منذ أضحت عبدة وأسيرة ليوليوس قيصر فصادم
بذلك أن يعلن للجميع أنه لا يستطيع أن يحيى إذا زالت الحرية من بلده نسرًا ولا تستطيع الحرية
أن تحيى إذا مات كاتون فتناول وقتئذ سكينًا وغرسها في قلبه بيده ناكرًا النوع قد كان
صانها الى ذلك الحين برية طاهرة من كل دم فشعر كثيرون بعزمه هذا وبادروا اليه حالاً مسرعين
ليصدوه عن فعله هذا بقوتهم وإن كانوا استطاعوا على أن يضمدوا جراحاته الا أنهم لم يصدوه
عن عزمه ولكنه منفردًا وحده جمع ما بقي فيه من القوى وبدد بسخطه القديم الذي كان ينتقل به
على يوليوس قيصر ووجهه كله على نفسه لكونه لم تمت عاجلاً بضربته الأولى وزق بعنف جرحه
رفائد جراحه وكلف ثانية نفسه بالموت قهرًا ولم يمهلها الى أن تخرج من ذاتها رويدًا رويدًا
لعمري إن صنيعه هذا لا شك في أنه كفر ظاهر وهو من الجنون ولذلك ما أنا آت بذكره بمنزلة خبر
يستحق المديح والثناء العالي لا بل يقيني أنه ليس طلب الموت رغمًا عن الطبيعة هو إثمًا قبيحًا فقط
لكن طلب الحياة رغمًا عنها هو إثم أيضًا وإنما أتيت بذكره لا لتعجبوا منه بل لتصوروا النتيجة التي
ذكرتها فأقول إن سألتموني كالفيلسوف مستفهمين كيف استطاع كاتون هذا أن يقوي
ذراعه بهذه الجرأة ويقتل نفسه بهذا النوع الكريه المريع ويفرح هكذا بالموت الذي
استدعاه اليه من غير خوف فيجيبكم أنه استطاع على ذلك ومارسه بالعمل من تلاوته كتاب
أفلاطون المعروف الشهير الذي ألفه بحكمة عظيمة وأبان فيه أبدية النفس لأن الإنسان يتربى بما
حسنًا فإذًا لما تلاه كاتون قد تحقق أن النفس لن تموت مع الجسد بل تبقى بعده حية الى الأبد
فتهاون عليه أن يعدم حياة الجسد ليحصل على حياة النفس الأبدية لا سيما لأنه فكر أنه لا تقدر أن
تحرمها أي حياة جسدية من يد الجلاد بأمر قيصر فيما بعد أو إذا أدركه وعزم عنه قيصر أنه ليطلق
ومدبوغًا دائمًا فلنستنتج من ذلك قائلين أنه إذا كان كاتون هذا استطاع أن يشجع نفسه على الموت
بمجرد علمه الأكيد بأبدية النفس فكان صنيع لو عرف أنه لن يخسر إلا خسيسة تموت وما حياة الجسد
أيضًا كنتيجتها ودفينة في الأرض لتعود فيبعثها في الوطن أحسن وأنضر وأمجد مما كانت
ساعتئذ فما كان ازداد قوة وشجاعة لو كان يرجو بالجسد تلك الأبدية وذلك المجد تلك
المتعة التي رجاها بالنفس فبهذا الموضوع عرفنا أيضًا من جسد مشاهدنا قيامة يسوع نتذوقها
في هذا النهار وبه هذا يسوع لنا أن لا نجزع من الموت إذا أقبل علينا الدليل الأول بأن نرفض شهوة

الا اعرفها الله علينا في العالم انكم وقعتم انتم مرات كثيرة تتاملون بلذة كسوف الشمس لكن لو تعلمون
ماهي البلبلة التي تصيب وقتية بعض الشعوب السالكة في الدور التي هي احد اقاليم الهند
لكنتم تتحيرون متعجبين على هولا الناس يشرعون في البكا والولولة بمناحات محزنة عظيمة جدا
كان الشمس ارتفعت عن العالم ولا اعادة تنتظر ايضا فيميزون ثيابهم وينتفون شعورهم
ويخدشون اوجاههم ولكي يهدوا السخط الذي يظنون بانه تعدد وقيل في اسمائهم يجرحون
عروقهم بمسك سهك محدود لكي يسيل منها الدم كثيرا اما نحن فمتنزهون بمدة البلبلة بل
ولا نبالي بالكسوفات اصلا حتى ولا بتلك التي تحدث بنوع اغرب وتدوم زمانا اكثر بل انما
نتاملها بالحسن لما لا نخرج خارجا ونضع قصاعا ممتلية ماء وننظر فيها احداقنا كانها
عوادرايقة ساكنة ونتامل شيئا فشيئا كيفية الكسوف فتبصر من كل حركاته اي مباديه وانحطاطه
وزوده ونقصه ونستدعي من غير فاليرتهب بشجاعة نظهر شجاعتنا لجحود وجه الشمس واضطرابه
الجزئي ليت شعري من اين تتولد فينا هذه الجرأة العظيمة اليس من كوننا نعلم من مشاهدتنا
دوران الاجرام الفلكية المتواترة ان النور لعتيد ان يرجع الى الشمس عن قريب وانه وان اختفت
وقت كسوفها لكنها لا محالة تبيد فهذا التنفيس نعلمه ايضا في اجسادنا بعد مماتنا فياليتنا
الا خاسفون كالوثنيين الذين لا يرجون الحيوة الابدية ولا قيامة الاجساد الى اليوم الاخير
كساير الناس الذين لا رجا لهم كقول الرسول الالهي

العدد ٧

لعمري ان حياتنا هذه لا عذر لنا بها الا انا نرى في ابتدا الكنيسة نسا ضعيفات وصبيانا
حديثي السن خضعوا الاجسام قد احتسبوا عار الشقوتهم ان يعاشروا من صورة الموت حتى الصور
الارعب ولذلك قد رتل بعضهم وهم معلقون على الصلبان قصايد الفرح نظير ماماو وتيموس
الصبيين النصرانيين واخرون طرحوا في النار طربوا النصر كما صنعت ابولونيا ولوسيا العذاريا
الحدثتان فضلا عن لورنسيوس الذي اتصل الى هذا الحد من الشجاعة حتى انه اخذ يهزف
وهو منبسط على الشواة الحديدية ويقدم لحمه المشوي غذاء فاخرا للولاة المغتصبين
التاييقين للقتل لا تبرح عليّ يا معاندي هكذا ليهتف بالحري كل بار من صورة الموت
بتلك الشجاعة التي تعلمها من نبي الله لا تفرحي علي يا معاندتي من اجل اني سقطت
لا تتعظمي كانك ظفرتي بي ولا تشمتي فاقوم اذ جلست في الظلمة واستترت برهة من
الزمن مطروحا تحت التراب الرب هو نوري اليس انا عالما اذ ذاك هو الشمس الساطعة

العتيدة ان تحييني ايضا احتمل غضب الرب لاني خطيت اليه احتمل كخاطي حتى العادل الذي
يحيلني الى زمان لكن الحق احتمل ذلك الى ان يحكم بحجتي اي الى يوم الدينونة لانه يخرجني ويا ذا بصير
بي ح يخرجني الى النور ما اعظم هذا الفرح ما اكثر هذا التهليل ما احلى هذه النصرة يخرجني الى
النور سيخرجني من القبر لانعم بالنور لا النور الزايل المضمحل بل النور السرمدي الذي لا يحول
وابصر حقه واشاهد بعيني كم هو الله العادل مقسط بالعطايا في المجد ايضا المجازاة الصا ‹لحة›
لكل من احتمل وقاسى من اجل اسمه ارثا فانور ذلك الذي لا يهتدي ذهلا من عدل الله بهنا
الكلي الحكمة لم احكم ان لا تحوز النفس وحدها ميتوتيتها او سعادتها المخلدة في السما لكن يشترك
الجسد بها ايضا على حد سوي ولذلك قد دعاه اليوم الدين يسوع المسيح يكون تجمهما
المنتصر رجانا وامالنا فانه كان ان هذا هو الذي يعد زابر فيستطيع ايماننا ان يطلب منا جميعا
كلما نشاء فلنصبر الان هذا الجسد الواهي المسكين وليتقشف ويتشوه بل فليمت ويفنى ايضا
فالطهر والسعادة له لانا نعلم انه لا يحسب قساوة نزاهته الحمل من راحتنا في الدهر
او دفنها تحت التراب والمياه والرياح والبرد والجليد والحر وساير نوايب الحقل كونها هي نفسها
لا تغير ما عتيدة ان تحيى وتنمو ولا تستطيع ان تزهر الا متى ماتت وتهتري والبركة عليكم

العظة التاسعة والثلاثون

في تبين القيامة المقدسة

تشتمل على تفهيم السامعين انه يجب عليهم ان يخافوا كثيرا من السقوط بعد قيامهم من الخطية
وذلك لكي يحسنوا التحذر منه اي من السقوط كما ارجوا انه هو المرجع ان يخلص اسرائيل
ولكن مع هذا اليوم الثالث منذ كان هذا هكذا كتب مار لوقا في فصل من بشارته

العدد ١

ان الذي يحب يخاف فالنيران هذا احتوليهما السامعون بل اقول ايضا ان الذي يحب يخاف خوفا
عظيما يتفاوت حدود اللياقة حتى يحتقر به الوهم فيخاف كل شكل ولو كان غير ذاهل ويرتعش من
كل خطر وان كان خفيا ولهذا صح قول الشاعر ان الحب مملو خوفا وضجيعا انما لو سالت ايها
انا ان تسمعوا اعلى ذا انتم الكم اليوم ببساطة قلب نوعا من الخوف الذي يخامر قلبي وهو هذا
اي اني اخشى انكم لا تسرعوا الى دور بعاعن قريب ايضا وتتبا هو لحالة الاسير الحديثة التي انتم
بها متنشطين في هذه الايام المقدسة لا تتعاظموا يا سادتي من كلامي هذا ولا تغضبوا الان

خوفي هذا عليكم لم يتولد من جهة الخطر المطلع انا عليه ولا من خساسة اعتباري لديانتكم الجيدة
ودياناتكم الشهيرة وفطنتكم البالغة المختبرة بل يتولد من حب عظيم نحوكم اني لا اقول لكن
الكلام هكذا مع ان الخطر بالحقيقة جسيم ويمكن حدوثه بالسهولة ولذلك يجب هو ان تتلافاه
قبل ان يجري اما سمعتم ما قد جرى وقرئ على مسامعكم اليوم في الانجيل المقدس عن تلك
التلميذين الشهيرين المتوجهين الى عمواس لا ريب في انهما كانا انسانين سالكين مع يسوع سلوكا امينا
وآمنا باقواله وصدقا بانه سيقوم كما قد اوضحا ذلك بينا بقولهما كنا نرجو انه هو الذي يخلص
اسرائيل لكن لما دخلت عشية اليوم الثالث وهما لم يبصراه ماذا فعلا ان المسكينان ابتديا ان
يتزعزعا ويضعف ايمانهما بل اخذا يشكان بقيامته حتى اضطر يسوع ان يبكتهما كالجهلة والغير
المؤمنين قائلا لهما يا غير فاهمين وثقيلي القلوب للامانة لاحظوا كيف كل سبب خفيف
هو كافي لازاحة القلب وضلالته عن الخير الذي قصده فمن ثم اقول من تراه اذا يضمن يا ايها
السامعين انه لا يمكن ان تدخل علينا عشية اليوم الثالث القادم لا يبتدئ ولا واحد منكم ايضا ان
يتغير رأيه ويبدل ارادته وينكث بما قد اقترع المسيح من بعض انه لا يوجد من هو غيور وتتكدر
بالعودة الى العشرات القديمة او بالرجوع الى محبة خصال السالفة المقوتة ومن هنا قد نويت
انا اليوم ان اعظكم على انفعال شيء واحد وهو هذا العظة ان تتكلوا بزي النعمة عليكم ومعين الواثق
بكم لكي ازيدكم ثباتا في مقاصدكم الصالحة وابعدكم عن الخطر من الرجوع الى الخطايا كليا ففي
ثم التمس منكم الاصغا الحسن الذي يستحقه من لم يقصد بوعظه كما رأيتم الى الآن حمدا آخر
غير نجاحكم الروحي الذي ابتغيه لكم من صميم القلب واناشدكم به دائما

العدد

انني اقول لكم قبل كل شيء ايها السامعون انني عارف بان منوال هذه السيرة الجديدة والاصلاح الذي قد
قصدتموها في هذه الايام المقدسة هو عتيد فلا محالة ان يجلب لكم تألما وصعوبة ما اذ ان
الملذات القديمة تعوج وتقلقكم والميول المضادة تحاربكم ومن قبيل ذلك يلزمكم قهر نفوسكم
واماتتها التي ما اعتدتم غير متزعزعين غير انني اسألكم ان تجيبوني كم يلزمكم من الزمن ان تحتملوا
قهر نفوسكم هذا هل تظنون الى سنين عديدة ام حياتكم كلها حتى الى الممات فلا اغركم
هذا الوهم واعلموا انه باطل الدهر واذا يكون صعبا كما انه لما ان قد دنا من قلبكم الخوف الذي
تحسبون بعيدا عنكم ومن ثم امتنعتم من ان تصيروا مقيمين الى الشهر الآخر فليلة وثابتين
في عزمكم هذا الصالح المرتب بل تهتمون وتخسرون اكليل الظفر الموعود به للصابرين الى المنتهى

ليت

ليت شعري هل خطرت على بالكم هذه القصة الموردة في الكتاب المقدس التي كلما تأملتها تجدد
من عيني قطرات دموع الاشفاق وهي انه قد كان الاسرائيليون المساكين انتظروا نزول موسى من
الجبل بصبر جميل حميد مدة مديدة خالين من ان يظهروا افكارهم ولا اشارات العتو وقلة الديانة
اصلا الا انهم لما ضجروا اخيرا من الطوالة فشرعوا يتاكلون ويتذمرون وظنوا ان موسى نسيهم
كليا وما عاد يرجع اليهم لانه قلما يكون يتاخرون عن النزول مدة مستطيلة فمن ثم عزموا على
ان يقيموا لهم رئيسا آخر غير مستصعبين ان يجدوا الصور بعجل ولو كان من ذهب بقصد
ان يسهل عليهم تدبير نفوسهم على هواهم وعن صنيعهم هذا قال النبي والملك داود
واستبدلوا مجدهم بمثال عجل آكل عشبا وقد كانوا ابدلوا العفة بالبذخ والورع بالخلاعة
والديانة بالسجود للمنحوتات ولما كانوا على هذا الحال واذا بموسى قد حضر اليهم بغتة
فحالما ابصر ذلك المنظر الكلي القباحة اتقد بنار الغيرة بنوع لا يرام وكسر الواح الناموس حالا
وانتهر هارون وسحق الصنم وسلح كل سبط لاوي وطاف كالبرق في منزلات الشعب الذي كان
واقفا بموقفا بلا سلاح واخذ يضرب بالسيف فيجرح ويهرق دما ويجعل مقتلة عظيمة حتى
انه قتل منهم بحسب البعض نحو ٢٣ الف نفر انني سائلكم الان كم يوما تظنون ايها السامعون
كان انقضى من انتظار هؤلاء لموسى رئيسهم بالصبر الجميل فقد انتظروه قلما يكون ٣٥ يوما
كما برهن ذلك المعلم البارع طابولنسي في تفاسيره المشهورة المنتهية حكمة ومعرفة ومن ثم
لو تمهلوا مصابرين خمسة ايام اخر التي تاخرها موسى عن الانحدار اليهم لما كانوا ارتكبوا هذا
الاثم الفايق فظاعة ولا اصابتهم هلاك القتلة الدموية المريعة اما ترون ايها الاخوة
مصاب هذا الشعب فيا للشقاوة العظيمة لكونه عدم صبر اياما اخر قليلة قد جلبت عليه
هذه الشدة التي ترتعد منها الفرائص بالسوء حظا المنكود بالدين حادث رهيب لم يجر
بمثله قط الان فهمتم كم هو حق ما اورده الحكيم في الامثال الالهية قايلا الغير صبور يعمل
بالجهالة اللجوج يرفع جهله اي ان الذي يتغلب الخيرات من عدم الصبر لا ينفعل الا افعالا
ذات حماقة وجهالة اما تبيع ذلك واضحا في شعب اسرائيل المذكور وماذا يكون اذا ارتدت
عليكم مصيبة اخرى مثل هذه ماذا يكون فانتم تحسبون الموت بعيدا جدا فلذلك تضجرون
ويقول كل منكم في ظنه ماذا اعمل الان لتمر سنين كثيرة في هذه السيرة الضيقة
واحتمال سنين كثيرة خلافا بجوية الحقد ولا اروي قلبي من الحقد بالانتقام من عدوي ومبغضي

او تعزية الطبيعة ولا استعداد لذة حسية ما يمكن ان ادوم سنين متعددة ضابطاً النفس
بالا ينطق بكلمة ولا حامداً نفسه من ذا يستطيع ان يحمل هذا الوقت وهذا اشد تكم ايها الاخوة
بان لا تتكلموا هكذا ولا يكون حسابكم على هذا الحفظ لانه ليس يمكن ان هذه الحالة
التي ترجونها من السنين جهيات ان تصح في شهور او في اسابيع لكن تنتهي الى ايام
قليلة لان الموت ربما ابتدا ان ينحدر من الجبال ربما هو قريب جداً الان يمس الباب وهو
واقف ليضرب وياسطيد ليقطع بحد حياتكم وهل ترتضون بان تضعفوا وتتقهقروا
لئلا تصبروا لمدة اخرى قليلة الويل للذين تركوا الصبر والذين تركوا الطرق المستقيمة
وحادوا الى الطرق الشريرة هكذا يتنبأ ابن سيراخ الحكيم الالهي متكلماً عن هولاء العاجزين
القليلي الصبر وقايلاً الويل لهم الويل لهم فماذا يكون اذاً ايها المسيحيون ان دخلتم في عدد
هولاء الساقطين وصرتم تصيب لعقتهم ما امر البكا وما اكثر العبرات التي تبرزونها في
مدة الابدية لهلاكه واسفاه فانكم ستضطرون ح ان تقرنوا كل وقت مناحتكم مع الاسرائيليين
الهالكين لعدم صبرهم قايلين افلاجل خمسة ايام افلاجل خمسة ايام هبطنا هكذا من عدم
صبرنا من جرى عدم ثباتنا برهة من الزمن يجب علينا ان نقاصص بعذاب كل الدهور الويل
ثم الويل المضاعف لنا

العدد ٢

وهات نسلم لكم ان حياتنا العتيدة ان تمتد الى سنين كثيرة حسبما تعتقدكم بطولة العمر شبوبيتكم
النضرة الزاهرة وتركيب مزاجكم المتعافي القوي اتعلمون لاي سبب يستبين لكم حفظ نفوسكم
طاهرة بارة صعباً عسيراً ثقيلاً فالسبب هو لانكم تتوهمون انه ستدوم في اعضايكم هذه
الحروب التي تشعرون الان بها غير ان وهمكم هذا باطل فارغ لانه سبيلكم ان تتوكدوا ان
الصعوبات الحاضرة تخف يوماً بعد يوم وكما ان الضباب يتبدد ويضمحل قليلاً فقليلاً
عند بزوغ الشمس والدخان ينصرف عند ظهور لهيب النار فعلى هذا المثال تضمحل من
نفوسكم عند نمو نعمة الله فيكم يوماً فيوماً تلك الضيقات والصعوبات والعواطف الشريرة
المليمة الان بنفوسكم من منكم لا يتفطن تشوش الجبار وهو واقع لسوء حظه تحت سلطة
الفلسطينيين لعمري ان معاينة شاب قوي بهذا المقدار كان موضوع هزو لتنزل الشعب
واحد انه يحرك الان تلك الى الاخفاق عليه لكونه قد سجن بالحبس وقيد بالاغلال من
حديد ثقيلة وقلعت عينيه الاثنتان من اعدايه والزم ان يدير الطاحون مكان البغل

وبعد

وبعد هذه الضغطة الغريبة كان يتبعه محتقراً من جم غفير بازدحام جزيل من صبيان
عادمي الافراز وشيوخ كهول محمدي الوجوه وبنات عاهرات فاجرات يشتمونه ويهزأون
وكان البعض منهم يضربونه كالعاجز الكسلان واخرون يعيرونه كالاعمى الكفيف وكانوا يبصقون
عليه حتى يلطخوا منه تارة قاسياً باللكم واللطم والرفس وتارة مستهزئين بما شعره رأس
هل هذه قوتك تلك التي كانت تصيرك مرهوباً الدهر الجديد تلك القوة التي بها كنت تقطع
الحبال المدعية المجدولة من عصاب البقر كانها خيطان قطن اذا دنت منها النار وتحمل بها على
عاتقك ابواب المدن النحاسية كانها ابواب مرسومة على القرطاس اما انت ذاك الذي كان يصرع الاسد
الى المصارعة مصموداً ويقبض عليه بيديه العاريتين ويخنقه ويشقه ويجعل جثته فريسة
للنحل اما انت ذاك الذي كان يهزم بمفرده الجيوش المكمنة اما انت الذي كان يبدد الجنود
وتجر بهم فكيف اذاً الان تهزوبك الكلاب الضعيفة بنبحها وتعجز عن تسكيتها الا تنهاهم اصبروا
قليلاً يا معشر السامعين اصبروا قليلاً فترون من هو هذا المهان انتم تنظرون حال المسكين وشعره
محلوق الشعر الذي انما فيه قوته قايمة الان حالته هذه لا تدوم هكذا بل سينمو شعره هذا بعد
قليل من الزمن ويطول وح ما احسن ما تشاهدونه وقد ارتدت اليه قوته القاهرة وهو يزعزع
بذراعيه عمودين عظيمين وينقض ابنية شامخة ويجعل من الفلسطينيين في مماته مقتلة عظيمة
ارهب من تلك التي صنعها في حياته اما هذا هو حقاً ما صار هكذا كما قلت لكم ايها السامعون
لعمري ان هذا يتضح بكم ايها الاحبا على ان الشعر هو الان فيكم صغير العمر بذلك ان نعمة الروح
الالهي القوية هي فيكم قليلة طفيفة ومن هنا يتبين بعجب ان استبان لكم ان الحروب متسلطة الان
عليكم وتعاملكم معاملة الاسرى والعبيد باسته تتهمكم بصور واشباح بحسنو التجارب تتصل بكم ولكن
ما بالكم آيسون استمهلوا النعمة الالهية قليلاً من الزمن حتى تنمو وح تنظرون كيف تزيد اليكم
جميع تلك القوى التي استرددتموها بالعماد المقدس فالايمان يعود حياً والرجا غضاً والمحبة
تضطرم واقول على الاطلاق انه يحل عليكم روح الرب وح تشعرون بذواتكم انكم صرتم اقويا
وابطالاً اشداء حتى الموت نفسه لا يعود يخيفكم وما خلا هذا باسرع من ذا الذي لا يعلم ان
المبادي جميعها هي اتعب من غاياتها على ان الثيران تتعب في الابتداء من حمل النير والخيول
تتألم من شوكتا اللجام والجمال تكره احمالاً ظهورها تحت الحمل وعلى هذا النحو صناعة الدف
والكتابة والنقش والتصوير وما شاكلها اعسر على من يوثر ان يتعلمها ويتعلمها في الجدري الذهب

الى الحرب يخاف من اهوال الهيجات والمسافر في البحر يتروع في اوايل اسفاره والمتخطر في البر يتعب
باعظم سهولة من خطراته الاولى فاذًا لا تستغربوا البتة ايضًا في منهج السيرة المسيحية
ومن هنا قد لاحظ حسنًا وبعدالة تعقل خصوصية فيلون العبراني فقال ان الامواه الاولى
التي صادفتها آل اسرائيل في البرية كانت مُرة اما التي استقوها فيما بعد كانت لديهم عذبة
بهذا المقدار حتى انها رويدًا رويدًا اختلست اسم العسل فلا تنظروا اذًا الى تلك الصعوبات
التي تنتصب الان بازايكم في خدمة الله عز وجل لان هذه هي صعوبات تخم الهجوم في الابتدا
على ان الجريح قد يعسر عليهم ان يكبحوا في الابتدا الجسد ويضبطوا اللسان ويخمدوا الغضب
ويخففوا التعظم والتشامخ لكن اذا انتم اهملتم قليلًا فيستحيل ذلك لديكم خفيفًا لذيذًا سهلًا
بهذا المقدار حتى انكم ربما تصيرون فيما بعد تتعجبون من نفوسكم وتهتفون مع اغوستينوس
المعظم قايلين ما احلى ما صار لي الامتناع عن الجهوت الملاهي الجسدية وهذا تراه مسطرًا في اصحاح
٩ من كتاب اعترافاته الاولى ما اعذب هذا الفرح ما اوفر هذه السلامة ما الذ هذه الراحة
لم اكن اظن اني بلذة لي تركه ما قد كنت سابقًا اتوهم من مباينته فلتعلمن اذًا انكم انكم تشعرون الان
بصعوبة عظيمة في امساككم عن السقوط في الرذيلة التي تعلقتم بها سابقًا الا انه لا يسوغ
لكم ان تجبنوا او تصغر انفسكم لان صعوبتكم هذه سوى قويتم او عشتم لا تدوم زمانًا كثيرًا
اسمعوا ما يخاطبنا به حقًا الصادق الذي لا يمكن ان يكذب يشوع الحكيم بن سيراخ قايلًا حتى
الى حين يحتمل الصابر ثم يردف قوله بقوله ومن بعد تجزا السرور ص ١ ع ١٩

العدد ٤

ليت شعري لما تركنون وتفهمون انا عند ادكم هذا الذي توردونه حتى الان حقيقيًا كان
او وهميًا ان ثبت ثبيًا فيثبت عليكم ختام قضية الهلاك الابدي اسمعوا كيف يتم هذا
واحفظوه تعييًا جيدًا فاقول ان كان من اقراركم تستصعبون وانتم في هذا الحال جدًا حفظ
نفوسكم من غير سقوط فكم بالحري اذًا تستعظم صعوبتكم هذه في القيام ان عدتم وسقطتم
اليس تزدادون حينئذ ضعفًا وفشلًا وانتم الان اما تزداد بكم الملكات السيئة اما تتقوى بكم
العوايق الشريرة فاذًا الرجوع الى الخطا والهلاك هما عليكم شي واحد فهذا القياس على
ظني هو قوي راهن لا يحتاج الى اثبات لكن اسمعوا اثباته باوفر التوضيح لتزدادوا اقتناعًا
انه ينبغي لكم ان تفهموا انكم اذا عدتم وسقطتم بالخطا فيستصعب عليكم القيام منه والرجوع
الى الحال التي انتم الان عليها حاصلون ليس من قبل نفوسكم فقط اي لكون قوتكم تضعف لكن من

قبل

334

قبل الشيطان ومن قبل الله تعالى ايضًا قلت من قبل الشيطان وذلك ابرهنه لكم بمثل قوي
واضح لا يدخله ارتياب وهو هذا التالي

العدد ٥

فلنفترض ان رجلًا شريفًا مسيحيًا سقط اسيرًا تحت يد واحد من الغاربة في تونس الغرب وحفظ
هناك باحتراس بليغ لكنه لم يظلم بل عومل معاملة رحيمة لا بقساوة فرقد الحارس وتهاون
في نظارته وحصل لهذا من ذلك فرصة للهزيمة ولهذا حل القيود وفتح الابواب وانهزم
هاربًا الى اليليا واصاب هناك سفينة مستعدة الى السفر فركبها ورام الانعتاق فالحسن
ما فعل لكن اذا اهمل جهلًا هذا الحد حتى توانى بنفسه فاذا شعر بفعله مولاه الغضب واخذ
يجري في اثره وادركه ورده الى خلف فليت شعري باي سجن يلقيه ولاي حال يسلمه لاريب
في انه يلقيه في اضيق السجون واظلمها ويوثق يديه بالقيود ورجليه بالسلاسل وعنقه
بالجنازير وان كان سابقًا ماذونًا له بان يتنسم قليلًا ثم شاهد نسيم الفلا فالان لا يطاوله
ان يرى النور ايضًا واذا كان مسموحًا له قديمًا ان يتمشى في سجن متسع فالان ما عاد يعطيه
مكانًا يضجع عليه ويزيد على ذلك الصوم والحصر والضرب كل يوم لينكسه ويضعفه
ويصده عن ايثار الفرار كما فعل سابقًا فعلى هذا المنوال يصنع الشيطان معكم ايها السا

معون

لقد كنتم فيما مضى اسراه وعبيده ولاجل انه ربما تهاون قليلًا في الحرص عليكم او لانكم انتم سلكتم
بقوة قلبية عظيمة وشجاعة اثيمة وفلتم من يديه بحسن حظكم اما تعرفون بذلك اي نعم فاذًا
ماذا يصنع بكم اذا عدتم وسقطتم تحت يديه ورقبته فانا اوضح لكم بالتصريح الذي تطلقه
من ارميا النبي قايلًا انه ثقل اغلالكم لئلا تخرجوا اي يقيدكم بقيود اثقل باضعاف كثيرة لئلا
تخرجوا من تحت رقبته لما يبصر ما هي الطريق التي فررتم فيها ناجين من يديه فيبني حولكم ضدكم
كقول ارميا النبي ايضًا اي انه يغلق عليكم جميع الابواب ويسد كل سبيل ولا يترك لكم حتى ولا كوة
ضيقة تستطيعون منها ان تتنفسوا بالسما فان كنتم النضرعة الى الله تعالى بواسطة تلاوة كتابي
ما روحي فيصد ويحرص كثيرًا الا تصادفوا او تتلقوا سوى كتب الملاهي والاباطيل والخزعبلات و
الغزل وان كنتم تنتعشون بواسطة استماعكم الوعظ فيسلبكم منه بترغيبه اياكم بالشغل
وان كنتم عدتم الى الله عز وجل بواسطة ملازمتكم الجمعيات المقدسة والاخويات الصالحة
فيبعدكم عنها باجتذابه اياكم الى الليليات ومعشرة الصحاب وان كان فراركم منه بواسطة
الالهامات الباطنة فيبذل جهده الكلي في ان يغشيكم باصوات ضجات وشكلات عالية لا تسمع

فيها صوت واقول على الاطلاق ان يفرغ نفاقه كله وصنعته كلها لئلا يخسركم ثانيةً وهكذا
يبتني حولكم ضدكم لئلا تخرجوا ثقل اغداكم كما قال النبي المقدم ذكره فاحذروا اذاً يا معشر
المسيحيين لانكم ستهلكون ان رجعتم الى تحت ولايته اسلكوا متحرصين سيروا خائفين
لان هذه ليست هي مخاطر هزئيها

العدد ٦

فهذا الذي ذكرناه هو فيما يخص الشيطان ✱ اما الذي يخص استقامة احد فنقول لمن لا يعلم
انه لان بعد تعبو سقطتم لا يجوز لكم ان ترتجوا بعد ذلك تلك المواهب التي عضدكم بها سابقاً
لكيما تقوموا من سقوطكم ولكي تفهموا ذلك مدعيين اخبروني كيف ترتجون منه حقاً يا انكم
ايضاً اذا نكثتم وخرجتم معه هذا المقدار من الدفعات ورجعتم الى الخطيئة بنوع مستقبح الذكر
بعد وعدكم وعهدكم لما انكم تستقيمون معه فصنيعكم هذا اتراه صنيع رجال ذوي شرف و
كرامة انه يهوذا قدم ذاته للسجن المظلم لكي يحفظ وعده ليعقوب ابيه ويرده اليه بنيامين
سالماً ويشوع رضي ان يحتمل حرباً عظيمة ليصادق سكان جبعون بحفظ السلام والعهد
معهم وريغولوس مع انه كان وثنياً ما خاف ان يسلم نفسه لموتة قاسية ظالمة اي محبوساً
عرياناً في صندوق منهم من داخل بشوكات مسنونة وزهقه ليحفظ كلمته مع اهل كرتاجنا بالعودة
اليهم ان لم يقدم اهل بلاده شروط عتقه واما انتم فلكي تحفظوا كلمتكم صادقين مع ربكم
اما ترتضون بان تحتملوا ضيقاً قليلاً او تكبحوا شهوة واحسية او تهدوا فورة غضبكم ماهذه
الامانة ماهذه الصدق قيد اين هي بساطة القلب النقي قال اغوسطينوس الجليل ضاحكاً حول
تائب ذلك الذي يفعل ما قد ندم عليه تائباً ويزيد الخطايا عدداً عوضاً عن انه يقللها انتهى
حقاً حقاً ان هذا لهزو بالله عز وجل وتكون معاملتنا معه تعالى اردى من معاملتنا مع رجل اسكاف
او دباغ او مع مهرج لان هولاء وان كانوا احقر الناس فيخاف من ان ينكث العهد معهم وضيفوا
الى ذلك انكم برجوعكم الى الخطايا ترتكبون اثم انكار الجميل الاقبح والافظع مما يمكن ان ترتكبه الخليقة
وهو احتقار النعمة الالهية المردودة اليكم من بعد خطيتكم الاولى ومن ثم تصيرون بهذا شبه تلك الارض
التي سماها الرسول ايضاً مرذولة التي مع انها شربت المطر الذي نزل عليها مراراً كثيرة فانبتت
عوسجاً وحسكاً بدل العشب الموافق ومن قبل ذلك لا تعود تستحق شيئاً اخر غير النار كما اردف
الرسول ايضاً قايلاً وعاقبتها الحريق وضيفوا الى ذلك ايضاً انكم تزيدون الشكوك والمعاثر
للآخرين وضيفوا الى ذلك ايضاً انكم تظهرون عن نفوسكم قباحة ووقاحة اشنع وضيفوا

ايضاً

335

ايضاً الى ذلك انكم تدخلون في عدد الكلاب الذين يعودون الى قيئهم حسب راي بطرس الرسول
في رسايله وللامثال الالهية وهذا الجنس من الكلاب قيل عنه انه ممقوت امام الله اكثر مقتاً
ومن هو الذي لقب بهذه التسمية فهو الغبي الذي يعاود الى غباوته حسب قول الحكيم في
الامثال ايضاً ومن ثم بيان لكم ما يخص الله ايضاً انكم تستطيعون ان تعودوا الى الخطا من غير خطر
الهلاك لعمري لو عكس ان يتم ذلك لما حتم بطرس رسول الكنيسة فحوله حتماً مصرحاً قايلاً لقد
كان خيراً لهم ان لا يعرفوا طريق البر من انهم يعرفوا ثم ينصرفوا الى خلافه من الوصية الطاهرة

العدد ٧

ولكن ما بالنا ساعيين في طلب هذا المقدار من البراهين مع ان لنا برهاناً واحداً فاذا فهمناه جيداً
يغني عن الجميع غير انه لابد لي ان تسمعوه بقصد بعقل حسن لانه ولو ان ادهشكم واخافكم خوفاً
ليس باليسير الا انه يكون لخيركم وصلاحكم ولانا طالب ان افيدكم بخطابي اكثر مما تلتذون به فاقول
انه لمن المعلوم والواضح ان جميع الاشيا البشرية هي عند الله مرتبة بالوزن والعدد والمقدار كما
قال كاتب الحكمة متكلماً مع الله هكذا رتبت كل شي بمقدار وعدد ووزن ولذلك ليس انه
جلت احكامه رسم بالتدقيق كم نفس يريد ان يخلق في العالم بالتبعية فقط بل احصى ايضاً
افعالها وكلماتها وخطواتها وافكارها ولا يمكن ان يتعدى عن هذا العدد المعين حتى ولا
في شي واحد ولو مهما كان طفيفاً صغيراً فينتج من ذلك ان الله سبحانه حدد ايضاً كم من الخطايا
يريد ان يحتملها في كل منا صابراً ومن ثم اذا كمل هذا العدد فاول خطية نرتكبها بعد ذلك لابد
ان يقطع خيط حياتنا بغتةً او يرتفع عنا حس العقل من غير ان نشعر وتلقينا تلك الخطية
في الهلاك اسمعوا ما يقوله في هذا الشان القديس اغوسطينوس لاني تكلمت هذا على
لسانه قال هكذا سبيلنا ان نفهم بان الله عز اسمه يحتمل كل واحد منا صابراً ما دام لم يكمل
بعد عدد خطاياه المحدد فاذا اكمله فللوقت يضرب ولا يبقا المغفرة البتة انتهى وقد تحوي
الاسفار الالهية شواهد واضحة في هذا المضمون نستنتجها مما قاله الله سبحانه عن العموريين
اولاً ثم عن اهل المدن الخمس ثم عن الفريسيين لكن اترك هولاء جانباً فاني اتيكم بذكر شهادة
اخرى اقوى واجل وهي هذه لقد اخطا آل اسرائيل في البرية مراراً عدة تارةً بالتذمر وتارةً
بالقنوط وتارةً بالصياح وتارةً بسجودهم للوثن ومع ذلك كان الله جل ذكره يغفر لهم جميعاً
بعض منهم حتى وصلوا مقابل ارض الميعاد فعادوا هناك واخطاوا ايضاً متذمرين عليه سبحانه
كعادتهم السابقة لانه اخرجهم من مصر فغضب الله عليهم حتى انه احتمل قحة هولاء

الفلسطيني لاعناق فاريد ابيدهم جميعًا بالطاعون اريد اهلكهم وافنيهم كليًا الى متى يغضبني
هذا الشعب اضربهم بالموت فاهلكهم فصار النصر كلامه تهديدًا ومع ذلك جميعه تشفع موسى فيهم
وتنازل الله جلت مراحمه الى هذا الشرط معناه انه ارتضى ان يصفح عن جميع اوليك الذين
ولدوا بعد خروجهم او قبله بقليل اما الباقون الذين خرجوا بالسن الكامل فما امكن ان يرحمهم
ويصفح عنهم فهل تعلمون ما هو السبب الذي الجا الله سبحانه الى هذا التمييز فان خفي عنكم
فاسمعوا مني وهو هذا ان اولائك هولاء كانوا اغضبوه عشر مرات كما اثبت ذلك قوله في الاصحاح
المذكور انفا بقوله جربوني عشر مرات عشر مرات جربوني فليموتوا اذًا جميعًا اسمعتم
افهمتم فاذًا لقد كان الله حاصيًا بالتدقيق كل المرات التي اراد ان يحتملها منهم صابرًا على هولاء السفهاء
ترى ما بلغ هولاء الاشقيا الى الخطية التاسعة التي كانت اخر حد الغفران وعرف احد ذلك
بمعرفة سابقة وتقدم اليهم واوصاهم قايلًا فقولوا هنا يكفي يكفي لا تتقدموا الى ما قدام لانه بعد
هذه الخطيات الـ ٩ لا يعود لكم رجا بالرحمة اما كان صنع معهم خيرًا عظيمًا لا محالة لكن من ذا
الذي اعطاه الله تعالى علمًا على ان هذا العدد هو غير معلوم وهو مختلف كثيرًا ولا تحفظ
سنة واحدة نحو الجميع لكن يغفر لهذا خطايا اكثر ولذاك اقل ولذلك انه كان الله حتم ان
يحتمل في العبرانيين عشر خطايا فقط فقد استعمل صرامة اكثر مع اهل دمشق وغزة وصور
وادوم ولتحقيق ذلك اسمعوا ما انذرهم به عاموص النبي عن فم الله قال على ثلثة اثام دمشق
وعلى اربعة لا ارجع على ثلثة غزة وعلى اربعة لا ارجعه على ثلثة اثام صور وعلى
اربعة لا ارجعه على ثلثة اثام ادوم وعلى الرابعة لا ارجعه ولما حقيقة مضمون
ذلك فهي هذه ان الله تبارك وتعالى امهل ان يتخلى عنهم عند ارتكابهم الخطية الرابعة
هكذا فسر حسب المعنى الحرفي تاودوريطوس وديجوس وايرونيموس وديونيسيوس وليرانوس
وغيرهم تابعين تفسير القديس اغريغوريوس العظيم معظم المفسرين فقد تقرر اذًا هذا التعليم السديد
الراهن تعالوا الان ههنا ايها المسيحيون احباي واخبروني قليلًا من يعلم من يدري ان لا تكون
تلك الخطية التي قد تقدمتموها عن قريب هي اخر خطاياكم التي حكم الله بحكمه الغامض ان يغفرها لكم
هل لكم في خلاف هذا معرفة محققة وان قلت معرفة محققة هل لكم اشارة امتن ما لا يعرى بها الكون
الله احتملكم لا كما احتمل العبرانيين الى عشر مرات فقط لكن الى عشرين وثلاثين وربما مايه مرة
لقد صار الاغلب التصديق فيكم انكم استوجبتم ذلك العقاب العظيم لانه لا احتمال وهل انتم مع

ذلك

ذلك تفكرون بالرجعة الى هذه الخطايا الويل ثم الويل صدقوني انني خايف ومرتعد عنكم
كلي بجملتي عند افتكاري فقط بالخطر الوافي عليكم فهذه الخطية التي تهتزون بارتكابها فربما
هي الخطية التي ما عاد لها غفران اصلًا وليس ذلك لان الخاطي لا يستطيع ان يتوب عن اية خطية
كانت ما دام حيًا او ما دامت له الحرية على ان هذا لا يجوز ان يقال حسب علم اللاهوت الشافي
لكن لان الله لا يكمل العدد المحدد له لاجل الغفران يجب ان يضرب للوقت على اول خطية يرتكبها من
بعد حسب قول الجليل اغوسطينوس المقدم ذكره اي يجب اما ان يموت اما ان يعدم حواسه
او قلما يكون يخسر المؤيدات الفعالة التي من دونها لا ينتفون احد يخلص فاياكم اذًا مستقلين
لا بالسمادي تبتهوا او تولدكم كما اوصاكم استفانوس على لسان اشعيا فهذه المادة لا تحتمل
مشورات كثيرة ولا مستطيلة ولا يجوز لنا ان نضع خلاصنا الابدي تحت هذا الخطر الجسيم
من اجل لذة زايلة من اي صنف كان سواء كانت لذة الانتقام او الطمع او المحبة الردية او المجد الفارغ
بل يجب على كذا الحالات ان تغصبوا انفسكم قليلًا ومن بعد ان تحوزوا رحمة ربكم من اسر الخطية
ينبغي لكم ان تعزموا عزمًا اكيدًا على عدم السقوط فليبيد مهما كان فليبيد المال لتبيد الكرامة لتبيد
الاحباب ولتبيد الحيوة ايضًا ان الجت الضرورة خير هو الموت قبل الخطا خير هو الموت جاهد
عن نفسك واسمعوا ما يقوله ابن سيراخ لكل منا جاهد عن نفسك وان كان هذا لا يكفي جاهد
للبر حتى الموت

العدد ٨

ليت شعري كم فرحت السما بكم لما عزمتم
على نفوسكم في هذه الايام المقدسات ان ترجعوا الى ربكم بعد ان كنتم عصيتموه تعالى فيما سلف
وخرجتم من منازلكم نشيطين وتوجهتم الى الكنيسة وسجدتم امام اقدام الكاهن الجالس
في كرسي الاعتراف نيابة عن المسيح وابرزتم من جوارح القلب زلاتكم مع ترددكم عبراتكم وشرع
كل منكم يقول له بانسحاق قلب فارغًا اصطبارًا وطارقًا نظره الى الارض هكذا اخطات يا ابتاه ابيت
شعري ما اعظم الفرح الذي شمل وقتيذ الملايكة جميعًا كم تهللوا وانسر الطوباويون ما اكثر التهاني
الودادية التي تقدمت ساعتيذ لكم ابكار شفيعتكم وليسوع منقذكم ولله ابيكم اما انتم بعد ان
قدمتم للسما هذا السرور فقد ابتدأتم بان تبيعوا نفوسكم ان تسلبوها منهم نظير من يقدم
لكم اليوم هدية وفي الغد يستردها منكم نادمًا بالدمن سوى ادب لا يوصف لعمري ان الانسان
بمثل ذلك يجعل نفسه مبغوضة كليًا حسبما قال ابن سيراخ فيمن يقرض اليوم وغدًا يطالب
الوفا فمبغوض هذا الرجل

ولقد يمكنني أن أقول دائمًا إن كان ضعيفًا أن لا تعابوا ساكني السما وتمنعوهم الرجا بأنهم قد اكتسبوكم
لهم رفقا أبديين إذ كان لكم إرادة بأن تعودوا وتحزنوهم سريعًا وتحيلوا افتقاداتهم إلى
الكآبة وتحيلوا نشيدهم إلى المناحة والإكرام المقدم لهم إلى الإهانة العظيمة الويل للأولاد
العايدين هكذا الصائح أخذ يهتف مغضبًا نحوكم مع أشعيا النبي الويل للأولاد العايدين
هل يسوغ لكم إذًا أن تنكثوا هكذا بعهدكم لتزدادوا خطية على خطية كقول أشعيا أيضًا ميزوا
حسنًا ما أقوله لكم ها أنتم قد اختبرتم معلمين أعني بهما الشيطان والمسيح وخدمتموهما
مدة من الزمن خدمة مختلفة حتى أنكم صرتم الآن تعرفون ماهيتهما كليهما ومن ثم إذ كان بعد
ترككم الشيطان واتباعكم المسيح تتركون المسيح وتعودون أيضًا إلى الشيطان ترى ما الذي
تشير إليه هذه العلامة أليس أنها تشير إلى أنها حكمت عليكم بوثيقة بينة أن التعبد للشيطان
هو أخير من التعبد للمسيح وتجدون فيها لذة أعظم وتجتنون منها منافع أكثر هذا هو رأي ترتوليانوس
أيضًا لأنه قال في الإصحاح ٣ من كتابه في التوبة هكذا أنه يستبين لنا أن الذي اختبر المعلمين
قد قابل أحدهما مع الآخر واستصوب الحكم في أن الذي أحب أن يصير له منهما عبدًا مرة ثانية هو
الأفضل انتهى أترى يحسن بكم أن تحكموا أيها المسيحيون هذا الحكم الملتوي وتهينون المسيح
الكلي الصلاح إنني أتضرع إليكم بعوض ذلك الدم الكريم الذي هو أقسى لأجلكم أي نعم بحق هذا الدم
الغالي أن لا تهينوا ربكم بهذه الإهانة الفظيعة خير لنا أن يدركنا الموت نعم خير لنا وإلا فالويل
ثم الويل لكم الويل للأولاد العايدين فلذلك ترى من الآن أكرر عليكم صارخًا هذا الويل الذي أنذر به
نعم الأنبيا للأولاد العايدين فمن ذا يستطيع أن يصف قباحتكم هذه أتتركون الله حبًا بالشيطان
أتتركون الله حبًا بالشيطان ما أعظم هذه الإهانة تأملوها ما هي الفايدة التي ترجونها من
خدمتكم هذه سوى الحسرات والعذابات الدايمة ما بالكم في طريق مصر تشربون ماء عكرًا وما بالكم
مع طريق الأشوريين لتشربوا من ماء النهر فاثبتوا إذًا اثبتوا هكذا يصرخ الرسول نحوكم ولا تعودوا
لإيثاق نفوسكم بنير العبودية تشجعوا ولا ترتعدوا فإن سكان السما جميعهم مستعدون
لنصرتكم ولكن بشرط أن تقصدوا أنتم أن تكونوا معهم أمينين لا تجزعوا لأنكم ستستطيعون
عن ظنهم أن تفعلوا أكثر مما أنتم تظنون على أنه يوجد بينهم كثيرون قد عانوا حروبًا أشد من
التي ربما أنتم عتيدون أن تعانوها فمنهم من نشروه ومنهم من رجم وآخر احترق وآخر سكن على
الصخور وآخر هترئ جسمه في المغر وآخر أذبل جسده بأصوام مذهلة وآخر ضنك بالمسوح وآخر

بجمله

بجملة القيود والسلاسل الحديدية وآخر جلد أعضاءه بقساوة لا تبلى إليها وقد قووا على
هذا جميعه بسهولة وذلك بنعمة الله فلماذا إذًا لا تستطيعون أنتم بهذا التأييد
عينه على ما أقل أن تحذروا فتقطعوا عن الخطا المميت فيما سيأتي فاعزموا إذًا هذا العزم في نفوسكم
قايلين مع أيوب الصديق في برنا ثبت ولا نرفضه قد حتمنا بالنهار أن نكون لك نحن الآن
وهكذا نريد أن نكون لك دايمًا إن لو وجودنا من العالم سلفنا إذا رأيت أنه لعتيد أن يأتي
يوم نعدل فيه عن أن نكون لك

القسم الثاني

إن لا شك في أنكم حتى الآن ما فطنتم إلى أن تفهموا جيدًا كم يلزمنا أن نحذر من السقوط في الخطايا العمد
ثانية لأنه كان الإنسان إذا فلت من الصنارة والعصفور إذا نجا من الأشراك مرة واحدة
يتوقى كثيرًا من الاعتقال بهما ثانيًا فلماذا لا نصنع نحن هكذا والحال أننا متصفون بمعرفة أبلغ
جدًا من الحيوانات ومن هنا الانعاج إلا أن الخشوع آخر إلى من يعلمنا ولا نستطيع بها على
أن نتم بالسهولة ما قد قلناه فتثبتوا غير خايفين لكون يوحنا الذهبي الفم يعلمنا أحد الطرق
أنه لا يمكن أن تعطى واسطة أخرى أنسب منها وأوفق ونفوذ هذا أي أن تبتعدوا من الأسباب
الداعية للخطا الأمر الأسباب الثقيلة فقط حاشية افهموا الكلام جيدًا الذي خاطبتكم
من أخرى بعظة كاملة في هذا الموضوع ربما لم تبرح من عقولكم النص لكن من الأسباب الأخف
وأصغر أيضًا حتى من تلك التي يمكن أن تلقيكم أيضًا في الخطا من بعد جيل كقول لنا إن كنتم
معتادين على الطلاق والعنان للذة اللحمية ينبغي لكم أن تجتنبوا الرعانات التي ليست شهوانية
كليًا وإن كنتم معتادين على الكلام القبيح والسفيه يجب أن تهجروا الواعظ المبرح أيضًا الذي
لا يضاد الاحتشام مضادة كلية وإن كنتم معتادين على الأكل والشرب بشره ونهم فتمسكوا
بالتمتع بهما الغير المحرم كليًا أيضًا بأفراز وهكذا افعلوا أيضًا في ساير الرذايل التي كنتم إليها سابقًا
منصبين اسمعوا الكلام الجليل القديس الفيلسوف مذكر في عظته ٥ على الشعب فيقول هكذا
إن هذه واسطة عظيمة للأمانة أي أن نجتنب لا الخطا فقط لكن الأسباب أيضًا والوسايط
التي تبان لنا معلقة ما بين الخير والشر غير أنها تستاقنا إلى الخطا الجاني أن تكون عفيفًا أضبط
عينيك من النظر والوجه اللاذع أتريد أن تلجم لسانك من الحديث الدنس كف عن الضحك الطليق

اتعجب لانسكر ان ابتعد عن الملذات والولايم واقطع شرب الخمر من الاصل انتهى

العدد

ولكن ربما تعترضون قايلين يا ابانا انه يجب ان يطلب من الاحداث الشبان جايزة معقولة ولسنا
نطالبين منكم هذه الشروط المتقدم شرحها الزمكم ضرورة بان تستنيروا والسيرة المستقيمة
فقط بل غير مطاقة ايضاً اذ ليس هو قليلاً ان تحرضتم على الابتعاد عن الذنوب الباهرة اما
الاجتناب عن الملاهي الغير المحرمة والغير الدنسة بل معلقة ما بين الخير والشر فهذا بيان
لكم امراً ثقيلاً عسر الجهد نعم ذلك اجيبكم قايلاً عسيراً هذا الذي ذكرته لكم اه والسفاه لا
تقولوا هذا ايها السامعون الاحبا ولا تظهرون عن نفوسكم انكم غير واهمين كما انتم الان
مديونون لله وكم تلزمكم بيد الحال الحاصلون انتم الان عليها او حال التايبين ليت شعري ماذا
كنتم تقولون لو طلبت منكم مثل الواعظين الاخرين اصواماً شاقة وجلد اجسادكم حتى يسيل الدم
ولبس مسوح خشنة وحفظ السكوت بصرامة غير منحلة وسهراً مديداً في الليالي الحالكة
كنتم تتجاسرون على ان تتفوهوا قايلين انها ثقيلة صعبة فاحكموا الان اهل هو شي كثير
بالغ جداً الزامي لكم بهذا فقط اعني باجتنابكم بعض المتنزهات ولو كانت غير محرمة بعد ان
تملاتم من الحرمة والدنسة حتى لا اقول المشككة ايضاً لعمري ان داود الملك لم يكن هذا
رايه حينما عطش يوماً امام الظما وطلب ما بارداً من بيت لحم وحينما قدم له ترى بكم مقدار
من التلهف والاشتياق نظر اليه وتناوله وادناه من شفتيه ليتجرعها تماماً ولكن مع ذلك
وقف الوقت وبدل اراده فهرقه في الجو وقدمه تقدمة لله خلواً من ان يذوق منه نقطة واحدة
كقول الكتاب المقدس لم يحب داود ان يشربه بل دفقه امام الرب وان قيل لاي سبب صنع النبي
هكذا فيجيب عن ذلك القديس غريغوريوس الحبر الاعظم في عظته ٣٤ على تفسير الانجيل قايلاً
ان داود ذكر ساعتيذ اللذة التي اشتهاها من اعوامه من بتشباع ولهذا اخجل نفسه ولعبر
ان طلب اللذة هو عن الجسد الجايزة هو ايضاً من شايبة الخسارة لمن دفق باقتنايه موته
باللذات المحرمة فهل يبان لكم اذا ايضاً ان تتذكروا تلك الملاهي المطربة التي تعلقتم بها مراراً
كثيرة متمردين على ربكم وتعزموا الان حباً براي تعدموا نفوسكم تنزهاً ما او لذة من اللذات
مباحة غير انها ليست خالية من الخطر كلياً كقولنا حضور عرس او رقص او لعب في مربح ما او
تلاوة كتاب ما من كتب الجنون والخلاعة او كلمة فارغة بطالة فلا تظنوا يا سامعي انه كثير
ان يكون في خاطئ تايب تلك الحرارة التي كانت تلزمه وهو بار اي قبل ان يخطي بل اعلموا تحقيقاً

انه

انه ينبغي له عند توبته حرارة اعظم وقد نجد عبارة عن هذا في الاسفار الالهية وهو ان الاسرائيليين
بعد رجوعهم الى اورشليم من رق العبودية المرة اضطروا في عبادة الله ابلغ اضطراراً
وذلك انهم بينما تشجعوا على القتال ضد اعدايهم من اعدايهم تنفيهم قريبين وبدلوا نفوسهم عن
ناموس الله باعظم شهامة وشبههم صنع اخرون كثيرون بعد الان عن ذكرهم ايثاراً للاختصار
فلا تقولوا الان انه يطلب منكم كثيراً حينما نطلب منكم ان تبتعدوا الان عن اسباب الخطايا الطفيفة
الخفيفة لانه الان يلزمكم كمال اعظم

العدد ١١

وما عدا قولي هذا انظروا اني اريد الان ان اورد لكم جواباً اخر ليتم انتم بانتظاره وهو هذا الحق قصداً
ان تتجنبوا كما قلت لكم اسباب الخطايا الخفيفة لا لاجل قهر اجسادكم عما تلذذتم به سابقاً فقط
كلا بل لكي يسهل عليكم عدم الخطايا الثقيلة ايضاً الذي يصعب عليكم ان تحفظوا منه انكم الغير المنظورة
القليل وتعسوا عنها الكثير من ان تمسكوا انفسها الكل في ما لشبان لكم كلام هذا معجماً ولم تفهموا
مضاه ولكن ها انا اسمعكم ايضاً صاً قايلاً ان القديس يوحنا فم الذهب في عظته ٣ من تفسير
رسالة مار بولص الى الرومانيين اورد سوالاً مشكلاً لايقاً ان يسمعه بعض الشبان الجهلة الذين
يرقبون جمال الوجه النسايي من دون شبع فقال لماذا حينما اعاد السيد المسيح مكرراً في
السنة الحديثة الوصايا المامور بها في السنة العتيقة حرم بالفاظ شديدة صارمة النظر
الشهواني الى وجه امراة اما كان يكفي ان يحرم الفسق والتنصص والزنا على الاطلاق فلماذا
اذاً تقصد تحريم النظر الشهواني الذي من بعد ذلك لا يوصل ضرراً الى الشخص المنظور ثم
اجاب هنا القديس جواباً مطابقاً لذكاوة عقله اي جواباً الهياً وقال لان المسيح حرم هذا
بصرامة وافرة لكي يسهل علينا منهج الملكوت ولكي تفهموا ذلك احتسبوا معي ان النظر الشهواني في
بعفرده منزه من الخطا فان حسب هكذا الان انه يصعب علينا من بعده ان لا نخطا في
عقلنا ذكر الحسن الى المحبوب ولا نعشقه ولا نتعلق بهواه ولا ننغلب لثورة الشهوة التي
يشعر بها الحسن المتردد ويستميلنا اليها فنسقط بالزنا الذي ربما يصعب علينا الامتناع عن النظر فقط
لعمري انه يستطيع كل احد ان يمتنع بسهولة عن النظر بتحويل وجهه الى جهة اخرى او بطرق
حدقتيه الى الارض او باشتغال نفسه بعمل اخر لا نبيو لكن اذا نظر وتفرس متفرجاً متلذذاً فتعسر عليه
مقاومة الحركة التي تضطرم في البدن فمع يقتضي له باس فايق على الطبيعة وقوة عظيمة
لا يوجد اعظم منها التي عجز عنها القديسون ايضاً من نفوسهم ومن ثم ختم القديس الذهبي فمه

قايلاً ومن اجل ذلك حكم السيد المسيح بالعقاب ايضاً على ذاك الذي نظر الى امراة نظراً دنساً
فقط فان امر السيد المسيح بوصيته انقادنا من تعب اعظم انتهى ولنفهموا هذا جميعه
بهذا القياس وهو ان عدم ترك النار تتقد في حقل قش يابس هو اقل صعوبة من طفيه بعد
ان علقت وصعد لهيبها وامتدت في الحقل متسعة واحرقت فلنأتين الان الى مطلوبنا
فنقول ان احببتم انتم ان تبتعدوا عن الجرائم التي تسبكم اليها شهواتكم الغير المرضية لا تريدوا
ان تتراخوا معها حتى ولا في شي زهيد لانه يوجد يا معشر المسيحيين حتى ولا في شي زهيد لانكم
ان ارضيتموها بالقليل الذي بلا ريب فانكم ستضطرون عن قريب ان ترضوها بالكثير ايضاً
ولكن ليس بعجب انكم لستم تشعرون بصعوبة عظيمة في عدم الرجوع الى الخطا بعد قيامكم
منه فانا اصدق صعوبتكم هذه وذلك انكم انتم تحفظون في منازلكم خمير كل شهوة اي ان
كان كيفما جلتم بنظركم لا ترمقون في جدران بيوتكم سوى صور دنسة ورسوم الشهوة ان كنتم
لا تقصرون على ان تذكروا على حواسكم لذة ما خفيفة اعني اذا رقدتم مثلاً تختارون انعم الفرش
او اذا اكلتم فتطلبون الغذا من اطيب المآكل والذها واذا شربتم فتفتشون على اقوى
الخمر وما سواه من المسكر وان كنتم ايضاً تفرحون بالجاه فتبلغون بذلك حتى انكم تتزينون
نظير النسا وان عاشرتم فتعاشرون دايماً انفاراً نفوا من نفوسهم الورع ومن وجوههم
الحيا وان كنتم لا تتحدثون الا حديثاً سفيهاً ولا تتوردون الا اخباراً ليستحى منها ولا تنطقون
الا امثالاً وعبارات ذات معانٍ مميلة الى النجاسة وان كان كل فعل وكل سلوك وكل حركة
وكل كلمة وكل اشارة هي بمنزلة متحرك لكم على الخطا فكيف يمكن بعد ذلك جميعه ان لا
تحسوا باعظم الصعوبة في مقاومة التجربة ودفعها وهذا الذي ذكرته انا لكم هو بمقام
المثل في خطية الحس فقط فقيسوا انتم على موجبه ساير الخطايا التي تنعطف اليها
الطبيعة المتملكة فيها العوايد الشريرة العلك انت يا هذا سريع الى الضرب وسفك
الدم فاحتم على نفسك ان تخنق الغضب حالما يتولد بك وكذلك يصعب عليك بلا
شك ان تصمت في المبادي حينما تسمع كلمة قيلت ضد شانك غير ان صمتك هذا يحتمل
لكن اذا اردت ان تقاوم لاجل هذه الكلمة وتنازع وتماري ترى ما اكثر الضغطات
والشرود التي تلقي نفسك بها ويصعب عليك جداً فيما بعد ان تخلص منها وان كنت
تميل الى الغضب والشتم فالزم نفسك ان لا تدنو من المكان الذي يصير فيه اللعب

العدد ١٢

ختم

حتى ولو دعيت اليه لعمري ان الطبيعة نحت الطيور الاجنحة ولكن من اجل اية غاية
العلها اعطيت ذلك لكي تتخلص من الدبق والاشراك بعد ان تعلق بهما كلا بل لكي
تطير وتحذر منهما سلفاً على ان الحذر منهما يقتضي له تعب قليل اما انقاذ نفسها منهما
بعد سقوطها فيهما فممتنع فو اسفاه كم يقتضي من الجهاد والاجتهاد والتعب والشدة
العذاب وحتى هذا ايضاً لا يكفي لتخليصها هكذا ايتها النفس على ما قال الذهبي فمه الافكار
الصالحة والمقاصد الممدوحة والارادات الورعة تنصرنا كما تنصر الاجنحة للطيور ولكن
لا لنفلت من الشباك التي يبسطها الشيطان في العالم لكن لئلا نلجها الان اذا ما دخلناها
فيصعب علينا ان نطير منها طيراناً يعتقنا منها كلياً فيلهمنا اذاً ولنتكن هذه الواسطة
التي سبيلنا ان نتعلمها اليوم لئلا نسقط وهي الابتعاد من اسباب الخطا ولو كانت خفيفة
او لا الابتعاد من مخاطرها لانه قيل في الامثال الالهية من يحذر الفخاخ يكون مطمانا واذ
تممنا عن الذي علينا فلنثق بعد ذلك بالله تعالى لانه وان كان الثبات في البر حتى الى
النسمة الاخيرة من الحيوة هو موهبة تعطى من الله مجاناً مع ذلك غير ممكن لهذا الاله
الصالح ان يمسكها عنا ايضاً اذا فعلنا ما هو مطلوب منا

العظة الثامنة والثلاثون

في تلثا القيامة

تتضمن براهين سديدة تقنع المسيحيين في ان السيرة الروحية ليست ثقيلة و
مكروهة حسبما تبان في خارجها لكنها عذبة ولذيذة والقصد بذلك هو
لكي يتشجع السامعون الى مباشرتها

السلام لكم انا هو لا تخافوا هكذا حدث لوقا البشير في ٢٤ من بشارته

انه بالكاد ان يوجد انسان ينفش بعظم سهولة الكثير من ذلك الذي ليدبر في احكامه
بالوجه الخارج فقط ولا ثباتاً لذلك فلنتامل الراعي الساذج الذي ما فحص قط نيسابت
فلكية بحسابات النجوم وترتيبها او يتعاد بعضها عن بعض فهذا اذا رفع ناظريه الى
الرقيع في الليل وقابل النجوم مع القمر فيرى بهما ضاحكاً لظننا انها تاثيرات حقيرة اصغر
من القمر وتسير دريقة كانه ملكها مع ان ذلك هو غلط عظيم جداً لانه من المعلوم انه لا يوجد

ها

العدد ١

نجم في الرقيع ولو بينها كان صغيراً او يكون اعظم من القريب منه مئات من المرات فان قلت لهذا
الساذج ان تلك النجوم بعينها التي يراها هكذا صغيرة حتى بالجهد حتى انه يتعامى صغرها فان
كلاً منها هو اعظم من كرة الارض عظماً بهذا المقدار حتى ان بعضها تستطيع ان تحويها
في جوفها عشرين مرة وغيرها ٥٠ مرة وغيرها مائة و١٢٥ مرة فكم تراه يعظم عليه تصديق ذلك
ويظن ايضاً ان البعض منها التي تسير غفير كلية السرعة هي ثابتة غير متحركة وغيرها الملاصقة
في الابراج متسعة من بعضها بعض جداً يظن ان احدها قريبة من الاخرى وعلى هذا النحو
اذا انقاد نظراً الى الوجه الخارج فيظن ان الالوان المختلفة الشكل المستبينة في قوس قزح
هي الوان حقيقية ويظن ان الجلد في ايام الصحو هو ازرق حقاً وان الجو في فصل الصيف
عند المساء يحمر ايضاً بالحقيقة كاحمرار النار واذا اراد ان يصدق ما يراه بعينيه فيوكد ان المقذاف
يتعوج في وسط الماء وان سار في سفينة جارية على سطح البحر بموافقة الريح لها ونظر نحو البر
فيتوهم ان الصخور والاشجار تجري كجري السفينة فقد ضل اذاً من اراد ان يحكم بحسب الوجه
الخارج ولكن ما بالنا اوردنا لهذا المقصد قياسات غريبة بعيدة ها هو ذا قد اتضح لنا
ذلك مما جرى اليوم في الرسل حسبما يخبرنا الانجيل المقدس على انهم لما ابصروا السيد المسيح دخل
العلية والابواب مغلقة ليريهم جراحاته في يديه ورجليه وجنبه اعتراهم هلع عظيم عند
مشاهدتهم اياه حتى راموا الهرب بشدة كانه خيال سبيل قد تراءى لهم ليرعبهم مبشراً اياهم بالموت
والهلاك لا ليشجعهم منذراً اياهم بالامان والسلام كما خبر عنهم الانجيلي قائلاً اضطربوا و
خافوا وظنوا انهم ينظرون روحاً ومع ذلك لما هدى روعهم ولبثوا يرقبون هذه الصورة
التي استبانت لهم متانين ابصروها مختلفة عما ظنوها اختلافاً بهذا المقدار حتى انهم فرحوا
بها فرحاً اوعب قلوبهم ابتهاجاً ولذلك كقول الانجيل وكانوا متعجبين من الفرح ولم يكونوا يشبعوا
من التفرس بتلك الجراحات المقدسة بمنزلة علايم سعيدة للخلاص بعد ان كانوا سابقاً
ينظرون اليها كعلامات الحزن والشقاء فاعتبروا اذاً يا معشر السامعين ما اوردته لكم واعلموا
انه هكذا يضل كثيرون من المسيحيين الذين يريدون ان يحكموا في ماهية السيرة الروحية
من وجهها الخارج فقط ويركبون فيها وهماً هائلاً مكروهاً بهذا المقدار حتى انهم يظنون
ان الاقتراب الى السيد المسيح والدنو من الموت هو شيء واحد ويظنون انهم لا يعودون فيما
بعد يشعرون بلذة ما اصلاً ولا بفرح ولا بسرور ولهذا يهربون خائفين من دقة هذا

الاله ومعاشرة هذا الموطن الذي يجب تحت راية الخوف بشارة الامان والسلام السلام لكم
انا هو لا تخافوا فان نزعوا الخوف من عقولكم هذا الوهم المضل المتملك فيكم يا معشر المسيحيين
ولكي تقدروا على ذلك فاحسنوا الاصغاء الى خطبتي هذه الكون ارى لكن في هذه المرة التي
هو ان ابين لكم ان السيرة الروحية عذبة لذيذة لا مزعجة ومعذبة كما انتم تتوهمون
فقبل كل شيء اقول انني لعالم اما قوماً منكم لا يزالون حتى الان يزعمون ان الانسان الذي يحب
يعيش عيشة شقية اليمة كل الايام في حياته الروحية لانه ليس يعدم نفسه تلك المتنزهات
التي هو في ذاتها طاهرة ويتزهد عن الخطايا بل ايضاً يخضع لاهوال وضغطات كثيرة ثم تتقولون
ما هي بهجة السيرة الروحية وتحسبون في ذواتكم بذواتكم قابلين انها هي هذه انى التكلم قليلاً
وابكا كثيراً اقبال الذم متباعدين من هذا وما اشبه ذلك احتمال النقر في المعيشة والامراض في
الجسم والهوان في الشان والتعدي في الحقوق فهل يمكن ان لا تكون هذه السيرة مضنية
شقية اهذا كلامكم ما اقوى هذا الاعتراض الذي تصدعون به في بدء الخطاب وكانه صخر وطيد
يصدكم عن الخروج الى الميدان ولكن انظروا كما انا مزدهر به حتى انني اقول انه لما اخذ الروحيين ليس
من شانهم ان يعانوا المشقات التي ذكرتموها انتم ويا الغبة في تعاظيمها فقط بل يرغبون احقاً
ايضاً بطيبة نفوسهم بهذا المقدار حتى انهم لم يجدوها حاضرة في زمانهم يخرجون في
طلبها خارجاً قلتم انهم يقاسون الهوان والعار وانا ازيد على ذلك واقول انهم يطلبونها
ايضاً بغيرة حارة كما صنع سمعان السالوس الذي صير نفسه مجنوناً لما نبذ اعظم الهزء و
الازدراء قلتم انهم يحتملون الفقر في المعيشة وانا ازيد على ذلك فاقول انهم يسعون به
ايضاً مجتهدين كما صنع ونيس الذي قضى عدة ايامه عرياناً لكي يشعر بحدة الفقر ابلغ اشعار
قلتم انهم يقاسون امراضاً في الجسم وانا ازيد على ذلك واقول انهم يفتقدون لها اسباباً ايضاً
بقدر ما يباح لهم كما صنع برزوس الذي احب السكنى في المحابس في الصعارة القليلة الغذاء
ليستمر بدنه نحيفاً وكثير الاسقام والعلل الا ترونهم كيف يذيبون اجسادهم بالاصوام المديدة
ويمسكونها بلبس المسح ويعذبونها بالجلد ويهزلونها بالاسهار المصلتة عليها يستطيعون
ان يرهبوها ويخضعوها اذا ارادوا ذلك وماذا تستنتجون من ذلك ايسوغ لكم القول فيهم انهم
عايشون عيشة مكدرة شقية مضطربة حاشا وكلا ما دام الابرار ما داموا يطلبون هذه الشقا
بهذا الشوق العظيم اي انهم يبتاعون بنفقة هذا مقدارها ايضاً غير مرغوبة من اهل العالم

العدد ٢

لها

ت

ارضًا عاقرة ارضًا مفعمة شوكًا وقرطبًا يجب علينا ان نستنتج قد يليق انه لا بد له من الانتظار
بانهم يعدون بها كنزًا عظيمًا مخفيًا عنا وهذا الكنز ليس هو الا العذوبات والتعزيات
الباطنة والمعاملة الودادية التي يكافي بها الله حتى في هذه الارض ايضًا كل من يعاني مشقات
هذه الحيوة حبًا به اخبروني ايها السامعون ماذا تظنون ان الباري تعالى يعذب
اصفياه في هذه الحيوة كما زعم البعض لانه يريد ان يجازيهم في الحيوة الاجلة ما اكثر ما انتم
مغرورون نعم انه تعالى لا يقصد لكي يحول لنا المجازاة السخية في الحيوة الاخرى يمسك
عنا هنا المجازاة الارضية كالغنا والمديح والمناصب الجليلة وما سواها من فخر العالم واباطيله
كما لاحظ حسنًا القديس برنردوس الا انه لا يقصد بذلك ان يحول لنا المجازاة السموية
الى الحيوة الاخرى كالافراح والتعزيات الباطنة خلوًا من ان يذيقنا اياها سلفًا لعل المجاهدين
في الحرب ليس هم بموعودين بمجازاة صالحة بعد الغلبة اي نعم ومع ذلك تراهم يعطون اجرة
وافرة حتى في زمن القتال ايضًا فمثلهم الحراثون يوعدون باجرة حسنة في اخر جمع الغلة
ومع ذلك يعطون القوت الواجب في حين الحصاد هكذا احتسبوا اصنيع الله معنا ايضًا
فانه يحفظ لنا في الحيوة العتيدة ثوابًا وافرًا عظيمًا لا شك لكن مع ذلك حيص لا يبخل
علينا باجرة مناسبة في هذه الحيوة ايضًا وقد كان جل ثناوه اوعد الاسرائيليين بارض خصبة
مخصبة جدًا تفيض لبنًا وتسيل عسلًا وتقدم كل خير وغنا ومع ذلك كم عالهم قبلًا في البرية
وكم لذذهم بحسب شهواتهم لقد كان يمكنه ان يقول لهم عن قوله بكل الحق انه الان ينبغي لكم
ان تكتفوا بما تيسر لكم من الماكل لقيام حياتكم يكفيكم للقوت اصول الاعشاب المرة والخرنوب
البري والثمار اليابسة التي تجدونها في الطريق اغتذوا ما دمتم مسافرين متى ما اتى عتيد
كان ان ياتي زمن تصيرون فيه ما بين اثمار لذيذة ولحوم طيبة لا لحوم اسمن منها وحينئذ
تكون لكم الكروم مقبلة دائمًا وغلات الحقول فايضة والزيتون حاملًا والمرعى اخضر
دائمًا وتكونون من كل جهة محاطين من غابات ظليلة منعمين بنهرات شهيًا مثمرًا وبحارًا
تربي من الاسماك الذها واغزرها ولاجل ذلك احتملوا الان الجوع فانكم ستشبعون
اكثر مما في سيركم فعلى هذا النحو كان الله عز اسمه يمكنه ان يكلمهم مشجعًا اياهم في الضيق
ومع ذلك لم يقل لهم هكذا لكنه عاملهم في البرية في معاملة سخية حسنة تفوق بها من
هو مستوطن المدن ولا يحظى بها وذلك طبقًا ما قاله الملك والنبي هكذا مطر المن اختياريًا

افرز

افرز الله لميراثك لقد دبر لهم نوعًا غريبًا من الماكل لم يعرف في بيوتات اهل مصر ولا في مطابخ
فرعون الذي الملوكية يقدم لهم كل الحضور ويلتقط كما يحبهم المذاق الذي ايضًا يوجد جميع الاطعمة
مذهلة في لقمة واحدة من من وقليل المن احلا من جميع الدسوم فاحكموا انتم هل الالهي
افضل ام القول ان الله سبحانه قد كان من حال انه يحافظ في الملكوت الاصفيا به وحيًا الادوية
الدسوم واطيب اللذات فيسقيهم في هذه الحيوة بليغًا تنعيمة ويطعمهم الاغذية الامرّ
فهذا لا تظنوا لاني اقول لكم انه يعدكم حتى في الارض ايضًا بفيض خمر عذب بانسو ولذا
ولو كانت خفية سرية وهي حسنا جدًا في سفر الرويا المن الخفي الذي لا يعرفه الا من
فلم يبق الان سوى ان نفحص هل هذه العذوبات
يا خادم
هي عظيمة حقًا حتى انها تسمو على العذوبات العالمية كما كانت عذوبات بني اسرائيل
في القفار تفوق على تلك التي كان المصريون يتمتعون بها في مدائنهم لاجل هذا الامر
تقتنعون بدرجة هو لتر انكما لاحظتم اختلاف ما حسبما ملذات المختصة بالعقل الروحيين
عن ملذات اهل العالم الا انه عليما تعلمون انه ايضًا ان ملذات ذوي العالم هي تامة في
الجسد وملذات الاتقيا الروحيين هي قائمة بالروح ولا شك ان ملذات الروح تسمو
على ملذات الجسد فلو كان هذا راي احد القديسين في الغرض بنوع التفضيل فقط لكنتم
تعذرون ان ظننتموه رايًا كاذبًا او قلما يكون قريبًا من ميل التقي غير انه راي الحكما القدما باسرهم
كمثل بلوترخوس وسينكا وافلاطون وارسطو فانهم لاحكما هو معلوم عند الجميع قد جعلوا
سعادة الانسان في افعال العقل النظرية لا في افعال الحس الحيوانية وها انا لا اشا ان
اثبت لكم ذلك بقياسات داهنة قوية مع انها كثيرة وغير مشكلة بل بالاشهاد فقط فاقول
من منكم ما سمع مرارًا شتى بقصة الفرح الجزيل الذي شمل في احد الايام ارخيميدس
الفيلسوف البديع ذلك الذي بعد ان دخل الحمام ليغتسل فبينما هو غاطس ذلك خطر في باله دفعة
حل الشكل الذي كان افتكر به سابقًا زمانًا كثيرًا وكان افتكاره بلا ربح ومن ثم اعتراه
فرح وافر بهذا المقدار حتى انه طفر لوقته خارجًا من المغطس وطفق يجري كالمجنون العادم
العقل الى منزله هاتفًا وقايلًا بصوت عال لقد وجدته وجدته وجد تسلانه خطف من فرحه بنفسه
وغاب عن حواسه حتى انه لم يفطن ان يلتفت فلما يكون بالمئزر لكنه خرج كما ذكر عريانًا هذا
ما اخبر به بلوترخوس ثم اردف وقال هاهم بذلك ما وردت على سامعيهم خبر هذا الحكيم

العدد

واخبروقيعن ابيسيوس حاشيته ان ابيسيوس هذا كان من اكبر شرهين العالم في المأكل النهص هل قام يوماً ما من عند المايدة فرحاً مسروراً بعد ان يكون ملا بطنه من الطيور المدهنة ولحوم الضان السمينة وعقب صار حالتفا قرفرحه قد املت واعلانت وهليوبيانوس حاشيته وهذا المذكور كان من اكبر الناس منكبين في لذة الشهوة الحيوانية حتى انه لم يذكر عن احدهم ساواه بطلب النجاسات النهص بعد ان ذاق شهوتها كلها في كل صنف من الاناث فهل خرج يوماً ما من المواخير النجسة متهللاً ويتمتعاً يهتف ويقول قد تفتت وتمتعت حتى الشبع فهذا الفرح لم نره قط وقد تم سوى في اركيموس الفيلسوف انتهى كلام بلوكرنوس الحكيم الحاذق

فلنتج الآن من هذا قايلين كم تفوق افراح النفوس وتسمو بشدتها على افراح الجسد واذا كان هذه هي اللذة التي تحصل النفس عليها بتاملها بمجرد الحقايق الطبيعية الزايلة حتى انها تتفوق تفوقاً عقلياً على لذات الحس فليت شعري كم هي اللذة التي تشعر بها النفس من تاملها الحقايق الالهية الابدية من ذا يستطيع ان يدرك السرور الغير البرهن الذي يشمل قلب التقي العابد عند تامله بربه ومعرفته اياه فقط من ذا يمكنه ان يصفه سوى للشعب الذي يعرف التهليل انا العمري لست استطيع ان اصف لكم وصفاً يليق بهذا الموضوع لاقصي غير اني مار برنردوس العسلي الفم يتكلم عني ويشهد لكل منا قايلاً بالحقيقة ان الفرح الحقيقي هو ذاك الذي نحصل عليه من الخالق لا من الخليقة واذا امتلكته لا يعود احد يقدر ينتزعه منك وكل لذة اخرى بالنسبة اليه هي حزن وكل حلاوته هي عنا الروح وكل حلو هو مر وكل حسن هو مكروه وعلى الاطلاق كل شي يمكن ان يلذ في وجه الارض هو مضجر ومكرب انتهى وهذا تراه محرراً في رسالته السادسة وتاكيداً لذلك اقول اليس ان الله تعالى هو حاوٍ في نفسه بنوع اسمى كمالات البرايا باسرها اي نعم ولذا فكيف يستطيع ان يمنح الوان الجمال الذي تعشقه العين والماطعمة الدسمة الذي يطلبه الذوق والاصوات الطرب الذي ينعطف اليه السمع والاجساد النعومة التي يلذ بها اللمس والازهار الرايحة التي يرغبها الشم ومن هنا من لا يرى ان النفس اذا تمتعت بربها في باطنها فتمتع في موضوع واحد بجميع الخيرات مجتمعة فيه بالكمال اي الخيرات التي يمكنها ان تتمتع بها خارجاً عن الله متفرقة

في موضوعات كثيرة بالنقص ومن قبل ذلك تكون متعتها اعظم جداً الان اللذة تتفاضل وتزداد اذا كان الخير الملذ مجموعاً ومحصوراً في موضوع واحد وهذا هو على ظني المعنى الذي دل عليه بذكاوة عقل داود الملك والقديس لما كان يتوق الى ينبوع المياه قايلاً مثلما يتوق الايل الى ينابيع المياه كذلك تتوق نفسي اليك يا رب ليت شعري لو لم يكن متعطشاً اكثر من الايل اما كان يستطيع ان يروي من الغدران والاقنية كلا لكون هذه ليست هي لذة لكون اللذة الحقيقية الكلية هي قايمة في الشرب من الينبوع ومن هنا نرى ان القديسين كل مرة واحدة كانوا يخرجون من المدن في عظايم الله المذهلة كانوا يخرجون كاد هيين وما فتئين كل فعل حسي وجسمي بهذا المقدار حتى لم يكن ولا شي واحد من الملذات والملاهي الارضية والجسدية يلذهم فيما بعد البتة ومن جرى ذلك كان بعضهم يغمض عينيه ليلاً ونهاراً والبعض كان يسد اذنيه ليلا يسمع ليلا يعاين ايضاً حسناً زايلاً كما كان يصنع سيلوانس الراهب او يسمع ايضاً اصواتاً مايتة كما كان يصنع الانبا سرابيون واخرون لم يكونوا يستطيعون ان يستعملوا الذوق حتى في حين اشد الجوع او الاغتذا من المأكل الارضية ولا استطعامهما كما اتفق ذلك في كاترينا السيانية وغيرهم ايضاً اضحوا لا يشعرون بنحس الحديد الذي كان يعذب اجسادهم نظير ما خبرنا عن عبد الاحد لوديكاتوس ولا بنتانة الجروب التي كانوا يدنون اليها مناخرهم كمتعوب السايق لتايب فانا عارف باننا انما نستطيع كلنا ان نحصل على هذا الكمال على حد سوى الا اننا اذا ما دنونا نحن ايضاً الى هذا الينبوع الالهي الفايض فضله فيعوزنا ان نرجوا على قدر الامانا الذي فينا فيضان الافراح والتعزيات لانه قيل في الزبور الالهي اوسع فاك فاملاه

واذ كان ما ذكرناه يفوق على مكنتنا على حسب ظني انما نستطيع ان نستمد قلما يكون تلك اللذة التي تمنح كل قلب روحي بالحق تلك الراحة التي تسمى راحة الضمير وقد سماها الرسول سلام الله الذي يفوق كل عقل فالذي يعطي بهذه الراحة فاي شي يبقى له ان يحسد به الاخرين فلتكن للاثمة ملذات وافراح زايلة قدر ما يشاوون غير انهم لا يحصلون على حقيقة الفرح حتى يبلغوا الى راحة القلب والضمير ولكن كيف يستطيع الخطاه ان يرجو هذه الراحة الشهية انما نرى انه لا شي من مخلوقات العالم يحوز الراحة طالما هو يتحرك وانما يحوزها لا عندما يبلغ الى نهاية الحركة الاخيرة انظروا الحجر فانه لا يستطيع ان يستريح الا حيثما يبلغ الى ادنا المراتب انظر النار لا تستريح الا ما تنتهي من الصعود الى العلا وهذا يجري ايضاً في الاشيا البشرية فالطبيب مثلاً لا يستريح الا بعد ان يرد

العدد ٤

للعليل الصحة لان هذه هي غاية عمله وبالتالي هي غاية حركته ايضًا وما دام عليله سقوما ولا يبطل فيه السعي والحركة فانه ياتي ويشرف عليه ويجدد ويوصي واحيانًا يجس نبضه واحيانًا يراقب لسانه واحيانًا يرصد عينيه ويصف اليوم دواءً وغدًا دواءً آخر ويستقصي كيف نام تلك الليلة وكيف استراح في النهار هل اكل بقابلية هل شرب بلذة لكن متى ما عادة اليه العافية يقول الان استرحت وبعد ذلك لا يعود اليه ايضًا العليل ولا يستخبر عنه لانه حصل على غايته فلنقس نحن الان على ذلك قابلين ما هي غاية الانسان ايها الاحبا السامعون اليس هي السعادة نعم فاذًا لا يقدر الانسان ان يستريح حتى الى السعادة ويحصل بذلك على غايته القصوى اما الخطاة فليت شعري ما بعدهم من هذه السعادة فكل واحد منهم ضل عن طريقه حسبما قال فيهم زعيم الانبيا فهذه السعادة على موجب راي جمهور الحكما لا يمكن ايجادها الا في ايستقا وحدها اما الخطاة فكيف يصنعون فيتحركون تارةً نحو المال فيقول لهم لست انا السعادة لان السعادة هي خير محبوب بسبب انها الغاية القصوى اما انا فاني غير محبوب بسبب انني عكس ذلك كوني واسطة للغاية فاطلبوها اذًا في شي اخر ان اردتم ان تكونوا سعدا ومن هنا حيث لا يستريحون في اموالهم فيتحركون نحو الفخر فيقول لهم لست انا السعادة لان السعادة هي خير ما ثابت منزه عن تقلب الزمان والاحوال اما انا فاني خير خاضع تحت التقلب والابتذال جدًّا انتقلوا الى طلب خير اخر ان اردتم ان تستريحوا وعلى هذا النمط لما لم يستريحوا في الفخر العالي فينعطفون نحو الماكل والمشرب وهذان يقولان لهم ايضًا اننا نحن لسنا السعادة لان هذه هي خير مختص بالانسان وحده ونحن خير عام للحيوانات ايضًا انصرفوا الى طلب خير اخر ان رمتم السعادة ومن ثم لما لم يستريحوا في الماكل والمشرب يميلون نحو اللعب ويتحركون نحو الاغاني وينعطفون نحو الفرح في المراسح والشوارع ويتحركون نحو العشق الدنس وهذه الاشيا جميعها تخاطبهم باتفاق واحد اننا نحن لسنا السعادة لان السعادة لا يمكن ايجادها الا في خير كامل ثابت كلي وهذا يجمع بنفسه جميع الخيرات والخير الذي هو بهذه الصفة لا يكون في شي اخر سوى في الله عز وجل وماذا يتفق الخطاة من جرى ذلك فيتفق لهم انهم يقضون حياتهم بالقلق الدايم لانهم من حركة دايمة على انهم بدلًا ما يتحركون بخط مستقيم نحو بعيم الذي هو غاية الانسان القصوى فينطلقون في طرق اخرى تضاد مضادة كلية ويتحركون تارةً نحو هذه الخليقة وطورًا الى خليقة اخرى وعلى هذا النسق يتم ما قاله فيهم النبي والملك ان المنافقين حولنا يمشون لانهم يمشون حول الخلايق طالبين فيها راحتهم وسعادتهم ولا يجدونها اما المنقادين

المترجحون

المترجحون فبخلاف ذلك فانهم يتجهون بسبيل مستقيم نحو الله حسب نص اشعيا النبي القايل هكذا سبيل الصديقين مستقيمة مستقيم طريق الصديق ولذلك يجدون الراحة وحدهم لانهم وحدهم يحصلون غايتهم نعم انه لا يمكننا ان نفوز بهذه الغاية فوزًا كاملًا كليًا ما دمنا احيا في هذه الارض ومن قبيل ذلك لا نستطيع ان نسعد سعادة كاملة لكن مع ذلك جميعه ان كان يعطى لاحد حتى في هذه الحيوة بجزء من السعادة اولئك كان يفرح ويتهلل بالحق فانما هم الصديقون لان هولاء هم المقربون الى الله تعالى اكثر قربًا وقد شهد بذلك داود قايلًا المجد والتهليل لجميع ابراره للشعب القريب اليه

العدد ٥ فاذًا ايها المستمعون ايكم ولا اعترض بان السيرة الروحية هي بجملتها جافة صعبة متعبة محزنة نعم انها هكذا لا محالة عند من لا يمارسها بالحقيقة غير انها ليست هي هكذا في حقيقتها وحول اسمكم ليست هي في هذا شهودًا صادقين امينين كما تظنون ولكن اما تعلمون كيف يتفق لكم في هذا الشان لعمري انه يتفق لكم ما قد اتفق لموسى النبي سمعوا وانتبهوا قولي انكم لعالمون ان الله جل اسمه قد ظهر لهذا الرجل الجليل في قمة جبل سينا ليسلمه من فم الالهي الناموس الذي كان عتيدًا ان ينذر به شعبه اسرائيل لكن ما ارهب ما كان التشبه الذي ظهر له به لانه اشتباه ح كانه قد دعيت جميع العواصف من اصل السحابات واعمال اللج لتجتمع في الجبل وتستعد للقتال وكان جو السماء ميدان للحرب ولكي يجعل الحرب ارهب واشد اتى بليلة مقتمة في وسط النهار رغمًا عن الشمس اللامعة في فلكها وكان يرى حينًا فحينًا تشبه في انيس فقدم او مصابيح لامعة تعطي قليلًا من النور غير ان نورها هذا كان رهيبًا جدًّا حتى كان يجعل الليل مجوبًا والظلام رهيبًا اكثر منه وفي غضون ذلك شرعت من كل ناحية جلبة الابواق ترد على ضجيج الرعود وضجيج الرعود يجاوب جلبة الابواق بصدى مرعب مخيف اما الشعب فلم يكن يعرف هل كانت هذه اعلامًا تدعو الى الحرب ام تهتف نحو سامعيها بالانذار بل انما كان يرى انه لكي يزداد الخوف كان حينما يلمع البرق بها تهتف الرعد مع البرق وبوقت واحد وفي الوقت الذي كان فيه تهتف الرعد ايضًا كانت تنقض مع الرعد الصاعقة وكان الجبل يدخن من الثغور والشقوق التي فتحتها الصواعق في جوفه وينبعث من ذلك نار ويصعد دخان حتى انه يستبين كان السماء دنت من ان تحترق عن قرب حريقًا مرعبًا فاعتبروا الان ايها السامعون كيف كانت احوال ذلك الشعب وما الذي وجب ان يقول عند مشاهدته هذه الاهوال المزعجة فكان كله مجتمعًا حول الجبل

مستطفا حول الحدود التي حددها الله عز اسمه وكان يسمع تلك الرعود ويعاين تلك الحروب
ويعلم انتقايم في وسطها موسى قايدا فاي حكم اذاً الزمان يحكمه في هذه الضغطة لقد كان
فيما اي في الجبل رجال من كل صنف ونسا واحداث وصبيان ولا ذهولا كانوا متصفين بعقل
كثيف وفهم غليظ فمن الضرورة انهم يكونوا افتكروا ان كل دقيقة في تلك الحوادث المهيلة
كانت اخر عمر موسى قد لعزم ان تقول تلك المراة متاسفة عند مشاهدتها العاصفة منقضة
على الجبل واحسرتاه هذه الصاعقة نازلة مستقيماً على راس موسى قايدنا وكانت اخرى
تهتف عند معاينتها اللهيب يصعد من جوف الجبل واأسفاه هذه النار مبادرة الى ابتلاعه
وكان غيرها يقول كيف يمكن ان لا تكون هذه الدخنة الكثيرة قد خنقته الى الان بالحقيقة انه
تفاوت حدود الجسارة بصعوده الى قمة الجبل لقد كان يستطيع ان يمكث معنا في اسافل الجبل
مقتنعاً الدعاء بعدم استطاعتنا الى اتباعه الى قمة الجبل ومن ثم اظن ان ذلك الشعب
المرعوب كان هكذا يدمدم ويقول ولتحقيق ذلك انا ارى في مفسري الكتاب المقدس من قال هكذا
انه لما تباطى موسى عن الرجوع من الجبل احتسب الجميع انه قد مات ولاجل هذا طلبوا الى هارون
ان يخترع لهم الهاً اخر يقدم واحلم من هذا اي الهاً ذلك العجل اما انا يا هم قايدهم ومدبرهم ولكن
من منكم ايها الاخوة لا يعلم مقدار ما غلط وضل هذا الشعب برايه هذا في موسى لعمري انه ما من
احد يتمتع في حدائق البساتين وفي ظل الشجر براحة وعذوبة نظير ما تمتع موسى في وسط
تلك الاهوال والاضطرابات الغريبة التي مر ذكرها اذ انه كان يتمتع فيها باعذب المعاشرة والذ
المفاوضة مع الله عز اسمه وكان يقضي تلك الايام وتلك الليالي فرحاً مسروراً لتامله وجه الاله
الكلي البهاء غير مفتكر بالاكل والشرب وغير محتاج الى الرقاد فلا رعد ازعج راحته ولا برق
اجهر نظره ولا صاعقة جاسرت ان تميته حتى ولا تمس طرف اثوابه. بل انا اردنا ان نصدق راي
بعض المفسرين فنقول ان جميع تلك الحوادث لم تكن حرباً حقيقية بل خيالاً وشبهاً فقط لان
تلك النار لم تكن ناراً حقيقية ولا تلك الرعود والجلبات حقيقية لكن رويا خارجاً فقط فهذه
هي عبارة ما قد قصدت ان ابرهنه لكم اليوم ايها الاحبا السامعون فسبيلكم ان تتعلموا ان حيوة
الانفار الروحيين معبر عنها بتشبيه جبل سينا اي جبل عذب لذيذ لمن يسكن فوقه ومخيف ومهيل
لمن ينظر اليه من بعد ان الانام الكثيفي العقل والغليظي الفهم الذين لا يحكمون الا بحسب الظاهر
متاسفون على الصالحين الذين يتورطون بالصعود الى هذا الجبل قايلين انه خير لهم ان يستقروا

في

في اسافل الكمال من ان يطلبوا البلوغ الى قمته ما الذي يصدقونه هنالك اي في قمة الكمال الا
قتال اللحم مع الروح وحرباً للشهوة مع الصواب وكيف يمكن ان لا يفقدوا حياتهم بمد الزمان ما بين
كذا قتالات باطنة يخافون ان كل صنف من التقشف الذي يمارسه الابرار ينقدم حياتهم او قلما
يكون ينقص عمرهم ويقولون نظير العبرانيين لا يكلمنا الرب فنموت اي لنترك الدالة مع الله
لكل متدربيها الذين اردنا نحن ان نعيش بسلام ولا نموت من التعب والتعمير فلنمكث عن السعي
متحدين لا يكلمنا الرب فنموت اي نعم لا يكلمنا الرب لا يكلمنا الرب فعلى هذا المنوال يتكلم ذوو
العالم فيا له من كلام شرير وفعم ضلالاً وغروراً لعمري انه شرير وافرانه ليس لا ينصبون بترددهم
مع الله دهاهم ولا يموتون فقط لكنهم يروون قلوبهم بلذة وعذوبة هذا عظم مقدارها حتى لا يعودون
ايضاً يفتكرون بالاكل ولا يطلبون الرقاد بل يقضون الايام والليالي بسلام نسيم الوداعة الحلوة
ضاحكين في قلوبهم على الاهوال والضغطات الارضية التي ترتاع منها قلوب العالميين سلامة
جزيلة للذين يحبون شريعتك هكذا قال الملك والنبي في هوى الانبيا وليس فيهم شك كما يظن
بهم الخلق وان كان ذلك كذلك فهل يليق بنا نحن المسيحيين ان نخاف من التسلق الى راس هذا
الجبل بل يجب ان نقف بعيداً العشر مع اوليك الصغيري النفوس الذين قيل عنهم انهم فزعوا وقاموا
من بعد فلماذا لا نصلح غلط الخيلة لماذا لا نزيل من عقولنا الوهم الوهمي ولا نشجع نفوسنا بالنا
مقلوبين من رويا الزوابع والعواصف الكاذبة الباطلة وخايفين منها يا الهمام جهاوتم كثيفة
يا له من ضعف حقير ويا لهما من جبانة مكروهة ما ازراها
العدد ٦
لقد جلس تعمد السينكا الفيلسوف يوماً ما واخذ يشجع نفسه للموت ولكن اي قياس تظنونه اتخذ
لهذا الغرض لعمري انه قد اتخذ القياس الذي نورده لكم عن قريب في اثناه فصور بازاء عينيه الموت
بالصورة الاهول والارعب وطفق يخاطبه كانه مقابله قايلاً لا حاجة لك ايها الموت ان ترعبني خيالياً هكذا
هذه الباطلة ما بالك تريني سيوفاً ورماحاً وعصياً وامثال ذلك من الات التعذيب وافنا الحيوانات
ارهبك ولو تبديت لي ساحباً خلفك جمعاً كبيراً من الجلادين القساة وكان بعضهم حاملين نبالاً والاخرون
سلاسل وقوم مشاعل وغيرهم كماشات والاخرون مقامع والاخرون حبالاً للشنق باطلاً ايضاً ان تريني
بالرعد وبهتارم النيران المتقدة في ذلك المكان الذي تتوعدني فيه لتحرقني بها فاعود مهاواً وعبثاً
تريني تلك الوجوه المرهجة الطالبات تليق فيها الكي او ماتي ايضاً ارفع عني هذه التجليات
الكاذبة لانني عارف من انت اي انت الموت عينه الذي احتقرك بالامس حين عاز الرفيق وازدري بك

أمتي الذليلة ابعدي عنك هذه الاشباح ذات الترهيب الباطل سكت هذا المقدار من الصراخ
والتذمر والنياحة والولولة ماذا تستطيعين ان تجلبي على نفسك بعد هذا كله اليس الوجع اي نعم الا اني
ارى مع الوجع يتحارب ذاك المستقي ويغلبه ومع الوجع يجاهد ذاك المجروح ولا يغشاه
مع الوجع يقاتل ذاك العليل المبتلي بالحمى ويحتمله فما بالك انا خايف من وجع نعم قد يمكن
ان يكون بالغص اوجاع غيري لكنه يكون خاتمة اوجاعي هكذا كان هذا الوثني يجهم نفسه تحتقر
الشيء المرعب في العالم اي الموت وتقبله غير خايفة وفي التحقيق اتصل بهذه الاعتبار ان صالحه
ان يحتقره ويقوم عليه بهذا المقدار حتى انه لما انتدب اليه نيرون الملك الظالم فلم يضطرب
ولا اصفر لونه اصلا لكنه اقتبله بجراة نفس عظيمة حتى انه كان يعزي روحه واصدقاه واقرباه
الباكين على فقده ولما بلغ الى اخر دقايق حياته اذ كان الدم يسيل من عروق جسده المنفتحة
فكان من قبل حمامه هذه الدموع يتلو على بعض الكتبة القيام هناك تعاليم ادبية جليلة
قاصدا بعد ذلك ان يموت بوصايا الحكمة التي كان عاش فيها فلماذا لا نتعلم نحن من هذا الحكيم
النبيل مثل هذه النصايح التي تفيدنا فايدة جزيلة ولا نبالي من كونه كان وثنيا الا انه
لا باس بالمعلم الطالح اذا كان تعليمه صالحا فلا ريب في اننا نحن نرتدع من خيال السيرة
الروحية التي تنصب مقابل اعيننا صنوفا كثيرة من الجهاد والتقشف والصرامة والعذاب
ولكن اخبروني حبا بحياتكم ايها الاخوة ما هو الذي يخيفكم في السيرة الروحية ما الذي
يزعجكم العل ذلك الانفراد والقرار الواجب ان تحفظوه لتبتعدوا عن الملاعب لمشاهدة و
ساير الملاهي العامة الا ان هذا الانفراد هو عين ذلك الذي يحفظه الرهبان في اديرتهم
والعذارى في خلواتهن والحبسا في قلاليهم اما سمعتم انا سأخبركم عن رومالدوس
الذي استقام سبع سنين لا يتكلم كلمة واحدة وعن داذلفوس الذي استمر ايضا بهذا السكوت
سنة عشرة سنة وان كان هذان وغيرهما ايضا من يعدل عن ذكرهم استطاعوا على الكثير
لماذا لا تستطيعون انتم على القليل فانه لا يطلب منكم ان تجتنبوا عشرة كل الناس قاطبة بل
العشرة الباطلة والشكلة فقط او ماذا يخيفكم هل المواظبة على الصلوات تلك التي كان يمارسها
بسهولة لا توصف انطونيوس وهيلاريون وغيرهما الذين كانوا يستمرون يجاثين بصلوة متصلة
من غروب الشمس الى شروقها او ماذا يرعبكم هل التقشف و[illegible] ولكن اما تعلمون ان
هذه هي النخلة الصالحة التي وقف عليها بحوح لا ينصب السيد بطرس التاجر وبالنور اسقف

وغيرهما

وغيرهما الذين باعوا جميع مقتناهم ليوزعوه على الفقراء ثم لما فرغ ما في ايديهم باعوا لاجلهم
انفسهم ايضا وقدموا اثمانهم ليوزعوها عليهم اما حجتكم ايها المسيحيون الخصوصية بالسيرة
الروحية معتذرين بعدم امكانكم عليها بسبب لطف مزاجكم وطبعكم المدلل الضعيف ولكن
من من الناس كان اعظم دلالا من جينوفا البراغونية واسلا الرومانية وفيرام المجدلية
البرنابانية وايدويغا وترازيا وانجلا الاوفق اذين اجسادهن بالنسك فلا ينبغي ان
ترعبنا السيرة الروحية بذكر الخبز العفن والماء الكدر والمسوح الخشنة وساير انواع التقشف
الصارم التي تريناها فلنطرح عنها التخيلات الهايلة اي تخيلات الرماد والحبال والشوك
والسلاسل والدموع والانهزال والعري والهوان والامراض لانا نعرف ما هي في حقيقتها ولا
تخيف احدا سوى الجبان الذليل هذه هي تلك السيرة الروحية التي باشرها انفار كثيرون من
بشجاعة عظمى وثبات غير متقلقل المفعمة كتبا كثيرة من اخبارهم من كل جيل وكل رتبة وكل جنس
وكل قبيلة وكل امة تفتخر بعدة جزيلة واقوام منهم بل تفوق عددهم الوصف وهل نحن لا نستطيع
ان نصير من عدد هولاء الكثيرين ترى ما هو الذي كان لهم اكثر مما لنا الذين كانوا متشحين بجسد
واحد مثلنا مجبول من التراب نظير جسدنا فان اردنا فهاهو ذا معد لنا نحن ايضا تلك
التعزيات عينها التي كانوا بها يشجعون ذواتهم على احتمال كل شيء لان ايوب الصديق قال
الهل عظيم عند الله ان يغريك فنحن ايضا نستطيع ان نتمتع بملذاتهم ونرجو ثوابهم ونفعل
بتلك المحبة عينها التي من شانها ان تجعل القلب الوداد يرى سهلا ما يراه القلب الغير الوداد
ثقيلا ومتعبا فمن ذا الذي يستطيع ان يصدنا عن ان نصرخ ونقول اودعناك ايها العالم
اودعناك ايها الملاهي اودعناك ايتها الاباطيل تركناكم للذين لا يعرفون خيرا اعظم احسن
منكن اما نحن فلا نريد ايضا ان نعمل صلحا الى الابد مع الجسد الغاش الذي يختفي تحت شكل
الصداقة عدوا وتدلنا الحرية الا انا نحن نطلب حرية لكن حرية متبددة حرية مقدسة حرية الذين
ولا شك في انه احق من يستحق ان نتجند لسلطانه بل عدو خيرنا ويحارب باجرة نفسه
يستقل التجند تحت راية الله تعالى الراغب خلاصنا
وسعادتنا الابدية رغبة لا تنعت

القسم الثاني

العدد ٧

هاهوذا قد بلغنا الى النهاية جميعًا يا ايها الاحبا سادتي أي بلغت انا الى نهاية التعب من الخطب عليكم وانتم بلغتم الى نهاية الملل من استماعكم لي فاذًا ماذا بقي ان نصنعه فانا بقي علي ان اطلب منكم متذللًا الصفح عن الخدمة الدنية التي قدمتها لكم من هذا المنبر وانتم بقي عليكم ان تصفحوا لي بالرافة من صميم قلبكم مع انني في التحقيق لا يعوزني ان تحسب ذنوبًا سوى تلك التي تصدر باختيار الارادة لا تلك التي تصدر عن العجز فانا لعمري تمنيت كثيرًا ان اخدمكم خدمة لايقة بجمهوركم هذا الحكيم ثانيًا لهذه الوظيفة الجليلة اي وظيفة الانذار بحقايق الايمان المقدس ثالثًا للمودة القلبية التي اظهرتموها لشخصي ولكن من ذا الذي يعلم انه نادرًا حتى تطابق القوى للاشواق وقد زادني نقص اخر وهو انني انا عبد مسكين حقير ما استطعت ان اخرج من قلبي الذي هو بارد كالجليد حرارة اضرم بها قلوبكم الخرعة لكن وان كانت عظاتي التي سمعتموها في هذه الايام المباركة باردة ركيكة ناقصة وعديمة البراعة الواجبة فلا ينتج من ذلك ان كلام الله ما وجب ان يوثر بذاته في قلوبكم تاثيرات صالحة مقدسة لان كلام الله بقدر ما يكون عريانًا من الزخرفة والتشقيق فعلى مقدار ذلك وبزيادة ايضًا هو في نفسه قوي وفعال ولذلك كفى من غير ذاته ان يستاصل الرذايل من الاشرار ويقوي العبادة في الاخيار ومن ثم ماذا تقولون يا اسيادي ماهي الفايدة التي التقيتموها من التعاليم والنصايح الانجيلية التي لقنكموها يسوع فاديكم الحبيب بهذه العظات عن لسان عبد رقيق ذليل انا عالم ان غالبكم يجنون فايدة جزيلة ان كانت ستثمر وتثبت فيما سياتي في مقاصدهم الصالحة التي قصدوها منذ ابتدا استماعهم خطبي ويا ليت شعري ما الذي عاد يمكنني ان اقدمه لكم لتحصلوا على تتميم ذلك باعظم سهولة هل انصحكم ان تذكروا ولو الف مرة ان الحيوة قصيرة وساعة الموت غير معلومة والثواب المحفوظ لكم من عملكم الصالح لا ثمن له فهذا معلوم عندكم جميعًا غير اني ازيدكم تذكرة او دعها عندكم لتحفظوها في طرس عقلكم لاجل تضويتكم عند انصرافي عنكم بمنزلة اخر عربون في ودي لكم الخالص وهو هذا ان تعملوا منقوشة في ذكركم هذه الحقيقة اي ما اكثر وما هو صالح الرب الذي تعبدونه كقول داود ما اصلح الله للمستقيمة قلوبهم فهو رب ودود بهذا المقدار حتى انه يدون بالتدقيق كل خطوة تخطونها لاجله وكل دمعة وكل تنهدة وحسرة وكل نافلة وكل اماتة وكل صدقة

تصنعونها

346

تصنعونها حبًا به وكل نصرة تستمدونها من حول سهوه ولو كانت صغيرة فيعطيكم ان تنعموا بذلك المجد عينه الذي هو ينعم كقوله في سفر الجليان الذي يغلب اعطيه ان يجلس معي على كرسيي ليت شعري ما ابلغ التعزية التي تشملكم اذا ما انقضى الزمان اليسير من شقتكم لاجله في هذه الحيوة وانتم عند ساعة موتكم ليحتسبكم واقام يسوع ضاحكًا ونظر ودود امام اعينكم جميع افعالكم الصالحة التي مارستموها اكرامًا له حتى تلك التي انتم تناسيتموها او اعتبرتموها زهيدة لا اجر لها فيكشف لكم ربح ما اكثرها هو امين وذلك الحساب الذي ضبطه في افعالكم الصالحة ثم يقتادكم ما بين جماهير الطوبا وبين السعيدين وطغمات الملايكة المبهجة الى السما ويمسح بيديه الالهيتين دموعكم ولا يكون لكم بعد بكا ولا حزن ولا وجع حسبما قيل ايضًا في سفر الجليان لا يكون بعد نوح ولا صراخ ولا يكون وجع من بعد بل يكون سرور ابدي لذة ابدية حيوة دايمة حسن ابدي حكمة ابدية كنوز ابدية وسعادة ابدية سرمدية فمن ذا الذي لا يشجع نفسه على الثبات في اختيار خدمة رب هكذا ودود وحليم الذي يكافينا بهذا السخا الكلي عن تعبدنا له كانه شي نكرمه به عليه من تلقا الخاطر مع اننا ملتزمون به بدين شرعي فهذا سبيلكم ان تتاملوه انتم ايها الصالحون

العدد ٨

واذا وجد في جمعكم هذا المبارك من هو خاطي متمرد نظير العشب المسموم ما بين الازهار او نظير الزوان ما بين الحنطة فماذا يجب علي ان اقول له هذه المرة الاخيرة لهولا الناس الاشقيا أيجب ان ابكتهم واعنفهم واخجلهم عن عصيانهم هذا الغير المرضي لا البتة لكنما اريد ان اتضرع اليهم ملتمسًا باحشا رحمة يسوع ان لا يستهينوا هكذا بنفسهم الشريفة ولا يعبوا ان يعيشوا كل يوم تحت خطر الهلاك الابدي طمعًا في لذة وقتية او ربح فاسد زايل او لاجل عشق جيفة ذي نفس بل فليتذكروا اما هو ضد ما خاطبنا به الصالحين اعني هي عتيدة ان تولمهم تلك النيران السفلية العادمة النور وتلك الليالي المقيمة التي لا فجر لها وصرير الاسنان الذي لا نهاية له وتلك الدموع المحرقة التي لا تعزية بها وتلك الحبوس التي لا فرار منها وتلك العذابات التي لا انقطاع لها واوليك المعذبون القاسيون الذين لا يكلون ولا يتعبون عن التعذيب واذا كان لا يعنيهم امر انفسهم فاحب ان اتضرع اليهم ان يرحموا قلما يكون دم يسوع ذاك الكريم المهراق لاجلهم وجسده الممزق من الجلد حبًا بهم يا ايها الخطاة اعزاي انه يجب علي ان اختم كلامي معكم باظهاري لكم عاطفة خفية قد اضرمتها منذ زمان في قلبي لكن اسمعوا

قبلاً تعتبرانه غريب جداً وهو انه كان شاب طمس قد تعلق قلبه في هوى ابنة عفيفة فبهذا
لما ابصرته يراودها على ذاتها زمناً مستطيلاً فاستعملت كل الطرايق لتدفعه عنها اي انها
استعملت التوسل والنصح والتهديد ليكف عنها وهو لا ينثني ولما رات ان كل اتعابها معه
ذهبت باطلة افتكرت ان تمارس عملاً الذي يقدر ان ما كان ذا جسارة بمقدار ذلك صحي فيداً
ليها وذلك انها لما ابصرت ذلك الشاب داخلاً اليها بغتةً في احد الايام حين كانت
قايمة في البيت وحدها فاصفر للوقت لونها من الخوف كانها رات حوتاً مرعباً والتجا عليها
ولما لم تعرف كيف تصون ذاتها في تلك الرعبة وبلبلت الافكار فاسرعت وتناولت بيدها
صلبوتاً كبيراً من خشب كانت تحفظه لعبادتها منوطاً في بيتها وعادت مسرعة الى الباب
وبسطت الصلبوت على اسكفته بالعرض ثم وقفت والتفتت نحو الشاب الطمس وطفقت
تخاطبه بوجه متقد بالرجز وعين شرسة قايلة له هلم وتعال ايها الشقي اللعين وافرغ
شهوتك غير انك ابصر من اي مكان تجوز فسبيلك اولاً ان تطا برجليك هذا المصلوب
المخلص قبل ولوجك الي فان كان لك قلب ان تمر بين جسد ربك دايساً اياه برجليك
فسوف احتمل انا ايضاً ان تمر بين جسدي وعفتي فوقف الشاب عند مشاهدته ما فعلته وكلمتها
كلامها الخارق القوي خجلاً ومبهوتاً وحالاً استلان قلبه وابتدل الضمير وجثا بركبتيه امام
المصلوب واخذ يخاطبه ويخاطب عروسته الطاهرة بالدموع اكثر من الفم وذاب بكاءً وندماً
على قحته وطلب لنفسه القصاص وقام وانطلق واعداً بالتوبة من جوارح قلبه فيا ايها
الخطاة احبائي اعلموا انني افرغت مجهودي كله بالعظات في ايام هذا الصوم باسره
لاردكم عن الخطا مستعملاً جميع الوسايط التي خطرت في بالي فتارة وعظتكم بالبراهين
السديدة نثرت عليكم بالشواهد الراهنة وتارة شجعتكم بالاخبار الصادقة وتارة خوفتكم
بالتهديدات الرهيبة وتارة تملقتكم بالمواعيد الحسنة الجاذبة وحيناً توسلت اليكم واقسمت
عليكم جاثياً بركبتي امامكم ومن هنا اذ ظننت انه يوجد في هذه البيعة حتى الان ايضاً احد
يحتقر هذا كله ويروم الرجوع الى عادته القديمة في الخطا بعد انصرافه من هنا فاستبان
لي انني قد صرت ملتزماً ان اتي بالدوا الاخير اياً كان كما هي عادة الاطبا في الامراض المعضلة
الايسين منها ولذلك لم ار دواءً اخر اوفر مطابقة سوى الاقتدا بجسارة هذه الفتاة
المقدم ذكرها فلي اذاً ان احمل من هنا هذا المصلوب الكلي الرافة وانزل به الى باب الكنيسة

وابسطه

وابسطه على العتبة بالعرض واغلق ساير الابواب واسد كل سبيل اخر واقف تجاهكم واصرخ
باكياً متقداً بغيرة الرب قايلاً هلم يا ايها الخطاة الاشقيا ما الذي تنتظرونه اخرجوا انطلقوا
فان خلانكم الخسيسين هم خارجاً اياكم ينتظرون واحبابكم السفها لكم داعيون لكي تكملوا
معهم حديثكم الذميم وشركاتكم القاذرة الزنية لكم طالبون لكي تتمموا متاجراتكم الظالمة الفانية
ولكن اعلموا انكم اذا اردتم ان تجوزوا فها هوذا الباب وليس دونه سبيل اخر شاهدوا اعضاء
المصلوب المتخنة بالقروحات على انواع جراحات هذه الجسد المتقطع فسبيلكم اذاً ان تضعوا
فوقهما ارجلكم وتوطوها دايسين فاياكم مرتابون هذا هو يسوع سيدكم ومخلصكم الذي
تجعلون في اسخاطه واهانته اعظم لذاتكم ها هو ملقى قدامكم اجروا به كيفما اردتم ارفسوا
دوسوا توطوه حسبما يلوح لسروركم يداه مسمرتان لا تخافوا من ان يقاصصكم شفتاه ابكمتان
لا تجزعوا من ان يبكتكم بل انطلقوا فرحين مسرورين فانه هو عن اسم ربكم لينوح عن ذنوبكم
يا جماعة انتم تذهبون لتضجعوا على الفرش الناعمة وهو منكس بنزاع على الصليب
اليابس انتم تذهبون لتزينوا رؤوسكم بالورد وغيره من الازهار وهو يستمر بذوب وجعاً
بالاكليل من شوك انتم تذهبون لتصرفوا الساعات بمعاشقات لذيذة شهوانية وهو
ينتظر من بعيد ويعدها عليكم غايصاً في النزاع من الالام مباح لكم ان تهينوا ناسوته هذا
الذليل كيفما شيتم لا لانه لاهوته ما قوهو يعاقب بمجد العزيز فعلاً انه قد صار رذالة لساير الشعوب
وهزءاً لساير الامة ودوساً للارجل كافة وكقوله ايضاً توطاني اعدائي طول النهار
فيا معشر المسيحيين لو كنت افعل انا في هذا الصباح الاخير من وداعي لكم هذه البدعة وانكم
بهذا النوع الغريب الذي لم يسمع بمثله قط فهل تظنون انه قد كان يمكن وجود خاطي
متهور بهذا المقدار حتى انه يقبل دعوتي له ويجوز دايساً بجسارة شيطانية لهذا المصلوب
الكلي لينطلق الى التمام ارادته الخطايا ومع ذلك اعلموا موقنين ان هذا نفسه هو الاهانة الجسيمة
التي تتصل اليه كل يوم منكم انتم ايها الخطاة القساة الانجاس لانه على ما قال الرسول انتم هم
الذين تطون ابن الله انتم هم الذين تحسبون دم الوصية نجساً انتم الذين تتهاونون بروح النعمة
لانكم انتم الذين تخطيون نحوه اذ بعد استماعكم هذا المقدار من العظات تخطيون بمهواكم كقول
الرسول ايضاً تخطيون بهواكم من بعد ان عرفتم الحق
ولكن الحزن الحاد حملني على ان نسيت المكان الذي اخطب فيه فالمولى بي ان اصدق انه لا يوجد في حفلنا الحاضر

السعة خطاة وان وجدوا فقد تابوا وليس هم مصرين على معصيتهم ايضاً ولذلك بقي عليك يا ايها المخلص الكلي الحب ان تبسط ذراعيك على اعناقهم وتحتضنهم كالاب الرؤوف بمنزلة اولادي قد انتبهوا انفسهم تائبين وتضمهم الى صدرك وتدنيهم الى وجهك وتتفضل عليهم بالقبلة الودادية وان كان هذا قد استبان لديك كثيراً فاسالك يا يسوع ان لا تمسك عنهم قلما يكون بركتك لتكن لكل شعبك بركتك لانهم طالبوها منذ زمان كثير بشوق حار فلا تتعلق ايضاً اشواقهم لانني انا اوكد لدى عزتك انها اشواق صالحة فقد فيهولد الذين واظبوا هنا على استماع كلامك دائماً مغادرين اشغالهم ونادين ملاهيهم ومهملات بيوتهم ومحتقلين باناة روح جزيلة ساذجة خطئي وضعف وزنتي مظهرين في هذا علانية كم اعتبروا تعليمك المقدس اعتبار اعظيماً فلائقاً لكونهم ارتضوا ان يسمعوه مني انا واعظ ذليل عاجز بل كاهن خاطي ايضاً نظير نفسي فامطر اذاً على قلوبهم جميعهم بركة فايضة لانهم اهل لها بركة يديك الاثنتين اليمنى واليسرى اي من ندا السما ودسم الارض بارك نفوسهم بارك منازلهم بارك حقولهم وكل شي يقتنونه في العالم وانتم ايها السامعون المكرمون امكثوا بالسلام داخل قلب يسوع هذا الذي استودعكم فيه سلام

الله الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم ليلا تزيغوا عن الخير ·

ويحفظ ضمايركم ليلا تبتعدوا عن الحق الذي ·

سمعتموه وتعلمتموه من لساني الحقير ·

بسم الاب والابن والروح القدس ·

الذي له الحمد والشكر ·

الى ابد الابدين ·

امين

فهرس

فهرس الكتاب

المعاني المتضمنة في هذا الكتاب مرتبة على حروف الهجا فاولاً

حرف الالف

الله

ومن ثم ليس لا يشفق على الهالكين في عذاباتهم فقط بل يهزأ بهم ايضاً الكونسكلي العدد
العظة العدد لاي سبب يسعد الله للخطاة في الارض مراراً شتى العظة ١١ العدد ٣٧
العظة ١٤ العدد ٨ اسرية يهدد بالضربات سلفاً لانه لا يحب ان يضرب العظة ٢٣ العدد ١٥
العظة ٢٤ العدد ٧

الانتخاب

ان الانتخاب الى المجد يصدر احياناً من شي قليل العظة لا يجوز لنا ان نفحص عن علة الانتخاب الذي بها عمل ادراكنا العظة العدد بيان المدعو الذي يجب ان نستند عليه لنستريح في قضية انتخابنا العظة ٣١ العدد ١ وتتبعه اعداد اخر

ابيغال

ان ابيغال اخمدت رجز داود المتقد على نابال بحكمة جزيلة العدد ٦ العظة ٢٤

ابراهيم

ان ابراهيم احتقر بشجاعة عظيمة مقال الناس الباطل فيه العظة ٤ العدد ٨ بيان حرارته العظيمة في تقدمة ابنه العظة ٤٣ العدد ٤٣ بيان حكمه الوافرة في جوابه للغني العظة ٤٢ العدد ١٢

ادريانوس

ادريانوس قيصر تنازل عن حقوق كثيرة من ملكه لاجل الوهم الباطل العظة ١ العدد ٨ وقد استحي ان ينتقم ممن كان شتمه قبل اقتباسه زمام المملكة العظة ٣٤ العدد ٢

اغريبيا

اغريبيا الملكة تغافلت في محبة نيرون ثم ندمت على ذلك فيما بعد كثيراً العظة ١٦ العدد ٦

اسكندر

اسكندر الكبير لاي سبب احصي من الرومانيين ما بين الالهة العظة ٢ العدد ١ وقد انعجب من عبيده جداً العظة ١٨ العدد ٢

الفرنسوس

كيف انتصح الفرنسوس سلطان نابولي من القديس فرنسيس لما بولا في ظلمه لشعبه العظة ٢٢ العدد ١٢

امبروسيوس

ان

ان القديس امبروسيوس استعمل طرايقاً وحرف كثيرين لهرب من الاسقفية العظة ١٨ العدد ٨

انسطاسيوس

انسطاسيوس الملك مات موتاً سريعاً قبل وقته من اجل نفاقه العظة ١ العدد ٤

انطونيوس

ان القديس انطونيوس ابو الرهبان شبيه بالقديس اغناتيوس ابو الرهبنة اليسوعية باشياء كثيرة العظة ٤ العدد ٢١ وفيه يرى من اي سبب ارتد الى الله ولصق به

ابيشالوم

ان ابيشالوم اذنب اشر ذنوب من جنون اخيه لانه ما اعتذر بل انما قسى عليه العظة ١٩ العدد ٦

الاعتراف ومعلم الاعتراف

ان الاعتراف الذي يصير بالاشارة عند ساعة الموت هو الدواء الاخير وضعيف لا يجوز لاحد ان يثق به جداً متوجياً الخلاص العظة ٤ العدد ١١ انه يجب على المسيحي ان يدقق بانتخابه لمعلم الاعتراف يكون ذا حكمة وفطنة جزيلة العظة ٧ العدد ٤

الانسان

لا يخلص الانسان ما لم يفعل ما يجب عليه من ذاته العظة ٣٦ العدد ٤ العظة ٣١ العدد ٨

الاكليريكيون

الاكليريكيون يلتزمون بالصدقة اكثر من العوام العظة ٣٣ العدد ١ ويجب عليهم ان يحترزوا جداً من حملهم خدمة النفوس العظة ١٨ العدد ٨

الابدية والايمان

ان الابدية تزيد عذابات الهالكين مرارة وحزناً العظة ٢ العدد ١٤ عدد الايمان المسيحي هو اربعة بمفردة الصحيح العظة ٢

الامانة

الامانة العفانية قليل وجودها في الناس وكثيرة في الله العظة ٢ ان اريحا المدينة نقضت من يشوع بن نون بطريقة غريبة عن نوع هدم المدن الاعتيادي وما هو المرموز عنه بذلك العظة العدد ٧ ونقضت في الوقت الذي لم تكن تحسب له العظة ٦ العدد ٢ ولاي سبب نقضت بعد سبعة ايام لا قبلاً العظة ٣٤ العدد ٨

ام المسيح

والدة عنو الراهب

ان الظلم الذي استعمل على يسوع في الامه جاوز كل الحدود العظة العدد ان اسحق الراهب اظهر شجاعة عظيمة بتنبيهه والنس الملك المنافق العظة العدد

الانتقام

الانتقام مياسي الى المنتقم اكثر مما يسي الى المنتقم منه العظة لا يتزكى من ينتقم بحجة حفظ ناموس وكرامته العظة العدد ع الانتقام يغيظ الله جدا العظة العدد ع الاجير

الاجير المظلوم لا يجوز ان تزيد اهانته بالفاظ مرة العظة العدد الاجير المظلوم ينال من الله بتدمر سخطا كثيرا على ظالمه العظة العدد انه لواجب جدا ان يعطى الاجير اجرته بالتمام العظة العدد

حرف الباء

البخلا

ان البخلا يهلكون بسهولة العظة العدد وسوف يتمزقون غيظا في يوم الدينونة عظة العدد اعتذاراتهم عن عدم تصدقهم على الفقرا كاذبة العظة العدد ويتلوه وكذلك باطلة هي اعتذاراتهم عن عدم تقدمتهم الاجرة للفعلة بالتدقيق العظة العدد

باسيليوس

باسيليوس الملك نكر المعروف بانه شنع جدا لغوم انقذه من الموت العظة العدد

البار الابرار

ان الابرار يجوز لهم ان يشقوا بنفوسهم ما داموا احيا العظة ع العظة العدد ولاجل هذا يلزمهم ان يهربوا من اسباب الخطر دايما حتى خلاص النفس العظة العدد عظة ع ويتلوه غيره بيان المنوال الذي يجب عليهم ان يشجعوا نفوسهم به ليثبتوا بالبر العظة ع ويتلوه غيره العظة العدد الله يعاملهم بحبه وارفه حتى في هذه الارض ايضا العظة العدد و ويسعدهم اكثر من الخطاة العظة ويبليهم ببلايا مختلفة العظة العدد ان الابرار يبلغون احيانا الى هذا الكمال اعني ان افعال الرذيلة يصير لهم اصعب من ممارسة الفضيلة العظة العدد ويبلغون الى هذا الكمال ايضا اعني انهم لا يفرحون بالامال الدنيا العظة العدد الابرار هم الذين يجتهدون اعظم اجتهاد في ان يسكنوا غضب الله مع انهم يغضبونه

اقل

اقل غضبا العظة العدد الله يحتمل من اجلهم الخطاة على الارض غالب الاوقات العظة العدد ومع ذلك يضطهدهم الخطاة العظة عدد ويتلوه غيره امامهم فلا يجوز لهم ان يصغروا نفسا ويخافون من الخطاة العظة العدد ع وما يتلوه

بختنصر

ان بختنصر الملك كرم الشهيرين اكرام جزيلا حسب عادة العالم العظة العدد بهان مقدار الزمان الذي استمر فيه هذا الملك حتى رجع الى نفسه لما استحالت صورته الى صورة العجل العظة العدد

حرف التاء

التوكل

ان توكل الخطاة الكثير على الرحمة الالهية يصعب عليهم الرجا بها عند عند الموت العظة العدد عدم التوكل على الله سبحانه هو علة خطايا عظيمة العظة العدد

التلب

من يصبر على التلب حبا بالله ثوابه عظيم جدا عند تعالى العظة العدد التوبة التايبين ذكر التوبة التي كان يصنعها السواح حسبما يخبر عنها السلجي ليخجل من يتوقع خلاصه بسهولة العظة العدد العدد لا يجوز ان تؤخر التوبة الى اخر الحيوة فيخلو من خطر جزيل في الهلاك العظة العظة العدد بل يجب ان تعمل باعظم السرعة العظة عدد العظة ع كلام الله هو الواسطة الانسب للاجتذاب الى التوبة العظة عدد التوبة تستطيع ان ترقينا الى اعلى درجة من القداسة العظة اخبار في تايبين فازوا من الله بانعام نظير الابرار الطاهرين العظة عدد و عدد انه لخطر عظيم على التايبين اذا رجعوا وسقطوا في الخطا العظة العدد حتى عدد

التاديب الاخوي

يجب ان يستعمل التاديب بحضور جماعة لما اكثر من التاديب بمفرد منه العظة عدد التاديب الاخوي يتبين انه هو الوصية الاسهل حفظها في الوصايا ومع ذلك قليل هم الذين يحفظونها العظة عدد لا يجوز لاحد انه يهمل التاديب الاخوي لاعتذارات انه غير ملتزم التزاما عظيما العظة ذكر بعض انفار استعملوا التاديب الاخوي بشجاعة عظمى

مع ان كنت عظما لاجل زلاتهم العظة ع ... العظة ع العظة ع

التهديد التهديدات

التهديدات الالهية هي دليل رحمة الله العظة ع العظة ع وما يتلوه بيان قلة خوف الخطاة من التهديدات الالهية العظة ع ويليه غيره ان عواقب الخطاة الذين لا يخافون من تهديدات الله هي شرور العظة ع ويليه غيره العظة ع وع

التقشف

التقشف لا يعدمنا الملذات الجسدية لكن يبقي لنا اياها بر ... مضاعفة جدا العظة ع وع التقشف مختص بالديانة المسيحية العظة ع التقشف لاي سبب فرض في البيعة العظة ع يجب التقشف للعوام اكثر من الرهبان العظة ع وع ذكر التقشف الرابع الذي استعمله بعض انفار العظة ع وحتى من اجل هفوات طفيفة ايضا العظة ع

توبيخ المسيح

توبيخ المسيح للخاطي المنزع العظة ع توبيخ المسيح للانسان الخاطي الحتر العظة توبيخ المسيح المعلق على الصليب للمسيحي الذي لا يريد ان يرجع الى محبته العظة ع

التجاريب

ان التجاريب التي تاتي من الناس هي اشر من التجاريب الشيطانية العظة ع

تسميات

ذكر تسميات العظمة والكبريا التي لقب بها بعض الملوك نفوسهم العظة العدد

حرف الثاء

الثبات

ينبغي لنا ان نفرغ مجهودنا كله لنثبت في الخير حتى اخر نسمة من حياتنا عظة لا يستطيع احد ان يثق بنفسه متكبرا انه لعتيد ان يثبت في البر العظة ع غير انه لا بد ان يرجو ذلك بتاكيد اذا ما فعل ما قد يجب عليه العظة ع بيان الواسطة التي يستطيع بها الانسان ان ينال الثبات في خدمة ربه باعظم سهولة العظة ع ويليه غيره العظة

حرف الجيم

جهنم والجحيم

ان جهنم مخوفة في الغاية لانها مكان العذاب محضا العظة عدم معرفة الجحيم مقوته حتى من الحيوانات ايضا عظة ع وع ويتلوه غيره ما اكثر عدم معروف الناس

جواب

جميل الله عظة ع وما يتلوه ذكر الجواب ذي الحكمة الذي اعطاه احد الجنود لبولس لانه لم يقتل ابيث اليوم المنوط على الشجرة العظة ع جواب رجل بربري لقائد الجيش الذي شك بسر الخيانة العظة ع جواب واعظ لاحد الولاة الذي اناله مطربات وملذات العظة ع العدد جواب اوسابيوس الراهب لشخص تشكك من تقشفه الكثير الصرامة العظة ع جواب لوديكوس غرابوس الملك لواحد كان يبكي عندما شاهده منطرحا في غنا الموت في حال ذليل جدا العظة العدد جواب احد دوسا الجيش للملك الذي كان ملتهبا في التنزهات اكثر من تدبير اشغال المملكة العظة العدد جواب القديس بوليكربوس للوالي المغتصب الذي كان يغشه بتقدمات وافرة الى ان يشتم اسم المسيح ولو مرة واحدة فقط العظة ع جواب سينوفانوس الشاب الشريف الوثني لواحد كان ينم بر لان ابوه ان يلاعبه بالورق العظة العدد

الجسد

ان الجسد هو عزيز على النفس العظة العدد ولنا الجسارة السعيدة معه في السما بحق وعدنا العظة جسد سيدنا يسوع المسيح كان في تركيبه اكمل الاجساد كلها العظة العدد وقد خلق بعفرية الطف جميع الاجساد من الله لاجل هذه الغاية اي ليتالم كثيرا العظة العدد جسد احدى النسا العاهرات خطف من الشياطين العظة ع

حرف الحاء

الحيوان الحيوانات

ان الحيوانات هو زينة من الطبيعة ترتيبا حسنا في تربيتها اولادهن العظة ع الحيوانات تصنع معروفا مع المحسن اليها العظة ع بل تكرمه ايضا بانواع جميلة غريبة العظة ع العظة ع كانت الحيوانات طايعة جدا للانسان البار العظة ع

الحسنات

عمل الحسنات هو الفضيلة الاوفر قبولاً عند الناس العظة ع ان الحسنات التي يصنعها الله معنا هي اعظم كثيراً من التي تصنعها الناس معنا العظة العدد و يتلو ع ان الله يصنع معنا حسناته باحتشام ومن غير تعظم بها العظة العدد انه لاثم عظيم عدم مكافاة الله حسناته بشي اخر سوى

الحكمة

ان الحكمة المفيدة في كل الحالات هي الحكمة المقدسة العظة حكمة الاثمة شفيرة جداً عظيمة نتهور في وهدات عظيمة العظة ع

الحنفا

ما هو المسبب بالخطا العظة الذي جعل الحنفا يكونون الائمة المذنبين اكثر جداً من الاولاد الشريفين العظة عدد كان الحنفا قديماً يكرمون موتاهم اكراماً بالغاً العظة ع وكانوا يحفظون الوقار والاحتشام في حياكلهم كثيراً العظة ع كثيرون منهم يخجلون النصارى في يوم الدين العظة العدد الى ع

الحسد

الحرية

بيان ما هو الحسد الاشر والامقت العظة ع الحسد يوتم الممالكين جداً العظة ع عدد حرية الانسان هي التي تجعل نعمة الله المعطاة له باطلة فيه العظة عدد

الحس الحواس

الحية

ان الحواس تنغش بسهولة العظة عدد لا يجوز ان تتخذ الحواس قاعدة للحكم في الاشيا الروحية العظة عدد ويتلو عدد اخر ان الحية كانت انيسة وودودة جداً في حال البر العظة العدد لاي سبب قاصص الله الحية لاجل شر كانت بريئة منه العظة عدد ما هي الحكمة التي حمدها المسيح فينا في الحية العظة عدد

الحيوة

حيوة الانسان ليس فيها تمتع خال من كدر العظة ع لاي سبب جعل الله حيوة الانسان شقية العظة عدد حيوة الانسان هي خاضعة لمخاطر موت النجاة دائماً عظة ع و ع وحتى العظة العدد ع العظة العدد حيوة الانسان هي ايضاً تحت مخاطر الخطا في كل

وقت

وقت العظة عدد حيوة الانسان تقصر واي شي قصاصاً عن الخطية العظة عدد ويلحقه غيره واحياناً اخر تقصر للاحتفاظ من الخطا المستقبل العظة العدد وع

الحرارة

حرارة الروح تلزم في التاديب اكثر من الابرار العظة ع

حرف الخاء

الخجل

ان الخجل عقاب مخصوص للانسان لا للحيوان الغير الناطق العظة ع خجل الممالكين سوف يكون عظيماً في الغاية يوم الدينونة العظة لذلك كتبان ان اعظم العذابات التي احتملها السيد المسيح وقت الامه كان الخجل العظة عدد

الخلاص

ان الخلاص الابدي هو عمل مدرك وخاضع تحت مخاطر كثيرة العظة العدد و الخلاص الابدي يصدر احياناً كثيرة من اشيا خفيفة العظة ان مار ربنا خلاصنا الابدي فالجوم علينا الاعلى الله العظة يجب علينا ان نسعى بخلاصنا بالطريق الامين العظة

الخوف

بيان خوف الابرار في امر خلاصهم العظة العدد يجب على الكاملين ان يخافوا ايضاً لا يخطوا العظة حتى من ع الى العدد اخر عدد

الخطية

بيان كثرة الاضرار الواصلة الى الخاطي من الخطية العظة لاي سبب الناس لا يعتبرون شر الخطية جداً العظة عدد بيان كم هي الخطية مبغوضة من الله العظة عدد ان الخطية هي علة الضربات التي ترد علينا العظة العدد وهي حتى عدد الخطية ايضاً تنصر العمر العظة ايضاً علة خراب الممالك والشعوب العظة عدد الخطية تعذب الضمير وتخيفه العدد بل تسبب موت النجاة ايضاً عظة ع الخطية عظة ع ويتلو غيره العظة ان الخطية بمقدار ما يحتقرها الانسان في حياته بقدر ذلك ترعبه عند ساعة الموت العظة ع والسابع و ع الله يحمل الخطية

الخفية كتوبن الخطية الظاهرة العظة عـ بيان وفور شرمن يحمل شرفه بالخطية
العظة اذا غفرت فيما مضى فيصعب غفرانها اذا عاد الانسان اليها العظة عـ
ان الله حدد كم مرة مريد يغفر للخاطي خطاياه العظة عـ الخطية تجلب للخاطي خجلاً
كثيراً لا يوصف يوم الدينونة العظة انه لا يسهل للانسان ان يحفظ نفسه من الخطية من
ان يقوم منها بعد سقوطه بها العظة العدد ان الرجوع الى الخطا هو خطر على الخاطي اكثر
جداً من الخطية الاولى العظة العدد حتى عـ الرجوع الى الخطايا يهين الله جداً عظة عـ
بيان العلاجات اللازمة للاحتفاظ من العودة الى الخطا العظة العدد عـ ويتلوه
العظة

الخطايا العرضية

الخطايا العرضية تستاق النفس رويداً رويداً الى الخراب الكلي العظة الله يقاصص عن
الخطايا العرضية بمقاصات صارمة جداً العظة العدد القديسون خافوا من الخطايا العرضية
وتجنبوها بحرص عظيم العظة العدد يجب على كل انسان ان يحتفظ من الخطايا العرضية
ليسهل عليه اجتناب الخطايا العظام باوفر سهولة العظة العدد حتى عـ

الخاطي الخطاة

ان الخطاة يعتبرون نفسهم اخباراً جزيلاً العظة عظة العدد عـ عظة العدد
لا توصف بمحاسن الخطاة اذا استمروا في الخطا المميت حتى ولو كان دقائق قليلة عظة و
تزداد محاسنتهم اضعافاً كثيرة اذا استمروا فيه زماناً طويلاً العظة عـ الخطاة يموتون
غالباً مثلما عاشوا العظة العدد ان محاسنتهم تظهر ايضاً حيثما يقصدون مقاومة
الله عظة اذا احتملهم الله فيما مضى ينبغي لهم ان يخافوا اكثر خوفاً من رجوعهم الى الخطا
العظة عـ الخطاة يخاطرون بنفوسهم اذا اخروا توبتهم الى ساعة الموت عظة عـ عظة
العظة العدد الخطاة يعاملون الله بمنزلة كلب العظة العدد اذا ما بلغ الخطاة الى ان
يغطسوا بالاخيلة نستطيع ان نحكم عليهم ان هلاكهم صار مؤكداً اكثر تأكيداً العظة ان الخطاة
بمقدار ما يدمنون في رحمة الله متوكلين عليها في حياتهم بمقدار ذلك يدركهم القنوط عند
ساعة الموت العظة عـ ويليه الثامن الخطاة يسلكون باختيارهم لانهم يريدون هلاك
نفوسهم العظة الخطاة يهملون مرارات شتى بالوعظ من اجل التوبة التي يسمعونها
منهم العظة عـ ويتلوه عـ لا يصدقون ضربات الله العظة يتباطؤون في الارتجاع الى الله

في

في الحين الذي يضربهم لكي يتوبوا العظة عـ بل مرات شتى يزدادون عناداً في شرهم عند
حلول ضربات الله عليهم العظة عـ ان ضحكهم في حال الخطا المميت لامر عجيب العظة الخطاة
يوافيهم الموت السريع وموت الفجاة اكثر من غيرهم العظة العدد عـ ان الملائكة تعرض الخطاة
اقل حرساً العظة العدد الله يستجيب للخطاة اقل اجابة العظة العدد لا يستطيع الخطاة ان
يعملوا اعمالاً يستحقون الثواب ما داموا في حال الخطية العظة العدد عـ الخطاة يضربون نفوسهم
جداً لما يطلبون شركاً في خطاياهم العظة عدد العظة عدد لا عجب يسعد الله الخطاة احياناً
في الارض العظة عـ اذا رأينا الخطاة سعداء لا نستطيع ان نحكم من ظاهرهم انهم سعداء حقاً العظة
العدد العظة عـ لا تستطيع الخطاة ان تتمتع براحة حقيقية العظة عـ والسبب في ذلك هو
هذا خاصة لان ضميرهم مضطرب بهم العظة ايضاً العظة عدد سيما عند ساعة الموت
العظة عدد بيان سوء حال الخطاة ووفور خجلهم في يوم الدينونة العظة يستطيع خاطي
واحد ان يحرك رجز الله اكثر ما يحركه الى الرضا ابرار كثيرون العظة عـ ان الخطاة اذا قصدوا
فيستطيعون ان يصيروا هم ايضاً قديسين عظام العظة

الخطر الاخطار

يجب على الانسان ان يبعد عن خطر الخطية جداً جداً العظة عظة عـ ان اخطار الخطا هي جابته
بنا دائماً ما دمنا احيا العظة العدد عـ الناس يخشون من الخطر في الامور الزمنية اكثر مما يخشونه
في الخطا العظة عدد العظة عـ العظة عـ

خبر اخبار

ذكر خبر ارملة مفتضة طلبت من عشيقها سماً ناقعاً لتشربه وتموت لئلا تفتضح من الولادة القريبة
العظة عـ خبر خاطي رأه القديس بولس الحبيس خارج من الكنيسة بحال تختلف عما دخل بها العظة
عدد خبر بنت عفيفة طردت بعقل جيد من خدعها اشياء كاعرار تجربتها العظة عـ خبر عدم
توبة من جمع اموالاً بطرايق محرمة العظة عـ في زانيات بلا توبة العظة عـ خبر في امراة
محبة للاباطيل ماتت بلا توبة العظة عـ خبر في تمام وموت الشيعة العظة عـ اخبار في
المحبة الكاذبة العظة عـ العظة عـ اخبار في المحبة المفرطة نحو الاولاد العظة العدد
اخبار في المحبة الصالحة نحو الاولاد العظة عـ العظة عـ اخبار في خدمة الملايكة للصالحين
العظة عـ العظة عـ اخبار في دفع التجارب بشجاعة عظمى العظة عـ عظة عـ اخبار في خلا

عوقبوا من الله العظة ع العدد العظة ع اخبار في نوايب الدهر المضطة الحزنة
عظة ع عظة ع عظة ع عظة ع اخبار في اشتفتعن الشقيين عظة
ع العدد اخبار في عدم احتمال الحمل العظة ع حتى ع العظة ع اخبار في ازدياد
الانس الى الله باستماع كلام الله العظة ع وفي ازدياد خيرها بتلاوة الكتب الروحية
العظة ع وازدياد خيرها من حوادث خفيفة صغيرة عظة ع عظة ع اخبار
في وجوب عمل النعمة الالهية العظة ع عظة ع اخبار في استماع التوبيخ
بشجاعة مقدسة العظة ع العظة ع عظة ع عظة ع عظة ع العظة
ع اخبار في صنوف القساوة الحاصلة عند الناس العظة ع اخبار في اخفا الحزن
في حلول البلايا عظة ع
اخبار في حسن تربية الاولاد العظة العدد
اخبار في الحيا عند ارتكاب الخطا العظة العدد ويليه ع اخبار في الجوع وتبديد
العظة ع اخبار في العقاب الذي حل على الاولاد لعلة اثم والديهم الذين
ارتكبوا بسببهم في ان يخلفوا لهم اموالا العظة ع اخبار في امانة الجنود نحو قوادهم
العظة ع اخبار في الصداقة بحفظ الوعد العظة ع اخبار في الحنفا الذين
لم يقدروا ان يجعلوا النصارى العظة عدد عظة عدد اخبار في الصديقين
المضطهدين العظة عدد وفي عين العظة عدد اخبار في ابرار سقطوا من
اسباب الخطايا العظة عدد وفي غيرهم قد سقطوا من حصولهم على سعادة ارضية
عظة عدد و ع اخبار في اناس صالحين انعم الله عليهم انعاما خصوصية لاجل برهم
العظة العدد العظة عدد العظة العدد ويعقبه ع اخبار في قديسين رجعوا
عند ساعة موتهم العظة العدد اخبار في انفار صالحين غلبوا مكارمة الناس وبلاحظتهم
العظة عدد ع عدد اخبار في معرفة البهايم الجميل عظة عدد وفي معرفة الناس
الجميل العظة ع عدد اخبار في عدم تدامة من وخر توبته الى اخر حياته عظة عدد عظة
ع عظة ع عظة ع اخبار في اقتصاص الله عن الذين من قلة التصديق لله العظة
عدد ع اخبار في عدم المعروف نحو المسنين عظة عدد وفي عدم المعروف نحو
الله العظة ع اخبار في شرايع كليته الجميل افترضها الحكما الاقدمين العظة ع اخبار
في شجاعة بعض الشهدا الشهيرين عظة ع العظة عدد ع اخبار في التماميين

الذين

الذين عوقبوا من الله عظة ع ويليه عدد في مونات تسببت من حوادث طفيفة العظة
ع وع اخبار في الموتة الشريرة عظة عدد وع عظة ع عظة ع عظة ع عظة
ع عظة ع عظة ع اخبار في موت الفجاة عظة ع عظة ع عظة ع عظة ع عظة
ع عظة ع عدد اخبار في الموتة الصالحة عظة عدد اخبار في موت احرار اكثر قتلوا احبائهم
يرثي لهما عظة ع عظة عظة اخبار في البغض النافر الوصف عظة ع اخبار في البغض مابين
الابن وابيه الهالكين عظة ع اخبار في خطاة كان لذع ضميرهم يبجسهم ويقلقهم عظة عدد
اخبار في خطاة ادركتهم يد الله في وقت ذاتهم عظة ع اخبار في التوبة الكاذبة عظة عدد اخبار
في التوبة الظاهرة عظة ع عظة ع اخبار في التوبة الصادرة لاجل هفوات خفيفة عظة عدد
اخبار في تاديب انعم عليهم الله انعاما جليلة عظة ع اخبار في مسامحة الاعدا بقلب شجيع عظة ع
وع اخبار في الرحمة على الاموات عظة ع اخبار في واعظين بحسد عليهم الشيطان بانواع غوايته
عظة ع اخبار فيمن هرب من الزراوس عظة ع اخبار في اناس حصلوا على حظ سعيد من حوادث
مضادة عظة ع وفي غيرهم حصلوا عليه من حوادث طفيفة عظة ع اخبار في اكرام الكنايس
عظة ع حتى ع اخبار في التعظم العديم الحكمة في السعادة عظة ع اخبار في الفخر الباطل
في التسمية عظة ع اخبار في مستكبرين عاقبهم الله عظة ع عظة ع اخبار في الذين
دفعوا غيرهم المحاربين للخطية عظة ع عظة ع عظة ع عظة ع اخبار في الخوف من
المخاطر عظة عدد ع عظة ع عظة ع عظة عدد اخبار في اناس احبوا حتى من اعز
اصدقايهم عظة ع ع عظة ع اخبار في اناس خدعوا من سعدهم عظة عدد اخبار
في احتمال الشدايد بوجه صاحي عظة ع

حرف الدال

الديونة

ان الخطاة سوف يجلون خجلا عظيما يفوق الوصف يوم الدينونة العامة عظة اما الابرار فيمجدون
بها عظة ع عظة عدد الدينونة الباطلة في القريب تصدر من الاشرار اكثر صدورا العظة
العدد

ديانة

بيان نحو اقبح عار التدين الباتر يعقوب ابي الاسباط العظة العدد العظة ع

حرف الرا

راعي النفوس

ريس رياسة

ان راعي النفوس يلتزم التزاماً شديداً جداً ان يسعى بخلاصها العظة ع ان الرئيس ينبغي له ان يرشد الى الفضيلة وينعم عليهم لكي يفيد الجمهور عظة ع ذكر انقار وبليلين هربوا من الرياسة عظة ع يلتزم الرئيس ان يتعب كثيراً في خلاص رعيته عظة ع

رفقا

رفقة الشرار يطوحون نفوسهم في خطر عظيم من الهلاك باجتذابهم الاخيار الى الخطا عظة ع ان من يخطي حباً بهم فخطاوه قبيح جداً وعديم الحكمة عظة ع ان وجود رفقة اشرار كثيرين في الارض لا يخفف الاثم عظة ع ومثل ذلك لا يخفف العذاب في جهنم عظة عدد

الرذيلة

الرذيلة ليس هي واسطة للنجاح حتى ولا في العالميات ايضاً العظة الرذيلة تسبب الخجل غالباً لا المديح عظة ع حتى عدد الافتخار بالرذيلة اثم عظيم العظة

الرحمة الالهية

ان الرحمة الالهية حليمة جداً في اقبال الخطاة المرتدين الى التوبة العظة الله يستعمل الرحمة بروداً اعظم من استعماله العدل عظة عظة ع لكن مع ذلك جميعه لا نساعد بان رحمة الله دايماً في كل وقت على حد سوى عظة ع ليس من مقتضى رحمة الله ان تصد الموت الشرير عن من الاراد ان يستسير سيرة شرور لكن الواجب ان نسمع العظة ع من رحمة الله تصدر التهديدات والقصاصات المرهبة العظة ع العظة ع

حرف الزاي

الزمني

ان الزمني يعتبر من الناس غالباً اكثر من الابدي عظة ع عظة ع عظة ع عظة ع عظة ع عظة ع عظة

حرف السين

السنة المسيحية

السنة المسيحية هي كلية الحكمة والقداسة ومثبتة باعظم الثباتات عظة ع وما يليها ان الله اعطانا السنة المسيحية لكي تسهل علينا حفظ السنة الطبيعية عظة ع سنة المسيح هي الاولى التي اضطهدت الجسد بفرايض ظاهرة لكن مع هذا جميعه هي الاولى ايضاً التي اوعدت بتجديده بعد القيامة احسن مما كان سابقاً العظة ع

سبب اسباب

ان الهرب من اسباب الخطايا هو ضروري جداً لاجتناب الخطا العظة ع ... ان الاسباب الخطرة لها قوة عظيمة في ان تجذبنا الى الخطا العظة لا يستطيع احد ان يثق في فضيلته ونعمة الله ويثبت في البر عند وجوده في اسباب الخطا العظة ع والمراجع بيان ما هي الاسباب الاختيارية والغير الاختيارية العظة ع ان اسبابنا كثيراً الى السنة العتيقة والحديثة عن تطويح نفوسنا في اسباب الخطا عظة ع ومع ذلك جميعه اكثر الناس يطلبونها تعمداً لاجل قضى هوى نفوسهم العظة ع ان الذي يريد يصون نفسه بسهولة من الخطايا ينبغي له ان يجتنب اسباب الخطا الخفيف ايضاً العظة العدد

السعادة الارضية

ويليه غيره

السعادة الارضية تغير عقل الناس وتخدع الابرار ايضاً العظة العدد العظة العدد السعادة الارضية تقتاد الاحمق الى الهلاك العظة ع العظة ع سعادة الاثمة ليس لها سوى الظاهر فقط لانها في ذاتها كاذبة العظة العدد ويتبعها غيره لاي سبب يمنح الله دفعة في هذه الارض السعادة احياناً كثيرة العظة ع العظة العدد بيان هل الفضيلة ام الرذيلة تفيد اقتباس السعادة الارضية العظة لا نستطيع ان نجد سعادة في الارض الا في الله العظة ع

السيرة الروحية

السيرة الروحية ليس هي معذبة كما يبان ظاهرها لكنها عذبة عظة السيرة الروحية هي شاقة في مباديها اكثر من تماديها العظة ع عظة ع

حرف الشين

الشيطان

محاربة الشيطان يتبدد باعتبار قيمة نفوسنا العظة ع الشيطان يجتهد كثيراً ان يصاد

فايدة الوعظ العظة ع وان يرجع عند ساعة الموت خاصة كل خاطي العظة ع ما هي الصناعة التي يستعملها لاجتذاب الناس الى الشر العظة ع ويصيدهم بشو قليل عظة ع لا يستطيع ان يلتزموا بالخطا بل انما يحثنا اليه فقط العظة ع الشيطان باوفر حرص يحرص على من قلب من يده بالتوبة ثم عاد اليه بالخطية ثانية العظة ع الشيطان يرعب البهاكين جدا بصورته المهولة العظة العدد ويحزن بشماتته اوليك الذين يملكون لكي يضنوا لولادهم العظة ع لاي سبب اتخذ صورة الحية لما جربوا العظة عدد

الابن الشاطر

بيان وفود المحبة التي قبل بها رب البيت ابنه الشاطر مع انه عاد اليه لاجل منفعته لاحبا بابيه العظة ع وقد كساه قبل ان يطعمه وذلك تحت معنى جليل العظة ع

الشهوة

ان الشهوة الدنسة هي شر عظيم ومع ذلك لا يعتبر من الناس العظة ع ان الطوفان العرم نزل على الارض لاجل الشهوة الدنسة خاصة العظة ع ان الناس مارسوا الشهوة الدنسه حتى تجاه ارهب قصاصات الله العظة ع بيان المبادي التي منها تتولد الشهوة الدنسة العظة ع

الشرف

حفظ الشرف هو حجة باطلة لا تستر شر الانتقام العظة ع ويلحق بغيره ان فقد الشرف حبا بالله هو ذو اجر عظيم العظة العدد رد الشرف المثلوب اصعب من رد الحاجة المسروقة العظة العدد

شمشون

ان شمشون انفرض السهولة التي كان بها انقذ نفسه من المخاطر السالفة وما هي نتيجة ذلك العظة العدد بيان ارتجاع قوته اليه عندما نمى شعره وتفسير ذلك العظة العدد

شاول

شاول الملك تكافف الى الهلاك من شر قليل العظة العدد بيان شدة الضيق الذي حاق به في ساعة موته العظة ع

الشكوك

ان الشكوك يغيظ الله جدا العظة ع العظة ع ويلحق بغيره كيف يجب اصلاح الشكوك العظة ع العظة ع كيف يجب ان تمنع الشكوك العظة ع الشكوك هو تجارب

الشيطان

الشيطان عظة ع

حرف الصاد

الصدقة

ان الصدقة مامور بها وبيان حدها العظة ع ويتلوه اعداد اخر بيان الفايدة الجزيلة الواصلة من الصدقة للمتصدق بها لا في الروحيات فقط في الجسديات ايضا عظة ع حتى ع بيان السبب الذي لاجله يكافي الله اصحاب الصدقة مكافاة وافرة العدد ان الصدقة هي الصناعة الحقيقية للنجاح في الارض العظة ع ع ع اهل الصدقة سيصير لهم شرف واكرام جزيل يوم الدينونة العظة ع عظة ع

اشيا صغيرة

ان اشيا صغيرة هي مصدر اشيا عظيمة في كل نوع العظة العدد وما يليه وغيره

حرف الضاد

الضمير

بيان فرح الضمير الصالح ويعزي صاحبه جدا العظة ع عظة ع عظة ع فرح الضمير الشرير كاذب العظة ع وما يتلوه لدغ الضمير يعذب الخطاة عذابا مرا جدا العظة سيما عند ساعة الموت ع وتتبعه عدد اخر لدغ الضمير هو اكبر البلايا عظة ع عظة ع

الضربات

ان الله يتهدد بالضربات سلفا لانه لا يحب ان يضرب العظة العدد العظة ع ان الخطاة ينسبون الضربات الحالة بهم الى اسباب غير علة خطاياهم العظة ع ع ان ضربات الله علينا بالاكثر في الحين الذي لا نفكر بها العظة العدد ومع ذلك لا تكفي وان كثيرة لترجعنا الى التوبة العظة ع حتى ع عظة ع بل دفعات اخرى نزداد شرا من قبلها العظة ع

الضحك

لا يليق الضحك للخطاة عظة ع ويتلوه وغيره

حرف الطا

طوبيا

الطمع

طوبيا الشيخ هو تمثال الب الفضيلة الخوص والحسن الانتباه العظة العددها امن على ابنه الحديث ان يسلمه للملاك المتشكل بزي انسان وما هو الناتج من ذلك العظة ع ان الطمع هو سبب فسخ اكبر الصدقات عظة ع

حرف الظاء

الظاهر

ان الظاهر هو قاعدة ظاهرة للحكم والدينونة العظة ع خاصة فيما يخص الحكم في فرح الخطاة العظة العدد عظة ع او فيما يخص الحكم في حزن الصالحين العظة ع ع

حرف العين

العالم

خيرات العالم كاذبة وغاشة جداً العظة ع وما تلوم سنة العالم تناقض سنة الله العظة ع سنة العالم اثقل من سنة الله العظة العدد العالم غرار العظة العالم يكرم من يحتقره عظة ع العالم يضع احمالاً ثقيلة اكثر من المسيح ع بيان كيف يجب السلوك مع العالم اذا لم نستطيع ان نتركه كلياً ع ويليه غيره

القديس عبد الاحد — العدل الالهي

كم من القليل كان القديس ماري عبد الاحد يعتبر نفسه مع كونه قديساً عظيماً العظة ع العدل الالهي اذا تاخر عن قصاصنا لهو يجب ان نخاف ابلغ خوفاً العظة ع انه لو اوجب جداً ان العدل الالهي يظهر في جهنم قدرته الكلية عظة ع يسهل على العدل الالهي باذ في شي ان ينتقم منا العظة كيف يظهر عدل الله وقدرته في هذه الارض عظة عظة ع حتى ع

العدو والاعدا

بغضنا للعدو يودي نفوسنا ما نظن ان نوذيه به العظة ع ان البغض الخفي للاعدا اشر من البغض الظاهر عظة ع فضل من رام ان يحفظ شرفه بانتقامه من عدوه وخصمه العظة العدد ويتبعه غيره من يغفر لعدوه يفيد نفسه اكثر مما يفيد عدوه ويجب عليه ان يغفر له على ساير الوجوه العظة ع ويتلوه غيره الغفران للعدو لا يخفض قيمة من يغفر لكنه يزيدها عند البشر العظة ع الغفران للعدو يختص بالنبلا اشرفاً اكثر مما يختص بالناس الدنيين الحال العظة ع ان العداوة تودي جداً الى حربها في نفسه العظة ع ويليه غيره

العرض

العرض — العشرة

رد العرض المثلوم يصعب ويلزم على كذا الحالات العظة ع عشرة الانفار المختلفا احدهم عن الاخر بالحال والجنس هي خطرة جداً العظة ع

حرف الغين

الغضب — الغيرة

ان الغضب المرء يعمي البصر العظة ع ع الغضب ليس فيه حكمة العظة ع ان الغيرة بخلاص النفوس جيدة جداً وذات فوايد كثيرة العظة يلتزم الجميع ان يغاروا غيرة كثيرة على خلاص النفوس من اية مرتبة كانوا العظة ع لاسيما رعاة النفوس العدد الغنا الكثير هو ذو خطر كثير دايماً على النفس الغنا لاسيما اذا ربح بطرق غير جايزة العظة ع الغنا المكتسب بطرق غير صالحة لا يدوم العظة حتى ع

حرف الفاء

الفضيلة

ان الفضيلة لا تترك من الله بلا ثواب العظة ع الفضيلة تعطي رايحة زكية للصالحين ورايحة كريهة للاشرار العظة ع الفضيلة تصير سهلة بمدة الزمان وطول الممارسة عظة ع يجب ممارسة الفضيلة بشجاعة العظة

فرعون

قتل ملك مصر قتل التصديق لتمرده الله جداً العظة ع كان غيوراً بالشرور عظة ع كان سماعاً عن العالم بالانواع التي يعامل بها من يخدمه العظة ع

مار فرنسيس — الفقرا

مار فرنسيس البولاني نصح الفونسوس سلطان نابولي على ظلمه لرعيته وكيف نصحه عظة ع راس المال الفقرا هو في الفايض عن الاغنيا العظة ع ع بيان ما هو هذا الفايض ع ع ومع هذا جميعه فالفقرا البيسهم متروكون من الاغنيا فقط بل هم ايضاً مظلومون ايضاً ع ويتلوه غيره

حرف القاف

القداسة — القريب — القيامة

يجب علينا ان نستر خطايا القريب مشفقين عليه العظة ع ويتلوه غيره ع قيامة الجسد

ثانيهما ان تحثنا على احتضان الاهانة والتقشف العظة ع بل الى احتقار الموت ايضاً العظة ع ويتبعه ع سبيلنا ان نعتبر المذلة اعتبارنا عظيماً اكثر من جميع الخيرات الزمنية وعكسنا ان نتألم اهانة من ادنى شيء قليل العظة ع

قايين

ان قايين تقاصص عن الاهانات التي اساء بها الى الله بخطية مستقيمة العظة ع قد تعرض الى فعل القتل بخوف عظيم العظة ع قد اذنب بخطية الحسد الاردى من خطايا الحسد كافة عظة ع

حرف الكاف

الكنايس

ان يجب الاكرام الكلي للكنايس العظة لاي سبب اقيمت الكنايس من الله في الارض ع ذكر الاكرام الوقر الذي كان المسيحيون القدما يقدمونه لها ع ذكر قلة اكرام مسيحيين ذكرنا هذا للكنايس ع ويتلوم ع ان الشعوب الاجنبيين البربر كرموا الكنايس ايضاً ع ما هو الفرق الكاين ما بين الكنايس وسفينة نوح عظة ع

الكتب الروحية — كلام الله

الكتب الروحية صارت سبباً لكثيرين من الناس ليرجعوا الى الله العظة ع ثم ع بيان قلة شوق المسيحيين الى استماع كلام الله عظة ع ويليه عداد اخوان الشياطين يجتهدوا ان يبطلوا ايماناً ذات كلام الله ويليموا النصارى عن استماعه ع استماع كلام الله لازم للخلاص ع كلام الله قوي فعال ع الخطاة يزدرون بكلام الله العظة ع

حرف اللام

لاديزلاوس

لاديزلاوس ملك بوهيميا قد اختبر بنفسه ان افراح العالم خادعة العظة ع اللذات يجب ان تمقت جداً اللذات اللحمية العظة ع اللذات الجسدية هي عند اغلب الناس محبوبة اكثر من اللذات الروحية العظة ع اللذات الجسدية توجد في السما بنوع اكمل العظة ع اللذات الروحية تفوق على اللذات الجسدية فوقاً عظيماً العظة ع

حرف الميم

المحبة

المحبة

المحبة الالهية افضل من المحبة البشرية العظة ع ان المحبة هي عاطفة يصير اخفاؤها اكثر من سائر العواطف العظة ع محبة الله نحو البشر هي منكبة دايماً الى الاحسان عليهم العظة ع اما البشر فيكافون الله عنها مكافاة رديئة العظة محبة الله لنا تعظم نحونا اكثر عظماً حينما تتشكل بزي البغض عندما تضربنا بالشدايد العظة ما هو الخوف الذي ترفعه محبة الله عن قلب الانسان العظة ع ويتلوه غيره بيان المحبة التي نيل بها الخلاص من المحبة التي عظة ع

الملايكة — مجد السماء

ان الملايكة يتوطون كثيراً الاجل خير البشر عظة ع عظة ع الملايكة يدونون بكرامة عظيم الى الخطا المتوكلون على حراستهم العظة الهدد العظة ع الملايكة ينكادون في الغاية من قلة الوقار الذي يشاهدونه يصدر من المسيحيين في الكنايس عظة ع ذكر الذهول الذي يعتري النفس من مشاهدتها الافلاك السموية عندما تجوز عليها بتخيتها الى مجد السما العظة ع حتى ع وينتج من ذلك عظم مجد السما بيان جهل الناس الذين يخاطرون بفقد مجد السما بحبتهم خيرات الارض ع ع لانقدر نربح مجد السما بلا تعب العظة ع عظة ع المبرات الموجودة لهما سلطة على اسية الاشرار اكثر من الاخيار العظة عدد العظة عدد وقد دبر الله لهما جميعهما في نوعيهما مويدات كافية لغايتهما عظة ع

المسيحيون

ان المسيحيين وحدهم يستحون من الاقرار بذنبهم واشهاره جهاراً العظة ع مع انهم وحدهم معهم دين الحق عظة المسيحيين يعتذرون اقل عذراً من الحنفا اذا هلكوا عظة ع وسوف تشتكي عليهم من اكثر الوثنيين في يوم الحشر العظة ع

المسيح له المجد

ان المسيح اظهر نفسه صديقاً اكمل حباً من جميع الاصدقا البشريين العظة ع كان المسيح مستقيماً في اعطا المجازاة عظة ع كان في نفسه محبوباً جداً العظة ع لم يكن المسيح يحب لا افتخار ولا اشتهار في افتعاله الاحسانات عظة ع وكان واذا للجميع كان لطيفاً جداً في تركيب جسده ع قد فاق على كل انسان بالاحتمال والصبر العظة حمل في شخصه قصاصات الجميع التي استحقوها من خطاياهم العظة ع وحمل ايضاً خطاياهم ع ما عفي عن برحمه في الامه ع ومع هذا جميعه لا يتكافى من البشر الا قليلاً ع مات عن جميع

الناس على حد سوى متنجين كانوا او مرذولين عظة ع كان يشتاق جدًا لخلاص الانفس
عظة ع الناس يحتقرون من تنى قليل عظة ع عظة ع يكون محترقًا جدًا على الخطاة يوم
الدينونة العظة ع ويكون ودودًا فوّانًا على الصالحين وخاصةً على ذوي الصدق نحو
المساكين العظة ع العظة ع بيان الوهيته من قياسات وبراهين متعددة ومن هنا
يقوم البرهان ايضًا في انه هو بمفرده اعطى الناموس الحقيقي للعالم العظة بيع المسيح من
يوضس كان على النفاق والظلم عظة ع ويعقبه ع وصار له من ذلك خجل وحزن واهانة
عظيمة العدد ع

المثل

المثل الصالح له فاعلية قوية في افادة النفوس العظة ع من صار مثلًا رديًا يلزمه ان يعوض
عنه بمثل صالح العظة ع

المعروف

ان حسن المعروف هو فضيلة ظهرت في الحيوانات ايضًا عظة ع الناس يظهرون حسن المعروف
بعضهم لبعض اكثر مما يظهرونه نحو ابنا العظة عدد ع

موريكيوس

موريكيوس الملك جوزي بمجازاة مرة عن قساوته نحو المبتليين بالشدايد عظة ع وقد
انتخب ان يقاص عنها في هذه الحيوة لا في الحيوة الاخرى عظة ع

الموت

الموت قريب لكل انسان بسهولته العظة عدد ع العظة ع العظة ع يجب على
كل انسان ان يتخذ الموت مشيرًا له في كل افعاله عظة ع حتى ع يجب على الخطاة ان
يخافوا من الموت لا نعلى الصالحين عظة ع ويليه غيره الانسان يموت حسب سيرته فان
عاش صالحًا فله ان يرجو موتًا صالحًا وان عاش شريرًا يموت شريرًا عظة ع موت الابرار
يسبب لهم خيرات عدة عظة ع ويتلوه غيره ويسبب لهم تعزيات وافراح ع من تقبيل
الموت يصير لنا استحقاقات كثيرة عظة ع ان الابرار يستفيدون جدًا اذا تصوروا الموت قريبًا
دايمًا العظة ع الله يجعل الموت مرات شتى على الابرار نعمة خصوصية لكي ينصانوا من الخطا
عظة ع الموت ياتي سريعًا على الخطاة مرارًا شتى من اجل خطاياهم العظة ع وما يتلوه
من الفجاة يوافي على الخطاة اكثر من الصالحين عظة ع ان الوثنيين كانوا يصنعون اكرامًا
بليغًا للموت اهم العظة ع

موسى النبي

كان

كان موسى النبي يتمتع فوق جبل سينا بحال مختلف عما كان الشعب الاسرايلي يظن به وما هو
المرموز اليه بهذا العظة ع بيان صرامة القصاص الذي عوقب به موسى النبي عن هفوة خفيفة
زهق بها الا انها كانت ظاهرة العظة ع

المبادي

مبادي الاشيا هي غالب الاوقات اقتص من النجاحات عظة ع ان المبادي وان كانت صغيرة
فتكفي ان تولد مفعولات عظيمة العظة ع ويتلوه غيره

المطهر

ان المطهر يصير عند بهركة الصافي العظة ع المطهر مولم جدًا من عذاب الحس والفقد
ايضًا عظة ع ولاجل ذلك يستحق العذاب من لا يغيث الانفس المعتقلة فيه ع ع
خاصة لان اغاثتهن سهلة علينا وكلية الصواب والفايدة ع ع ع ماذا يجب علينا
ان نصنع نحوهن لكيلا نطلب في المطهر اغاثة غيرنا من غير فايدة العدد ويليه اعداد اخر

مقاتلات الناس

يجب ان نحذر من مقاتلات الناس اذا قصدنا الفضيلة العظة من يغلب مقاتلات الناس
يثبت على نفسه ان فضيلته راهنة العدد مقالات العالم تجتذب الى شرور كثيرة ع
بيان من هو الملتزم اكثر التزامًا ان يغلب مقالات الناس عظة ع

حرف النون

النفس

ان النفس تجب من طبعها الجسد جدًا العظة عدد اندلاء قبيح ان الانسان يتهاون بنفسه
ولذلك يلزمه ان يحترس عليها لجهده كله العظة ع ويتلوه غيره العظة ع ويعقبه
اعداد اخر ان كثيرين من الناس يعتبرون نفسهم اعتبارًا يسيرًا العظة ع ويجحد غيره العظة
ع ان خلاصها وهلاكها يتسبب من شي زهيد طفيف العظة ان هلاكنا لا من غيرنا
العظة لو نشاهد حسن النفس القريب لكنا اجتهدنا بابلغ اجتهادنا في تخليصها العظة ع
لاعتنا بلغاتها وتخليصها بسر المسيح في الغاية ويفيدنا وهو شي من الواجب جدًا عظة
ع حتى ع كل انسان يستطيع على خلاص نفس قريبه حسب درجة ورتبته العظة ع
اما رعاة النفوس فيلتزمون بذلك اشد التزامًا العدد ان قيادها الى التزمهم خطا عظيم
لا يوصف العظة ع عظة يلزمهم كثيرًا رد الانفس التي اسقطناها في الخطا وكيف يجب ان يصير

هذا الرد عظة عـ

النظر

أن أوسابيوس المحب قاصر نفسه عن نظرات خفيفة في شي غير محرم بصرامة عظيمة جداً العظة عـ النظر الرعين بنوع الفرحة أسى الحديث ابنة يعقوب جداً عظة عدد عظة عـ

النعمة

أن النعمة الالهية تحول قوى النفس أعظم ما تحوليها الطبيعة في سبيل الفضيلة العظة عـ النعمة الالهية تفعل تغييرات عجيبة في النفس العظة العدد ويتلوه عـ وغيره عظة عـ الله لا يمسك النعمة الكافية عن أحد عظة عـ ويتلوه غيره العظة عـ عدد أما النصارى فيفيض عليهم نعمة أوفر فيضاً العظة عـ أن كان النعمة الالهية تضعف فينا فذلك منا العظة عـ

النمامون

النمامون يأسون بنميمتهم أولاً الانفار الذين ينمون فيهم ثانياً الذين يسمعون نميمتهم ثالثاً نفوسهم بالازيد العظة عـ وأعدادا أخر تتلوه. بيان المنوال الذي يستعمله النمامون ليجعلوا نميمتهم تصدق عـ أن غالب النمامين يموتون موتاً شريراً عـ

نوع البار

نوع البار أنتصر على المزدرين به لأن يشجع الصالحين لاحتمال ازدرا المنافقين عظة عدد

حرف الهاء

الهلاك الهالكون

أن الهالكين عادمون كل نوع من التعزية في عذاباتهم العظة الهالكون يشعرون بشر موتهم الابدية كلها لا بجزء عـ الهالكون يبغض أحدهم الآخر بأعظم القساوة عـ ويتألمون جداً جداً من غيظهم على الشياطين العدد وغليهم من حسدهم الطوباويين عـ ويزداد عذابهم لما يشاهدونهم مستهزئين بهم عـ تهبط أنفس في جهنم كل يوم كالمطر عـ ومع ذلك لا يخف عذاب الهالكين من اشتراك غيرهم به عـ أن هلاكنا منا لا من غيرنا العظة الخطاة يبتاعون هلاكهم لانفسهم مرات شتى بثمن جزيل العظة عـ ويتلوه غيره يجب على كل أحد أن يخاف من الهلاك خوفاً عظيماً عظة عـ حتى العظة عـ عدد هذا الخوف يجب بنوع أخص على من يسبب لغيره الهلاك

عظة عـ عظة عـ حتى عدد الهلاك يصل مراراً عديدة من أسباب خفيفة

حرف الواو

الوالدون الأولاد

أن الوالدين يلتزمون بتربية الأولاد حسناً التزاماً شديداً جداً العظة ومع ذلك يتوانون بها كثيراً عـ وما يتلوه لا تدوم خيرات الأولاد زماناً كثيراً اذا فازوا بها بطرائق غير جائزة العظة عـ الى عـ وتصير سبب هلاك من سعى بها العظة العدد ويليه غير بل يهلكون الأولاد بسببها غالباً أيضاً عـ بيان الطرائق الجائزة في اقامة الأولاد يضعون الأولاد من الفقر العظة عـ العظة عـ أن غالباً حسبما يستمون ثم والديهم العظة عـ يجب على والديهم أن يحرصوا جيداً لمن يسلمون تدبيرهم العظة عـ الأولاد يضعون غالباً متشبهين بأوصاف والديهم عظة عـ الوالدون ينقاصرون مقاصر عظيمة من توانيهم بتربيتهم أولادهم العظة عـ ويليه

الوعد

عـ أن الله يحفظ مواعيده خلافاً عن الناس العظة عـ كثير من الناس حفظوا وعدهم بأمان عظيم لاناس آخرين عظة عـ أما بالاحرى يجب حفظ الوعد مع الله العظة عـ

الوقاحة

عـ أن الوقاحة المقدسة ممدوحة جداً العظة عـ الوقاحة الشريرة ممقوتة جداً ومردية العظة عـ

والنمر الملك وينتشلاوس

والنمر الملك عوقب من الله عقاباً مراً عن تمرده لدعوات الالهية العظة عـ وينتشلاوس القديس استعمل رافة وافرة مع بدلز الذي أخيه المنافق العظة عـ

حرف الياء

اليهود

لأي سبب أذل الله اليهود بمصر العظة عـ بأي حق نهب اليهود للمصريين عند خروجهم من مصر العظة العدد استعمل اليهود في البرية حسناً العظة عـ قصاصهم المريع عن عدم صبرهم أياماً قليلة انتظار نزول موسى النبي من الجبل العظة عـ لأي سبب عوقبوا في أرض الميعاد وبعقوبات أصرم من غير مكان العظة عـ كم سلموا نفوسهم

للضلال من قبل العشرة الرخاوة السعيدة التي فازوا بها عظة ع قد عدد ٢
وانتصروا لما كانوا مع الله وشقوا وتعبوا لما ابتعدوا عنه بخطاياهم العظة ع ٣
ذكر المناحة التي كانوا يصنعونها كل عام على خراب اورشليم عظة ع ٢٨ ٦

يعقوب

بيان النوع الذي به يتجلد يعقوب ابو الاسباط ليدفع عنه التعام لعيسو اخيه المقبل
اليه عليهم بهمة عزة تدقاسي مشقة عظيمة من اجل تنازله مع ابنته التي
اطلقوا بها هواها في
التفرجة العظة ع ٢٥ ٦

يوربعام

بيان كثرة الاثام التي غاص بها يوربعام بتدبيره الشرير ليثبت مملكته العظة ع ١٧ ٩

يسوع

يونان

بيان القوة العظيمة التي ظهرت باسم يسوع الاقدس العظة ع ١ ان يونان كان المذنب
وكان هو وحده راقدًا مستريحًا في حين اضطراب البحر وما هو المدلول عليه بذلك
العظة ع ١٥ ما القي في البحر الا بعد ان صار الفحص المدقوق عليه العظة ع ٢٥ ١

ابرونيموس ان القديس ابرونيموس لماذا يخجل
بمثله كل احد ثقة نفسه في اسباب الخطا
العظة العدد العظة ١٦ ٢ ٧
العدد ٧

تمت حروف الكتاب بمنة الملك الوهاب

تمت نساخته بيد حقير اسطفانوس سنة ١٧٩٠

ملك كاتب الحقير يوحنا ولد متريس خزام العسيلي المقيم بمدينة القاهرة منذ شهر وسالما [illegible]
وكل من اعتله او ضاه يطالب به يوم الدين وهو حيي دنيا او كيلي

اشترى هذا الكتاب السيد مكسيموس حويك اسقف ونايب رسولي على طايفة الاقباط الكاثوليكيين من مال الوقف
وصار ملكًا وحقًا لوقف الاقباط الكاثوليكيين والثمن دفع ليد زوجته ٢٠ برهات سنة ١٥٤٢ قبطيه

364

(١٣) إلى فقير من الناس يحتمل الأسى

(١٤) الناس الذين اغتروا بقوتهم وظلموا من هم أضعف منهم.

(١٥) زعموا - قولي - أني - ينفعوني - لحوقي - فيلي - إليه - له - أنك - منا

رأيتها لك - تنفيها - لنا - أنت - أمتنا - تحفنا - وغيرك - صه - أنتم.

وفقتك - بي - يضربكم - وجوتي - أو يحكم - فقلبه - تكلفنا - تأمره

تمرلتني - عليه - فقلت - لك - لك - فيه - إلا - إليه - وحدها -

مكانه - نحوها - أقبلت - أنا - إليك - بعثني - معي - لك - تتبعني.

فاحذرها - مني - أنا - فيرلي - فقلت - معي - إليه - تغضبني -

فسلك واشتملي - فأقبلت - إليك - لا مبرك - زعني - انطلقي -

معي - خاوزني - نحو - طله - تولري - إليه - ليقاتله - فأعلمتهم

صنيعي.

الأدب إدوارد توقيه ليون ليبيراط دوح

الفصل السادس الفرنسي

واجب في يوم الأربعاء الموافق أبريل ٥٦

انشاء

(١) ماهي صفات الأرض التي يسكنها الأسد؟

(١) صفات الأرض التي يسكنها الأسد هي أرض أريضة كثيرة المياه والعشب كثيرة الوحوش

(٢) لماذا كانت بقية الوحوش تخاف من الأسد؟

(٢) لأنه كان مستبدا ظالما

(٣) ماذا عرضت الوحوش للأسد لتأمن شر استبداده بها؟

(٣) عرضت للأسد أن يحضر إليه كل يوم في وقت غدائه دابة

364

(٤) كيف قابل الأسد فكرها؟

(٤) قابل فكرها بالرضا.

(٥) ماذا قالت الأرنب للوحوش لما وقعت عليها القرعة؟

(٥) قالت للوحوش إن انتم وافقتم في ما لا يضركم أريحكم من الأسد

وقالت أطلب أن أبطئ فوافقت الوحوش

(٦) اخبرني بالتفصيل عن الحيلة اخترعتها لتميت الأسد.

(٦) قال الأرنب عندما وصل إلى الأسد متأخرا انني رسول من

عند الوحوش وكان معي أرنب لك فقابلني اسد وأكله قال الأسد

اين هو وذهب مع الأرنب ليرى الأسد فأوصلته إلى بئر انظر فنظر

فوجد صورته وصورة الأرنب فوثب في الماء

(٧) لم أجابت الأرنب الأسد لما وصلت وسألها عن سبب مجيئها

(٧) من انها رسول من عند الوحوش

(٨) ماذا قال لها الأسد لما علم أن أسد آخر استولى على الغذاء المرسل اليه؟

(٨) اين هو الأسد الآخر؟

(٩) كيف كان ماء الجب الذي تطلع فيه الأسد والأرنب؟

(٩) كان ماء الجب صافي

(١٠) ماذا رأى الأسد في ذلك الجب؟

(١٠) رأى ظله وظل الأرنب

(١١) ماذا عمل ليقتل عدوه؟

(١١) وثب إليه ليقاتله فغرق.

(١٢) ماذا فعلت الأرنب بعد موت الأسد؟

(١٢) رجعت إلى الوحوش وأخبرتها بما فعلته

(١٣) هل يمكنك أن تعبر لي بنصتر عن الفائدة الأدبية هذا المثل

(١٣) يجب على كل انسان أن يعدل ولا يغتر بقوته

END

LOCALITY OF RECORD

EGYPT

TITLE OF RECORD

THEOLOGIE ET PREDICATION

ITEM

6

PROJECT NUMBER

EGPT 00004

ROLL NUMBER

4